أحمد الشقيري

١٩٠٨ - ١٩٨٠

مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية

من رواد الاستقلال والوحدة العربية

مطالعات وإضاءات

عبد العزيز السيد أحمد

صدّره

دولة أ. أحمد عبيدات

قدم له

أ. د. ناصر الدين الأسد

لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري

أحمد الشقيري

١٩٠٨ - ١٩٨٠

من رواد الاستقلال والوحدة العربية

مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية

عبد العزيز السيد أحمد

عمّان
١٤٣٣ هـ
٢٠١٢ م

إهـــداء

إلى شهداء وادي الحوارث

الذين سقطوا دفاعاً عن استلاب أول التراب الفلسطيني

وإلى آخر شهداء استعادة آخر حبة تراب من فلسطين

وإلى كل من نافح وينافح عن فلسطين بالروح والدم ، والجهد والعَرَق

منذ سايكس بيكو ووعد بلفور المشؤومين

وحتى يوم النصر المحتوم

عمّان ٢٠١٢/٧/١

عبد العزيز السيد أحمد

هـذا الكـتـاب

شُكّلت لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري إثر وفاته في ٢٦ شباط / فبراير ١٩٨٠ ، بمبادرة من أحد رفاق رحلته في الإعداد لتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ الأستاذ خيري الدين أبو الجبين ، وضمت عدداً من أصدقاء الشقيري وزملائه وتلاميذه وعارفي قدره ، وقد رأس أبو الجبين اللجنة منذ تشكيلها ، أعطى من وقته وجهده وكبير اهتمامه لعملها عطاء غير محدود هو وزملاؤه ، وربما لم يدُر في خلده وخلدهم في حينه ، أنّ الراحل العظيم لن يحظى بالاهتمام الذي يليق به وبعطاءاته لقضيته وشعبه وأمته ، لا سيما من المنظمة التي كان هو أباها وأمها ، وسادنها حتى بعد التنحّي ، وخاصة بعد رحيله . إلا أنّ الأيام والعقود خيبت ظن الكثيرين ، حين غُيّب الشقيري عن دائرة الضوء والاهتمام ، وبعيداً عن الخوض في أسباب ذلك ، فقد حمّل هذا التغييب اللجنة عبئاً مضافاً ، لقد كان دافع تشكيلها من لدن أبي الجبين وصحبه في الكويت هو في المقام الأول « الوفاء » للشقيري والقضية ، وجرى التعبير عنه في أربعين الرجل بمهرجان تأبيني أقيم في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت[1] ، لكن اللجنة وجدت أمامها مسؤوليات تتعدى ذلك ، جرى التعبير عنها على مدار ثلاثة عقود بعدة فعاليات لعل أبرزها :

- عقد عدة ندوات في الكويت ودمشق وبيروت وعمان ، كانت مبادِرة أو مشاركة في الدعوة إليها أو إعدادها ، وهي ضمن فصل مستقل في الكتاب .
- إصدار كتابين من مخطوطاته أحدهما **خرافات يهودية** والآخر **فلسطين سنة ٢٠٠٠** (عنيت بنشرهما أسرة الفقيد التي يمثلها في اللجنة نجله المهندس إياد الشقيري) .
- إعداد دراسة مرجعية شاملة كلفت بها عضو اللجنة الأستاذة الدكتورة خيرية قاسمية أستاذ التاريخ المعروفة وإصدار كتاب **أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً** ١٩٨٧ .
- إصدار ما أمكن حصره من كلمات الرثاء والوفاء ، التي كتبها في الصحافة العربية عدد من أصدقائه وزملائه والمفكرين والكتاب والصحفيين ، على مدار عقدين من وفاته جرى جمعها ونشرها في كتاب حمل عنوان (**كلمات وفاء**) .
- استحداث موقع إلكتروني ضم سيرة حياته وعدداً من كتبه ومحاضراته المكتوبة والمسموعة ، ومئات من صور المناسبات والأحداث المهمة التي شارك فيها[2] .

وفي جلِ هذه الأعمال كان رئيس اللجنة وأعضاء اللجنة ، حاضرين على مستوى التخطيط والتنفيذ والمتابعة .

وتعد الذكرى الخامسة والعشرون لرحيل الشقيري (٢٠٠٥) مرحلة حراك جديد ، يمكن وصفه بيقظة أو صحوة على الشقيري ، كقيمة وطنية وقومية نضالية ، وبخاصة بعد انهيار جميع الرهانات التي طوحت بكثير من منجزات منظمة التحرير الفلسطينية لصالح أوهام التسوية . في هذه المرحلة ، ومن خارج إطار لجنة التخليد ، ولكن من صميم الإيمان بأهدافها ، وبالقدر ذاته من الشعور بالعرفان والتقدير للشقيري ، ظهر دور معدّ هذا الكتاب - مع اللجنة - في إحياء هذه الذكرى من خلال :

١ - إقامة ندوة على مستوى عربي في القاهرة ، حملت عنوان : (القاهرة تحيي الذكرى الخامسة

---

(١) انظر قسم الندوات .
(٢) الموقع هو : www.ahmad-alshukairy.org .

والعشرين للشقيري) . عقدت في نقابة الصحفيين .

٢ - إقامة ندوة أخرى في عمان ، حملت عنوان : (عمان تحيي الذكرى الخامسة والعشرين لرحيل الشقيري) . أقيمت في المنتدى العربي .

٣ - جرى تحديث الموقع الإلكتروني بإضافة المزيد من كتب الشقيري .

٤ - سمي أحد أكبر شوارع عدن باسمه في شهر آذار / مارس من عام ٢٠٠٦ .

٥- عقد ندوة فكرية في القاهرة بإشراف مركز دراسات الوحدة العربية . أصدر المركز وقائعها ضمن إصداراته العامة[1] ، ثم عهد للمركز نفسه بنشر الأعمال الكاملة للشقيري نشراً مشتركاً بين المركز ولجنة التخليد .

٦ - أعدت قناة الجزيرة برنامجاً وثائقياً عن الشقيري بثته على قناتها الوثائقية ، ثم على قناتها العامة في العام ٢٠٠٩ أعد البرنامج وأخرجه محمد بلحاج وشارك فيه معظم أعضاء لجنة التخليد .

٧ - قدم المؤتمر العام للأحزاب العربية درع النضال العربي للشقيري في مؤتمره العام الخامس عام ٢٠٠٩ .

٨ - كما أقامة جهات مختلفة عدداً من الفعاليات من بينها مؤسسة الأسوار في عكا - مدينة الراحل - التي عقدت ندوة تكريمية في الذكرى السابعة والعشرين لرحيله .

وكان مقرراً إقامة ندوات أخرى في بيروت ودمشق بإشراف الأستاذ الدكتور أنيس صايغ ، الذي حمل الشقيري كقضية وطنية وقومية فكرية على نحو يرقى إلى كونه رسالته ، وأخرى في الإمارات العربية المتحدة بإشراف الأستاذ خيري الدين أبو الجبين ، إلا أن الظروف التي عصفت بالمنطقة في السنوات الأخيرة حالت دون ذلك .

في الذكرى المئوية لميلاد الشقيري (٢٠٠٨) ، اقترح رئيس لجنة التخليد أن يصدر كتاب توثيقي مرجعي شامل عن سيرة الشقيري يكون - بعد صدور أعماله الكاملة - استكمالاً لموسوعة أحمد الشقيري . يركز على تأسيسه لمنظمة التحرير الفلسطينية ، التي تعد أهم إنجاز تحقق للشعب الفلسطيني بعد نكبة عام ١٩٤٨ ، وتشتته خارج وطنه . وقد عهد إلى عبد العزيز السيد بهذه المهمة ، وخلال سير العمل نمت الفكرة إضافةً وتطويراً بهدف التجويد والشمول حتى غدت على النحو الذي هو بين يدي القارئ ، وهو ما اقتضى تجاوز الذكرى المئوية لميلاد الشقيري ، ليصدر في المناسبة الراهنة ، وهي السنة الثانية والثلاثون لرحيله (٢٠١٢) .

وعليه فإن هذا الكتاب لا يمكن وصفه بدراسة سياسية أو ثقافية أو تاريخية أو سيرة ذاتية ، بل إنه شيء من كل هذا في إطار توثيقي تحليلي عن القضية ودور الرجل في مسيرتها ، على نحو يدنو به إلى العمل الموسوعي ، وهذا ما عكس نفسه على المنهج العلمي للكتاب فقد تداخل فيه المنهج الوصفي بالتاريخي بالتحليلي في مزيج سعينا لكي تتكامل معاً حتى تحقق الرؤية المنشودة .

وكلي أمل في أن يحقق الكتاب الغاية من إصداره ، خدمة لفلسطين وقضيتها وأمتها ، على نحو تستحقه القضية ورجلها العملاق أحمد الشقيري .

وأخيراً يظل الفضل في إصدار الكتاب للجنة تخليد ذكرى الشقيري ، وللسيد خيري الدين أبو الجبين ، على كل صعيد من متابعة ومراجعة .

والله من وراء القصد

عمّان ٢٠١٢/٧/١

عبد العزيز السيد أحمد

(١) انظر قسم الندوات في الكتاب .

كلمة لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري

خيري الدين أبو الجبين
رئيس اللجنة

تخلد الأمم الحية ذكرى زعمائها ورجالها الكبار . ونحن الفلسطينيين لا بد أن نذكر بالفخر والاعتزاز زعماءنا الذين خدموا قضيتنا المقدسة ، وضحوا في سبيلها ، وعلى رأسهم أحمد الشقيري مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية ، الذي ولد عام ١٩٠٨ وتوفي عام ١٩٨٠ . ولذلك أصدرنا هذا المجلد عن حياته في الذكرى الثانية والثلاثين لرحيله ٢٠١٢ ، ليجد فيه الجيل الصاعد من أبناء شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية عرضاً لحياة هذا الزعيم الكبير وإنجازاته وأفكاره ، يستفيد منه في سعيه لتحقيق ما آمن به الشقيري ودعا إليه .. الوحدة العربية وتحرير فلسطين ، هذان الهدفان اللذان لم يتحققا - وللأسف - في حياته ...

الشقيري علم من أعلام أمتنا العربية الخالدة ، وإنجازاته لقيت كل تقدير على الدوام . ففي مطلع شبابه كان زعيمنا نصيراً للمجاهدين ، يتولى الدفاع عنهم في فلسطين أمام القضاء البريطاني الغاشم ، الذي كان يحكم بالإعدام على كل عربي يحمل رصاصة ناهيك عن حمل السلاح . كانت له إسهامات واضحة في توعية الجماهير ، وفي إعداد المذكرات القانونية والسياسية ، التي كانت تقدم إلى لجان التحقيق الدولية التي كانت تنظر في القضية الفلسطينية .

في الأربعينيات من القرن الماضي تولى الشقيري ، الذي كان يمتلك قدرات ومواهب باهرة في الخطابة واللغة والقانون والفقه والحديث والدبلوماسية ... تولى الدفاع عن القضية الفلسطينية في المكاتب العربية التي أنشئت آنذاك في الولايات المتحدة الأميركية وبعض الدول الغربية .

وبعدها أبدع الشقيري في الأمم المتحدة وهو يدافع عن قضايا استقلال دول المغرب العربي ... تونس والجزائر والمغرب وليبيا .

ولا يمكن أن ننسى جهود الشقيري وقدراته بعد ذلك لإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، فقد استطاع أن ينتزع موافقات رؤساء الدول العربية الذين كانوا متضاربي الأهواء والنوايا ، كما استطاع أن يبلور تطلعات الفلسطينيين في مختلف أماكن وجودهم في إبراز كيان لهم يجمعهم بعد أن فرقتهم النكبة .

بعد إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية في القدس في ٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٤ انصرف الشقيري إلى تثبيت دعائم المنظمة وقيادتها وسط أجواء صعبة . ثم أنشأ جيش التحرير الفلسطيني ومركز الأبحاث والصندوق القومي الفلسطيني .

وبعد استقالته من رئاسة المنظمة بعد نكسة ١٩٦٧ تفرغ رحمه الله لكتابة مذكراته ، فأغنى المكتبة العربية بعدة كتب ومذكرات سياسية وأحاديث صحفية عن القضية الفلسطينية والوحدة العربية ، فسجّل - في نحو عشرين كتاباً - أفكاره ونشاطاته ولقاءاته مع القادة العرب ، مما يجعلها مرجعاً سياسياً وتاريخياً مهماً .

وعلى إثر وفاة الشقيري في شباط / فبراير عام ١٩٨٠ قبيل يوم تقديم السفير الصهيوني أوراق اعتماده إلى الرئيس المصري أنور السادات ... في ذلك اليوم الأسود من تاريخ أمتنا العربية ، تداعت ثلّة من محبّي الشقيري وأصدقائه وعارفي فضله ومقدري جهاده الطويل ، والمؤمنين بطروحاته في الوحدة والتحرر .. وألّفوا هذه اللجنة العتيدة التي يشرّفها أن تصدر هذا المجلد في السنة الثانية والثلاثين لرحيله .

وإننا لنعاهد الله على أن نسير على خطى الشقيري في طريق الوحدة العربية وتحرير فلسطين .

الكويت في أيار / مايو ٢٠١٢

القسم الأول

الفصل الأول

رائد اليقظة الفلسطينية المعاصرة

- الشقيري شخصية مركّبة .. شخصية غير معقّدة
- الشقيري واحد من ثلاثة .. ولكن .. !
- الشقيري وفلسطين في جامعة الدول العربية
- فلسطين وعصارة التجربة
- منظمة التحرير الفلسطينية ... الإنجاز الأكبر والرؤية الثاقبة
- الشقيري يستدعي كلينتون إلى غزة
- لاءات الخرطوم ثلاث .. لاءات الشقيري أربع
- منظمة لاجئة .. في مناخات عاصفة
- الدبلوماسي الثائر
- هو الكبير بين الكبار .. كبير بحجته وشجاعته

الفصل الأول

رائد اليقظة الفلسطينية المعاصرة

الشقيري شخصية مركّبة .. شخصية غير معقّدة

كان الشقيري شخصية مركّبة ، لكنها غير معقّدة ، بل هي واضحة في كل مكوّن من مكوناتها ، وجانب من جوانبها ، خلافاً لما تتسم به الشخصيات المركّبة ، وبتفكيك الجوانب الرئيسة لهذه الشخصية نجد :

- الشقيري السياسي والدبلوماسي الثائر .
- الشقيري الزعيم الشعبي والخطيب الجماهيري المفوّه .
- الشقيري المحامي والحقوقي والفقيه البارع .
- الشقيري المثقف والمتنوع المناهل .
- الشقيري الأديب صاحب البيان الرفيع .

وتتداخل هذه الجوانب معاً لتشكّل التميّز في بناء شخصيته ، ويمكن القول إنّ جُمّاع هذه الشخصية قد أسهم في تكوينه :

١ - عوامل النشأة : فقد رضع لبن الاضطهاد واليتم ، الذي أورثه عصامية القبول بالتحدي طوال عمره .

كما أنه التقط في ديوان العائلة مشاعر القلق من المستقبل الذي ينتظر فلسطين على يد الاحتلال البريطاني ، وما كان ينذر به من هجرة الصهاينة إليها ، وأحسّ بدوره ورفاقه الفتيان في مواجهتها حتى تفتق ذهنه عن مواجهة أطفال المهاجرين بـ « الكرابيج » إن هم دخلوا المدينة [1] .

٢ - موهبة الخطابة التي كانت حينذاك أداة مهمة للتعبئة والتوجيه . فهو الخطيب المتألق والمتوقد ذو البديهة الحاضرة والسريعة والجرأة الفريدة ، التي جعلت منه - بحق - نجم كل محفل يشارك فيه ، وبطل كل قضية ينافح عنها . لا في القضية الفلسطينية والقضايا العربية وحسب ، بل في القضايا الدولية بعامة .

ويمكن القول إن الباب المباشر الذي دلف منه الشقيري إلى الحياة السياسية الفلسطينية والعربية ، هو طرده من الجامعة الأميركية ، وإبعاده عن بيروت إثر خطبته في ذكرى شهداء ٦ أيار / مايو .

٣ - الثقافة الموسوعية وتعدد مناهلها وتكاملها : وهي التي أمدّت موهبته بقوة البيان بعيداً عن سجع الكهّان ، الأمر الذي أعانه على تأدية دوره السياسي ، سواء بالخطابة الجماهيرية والشعبية أو الكتابة الصحفية أو مرافعاته السياسية . فهو المثقف الواسع الاطلاع ، ولا سيما في العقائد والتاريخ والأدب ، فضلاً عن امتلاكه زمام اللغتين العربية والإنجليزية .

٤ - دراسة المحاماة وتعمّقه فيها حتى غدا متبحراً في القانون بعمق ، وقد زودته ثقافته الغزيرة الثرية المتنوعة بقوة الحُجة في مرافعاته القضائية والسياسية ودفاعاته ، بل وهجماته من أجل قضايا التحرر والاستقلال للأقطار العربية في أروقة ودهاليز الجامعة العربية والأمم المتحدة ، وعلى منابرها ، وفي مجالسها بين سنتي ١٩٢٧ - ١٩٦٣ .

الشقيري واحد من ثلاثة .. ولكن .. !

الشقيري واحد من ثلاثة هم عناوين المراحل الثلاث في تاريخ القضية الفلسطينية في القرن العشرين : الحاج أمين الحسيني (مرحلة الانتداب) وأحمد الشقيري (مرحلة النكبة والشتات) وياسر عرفات (مرحلة الثورة منذ الرصاصة الأولى حتى عام الرحيل ٢٠٠٤) .

ولا مراء في أن كلا منهم كان يمتلك « الكاريزما » الجماهيرية والسياسية ، وكان يمتلك من مقومات القيادة ما وصل به إلى حد الوقوف زعيماً على قمة الهرم ، حتى وكأنه أصبح (القيادة) وأصبحت القيادة (هو) .

الأول هو الحاج أمين الحسيني .. كان على ثرى أرضه .. معه عشيرته وحزبه ، والحجر في مكانه قنطار .. حتى وإن أمضى سنوات في المنفى فقد ظل يدير الكفاح بأدواته ومؤسساته على أرض الوطن .

والثالث هو ياسر عرفات .. كان على أرض هي الثورة و « فتح » تنظيم ممتد في كل فجّ عميق ، والبندقية يحملها أنّى رُحّل أو رَحَل .

وبينهما بعد النكبة ، أحمد الشقيري كان وحده كشعبه المشرد الأعزل مشرداً أعزل ، لملم شعبه من

---

(١) المصدر : **الأعمال الكاملة** ، مج٢ ، ص ١٥٩ .

المخيمات والكهوف ، والقرى والمدن .. يحاصره في حركته المحاصِرون بل والمحاصَرون أيضاً ، من ذوي القربى والأبعدين .. ولشدَّ ما أحصوا عليه أنفاسه . انطلق يحمل همّ شعبه وقضيته على كتفين عاريتين ... لا حزب ينجده ، ولا تنظيم يسنده ... عليه أن يتكلم بأربعة عشرة لساناً[1] ، ينطلق هنا ويتلعثم هناك ، يجهر هنا ويهمس هناك .. يقابلونه بابتسامة صفراء أو عبسة قمطريرة ، وعليه أن يكون من الكاظمين العافين ، حتى أقام البنيان - منظمة التحرير الفلسطينية - على غير ما كانوا يأملون ، فاستوى على سُوقه يُعجب المواطنين ليغيظ بهم الأعداء .. هذا هو إنجاز الشقيري الخالد ... وهذا تميزه الفريد .. وهذه عظمته النادرة ... هذه هي حصيلة جهده وجهاده ، لا ننتقص مما سواها ولا نُخفض شأواً ، لذلك :

أتتهُ (الزعامة) مُنقادة إليه تُجرّر أذيالها
فلم تكُ تصلح إلاّ له ولم يكُ يصلح إلاّ لها

وكان ذلك منذ ١٩٦٤ وحتى نكسة ١٩٦٧ ، وبعدها غُيّب الشقيري - أو عُمل على تغييبه - لصالح المرحلة الثالثة التي يمثلها ياسر عرفات .

وإذا كانت إقامة منظمة التحرير الفلسطينية هي عنوان مرحلته ، إلا أن تلك المرحلة لم تبدأ منذ ذلك العام ، فهي بدأت منذ سنة ١٩٢٧ .

وما أحسب أن زعيماً أو قائداً فلسطينياً - سوى أحمد الشقيري - عاش القضية منذ طفولته وطفولتها ، وواكب تطوراتها وأحداثها الجسام بقدراته وطاقاته وإمكاناته الشخصية في معظم الأوقات ، دون إطار يستند إليه ويتحصن به ، أكان سياسياً أم دينياً أم عشائرياً أم إقطاعياً ، وبلا مال أو عسكر ، وظل كما أسلفنا فتىً وشاباً وشيخاً وكهلاً ، يخوض غمراتها مدافعاً منافحاً عنها بالكلمة خطيباً ، وبالقلم كاتباً ، وبالقانون مرافعاً ، وبجرأة الموقف منافحاً ، وبالحجاج الرصين مساجلاً ، وبالصدق مناصحاً ، وبالأمل والعمل مبشراً ، ومن مخاطر المستقبل منذراً ، وللكفاح والسلاح داعياً وعاملاً ، ومن أجل وحدة النضال ساعياً ، وبوحدة الأمة صادحاً بل صارخاً ، وفي كل هذا كان شاباً يشيخ ولا تشيخ معه مواقفه ، وبعد استقالته لم يركن الرجل إلى الراحة ، فلم يتقاعد ولم يقعد أو يستسلم إلى الكسل العقلي . انصرف لكتابة مذكراته وذكرياته ، وجمع شتات نتاجاته وآثاره الفكرية والسياسية وخطبه ومرافعاته ، حتى إذا واجهه الأجل المحتوم خلّف رؤاه وصية ناضجة نضيرة كيومها ، إرثاً عظيماً لأجيال الأمة ، وقد دوّنها ونشرها على الملأ في نيّف وعشرين كتاباً ، يقول عنها :

« حرصت كل أيام حياتي ، أن أترك لأمتي ميراثاً من الرأي والجهد في سبيل قضايانا القوميّة وشؤوننا العامة . وقد هيّأ الله لي في سبيل هذا القصد مجالاً رحباً من التأليف والترجمة والخطب والمقالات » .

ويصفها أيضاً بأنها « ليست مرجعاً تاريخياً ، ولا دراسة سياسية ، ولا خطة قومية ، ولا كتاباً أدبياً إنسانياً ، ولكنها مزيج من كل ذلك » .

وفي لحظة الرجوع والخلود كانت عيناه تشعّ برغم الذبول ، كأنما تنوب عن لسانه بكل بيان قائلة : هاكم اقرأوا وقيّموا ونقّحوا وطوّروا ولكن اعملوا .. لا تيأسوا فلنا الغد آت . ثم مضى .

لم يكن رجل مرحلة من قضية ، بل كان رجل المراحل جميعاً ، ولم تكن ساحته محصورة في قطر ولا بلد ، بل كان صقراً ونسراً محلقاً في كل قطر وبلد فيه لقضية شعبه وقضايا أمته شأن ، فحق لنا أن نقول إن حياته كانت : **مسيرة قضية في حياة زعيم .**

الشقيري وفلسطين في جامعة الدول العربية

طويلة مديدة هي تجربة الشقيري في جامعة الدول العربية منذ مخاض ميلادها الى إعلان تأسيسها، مستشاراً للوفد السوري فيها ، ثم أميناً عاماً مساعداً فيها ، فممثلاً لفلسطين وأخيراً رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية حتى استقالته في أواخر كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٦٧ ، رحلة بلغ عمرها زهاء عقدين من الزمان . فكيف يقيّم الشقيري الجامعة من خلال معايشة مسيرتها هذه .. ؟

يمكننا أن نجيب عن هذا السؤال من واقع أداء الجامعة وأدائه في الجامعة ، لكن هذه الإجابة ستكون مقتصرة على الشكل دون الجوهر ، والأسلوب دون المضمون . وهذه إجابة لا تلامس الموضوعية أو تصل إلى العمق ما لم نتناول عنوانين رئيسين هما :

- ماهيّة الجامعة ، هدفاً وغايةً
- والقضايا التي تصدت لها الجامعة في تلك المرحلة

ففي البداية لا بد أن نستذكر ونذكّر بأن الفكرة هي في الأساس فكرة بريطانية أي استعمارية ، وأن مباحثات التأسيس ظلت بريطانية من خلال متابعة كلايتون المباشرة للأنظمة العربية المرتبطة بالانتدابات أو المعاهدات ، وأقله التفاهمات مع معظم الدول العربية

(١) عدد الدول العربية آنذاك .

السبع القائمة فيها وهي المؤسسة لها . وكان المشرف على ذلك ضابط الاستخبارات البريطانية كلايتون ، الذي ظل حاضراً متابعاً في الغرفة المجاورة لأي اجتماع من اجتماعات المشاورات ، وما بعدها على الأقل حتى وقعت الجامعة بقراراتها التي قادت إلى نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ، ولا مجال لتفصيل ذلك ، ففي كتب الشقيري ومذكراته من التفاصيل ما يغني .

إلا أن ما ينبغي أن نوضحه هنا، وهو العنصر الأهم الذي يفسر الدور العاجز ، بل الذي لا يمكن أن يتغير من دور عاجز إلى دور فاعل ما لم يتبدل جوهرياً ؛ لأنه مسألة بنيوية . وهو يتجلى من خلال اسم الجامعة الذي استقر عليه رأي المؤسسين (جامعة الدول العربية) فهي جامعة للدول، وحين العودة إلى تفاصيل المباحثات ، نجد أن هذا الاسم هو صيغة هلامية لا تحمل أية دلالة وحدوية - بأي صيغة من صيغ الوحدة أو التوحيد للأمة العربية أو الشعب العربي أو الوطن العربي، بل إن أول وأهم ما ينطلق منه ويؤسس له هو تكريس مخرجات اتفاقية سايكس - بيكو التي صنّعت هذه الدول ، والتي هي - أي سايكس بيكو - كانت ولما تزل أساس كل المشكلات التي تعاني منها الأمة ، وأهم عناوينها هو التجزئة ، وفي تفاصيل مباحثات تأسيس الجامعة ، ما يبدو منها مباشراً أو مضمراً ، الحرص على أن تنطلق الجامعة من هذا الواقع المر ، وأن لا تتجاوزه بالعودة إلى الواقع الوحدوي السابق على سايكس - بيكو ، وأن تمظهر شكل الإطار بأن الجامعة هي بيت العرب الجامع على نحو يوحي بهدف الوحدة ، وغذّي إعلاميا ولما يزل، بجميع وسائل الإعلام المتاحة من خلال سحب كلمة الدول من التداول في اسم الجامعة فاستقر - في غير أوراقها الرسمية ووثائقها - اسم الجامعة العربية فقط ، وترك لعقل المواطن العربي، ومؤسساته السياسية الشعبية ، على امتداد العقود أن يتعاطى مع الجامعة إطاراً للحلم العربي بالوحدة ، ومن كان يدرك هذا الواقع - والشقيري واحد من هؤلاء - فقد تعاطى مع الجامعة على أنها الإطار الوحيد القائم ، ولا بد من السعي الدؤوب لتحسين واقعه ، وملء جنباته وردهاته بما يؤهله ليكون بنياناً وحدوياً ، بشكل أو بآخر ، أي أن يجعله البداية والمنطلق .

الأمر الآخر الذي تجدر الإشارة إليه هو التزامن في فكرة النشأة مع قرار الحركة الصهيونية بإقامة الدولة اليهودية في مؤتمر بلتيمور . ولا نرغب في اللجوء هنا إلى نظرية المؤامرة (وإن كان المشروع الصهيوني برمته ، منذ تبني فكرته حتى الآن هو مؤامرة لم يعد سطر أو فصل منها خافيا) .

لكن حتى وإن كان التزامن هو محض مصادفة زمنية ، فقد غدا حقيقة تاريخية ، الاستنتاج المركزي منها هو أنّ على الجامعة العربية مواجهة قيام الدولة اليهودية . أي أن تتعامل الدول العربية مجتمعة مع قيام الدولة ، بعد أن كانت تتعامل معها قبل ذلك فرادى ، أو بتواصل ظرفي بتعليمات أو إملاءات بريطانيا، ونداء الملوك والأمراء العرب للفلسطينيين بإنهاء إضرابهم التاريخي عام ١٩٣٦ أبرز مثال على ذلك .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ انصرفت بريطانيا والولايات المتحدة إلى الإعداد لإعلان الدولة اليهودية ، وفي السنة نفسها ولدت جامعة الدول العربية وحملت أمام الجماهير العربية راية طرد اليهود من فلسطين ، وفي سنة ١٩٤٨ انتهى الأمر بنكبة فلسطين وموافقة الجامعة على الهدنة مع الدولة اليهودية التي وقعت من قبل دول الطوق سنة ١٩٤٩ (اتفاقيات رودس مع كل من مصر والأردن ولبنان وسورية) .

وقد اختصر الشاعر العربي الفلسطيني الكبير أبو سلمى دور الجامعة في هذه المرحلة بقوله :

دول تحسبها شرقية ... وإذا أمعنت فالحاكم غربي
يوم هزّت للوغى راياتها ... حكمت فيها على تشريد شعبي

وأصبحت مسؤولية الجامعة منذ ذلك الحين هي تحرير فلسطين . وإن كانت أنظمة الجامعة أخفقت في منع إقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، فإن فلسطين قد نجحت في أن تشكل رافعة لتحرير الجامعة ولو جزئياً من حكم الاستعمار لها ، وذلك حين كانت نكبتها سبباً في إسقاط تلك الأنظمة ، وذلك من خلال الأنظمة الجديدة التي حملت بذور النهوض القومي ولا سيما من خلال دور مصر في الجامعة ومعها سورية والعراق ، والجزائر لاحقاً . إلا أن الاستعمار ظل من الخارج وفي الخارج يسعى للتسلل إلى داخلها ، عبر بعض أعضائها .

هذه المسيرة في مراحل ما قبل النكبة ومرحلة ما بعد قيام الثورات ومرحلة التيه البرزخية كان فيها الشقيري حاضراً ، سمع ورأى وعاش وأدلى بدلوه بين الدلاء ، حتى كان قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، فأصبح واحداً من رجال الصف الأول (القادة) ، لكنه - وفلسطين في شخصه بموقعه - كان الكبش الأسود في القطيع الذي خلص من تجربته إلى أن الجامعة ليست جامعة ... وليست عربية الوجه واليد واللسان ، إلا أنه لم يغادرها مستسلما ، وإنما كرس إيمانه بأنها إطار ينبغي تغيير مضمونه؛ فصاغ رؤيته في كتابه المهم : الجامعة العربية : كيف تكون جامعة .. وكيف تصبح عربية .

أما عن مسيرته فيها فهي مبثوثة في تفاصيلها الجارحة في قسم المذكرات من أعماله الكاملة ، ومن أهم فصول تجربته فيها مرحلة قيام المنظمة وحتى

استقالته (١٩٦٤ - ١٩٦٧) .

وفي تجربته هذه تعرض الشقيري للكثير من حملات الأذى ، ومحاولات الخلاص من وجوده فيها ، لكنه تحدى وصمد . وكان من أبرز منجزاته في الجامعة استحداث دائرة فلسطين التي عهد بها إلى أربعة من أبناء الأردن وفلسطين هم : أمين عقل ، ذو الكفل عبداللطيف ، رفيق اللبابيدي ، ناصر الدين الأسد .

وكذلك المحاضرات التي ألقاها على طلبة معهد البحوث والدراسات عن فلسطين : تاريخها وحضارتها منذ فجر التاريخ حتى الانتداب ، وقد نشرت كتاباً حمل اسم (محاضرات عن قضية فلسطين منذ فجر التاريخ حتى الحرب العالمية الأولى) .

إلا أن التاريخ - تاريخ الجامعة ، وتاريخ الأمة - لم ينس له دوره في الدفاع المخلص عن سائر قضايا الأقطار العربية واستقلالها ، وهو ما شكل له لاحقاً رصيداً قوياً خالداً حفظته له هذه الأقطار بعد أن نالت استقلالها وأصبحت أعضاء في جامعة الدول العربية .

ويمكننا أن نشير إلى بعض ما حظي به من تقدير ودعم حين كانت قسوة الحملات الظالمة تشتد ، فقد قال محمود رياض وزير خارجية مصر :

إننا نجل رئيس المنظمة ونعرف قدره، ونعرف مواقفه الوطنية، في كافة الميادين والمنظمات الدولية التي دافع فيها ليس عن قضية فلسطين فقط، بل عن جميع القضايا العربية، فمنذ أن أنشئت الأمم المتحدة كان يدافع دفاع المستميت، وكسب الأعداء من كافة الدول الاستعمارية الذين كانوا على الدوام يناهضونه ويقاومونه، وهم يعلمون مدى صلابته في الحقّ ومدى قدرته وكفاءته في الصمود أمام الاستعمار وعملاء الاستعمار وألاعيب الاستعمار، فكان دائماً شوكة في حلق الاستعمار وفي حلق مندوبي الدول الاستعمارية في الأمم المتحدة، وكلنا استمعنا إليه بتقدير وإعجاب، ونعلم الجهد الذي يقوم به والذي نقدر أنّه سيقوم به على الدوام في المستقبل، ليس فقط من أجل القضية الفلسطينية، بل من أجل كافية قضايا الحرية[١] .

فيما قال عبدالعزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر (رئيسها الحالي) :

أرى من الواجب المقدس على وفدي أن نشكر الأخ أحمد الشقيري على ما قام به شخصياً من تضحيات ومجهودات لا تعرف التواني، ولا تعرف أي تردّد في خدمة القضية الجزائرية على الخصوص والقضية العربية على العموم، وإننا نعتبره في الجزائر لا رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية فحسب ولكن مجاهداً مكرّماً كريماً في سبيل القضية العربية، ومجاهداً كسائر المجاهدين الذين ناضلوا في صفوف جيش التحرير أو في السجون أو في المنظمات التي كانت تقاوم الاستعمار حينذاك أيام الاحتلال الفرنسي في الجزائر. فإن الأستاذ الشقيري أدّى واجبه المقدس في ميادين الكفاح وخدم القضية الجزائرية، وقام في وجه الاستعمار الأجنبي أينما كان، وعلى أي شبر وعلى أي رقعة من البلاد العربية. إن تضامننا مع القضية الفلسطينية يعدّ قسطاً ضئيلاً للدين الذي علينا من الكثيرين من أبناء فلسطين وعلى رأسهم رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. فإن عهدنا في الشقيري الوفاء، وعهدنا فيه التشبث بالقضية العربية [٢] .

أما وزير خارجية السودان حمد عوض الهب ، فقد قال :

لقد وهب السيد الشقيري نفسه للقضية الفلسطينية، وهو يعتبر بحقّ أبا القضية الفلسطينية، لقد التقيت بالسيد الشقيري منذ أكثر من عشر سنوات في نيسان/ أبريل ١٩٥٥ في مؤتمر باندونغ في إندونيسيا حيث لم يكن رئيسا للمنظمة، واستطاع بقوته وإيمانه بالقضية الفلسطينية أن يشقّ طريق تلك القضية في ذلك المؤتمر الكبير، واستطاع أن يكسب تأييد ذلك المؤتمر للقضية، وما زلت أذكر ذلك الحديث الوطني الرائع الذي تحدث به ، والذي ما زالت أصداؤه ترنّ في أذني حتى هذه اللحظة. ونأتي بعد أكثر من عشر سنين لنلتقي بالسيد الشقيري في هذه القاعة، فإذا بالرجل هو نفس الرجل، وإذا به بنفس الإيمان ، وإذا بالثقة في الشعب الفلسطيني وفي القضية الفلسطينية لم تتغير ولم تتبدل، فهنيئا للشعب الفلسطيني المناضل أن يوجد فيه هذا الرجل[٣] .

ويعلق محمد عبدالعزيز سلام وزير خارجية اليمن قائلاً :

لقد استمعنا بكل اعتزاز وإكبار للسيد أحمد الشقيري الذي كافح من أجل القضية الفلسطينية، ومن أجل اليمن، ومن أجل الجنوب اليمني المحتل، ومن أجل الجزائر، ومن أجل المغرب، ومن أجل ليبيا، ومن أجل العالم العربي بأكمله من المحيط إلى الخليج[٤] .

---

(١) الأعمال الكاملة ، مجلد (٢) ، ص ١٤٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٧٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٧٧ .

فلسطين وعصارة التجربة

أربعون عاماً من التجربة انتهت بقيام منظمة التحرير الفلسطينية التي كان (الميثاق القومي) هو بيانها (المانفستو) الذي قدّمه الشقيري للتاريخ والأجيال ، وذلك هو خلاصة وعصارة التجربة الفكرية والسياسية النظرية والعملية - الميدانية - وهو كما نكرر دائماً عنوان المواجهة التي صوّبت ولما تزل وستظل تصوّب عليه - أي الميثاق - سهام الأعداء حتى النصر والتحرير ، لأنه عنوان المشروع العربي في مواجهة المشروع الصهيوني .

لقد انبثق الميثاق القومي من عناوين أدركها الشقيري في مسيرته نذكر من أهمها :

(١) فهم أهداف المشروع الصهيوني الاستعماري في جسد الأمة انطلاقاً من فلسطين ، ما يفرض حكماً أن تكون مقاومته ، عملاً وجهداً قومياً ، وبالتالي تحرير فلسطين.

(٢) وذلك ما يجعل التسوية عملاً عاجزاً يحول دون نهوض الأمة وتقدمها واستقرارها واستقلالها .

(٣) وإن السياسة على أهميتها ، غير قادرة على التحرير فميادينها أنّى اتجهت مآلها إلى الأمم المتحدة صانعة الكيان الصهيوني ، ويرى من حصيلة تجربته الناجحة بكل المعايير على منابرها وفي ردهاتها أنها غير مؤهلة ولا قادرة على ردّ الحق الفلسطيني والعربي لأصحابه ، وقد اغتصبت فلسطين على فلسطين ولن تحرّر إلا على أرضها .

(٤) وإذا كانت حصيلة الاحتلال هي بطرد الفلسطيني وتشريده في الآفاق ، فلن يكون هناك تحرير ناجز دون العودة ، إذ لا وطن بدون مواطنيه ، كل مواطنيه .

ويلاحظ القارئ أن القدس تحظى باهتمام خاص من الشقيري ، وهنا نوضّح أن القدس في مسيرته وحياته ومعاركه هي الأساس ، ولئن لم يفرد لها الكثير من الحديث المستقل فلأنها كانت دائماً بدهية يرتفع الوطن كله إلى سنامها ، وهو ما يرد في الكثير من خطبه ومقالاته ، وقد تجلّى في عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الذي أعلن قيام المنظمة على ذراها وفوق رباها ، وما أكده الميثاق من أنها عاصمة فلسطين ، واتخذ منها مقراً رئيساً للمنظمة وسائر أجهزتها ، وسنورد فيما يأتي رؤاه السابقة في شذرات غنية من أقواله ، نختمها بالتوصيف الاستراتيجي للكيان الفلسطيني - منظمة التحرير الفلسطينية ، نخرج منه إلى صفحات الكتاب ونحن على يقين بأن الرجل كان بحق وسيبقى ما بقيت فلسطين رائد اليقظة الفلسطينية المعاصرة .

فلسطين في قلب الأمة

فلسطين الصغيرة التي لا تتجاوز عشرة آلاف ميل مربع ، لم تقرر مصير فلسطين وحدها ، ولا مصير الأمة العربية وحدها ، ولكنها قررت مصير العالم الإسلامي كله . قررت مصير وجوده ، وحضارته عدة مرات .

كانت أول وقعة فاصلة حاسمة في تاريخ العروبة والإسلام في عام ٦٣٦ ميلادية ، موقعة اليرموك التي فتح المسلمون فيها فلسطين ، ولم يفتحوا فيها فلسطين وحسب ولكنها فتحت مصر ، معركة اليرموك فتحت شمال أفريقيا ، معركة اليرموك فتحت العراق ، معركة اليرموك فتحت الأقطار البعيدة النائية إلى السند ، إلى الهند ، إلى الصين [١] .

احتلال فلسطين .. عار الأمة

إن احتلال فلسطين على أيدي « إسرائيل » ومن ورائها الاستعمار ، فضلاً عما فيه من أخطار مصيرية على الأمة العربية بأسرها ، هو أكبر عار لحق الأمة العربية كلها منذ بدأ الإنسان الأول يستشعر معنى العار ، لهذا فإن تحرير فلسطين تبعة قومية كبرى تقع على عاتق الأمة العربية بأسرها حكوماتٍ وشعوباً [٢] .

التسوية

ينطلق الشقيري في رفضه للتسوية من إيمانه العميق بأن أي حلّ للقضية الفلسطينية يتوقف عليه مصير الأمة ووجودها ، وبالتالي فإن التسويات لن تعيد كامل فلسطين ، وستبقي الكيان الصهيوني سرطاناً في قلب الوطن العربي الأمر الذي سيؤثر حكماً على مستقبل الأمة كلها ، ولا يمكن أن يتعافى الوطن العربي إلا بتعافي فلسطين ، ولن يكون ذلك إلا بحرب التحرير لذلك يقول أمام الطلاب - في تأكيد على الثقة بالشباب والطلاب - كونهم الأمل المرتجى عزيمة وإرادة :

إن قضية فلسطين لا تستند إلى العواطف القومية وحسب ، ولكن وراءها فيضاً زاخراً من واقع التاريخ ، والحق الطبيعي ، ومبادئ القانون الدولي ، وشرعة العدل

(١) من خطاب الشقيري في وفود (٧٤) دولة إسلامية في مؤتمر أبي بكر الصديق في الإسكندرية ، ٢٥ آب / أغسطس ١٩٦٦ .
(٢) من كلمة الشقيري في قمة الإسكندرية ، أيلول / سبتمبر ١٩٦٤ .

والإنصاف . أقول هذا أمامكم ، وعلى أمواج الأثير ، ليكون واضحاً وقاطعاً أن تحرير فلسطين هو أكبر أهداف الأمة العربية ، عليه يتوقف مصيرها ووجودها ، ومن أجل ذلك فإنه لا يمثل أنصاف الحلول ، ولا يخضع لتسويات تقوم على أساس المساومة أو سياسة الأخذ والعطاء .

ويتكرر ذلك في قوله : إن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، وإن الفلسطينيين جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، وإن قضية فلسطين لا حل لها بالطرق السياسية والسلمية ، وإنما بحرب التحرير [١] .

العودة مفتاح الحل

يحتل حق العودة في مواقف الشقيري مكانة بارزة ، فهو (المفتاح) الذي حمله اللاجئ حين شرّد من وطنه وورثه الأب عن الجد وأورثه للحفيد (مفتاح الحل) ، أي هو حق فردي وحق وطني عام .

يقول : إن مفتاح الحل يقوم في موضوع العودة : أجل يجب أن يعود اللاجئون إلى وطنهم ، وهذا هو الحق الفطري الذي لا يتطرق إليه شك ، والذي اعترفت به الجمعية العامة للأمم المتحدة وأكدته في جميع قراراتها التي اتخذتها في كل دورة من دوراته .

ولن يكون في مُكْنَة أي إنسان ، يتمتع بضمير حي ، وبالحد الأدنى من مشاعر الأخوة البشرية ، أن ينكر على شعب فلسطين حقه في العودة ، العودة إلى بيوته ، ليعيش فيها فوق أديم وطنه [٢] .

فلسطين والأمم المتحدة

أمضى الشقيري ستة عشر عاماً يدافع عن القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة ، أدلى بكل الحجج وقدم كل البراهين المؤكّدة للحق العربي ، وعبّر عن خلاصة تجربته منها بمرارة وألم في العديد من كتاباته ، وخلص إلى أنّ التحرير لن يكون إلاّ على أرض فلسطين وبالثورة فيقول : تحرير فلسطين لا يتم في الأمم المتحدة .

إن قضية فلسطين لا تصلح فيها الأمم المتحدة ، فلقد أفنيت حياتي وزهرة عمري في الأمم المتحدة وما رأيت فيها خيراً ستة عشر عاماً . إن تحرير فلسطين لا يتم إلا بالكفاح وعلى أرض فلسطين [٣] .

طريق تحرير فلسطين ليس طريق نيويورك

وحين كلّف برئاسة وفد فلسطين إلى الأمم المتحدة بعد انتهاء عمله ممثلاً للمملكة العربية السعودية فيها ، رفض التوجه إلى نيويورك وآثر التوجه إلى مدينة بورسعيد مدينة المقاومة العريقة والمجيدة للمشاركة في احتفالها بالانتصار الكبير على العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الصهيوني عام ١٩٥٦ ويقول : لقد آثرت الحضور إلى بورسعيد على الذهاب لحضور جلسة الأمم المتحدة في نيويورك ، وأقول لإخواني هناك : « احضروا جلسة الأمم المتحدة ، وتحدثوا للمرة الثامنة عشرة ثم للمرة التاسعة عشرة ، أضيفوا إلى سجلات الأمم المتحدة خطباً أخرى ، ولكن ثقوا أن تحرير فلسطين ليس له إلا طريق واحد ، ليس طريق نيويورك ، ليس طريق الأمم المتحدة ، لكنه طريق بورسعيد ، إنه أقصر إلى فلسطين » [٤] .

المنظمة .. توصيف استراتيجي

إن الكيان وسيلة لا غاية ، إنه تنظيم وجهاز ، يعيد للشعب شخصيته وقدرته على العمل ، على الكفاح ، على التحرير .

إن الكيان قيادة وطنية جماعية مناضلة قاعدته الكبرى هي الشعب بأسره .

إن الكيان كفاح في كل ميدان .

إن الكيان ليس مجرد شعارات وعبارات ، ولكنه أجهزة وطنية نامية حية عاملة .

الكيان الفلسطيني معسكرات تدريب للطلاب والشباب ، للرجال والنساء ، ولجميع القادرين على حمل السلاح .

الكيان الفلسطيني قوات فلسطينية تنشأ وتدرب لتؤدي دورها الكبير في معركة التحرير .

الكيان الفلسطيني تنظيم فيه اتحادات النساء والعمال والطلاب ونقابات العمال والمحامين والأطباء والمهندسين .

الكيان الفلسطيني تلتقي فيه تنظيمات الشباب وفرق الكشافة والنوادي الرياضية . [٥]

إن منظمة التحرير هي الشعب كله ، أبناء فلسطين جميعاً ، المقيمون واللاجئون ، العمال والفلاحون ، الطلاب والشباب ، الرجال والنساء ، وسيكافح الشعب لبقاء المنظمة ونموها كما كافح لقيامها .

---

(١) من كلمة الشقيري في افتتاح الندوة العالمية للاتحاد العام لطلاب فلسطين في القاهرة ، ٣١ آذار / مارس ١٩٦٥ .

(٢) من الخطاب الرئيسي في الجمعية العامة ألقاه الشقيري في ٣٠ أيلول / سبتمبر ١٩٦٠ .

(٣) من خطاب الشقيري في ذكرى النكبة في ١٥ أيار / مايو ١٩٦٥ في جامعة القاهرة .

(٤) من خطاب الشقيري في المؤتمر الشعبي الذي أقيم في بورسعيد ، ١٧ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦٥ .

(٥) من أحاديث الشقيري لأبناء فلسطين إثر مؤتمر القمة العربي الأول ، كانون الثاني / يناير ١٩٦٤ .

منظمة التحرير الفلسطينية

الإنجاز الأكبر والرؤية الثاقبة

إن قيام منظمة التحرير الفلسطينية كان بمثابة التجسيد الفعلي والعملي للكيان الفلسطيني ، الذي يعد أهم ما تحقق للشعب الفلسطيني بعد نكبة عام ١٩٤٨ وتشتته في الآفاق . لقد عمل هذا الكيان على توحيد الصف الفلسطيني ، وجمع كلمته ، وبلورة أهدافه ، واختيار الوسائل التي بها يمكن تحقيقها ، والتي تتلخص في حقوقه الدائمة في وطنه ، وهي حقوق لا تسقط بالتقادم ، ولا يمكن التفريط بها أو التنازل عنها ، ولا يحق لأي جهة تجاوزها أو تخطيها .

لا شك في أن من أهم إنجازات الشعب الفلسطيني هو بعث الكيان الفلسطيني وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد سجّل التاريخ العربي الفلسطيني أن هذا الإنجاز كان أهم الصفحات المشرقة في إنجازات الشقيري ، وأهم ما في هذا المنجز التاريخي أنه وضع الأسس السليمة والمرتكزات القوية والقواعد المتينة لهذا الكيان ، وشكّل الهيكل التنظيمي والأطر الصحيحة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فصاغ الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الأساس للمنظمة من واقع خلفيته القانونية وخبرته النضالية ومشاركته في مسيرة القضية الفلسطينية .

وكان من أبرز المقومات لهذا الهيكل التنظيمي وأسسه ، قيام الشقيري بإنشاء المؤسسات الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وهي : جيش التحرير الفلسطيني ، والصندوق القومي الفلسطيني ، ومركز الأبحاث . وفي الوقت نفسه أدرك أهمية الإعلام ودوره الفاعل في الكفاح والنضال ، فأسس الإذاعة الفلسطينية .. صوت فلسطين ، وأنشأ مكاتب للمنظمة في الأقطار العربية والدول الصديقة لتقوم بالتوعية بالقضية ، وبخدمة الشعب الفلسطيني في الشتات ، وبتقوية الروابط والصلات بالمسؤولين والرسميين في الأقطار المختلفة بما يخدم القضية الفلسطينية .

الشقيري يستدعي كلينتون إلى غزة

إن أنصع دليل على مقدار عظمة هذا المنجز (منظمة التحرير الفلسطينية) وأقواه هو أنّ نحو نصف قرن من الزمان قد انقضى منذ قيام الكيان الفلسطيني ، بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية أنها لما تزل عنوان الكيان الفلسطيني ، التي لا يختلف الشعب الفلسطيني إلا على سبل تطويرها ، وأن ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية هو العنوان الجامع لاستهداف قوى الشد العكسي والمشروع الصهيوني الأميركي ، إلى حد أن ميثاقها ، حتى بعد تعديله الكبير من (القومي) إلى (الوطني) ، وحتى بعد أن انتهكته التجاوزات في الممارسة ، قد استجلب الرئيس الأميركي بيل كلينتون إلى قطاع غزة عام ١٩٩٨ ، ليحضر دورة بائسة للمجلس الوطني الفلسطيني يرى فيها بعينيه ويسمع بأذنيه أن المجلس سيجري تعديلات تكرس تلك الانتهاكات وتُفرّغ الميثاق من مضمونه .. كان المجلس في تلك الدورة أبعد ما يكون عن أن يدعى مجلساً بما شابه من إجراءات طالت العدد وآلية الجلسات ولا سيما فوضى التصويت ، حتى أن كثرين من المراقبين والحضور وصفوه بـ (المجلس الدمية) ومع هذا فقد خرج بقرار هلامي نص على تفويض اللجنة التنفيذية بإجراء التعديلات اللازمة لإخضاعه لما نصت عليه اتفاقات أوسلو ، وهنا نستذكر كم كانت صوابية الشقيري ونفاذ بصيرته حين يصف لنا الرؤية الاستراتيجية الثاقبة التي حكمته وهو يصوغ الميثاق القومي حيث يقول :

« كتبتُ وعدّلت وحذفت وقدّمت وأخّرت ، وكنت أبيت غير مرة على كلمة أو عبارة ليلتين أو ثلاثاً ، فأنا أمام أجيال فلسطينية تقرأ ما بين السطور أكثر مما تقرأ في السطور » .

لاءات الخرطوم ثلاث .. لاءات الشقيري أربع

حينما قرر العرب عقد القمة العربية الرابعة في الخرطوم في ١٩٦٧/٨/٢٩ ، كانت إزالة آثار عدوان حزيران ١٩٦٧ هي عنوان المؤتمر ، فيما كان موقف الشعب الفلسطيني ، ممثلاً بمنظمة التحرير الفلسطينية عبر خطب وتصريحات رئيسها أحمد الشقيري ، والمنظمات الفدائية ، يؤكد أن غايتها انتقلت إلى تحرير كامل التراب الفلسطيني بالمقاومة ، دون فصل بين ما احتُل في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ .

لقد كان هذا التباين الذي يدنو إلى التناقض الاستراتيجي ، وراء عدم دعوة المنظمة ورئيسها الشقيري إلى تلك القمة ، بدءاً من مؤتمر وزراء

الخارجية الذي يُعدّ لها ، لكن الشقيري بادر إلى الضغط على الدولة المضيفة للقمة - السودان - فأوفد شفيق الحوت مدير مكتب المنظمة في بيروت إلى الخرطوم ، للالتقاء برئيس وزرائها محمد أحمد محجوب ، للعمل على توجيه الدعوة للمنظمة ، ملوّحاً في حالة الفشل في تحقيق ذلك ، بأنه سيحضر إلى الخرطوم ليعقد (قمة شعبية) في أحد مساجدها بموازاة القمة الرسمية ، يعلن فيها أن فلسطين لم تُدع لحضور قمة فلسطين .

ودُعي الشقيري للقمة ، كان كعادته يحمل آراءه ومواقفه وقد أعدها إعداداً علمياً ، وخلاصتها حشد كل طاقات الأمة لمعركة التحرير . كما اختصر الموقف السياسي فيما عرف لاحقاً بـ (لاءات الخرطوم الثلاث) : لا تفاوض ، ولا صلح ، ولا اعتراف ، وأخفق في أن تقبل اللاء الرابعة لا حل منفرداً . وإزاء الأجواء السائدة في القمة أنهى حضوره فيها بعبارته المشهورة : « أنا لست ملكاً لأحرص على البقاء في المُلك ، ولست رئيساً لأحرص على البقاء رئيس جمهورية ، أنا واحد من شعب فقد كل شيء ، ولم يعد لنا ما نخسره ، لأننا خسرنا كل شيء ، ولكن بقي لنا عقلنا وكرامتنا وآمالنا ، إن الاتجاه العام في هذا المؤتمر لا يشجعني على المشاركة فيه ، ولا أستطيع أن أسهم في هذه القرارات ، ولذلك فإني أعلن انسحابي من المؤتمر » .

لقد كان مؤتمر القمة في الخرطوم محطة فاصلة في تاريخ القضية الفلسطينية ، وفي تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية ، إيذاناً بانتهاء المرحلة الشقيرية ، وحسبنا منذ ذلك الحين وحتى الآن ، أن رفض اللاء الرابعة ، والقبول بالحلول المنفردة ، هو أساس جميع خطوات الاستسلام والتنازل عن الحقوق ، الذي تردت فيه القضية ولما تزل .

منظمة لاجئة .. في مناخات عاصفة

منظمة التحرير الفلسطينية ، أرادها الشقيري إطاراً جبهوياً تتآلف فيه الأجيال الفلسطينية ، وما يتقاطع في قلب كل جيل بمختلف أطيافه ، بمعنى أن تكون صانعة ، أو حاضنة على الأقل ، للوحدة الوطنية في مجتمع يمتد شتاته باتساع الكون ، وإنّ على الشقيري أن يمثّل هذه الأجيال والتيارات والأطياف . وقد كان هذا حاضراً في ذهنه وهو يشكل الأساس القاعدي للمنظمة ، المؤتمر الفلسطيني ، وقد عانى في الوصول إليه معاناة هائلة بكل ما تعنيه كلمة المعاناة الهائلة من معانٍ . وقد أوجست جلّ القوى الفلسطينية خيفة ، من أنه جاء ليجهضها أو يُجهز عليها ، (الهيئة العربية العليا - حركة القوميين العرب - البعثيون - حركة فتح - المنظمات الفدائية الناشئة .. إلخ) . وهذا كله يمكن فهمه ، وكان هو نفسه يدركه ويفهمه ويعيه ..

لكن العامل الأشد عُسراً ، هو المناخ العربي الرسمي العام الذي كانت تسوده ثلاثة تيارات رئيسة :

- التيار القومي الناصري (مصر - الجزائر - العراق بخاصة) ، وهو الذي يتبنى إنشاء الكيان .
- التيار القومي البعثي وتمثله سورية ، وهو تيار عريض في الأقطار العربية وبين الفلسطينيين ، ويقف على يسار التيار الأول .
- التيار المحافظ وتمثله بوضوح السعودية والأردن ، ويتوجس خيفة من المشروع برمّته لأسباب قديمة ومعروفة منذ وحدة الضفتين .

هنا كانت المعضلة الأساس التي واجهها الشقيري في تحركاته .

ويمكن وصف المناخ العام للمؤتمر الفلسطيني بأنه مناخ استقطاب بامتياز ، مع نقيض إيجابي هو حرص معظم الأعضاء على نجاح المؤتمر ، ولكن بأقصى قدر من القيود التي تكبّل الشقيري على نحو يبدد المخاوف والشكوك لكل فريق ، أو يقللها . وفي الآن ذاته كان عليه أن يكون حريصاً على عدم الخروج عن قاطرة الميثاق القومي الفلسطيني .

فالمنظمة لم تكن تعيش على أرض وبين شعب ، بل على أكثر من أرض ، وتجمعاتها وسط أكثر من قطر ، وهي تجمعات تخضع لشروط ، أو في الحد الأدنى لظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية متباينة ... إلخ . والدول تتباين مواقفها من القضية وفقاً لتباين مواقفها واختلافها الذي يتأثر بدوره بعوامل وضغوط خارجية ... إلخ .

لقد كان « حَمْل » المنظمة « وميلادها » وطفولتها قيصرياً بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، بل وإذا كان المناخ السياسي الذي وُلدت فيه مُثقلاً بالزوابع والعواصف ، كما أوجزنا ، فقد ازدادت هذه العواصف بل وبلغت حدَّ الإعصار ، فما أتيحت لها السكينة حتى تضرب في الأرض جذورها ويشتد عودها وتقف على سوقها . وفي ظل هذا المناخ المتقلب كان أعضاء اللجنة التنفيذية - أية لجنة - يحرصون عليها ، كل بطريقته وبما امتلك من خبرة نضالية أو مرجعية سياسية . كانت الخبرات النضالية متباينة ومختلفة أحياناً ، والمرجعيات السياسية كذلك ، وكل هذا ما كان ليصبّ في مصلحة المنظمة أبداً ، والصورة العامة لما يراد بالمنظمة - لا لها - وما يحاك ضدها من هنا وهناك ،

لم تكن واضحة بمجملها أمام الجميع . وحده الشقيري الذي كان قد خبر الأنظمة وسياساتها وعرف قادتها - جلّ قادتها - قبل أن تؤول إليهم المقاليد ، وكان الأقدر على أمرين مهمين أعاناه على التعامل معهم ، ثم خذلاه لاحقاً :

الأول : هو طرح آرائه ومواقفه بقوة المنطق والحجة وتفنيد دعاوى المهادنة ، بجرأة لا تنقصها الكياسة ، مستعيناً بحجم قضيته .

والثاني : القدرة على امتصاص ما يُدبَّر للمنظمة - القضية بِليل ، فضلاً عن نهار ، ضمن الخط الأحمر الذي رسمه لنفسه ، وهو المسؤولية التاريخية أمام شعبه وأمته وأجيالهما . ويمكن إيجاز هذين العاملين بالقدرة على تكامل الاستراتيجية والتكتيك ، وعدم الخلط بينهما ، وبشكل أدق عدم السماح للتكتيك بالتجاوز على الاستراتيجية ، واستمرار الاستعانة بالقدرة على المناورة هنا وهناك ، وعلى نحو كان لديه محسوباً ، وإن لم يكن مدروساً بعناية فيما أزعم .

لقد ظل هذا الوعي معيناً للشقيري حتى أوشكت الواقعة على الوقوع سنة ١٩٦٧ ، فاختل التوازن واضطربت الرؤية أمام عواصفها الهوج ، وفي هذه المرحلة المُكفهرة وما تلاها ، تكالبت عوامل عديدة هبَّت على المنظمة ، عنوانها الوحيد : الخلاص من مرحلة الشقيري ، ومع أنها لم تكن متفاهمة بالضرورة .

فالمصالح الذاتية للأطراف بدأت ناظماً لمواقعهم : الفلسطينيون لهم رؤى متباينة ، المعسكرات العربية حكمت رؤاها السابقة من المنظمة مواقفَها ، ومعسكر الأصدقاء كذلك .

أما أعضاء اللجنة التنفيذية وبينهم من أضافهم إليها قبيل العدوان (أبو غربية ، يغمور ، وحمودة) ، بل وهؤلاء في مقدمهم وهم بالتأكيد من أعلام النضال الفلسطيني ، فأظن أنهم لم يشكلوا في تلك الأسابيع القليلة مناعة إضافية لجسد المنظمة ، وهو ما نقرأه في مذكرات بهجت أبوغربية ، الوحيد بينهم الذي دافع ورافع عن موقف اللجنة التنفيذية في هذه المرحلة ، كما عن مواقفه الناقدة بقسوة للشقيري منذ إنشاء المنظمة .

نخلص من هذا إلى ما يأتي :

١ - إن اللجنة التنفيذية كانت بعد حرب حزيران العدوانية « تائهة » تتلمس دروبها ، ولم تقدم رؤية استراتيجية شاملة للمرحلة الجديدة ، وإن حاولت تقديم عناوين عسكرية لم تتوافق عليها .

٢ - كانت الحسابات الذاتية تطغى أحياناً على حسابات القضية والكرامة الشخصية ، كرامة اللجنة التنفيذية على حساب مقتضيات المرحلة ، فتغرق في المناكفات .

٣ - لم تتوقف اللجنة التنفيذية عند أخطر قرار اتخذ بحق المنظمة ، وربما لو نفذ لكان الأخطر بحق القضية ، وهو استبعاد المنظمة من قمة الخرطوم التي كان مقرراً لها أن تنحو باتجاه مغاير لما نجم عنها (اللاءات الثلاث) ، وهو قرار أحسب أنه ما كان للجنة التنفيذية مجتمعة أن تستطيع تجاوزه ، لكن الشقيري تجاوزه ، وفرض باسم المنظمة اللاءات الشهيرة التي هي بحق لاءات الشقيري .

أحسب أنهم لو انطلقوا من الحقيقة المدوية التي جسدتها هزيمة حزيران / يونيو بالنسبة للمنظمة ، وهي أنها بعد أن كانت قبل حزيران نصف لاجئة تعيش وسط رياح عاتية ، غدت بعد زلزال حزيران منظمة لاجئة تهب عليها أعاصير مدمرة ، لعلهم بفعل حجم الكارثة ضلوا سواء الطريق ، بل وربما بسبب حجم الكارثة أضاع الزلزال الطريق نفسه فضلوا وكاد يكون سيرهم خبط عشواء ، وهم يحسبون أن الطريق لمّا يزل هو الطريق ، في حين أكدت الكارثة سلامة الهدف بينما ازدادت شقة الدّرب ومشقتها .

كان يمكن للشقيري أن يحسم الأمر بقرار ، لكنه لم يفعل ، وإذا كان السبعة قد انكبوا في اللجنة التنفيذية على تدبر أمرهم - أمر الشقيري - بعيداً عما يدور حولهم ، فإن الشقيري قد انكب خارج اللجنة التنفيذية على ما يدور حول المنظمة بأكثر مما يدور في إطار اللجنة التنفيذية نفسها .

وفي المحصلة فالشقيري وصلته رسائل الجميع ، فإذا بها تُختزل في كلمة واحدة (الانقلاب) .

وبحكمة المسؤول تجسد موقفه في كلمة واحدة (الاستقالة) .

وأخيراً لا بد أن نشير إلى توجيهه الاستقالة إلى الشعب الفلسطيني ، لا إلى اللجنة التنفيذية أو المجلس الوطني . إن أحداً لم يتوقف حتى تاريخه - فيما أعلم - عند هذه الكلمة بما تستحقه ، بل إن الكثيرين حسبوا أنها نوع من « المكابرة » ، حتى لا يظهر الرجل بمظهر المهزوم والمستسلم أمام من عيّنهم في اللجنة التنفيذية ، فالمهم بالنسبة لهم في حينه أن يستقيل الشقيري والسلام ... لكن القراءة البصيرة لهذا التوجيه ، كانت وستظل تعني أن من بنى الكيان لن يسهم في هدم البنيان ، ويا أيها « الآخرون » ، الزملاء وسواهم : إن « الشعب » هو الحَكَمُ بيني وبينكم ، وهو والتاريخ صاحبا الكلمة الفصل ...

وها هو الشعب - بجيله الجديد ، يعيد قراءة استقالة الشقيري يوماً بعد آخر ، قراءة لم تُقرأ في حينها .. فأمّتنا وشعبنا - كما هو التاريخ - حي لا يموت .

الدبلوماسي الثائر

يمكن أن نختصر دور الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة ، كما أعلن عنه غداة تأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية ، بأنها « قصر العدل » أو « دار القضاء العالي » أو « الأعلى الدولي » الذي ستجد فيه الشعوب المظلومة ساحة لإنقاذها من ظلم واقع عليها ، أو للحصول على حقوقها المسلوبة .

وأحسب أن هذا التبسيط لا يجافي حقيقة الأهداف المعلنة للأمم المتحدة التي أوجزت في المحافظة على السلم العالمي ، وحمايته مما يتهدده وإنقاذه من الاعتداءات عليه .

وقد كانت القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي ورثتها هيئة الأمم المتحدة عن سالفتها عصبة الأمم ، التي أسست بعد الحرب العالمية الأولى ، ولفظت أنفاسها كضحية - غير مأسوف عليها - من ضحايا الحرب العالمية الثانية .

وقد تزامن مع تأسيس هيئة الأمم (دولياً) قيام جامعة الدول العربية (عربياً) . وكانت القضية الفلسطينية البند الأول على جدول أعمال الجامعة ، كما كانت مقيمة ، حاضرة أو مغيّبة ، في ردهات الأمم المتحدة . وإذ فلسطين ليست دولة عضواً في الجامعة عند تأسيسها ، فكان على الجامعة أن تختار أفضل من تأنس فيه القدرة على المنافحة عن القضية الفلسطينية ، وعرض الموقف العربي منها في الأمم المتحدة ، فوقع الاختيار على أحمد الشقيري . ومن خلال تمثيله الجامعة وسورية والسعودية وفلسطين ، ظل زهاء سبعة عشر عاماً وحتى إنهاء عمله في وفد السعودية ، يكاد لا يغيب عن دورة للجمعية العامة فضلاً عن جلسات مجلس الأمن ووكالات الأمم المتحدة ولجانها المعنية . وقد حقق من النجاح ما جعله يُعرف بـ « خطيب العرب » في الأمم المتحدة ، أو « فيشنسكي العرب » فيها ، بل إن فيشنسكي ، وهو ممثل الاتحاد السوفييتي الأشهر في الأمم المتحدة ، فَضَّل الشقيري عليه ، فوصف نفسه بأنه « شقيري الاتحاد السوفييتي » .

فلماذا بزّ الشقيري هؤلاء جميعاً ، حتى أننا لم نعرف أو نسمع إلى يومنا هذا ، بعد مضيّ نحو نصف قرن على مغادرة الشقيري للأمم المتحدة أنّ مندوباً ما قد انتزع منه هذا اللقب ؟ .

إن معظم الذين أشاروا إلى ذلك في كتاباتهم عن الشقيري ، وقفوا عند ذكر قدرته القانونية الخطابية ، ومعرفته بقضيته ومتانة لغته الإنجليزية ونحو ذلك . وهذا صحيح إلا أن كل هذا لا يعطي الصورة الكاملة للشقيري كأكفأ مندوب عرفته الأمم المتحدة في تاريخها ، ما لم نذهب عميقاً لنسبر أغوار قدراته الذاتية في هذه الساحة . وهنا نسجل ما يأتي :

١ - الشقيري ابن القضية الفلسطينية منذ بداياتها ، وقد أحسّ بها في طفولته ، نظرياً في مجالس والده ، وعملياً حين جرى الحديث - وهو بعد فتى - عن أول مهاجرين يهود قادمين إلى مدينة عكا ، وتعامل معها وطنياً وقانونياً منذ سنة ١٩٢٨ ، أي على أعتاب ثورة البراق ١٩٢٩ .

٢ - تمرّس في كتابة المذكرات القانونية للوفود الفلسطينية ، ومثُل مرافعاً عن القضية أمام العديد من اللجان البريطانية والدولية ، فاطلع على أساليب العدو وأعضاء اللجان ، وهضمها فكوّن أسلوبه المتميز .

٣ - الشقيري لم يكن محامي قضية ، ولا محامي قضيته وحسب ، بل كان مناضلاً فلسطينياً وعربياً في الجبهة القانونية للقضية ، وهذا ما يمنحه جرأة وحماسة استثنائية .

٤ - المناضل يعمل دائماً على تطوير أساليبه ووسائله ، وهي هنا تشمل فضلاً عن الثقافة القانونية والثقافة السياسية وعلومهما ، العلوم التاريخية لشعبه وأمته كما للعدو وأنصاره ، بحثاً عن مَواطن وبواطن الزيف والضعف والكيل بمكاييل مختلفة ، حتى يدين أو يدحض حجة العدو من فمه هو .. وهذا ما برع فيه الشقيري . ويجد القارئ في النتاج الفكري والسياسي للشقيري ، من الوقائع ما يدل على غنى وتنوّع باهر ، أذهل قاعات الأمم المتحدة وأفحم أعداءه فيها وخارجها .

٥ - فن الخطابة لديه كان مختلفاً تماماً عن سواه ، فأساسه الفقه القانوني ، موشّى ببيان إنجليزي رفيع ، مرصّع باقتباسات ومقاربات من حقائق التاريخ ذات العلاقة ، بعيداً عن الحشو واللغو ، يقدمها بصوت جهوري قوي الجرَسْ ، جليّ النبرات ، متنوع الإيقاعات ، لا يقع في دائرة « التهريج » أبداً ، ويصل إلى المخاطب مباشرة .

٦ - كان الشقيري مُسهباً لكنه إسهاب ثري محبب ، لا يبعث في المخاطبين مللاً ولا يدفعهم لمغادرة القاعة .

٧ - إن معظم الخطباء الذين شُهروا في الأمم المتحدة لم يشهروا لقوة حجتهم أو قدرتهم على الإقناع ،

بل لحجم دولهم وتأثيرها - بمختلف السبل - على قرارات الأعضاء، وما يمارسونه في نيويورك أو في عواصمهم من ضغوط لكي ينتزعوا أصواتهم . أما الشقيري فكان هو في معظم الحالات في الميدان وحده، كان هو « الوفد الكامل »، أو على الأقل « الفريق الفاعل » في الوفد الذي يمثله على مستوى :

١ - إعداد المعلومات والوثائق والبيانات وتجهيز الخطابات . حيث لا مركز دراسات لديه ولا حواسيب وإنترنت وفيس بوك .

٢ - التجوال الذي لا يتوقف على الوفود الصديقة، وأحياناً غير الصديقة، في محاولة لكسب تأييدهم أو تحييدهم، لا سيما وأنه افتقر في حالات عديدة لدعم بعض الوفود الشقيقة .. (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) .

لقد كان في واقع الحال وكما أسلفنا « وفداً في فرد »، وغالباً ما كان في الجبهة وحيداً فريداً، وفي « غابة الأمم المتحدة » المكتظة بأشرس الأعداء الذين كانوا يتربصون به إما ذئاباً زرق الأنياب أو ثعالب ماكرة، أثبت بجدارة أنه كان « أسداً كاسراً » .

وإذا كانت الأمم المتحدة ساحة للسياسة الدبلوماسية، فإن الميزة الأهم للشقيري أنه اقتحمها وجمع فيها بين النقيضين « الدبلوماسية والثورية »، في حين كانت الثورية بتجلياتها (تابو) في ردهات المنظمة، لكن الشقيري كان أول من أدخلها وفرض نفسه دبلوماسياً ثائراً، ولعل هذا الوصف أهم بكثير من وصفه بخطيب العرب، أو فيشنسكي العرب، ذلك أن فيشنسكي المندوب السوفييتي الأشهر بين المندوبين في الأمم المتحدة، مع كل قدراته، كان يقف وراءه الاتحاد السوفييتي والكتلة الشرقية (الاشتراكية)، أما الشقيري فقد كان مثل السيف فرداً .. سوى الروم خلف ظهره روم، والأكثر مأساوية أنّ الشقيري « اللاجئ الفلسطيني » لم يكن صاحب مقعد أصيل في الأمم المتحدة، بل كان « لاجئاً في الأمم المتحدة »، مقيماً في مقعد غيره .. وإن كان المقعد عربياً . ومع هذا فقد مارس دوره بكل ما يختزن من كبرياء الانتماء للأمة، حتى إنه حمَّل المقعد وأصحابه أحياناً فوق ما يحتملون ..

لقد مورست « الدبلوماسية الثائرة » بعد الشقيري في قاعة الجمعية العامة، ولكن في مناسبات محددة من أهمها دورة عام ١٩٦٠ الشهيرة، حين دق خروتشوف حذاءه على طاولتها، أو خلال خطب كاسترو وعدد قليل من رؤساء الدول، لكنهم كانوا يقولون كلمتهم ويغادرون، أما الشقيري فكانت هذه سمته الأساس، بل إذا دُرست سيرته في الأمم المتحدة على مستوى الدبلوماسية الدولية، فإنها مدرسة كاملة، وسيحمل أحد فصولها عنوان : الشقيري في الأمم المتحدة .. الدبلوماسي الثائر .

لكن الشقيري - برغم كل هذا الإبداع - عاد من الأمم المتحدة بعد ستة عشر عاماً ليقول : قادتني خبرتي الطويلة في الأمم المتحدة، إلى اليقين بأن القضية الفلسطينية بالذات ليس لها حل دبلوماسي أو سياسي في داخل الأمم المتحدة أو خارجها، وأن الحل هو هنا في وطننا العربي بوحدة الموقف ومقاومة الاحتلال بالقتال وبالكفاح وبالسلاح .

وتلك هي العبرة لمن شاء أن يعتبر .

هو الكبير بين الكبار .. كبير بحجته وشجاعته

شارك الشقيري في مراحل حياته السياسية المختلفة (١٩٢٧ - ١٩٦٧) في عشرات المؤتمرات العربية والدولية[١] عرف خلالها وعايش نحو سبعين ملكاً ورئيساً، ونائب ملك أو رئيس، ورئيس وزراء من مختلف الدول العربية، فضلاً عن المئات من الشخصيات الرفيعة كأمناء عامي الجامعة العربية، وقادة الجيوش العربية وقادة أركانها والوزراء، ولا سيما وزراء الخارجية والدفاع[٢]، تعامل معهم من أجل القضية الفلسطينية بشكل خاص، فاتفق مع جلّهم حيناً حتى الصداقة، واختلف مع بعضهم حيناً حتى الخصومة، وتقلبت العلاقة مع بعضهم من خصام إلى صداقة، وفي كل ذلك كان معياره مصلحة القضية الفلسطينية كما يراها، وبالقدر الذي يبدو في مواقفه حازماً قوياً إلى تخوم العناد، كان يعود عن رأيه وموقفه إن استطاع أحدٌ أن يقنعه بأفضلية رأيه، وإن رأت المصلحة الوطنية والقومية ما يقتضي عدم الأخذ به دونما قناعة، حفزته نزعة ديموقراطية تُغلّب العام على الخاص .

ولأنه قد نذر نفسه لقضية فلسطين وقضايا الأمة وكل قضية دافع عنها، وكان منطلقاً في ذلك من إيمانه بعدالة هذه القضايا إيماناً لا تشوبه أدنى ريبة، فقد كانت علاقته مع هذا الطيف الواسع من قيادات العالم

(١) انظر : ملاحق الكتاب مؤتمرات شارك الشقيري فيها وفي لجانها .

(٢) انظر : ملاحق الكتاب : قادة في مسيرة الشقيري .

علاقات ندّية لم يسجل عليه - من واقع الدراسة الدقيقة المفصلة لسيرته النضالية في مختلف المحافل - أنه كان فيها الضعيف الذي يقبل أذىً أو يرضى عن ضيم ، بل كان دائماً الفارس المجلّي ، حتى وإن أخفق في مناسبة أو أخرى ، فذلك عائد إلى أنه كان يخوض معاركه ، مستنداً إلى عدالة قضاياه ، مجرداً - في كثير من الحالات - من قوة الحق الضائع في مواجهة عدو لا يبالي بذلك ، بل يستند إلى قوة الباطل والبغي العالمية التي تقف معه ووراءه وأمامه أحياناً ، وكان يضعهم في الموقف المحرج الذي يصل إلى وضعهم في الشعور بالخجل بل وازدراء الآخرين أحياناً لا سيما كبارهم حين يجردهم من حالاتهم الطاووسية ، إلا أن ما كان يورثه مرارةً حينما تنتهي ساعاته وأيامه بتقديم الحجج وإفحام الخصوم ويُحتكم إلى عدّ الأصوات . ومن أكثر عباراته التي تنضح بالمرارة وعميق الأسى ، يوم تقاطرت عليه وفود الأمم المتحدة تحييه في جلسة في الجمعية العامة ، كان قد أبلى فيها بلاءً رائعاً في وجه مندوبي الدول الكبرى والكيان الصهيوني ، وآخرهم وزير خارجية مصر الدكتور محمد صلاح الدين ، الذي قال للشقيري : لقد كنت نجم هذا اليوم ، فرد عليه الشقيري : نجم في السماء ... ولكن لا وطن على الأرض .

الفصل الثاني

نُقْـــلُ الـشـــقـيـــــري

- كرابيج عكا
- هكذا يتصرف المجانين والصهاينة !
- الجامعة العربية .. السخرية المُرّة
- الدفاع عن مراكش
- رجال عرفتهم
- الشعب الفلسطيني صنعته أرضه
- الوحدة العربية وفلسطين
- فيشنسكي العرب .. شقيري الروس
- قولوا لها : عودي إلى أميركا أو بولونيا ..
- صدى رصاصة في الأمم المتحدة
- حين أُمثِّل هذا الشعب
- الدفاع عن محمود بكر حجازي
- الآن تقدمت فلسطين خطوة للأمام!
- الاعتراف الثوري
- أنا زميل لعبد الناصر
- أنا لست ملكاً
- فلسطين لم تُدعَ إلى قمة فلسطين
- الرؤساء والوزراء .. أفسدوا لغتي
- فلسطين ملك الأمة
- لقد قال وقوله الحق
- الوحدة أو انهيار الأنظمة القطرية

الفصل الثاني

نُــقْــلُ الـشـقـيـري*

نُقْلُ الشقيري هو العنوان الذي ندرج تحته أقوالاً ومواقف ذات دلالات وإن كانت أهمها سياسية ، تعكس النمو الفكري ، وبناء شخصية الشقيري منذ طفولته وحتى أواخر أيامه . وهي نماذج تستحق - فيما نرى - التأمل والاعتبار .

ومع أن القارىء سوف يجدها ويجد سواها الكثير في القسم الخاص بالأعمال الكاملة للشقيري ، إلا أننا اقتطفناها لأنها - بالتسلسل الذي نورده - تشكل بانوراما تغطي المراحل المختلفة من حياة الشقيري ومسيرته .

كرابيج عكا

« بلغ مسامعنا ذات مرة أن بضع عائلات يهودية مهاجرة ستصل إلى عكا للإقامة فيها ، وكنا يومها نتذاكر هذا الأمر في حلقة من الفتيان التلاميذ ، في الساحة المجاورة لبيتنا ، وأخذنا نستعرض فيما بيننا ، ما عسى أن نفعل . وقفزت في خاطري فكرة بادرت بعرضها على رفاقي : قلت لهم : « إذا دخل المهاجرون اليهود إلى بلدنا فسنعمل على إخراجهم بالقوة » ، فتساءل رفاقي : « وكيف ذلك ؟ » فقلت لهم : « يشتري كل واحد منا « كرباجاً » ونترصد لأولاد اليهود وبناتهم بعد انصرافنا من المدرسة ، ونهجم عليهم ونضربهم بـ « الكرابيج » ، ونكرر هذه « العملية » كل يوم حتى يضج آباؤهم وييأسوا من الإقامة عندنا ، فيعودون من حيث أتوا ، ومعهم أولادهم ! ! » .

ولقد وافق رفاقي على ذلك ، وعقدنا العزم لتنفيذه ، واشترى كل واحد منا « كرباجاً » من الجلد السميك ، وأخذنا ننتظر قدوم اليهود بأولادهم إلى عكا .[1]

هكذا يتصرف المجانين والصهاينة .!

دخل أحمد الشقيري في الثلاثينيات إلى قاعة المحكمة في القدس لكي يترافع في إحدى القضايا الجنائية ، وكان جابوتنسكي (الزعيم الصهيوني المعروف بشدة تطرفه) حاضراً للترافع في قضية أخرى . وشاهد جابوتنسكي وجه أحمد الشقيري ، وهو يطل من الباب . فصرخ كالمجنون مخاطباً رئيس المحكمة :

- إنني أكاد أختنق ! يا سعادة رئيس المحكمة لقد دخل « أحدهم » من « العرب » القاعة وسرق منا الأكسجين النقي وأعطانا السموم القاتلة ! .

وأجابه الشقيري على طريقته ، مخاطباً رئيس المحكمة :

- هكذا يتصرف المجانين والحمقى والصهاينة ! .

الجامعة العربية .. السخرية المُرّة

حين يستعرض الشقيري مشاورات إنشاء الجامعة العربية - يروي عدداً من التعليقات الساخرة ، ومما قاله : « ولدت الجامعة العربية بعد حمل دام ثمانية عشر شهراً ، وتكفي هذه المدة أن تلد ولدَيْن ، وقد سِرْتُ في هذا الموكب من بدايته إلى نهايته ، وأنا أستمع إلى مخاض الولادة متعسّرة حيناً ، متعثرة حيناً آخر ، تماماً كما كنت في صباي أستمع إلى الحوامل في (حارتنا) صارخات مستنجدات .. ولا مغيث ولا مجير ، إلاّ ما تجري به المقادير »[2] . وقال : « لقد كان رؤساء الوفود العربية في تلك الأيام ، شأن خلفائهم في هذه الأيام ، يتكلمون بلسانين ولغتين ولهجتين . كانوا يتحدثون إلى الصحافة مؤكدين أن الوحدة العربية يجب قيامها من اليوم قبل الغد ، وأن .. وأن .. أما في الاجتماعات الرسميّة فكانوا يغمغمون ويتلعثمون .. كانوا يخشون أن يسجل عليهم في المحاضر الرسميّة أنهم لا يرغبون في الوحدة العربية .. أو أنهم لا يقدرون عليها » .

وذكر الشقيري كيف فاز الملك فاروق بنصيب الأسد من المديح والثناء في بيان مؤتمر أنشاص ، فقد وصفه البيان بأنه « صاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور » ، ويقول : « وقد وقّع الملوك والرؤساء على هذا البيان ، ولا يدري بعضهم أين تقع كردفان ودارفور .. بل لم يسأل أين تقع .. » .

هو يلجأ في أسلوبه إلى التعبير عن شرّ البلية بما يضحك فيثير السخرية في النفوس . يعلق على قرارات مؤتمر بلودان السريّة مستخدماً السجع : « كان ياما كان .. وسخرية الزمان وتفكهة العصر والأوان .. بين

---

* اخترنا هذا العنوان اقتداء بنُقْل الأديب ، العنوان الذي حملته مختارات أديب العربية إسعاف النشاشيبي التي نشرها في مجلة الرسالة المصرية في الثلاثينات وأوائل الأربعينات من القرن العشرين ، وهي تتضمن مواقف ذات دلالات أخلاقية وتربوية ونفسية واجتماعية ونحوها.

(١) **الأعمال الكاملة** ، مج٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية** ، ص ٢٧٠ .

المثقفين والرعيان .. وتلك كانت المسيرة من أنشاص إلى بلودان » [1] .

الدفاع عن مراكش

في ١٣/١٢/١٩٥١ ، افتتحت الجمعية العامة للأمم المتحدة المناقشة : هل تدرج القضية المراكشية على جدول الأعمال أم لا تدرج ؟ .. ونودي عليّ للكلام فقلت موجهاً كلامي إلى الوفد الأميركي ، وكان يتولى الدفاع عن وجهة النظر الإفرنسية نيابة عن فرنسا :

أريد أن أذكر أميركا بتاريخ أميركا .. يوم أعلنت الولايات المتحدة استقلالها كانت مراكش أول دولة في العالم اعترفت بذلك الاستقلال ، وقرأت البيان المغربي بالاعتراف الأميركي .

ثم قرأت كتاباً من رئيس الولايات المتحدة الأول (يشكر للمغرب هذا الاعتراف) .. وقرأت بعد ذلك كتاباً آخر من الرئيس الأميركي يناشد فيه ملك المغرب (أن تعمل أساطيله على حماية البواخر الأميركية من القراصنة في البحر الأبيض المتوسط) .. وذكّرت الوفد الأميركي في النهاية أن الأرض التي تقوم عليها السفارة الأميركية في مراكش كانت هدية من سلطان مراكش .

وتساءلت ساخراً هازئاً : « هل يعارض الوفد الأميركي في مجرد إدراج القضية المراكشية على جدول أعمال الأمم المتحدة ، ومراكش هي التي اعترفت بك أول من اعترف .. وهل .. وهل ؟ » ، ونزلت عن المنصة أشقّ طريقي إلى مقعدي وسط الوفود وقد وقفت تقديراً وإعجاباً ، إلا الوفدَيْن الأميركي والإفرنسي ومن معهما من الدول الخائفة على مستعمراتها .. خشية أن يصلها الدور .

رجال عرفتهم

بدأت صلتي بعدد من رجالات العروبة ، ومن هنا بدأت أرى فيهم رجال الوحدة ، وحدة النضال وصولاً إلى إقامة دولة واحدة . لقد عرفت أول من عرفت : **شكري القوتلي** رئيس الجمهورية السورية لاجئاً في حيفا ، يجلس عند التجار « الشوام » في مدخل المدينة ليستمع إلى أخبار الوافدين من دمشق ، ويحض التجار على التبرع للحركة الوطنية في فلسطين ، ويتصل بالقيادات الفلسطينية ليقول : قوموا بإضراب .. اعملوا مظاهرات .. تدربوا على حمل السلاح . وعرفت **رياض الصلح** « رئيس وزراء لبنان » لاجئاً في كل مدينة بفلسطين ، ينتقل من ندوة إلى ندوة ، بطربوشه المائل وشرّابته الراقصة ، وحديثه عن فلسطين أكثر من حديثه عن بيروت . وعرفت **ياسين الهاشمي** « رئيس وزراء العراق » لا يفتر عن زيارة فلسطين ، من حين إلى حين ، وكل همه أن يتحرر العراق ليعمل على تحرير فلسطين . وعرفت **نبيه العظمة** (دمشق) مقيماً في القدس يوكل إليه الإشراف على المعرض الوطني ، وهو يزمجر على معاونيه . وعصا المارشالية لا تفارق يده يهشّ بها على البائعين . وعرفت **الأمير عادل أرسلان** من قادة الثورة السورية مقيماً في رام الله ، تتنازعه البيوت المضيافة ، وفادة وكرماً ، وهو يحضّ على الثورة المسلحة ضد بريطانيا . وعرفت **سلطان باشا الأطرش** - قائد الثورة السورية - يوم زرته في الكرك في الأردن مع عدد من رجالات البلاد ، وأحسسنا بين يديه أنه قائد ثورتنا ، وأن جبل الدروز هو جبلنا وحدنا .

عرفت هؤلاء وغير هؤلاء من رجال العرب وشبابها .. من الذين كانوا يأتون إلى فلسطين زائرين أو لاجئين أو عابرين ، وكانت الرابطة التي تجمعهم وتجمعنا ، هي الوحدة العربية ، نسعى لتحقيقها بتحرير أوطاننا أولاً ، ثم نعلن الوحدة في اليوم الثاني » .

شكري القوتلي

رياض الصلح

ياسين الهاشمي

الأمير عادل أرسلان

سلطان باشا الأطرش

(١) **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية** ، ص ٢٧٢ .

الشعب الفلسطيني صنعته أرضه

الشعب الفلسطيني صنعته أرضه .. الشعب الفلسطيني صنعه تاريخ . إنه ليس شعباً من الشعوب التي تعيش على أطراف الدنيا وعلى هامش التاريخ ، لا ، نحن عشنا في صميم التاريخ .. عشنا في قلب التاريخ .. أرضنا واقعة على ملتقى القارات الكبيرة .. ملتقى الحضارات الكبيرة « كل واحد يحتاج فلافل أو توابل من الهند يدخل إلى فلسطين » .. كل عابر كل معتد كل غاز كل طامع أمامه دائماً فلسطين .. لا يستطيع الوصول إلى آسيا إلا عن طريق فلسطين لا تستطيع من آسيا أن تصل إلى أفريقيا وإلى أوروبا إلا عن طريق فلسطين ، ففلسطين صنعها التاريخ وشعبها صنعه التاريخ .. شعب قتال .. شعب نضال .

الوحدة العربية وفلسطين

ويشرح الشقيري العلاقة بين الوحدة العربية والقضية الفلسطينية ويقول : « لم تكن الوحدة عاطفة عابرة ، ولكنها كانت تتجسد في وحدة النضال ، وكانت فلسطين هي الساحة التي تتجسد فيها هذه الوحدة ، فيوم كنا نسير في مظاهرة وطنية نجد التجاوب في المشرق العربي ، فتسير المظاهرات في عمان ، ودمشق ، وبغداد وبيروت ، وحين كنا ندعو إلى إضراب كان يضرب معنا العراق ولبنان وسورية وشرقي الأردن ، وحينما بدأ الاستعمار الإيطالي والبريطاني والإفرنسي ينزاح عن الشمال الأفريقي ، راحت طلائع التجاوب تنبثق من مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، بالإضراب ، وبالمظاهرات » . وجاءت أحداث الاعتداءات اليهودية على حائط البراق الشريف في بيت المقدس في عام ١٩٢٩ لتعطي الوحدة العربية مزيداً من الوقود .

فيشِنْسكي العرب .. شقيري الروس

كان الشقيري خطيباً مفوَّهاً بليغاً مؤثراً في سامعيه ، وحتى الخمسينات من القرن العشرين كان خطيباً سياسياً بارعاً في الأمم المتحدة ندر أن شهدتْ قاعاتها له نظيراً سوى الخطيب السوفييتي فيشنسكي، وقد التفّ مندوبو الأمم المتحدة حوله بعد إلقاء إحدى خطبه المؤثرة يحيُّونه ويهنِّئونه على بلاغته وقوة حجته وما تركت فيهم من تأثير قوي. وكان بين الوفود التي التفت حوله فيشنسكي، وهو المشهور كما أسلفنا بسحر بيانه وبلاغته وقدرته الخطابية ، فيخاطب أحد المندوبين العرب فيشنسكي وهو يشير إلى الشقيري قائلاً : أحمد الشقيري يا سيدي هو فيشنسكي العرب ، فأجابه فيشنسكي ضاحكاً ، ولماذا لا تقولون : فيشنسكي هو شقيري الروس !

قولوا لها : عودي إلى أميركا أو بولونيا ..

حين وقفت غولدا مائير وزيرة خارجية الكيان الصهيوني في إحدى جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة تنفي وجود الشعب الفلسطيني وامتلاك الصهاينة فلسطين ، رد عليها الشقيري قائلاً : هذه السيدة المحترمة التي ولدت في روسيا وتزوجت في أميركا وعاشت في بولونيا ثم استقرت في بلدي ، قد جاءت إليكم من تل أبيب لكي تفسر لكم الآن لماذا وكيف وبأي حق يحتل الغريب أرض صاحب الحق ، وكيف وبأي حق يطرد اليهود العرب من بلادهم . قولوا لهذه السيدة المحترمة أن تعود إلى أميركا أو بولونيا أو روسيا حيث يعيش أهلها ، وأن تترك أهلها يعودون إلى بلدهم أحرارا .

صدى رصاصة في الأمم المتحدة

إن رصاصة تطلق على أرض فلسطين يتردد صداها في أروقة الأمم المتحدة أكثر من مئة خطاب ، وأكثر من ألف مشروع قرار .

حين أمثل هذا الشعب

حين أمثل هذا الشعب في مؤتمر الملوك والرؤساء ، لن أكون خانعاً ولا خاضعاً ، وإنما سأجلس كعربي بكل عزة الشعب الفلسطيني كتفاً إلى كتف ، وكممثل للشعب الفلسطيني سأحكّ كتفي إلى جانب أكتاف الملوك والرؤساء .

الدفاع عن محمود بكر حجازي

في الأرض المحتلة .. مناضل فلسطيني .. وقع أسيرا في أيدي العصابة الإسرائيلية .. هو المناضل الفلسطيني محمود بكر حجازي ليس جنديا في جيش التحرير .. ليس عضوا في المجلس الوطني .. ولا عضوا منتسبا في منظمة التحرير .. منظمة التحرير لا تقف ساكنة أمام هذا المناضل .. بين يدي هذا البطل تتركه أسيرا تحت رحمة العصابة الإسرائيلية .. تتنصل من المناضل وإن لم يكن مربوطاً بجيش التحرير .. ولا بمنظمة التحرير الفلسطينية .. هذا مناضل فلسطيني وقع في الأرض المحتلة أسيراً في يدي العصابة ورأت منظمة التحرير الفلسطينية أن تجسد قضية فلسطين في إنسان فلسطيني ، ونصبت ثلاثة محامين بكل ما يريدون من المال ليدافعوا عن شرف النضال الفلسطيني وعن المناضل الفلسطيني أمام المحاكم الإسرائيلية .

الآن تقدمت فلسطين خطوة للأمام !

عند حضور الشقيري أول اجتماع قمة ممثلاً لفلسطين في الجامعة ١٩٦٤/١/١٣ انشغل البروتوكول في الجامعة للإجابة عن سؤال : أين يجلس الشقيري (والبروتوكول من أنشط دوائر الجامعة) . فالشقيري ليس رئيس دولة ، والشقيري ليس عضو وفد في الجامعة . ويتفق الإبداع البروتوكولي للجامعة العربية بعد طويل عناء وأخذ ورد عن وضع كرسي للشقيري بغير مواصفات مقاعد الرؤساء دون أن يوضع بمحاذاة مقاعدهم، أو بمحاذاة مقاعد أعضاء الوفود ! ! وهو إجراء من السخف بمكان فهم يعلمون أن وزيراً أو سفيراً يحق له الجلوس حذاءهم ما دام مفوضاً من رئيس ، لكنهم ما أدركوا أن الشقيري يحضر مفوضاً من فلسطين ، وبالحد الأدنى من الجامعة نفسها ... وهذا الهزال في التفكير ، نابع من ثقافة البروتوكول أو المراسم التي استقرت في العقل الإداري للجامعة كما استقرت في جميع مؤسسات الدول العربية ، وهي الاحتفاء بالمظاهر ، والصور التذكارية والإعلامية ، بعيداً عن جوهر الشؤون والقضايا .

وعلى أي حال فقد قبل الشقيري بالحل المقترح، فقد كان يتطلع إلى مكان القضية في القمة لا إلى مكانه بين قادتها ، وحينما دخل القادة القاعة سحب الشقيري كرسيه إلى الأمام بمحاذاة الملوك والرؤساء وقال ساخراً :

الآن تقدمت فلسطين خطوة للأمام ! !

ويقول محمود رياض في مذكراته : إن حلّ هذه المشكلة كان قد تطلب تدخله الشخصي .

الاعتراف الثوري

في ١٩٦٥/٣/٢٢ تم توقيع البيان المشترك بين منظمة التحرير الفلسطينية وجمهورية الصين الشعبية ، وقال الشقيري في بداية المؤتمر الصحفي الذي عقد في هذه المناسبة : « إن هذا البيان هو نفسه حدث ثوري في عالم القانون الدولي .. إن القانون قد نص على اعتراف رسمي ، واعتراف واقعي ، ولا يعرف نوعاً ثالثاً ، ولكن الصين الثورة قد أدخلت هذا النوع الثالث ، وهو ما أسميه : الاعتراف الثوري ... إنه اعتراف الثوار بالثوار » .

أنا زميل لعبد الناصر

أعلن من هذا المنبر على مسمع من الرئيس عبد الناصر أن منظمة التحرير ليست عميلة لأحد ولا تابعة لأحد .. إنها ملك الشعب الفلسطيني وحده .. أما أنا فإني أرفض أن أكون عميلاً لأحد . ما أنا بعميل . أنا زميل لعبد الناصر . نحن وإياه رفاق طريق على درب الكفاح . وإن شعبنا يلتقي مع عبد الناصر لقاء الثوار بالثوار والأحرار بالأحرار . [١]

أنا لست ملكاً

« أنا لست ملكاً لأحرص على البقاء في الملك ، ولست رئيساً لأحرص على البقاء رئيس جمهورية . أنا واحد من شعب فقد كل شيء ولم يعد لنا ما نخسره ، لأننا خسرنا كل شيء . ولكن بقي لنا عقلنا وكرامتنا وآمالنا . وإن الاتجاه العام في هذا المؤتمر (قمة الخرطوم) لا يشجعني على المشاركة ، ولا أستطيع أن أساهم في هذه القرارات . لذلك أعلن انسحابي من المؤتمر » ... وخرج . [٢]

فلسطين لم تُدعَ إلى قمة فلسطين

كانت النية أن لا تدعى المنظمة للمشاركة في قمة الخرطوم ، وهو ما رأى فيه الشقيري إعلان وفاة للمنظمة ، وقد رأى في ذلك أن المنظمة ستكون ضحية عدوان ١٩٦٧ الذي أودى بباقي فلسطين ، وبالتالي تعود إلى واقعها المرّ بعد نكبة ١٩٤٨ .

حينها أوفد الشقيري شفيق الحوت مدير مكتب المنظمة في بيروت إلى الخرطوم مهدداً بأنه إن لم تدع المنظمة للمؤتمر ، فسيزور الخرطوم ويعلن لجماهير الأمة من أكبر مساجدها موقفاً شعاره (إن فلسطين لم تدع إلى قمة فلسطين) فجاءت الدعوة ، ولاحقته المهازل البروتوكولية في تحديد مكان إقامته ، لكن الأهم والأخطر أن لجنة الصياغة قد نأت عن ردهات المؤتمر واجتمعت في منزل محمد أحمد محجوب

---

(١) في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني الثاني .

(٢) في الجلسة الأخيرة لقمة الخرطوم .

رئيس وزراء السودان ، وحين علم الشقيري بذلك توجه إلى المنزل ، واقتحم على اللجنة اجتماعها ، وأدخل في مشروع بيانها لاءاته الأربع التي أسقطت منها اللاء الرابعة (لا للحل المنفرد) ، وبإسقاط هذه اللاء الرابعة التي تشبث بها الشقيري ، بدأت رحلة سقوط المرحلة الشقيرية ، مرحلة الميثاق القومي ، التي انتهت بالاعتراف العربي بقرار ٢٤٢ ...

الرؤساء والوزراء .. أفسدوا لغتي

ظلّ ولعي باللغة يرافقني في جميع مراحل التعليم حتى تمكنت من قواعدها وشواردها ، وأصبح الإعراب سليقتي ، فما فسدت موسيقا الإعراب في أذني إلّا بعد أن عملت في الجامعة العربية ثلاثين عاماً ، ويومها أصبح اللحن يملأ أذني بما أسمعه من أحاديث الرؤساء والوزراء والسفراء . [٣]

فلسطين ملك الأمة

إن فلسطين بمقدساتها هي ملك للأمة العربية بكل أجيالها السالفة والصاعدة ، هي ملك التاريخ العربي ، ولا يملك أي عربي أو فلسطيني أنّى كانت مسؤوليته أن يتنازل عن شبر واحد من ترابها المقدّس .

لقد قال وقوله الحق

إن للأمة العربية في أقطارها المختلفة شكاوى كبرى .. ومن هذه الشكاوى :

فلاح بلا أرض .. وأرض بلا فلاح ..
بضاعة بلا أسواق .. وأسواق بلا بضاعة ..
زراعة بلا صناعة .. وصناعة بلا زراعة ..
بترول ، بلا قطن ، ولا قمح .. وقطن بلا بترول ، ولا قمح ..
شعب يغرق بالفيضان المدرار .. وشعب يشرب من تحلية البحار .
ماشية ترعى في الحظائر .. وماشية تملأ الفيافي والقفار ..
عمل بلا عمال .. وعمال بلا عمل ..
ومنها وإنه للأهم : المواد الذرية .. هنا .. والعقول الذرية هناك .. والأموال هنالك ! !

كل هذه وغيرها من المشكلات لا حل لها إلا باتحاد الأقطار العربية ... حتى المؤسسات القطرية ستكون أكثر ازدهاراً ونمواً في عهد الوحدة ، مما عليه الآن في عهد الحدود والقيود ، في عهد المخافر والحواجز .. في عهد الرؤساء والرياسات .

الوحدة أو انهيار الأنظمة القطرية

لا خير لنا يرتجى إن ظللنا عشرين علماً ، كل علم بنجمةٍ واحدةٍ أو دون نجمة ، والقول ما قال الشقيري : علم واحد وبه عشرون نجمة .

إذا ما بقيت هذه التجزئة في الوطن العربي فستنهار هذه الاستقلالات الإقليمية التي يحرص عليها الرؤساء العرب ، وستنهار معها الثروات الإقليمية ، وخاصة البترولية منها فلا تنفع « الإقليم » صاحبها ، ولا الأمة العربية في مجموعها . وإن « إسرائيل » طامعة في ثرواتنا ، وأنهارنا ، ومناجمنا ، وبترولنا ، وكل خاماتنا . وإذا كانت أية دولة عربية تحسب أنها قادرة أن « تقعد » على ثرواتها وتصونها لنفسها ، فإنها تخطئ الحساب .. وهذا كلام موجه إلى الدول البترولية خاصة . وليس الحديث عن أطماع « إسرائيل » بالبترول العربي لغواً في الكلام أو غلوّاً في التهويل ، وهذا الزعيم الصهيوني مناحم بيغن يقول : « عندما نسرح ببصرنا إلى الشمال نرى سهول سورية ولبنان الخصبة ، وفي الشرق تمتد وهاد الفرات ودجلة الغنية وبترول العراق ، وفي الغرب بلاد المصريين ..

(١) أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية ، ص ٢٧٠ .

القسم الثاني

حياة الشقيري ومسيرته النضالية
١٩٠٨ - ١٩٦٣

الفصل الثالث

في فلسطين .. من الميلاد ١٩٠٨ حتى النكبة ١٩٢٨

الفصل الرابع

من النكبة .. حتى إرهاصات الكيان الفلسطيني ١٩٤٨ - ١٩٦٣

الفصل الثالث

في فلسطين .. من الميلاد ١٩٠٨ حتى النكبة ١٩٤٨

نشأته وتعليمه ١٩٠٨ - ١٩٢٨

نسبه :

ينحدر الشقيري من أسرة عربية ، نزحت من الحجاز ، والده أسعد الشقيري، كان عضواً في البرلمان العثماني ، ومن الأعضاء البارزين في جمعية الاتحاد والترقي ، وهو من أبرز الأعضاء الداعين إلى الوحدة الإسلامية ، ومن المعارضين للتعامل مع الحلفاء .

ميلاده وطفولته :

ولد الشقيري في قلعة تبنين في جنوب لبنان عام ١٩٠٨ ، على ما قدّر هو عمره فيما بعد ، والدته تركية ، طلقها أبوه فسافرت مع طفلها إلى طولكرم ، وهناك تزوجت لكن زوجها توفي بعد أعوام قليلة . وكانت طفولته سنوات من معاناة اليتم والحرمان والفقر ، وكان يحب أمه حباً كبيراً ، وقد كانت تقتر على نفسها ، حتى تسعده يوم عيد أو في أي مناسبة تمر به كبقية الأطفال ، وقد أخذ عنها اللغة التركية . ويتذكر أنه كان في المدرسة الواقعة وسط مدينة طولكرم ، يتعلم القراءة والكتابة .

تفتحت عيناه على أخبار الحرب العالمية الأولى التي بدأت عام ١٩١٤م ، وكان ديوان العائلة الوسيلة الوحيدة لتداول الأخبار ، والاطلاع على شؤون الدنيا وأحوالها .

في السنة الثانية للحرب مرضت أمه مرضاً شديداً وماتت وهو في السابعة من عمره ، وبوفاتها أصبح وقع الحياة عليه صعباً وقاسياً وثقيلاً ، فقد حنان الأم وعطفها وشعر بمرارة اليتم ، لكن ذلك لم يفتّ في عضده ، فقد جعله تفوقه في المدرسة حديث أهل عكا ، ودفع زوجة أبيه إلى تقبل وجوده في الأسرة ، مما خفّف عنه ومكّنه من التمتع بالعيش في بيت أبيه ، إلى أن هُزم العثمانيون الذين عدّ البريطانيون الشقيري الكبير واحداً منهم ، فطردوا أسرته من بيتها خارج سور عكا واتخذوه مقراً لهم ، فانتقلت الأسرة إلى بيتها القديم داخل السور في غياب الأب الذي وصل فيما بعد إلى حيفا ، فاعتقلته سلطات الاحتلال البريطاني ، ونقلته مع الأسرى العرب إلى مصر ، ثم عاد إلى عكا .

عركت السياسة أحمد فتىً صغيراً عام ١٩١٩ بعد أن خمدت نار الحرب العالمية الأولى ، منذ اعتاد ارتيادَ الديوان ، حيث يجلس الكبار يتناقلون أخبار الصحف ، ويتبادلون الآراء ووجهات النظر ، ويشهدون طلائع فِتيةٍ يعملون من أجل فلسطين ، يجمعون تواقيع الناس على عرائض احتجاج ، ويستفتونهم في أسماء شخصيات المدينة الذين سوف يشاركون في « المؤتمر السوري » الذي عقد لاحقاً في دمشق استنكاراً للحركة الصهيونية ، وعاش الفتى أحمد المشهد ذاته في مدارس عكا .

دراسته الابتدائية والثانوية :

كان في مدينة عكا عدة مدارس ابتدائية ، ألحق الشقيري بأكثرها ضبطاً ومراقبة ، ولعل ذلك ساعده في تكوين شخصية منضبطة ، وفي الوقت نفسه شخصية تتوق إلى الحرية، وقد كان مواظباً على دروسه ، مجداً مجتهداً ، أولع باللغة العربية ، وابتعد عن اللحن ، وبالنسبة للهوايات فقد كره الموسيقى والرياضة ، وأحب الكشافة ، وانتمى إليها ، ومن خلالها ومع إتقانه اللغة العربية برزت لديه روح الخطابة والقيادة ، ونفّس فيها عن الروح الوطنية التي كانت تملأ جنبات صدره وقلبه . وكان إلى جانب الدروس منشغلاً بالجامع ودروسه ، وحين أنهى الصف الثاني الثانوي رغب في التعلم في الأزهر ، لكن أهله لم يوافقوه على ذلك ، وأجبروه على إعادة السنة ليلحق به أخوه أنور ويذهبا معاً إلى مدرسة صهيون في القدس ، حيث أنهى سنوات دراسته فيها بنجاح وتفوق ، وتخرج عام ١٩٢٦ .

دراسته الجامعية :

من القدس التحق الشقيري بالجامعة الأميركية في بيروت ، وقد ملأت حياة الجامعة نفسه وشعر بالحرية ، وانضم إلى نادي العروة الوثقى في الجامعة ، وكان هذا النادي مجتمع الطلاب العرب من جميع الأقطار ، فأحس بروح الأمة والقومية العربية ووحدتها ، وهناك بدأ مخاض الشعور الوطني ، فاشترك في مظاهرة في ذكرى السادس من أيار ، وارتجل خطبة حماسية في ساحة الشهداء في بيروت ، ندد فيها بالاستعمار ، والاستبداد العثماني ، الأمر الذي أثار السلطات الفرنسية المستعمرة آنذاك ، فقررت إبعاده عن لبنان عام ١٩٢٧ ، ونقل إلى الناقورة على الحدود الفلسطينية - اللبنانية ، ومنها عاد إلى عكا . وكان هذا الإبعاد نقطة تحول في حياة الشقيري ، ألقت به في ميدان العمل الوطني ، فأعطى نصيباً من الوقت للسياسة ونصيباً آخر للدراسة ، وكان يحب أن يوفق بين حوافز الأولى ،

وضرورات الثانية .

الشقيري صحفياً :

بعد أن وصل عكا قادماً من بيروت ، غادرها إلى القدس ، ليدرس في معهد الحقوق بالنظام المسائي عام ١٩٢٨ ، ووجد عملاً في النهار في جريدة (مرآة الشرق) مقابل السكن والطعام ، ومن هنا قلب صفحة جديدة في حياته ، صحفياً سياسياً في النهار ، وطالب حقوق في المساء .

النضال في فلسطين ١٩٢٨ - ١٩٤٨

أطل الشقيري من خلال عمله الصحافي على الوضع السياسي ، وطبيعة الحركة الوطنية الفلسطينية العفوية البسيطة ، في مواجهة الحركة الصهيونية الواعية المنظمة ، وغدا مكتبه مزاراً لشباب القدس وفلسطين ، وندوة سياسية لهم ، يتداولون فيها أمر تفاقم الخطر الصهيوني ، وتردي الحركة الفلسطينية وانقسامها . كما أن الاتصال المباشر مع اليهود سواء في إدارة المعهد أو طلبته ، مكّنه من التعرف على اليهود عن قرب ، وتفهم أساليب تفكيرهم ، وتخطيطهم وعدائهم للعرب ، وزاد من إحساسه بالخطر الصهيوني على فلسطين ، ما كان عوناً له في محاربة اليهود في هيئة الأمم المتحدة فيما بعد . وقد برزت مواهب الشقيري الخطابية في عدة مناسبات وطنية وقومية منها حفل تأبين « سعد زغلول » حين ألقى خطاباً في الحفل بعد والده ، استشهد بما حفظه من الأناجيل أثناء دراسته في « صهيون » ، وتكلم عن البر والإحسان ، فكان « خطاباً قومياً في إطار إنجيلي » .

شارك الشقيري في النشاط الوطني الفلسطيني عام ١٩٢٨ ، وكان همه أن يزول الانقسام في صفوف الحركة الوطنية ، وكان يحث القادة الفلسطينيين وزعماء الأحزاب الفلسطينية على توحيد الصف ، وتكاتف الجهود وتحديد الأهداف ، وكان يقول بأن الشعب الفلسطيني يسبق قيادته ، وهذا ما أخذه على القيادة الفلسطينية آنذاك بزعامة الحاج أمين الحسيني .

زاد التحامه بالأحداث الوطنية بتأثير عمله ودراسته ، وازداد نشاطه مع غيره من شباب فلسطين ، وقويت الدعوة إلى بعث الحياة في الحركة الوطنية بعد حادثة البراق (١٩٢٩) ، التي كشفت للعرب الخطر الصهيوني الداهم ، وزادت الرغبة في نفس الشقيري ونفوس الشباب في قيام قيادة وطنية جديدة ، تتولى الإمساك بزمام الأمور في الحركة الوطنية ، فقرروا توزيع أنفسهم على مناطق البلاد المختلفة ، لبث الوعي والدعوة لذلك ، وكان نصيب الشقيري عكا ولواء الجليل ، فصار يتنقل ليخطب هنا ، ويدعو لمقاومة الاستعمار والصهيونية هناك .

اعتقل رجال الشرطة الشقيري ونقلوه إلى قرية الزيب قرب عكا ، في إقامة جبرية في بيت آل السعدي ، وشاءت الأقدار بعد سنوات أن صاهرهم وتزوج الآنسة نسيبة[1] بنت عبد الفتاح السعدي رئيس بلدية عكا ، التي أنجبت له أولاده الستة .

المحاماة وأثرها على الشقيري :

في عام ١٩٣٠ ، بعد انقضاء مدة الإقامة الجبرية عاد الشقيري إلى القدس واعتزل العمل في (مرآة الشرق) ، ليفسح الوقت للدراسة ، وكان في السنة الثالثة في معهد الحقوق ، والتحق بمكتب المحامي مغنم مغنم الذي كان من رموز الحركة الوطنية الفلسطينية ، وقد استفاد الشقيري كثيراً من العمل معه في التعرف على أسرار المهنة ، وانشغل فترة عن السياسة ، ما لبث أن عاد إليها عن طريق المحاماة، عندما وصلت لجنة شو إلى فلسطين للتحقيق في ثورة البراق ، فقد أتيح له أن يسهم في إعداد ملف القضية فأدى به ذلك إلى الارتقاء في مجال العمل السياسي ، وأسهم في انتشار سمعته ، كسياسي أولاً وكمحامٍ ثانياً ، إذ قام بدور لا بأس به في توضيح تاريخ القضية الفلسطينية ، وشرح وثائقها .

انتقل الشقيري إلى العمل في مكتب المحامي عوني عبد الهادي[2] ، الذي كان يتولى الدفاع عن القضية الفلسطينية أمام اللجنة الدولية ، وتمرّس الشقيري في المحاماة في ميدان القضايا الوطنية ، وشهد محاكمات أبطال ثورة البراق الثلاثة في سجن عكا : فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم ، ثم انصرف بعدها لاستكمال الدراسة في معهد الحقوق ، واشترك في معظم اجتماعات حزب الاستقلال الذي تأسس عام ١٩٣٢ دون أن ينضم إليه ، إذ كان ينفر من الحزبية .

في المؤتمر القومي الذي عقد في يافا عام ١٩٣٣ حدّث الشقيري الحضور بقضية عرب وادي الحوارث الواقع بين قيساريّة ونهر الفالق ، الذين بيعت أراضيهم ومساكنهم في المزاد العلني وفاء لدَينٍ يهودٍ فرنسيين على أسرة التيّان اللبنانية مالكة الأراضي ، ووصف الشقيري للحضور حال العائلات العربية وهم يطردون عن أرضهم ، وحذر من مصير مشابه للفلسطينيين ، ما

(١) توفيت في القاهرة عشية يوم عرفة الموافق ٨/١٢/ ٢٠٠٨ .

(٢) من رموز الحركة الوطنية في فلسطين ، ومن مؤسسي حزب الاستقلال ، وقد عمل قبل ذلك سكرتيراً للملك فيصل الأول ثم للأمير عبدالله بن الحسين (الملك عبدالله الأول لاحقاً) .

لم يجتمع الزعماء الفلسطينيون تحت لواء جبهة وطنية موحدة ، وظل الشقيري يراوح بين السياسة والدراسة حتى أنهى دراسة المحاماة في معهد الحقوق عام ١٩٣٣ ، ولم يبرح ساحة النضال ، واشترك في المظاهرات ، وتطوع للدفاع عن المعتقلين الفلسطينيين ، وناصر الأحزاب وساندها في نشاطها ، كما أعجب الشقيري بثورة القسام ، بشجاعة رجالها وإيمانهم وهدوئهم ، وحين استشهد القسام عام ١٩٣٥ اشترك في تشييع جنازته في حيفا ، ثم في الدفاع عن الأسرى من رجاله .

ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩

اشترك الشقيري في تأسيس لجنة قومية في عكا على غرار بقية المدن الفلسطينية ، تضامناً مع يافا في إضرابها عام ١٩٣٦ واستنكاراً للأحداث الدامية آنذاك ، واعتراضاً على بطش القوات الحكومية بالعرب فيها وفي بقية مدن فلسطين ، وألفت اللجنة العربية العليا في فلسطين في تلك السنة ، وتطوّر الإضراب من حالة السّلم إلى المظاهرات ، ثم إلى نضال العصابات المسلح ، ما دفع الإنجليز إلى إعلان حالة الطوارئ ، وفرض الإقامة الجبرية ، وتنفيذ الاعتقالات التي شملت الشقيري ، إذ اعتقل ونُقل إلى سمخ ثم إلى الحمّة قرب الحدود السورية .

لم يكبح المعتقل جماحَ الشقيري ، ولم يُخضع روحه الحرّة الثائرة ، فغدا محطةَ نشاط ، ومُنطلق حِراكٍ قومي للشقيري ورفاقه الذين عمّموا منشورات الثورة في مناطق الشمال قاطبة ، وكانوا على صلة بالمجاهدين في طريق عبورهم بالأسلحة من سورية ، وراح ورفاقه يوجهون الرسائل إلى اللجنة العربية العليا ، وإلى رئيسها الحاج أمين الحسيني ، يناشدونهم فيها رفض الوساطة العربية لوقف الثورة دون ضمانات ، ويحذرونهم من الوقوع في حبائل الغدر البريطاني ، لكنّ صرختهم هذه لم تلقَ صداها ، فعاد ورفاقه المُعتقلون إلى مدنهم وقراهم ، ليستأنف العمل في المحاماة ، ومواصلة الدفاع عن فلسطين وقضيتها .

في عام ١٩٣٧ شارك الشقيري عضواً في لجنة الإعلام والتوعية في مؤتمر بلودان ، الذي عقده العرب بعد تقرير اللجنة الملكية البريطانية ، برئاسة اللورد بيل ، التي اقترحت تقسيم فلسطين فأشعل ثورة العرب رفضاً واحتجاجاً ، وتوالت الأحداث إلى أن قُتل حاكم لواء الجليل البريطاني أندروز ، وحُلّت اللجنة العربية العليا ، ونُفي معظم أعضائها ، ولجأ الحاج أمين الحسيني إلى لبنان ، واضطر الشقيري إلى الاختباء عند أصدقائه في القدس ، حتى قُبض عليه في دير البلح أثناء تخفيه ومحاولته اللجوء إلى مصر ، فأعيد إلى غزة مقيداً وسجن فيها قبل أن ينقل إلى سجن عكا ، ثم إلى معتقل المزرعة ، إلى أن أفرج عنه مع سائر المعتقلين .

في مدينة الناصرة التقى الشقيري ضمن رجال الحركة الوطنية في شمال فلسطين بحاكم لواء الجليل البريطاني كيركبرايد ، فتجاهل تهديدات الحاكم للمجتمعين بالعقاب وفرض الغرامات ما لم تتوقف الثورة ، وراح الشقيري يتحدث عن تاريخ النضال الوطني الفلسطيني ، ويعلن إصرار الشعب على مواصلة الكفاح ، فنُمي إليه أن أمراً قد صدر باعتقاله ، فلم يعد إلى عكا ، بل ساعده صديقه روحي الخطيب على عبور الحدود بالقطار إلى دمشق .

شكّل انتقال الشقيري إلى سورية ثم لبنان صفحة جديدة في سِفرِ النضال لديه ، وأسهم في خدمة الثورة الفلسطينية ، وكان في بيروت على مقربة من الحاج أمين الحسيني زعيم الحركة الوطنية ، ونشط في الاجتماع بالصحفيين الأجانب شارحاً أبعاد قضية فلسطين ، وكاتباً صحفياً متخصصاً وقَفَ قَلَمَهُ على خدمة القضية ، وقد عاش أحداث عام ١٩٣٨ حين كانت ثورة فلسطين في عام ١٩٣٦ تقترب من نهايتها ، وعدّها أجمل أيام عمره ، إذ كان الثوار فيها يحرزون النصر تلو النصر ، وكان هو يمارس الإعلام والسياسة بهمّةٍ ونشاطٍ كبيرين ، ويتعرف إلى قادة الثورة أمثال عبد الرحيم الحاج محمد وأبي إبراهيم الكبير .

تعاظَمَ شأن الثورة الفلسطينية ، وتوالت انتصاراتها إلى حدّ دفع بريطانيا إلى التوقف عن تنفيذ خطتها بتقسيم فلسطين ، والدعوة إلى مؤتمر لندن ، الذي عقد عام ١٩٣٩ في لندن بحضور ممثلين عن الدول العربية المجاورة وممثلين عن عرب فلسطين من جهة ، وممثلين عن الوكالة اليهودية من جهة أخرى ، ولم يتوصل المؤتمر إلى نتيجة تذكر ، وعاثت الاغتيالات والتصفيات فساداً في الثورة ورجالاتها ، إلا أن الشقيري تابع نشاطه وتحركاته وسافر إلى تركيا موفداً من قيادة الثورة لطلب العون والتأييد ، لكنه سرعان ما عاد إلى بيروت ، وانضم إلى الوفد الفلسطيني إلى مؤتمر لندن برئاسة الحاج أمين الحسيني ، وأعدّ لذلك المذكرات والدراسات ، ومنها دراسة عن الكتاب الأبيض الذي ذهب طي النسيان بمجيء الحرب العالمية الثانية ، وكانت بريطانيا قد أصدرته في ١٧أيار / مايو ١٩٣٩ بعد فشل مؤتمر لندن ، وينص على إقامة دولة فلسطينية مستقلة خلال فترة انتقال مدّتها عشر سنوات ، مع تحديد الهجرة ، وتقييد انتقال الأراضي ، ومالَ الشقيري في دراسته إلى ترجيح قبوله ، بينما اختلف حوله الزعماء الفلسطينيون ولكن العرب في النهاية رفضوه . وبضغط من الصهيونية العالمية قامت الحكومة البريطانية بسحب الكتاب الأبيض .

غادر الشقيري لبنان إلى القاهرة، بعد أن طلبت السلطات الفرنسية من الفلسطينيين مغادرة لبنان مع نشوب الحرب العالمية الثانية، وبدأ يمارس نشاطه، ويتعرّف إلى رجالات مصر وسورية ولبنان، الذين كان منهم عبد الرحمن عزام باشا[1]، حتى توقفت الثورة في فلسطين، وتوفي والده الشيخ أسعد الشقيري عام ١٩٤٠، وسمحت له السلطات البريطانية بالعودة فعاد يمارس المحاماة في مكتبه في عكا.

بدأ الصهاينة يخططون لتجميع شتاتهم من مختلف بقاع الأرض والهجرة إلى فلسطين، وقد تنبه الشقيري إلى هذا الخطر الداهم وحذّر منه في وقتٍ مُبكر، وطرح فكرة قيام قيادة فلسطينية توحّد جهود الشعب الفلسطيني، وجرى الاتفاق على إنشاء هيئة تتولى قيادة الحركة الوطنية، في الوقت الذي اتفق فيه الزعماء العرب على عقد اجتماع تحضيري في الإسكندرية لدراسة إنشاء جامعة الدول العربية، وأجمع الفلسطينيون على اختيار موسى العلمي مندوباً عن الأحزاب الفلسطينية في هذا الاجتماع، فزوّده الشقيري بمذكرة توضح تطور قضية فلسطين، والأخطار الصهيونية المُحدقة بفلسطين أرضاً وشعباً.

تأسيس الجامعة العربية

حين أنشئت الجامعة العربية في آذار / مارس ١٩٤٥ وعلى مقربة من اجتماعاتها، حضر الشقيري ممثلاً شخصياً للرئيس السوري شكري القوتلي، وكان مجلس الجامعة قد أوصى بتأسيس مكتب إعلامي لها في واشنطن، فأقنع موسى العلمي الشقيري بتنفيذ المهمة، فغادر القاهرة إلى عكا ثم غادر إلى نيويورك بصحبة زملائه في العمل: خلوصي الخيري، وعوني الدجاني، وعمر أبو خضرا، وكان الشقيري لا يترك فرصة إلا ويشرح فيها حقائق القضية الفلسطينية للمثقفين العرب والمهتمين، وتبيّنت له هناك سطوة القوى الصهيونية وسيطرتها على الأميركيين.

في نهاية أيلول / سبتمبر ١٩٤٥ بوشر العمل في المكتب العربي في واشنطن، وفي حفل افتتاحه عقد الشقيري مؤتمراً صحفياً ألقى فيه بياناً، وأجاب على أسئلة الصحفيين وأغلبهم من الصهاينة، الذين كتموا أخبار المؤتمر، وتجاهلتهُ وسائل إعلامهم، كما تجاهلت أنشطة المكتب ونشراته فيما بعد، لكن الشقيري واصل نشاطه الإعلامي.

عاد الشقيري إلى عكا في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٥، فاطمأن على أسرته[2] ثم غادر إلى القدس عام ١٩٤٦، واجتمع بزملائه في المكتب العربي للمشاورة ومراجعة التقارير وإعداد ملف ضخم للقضية الفلسطينية باللغة الإنجليزية، قُدّم إلى اللجنة الأنجلو - أميركية، التي أصدرت تقريرها المجحف بالحقوق العربية في القاهرة في نيسان / أبريل ١٩٤٦، إذ أوصت بإدخال مئة ألف يهودي مهاجر إلى فلسطين فوراً، وبإطلاق الهجرة اليهودية، وإلغاء القيود على ملكية الأراضي، ووضع فلسطين تحت الوصاية إلى أن يكثر عدد اليهود فيها، ونسفت اللجنة بذلك الكتاب الأبيض.

أصبح الشقيري مديراً للمكتب المركزي واجتمع في القدس أوائل أيار / مايو ١٩٤٦ إلى أعضاء المكتب العربي، وقرروا ضرورة إطلاق الكفاح المسلح بدعم من الدول العربية، رداً على الأعمال الإرهابية الصهيونية، ودعا مراسلي الصحف إلى إطلاق حملة صحفية للدعوة إلى الكفاح المسلح، كما دعا إلى إنشاء لجان طوارئ في فلسطين، وقد تنادى الملوك والرؤساء العرب إلى عقد مؤتمر في أنشاص قرب القاهرة نهاية أيار / مايو ١٩٤٦، فطلب الرئيس السوري شكري القوتلي من الشقيري أن يلتحق به مستشاراً له في المؤتمر، وفي حزيران من السنة ذاتها انعقد مجلس جامعة الدول العربية في بلودان، وحضره الوفد الفلسطيني برئاسة جمال الحسيني وعضوية الشقيري، الذي اعتذر عن الاشتراك في عضوية الهيئة العربية العليا التي شكّلها المؤتمر من الشخصيات الفلسطينية البارزة.

ازداد الإرهاب الصهيوني وشملت دائرته جميع أرجاء فلسطين، ووقعت حادثة تفجير فندق الملك داود القريب من المكتب العربي في القدس في حزيران / يونيو ١٩٤٦، فقرر الشقيري وجمال الحسيني وموسى العلمي زيارة الأقطار العربية طلباً للعون، وفي الرياض التقوا الملك عبد العزيز آل سعود، ثم غادروا إلى بغداد، ومنها ذهب الشقيري إلى دمشق لتأمين عبور الأسلحة من العراق، وغادر إلى مصر حيث كان الملك فاروق قد استضاف الحاج أمين الحسيني العائد من ألمانيا، فزارَهُ الشقيري وأطلعه على الجهد المبذول لتنظيم الشعب الفلسطيني وتسليحه، وأبلغه أن الشعب مُجمعٌ على زعامته، وبدّد شكوكه تجاه موسى العلمي.

اجتمع مجلس الجامعة العربية في القاهرة في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٦، وتواصل الشقيري مع

(١) أحد أبرز رجال حزب الوفد في مصر، وأول أمين عام لجامعة الدول العربية منذ قيامها في عام ١٩٤٥.

(٢) انظر تفاصيل رحلة واشنطن وتأسيس المكتب في كتاب الشقيري « **من القدس إلى واشنطن** » في قسم آثار الشقيري الفكرية والسياسية في هذا الكتاب.

الوفود العربية ، إلى أن ناشده إخوانه أن يعود إلى فلسطين لسدّ الفراغ الوطني في القيادة الفلسطينية ، فعاد إلى فلسطين حتى أوائل آذار / مارس ١٩٤٧ حين اجتمع مجلس الجامعة العربية وحضر الشقيري جلساته مستشاراً للوفد السوري ، وقدّم مذكرات قانونية للوفد السوري حول حق تقرير المصير .

النكبة

في نهاية نيسان / أبريل ١٩٤٧ انعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة بطلب من بريطانيا في دورة غير عادية للنظر في القضية الفلسطينية ، وصدر قرار بتشكيل لجنة تحقيق دولية وصلت إلى فلسطين يوم ١٧ حزيران / يونيو ١٩٤٧ ، فعمّ الإضراب أرجاء فلسطين ، واجتمعت اللجنة إلى ممثلي الصهاينة ، ثم اجتمعت في لبنان إلى ممثلي الحكومات العربية ، وقد تابع الشقيري خيوط المؤامرة ، قبل أن ينضمّ إلى الوفد السوري في اجتماعات مجلس الجامعة العربية ، الذي عقد في لبنان في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٧ ، وانبثقت عنه عدة قرارات ، وتألفت لجنة عسكرية ، ومن هناك انتقل الشقيري إلى دمشق ، وقابل الحاج أمين الحسيني في محاولة لإقناعه بالتعاون مع اللجنة العسكرية ، وظلّ في مكتب خُصّص له في وزارة الخارجية السورية ، حتى صدر قرار التقسيم المشؤوم رقم ١٨١ في ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧ ، الذي كان يوم حداد عام في الوطن العربي ، وتتابعت الأحداث بعده ، وافتتحت مكاتب التطوع للقتال ، وجمعت الأموال ، وعقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاته في تلك الأجواء ، وشارك الشقيري مع الوفد السوري في الاجتماعات ، التي أظهرت له سياسة المزايدات ، والتصريحات الجوفاء ، والجدل العقيم ، والخلافات والانقسامات ، واشترك في صياغة مذكرة الجامعة العربية إلى الأمم المتحدة ، التي تشرح أسباب التدخل العسكري العربي في فلسطين . وتنقل الشقيري بعدها بين دمشق وعمان والقاهرة ، وهو يشهد تطورات الأحداث ، ففي منتصف ليلة ١٤ - ١٥أيار / مايو ١٩٤٨غادر المندوب السامي البريطاني ألن كنجحام ميناء حيفا معلناً نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين ، وأعلن الصهاينة قيام دولة « إسرائيل » ، وزحفت الجيوش العربية إلى فلسطين ، واحتلت معظم الأراضي الفلسطينية التي كانت لا تزال بيد الفلسطينيين ، واشتبكت مع القوات اليهودية ، لكن سرعان ما أصدر مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار وقبل العرب به ، ووقعوا الهدنة الأولى ، التي بدأ سريانها صباح ١١ حزيران / يونيو ١٩٤٨ ولمدة أربعة أسابيع ، لتمكين الوسيط الدولي من تقديم اقتراحاته لحل المشكلة..

كان وقف القتال وفقاً للهدنة كارثة على العرب ، إذ أتاح انسحاب البريطانيين من ميناء حيفا ، وسيطرة الصهيونيين عليه واستخدامه للأغراض العسكرية ، وجلب كميات كبيرة من السلاح بأنواعه المختلفة ، وتمكنوا من تموين المستعمرات المعزولة وتعزيزها ، وقاموا بتصفية المقاومة العربية ضمن مناطقهم ، والأهم من ذلك أن الهدنة مكنت اليهود من التزود بالأسلحة واستقدام آلاف المتطوعين اليهود المدربين على القتال..

واستؤنف القتال في ١٩٤٨/٧/٩ ، وكان لصالح القوات الصهيونية ، وأدى انسحاب القوات الأردنية من اللد والرملة إلى احتلال القوات الصهيونية لهما إضافة إلى مناطق أخرى ، وأتاح الفرصة للتركيز على قتال القوات المصرية والقوات السورية واللبنانية ، وصدر قرار الهدنة الثانية رقم ٥٤ تاريخ ١٩٤٨/٧/١٥ ، ومع ذلك استمر الصهيونيون بخرق الهدنة حتى توقف القتال على الجبهة المصرية في ١٩٤٩/١/١٨ .

شارك الشقيري ناطقاً باسم وفد الجامعة لشرح وجهة النظر العربية للوسيط الدولي الكونت برنادوت في رودس ، فَسَرَدَ المطالب الوطنية ورفض الاجتماع باليهود ، كما شارك في دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، التي انعقدت في باريس خريف عام ١٩٤٨ ، بعد اغتيال الوسيط الدولي برنادوت على يد العصابات الصهيونية في ١٩٤٨/٩/١٧ ، وتأكد له أن البقاء للأقوى ، وقد بذل الشقيري جهداً في إعداد البيانات والخطب ، واتهمه ممثل الصهاينة بالنازية ، وكلّف الشقيري بعرض تقرير الوسيط الدولي برنادوت على مجلس جامعة الدول العربية ، الذي قرر رفضه ورفض مشروع التقسيم ، والتمسك بعروبة فلسطين ، وعاد الشقيري إلى باريس يحمل قرار الجامعة العربية ، في الوقت الذي هاجمت فيه القوات الصهيونية المواقع المصرية في النقب في تحدّ للأمم المتحدة ، وقرارات مجلس الأمن بوقف القتال .

الفصل الرابع

من النكبة .. حتى إرهاصات الكيان الفلسطيني

١٩٤٨ - ١٩٦٣

في كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٨ صدر قرار الأمم المتحدة بتعيين لجنة التوفيق للقيام بالأعمال التي أنيطت بالوسيط الدولي ، وتنمية الصلات الحسنة بين « إسرائيل » والفلسطينيين في الدول العربية ، وقد حضر الشقيري اجتماعها مع الوفود العربية في بيروت مستشاراً للوفد السوري ، وألقى بياناً ركّز فيه على حق العودة ، ثم عاودت اللجنة اجتماعها في لوزان ، ووضعت صيغة نهائية تمثّلت في (بروتوكول لوزان) في ١٢ أيار / مايو ١٩٤٩ الذي قُبلت « إسرائيل » على أثره في الأمم المتحدة ، وكانت تنازلات العرب المتتالية ومواقفهم الضعيفة مثارَ حُزنِ الشقيري ومبعث ألمه ، الأمر الذي تكرر بعدها في دورة الأمم المتحدة عام ١٩٤٩ ، حين بدأ يدرك جوهر الأمم المتحدة وقد غدت لعبةً في يد الدول الكبرى ، وغادر أميركا إلى دمشق عام ١٩٤٩ ، ثم سافر إلى سويسرا عام ١٩٥٠ ممثلاً لسورية أمام لجنة التوفيق الدولية ، وامتدّت الاجتماعات شهوراً ، وانتهت بوضع دستور منطقة القدس .

أميناً عاماً مساعداً في جامعة الدول العربية :

في الثاني من شباط / فبراير ١٩٥١ عيّن الشقيري أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية ، وظل مندوباً للعمل في الوفد السوري في الأمم المتحدة ، فسافر نائباً لرئيس الوفد السوري إلى دورة الأمم المتحدة المنعقدة في باريس خريف ١٩٥١ ، وأجاد في شرح القضية الفلسطينية أمام اللجنة السياسية ، وحلّل تقرير لجنة التوفيق ، كما فضح ادعاءات الصهاينة ، فانتهت الدورة بقرار يلزم « إسرائيل » لأول مرة بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، وكانت دورة حافلة بالمعارك التي تولى الشقيري أمرها ، فمن قضية السودان إلى القضية الجزائرية ، والتونسية ، والليبية إلى المراكشية ، وكان فيها جميعها جريئاً قويّ الحجّة ، حتى عدّه رئيس الوفد السوري فارس الخوري نجم الدورة .

واكب الشقيري الأحداث العربية والدولية عام ١٩٥٢ بحكم عمله أميناً عاماً مساعداً للجامعة ، ورئيساً للوفد السوري في الأمم المتحدة ، ولاحظ المدّ الثوري في سورية ومصر الذي تغذيه قضية فلسطين وتحرّكه ، وبعد قيام الثورة المصرية في ٢٣ تموز / يوليو ١٩٥٢ ، طلبت مصر إلى الشقيري معاونة عبد الخالق حسونة الذي اختير أميناً عاماً لجامعة الدول العربية ، بعد استقالة عبد الرحمن عزام ، وتكررت لقاءات الشقيري بقادة الحكم الجديد في مصر ، وكان يحثّهم على نقلِ روح الثورة إلى داخل الجامعة العربية سعياً لتطويرها ، وكلّفه الرئيس محمد نجيب بإعداد مذكرة وافية عن الجامعة العربية واقتراحاته لإصلاح ميثاقها وأجهزتها .

في دورة الأمم المتحدة عام ١٩٥٢ ، رأت أميركا و « إسرائيل » أن الضعف العربي ، وانشغال العرب في شؤونهم الداخلية ، يعطي الفرصة لفرض سياسة الأمر الواقع ، فافتتح وزير الخارجية « الإسرائيلي » « أبا إيبان » ، المناقشة في الأمم المتحدة ، وعرض الخطوط العريضة لمشروع سلام تولى الشقيري - باتفاق الوفود العربية - الرد عليه ، بما يحمل من ملفات جاهزة وخلاصة سنوات نضالٍ طويلة ، فشرح أساليب التضليل في الدعاية الصهيونية ، والمؤامرة منذ وعد بلفور ، وسنوات الانتداب ، وثورات الشعب الفلسطيني ، والتقسيم الذي أدى إلى الاحتلال وتشريد الشعب الفلسطيني ، وأخيراً قام الشقيري بتفنيد مشروع « أبا إيبان » معتمداً في ذلك على مصادر ومراجع بريطانية ويهودية ألجمت وزير الخارجية « الإسرائيلي » ، وسرعان ما وضع الأميركان مشروع الثمانية ، الذي يقترح مناشدة الفريقين الدخول في مفاوضات مباشرة ، فأقنع الشقيري فيشنسكي رئيس الوفد السوفييتي الذي صوّت هو وجميع الدول الاشتراكية ضد القرار ، فوقف الشقيري على منبر الأمم المتحدة يشكر الاتحاد السوفييتي ويدين الدول الغربية على مسمع أعضاء الوفود العربية ووسط تخوّفهم .

في خريف ١٩٥٣ ترأس الشقيري الوفد السوري إلى الأمم المتحدة ، وضمّ إلى الوفد الباهي الأدغم من تونس وأحمد بلافريج من المغرب بصفة استشارية ، فاحتجّ المندوب الفرنسي وانبرى له الشقيري يُفنّد حجج الفرنسيين ، ويهاجم استعمارهم للشمال الأفريقي الذي فجّر الثورة أوائل الخمسينيات . وفي هذه الدورة التقى الشقيري بوزير خارجية الاتحاد السوفييتي ، وطلب منه تزويد سورية بالأسلحة .

واكب الشقيري قضية ليبيا حول الممتلكات الإيطالية الموجودة فيها بعد الاستقلال ، فاستدعته الحكومة الليبية عام ١٩٥٤ للإفادة من رأيه القانوني في القضية ، والتقى الملك إدريس السنوسي ، ثم أنجز مهمته وعاد إلى القاهرة ، وسافر بعدها إلى مدريد حاملاً رسالة من الرئيس المصري محمد نجيب إلى الرئيس

الإسباني فرانكو لكسب دعم إسبانيا لشعب مراكش ضد المُستعمر الفرنسي ، لكنّ الحكومة الفرنسية أفشلت مهمته ، واستدعي بعدها إلى دمشق للإعداد لمؤتمر باندونج المنعقد في نيسان / أبريل ١٩٥٥ ، الذي اتضح فيه انقسام العالم إلى كتلتيه الشرقية والغربية ، وفيه حاولت « إسرائيل » الحيلولة دون عرض قضية فلسطين ، لولا إصرار الشقيري الذي أسفر عن قرار للمؤتمر قريبٍ من قرارات الأمم المتحدة ، وكسب تأييد رئيس وزراء الصين للقضايا العربية .

مندوباً للسعودية في الأمم المتحدة :

تراجع اهتمام الأمم المتحدة بقضية فلسطين ، وأوكلت أمرها إلى اللجنة السياسية الخاصة ، التي عدّتها قضية لاجئين راحت تستجدي لهم الدواء والكساء والغذاء ، وتراجع كذلك اهتمام العرب بالقضية ، فلم يعد وزراء الخارجية العرب يحرصون على حضور دورات الأمم المتحدة ، بينما ظل الشقيري فيها حاضر العقل والجسم والوجدان مُنافِحاً عن قضايا الأمة ، فقد استعاره الملك سعود من سورية ليكون ممثلاً للسعودية في الأمم المتحدة عام ١٩٥٧بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، الذي مكّن « إسرائيل » من فتح طريق الملاحة عبر مضائق تيران إلى ميناء إيلات ، فتصدى الشقيري لوزراء خارجية أميركا وإنجلترا وفرنسا لموقفهم من القضايا العربية .

عام ١٩٥٨ تشكّلت الجمهورية العربية المتحدة من الوحدة بين مصر وسورية ، ودخلت اليمن معهما في اتحاد فيدرالي ، وسقط النظام الملكي في العراق ، وأنزلت أميركا قواتها في لبنان ، بينما أنزلت بريطانيا قواتها في الأردن ، وانعقدت الدورة الطارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة في آب / أغسطس ١٩٥٨ ، وفيها ردّ الشقيري على خطاب الرئيس الأميركي أيزنهاور ، ومبدأ ملء الفراغ الذي حمل اسمَهُ بخطابٍ مُطوّل أثار ضجّةً صحفية عالمية ، وخلق أزمةً سعودية أميركية .

بعد أن شارك الشقيري في اجتماعات الدورة الثانية والثلاثين لمجلس جامعة الدول العربية المنعقد في الدار البيضاء في أيلول / سبتمبر ١٩٥٩ ، شارك في دورة الأمم المتحدة للعام نفسه ، فدعا العالم إلى الاهتمام بالقدس المجزأة ، كما يهتم ببرلين المجزأة ، حين قال : (بينما يتركز اهتمام العالم وقلقه على برلين المجزأة ، كمستودع البارود ، الذي قد يفجر الحرب ، فإن شررها قد يندلع من القدس المجزأة) .

وكانت دورة الأمم المتحدة عام ١٩٦٠ ، عالية المستوى ترأس فيها رؤساء الدول والحكومات وفود بلادهم ، وتحدث الرئيس الأميركي أيزنهاور والسوفييتي خروشوف الذي لوح فيها بحذائه ودقّ به أمامه، وعبد الناصر وكاسترو والملك حسين ، وألقى الشقيري كلمة فلسطين، فقسم القضية إلى ثلاث مسائل : لاجئين ، وحدود ، والقدس ، وذكر أن الحل يتلخص في أن على الأمم المتحدة إعادة فلسطين إلى وحدتها ، وعودة اليهود المهاجرين ، وإنشاء دولة فلسطين الديمقراطية ، ثم رد فيها على كلمات الرؤساء الغربيين ، ما دعا الصحافة الغربية إلى مهاجمته هجوماً عنيفاً .

على الرغم من الصداقة التي كانت تربط الشقيري بالأمير فيصل الذي كان وزير الخارجية السعودية آنذاك ، فقد وصل الخلاف بينهما أوجه عام١٩٦٢بسبب أزمة اليمن بين مصر والسعودية ، إذ طلبت السعودية من الشقيري ، أن يبلغ مجلس الأمن بصفته ممثلاً لها في الأمم المتحدة ، عن اعتداءات مصر على حدودها ، لكنه كان يرى من الخير أن تعرض هذه الخلافات على الجامعة العربية ، في نطاق الأسرة الواحدة ، وقد ظل على رأيه على الرغم من طلب الأمير فيصل منه أن يلتزم بتنفيذ التعليمات لا أن يقوم بتفسيرها ، وقبل انعقاد الدورة التالية بلغه قرار الأمير فيصل في آب / أغسطس ١٩٦٣ بإنهاء عمله رئيساً للوفد السعودي في الأمم المتحدة ، وكان الشقيري حينها يُمضي إجازته في لبنان ، وقد آثر الصمتَ ولم يُعلّق على القرار حرصاً على المصلحة العربية ، بينما شكّل هذا القرار نقطة تحوّل كبرى في حياة الشقيري .

إنشاء الكيان الفلسطيني :

صار منزل الشقيري في لبنان ملتقى وفود وشخصيات فلسطينية ، زادت من خلالها معرفتُهُ بالنشاط الوطني الفلسطيني ، وفي أيلول / سبتمبر ١٩٦٣ تلقى برقية من الجامعة العربية ، ورسالة شفوية من الرئيس جمال عبد الناصر تُرشّحه لمنصب ممثل فلسطين في الجامعة العربية إثر وفاة أحمد حلمي باشا ، فوافق بعد تردد ، وغادر إلى القاهرة ، وانعقد مجلس الجامعة لبحث موضوع تمثيل فلسطين في مجلس الجامعة ، ونصّ قرار المجلس على أن يكون اختيار الشقيري للمنصب نافذاً إلى أن يتيسّر للشعب الفلسطيني اختيار ممثله لدى الجامعة ، وقد ألقى الشقيري في المجلس خطاباً قوياً مفاجئاً أكّد فيه أن لا حلّ للقضية الفلسطينية في الأمم المتحدة ، بل في الوطن العربي ، وفي الوحدة العربية ، واللافت في الخطاب أن الشقيري تحدث فيه مطولاً وبقوة عن (الكيان الفلسطيني) حديث المطمئن إلى أن إقرار الكيان من قبل الجامعة العربية قد أصبح مسلماً به ، أو أنه غدا أمراً شبه واقع بعد أن كان لسنوات عديدة خلت موضع تجاذب دائم في الجامعة ، يحول دون تبنيه ، وذلك نظراً لحالة الاستقطاب التي كانت سائدة

وبقوة في الواقع العربي .

ويبدو الآن أن عاملين أساسيين دفعا بهذا الاتجاه هما انتصار الثورة الجزائرية ، التي أثارت حراكاً فلسطينياً سرياً وعلنياً بقيام مجموعات فدائية سيكون لها - إن تركت لتأخذ مداها - انعكاسات غير محسوبة على واقع النظام العربي برمته ، والآخر هو تحويل مجرى نهر الأردن ، الذي وضع هذا النظام أمام تحد خطير ودقيق .

وذلك ما هيأ بشكل خاص فرصة أمام الرئيس عبد الناصر لإحياء مشروع الكيان الفلسطيني بقوة ، ووجد في أحمد الشقيري الشخص المؤهل لحمله ، من بوابة شغور موقع ممثل فلسطين في الجامعة العربية ، بوفاة أحمد حلمي عبد الباقي ، وقد كان أحمد حلمي يمثل حالة شيخوخة سياسية لا تستطيع ولا ترغب - بحكم ما سبق - أن تطرح فكرة الكيان ، إذ هي لا تستند إلى ثقة شعبية على المستوى الفلسطيني ، فهو يمثل الحالة الفلسطينية التي حُمِّلت - على نحو ما - مسؤولية حلول النكبة في جانبها الفلسطيني ، وعدم مواجهتها لاحقاً ، فيما الشقيري على النقيض من كل ذلك .

الشقيري ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية

ويبدو أن الاعتبارات التي دفعت مصر إلى ترشيح الشقيري ، وجد فيها الشقيري فرصة تاريخية لإعادة بعث كيان الشعب الفلسطيني برؤية كان قد رسمها في خياله .

وقد كانت الحاجة إلى من يمثل فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تدعو إلى الاستعجال في اختيار ممثل فلسطين في الجامعة العربية ليرأس وفدها إلى الأمم المتحدة . ويبدو أن الشقيري قد اتفق مع عبد الناصر على قبول تمثيل فلسطين في الجامعة ، وأن تكون مهمته هي العمل على خلق الكيان ، ولهذا نجد في نصّ كلمته بعيد اختياره مندوباً لفلسطين في مجلس جامعة الدول العربية في شهر أيلول / سبتمبر ١٩٦٣ الآتي نصها ، إصراراً على الكيان ، بل وحديثاً في عمق الغايات الموجبة ، وأهدافه المرتجاة ، طرحها على شكل رسائل طمأنة وجهها إلى الفريق العربي الذي يوجس خيفة من قيام الكيان ومآلاته : -

السيد رئيس المجلس ، السيد الأمين العام

سادتي رؤساء وأعضاء الوفود العربية في هذا المجلس الموقر

أشكر لمجلسكم الموقر ثقتكم الغالية ، التي أوليتموني إياها باختياري مندوباً لفلسطين لدى مجلس الجامعة ، وإني لأرجو مخلصاً أن أكون عند هذه الثقة الغالية ، وأن أؤدي لهذه الأمانة الثقيلة حقها ، ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

وكم كنت أتمنى من كل جوارحي أن يتم اختياري بصورة إجماعية لا بالنسبة لشخصي ، ولكن بالنسبة للقضية المقدسة التي هي قضية العرب جميعاً ، غير أنني سوف أبذل من جانبي قصارى جهدي - بعد انفضاض المجلس - لأنتزع الثقة التي انحجبت عني أثناء انعقاد المجلس ، وسوف أنتهز أول فرصة لأتصل بالرياض وعمان لتحقيق هذه الغاية . وعلى كل فسوف أمضي في المهمة التي ألقيت على عاتقي ، والمهمة العاجلة التي أمامي هي تأليف الوفد الفلسطيني ، وسفره إلى الأمم المتحدة للدفاع عن قضية فلسطين ، وإنني أطمع في تأييدكم جميعاً لي في مهمتي الشاقة في هذه القضية الغالية ، في الظروف الدقيقة التي تجتازها قضية فلسطين في الأمم المتحدة .

وإني حريص كل الحرص ، ألا ندع أمام « إسرائيل » مجالاً تدعي فيه أن الوفد الفلسطيني لا يمثل وجهات النظر العربية بكاملها ، وكل ما أطمع فيه مخلصاً وصادقاً وأرجوه من أعماق نفسي ، ألا نجد أنفسنا في الأمم المتحدة نواجه مثل هذا الموقف . ولا بد لي وأنا ماثل أمام مجلسكم الموقر لأول مرّة أن أعرض لطائفة من الأمور ، سواء منها ما يتصل بمنصبي أو ببعض جوانب القضية الفلسطينية التي تثير الاهتمام في الوقت الحاضر .

ويهمني قبل كل شيء أن أؤكد لمجلسكم الموقر ، أنني لا أرى في منصبي هذا عملاً روتينياً يقتصر على المشاركة في أعمال المجلس مرتين كل عام ، فإن القضية الفلسطينية تمثل فيها نكبة مروعة أصابت شعباً برمّته في أقدس ما يملك ، وهي لذلك تأبى بطبيعتها وجوهرها أن تحتمل الروتين من قريب أو من بعيد .

ولست أرى كذلك في منصبي عملاً دبلوماسياً ، ففلسطين ليست دولة مستقلة تأخذ بالأعراف الدبلوماسية ، هذا فضلاً عن أن الدول المستقلة نفسها قد عزفت أخيراً عن كثير من الأساليب التقليدية ، وأخذت بأساليب التفكير الثوري .

وفوق ذلك ، فإني لا أرى هذا المنصب وظيفة ذات راتب أو مكافأة ، فهي عندي واجب قومي ليس لي أن أتقاضى عليه أجراً أو شكراً ، وإنني أقبله من غير راتب ، وكل ما يستحق له من مكافآت فإنني أحيله من الآن إلى صندوق فلسطين من أجل تحرير فلسطين .

وعلى هذا أعتبر أن المنصب الذي عهد إليّ منصب نضالي ، تملكه أمة تريد أن تناضل من أجل تحرير الوطن .

ويعلم مجلسكم الموقر ، أني قد تهيبت هذا المنصب منذ سمعت الهمسات الأولى حول اختياري للقيام به ،

ولقد أشفقت على نفسي أن أحمل هذه الأمانة الجسيمة ، ووراءها تلك التركة الثقيلة الدامية ، ولكن لم يكن أمامي خيار ، فنحن الذين نريد أن نتصدى للعمل الوطني لا يصح أن نهرب من العمل خشية الفشل ، وقد أقدمت وأنا أعرف الصعوبات التي هي في طريقي .

في الواقع ، أيها السادة ، أحسست منذ أن توليت العمل أنني بدأت أواجه الصعوبات وهي تتراكم أمامي . ولم يكن هذا مفاجأة لي ، فقد عشنا جميعاً هذه الصعوبات ، وتمرسنا بها ، منذ أن نزلت بنا هذه النكبة .

وليست أولى هذه الصعوبات ، أيها الإخوان ، تحالف الاستعمار والصهيونية ، فإن أصعب الصعوبات في تقديري ، هو حال القضية الفلسطينية على الصعيد العربي ، وحال القضية الفلسطينية في الوطن العربي نفسه ، تلك هي الصعوبة الأولى في نظري .

إن قضية فلسطين محاطة الآن بجوّ ثقيل مشحون بالأحداث العربية المؤلمة ، وإذا استمر مثل هذا الجو فسوف تظل فلسطين متردية في الهاوية التي انتهت إليها . وإن على الجامعة العربية مسؤولية كبيرة في أن تجعل من قضية فلسطين عامل وحدة تحلّ محل الخلاف والفُرقة ، على أنه إذا وجدت هذه الخلافات طريقها إلى الجامعة ، فما دمت في منصبي هذا فإن موقفي منها واضح وصريح وقاطع : لن أكون طرفاً في هذا النزاع ، ولن أكون مع دولة عربية ضد دولة عربية أخرى . إن ولائي من أعماق ضميري سوف يكون لفلسطين ولقضيتها ، وفي إطار من الوحدة العربية الكبرى ، وعلى هذا العهد والميثاق أتطلع إلى تأييدكم وإلى ثقتكم .

والصعوبة الثانية التي أجدها في طريقي الآن ، هي ما ثار من شكوك ومخاوف بصدد الكيان الفلسطيني ، فلقد قيل مثلاً إن الكيان الفلسطيني يهدف إلى غرضين : أولهما ، سلخ الضفة الغربية عن المملكة الأردنية الهاشمية وإقامة حكومة فلسطينية فيها ، وثانيهما أن تتخلى الدول العربية عن قضية فلسطين ، وأن تلقي أعباءها كلها على أهل فلسطين وحدهم . وكلا الأمرين ، أيها السادة ، باطل لا أساس له من الصحة ، وأريد أن أنتهز هذه المناسبة لأقولها كلمة واضحة وصريحة وقاطعة :

أولاً : إن الكيان الفلسطيني لا يقصد منه أن تتخلى الدول العربية عن واجبها القومي في العمل من أجل تحرير فلسطين . إن تحرير فلسطين تبعة قومية كبرى تقع على كاهل الأمة العربية بأسرها : حكومات وشعوباً ، ومن جملتها الشعب الفلسطيني ، فليس الهدف من الكيان الفلسطيني إلقاء العبء على أهل فلسطين وحدهم ، ولا تركهم في الميدان وحدهم ، ولكن القصد من الكيان الفلسطيني هو تعبئة الطاقات الفلسطينية لتمكين الشعب العربي الفلسطيني من القيام بدوره في تحرير وطنه . إن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم في معزل عن أهل فلسطين ودون أهل فلسطين . ولا يعرف تاريخ النضال سابقة واحدة تم فيها تحرير أي وطن بغير كفاح أهله وتضحية أبنائه . إن أهل فلسطين قد أصبحوا قوة غير عاملة في الحقل العربي منذ ستة عشر عاماً ، والكيان الفلسطيني يهدف إلى أن يصبح أهل فلسطين قوة وطنية عاملة ، تسهم في تحرير فلسطين .

إن الكيان الفلسطيني يريد أن يُمكّن للكفاءات السياسية الفلسطينية أن تعمل في الميدان السياسي من أجل فلسطين . وأن يُمكّن للكفاءات التنظيمية من العمل في ميدان التنظيم من أجل فلسطين ، وخاصة من أجل إنشاء صندوق قومي لفلسطين ، يحقق كل برنامج يهدف إلى تحرير فلسطين .

وكذلك فإن الكيان الفلسطيني يريد أن يُمكّن للقادرين على حمل السلاح من أبناء فلسطين أن يحملوا السلاح لتحرير فلسطين . وليس لنا أن ننسى بهذه المناسبة أن للجندي الفلسطيني تفوقاً على غيره في ميدان البطولة والبسالة بسبب معرفته بوطنه ، مداخله ومخارجه ، جباله ووديانه ، وبسبب العاطفة الجارفة التي تجيش في صدره .

وعلى الجملة ، أيها السادة ، فإن الكيان الفلسطيني يهيئ الأسباب للاستفادة من الطاقات الفلسطينية بين جماهير الشباب والطلاب والعمال والفلاحين وكل الفئات الفلسطينية ، ليكونوا قوة نضالية في الميادين السياسية والتنظيمية والعسكرية . هذا هو المفهوم الأساسي لكيان فلسطين .

ثانياً : إن الكيان الفلسطيني لا يهدف إلى سلخ الضفة الغربية ، وليس من شأنه أن يتعرض للكيان الأردني من قريب أو من بعيد . وإن سلخ الضفة الغربية وإقامة حكومة فلسطين فيها ليس من أهداف الكيان الفلسطيني ، فضلاً عن أنه لا يجول في خاطر أحد . ليس هدفنا الضفة الغربية ، ولكن هدفنا هو غرب الضفة الغربية . الهدف هو « إسرائيل » ، الهدف هو تحرير فلسطين من « إسرائيل » ، وحين يتم تحرير فلسطين سيقرر أهل فلسطين مصيرهم ومستقبلهم السياسي وفق مشيئتهم ، فلهم أن ينشئوا دولة مستقلة ، ولهم إذا شاءوا أن يدخلوا في اتحاد أو وحدة مع أية دولة عربية أخرى ، كأي شعب في هذه الدنيا ، من حقه أن يقرر مصيره في كل زمان وفي كل مكان .

أما الصعوبة الثالثة ، فإنها تكمن في الظروف التي تحيط بقضية فلسطين في جامعة الدول العربية .. وأنا هنا أتكلم عن معرفة وممارسة بشؤون الجامعة ، لأنني عملت في الجامعة العربية سبع سنوات ، كنت مسؤولاً خلالها عن قضية فلسطين .

لقد أصدر مجلسكم الموقر في هذه الدورة ثلاثة قرارات ، وإن لي بصدد هذه القرارات مهمة يجب عليّ القيام بها . إن مهمتي ليست حضور هذه المناقشات وانتهى ، ولا الاشتراك في القرارات وكفى ، ولا بإلقاء هذه الكلمة وانتهى ، إن عليّ واجباً آخر متلاحقاً متوالياً متتابعاً ، إن واجبي أن أحمل هذه القرارات إلى وزارات الخارجية لأطالب وألحّ في تنفيذها ، وقد يكون هذا العمل من جانبي خارجاً عن الأعراف الدبلوماسية المألوفة . لست هنا في منصب دبلوماسي وإن قضيتنا ليست قضية دبلوماسية بل قضية نضالية . وإن أبواب وزارة الخارجية في كل بلد عربي يجب أن تكون مفتوحة لخدمة هذه القضية .

أقول هذا ، وقد سألت بالأمس الأمانة العامة عن عدد القرارات التي أصدرتها الجامعة العربية عن قضية فلسطين منذ تأسيسها . وقد علمت من الأمانة العامة أن هذه القرارات قد بلغت حتى هذه الدورة ٥٨٩ قراراً . وهذا العدد الكبير ، أيها السادة ، ليس دليل الصحة والعافية ، ولكنه يدل على خلل كبير يجب أن نضع أناملنا عليه جميعاً ، وأن نجد له العلاج الشافي ، وذلك في نظري لا يتصل بقضية فلسطين وحسب ، ولكنه يتصل بكرامة الجامعة العربية ، وثقة الشعوب العربية بها .

لقد جُرحت الجامعة العربية في سمعتها جرحاً عميقاً بسبب قضية فلسطين ، وما زال هذا الجرح دامياً . وعلى الجامعة العربية أن تبذل قصارى جهدها لتدعيم مكانتها ، وتأكيد ثقة الشعب العربي بها ، بوصفها أكبر منظمة عربية تملكها الأمة العربية في الوقت الحاضر . أقول هذا وأنا على علم تام بالجهود المشكورة الغالية التي يقوم بها السيد الأمين العام في كل مناسبة ، وفي كل ظرف لتدعيم الثقة بالجامعة العربية ، وجعلها أداة فاعلة في خدمة القضايا العربية ، وفي خدمة قضية فلسطين بصورة خاصّة .

وإنني ، أيها الإخوان ، كما أشرتم في قراركم الأخير سوف أسافر إلى الأمم المتحدة ، لبذل جهدي مع إخواني الذين يقع عليهم الاختيار للدفاع عن هذه القضية المقدسة ، وأنا أعلم أن الأمم المتحدة ليست خاتمة المطاف في هذه القضية الوطنية . أقول هذا ولي الخبرة المتواضعة في هذه القضية ، وتعلمون - كما أعلم - أنه لا حلّ لهذه القضية في الأمم المتحدة ، وأن الحل يجب أن نلتمسه في الوطن العربي وفي الوحدة العربية ، ولكن للأمم المتحدة دوراً وهو ما لا يصح أن نتركه ونتخلى عنه ، لذلك سوف أؤدي واجبي في الأمم المتحدة ، على ألا يُنسينا هذا الواجب أداء الواجب الأقدس .

وعندما أفرغ من الأمم المتحدة ، سوف أزور البلاد العربية ، بلداً بلداً لنرى الطريق الأمثل لنقل هذه القضية من الجمود الذي تعانيه إلى النشاط الذي نريده ونصبو إليه .

هذا ما أطمع فيه ، وسوف أسير في هذا الطريق إلى نهايته بكل صبر وبكل عزيمة ، فإذا أفلحت فذلك ما أرجوه ، وذلك ما أدعو الله لتحقيقه ، وإلا فسوف أعيد هذه الأمانة إليكم ، وسوف أظل من جانبي أعمل لفلسطين ما حييت ، منتهجاً كل طريق أجده أمامي مفتوحاً .

لقد طال الزمن على هذه القضية ، ولم يعد الزمن في صالحنا ، وليس علينا أيها السادة إلا أن نحزم أمرنا ونوحد كلمتنا حتى نبلغ النصر ، فإن كل أسباب النصر متوافرة لنا ، وحين تتجمع هذه الأسباب في أيدينا ، فهناك موارد البلاد العربية المادية والروحية ، ودونكم الشعب الفلسطيني في عزمه وتصميمه على استرداد وطنه ، ولا يبقى إلا أن نوجه هذه الطاقات الضخمة إلى طريق واحد وهدف واحد .

ويقيني أن النهاية سوف تكون النصر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

ألّف الشقيري الوفد الفلسطيني الذي سافر إلى الأمم المتحدة ، وعرض القضية الفلسطينية ، فحقّق بذلك أول انتصار سياسي ، وأكّد وجود الشخصية الفلسطينية بعد أن كانت القضية تعالج كقضية إنسانية فقط .

وفي رحلة العودة أواخر ١٩٦٣ سافر الشقيري إلى تونس بدعوة من الحبيب بورقيبة ، وبصفته ممثل فلسطين في الجامعة ، ثم استُقبل في الجزائر استقبالاً رسمياً وشعبياً حافلاً ، وحظي بتأييد الرئيس أحمد بن بيلاّ لقضية فلسطين ، ثم انتقل إلى المغرب وسعى في إصلاح علاقة الملك الحسن الثاني بالرئيس جمال عبد الناصر . وشارك الليبيين بعد ذلك احتفالاتهم بذكرى الاستقلال .

القسم الثالث

منظمة التحرير الفلسطينية
١٩٦٤ - ١٩٦٧

الفصل الخامس
من قرار التكليف إلى إعلان قيام المنظمة

الفصل السادس
منظمة التحرير الفلسطينية في مرحلة الشقيري ١٩٦٤ - ١٩٦٧

الفصل السابع
المنظمة ومؤتمر قمة الخرطوم

الفصل الثامن
اللجنة التنفيذية ورياح الفتنة

الفصل الخامس

من قرار التكليف إلى إعلان قيام المنظمة

١ - قرار التكليف و إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية

٢ - نتائج اتصالات الشقيري العربية والمحلية

٣ - المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس ٢٨ / ٥ - ٢ / ٦ / ١٩٦٤ :

- أعضاء المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس
- خطاب الملك حسين في المؤتمر
- كلمة الأستاذ عبد الخالق حسونة
- خطاب الشقيري في افتتاح المؤتمر
- تقرير عن المؤتمر : قدمه عبد الرحمن السكسك
- كلمة الشقيري في ختام المؤتمر

٤ - قيام منظمة التحرير الفلسطينية - رواية محمود رياض

٥ - مخاض الميلاد في قمة الإسكندرية (رواية محمود رياض)

قرار التكليف الصادر عن قمة القاهرة
١٣ / ١ / ١٩٦٤

« يستمر السيد أحمد الشقيري ، ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني ، بغية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني ، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » .

إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية
٢ / ٦ / ١٩٦٤

إيماناً بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المقدس فلسطين ، وتأكيداً لحتمية معركة الجزء المغتصب منه ، وعزمه وإصراره على إبراز كيانه الثوري الفعال ، وتعبئة طاقاته وإمكانياته وقواه المادية والعسكرية والروحية .

وتحقيقاً لإرادة شعبنا وتصميمه على خوض معركة تحرير وطنه بقوة وصلابة ، طليعة مقاتلة فعالة للزحف المقدس .

أُعلن - بعد الاتكال على الله - باسم المؤتمر العربي الفلسطيني الأول ، المنعقد في مدينة القدس في هذا اليوم السادس عشر من محرم عام ١٣٨٤ ، الموافق الثامن والعشرين من أيار / مايو عام ١٩٦٤ ، قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، قيادة معبئة لقوى الشعب العربي الفلسطيني لخوض معركة التحرير ، ودرعاً لحقوق شعب فلسطين وأمانيه ، وطريقاً للنصر .

رئيس المؤتمر الفلسطيني الأول
أحمد الشقيري

نتائج اتصالات الشقيري العربية والمحلية

وبموجب التكليف السابق ذكره قام الشقيري بهذه المهمة فجال في الأقطار العربية واتصل بالمسؤولين فيها ، وعقد لقاءات مع الفلسطينيين المقيمين فيها شارحاً لهم مهمته مبينا أهمية قيام كيان فلسطيني يجمع شملهم ويوحد كلمتهم ويبلور أهدافهم ويبين وسائل تحقيقها . وقد عرض نتائج لقاءاته واتصالاته على شكل مذكرة ألقاها أمام لجنة المتابعة المؤلفة بموجب قرار مؤتمر القمة العربي الأول في نيسان / أبريل ١٩٦٤ ، فيما يأتي نصها :

« إن قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي كانت تلح بإبراز الشخصية الفلسطينية وإقامة كيان لشعب فلسطين ، يمكّنه من العمل لخدمة بلاده في جميع الحالات العسكرية والسياسية والإعلامية والتنظيمية .

وفي كانون الثاني/ يناير ١٩٦٤ انعقد الاجتماع التاريخي لمجلس ملوك العرب ورؤسائهم ، وكان في جملة ما قرره السعي لإنشاء الكيان الفلسطيني على خير القواعد السليمة .

وبعد صدور هذا القرار وضعت الخطوط الرئيسة للكيان الفلسطيني في وثيقتين رئيستين :

- مشروع الميثاق القومي الفلسطيني ، ويتضمن الأهداف الأساسية والمبادئ العامة لقضية فلسطين بالنسبة لشعب فلسطين .
- مشروع النظام الأساس لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وبعد إعداد هذين المشروعين رأيت أن اتصل بالدول العربية والشعب الفلسطيني تنفيذاً لقرار مجلس الملوك والرؤساء ، وكان أول اتصالاتي بالجمهورية العربية المتحدة ، فاستقبلني الرئيس جمال عبد الناصر وعرضت على سيادته مشروع الكيان الفلسطيني ومراحل الخطة العملية لإنشائه ، وقد أعرب عن تأييده وتشجيعه لجميع الخطوات التي تؤدي إلى قيام كيان فلسطيني .

وفي القاهرة قابلت عدداً من وفود الفلسطينيين المقيمين في مصر ، ووفوداً أخرى قدمت من البلاد العربية ، وكان الإجماع تاماً على ضرورة قيام هذا الكيان المقترح وتأييده تماماً .

وشرعت أكمل جولتي في الدول العربية ، فبدأت بزيارتي إلى المملكة الأردنية الهاشمية ، واجتمعت بالملك حسين ووزرائه عدة اجتماعات ، وقد أصدر مجلس الوزراء الأردني برئاسة الملك حسين قراراً بالتأييد الكامل ، كما وافق على افتتاح المؤتمر .

وسافرت بعد ذلك إلى سورية ، وبدأت اتصالاتي على المستوى الرسمي والفلسطيني ، وقد أبدى المسؤولون في الجمهورية العربية السورية التأييد لقيام كيان فلسطيني قادر على تحمل المسؤوليات القومية .

بالنسبة للإخوان الفلسطينيين فقد استقبلت عشرات الوفود الذين يمثلون اللاجئين ، سواء من هم منهم في المخيمات أو من سكان المدن والقرى ، وقد أعربوا عن تأييدهم الكامل للكيان الفلسطيني ، والمبادرة إلى إنشائه ، واستعدادهم لتأييد المؤتمر بكل إمكاناتهم .

ومن دمشق سافرت إلى بغداد ، واجتمعت برئيس الجمهورية المشير عبد السلام عارف وعدد كبير من المسؤولين العراقيين ، وفي الكويت زرت صاحب السمو أمير دولة الكويت ، وشرحت له مراحل العمل لإنشاء الكيان الفلسطيني ، ولقيت استجابة تامة .

وسافرت إلى البحرين وقطر وفيهما لقيت ترحيباً من صاحبي العظمة حاكميهما ، وعقدت اجتماعات شعبية مع الفلسطينيين أعلنوا فيها وقوفهم إلى جانب الكيان وعزمهم على تأييده .

وفي لبنان اجتمعت بفخامة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ، فأعربوا عن تشجيعهم واستعداد لبنان لتأييد الكيان الفلسطيني ، وقد أعربت جماهير الشعب الفلسطيني عن التأييد للكيان والخطوات المقترحة لإنشائه .

ومن بيروت سافرت إلى جمهورية السودان ، وغداة وصولي إلى الخرطوم اجتمعت بمعالي الفريق الرئيس عبود ووزير خارجيته وعدد كبير من المسؤولين ، وقد لقيت في السودان كل تأييد وتشجيع وترحيب . وقد استقبلت وفداً من الفلسطينيين فكان جوابهم لا يختلف عن جواب إخوانهم في باقي الدول العربية .

وقد قمت بزيارة قطاع غزة في شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٦٣ وعقدت مؤتمرات شعبية كبرى ضمن جماهير الشعب الفلسطيني شرحت فيها المعالم الرئيسة للكيان الفلسطيني ، وكان التجاوب والتأييد على أشده .

وقد جاءت الجولة حملة توعية كبرى لقضية فلسطين بصورة عامة وللكيان الفلسطيني بصورة خاصة ، وقد أعلن عدد كبير من شباب البلاد العربية عن رغبتهم في التطوع لتحرير فلسطين والمساهمة في جمع الجهود الرامية لخدمة القضية .

أما بالنسبة للشعب الفلسطيني بكل فئاته فقد كان الحماس منقطع النظير للكيان الفلسطيني ، ومن الهتافات التي أطلقتها ألسنة الشعب في كل مكان بعفوية « ياشقيري بدنا سلاح » « ياشقيري هات سلاح وخذ رجال » .

ويسرني أن أعلمكم أنني قد وجهت الدعوة إلى أصحاب الجلالة الملوك والرؤساء ليحضروا حفل افتتاح المؤتمر شخصياً ، أو من ينوب عنهم » .

كانت أول خطوة عملية قام بها الشقيري ، على طريق بعث الكيان الفلسطيني وإعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، عقد المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس في الثامن والعشرين من شهر أيار / مايو وحتى الثاني من شهر حزيران / يونيو ١٩٦٤ .

المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس ٢٨ / ٥ - ٢ / ٦ / ١٩٦٤

أعضاء المؤتمر *

الأردن :

الأعيان والنواب

- حكمت المصري (نابلس)
- الشيخ محمد علي الجعبري (الخليل)
- هاشم الجيوسي (جيوس/طولكرم)
- رشاد الخطيب (الخليل)
- الحاج فؤاد عبد الهادي (نابلس)
- عبدالرحيم ارشيد (جنين)
- محمد سعيد يونس (قلقيلية)
- ميتا مروم (القدس)
- راشد النمر (نابلس)
- إميل حنا صافية
- داوود الشخشير (نابلس)
- أحمد محمود حجة (دورا / الخليل)
- صدقي الجعبري (الخليل)
- الدكتور قاسم الريماوي (بيت ريما / رام الله)
- أيوب مسلم (رام الله)
- عيسى عقل (رام الله)
- عفيف بطارسة
- معروف رباع (جنين)
- محمد ارشيد (جنين)
- أنور نسيبة (القدس)
- حسن الكاتب (القدس)
- رفيق الحسيني (القدس)
- حافظ الحمد الله (عنبتا / طولكرم)
- وديع دعمس (بيت جالا)
- عبد الرحيم الشريف (الخليل)
- عبد الله جودة (البيرة)
- كامل عريقات (القدس)
- عبد الرؤوف الفارس (طلوزة / نابلس)
- عبد الله الخطيب (نابلس)
- يوسف عبد الحميد التكروري (الخليل)
- إسماعيل حجازي (الخليل)
- إسماعيل أبو علان (الظاهرية / الخليل)
- محمد أحمد البرغوثي (دير غسانة / رام الله)
- حسن عبد الفتاح درويش (العباسية / يافا)
- موسى عيسى عابدة
- فوزي جرار (جنين)
- عبد الله الفياض (طولكرم)
- الحاج علي الدجاني (القدس)

عمان

- أحمد الخليل (حيفا)
- الحاج أحمد سعد
- إسحق النشاشيبي (القدس)
- إسماعيل النحاس (الرملة)
- جريس نجمة
- الدكتور بشير البسطامي (نابلس)
- حسن حوّا (عكا)
- خليل عيسى (صفد)
- خلوصي الخيري (الرملة)
- سلامة توفيق الكيالي (الرملة)
- الحاج عبد الله محمد خليفة
- الدكتور سيف الدين الكيلاني (نابلس)
- علي الزعبي
- مالك المصري (نابلس)
- محمد سعيد الهنيدي (اللد)
- ميشيل العيسى (يافا)
- أحمد سليم الدجاني (يافا)
- أسعد الدرهلي (يافا)
- إميل كردي
- أمين شاهين (نابلس)
- جميل بركات (القدس)
- جورج ذيب (القدس)
- حليم سابا (يافا)
- رمضان حماد
- سامي حبيبي (حيفا)
- سليم عرفة (يافا)
- الشيخ عبد الله القلقيلي (قلقيلية)
- عبد المجيد شومان (بيت حنينا / القدس)
- فريد السعد (جنين)
- محمد أديب العامري (يافا)
- محمد برادعي العباسي (حيفا)
- ممدوح السخن (نابلس)

(*) للاطلاع على أعضاء المؤتمر هجائياً انظر ملاحق الكتاب .

المصدر : شريف الجعبري ، **من دروب العمر** ، عمّان : المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ٢٠٠٨ ، ص ص ٢٠٠ - ٢١٠ ، مع التنقيح .

الزرقاء

- إسماعيل بدران (اللد)
- حسن رشيد (لفتا / القدس)
- حسن داوود خالد (العباسية / يافا)
- ياسين حسونة (اللد)
- الدكتور ميشيل ليوس (ترشيحا)
- تحسين الكريدلي (يافا)
- حسن زهران (القدس)
- عبد الكريم الكيالي (الرملة)
- محمد عبد الغني يوسف (جنين)
- الشيخ موسى أبو غيث (بئر السبع)

إربد

- أحمد أبو غيدا (بئر السبع)
- عثمان فؤاد فتح الله (طيرة / حيفا)
- عادل الدباح
- محمد الطيطي (عراق المنشية)
- محمد عبد العزيز الفاهوم (الناصرة)
- الشيخ سليمان قادر أبو علي
- عفيف صالح العفيفي (عراق المنشية)
- عيسى أبو زيد

مأدبا

- الشيخ حماد بن سعيد (بئر السبع)
- الشيخ فرحان أبو الخليل
- الشيخ محمد أبو شنار (بئر السبع)

العقبة

- عامر صادق علاء الدين (الرملة)
- نصرت حسين البيطار (غزة)

مخيم الكرامة

- مصطفى مرعي الجندي

الأغوار

- الشيخ سلمان أبو جريبات (بئر السبع)
- الشيخ خليل المشارقة

القدس

- أحمد علي العيساوي (القدس)
- الدكتور جورج فرح (القدس)
- جورج خضر (القدس)
- الدكتور صبحي غوشة (القدس)
- الشيخ عبد الله يوسف (القدس)
- خليل السلواني (القدس)
- الشيخ عبد الله غوشة (القدس)
- المطران نجيب قبعين (القدس)
- عبد القادر الجاعوني (القدس)
- أنطون ألبينا (بيت جالا)
- حيدر درويش (القدس)
- الشيخ عبد الحميد السائح (نابلس)
- الشيخ علي حجازي (القدس)
- المطران جبرائيل أبو سعدي (القدس)
- المونسنيور نعمة السمعان (القدس)

أريحا

- أحمد جبريل
- الشيخ عطية الوحيدي (بئر السبع)
- صبري خلف (أريحا)
- محمود محمد سعيد (العباسية / يافا)
- محمد حسني شهوان (أريحا)
- إسماعيل محمد إسماعيل
- علي يونس الحسيني (القدس)
- فوزي عريقات (أبو ديس / القدس)
- صالح عبده (أريحا)
- صفية الشقيري (عكا)
- محمود أبو نافذ

بيت لحم

- جبرا خميس (بيت لحم)
- بشارة القنواتي (بيت لحم)
- الدكتور عطا الله الرشماوي (بيت ساحور)
- عطا الله مصلح (بيت ساحور)
- الياس البندك (بيت لحم)
- محمد يونس العزة (بيت جبرين / الخليل)
- الشيخ محمد سالم الذويب (التعامرة/بيت ساحور)

رام الله

- جليل حرب (رام الله)
- سمعان داوود (القدس)
- زكي بركات (يافا)
- فائق الريماوي (رام الله)
- الدكتور موسى أبو غوش (أبو غوش / القدس)
- الدكتور محمد زهدي الدجاني (القدس)
- وديع محيسن (رام الله) (*)
- يوسف غنام

(*) وردت لدى خيرى الدين أبو الجبين (اللد) .

- عارف العارف (القدس)
- حسن العاروري (رام الله)
- عبد الكريم العلمي (القدس)
- فايق تماري (يافا)
- فؤاد كرزون (اللد)
- الدكتور موسى ناصر (بير زيت)
- نديم الزرو (رام الله)
- يوسف عز الدين
- حمدي التاجي الفاروقي (الرملة)
- عبد الرزاق عودة (سلمة / يافا)

الخليل

- الدكتور حافظ عبد النبي (الخليل)
- الشيخ سرحان بن عياض (بئر السبع)
- الشيخ سلمان العطاونة (بئر السبع)
- رشاد مسودة (الخليل)
- الشيخ سليمان الفراجين (بئر السبع)
- عبد الخالق يغمور (الخليل)
- عبد القادر عبد الرحمن (الفالوجة)
- عيد حجازي (الخليل)
- عبد الكريم الطل (الظاهرية / الخليل)
- محمد عبد الهادي العملة (بيت أولا / الخليل)
- الشيخ نمر مهنا (المسمية / غزة)
- الدكتور صبحي عمرو (الخليل)
- يوسف أبو عوض (الفالوجة)
- كمال طهبوب (الخليل)
- الحاج محمد خليل العزة (بيت جبرين/ الخليل)
- الدكتور محمد ناصر الدين (الخليل)
- الشيخ علي أبو ربيعة (بئر السبع)
- عيد الشريف (الخليل)

نـابلس

- إبراهيم الخطيب (نابلس)
- أيوب طه (بديا / نابلس)
- الدكتور أحمد سروري (نابلس)
- حسن حمد منصور
- سعيد جابر عبد الرزاق (نابلس)
- سامي كنج الظاهر
- الدكتور صلاح العنبتاوي (نابلس)
- الدكتور فارس المسعود
- علي حسن جبر (يافا)
- مصطفى البنا (يافا)
- فدوى طوقان (نابلس)
- إبراهيم صنوبر (نابلس)
- تحسين كمال (نابلس)
- جمال القاسم (نابلس)
- حمدي كنعان (نابلس)
- الدكتور شوكت الكيلاني (نابلس)
- صدقي الديب
- عبد اللطيف القدومي (نابلس)
- محمد توفيق اليحيى (حيفا)
- الدكتور محمود مصطفى عبد الجواد (يافا)
- الحاج معزوز المصري (نابلس)
- وليد الشكعة (نابلس)
- محمد أبو العافية (يافا)

جنيـن

- حسني السوقي (جنين)
- جمال قاسم عبد الهادي (جنين)
- فايق عبد العزيز
- فهمي العبوشي (جنين)
- نجيب الأحمد (رمانة/ جنين)
- محمد نجيب زيد (جنين)
- عبد الرحيم جراد (جنين)
- عبد الغني سنان (جنين)
- فايق مرعي (جنين)
- أحمد أمين السعد (يعبد/ جنين)
- فتحي القمحاوي (نابلس)

طولكرم

- إبراهيم الدرويش (المالحة / القدس)
- حسن علي الصباريني (حيفا)
- حسين عبد الله صبري (قلقيلية)
- حسني الحاج علي شديد (علاّر/ طولكرم)
- حلمي حنون (طولكرم)
- رفيق الحمد الله (عنبتا / طولكرم)
- صقر المهنا
- شكيب الجيوسي (طولكرم)
- صلاح أمين صلاح (طولكرم)
- علي السفاريني (طولكرم)

عن المغتربين

- الدكتور جمال ناصر (بير زيت)
- إسماعيل بشير
- سعادات حسن

الهيئات النسائية

- أمينة الحسيني (القدس)
- عصام عبد الهادي (نابلس)
- سميحة ثابت الخالدي (القدس)

- لمياء صلاح (نابلس)
- يسرى شاور (الخليل)
- بسمة فارس
- الحاجة عندليب العمد (نابلس)
- فايزة عبد المجيد (نابلس)
- ليديا الأعرج (بيت لحم)
- هدى عثمان الخمرا (حيفا)

النقابات والعمال

- الدكتور ألفريد طوباسي (يافا)
- عادل المنير (الرملة)
- زكي الشيخ ياسين (يافا)
- فؤاد السراج (غزة)
- محمود الشربيني
- محمد راتب غنيم (القدس)
- بدر الزعبي
- عبد القادر الزنانيري
- محمد جوهر
- وليد صلاح (نابلس)
- الدكتور وليد قمحاوي (نابلس)
- محمد الشربجي

اللجنة التحضيرية

- أحمد الشقيري (عكا)
- روحي الخطيب (القدس)
- عبد الرحمن السكسك (يافا)
- سعيد علاء الدين (الرملة)
- يوسف عبده (أريحا)
- زليخا الشهابي (القدس)
- فلاح الماضي (حيفا)
- قدري طوقان (نابلس)

الصحافة

- جمعة حماد (بئر السبع)
- نديم علم الدين (يافا)
- محمود أبو الزلف (يافا)
- رجا العيسى (يافا)
- عرفات حجازي (الخليل)

قطاع غزة

- إبراهيم السقا (غزة)
- وديع ترزي (غزة)
- أحمد محمد عبد العزيز أبو شرخ (المجدل)
- الشيخ حسن أبو جابر
- حمدي حرز الله
- حميد الصوفي
- داوود الصايغ (غزة)
- زهدي أبو شعبان (غزة)
- زهير الريّس (غزة)
- شوقي الفرّا (خانيونس)
- عبد الله أبو ستة (بئر السبع)
- عبد الباري الهسي
- أحمد محمد علي
- جمال الصوراني (غزة)
- جميل عبد الله أبو معيلق (غزة)
- الشيخ حمدان المصري
- الدكتور حيدر عبد الشافي (غزة)
- حبيب جرادة (غزة)
- رامز فاخره (غزة)
- سيد بكر (غزة)
- شعبان عيد
- طاهر الآغا (خانيونس)
- عبد الفتاح قفة (أسدود)
- عبد الله الغرابلي (غزة)
- عبد الله مهنا
- علي هاشم رشيد (غزة)
- مجدي أبو رمضان (غزة)
- فريح فرحان المصدر (بئر السبع)
- محمد علي بشير
- عطية شرار
- محمود نجم (المجدل)
- شفيق الترزي (غزة)
- يونس كلاب (غزة)
- يسرى البربري (غزة)
- الشيخ عبد الله العلمي (غزة)
- عبد الرؤوف المجدلاني
- فايز أبو رحمة (غزة)
- علي أبو مدّين (بئر السبع)
- محمد حمدان الدغمة
- محمود محمد الشاعر
- محمود رشدي الخطيب
- نوح قاعود (غزة)
- يونس الكفري (غزة)
- محمد مصطفى أبو موسى
- سامي الحسيني (غزة)
- الحاج كامل مشتهى (بئر السبع)

فلسطين الشتات

سوريـة

- عزة دروزة (نابلس)

- سليم قدورة (عكا)
- سمير عبد الرحيم (صفد)
- محمد الخضرا (صفد)
- عادل عبد الله
- عمر حمادة (نابلس)
- رشيد جربوع (حيفا)
- حسن الشامي
- نمر المصري (الرملة)
- صدقي الطبري (طبريا)
- الدكتور موسى خوري (القدس)
- عبد الرحمن مراد (حيفا)
- يوسف عبد الرحيم (صفد)
- محمود الخالدي (صفد)
- فرسان الماضي (حيفا)
- خالد الجراح (عكا)
- خالد الفاهوم (الناصرة)
- عبد الكريم الكرمي - أبو سلمى (طولكرم)
- عبد الفتاح يونس (عارة / حيفا)
- نافذ الحوراني
- سعيد الحاج عزيز (صفد)

لبنـان

- سعيد الحتحوت
- محمد خليل
- عزت طنوس (القدس)
- نقولا الدر (شفا عمرو)
- حسن الأيوبي
- محمد بركات (يافا)
- ألكسندرا ظريفة (غزة)
- صبا الفاهوم (الناصرة)
- إسماعيل الشيخ حسن
- حسن شبلاق
- منذر أيوب
- محمود الحاج طاهر
- عبد الوهاب يانس (اللد)
- سعيد إبراهيم الموعد (صفورية)
- شفيق الحوت (يافا)
- الدكتور محمود زايد (طولكرم)
- الدكتور زهير العلمي (غزة)
- راجي صهيون (حيفا)
- وديعة خرطبيل (طبرية)
- سميرة عزام (الناصرة)
- سلوى شكري نجية (عكا)
- شفيق عبد الرزاق
- الشيخ نمر الخطيب (حيفا)
- جريس قيصر سمعان
- محمد علي دلول (حيفا)
- الدكتور صلاح الدباغ (يافا)
- يونس محمد يونس (عرعرة / حيفا)
- محمد حسن الشهابي (القدس)
- عوني عزيز الدجاني (القدس)

الكويت

- هاني القدومي (يافا)
- نصوح السعدي (عكا)
- ياسر عرفات (خانيونس)
- الدكتور زكي أبو عيد (الشيخ مونّس / يافا)
- يحيى غنام (كفر زيباد / طولكرم)
- زينب ساق الله (يافا)
- سعيد بريك (طولكرم)
- عصام عاشور (يافا)
- الدكتور محمود السمرة (الطنطورة / حيفا)
- الدكتور إبراهيم زقوت (المجدل)
- خالد الحسن (حيفا)
- فائز فضة (عكا)
- خيري الدين أبو الجبين (يافا)
- محمود عبد الفتاح الحسن (قلقيلية)
- عبد المحسن القطان (يافا)
- عبد الكريم الشوا (غزة)
- عثمان أبو حاشية (سلمة / يافا)
- إبراهيم حماد (طولكرم)
- عبد الفتاح جبريل (يازور / يافا)
- خليل الشاعر (يافا)
- علي صالح السيد

العـراق

- داوود عودة (القدس)
- محمد حسين
- مطيع الشيخ طه

مصـر

- جميل التاجي (الرملة)
- فاضل زيدان (حيفا)
- إبراهيم عيسى
- تيسير قبعة (قلقيلية)
- حامد أبو ستة (بئر السبع)
- محمد عكيلة (يافا)
- عايدة بامية (يافا)
- أحمد خليفة (صفد)

- أحمد عقل (القدس)
- عبد الفتاح الشريف (الخليل)
- جعفر المصدر (دير البلح/ غزة)
- شريف الحسيني (القدس)
- علي سلامة (قولية / اللد)
- إياد السراج (غزة)
- جهاد حسن سلامة (قولية / اللد)

قطـر

- رفيق النتشة (الخليل)
- عبد السلام أبو عيسى
- صالح البرغوثي (دير غسانة / رام الله)
- أحمد كمال عدوان (حتا / الفالوجة)
- شريف الجعبري (الخليل)
- قاسم حمد (صفد)
- ميشيل فرح (غزة)

ليبيا

- نايف فارس
- الدكتور محمود أبو الفخر (يافا)
- كمال الدين السراج(*) (غزة)
- أحمد العبد الله(*) (يعبد / جنين)
- سلمى الدجاني (القدس)
- الدكتور أنيس القاسم (جنين)
- نعيم أبو ضبة (*) (يافا)
- الدكتور أحمد صدقي الدجاني (*) (يافا)
- أحمد اليوسف (*) (طولكرم)

الجزائـر(*)

- سميرة يوسف السقا (غزة)
- خليل الوزير (الرملة)

ملحـق(*)

- نواف أبوكشك (عرب أبو كشك / يافا)
- الشيخ نايف الطبري (طبرية)
- رفعت عبد الرحيم النابلسي (نابلس)
- فائق بركات (القدس)
- محمد أحمد علي
- محمد حسن الحاج علي
- يوسف عبد الفتاح (الفالوجة)
- محمود طه الشربي
- الشيخ مشهور الضامن (عرب الضامن/ نابلس)
- محمد أبو غربية (القدس)
- سعيد أبو الهيجا
- سمير الأسدي (صفد)
- خالد عبد الله
- الدكتور عبد الله لاما (بيت جالا)
- خليل محمد سليم

أعضاء شرف(*)

- تمام الأكحل شموط (يافا)
- إسماعيل شموط (اللد)

كلمات المؤتمر

خطاب الملك حسين في المؤتمر

أيها الإخوة المواطنون

يا أبناء فلسطين الأباة

يسرني أن أرحب بكم في العاصمة الروحية لبلدنا العربي المناضل ، ويطيب لي أن أؤكد للوافدين منكم من الأقطار العربية الشقيقة أنهم إنما يفدون إلى أهلهم وذويهم ، ويحلون بين أسرتهم وعشيرتهم ، فما كان الأردن إلا أسرة عربية واحدة تعيش جراح النكبة وآلامها مثلما تعيش آمال الأمة وأمانيها الكبار .

هناك حقائق ثلاث ، أراها تنتصب أمام عيني ، من خلال هذا المؤتمر التاريخي والاجتماع الخير المبارك .

أولها أن لقاءكم هذا هو امتداد لذلك اللقاء الميمون الذي كان لأمتكم كلها في اجتماع قادتها البررة قبل خمسة شهور ، وهو بعض الحصاد اليانع لمرحلة هامة بدأتها الأمة العربية في ذلك الاجتماع ، لتكرس فيها الأخوة الأزلية التي تربط أبناءها بعضهم ببعض ، والإيمان العميق الذي يشد قلوبهم إلى رسالة قومية مقدسة واحدة ، والتصميم الصادق الذي يلهم ضمائرهم ويلهب عزائمهم على تحقيقها .

وثانية تلك الحقائق أن مؤتمركم العتيد هذا يشكل في ذاته حادثة تاريخية فريدة في سجل النكبة بأسره ..

(*) ذكر كتاب **المؤتمر الوطني الفلسطيني ١٩٦٤** الصادر عن منظمة التحرير الفلسطينية في الملحق ١٢ ص ص ٦٤ - ٧٣ أن أعضاء المؤتمر ٣٩٦ فقط ، فقد أسقط الأسماء المؤشر عليها بنجمة* من مشاركي ليبيا ومشاركي الجزائر ، والملحق وأعضاء الشرف .

ففيه يلتئم لأول مرة ويجتمع عقد الشعب الفلسطيني المكافح البطل، منذ أن أريد له أن يتفرق في الأرض غرباً وشرقاً، ويتوزع في المعمورة ذات اليمين وذات الشمال. فإذا كنتم في ذلك اليوم البعيد قد تناءيتم وملء عيونكم الدمع وذوب قلوبكم الألم فها أنتم اليوم وقد تناديتم من أجل أرفع غاية وأنبل هدف، تلتقون وملء أحداقكم العزم والصلابة وفيض نفوسكم وأفئدتكم الثقة والبأس والأمل.

والحقيقة الثالثة التي تطل علينا في هذا اللقاء الكبير، أنه وهو يشكل نهاية لمرحلة كان فيها الجهد والعمل بالنسبة لأبناء فلسطين مشتتاً موزعاً، فهو يشكل في الوقت ذاته بداية لمرحلة جديدة يدخل فيها ذلك الجهد والعمل طور التجمع والتخطيط والتنظيم. إنني أراها حجة قومية تنذر فيها النفس في سبيل الوطن، وزورة وطنية للثرى المخضب بالدم، المعطر بالفداء، يعاهد المرء ربه فيها أن يعيش في سبيل طهره ويموت من أجل استرداد ما غاب منه وراء حدود الشر والظلم والباطل.

إن عيون الملايين من بني الإنسان تتطلع إليكم اليوم، وهي تراكم ترسمون أولى خطواتكم على طريق الكفاح الجديد والنضال الباسل.

وقلوب الملايين من أبناء أمتكم هي اليوم مشدودة إليكم تفيض بحبكم وتزخر بالعزم على العمل الموحد لاسترداد الوطن السليب والجهد الصادق لصنع المصير المشترك.

لقد نذر هذا البلد نفسه منذ البداية في سبيل أمته العربية وتحقيق رسالتها، ومنذ أن صهرت قلوب أبنائه على ضفتي النهر المقدس في تلك الوحدة المباركة الخيرة، لم تعد قضية فلسطين بالنسبة لأسرته الواحدة قضية العرب المقدسة الأولى فحسب، وإنما هي قضية الحياة بشرف وكرامة، أو قضية الموت بإباء وشمم.

أما الأردن فهو في هذه اللحظات يعيش في قلب كل واحد منكم مثلما عاشت فلسطين وتعيش في قلب كل واحد من أبنائه. عزمكم بعض من عزمه، وقوته بعض من قوتكم، ورسالته أن لا حياة ولا حرية ولا وحدة ولا شأن أو قيمة للعرب إلا بفلسطين.

وأما الحسين أيها الإخوة فبمثل ما عاش عمره جندياً فلسطينياً وخادم الأمة، فسيشرفه أن يهب حياته ويبذل دمه في أية لحظة من أجل أن تعود فلسطين كما كانت وكما ينبغي أن تكون عربية، حرة، عزيزة.

ومرحباً بكم مرة أخرى في اجتماع حجيجكم حول الصخرة المشرفة وبجوار مهد المسيح، وتحية لكم من بلد الإسراء والمعراج، وفي حرم من أقداس العروبة والإسلام.

وليوفقكم الله للقيام بواجبكم القومي المقدس، وليأخذ بيدكم في مسيرتكم المباركة، على طريق التضحية والعزم والإيمان.

وباسم الله وعلى بركته، أفتتح مؤتمركم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ عبد الخالق حسونة

سيدي صاحب الجلالة
سادتي ممثلو الملوك والرؤساء العرب
سادتي، إخواني أبناء الشعب العربي الفلسطيني

إنه ليوم تاريخي، في مسيرة النضال القومي لتحرير فلسطين العربية أن يلتقي صفوة من أبناء الشعب العربي الفلسطيني، لتبادل الرأي في قضيتهم، قضية العرب الأولى، والتدارس في خير الوسائل لتنظيم الشعب الفلسطيني وإعلاء كلمته في المجال القومي والصعيد الدولي.

لقد عملت الصهيونية جاهدة لتستر عملها الاستعماري البشع، إذ احتلت فلسطين وأخرجت شعبها العربي من وطنه المقدس واغتصبت دياره وممتلكاته، ثم حاولت بشتى الوسائل ومن ورائها أعوانها أن تخفي الشخصية الفلسطينية، وأن تصور المأساة الاستعمارية التي لم يشهد تاريخ البشرية مثيلاً لها قضية لاجئين؛ طمعاً في أن تسلك في عداد قضايا اللاجئين الكثيرة.

لكن فلسطين العربية حقيقة شامخة منذ وجدت حقائق البلاد العربية كلها. ولقد اعترف بذلك الانتداب على فلسطين كما أكده عهد عصبة الأمم ومعاهدة لوزان ثم ميثاق جامعة الدول العربية.

بل إن الأمم المتحدة قد أكدت ذلك في قرار التقسيم الجائر ذاته، وفي قراراتها المفصلة لهذه السنوات الست عشرة بتأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه السليب.

ومع هذا تخال الصهيونية الاستعمارية أن التضليل يستطيع النيل من الحقائق الراسخة، ولهذا تجزع من تسمية مؤتمركم (المؤتمر القومي الفلسطيني) وتسمية مؤتمر اللاجئين هلعاً من دلالته الكبرى ونتائجه المترتبة.

لقد عملت جامعة الدول العربية في هذه السنوات لإبراز الكيان الفلسطيني، ثم حالت الظروف العصيبة التي مرت بها دون تحقيق آمالها.

وتنادى الفلسطينيون والعرب أجمعون، بأن الخدمة الحقة لقضية فلسطين تستوجب التقاء الدول العربية

على وسائل النضال الفعالة ، والارتفاع بها فوق مستوى الخلافات الطارئة ، بل وتصفية الجو العربي سبيلاً لاستعادة الحقوق السليبة ودرء المطامع العدوانية الجديدة .

وكانت الأمنية .. والتقى في الجامعة بمطلع هذا العام الملوك والرؤساء العرب ، ووضعوا خطط العمل القومي العربي - سياسياً ، ودفاعياً ، وفنياً ، واقتصادياً ، والتزموا بتسوية ما بينهم من خلافات أساساً للعمل القومي المشترك .

وأجمعوا على التعاون مع الفلسطينيين لتنظيم صفوفهم وفق مشيئتهم ، حتى تتقدم حركة تحرير فلسطين ، وتعمل معها الدول العربية كافة في النضال القومي ضد الاستعمار الصهيوني الجائر لفلسطين ، مثلما أجمع العرب كلمتهم قبلاً وانتصروا في النضال القومي ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي في المشرق والمغرب العربيين ، ومثلما يجمعون الآن على النضال الوطني ضد الاستعمار في الجنوب اليمني المحتل وفي عُمان والبريمي وفي كل مكان من العالم أجمع .

إخواني أبناء الشعب العربي الفلسطيني

إن جو الوفاق ونكران الذات وجمع الكلمة الذي ساد مجلس الملوك والرؤساء العرب من أجل فلسطين العربية ، يجعل الأمة العربية جمعاء على ثقة بأن مؤتمركم مرتفع إلى مستوى المسؤولية الوطنية ، معتصم بروح العمل البناء المثمر ، وإنكم ستتبادلون الآراء بروح الإخلاص والأخوة ، وإنكم ستبدأون مسيرتكم بداية موفقة .. فالضمانة الأولى لكل نجاح هي أن تتحدوا وأن تعملوا ، وأن تستفيدوا من تجارب الماضي وممارسة الحاضر والمستقبل في تسديد خطاكم نحو الغاية السامية ، وإن التقاءكم على مرأى من مسرح النكبة ومن خلف الأسوار لأعظم عبرة وأروع تذكرة .

إخواني أبناء فلسطين الأمجاد

إن الصهيونية والاستعمار ليفزعهما أشد الفزع نجاح التقائكم القومي التاريخي .

إن أمتكم العربية الخالدة لتعلق أعظم الآمال على نجاح مؤتمركم ، وإن العالم كله ليرقب نتائج أعمالكم .

وفقكم الله ورعى جهودكم .

خطاب الشقيري في إفتتاح المؤتمر

في هذا اليوم التاريخي ، وفي مدينة القدس الخالدة ، يجتمع شعب فلسطين لأول مرة بعد كارثة فلسطين ، فما أعظم هذا اللقاء وما أكرم معناه وأبعد مداه ! .

ولقد شهدت هذه المدينة الباسلة منذ أن دخلها سيدنا عمر بن الخطاب وهو يسوق جمله وعليه مولاه أياماً فاصلة جليلة ، اقتحمت على التاريخ العربي طريقه ، غيّرت مجراه ، وصعدت به إلى ذروة الأمجاد الإنسانية ، وما أيام صلاح الدين الأيوبي إلا واحدة منها . واليوم تشهد هذه المدينة حدثاً تاريخياً ، سوف يقتحم على الحياة العربية طريقها ليغير مجراه فيعيد إلى الديار المقدسة عروبتها وحريتها وأمنها وقدسيتها .

ونحن - إذ نعقد هذا المؤتمر الوطني - تطالعنا هذه المعاني بارزة واضحة ، وأكبر هذه المعاني أننا نجتمع لأول مرة بعد ستة عشر عاماً من عمر الكارثة ، وهذه أكبر المعاني حقاً ، فقد تألبت على هذا الشعب الباسل قوى الصهيونية والاستعمار مجتمعة متساندة ، فأقامت « إسرائيل » على أرضنا ، وتحالفت على إخراجنا من وطننا ، وتشريدنا تحت كل سماء وكوكب ، ثم راحت ترهق اللاجئين منا عاماً بعد عام بالبؤس والحرمان ، وهي تحسب أن هذا الشعب لن يجتمع أبداً .

ولكن مؤتمرنا هذا في يومنا هذا ليعلن للدنيا بأسرها ، أننا نحن أهل فلسطين أصحابها الشرعيين قد التقينا .. قد اجتمعنا .. قد التقينا .. واجتمعنا على تحرير فلسطين .

ونحن هنا وفود فلسطين ، قد تنادَينا إلى هذا المؤتمر العتيد على أرض فلسطين ، على الخطوط الأمامية من فلسطين ، نشهد أرضنا وديارنا ، معابدنا ومرابعنا ، مدننا وقرانا في الوطن السليب ، ونحن هنا لا نمثل الفلسطينيين في سورية ولبنان والعراق وقطاع غزة ، ولكننا هنا شعب واحد ، ووطن واحد وكفاح واحد .

بل إن معنا في هذا المؤتمر إخواناً لنا نحن نمثلهم ، لأنهم لا يستطيعون الوصول إلينا ، إخواناً لنا يصابرون جهد الطاقة الإنسانية في سبيل حماية عروبتهم وصون لغتهم ، أولئك هم إخواننا الفلسطينيون في المنطقة المحتلة ، إنهم معنا ونحن معهم ، إنهم الآن يحضنون أجهزة الراديو ، ويستمعون إلينا بقلوبهم وجوارحهم ، إليهم تحياتنا وإعجابنا ، رجالاً ونساءً ، شباباً وأطفالاً ، ونحن معهم على عهد وموعد ، وكل آتٍ قريب .

وإن مؤتمرنا هذا ليضم أجيال الكفاح ، ويضم أجيال النكبة منذ وقعت النكبة ، فبيننا الجيل الذي أطل من الحرب العالمية الأولى ، ليستمع إلى وعد بلفور ، الذي أصدرته الحكومة البريطانية ظلماً وعدواناً ، فثار على هذه السياسة الظالمة بالاستنكار والاحتجاج والإضراب والسلاح ، وبيننا الجيل الذي شهد عهد الانتداب البريطاني بكل مظالمه ومغارمه فنازل الاستعمار بالسلاح عام ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٦ و ١٩٣٩ ، وكان من آيات الكفاح ذلك الإضراب الذي امتد ستة أشهر كاملة ، لم يعرف له تاريخ الحركات التحررية مثيلاً . وبيننا الجيل الذي غصّت بهم السجون والمعتقلات ، ونسفت منازلهم

وهدمت قراهم وعُلّق أبناؤهم على أعواد المشانق، وبيننا أخيراً الجيل الصاعد الذي له من ذكريات الوطن ظلال خفية يعيش دوماً في النكبة، وتعيش النكبة فيه.

كل هذه الأجيال بكل ذكرياتها القريبة والبعيدة، إنما تمثل الكفاح الدائم للشعب، وسوف تظل أجيالنا الحاضرة والمقبلة تتعاقب عليها أعباء الكفاح، حتى نحرر الوطن السليب، وندقّ أعلامنا على عكا وحيفا ويافا وسائر الشاطئ الخصيب.

وهذا المعنى الكبير الذي يتجلى في تجمع الشعب الفلسطيني، يجاوره معنى كبير يوازيه في جلاله وخطره، ذلك هو اجتماع الأمة العربية ممثلاً بيننا في جلالة الملك الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، وإخواننا الأجلاء ممثلي الملوك والرؤساء للدول العربية.

إنهم اليوم معنا ووراءهم الأمة العربية بكل طاقاتها الروحية والمادية، وكما كان مؤتمر الذروة العربي أول اجتماع عالٍ يلتقي فيه الشرق العربي والغرب العربي على قضية فلسطين، فمن حقنا أن نسجل باغتباط أننا نشهد اليوم، أول مؤتمر فلسطيني ينعقد على مقربة من خطوط الهدنة، لنعلن على الملأ، أن الشعب العربي الفلسطيني مصمم تصميماً لا يلين، وعازم عزماً لا ينثني، على تحرير وطنه مهما عظمت التضحيات، ومهما طال الزمان.

وليس ما أقوله مجازاً ولا حماساً، فإنه الحقيقة الراسخة التي تعيشها الأمة العربية، لا بملوكها ولا برؤسائها فحسب، ولكن في صميم جماهيرها، في بواديها وحواضرها.

وفي جولتي الأخيرة في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، شهدت بنفسي، لهفة الأمة العربية على فلسطين، ولوعتها على ضياعها، وتحرّقها على الكفاح لتحريرها.

لقد شهدت احتفالات تونس لتحرير بنزرت، فكان الشعب في تونس يهتف لفلسطين إلى جانب هتافه لبنزرت.

وشهدت ذكرى استقلال ليبيا في طرابلس، فكان الشعب الليبي يهتف لفلسطين إلى جانب هتافه لاستقلال ليبيا.

وشهدت مؤتمراً كبيراً في الجزائر، فأعلن شعب الجزائر أن سيادة الجزائر لا تتم إلا بتحرير فلسطين.

وشهدت اجتماعات وطنية في المغرب، فكان المغرب يهتف لتحرير فلسطين إلى جانب هتافه لحريته واستقلاله.

وخطبت في مساجد الخرطوم ونواديها، فكان الشعب في السودان يهتف لفلسطين ولتحرير فلسطين.

وفي قاعة الخلد في بغداد، كان شعب العراق يردّ على خطابي مطالباً بالتطوع والسلاح.

والتقيت الشعب في صيدا - لبنان في مؤتمر كبير، وكانت الجماهير تصيح: من هنا الطريق إلى فلسطين.

وفي سورية وقفت مع الإخوان في القرى الأمامية المطلّة على الجليل، وكان السؤال الصارخ على أفواه الجميع، متى نحرّر هذه الربوع الغالية من الوطن الغالي؟!

وفي الكويت كان حديث الشعب إليّ أشدّ حماسة من حديثي إليهم: الأموال والرجال فداء فلسطين. وكذلك كان هذا الشعور الفياض في قطر والبحرين.

وفي الجمهورية العربية المتحدة، شهدت احتفالات أسوان، فكان بُناة السدّ العالي يهتفون في أذن الرئيس خروشوف لتحرير فلسطين ولما يجفّ العَرَق على جباههم.

أما في الأردن - وقد كانت لي اجتماعات كبرى في ضفّتيه - فقد شهدت الفلسطيني أردنياً والأردني فلسطينياً، الكلّ سواء في الكفاح، تجمعهم أخوة المصير والسلاح، واستقر في ضميري أن أهل عكا وحيفا ويافا لا جنباً إلى جنب، بل قلباً إلى قلب.

ولو أتيح لي أن أزور الجزيرة العربية، لرأيت فيها المشاعر العربية نفسها سواء بسواء، وكلها تتطلع بالتأييد لفلسطين وكيان فلسطين.

وإني إذ أتحدث عن كيان فلسطين، أجدني أمام حقيقة مفجعة، لقد تداولنا هذا التعبير « الكيان الفلسطيني » سنوات عديدة، إنه تعبير غريب على الحياة العربية والدولية، إنه تعبير جديد لا سابقة له في تاريخ الأمم، وكل الشعوب التي كافحت لنيل حريتها لا تعرف هذا التعبير، لم يعرف تاريخ الكفاح العربي شيئاً اسمه الكيان السوري والمصري والعراقي، أو الجزائري، ولم تعرف آسيا الكيان الإندونيسي، ولا أفريقيا الكيان النيجيري، ولا عرفت أميركا اللاتينية الكيان الكوبي، ولكن فلسطين فريدة الكارثة، وحيدة الفاجعة، فكان لا بد من وضع غريب ووحيد.

وواضح أن السبب في ذلك، أن كل الشعوب التي ابتليت بالاستعمار، بقيت مستقرة في وطنها، آمنة في ديارها، تكافح في أرضها، في جبالها ووهادها، في شواطئها وسهولها، وفي غاباتها وأحراشها. ولكن شعب فلسطين قد اقتلع من وطنه، وأخرج من دياره، وهدم كيانه فأصبح لا بد له أن يبني لنفسه كياناً، ليستأنف حياته القومية، وينهض بدوره الكامل في تحرير وطنه وتقرير مصيره.

هذا هو السبب وراء هذا التعبير الفريد، الكيان الفلسطيني، إنه تعبير مُفجع ينطلق من الفاجعة

التي حلّت بفلسطين ، ولكن يجب أن يكون واضحاً أن هذا الكيان ليس كياناً انفصالياً ، فنحن دعاة وحدة ، ولا كياناً انعزالياً ، فنحن رسل تضامن وإخاء ، وإنه لمن يُمن الطالع لمؤتمرنا ، أننا نعقده في أيام نتبادل فيها التهاني لاتفاق الوحدة ، الذي تم أخيراً بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ، فإن الوحدة هي أعزّ آمال شعب فلسطين ، إننا لندعو الله ، أن يكون اتفاق القاهرة - بغداد له ما بعده ، وأن تزداد رقعة الوحدة العربية سعة وعمقاً ، فإن الوحدة هي الطريق إلى فلسطين .

ومن معاني هذه الوحدة أن انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس ، لا يهدف إلى سلخ الضفة الغربية عن المملكة الأردنية الهاشمية ، ولكنّا نهدف إلى تحرير وطننا المغتصب غرب الضفة الغربية . ونحن لا نتعرض للكيان الأردني من قريب أو بعيد ، فقد كانت هذه الديار على مرّ التاريخ وطناً واحداً وشعباً واحداً ، وما وضعه الاستعمار من حواجز على مدى ثلاثين عاماً ، أعجز من أن يفصم روابط السنين والأجيال ، وإننا لن ننسى أبداً أن القرون الوسطى قد شهدت معارك فلسطين ، لا على أسوار عكا والقدس ، ولكن على أسوار الكرك ، ونحن في عهد الصواريخ ، أجدر بأن نرفض التفريق والتجزئة ، ويجب أن يكون شعارنا الوحدة الآن وفي كل آنٍ وزمان ، ومن أجل ذلك فإن أي عون عسكري أو سياسي أو اقتصادي للمملكة الأردنية ، إنما هو عون عسكري لفلسطين ، وإننا لندعو الأمة العربية بأسرها حكوماتٍ وشعوباً ، أن تعتبر أن الأردن هو المنطلق الكبير لتحرير فلسطين فهنا الهضاب المشرفة ، وهنا الجبال المطلة ، وفوق هذا وذاك هنا الشعب المتعطش للثأر ، المتلهف إلى الجهاد والاستشهاد .

وإننا إذ نجتمع اليوم لبناء الكيان الفلسطيني إنما نهدف أن نضيف قوة جديدة في الساحة العربية عامة والكيان الأردني خاصة ، ونحن شعب كان لنا كيان يوم كنا في وطننا ، وقد تمثل هذا الكيان في أحزابنا ومنظماتنا ولجاننا القومية ، تمثل في الفلاحين الذين استشهدوا ، وفي العمال الذين عُلّقوا على أعواد المشانق ، وفي الطلاب والشباب ، وفي الرجال والنساء الذين حصدوا قتلاً ، واضطهدوا سجناً واعتقالاً وتعذيباً ، تمثل في كفاح مرير ، نهض به الشعب بكل فئاته قرابة ثلاثين عاماً ، وبذل في سبيله المهج والأرواح .

تلك كانت سيرتنا ، أيام كنا في وطننا نكافح الصهيونية والاستعمار معاً ، إلى أن خرجنا من ديارنا ، لا حُبّاً ولا استكانة ، ولكن لأن القوة العربية لم تكن يومئذٍ على مستوى المعركة ، وإذا كان الركب العربي قد خطا خطوات واسعة في ميدان القوة العسكرية والاقتصادية ، فقد بقي علينا - نحن الشعب الفلسطيني - أن نسير في موازاة هذا الزحف العربي ، فنبني كياننا ، ونجمع صفوفنا ، ونعبئ كل طاقاتنا وكفاءاتنا ، فتعود القضية لشعبها ويعود الشعب لقضيته .

أقول هذا لأن الشعب الفلسطيني منذ أن حلّت الكارثة بوطنه ، قد أفلت الزمام من يده ، ولم يعد يمارس مسؤولياته القومية بشأن قضيته ، على حين كنا نرى في هذه الحقبة الأخيرة ، جميع القضايا التحررية في العالم تقوم عليها شعوبها ، منظمة في ميدان التحرير ، على خير ما تكون التعبئة والتنظيم .

ولقد كان لي شرف الدفاع عن كثير من القضايا التحررية العربية والدولية إلى جانب الوفود العربية ، سواء حين كنت رئيساً للوفد السوري أو رئيساً للوفد السعودي ، وكانت كل هذه القضايا تتجسد أمام الأسرة الدولية بشخصية شعوبها ، عقلاً وضميراً ، ولحماً ودماً ، إلا قضية فلسطين ، فلم يكن شعبها متجسداً فيها ، وكان السؤال الرهيب الخطير الذي يدوي خلال ستة عشر عاماً في أروقة الأمم المتحدة وخارجها : أين هذا الشعب الفلسطيني الذي تتحدث المحافل الدولية عن قضيته ؟

لذلك كانت الحاجة ملحة في أن يقوم الكيان الفلسطيني ، وأن تهيأ الفرصة كاملة أمام الشعب الفلسطيني ، لينهض بتبعاته الوطنية في تحرير وطنه ، ولقد جرت محاولات متعددة في الماضي ، داخل الجامعة العربية وخارجها لإنشاء الكيان الفلسطيني فلم تفلح تلك المجهودات لأسباب متعددة ، إلى أن انعقد مؤتمر الملوك والرؤساء في القاهرة ، فأقر بالإجماع العمل على إنشاء الكيان الفلسطيني .

ومنذ أن صدر ذلك القرار بإنشاء الكيان ، أخذ الاستعمار والصهيونية وأعوانهم ، يطلقون الأراجيف من حوله ، ويشنون عليه الدسائس ، ولكن الأمة العربية - ومنها شعب فلسطين - لا تجوز عليها هذه المكائد ، وكان طبيعياً أن يقف الاستعمار هذا الموقف ، فهو يريد أن يصفي قضية فلسطين ويعفّي عليها . والكيان الفلسطيني - ومعه الأمة العربية - إنما يهدف إلى تصفية « إسرائيل » وأن يعفّي عليها .

وإنكم لتجدون أيها الإخوة الهيكل العام للكيان الفلسطيني في مشروعين : الأول الميثاق القومي ، والثاني النظام الأساسي لمنظمة التحرير ، وقد وضعت في هاتين الوثيقتين خلاصة تجاربي المتواضعة بشأن قضية فلسطين بالنسبة لشعب فلسطين وبالنسبة للأمة العربية حكوماتٍ وشعوباً ، وبالنسبة للعالم الدولي ، وهذان المشروعان مطروحان أمام المؤتمر الوطني للدرس والمناقشة ، والتعديل والتبديل ، إنهما مطروحان للقبول أو الرفض ، فاقبلوا ما شئتم وارفضوا

ما شئتم ، فإن قضية فلسطين هي ملك شعب فلسطين ، وإن شعب فلسطين هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة بشأن قضية فلسطين .

ولهذا فإنني أتقدم إليكم بهذا الهيكل العام للكيان ، أعرضه ولا أفرضه ، ومن كان لديه مشروع آخر يمكن تحقيقه ، ويستطيع أن يضع يده على الوسائل التي تيسر الإنجاز والتنفيذ ، فإني مستعد أن أسير وراءه ، بأن أعمل في خدمته ، وأن أضع نفسي تحت تصرفه ، فإن قضية فلسطين تتطلب منا جميعاً التجرد والإخلاص ، والتفاني وإنكار الذات .

ولست أدّعي أن هيكل الكيان كما وضعته أمامكم هو الكمال والمثال ، ولكني أدّعي مخلصاً وصادقاً أنه بداية نستطيع أن ننهجها على ضوء الظروف التي تحيط بقضية فلسطين ، سواء من ناحية فلسطينية أو عربية أو دولية .

ولكن كائنة ما كانت البداية ، فإن هنالك أمراً ثابتاً لا يرقى إليه الشك ، ذلك أن الكيان الفلسطيني يجب أن يبنيه شعب فلسطين ، يبنيه بعقله وإرادته وعزيمته . إن شعب فلسطين غني بالكفاءات والطاقات ، وإخواننا المهاجرون هنا يسهمون في بناء وطنهم العربي الكبير بإخلاصهم وقدراتهم الخلاقة ، وهم قادرون على بناء كيانهم بأنفسهم ، ومن حق شعب فلسطين أن يبني كيان فلسطين . إن كيان فلسطين لا تبنيه الدول العربية لا مجتمعة ولا منفردة ، وليس دور الدول العربية إلا أن تيسّر قيامه وتدعم كفاحه ، ذلك هو حقنا وذلك هو واجب الدول العربية .

غير أن الحقيقة الصارخة التي يجب ألا تغيب عن بالنا ، أن الكيان الفلسطيني لا يكون قوياً وثورياً بقوة التعابير التي نكتبها ، ولا بثورية الشعارات التي نطلقها ، ولكنه يكون قوياً وثورياً بالإمكانات الثورية ، التي تضعها الدول العربية تحت تصرف الشعب الفلسطيني .

وهنا يبرز جسد الكيان وروحه ، يبرز عقله وضميره ، فإن الكيان الفلسطيني ، فلسطيني وعربي ، فلسطيني البناء ، ولكنه عربي الوسائل والإمكانات ، تقدمها الدول العربية ، فإذا كانت الوسائل هزيلة كان الكيان هزيلاً ، وإذا كانت الوسائل قوية كان الكيان قوياً ثورياً ، وإن شعب فلسطين سوف يبذل لوطنه الأرواح والأموال ، ولكن مصير الكيان مرهون في النهاية بالدول العربية ، والدول العربية جميعها ، فإن بذلت ويسّرت ودعمت نهض الكيان بكل أعباء التحرير ، وهنا لا بد لي أن أعلن بصراحة أننا نحن أهل فلسطين سوف نرفض السير في أي طريق إلا طريق الكفاح والسلاح ، فقد سئم شعب فلسطين - ومعه الأمة العربية - القرارات التي لا تنفذ ، والتصريحات التي لا تطبق .

وإنني كواحد من هذا الشعب الباسل ، أعلن في مؤتمرنا هذا أنه يجب أن يجند القادرون منا على حمل السلاح رجالاً ونساء ، وهذا في نظري هو جوهر الكيان الفلسطيني ، وإذا خلا الكيان من الناحية العسكرية كان كلاماً في كلام ، وكياناً من غير كيان .

وإن الشعب الفلسطيني يريد منظمة التحرير الفلسطينية أن تكون ثورية نضالية ، فإن شعب فلسطين هو شعب من الثوار والأحرار ، قد نختلف في قدراتنا وطاقاتنا شأن جميع الشعوب ، ولكننا في مجموعنا شعب ثائر ، وكل فلسطيني منا هو إنسان ثائر ، فمن لم يكن ثائراً بفطرته ونشأته ، فهو ثائر بكارثته ونكبته ، وهو ثائر بخبرته وتجربته .

أقول بتجربته وخبرته لأن الشعب الفلسطيني قد رأى في الستة عشر عاماً الماضية أن قضية فلسطين ليس لها حلّ سياسي أو دبلوماسي ، وليس لها حلّ في الأمم المتحدة ، ولا في المحافل الدولية الأخرى ، إن قضية فلسطين ، لا تحلّ إلا في فلسطين ولا تحل في فلسطين إلا بالسلاح والكفاح ، ولا تحلّ في فلسطين إلا بتعبئة الأمة العربية حكوماتٍ وشعوباً وفي مقدمتها شعب فلسطين .

وعلى هذا أصبح واجباً لزاماً أن يُهيأ ابن فلسطين لتحرير فلسطين ، وأن يُهيأ جندياً وفدائياً ، فحرام أن تظل طاقات هذا الشعب مهدرة ، حرام أن يموت اللاجئون في الخيام ، بدلاً من أن يستشهدوا في ميدان الشرف ، وحرام أن تمضي السنون ، وكل الذي نفعله في أيار من كل عام أن نبكي وطننا الضائع ونندب حظنا العاثر .

وإنا لنعلم أن قضية فلسطين باعتبارها قضية تحريرية ، لا تحلّ إلا كما حلّت جميع القضايا التحريرية في العالم ، ولذلك نعلن من هذا المؤتمر أننا نأبى أنصاف الحلول ، نحن نرفض التقسيم ، نحن نرفض التدويل ، نحن نرفض التوطين ، وعهدنا وميثاقنا أن نمضي في الكفاح إلى أن تعود فلسطين لنا وأن نعود إلى فلسطين .

وتحقيقاً لهذه الغاية المقدسة ، وجب علينا - نحن الشعب الفلسطيني - أن نعبئ كل طاقاتنا ومواردنا إلى جانب طاقات الأمة العربية ومواردها ، ففي معركة تحرير فلسطين لا غنى عن أهل فلسطين ولا غنى لأهل فلسطين عن الأمة العربية ، فنحن في هذه المعركة سواء بسواء .

أما بالنسبة لشعب فلسطين ، فلا بد لكياننا أن تكون له بداية ، بداية نستطيع أن نسير بها من غير انتظار طويل ، لهذا فإن صورة الكيان الفلسطيني كما أضعها أمامكم ترسم البداية ، البداية التي يمكن السير بها في عامنا هذا ، فنحن لا نحتمل ستة عشر عاماً أُخَر . إن أمامنا فرصة العمر ، فيجب ألا تضيع في الجدل ، بل يجب أن نبنيها بالعمل وبالصبر على العمل .

وصورة الكيان تتمثل حيّة في حقائق حيّة ، وهذا هو الميثاق أمامكم ، والنظام أمامكم ، الكيان الفلسطيني كتائب فلسطينية مسلحة تشكلها القيادة العربية الموحدة بالتعاون مع الدول العربية .

الكيان الفلسطيني صندوق فلسطيني ، يجبي الأموال بأمانة وينفقها بأمانة ، وحساباته مفتوحة للشعب .

الكيان الفلسطيني مكاتب سياسية في جميع أرجاء العالم ، لكسب الأصدقاء ، والتماس العون والمدد أينما وجدناه .

الكيان الفلسطيني تنظيم فلسطيني لجميع فئات الشعب اللاجئ والمقيم ، الطلاب والشباب ، الرجال والنساء ، فالكيان للشعب وفي خدمة الشعب ومفتوح لكل أفراد الشعب . ومن شاء أن يعمل ، ومن شاء أن يبني فليتفضل . إن ميدان العمل رحب فسيح للذين يعملون ، للذين يعزمون على البناء .

وإنني على يقين - ونحن اليوم على بداية الطريق - أننا لن نقف وحدنا ومعنا أولاً الأمة العربية ونحن معها ، ومعنا ثانياً الدول المتحررة في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية ، وخاصة الدول الاشتراكية ، ومعنا ثالثاً أحرار العقل والضمير في كل أرجاء العالم ، ومعنا أخيراً قوى الحرية والسلام والعدل في جميع الشعوب التي تناصر الحرية والسلام والعدل .

وإنكم لترون أنني لم أُشر إلى الدول الغربية ، فالسياسة الغربية هي سبب هذه الكارثة الرهيبة وهذا الظلم الصارخ ، السياسة الغربية هي التي أوجدت « إسرائيل » وما تزال تمدّها بالمال والسلاح ، فالسياسة الغربية هي التي ما فتئت تعلن أن « إسرائيل » وجدت لتبقى .

هذه هي معالم الطريق أيها الإخوان نسير فيها جميعاً ، يسير فيها الشعب الفلسطيني بأسره ، إن الكيان الفلسطيني مفتوح أمامنا جميعاً ، لكل فلسطيني مكان في هذا الكيان ، إن شرف الكفاح حق لنا جميعاً وواجب علينا جميعاً ، لا استئثار ولا احتكار ، الشعب كله في المعركة ، لأن الوطن للشعب والشعب للوطن إن العالم يتطلع إلينا ، الأعداء والأصدقاء ، فلنحقق رجاء الأصدقاء ولنخيب أمل الأعداء ، إن التاريخ يطلّ علينا ، فلنكتب أمجد صفحاته ، ولنكتب اليوم في أول هذه الصفحات أن شعب الكفاح يعود اليوم إلى طريق الكفاح وهذا هو الكيان .

وخير ما أختتم به كلمتي ، أن أقدم أصدق عبارات الإجلال لصاحب الجلالة الملك الحسين المعظم لتفضله بافتتاح المؤتمر ، وتيسير كل الأسباب لانعقاده ، وهذا هو العهد بجلالته ، فإن دوراً تاريخياً ينتظر الأسرة الأردنية تحت قيادته الباسلة لتحرير فلسطين .

وإني أوجه كذلك الشكر والامتنان لأصحاب السيادة ، ممثلي أصحاب الجلالة والفخامة ملوك العرب ورؤسائهم ، ولسيادة الأمين العام للجامعة العربية ، لتفضلهم بشهود افتتاح المؤتمر ، فإنهم يحملون عزيمة الأمة العربية وتصميمها على تحرير فلسطين .

عاشت فلسطين عربية حرّة ، وعاشت الأمة العربية .

تقرير عن المؤتمر

قدمه عبد الرحمن السكسك الأمين العام للمؤتمر الفلسطيني الأول

الأعمال التحضيرية :

بناء على القرار الصادر عن اجتماع مؤتمر الملوك والرؤساء ، المنعقد في مدينة القاهرة بتاريخ ١٩٦٤/١/١٣ ، بتكليف السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية بالاتصال بالشعب الفلسطيني والدول العربية ، بُغية إقامة القواعد السليمة لإنشاء الكيان الفلسطيني ، وذلك لتمكين الشعب الفلسطيني من تحرير وطنه وتقرير مصيره ، قام السيد الشقيري بجولة زار خلالها الدول العربية ، واتصل بالشعب الفلسطيني ، ووضع مشروعي الميثاق والنظام الأساسي لمنظمة تحرير فلسطين .

وبتاريخ ١٩٦٤/٣/٢١ ، وعملاً بالمادة السادسة من مشروع النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، اختار السيد أحمد الشقيري ، ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية ، أعضاء اللجنة التحضيرية في المملكة الأردنية الهاشمية ، وهم السادة : روحي الخطيب ، أنور نسيبه ، قدري طوقان ، فلاح الماضي ، سعيد علاء الدين ، يوسف عبده ، الآنسة زليخا الشهابي ، عبد الرحمن السكسك .

وقد عقدت اللجنة التحضيرية أول اجتماع لها في

مدينة القدس في ١٩٦٤/٣/٢٥ ، واستمرت في عقد جلساتها إلى أن انتهت من المهمة الموكلة إليها ، وأعدت قائمة بأسماء المرشحين لعضوية المؤتمر .

وفي الوقت ذاته قام السيد الشقيري باختيار لجان تحضيرية في جميع البلاد العربية المضيفة للفلسطينيين ، وقامت تلك اللجان بإعداد قوائم بأسماء المرشحين لعضوية المؤتمر من تلك البلاد .

وعلى أثر انتهاء اللجان التحضيرية من إعداد قوائم المرشحين لعضوية المؤتمر ، اختار السيد الشقيري أعضاء لجنة التنسيق المنصوص عليها في مشروع النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ونظراً لتعدد اختصاصات لجنة التنسيق ، فقد تم تأليفها من ستّ لجانٍ فرعية .

وقد قامت اللجنة الإدارية المتفرعة عن لجنة التنسيق بتنسيق أسماء المرشحين لعضوية المؤتمر ، وأعدت قائمة نهائية بأسمائهم ، شملت : الأعيان والنواب ، والوزراء والنواب والأعيان السابقين ، ورؤساء البلديات والمجالس القروية في المملكة الأردنية الهاشمية ، ورجال الدين ، والمحامين ، والأطباء ، والصيادلة ، والمهندسين ، وأساتذة الجامعات ، وممثلي اتحاد الطلبة ، وأعضاء المجلس التشريعي في قطاع غزة ، ورؤساء الغرف التجارية ، والتجار ، والمغتربين ، وممثلي الهيئات النسائية ، والعائدين المقيمين في المخيمات ، وشيوخ عرب بئر السبع ، والنقباء ، وممثلي اتحادات ونقابات العمال والمزارعين ، ورؤساء مجالس الشركات ، ومدراء وموظفي المصارف وخلافهم .

كما اختير ممثلون لمعظم المنظمات السياسية والفدائية ، واختير جميع المنتخبين في قطر ونصف المنتخبين في الكويت وكل المنتخبين للاتحاد القومي في قطاع غزة ، وبعض المثقفين والنشطاء الفلسطينيين في سورية ولبنان والعراق ومصر وليبيا والخارج .(*)

ولمساعدة لجنة التنسيق للقيام بالمهام المُلقاة على عاتقها ، اختار السيد الشقيري الدكتور عزت طنوس مديراً عاماً لمكتب المؤتمر ، وأوكل إليه مهمة تأسيس المكتب ، وقد تطوّع لمعاونته عدد من أبناء فلسطين ، وتولى مدير المكتب العام إرسال الدعوات لحضور المؤتمر .

وكان السيد أحمد الشقيري - أثناء طوافه في البلاد العربية - قد وجه الدعوة لحضور المؤتمر لأصحاب الجلالة والفخامة ، ملوك ورؤساء الدول العربية ، ولسيادة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، كما وجه الدعوة لأصحاب السيادة والدولة والمعالي والعطوفة ، رئيس وأعضاء مجلس الوزراء ، ورئيس مجلس الأعيان ورئيس الديوان الملكي ، ورئيس مجلس النواب ، ووزير البلاط ورؤساء الوزراء السابقين ، ومحافظ القدس ، والقائد العام للقوات المسلحة ، ومدير الأمن العام في المملكة الأردنية الهاشمية .

الجلسة الأولى للمؤتمر (الافتتاح) :

وفي صباح يوم الخميس الواقع في ١٩٦٤/٥/٢٨ التأم عقد المؤتمر في فندق إنتركونتيننتال في القدس ، وقد شهد المؤتمر صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم ، ملك المملكة الأردنية الهاشمية ، والمدعوون الرسميون من المملكة الأردنية الهاشمية ، وأصحاب المعالي والسعادة الآتية أسماؤهم :

١ . السيد عبد الخالق حسونة ، الأمين العام لجامعة الدول العربية ، ممثلاً لجامعة الدول العربية .

٢ . السيد المنجي سليم وزير الخارجية للجمهورية التونسية ، والسيد السفير محمد بدره ، والسيد السفير أحمد بن عرفه ، ويمثل هذا الوفد فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس .

٣ . السيد عبد العزيز بوتفليقه وزير الخارجية ، والسيد إبراهيم كبويه ، ويمثل هذا الوفد الرئيس أحمد بن بيلا رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

٤ . السيد السفير أحمد مختار ، والسيد السفير خليفة عباس ، ويمثل هذا الوفد معالي الرئيس الفريق إبراهيم عبود رئيس الجمهورية السودانية .

٥ . السيد منصور الأطرش عضو مجلس الرئاسة ، والدكتور حسان مريود وزير الخارجية ، والسيد زهير الدالاتي السفير لدى المملكة الأردنية الهاشمية ، والسيد شاكر مصطفى المدير العام للدائرة السياسية في وزارة الخارجية ، ويمثل هذا الوفد سيادة الفريق محمد أمين الحافظ رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة في الجمهورية العربية السورية .

٦ . الدكتور عبد الرازق محيي الدين وزير الدولة لشؤون الوحدة ، والسيد علي كاشف الغطاء مدير المكتب السياسي في وزارة الخارجية ، ويمثل هذا الوفد الرئيس المشير عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية .

٧ . الدكتور حسين خلاف وزير شؤون الثقافة الخارجية ، والسيد حسن صبري الخولي الممثل الشخصي لسيادة

(*) كما ورد في كتاب خيري الدين أبو الجبين (**قصة حياتي**) ، وكتاب شريف الجعبري (**من دروب العمر**) .
انظر : الفصل السادس من الكتاب (٢ - المؤسسات الرئيسة لمنظمة التحرير الفلسطينية)

الرئيس جمال عبد الناصر في لجنة المتابعة ، والسيد كمال خليل السفير لدى المملكة الأردنية الهاشمية ، والسيد صلاح زعزوع . ويمثل هذا الوفد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

٨ . السيد السفير خالد العدساني ، ممثلاً لصاحب السمو أمير دولة الكويت .

٩ . السيد السفير جوزيف أبو خاطر ممثلاً لفخامة الرئيس اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية .

١٠ . السيد الوزير الدكتور أحمد البشتي وزير الصحة ، ممثلاً لجلالة الملك إدريس السنوسي ملك المملكة الليبية .

١١ . السيد السفير محمد العربي العلمي ، والسيد السفير عبد الرحمن الفاسي ، ويمثل هذا الوفد جلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية .

١٢ . السيد عبد القوي حميم نائب رئيس الوزراء ، والسيد إسماعيل الأكوع وزير الخارجية ، ويمثل هذا الوفد الرئيس المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية اليمنية .

وفي تمام الساعة العاشرة بدئ المؤتمر بتلاوة من آي الذكر الحكيم ، وأعقبها أمين القدس السيد روحي الخطيب بالترحيب بالمؤتمر باسم مدينة القدس ، ثم تفضل صاحب الجلالة الملك حسين المعظم وافتتح المؤتمر بكلمة سامية . ثم ألقى السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية كلمة باسم جامعة الدول العربية ، ثم تكلم السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية وألقى بياناً عن الكيان الفلسطيني ، وبذلك انتهت جلسة الافتتاح .

الجلسة الثانية للمؤتمر :

في تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الخميس الواقع في ١٩٦٤/٥/٢٨ عقدت الجلسة الثانية للمؤتمر ، واقتصر العمل فيها على انتخاب رئيس للمؤتمر ، ومكتب رئاسة مؤلف من ثلاثة نواب للرئيس ، وأمين عام ، وقد انتخب المؤتمر السيد أحمد الشقيري رئيساً للمؤتمر ، كما انتخب السادة الآتية أسماؤهم : حكمت المصري ، الدكتور حيدر عبد الشافي ، الدكتور نقولا الدرّ (نواب رئيس) ، عبد الرحمن السكسك (أميناً عاماً) .

وعلى الأثر أعلن رئيس المؤتمر أن عمل المؤتمر سوف يبدأ بتأليف اللجان ، وأن العمل فيها سوف يكون على أساس التطوع ، وذلك بأن يدوّن كل عضو على نموذج خاص وزّع على الأعضاء ، أسماء ثلاث لجان بالتسلسل الذي يفضله ، ويترك لمكتب الرئاسة تنسيق عضوية اللجان . وقد قام مكتب الرئاسة بتنسيق عضوية اللجان ، وأعدّ جدولاً خاصاً باللجان وأسماء أعضائها ، واختارت كل لجنة منها رئيساً ومقرراً وأمين سر .

اجتمعت اللجان يومي السبت والأحد وصباح الإثنين في ٣٠ و٣١ أيار و١ حزيران وانتهت من إعداد تقاريرها في الموضوعات التي تقع ضمن اختصاص كل منها .

الجلسة الثالثة للمؤتمر :

وفي تمام الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الإثنين في ١٩٦٤/٦/١ عقدت الجلسة الثالثة للمؤتمر وكانت جلسة تنظيمية ، قرر المؤتمر فيها أسلوب العمل فيما يتعلق بتقارير اللجان التي رفعت إلى المؤتمر .

الجلسة الرابعة للمؤتمر :

وفي صباح يوم الثلاثاء الواقع في ١٩٦٤/٦/٢ عقدت الجلسة الرابعة والأخيرة للمؤتمر ، ونظر المؤتمر في تقارير اللجان ، وبعد مناقشتها اتخذت القرارات المدوّنة في محضر الجلسة ، كما اتخذ المؤتمر القرارات الخاصة الآتية :

١. انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية .

٢. انتخاب السيد عبد المجيد شومان رئيساً لمجلس إدارة الصندوق القومي .

٣. يصبح المؤتمر بكامل أعضائه المجلس الوطني الأول لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفي ختام المؤتمر ألقى السيد أحمد الشقيري كلمة بصفته رئيساً للجنة التنفيذية .

وبذلك اختتم المؤتمر الفلسطيني الأول أعماله في جوّ مفعم بالعزم والتصميم على استرداد الوطن السليب ، ... « والله أكبر ، وإننا لعائدون » .

قرارات المؤتمر :

اتخذ المؤتمر القرارات الآتية :

١. انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للمؤتمر .

٢. انتخاب مكتب رئاسة المؤتمر من السادة : حكمت المصري ، والدكتور حيدر عبد الشافي ، والدكتور نقولا الدرّ نواباً للرئيس ، وعبد الرحمن السكسك أميناً عاماً .

٣. إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية .

٤. تشكيل تسع لجان للمؤتمر .

٥. المصادقة على الميثاق .

٦. المصادقة على النظام الأساسي .

٧. المصادقة على اللائحة الداخلية للمجلس الوطني .

٨. اعتبار ما جاء في بيان السيد أحمد الشقيري في جلسة افتتاح المؤتمر تفسيراً للكيان الفلسطيني ، وتوضيحاً للأسس التي قامت عليها المنظمة ، وأسساً للعمل الثوري النضالي الذي يتوجب على كل عربي فلسطيني اتباعه .

٩. انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية .

١٠. انتخاب السيد عبد المجيد شومان رئيساً لمجلس إدارة الصندوق القومي .

القرارات العسكرية :

قرر المؤتمر من الناحية العسكرية ما يلي :

١. المباشرة فوراً بفتح معسكرات لتدريب جميع القادرين على حمل السلاح من الشعب الفلسطيني رجالاً ونساء ، وبصورة إلزامية تهيىء إعداد كل فرد منهم ليكون على مستوى معركة التحرير .

٢. تشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية ، وكتائب فدائية قادرة وفاعلة .

٣. اتخاذ كافة الإجراءات السريعة لتزويد الكتائب الفلسطينية بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة والتجهيزات اللازمة .

٤. اتخاذ الإجراءات اللازمة لإلحاق الشباب الفلسطيني ، وزيادة أعداده في الكليات العسكرية بأنواعها لدى الدول العربية والصديقة .

٥. تطبيق نظام المقاومة الشعبية والدفاع المدني في صفوف الشعب الفلسطيني .

٦. إنشاء جهاز عسكري متخصص في القيادة العربية الموحدة ، ليسهم فيه الفلسطينيون ، لتنظيم الاستفادة من طاقات الشعب الفلسطيني في الميدان العسكري على النطاق الواسع .

٧. مناشدة القيادة العسكرية العربية الموحدة بالمبادرة للاضطلاع بمسؤولياتها كاملة .

٨. اتخاذ الإجراءات اللازمة الفاعلة الكفيلة برعاية أسر الشهداء وحمايتهم .

٩. تنشئة الجيل الصاعد بإعدادهم رياضياً وعسكرياً كلّ حسب مقدرته .

القرارات السياسية :

قرر المؤتمر من الناحية السياسية ما يلي :

١. إن قيام « إسرائيل » في فلسطين ، وهي جزء من الوطن العربي ، رغم إرادة أصحابها الشرعيين ، يعدّ عدواناً استعمارياً صهيونياً مستمراً ، ويخالف مبدأ حق تقرير المصير ، وبقاء « إسرائيل » في هذا الجزء من الوطن العربي يشكل خطراً مستمراً على كيانه ، وعلى السلام العالمي .

٢. للشعب العربي الفلسطيني الحق ، بموجب الأعراف الدولية والمبادئ المقررة ، أن يناضل في سبيل تحرير وطنه بكافة الوسائل ، مدعوماً بمساندة الدول العربية الشقيقة والدول المُحبة للسلام .

٣. العمل بالتعاون مع الدول الشقيقة والصديقة على طرد « إسرائيل » من الأمم المتحدة وجميع المحافل الدولية ؛ لممارستها سياسة عدوانية توسعية عنصرية ، وخرقها جميع المبادئ الدولية وقرارات الأمم المتحدة .

٤. الطلب من جامعة الدول العربية اتخاذ موقف حاسم تجاه دول السوق الأوروبية المشتركة ، لموافقتها على منح « إسرائيل » امتيازات اقتصادية .

٥. تقوم منظمة التحرير بتمثيل فلسطين لدى جامعة الدول العربية ومكاتب المقاطعة ، والأمم المتحدة ومنظماتها ووكالاتها المختلفة ، والمؤتمرات الرسمية والشعبية ، وهي تملك وحدها حق تمثيل الفلسطينيين وتنظيمهم والنطق باسمهم .

٦. تبليغ جميع الدول والمنظمات الدولية والشعبية والحركات التحررية في العالم بقيام منظمة التحرير الفلسطينية وأهدافها ، وطلب المساندة والتعاون والتأييد .

القرارات المالية :

قرر المؤتمر من الناحية المالية ما يلي :

١. المصادقة على النظام الأساسي للصندوق القومي .

٢. المباشرة بجمع التبرعات للصندوق القومي في جميع البلاد العربية والمهجر .

٣. تخصيص أسبوع يسمى « أسبوع فلسطين » ، تقوم خلاله الدول العربية والصديقة بجمع التبرعات بشتى الوسائل لصالح الصندوق القومي ، على أن يبدأ هذا الأسبوع في ٢٨ أيار / مايو من كل سنة ، وبالنسبة لهذا العام يقام أسبوع فلسطين في الوقت الذي تحدده اللجنة التنفيذية .

٤. يُجبى للصندوق القومي رسم قدره خمسة فلسات عن كل برميل من المواد البترولية المُصدّر من البلاد العربية المُنتجة للنفط .

٥. تقوم اللجنة التنفيذية بالاتصال بالدول العربية لإعفاء التبرعات للصندوق القومي من ضريبة الدخل .

٦. تقوم اللجنة التنفيذية بالاتصال بالدول العربية لفرض رسوم إضافية لصالح الصندوق القومي على ما يلي :

(أ) رسم تحدده كل دولة عربية على جميع البضائع المستوردة والمصدرة ، على أن يضاعف هذا الرسم بالنسبة للبضائع الكمالية أو شبه الكمالية كأدوات الزينة والعطور والمشروبات الروحية والسجائر وما شابه ذلك .

(ب) رسم تحدده كل دولة عربية على تذاكر الطائرات .

(ج) رسم تحدده كل دولة عربية من قيمة رسوم

الموانئ والمطارات .

(د) إصدار يانصيب خاص تخصص حصيلته للصندوق .

قرارات التوعية والإعلام :

قرر المؤتمر من ناحية التوعية والإعلام ما يلي :

١. استبدال كلمة اللاجئين بـ « العائدين » .

٢. تُدرّس قضية فلسطين في جميع المراحل التعليمية للطلاب العرب ، ويؤكد المؤتمر وجوب جعل قضية فلسطين مادة دراسية في الجامعات والمعاهد العالية في البلاد العربية ، وأن تدرج ضمن مواد التخصص .

٣. إنشاء محطة إذاعة خاصة تنطق باسم فلسطين في مكان تقرره اللجنة التنفيذية .

٤. تنظيم وسائل الدعاية لقضية فلسطين في جميع أنحاء العالم ، ويشمل ذلك شراء أو استئجار خط تلفزيوني في الولايات المتحدة الأميركية وإصدار جريدة أو مجلة باللغات الأجنبية ، وإخراج الأفلام السينمائية ، وغير ذلك من وسائل الإعلام الحديثة ، والاستعانة بالطلاب العرب الموجودين في البلاد الأجنبية .

٥. إعداد الكتب الدراسية اللازمة لتوعية الطلاب العرب .

٦. توجيه النشء الجديد إلى أن الجهاد واجب مقدس على كل فلسطيني وفلسطينية .

٧. إحياء المناسبات الفلسطينية والقومية العربية .

٨. إقامة أسبوع توعية في جميع المدارس يبدأ في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني من كل سنة ، على أن تقام فيه معارض فنية .

٩. تخصيص ركن إذاعي وتلفزيوني في محطات الإذاعة والتلفزيون العربية ، يتولى التوعية بشؤون القضية الفلسطينية .

١٠. تأسيس مكاتب فلسطينية للإشراف على عملية التوعية والإعلام في الأمكنة التي تختارها اللجنة التنفيذية ، على أن تكون منها مكاتب في : الأمم المتحدة ، وموسكو ، وبكين ، وبلغراد ، ونيودلهي ، وعاصمة أفريقية جنوبي الصحراء .

١١. الطلب من الدول العربية الشقيقة أن تلحق بسفاراتها أحد أبناء فلسطين كملحق صحفي ، وذلك في الأمكنة التي يتعذر على المنظمة افتتاح مكاتب لها فيها .

١٢. إرسال وفود تضم شخصيات دينية للمحافل الدينية .

١٣. تشجيع زيارات قادة الفكر الأجنبي إلى الدول العربية ، وخاصة إلى فلسطين .

١٤. إيجاد تعاون إعلامي بين منظمة التحرير والبلدان التي تحارب الاستعمار .

١٥. توصية الدول العربية بإمداد الدول النامية بالفنيين والخبراء العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، لتتمكن تلك الدول من الاستغناء عن الفنيين الإسرائيليين .

١٦. تزويد مكاتب السياحة والسفر في البلاد العربية والأجنبية بالمعلومات الأساسية عن قضية فلسطين .

١٧. إعداد الأدلاّء السياحيين في البلاد العربية إعداداً يمكّنهم من شرح القضية الفلسطينية بطريق صحيح .

١٨. تعيين ملحقين عماليين في مكاتب المنظمة في الخارج ، للاتصال بالتنظيمات العمالية لشرح القضية الفلسطينية ، وذلك لما لهذه المنظمات من أثر فاعل على سياسة الحكومات المعنية .

١٩. الاتصال بكبار الكتاب ، والمؤلفين ، ودور الطباعة والنشر ، لتصحيح ما كُتب خطأ عن قضية فلسطين .

٢٠. إنشاء جهاز خاص في منظمة التحرير يُعنى بجميع شؤون العائدين في البلدان المُضيفة وسواها ، وأن يمثل هذا الجهاز في اجتماعات المشرفين على شؤون العائدين في البلاد العربية .

٢١. كشف ومحاربة الجمعيات الصهيونية المُستترة تحت أسماء إنسانية برّاقة .

٢٢. إعطاء الناحية الدينية والأخلاقية حقها من الاهتمام ببرامج التوعية .

٢٣. العمل على محو الأمية ، ورفع مستوى الأسرة الفلسطينية .

٢٤. تشجيع القيام بالرحلات الاستطلاعية للأقسام الباقية من فلسطين ، وخصوصاً الخطوط الأمامية ومخيمات العائدين .

القرارات العامة :

قرر المؤتمر من الناحية العامة ما يلي :

١. اعتبار يوم ٢٨ أيار من كل سنة يوماً قومياً لجميع الشعوب العربية .

٢. مطالبة الدول العربية بالمزيد من مراقبة التصرفات المشبوهة التي يقوم بها اليهود في البلاد العربية ، والحدّ من نشاطهم السياسي والاقتصادي ، الذي يستهدف خدمة الصهيونية والاستعمار .

٣. إشراك المرأة الفلسطينية العربية في جميع مجالات العمل التنظيمي والنضالي ، ومساواتها بالرجل في جميع الحقوق والواجبات من أجل تحرير الوطن .

٤. تشكيل اتحادات نقابية للعمال الفلسطينيين وأصحاب المهن والخريجين ، وضمّها للاتحادات العربية العامة .

٥. مطالبة الدول العربية بمنح الفلسطينيين حق التنقل والعمل في البلاد العربية ، وإعطائهم الأفضلية في العمل .

٦. يُحيّي المؤتمر اتفاق الوحدة الذي تم بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ، ويطالب الشعوب العربية وحكوماتها السير قدماً لتحقيق خطوات وحدوية أخرى .

٧. يُحيّي المؤتمر ويؤيد نضال الشعب العربي في جنوب الجزيرة العربية ، والحركات التحررية العربية الأخرى ، ويستنكر المعاهدات غير المتكافئة ، ويطالب بإزالة القواعد الاستعمارية في كافة أنحاء الوطن العربي .

٨. مطالبة الدول العربية باتخاذ الخطوات العملية اللازمة للتشديد في تنفيذ المقاطعة الاقتصادية على « إسرائيل » ، ووضع حدّ لتسللها إلى الدول النامية .

٩. مناشدة الدول العربية باتخاذ موقف اقتصادي وسياسي موحد من الدول التي تُساند « إسرائيل » ، بما يتلاءم ومصلحة العرب بوجه عام وفلسطين بوجه خاص .

١٠. العمل على تقوية روابط الأخوة مع الشعوب والدول الإسلامية في العالم ، وتوعيتها بالقضية الفلسطينية ، والسعي لحملها على اتخاذ موقف موحد من « إسرائيل » ، وذلك استجابة لدواعي الأخوة الإسلامية .

١١. يستنكر المؤتمر موقف الدول الاستعمارية ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا من قضايا العرب بصورة عامة وقضية فلسطين بصورة خاصة . ويسجل بالتقدير موقف الدول الاشتراكية ، وبشكل خاص جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، وجمهورية الصين الشعبية من هذه القضايا .

١٢. انتهاز جميع المناسبات الدولية وغيرها للكشف عن سياسة التمييز العنصري والاضطهاد ، التي تمارسها « إسرائيل » تجاه العرب في القسم المُحتل من فلسطين ، خلافاً لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها .

١٣. مطالبة الدول العربية منح الحصانة والتسهيلات للفلسطينيين الذين يعملون في منظمة التحرير الفلسطينية وأجهزتها المختلفة .

١٤. إصدار بطاقة هوية شخصية من منظمة التحرير الفلسطينية لجميع أبناء فلسطين .

١٥. طلب تعيين حارس دولي على الأملاك والأموال العربية في القسم المحتل من فلسطين ، ليعود ريعها على أصحابها الشرعيين ريثما يسترد العرب وطنهم السليب .

إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية

لا شك في أن أهم ما أسفر عنه المؤتمر الوطني الأول بعث الكيان الفلسطيني وإعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو الحدث التاريخي الإيجابي الأبرز في حياة الشعب الفلسطيني المعاصرة(*) .

وفي ختام المؤتمر ألقى الشقيري الكلمة التالية :

حضرات الإخوان

هنالك طريقة واحدة لأشكركم على هذه الثقة ، لا بالكلام المُنمق ولا بالعبارات الموشاة ، و إنما بعهد إليكم وميثاق بين أيديكم ، أن أسير معكم إلى النهاية في منظمة التحرير إلى آخر نفس من حياتي .

وحين أقول أسير معكم إلى النهاية ، لا أعني أن أكون رئيس اللجنة التنفيذية إلى النهاية ، وإنما أعني أن أظل في منظمة التحرير رئيساً وعضواً إلى النهاية ، وسوف أعمل كل جهدي ما بقي من عمري لأن أعمل بإرشاداتكم وتوجيهكم لتحقيق كل مطالب الشعب العربي الفلسطيني في الكفاح ، ومن أجل تحرير وطننا .

أيها الإخوان :

الذي يعرف تاريخ الكيان للسنين الماضية ، وينظر إلى ما حقّقناه إلى دقيقتنا هذه ، من حقه أن يعجب ، ومن حقه أن يعتز ، ومن حقه أن يفخر ، لقد كانت هناك صعوبات ضخمة في الطريق ، صعوبات أكثرها صادرة عن الجهات الأجنبية وعن الجهات الدولية التي لا تريد لهذا الكيان أن يولد ولا تريد له إذا ولد أن يكبر وأن ينمو ، لأنها تعلم أن هذا الكيان إذا ولد وإذا كبر و إذا نَمَا معناه تحرير فلسطين و زوال « إسرائيل » .

أيها الإخوان :

أرى أن عليّ أمانة أرجو أن أستطيع حملها ولكني أريد معاونتكم لحملها ، أريد معاونتكم جميعاً : المؤتمر كلّه ، والشعب العربي الفلسطيني كله ، وأعضاء اللجنة التنفيذية الذين سوف يقع الاختيار عليهم في النهاية ، ومن غير هذه المعاونة ، ومن غير هذه الوحدة الوطنية التي تشمل الشعب الفلسطيني كله يكون الطريق طويلاً ويكون الطريق صعباً ، ولكن بتعاوننا وتضامننا ووحدتنا الوطنية ، وحدة الكفاح ، ووحدة ثورية نضالية ، نستطيع أن نقصّر الدرب إلى فلسطين وأن نبلغ أرضنا المغتصبة ، ونعود إليها ، وتعود فلسطين إلينا .

إن أول واجباتي أيها الإخوان - بعد انتهاء هذا المؤتمر - أن أقوم بالاتصالات بالدول العربية كلها ،

(*) انظر النص في بداية هذا الفصل .

وبطبيعة الحال بإخواني الشعب الفلسطيني ، ولن أفتر عن الاتصال بإخواني الشعب الفلسطيني حيثما كانوا ، لأن هذه القضية ليست لرئيس اللجنة التنفيذية ، ولا للجنة التنفيذية ولا للمؤتمر الوطني هذا ، ولكنها للشعب العربي الفلسطيني كله مقيمه و مهاجره .

إن هذه القضية يجب أن تظل بين يدي الشعب ، لقد كان من أسباب كارثتنا - الأسباب الماضية - أن الشعب كان بعيداً عن القضية ، والقضية كانت بعيدة عن الشعب .

هذه القضية لا تفلح إلا إذا انبثق الدفع الثوري فيها من صفوف الشعب ، من صفوف العمال ، والشباب ، والطلاب ، والمقيمين ، والعائدين والأساتذة ، والشيوخ ، والعلماء ، والشعراء ، والوزراء ، وكل طبقات الأمة ، لا تفرق بين مقيم وعائد ، ولا فرق بين من هم في الأردن ومن هم في الكويت ، أو في العراق ، أو في العربية السعودية ، كلنا شعب واحد ولنا هدف واحد هو تحرير فلسطين .

وإن واجبي الثاني بعد الاتصال بالدول العربية هو أن أعبّر عن رغبات الشعب الفلسطيني ، ورغبات مؤتمركم ، إلى مؤتمر الملوك والرؤساء . لقد كنت في اجتماع الدورة الأول الذي انعقد في القاهرة ، وقد كان وجودي يومئذٍ في ذلك المؤتمر وجود واحد منكم اختارته جامعة الدول العربية ليمثل الشعب الفلسطيني لدى مؤتمر الملوك والرؤساء .

ولكنني اليوم سوف أذهب إلى الإسكندرية لا مندوباً من جامعة الدول العربية ، ولكن ممثلاً لشعب فلسطين ، وثقوا أيها الإخوان أني حين أمثّل الشعب الفلسطيني في مؤتمر الملوك والرؤساء في الإسكندرية ، ذلك الاجتماع المقبل لن أكون فيه خانعاً ولا خاضعاً ، وإنما أجلس كعربيّ بكل عزة الشعب الفلسطيني كتفاً إلى كتف .

ليس للشعب الفلسطيني الآن دولة ، وليس للشعب الفلسطيني ملك ولا رئيس ، ولكني مع هذا كممثل للشعب الفلسطيني سوف أحكّ كتفي إلى جانب أكتاف الملوك والرؤساء .

أيها الإخوان :

إن لغتي هناك سوف تكون لغتكم ، وإن لهجتي هناك سوف تكون لهجتكم بكل مرارتها وبكل قسوتها ، بكل شدتها وبكل عمقها ، لن أكون دبلوماسياً ولا سياسياً ، ذلك أنني أمثل نضال شعب بكامله ، له إرادة ثورية ، إرادة حرّة لا إرادة دبلوماسية أو سياسية .

أيها الإخوان :

أنا لا أتكلم الآن بالحماسة وقد تجاوزت الخمسين وما هي بعمر الحماسة ، ولكني أتكلم بشعوركم وعاطفتكم وإيماننا بقضيتنا ، وكونوا على ثقة أيها الإخوان حينما أتحدث في مؤتمر الملوك و الرؤساء في الإسكندرية سيكون في طليعة حديثي الجانب العسكري للكيان .

لقد بنينا حتى الآن الشيء الكثير من كياننا الفلسطيني ، تذكروا أيها الإخوان أن الكيان كان محالاً ، أن الكيان أمامه المصاعب ، الكيان السياسي لم تكن أمامه ظروف تسمح بانبثاقه وقيامه ، الشخصية الفلسطينية لم يكن أمامها ظروف تأذن بقيامها ، العمل العسكري لم يكن هناك أي مجال للتفكير فيه .

أنتم الآن قد قررتم - في جملة ما قررتموه - الكيان السياسي والشخصية الفلسطينية ، وقررتم كذلك التجنيد لكل الفلسطينيين ، والتدريب لكل الفلسطينيين ، والكتائب الفلسطينية المسلحة تشكلها القيادة العربية الموحدة ، وأنا أعلم أنكم تريدون المزيد ، أنا أعلم أنكم تريدون أكثر من هذا . لقد وصلنا إلى هذا ولكن ما يزال على أوراقنا حتى هذا الذي وصلنا إليه ، ونحتاج إلى جهد مُضنٍ ، وإلى عَرَق وإلى سهر لننقل قراراتنا وأوراقنا إلى الأرض ، حتى نرى الجندي الفلسطيني والبندقية على كتفه في معركة التحرير .

أيها الإخوان :

إن عهدي إليكم معكم ، ونحن كلنا الشعب الفلسطيني بجهدي المتواضع ، ولكنه الكبير بكم والمعتز بكم ، إن هذا الذي قررناه وأنتم تريدون المزيد منه ، أن أعمل له كل جهدي وكل طاقتي لأنقله من الورق إلى الحقيقة ، ولن نقف عند هذا الحد ، فلا بد لنا من مرحلة أخرى تحقق المزيد من آمالكم ، وهي في عيونكم وقلوبكم ، وهي مستقرة في ضميري ، والسلام عليكم .

قيام منظمة التحرير الفلسطينية

رواية محمود رياض (*)

اتخذت القمة العربية الأولى (١٣ كانون الثاني / يناير ١٩٦٤) قراراً مهماً متعلقاً بموضوع الكيان الفلسطيني ، إذ قرر الرؤساء تكليف السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى الجامعة بإجراء اتصالاته بالدول الأعضاء والشعب

(*) وزير خارجية مصر في حينه .

المصدر : محمود رياض ، **مذكرات محمود رياض : الأمن القومي العربي .. بين الإنجاز والفشل** ، ج٢ ، القاهرة : دار المستقبل العربي ، ١٩٨٦ ، ص (٣٨٦ - ٣٨٩) .

الفلسطيني ، بغية إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني ، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره .

وكانت الجامعة قد تدخلت في موضوع تنظيم الشعب الفلسطيني منذ حزيران / يونيو ١٩٤٦ عندما أقرت إنشاء الهيئة العربية العليا ، وحدد اختصاصاتها وقررت المبالغ اللازمة لقيامها بمهامها . وعينت رئيسها ممثلاً لفلسطين في الجامعة . وفي عام ١٩٥٠ قرر مجلس الجامعة دعوة حكومة عموم فلسطين بعد قيامها لتمثيل الشعب الفلسطيني .

أما من ناحية الإشراف السياسي ،فقد شكل مجلس الجامعة في عام ١٩٤٩ ، لجنة دائمة تسمى لجنة فلسطين لمتابعة تطور القضية الفلسطينية . وفي صيف عام ١٩٤٩ ، أرسلت الدول العربية المحيطة بـ « إسرائيل » مندوبين عنها للتفاوض مع وفد « إسرائيل » تحت إشراف لجنة التوفيق التي شكلتها الأمم المتحدة للتفاوض حول مصير القضية ، وانتهت المفاوضات بتوقيع بروتوكول لوزان . ولم يكن هناك وفد رسمي يمثل شعب فلسطين ليبدي رأيه في قضيته، وإنما كانت هناك بعض الشخصيات الفلسطينية بالقرب من الوفود العربية .

وقد حاولت طوال الخمسينات المساعدة في قيام تنظيم فلسطيني منبثق عن الشعب الفلسطيني عن طريق الانتخاب ، إذ كنت أرى دوماً أنه دون وجود مثل هذا الكيان أو التنظيم فلن تكون هناك قضية .

وفي آذار / مارس ١٩٥٩ ، أثرت الموضوع في مجلس الجامعة ، فصدر قرار من المجلس يوصي فيه الدول العربية بإعادة تنظيم الشعب الفلسطيني ، وإبراز كيانه شعباً موحداً يسمع العالم صوته في المجال القومي وعلى الصعيد الدولي بواسطة ممثلين يختارهم الشعب الفلسطيني .

وعندما طرح الموضوع في القمة العربية ، أثار جدلاً بين الدول العربية .

كانت الأردن تخشى أن يؤدي القرار إلى فصل الضفتين الغربية والشرقية ، مما يؤدي إلى اجتياح الضفة الغربية لصالح « إسرائيل » .

إلا أن الشقيري أوضح في كلمته أن الكيان الفلسطيني لا يهدف إلى فصل الضفة الغربية عن الأردن ، وأن الغرض منه هو تنظيم الشعب الفلسطيني وتعبئة طاقاته مع كافة الدول العربية وفي مقدمتها الأردن .

وأظهر الملك حسين رضاه عن هذا التوضيح ، وقبل ببحث أسلوب التنفيذ مع الشقيري في عمان .

وفوجئ المؤتمر باقتراح من الرئيس أمين الحافظ يتلخص في ضرورة قيام الكيان الفلسطيني فوق أرض فلسطينية ، وهي الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبعبارة أخرى فصل الضفة الغربية عن الضفة الشرقية ، أما بالنسبة لغزة فلم تكن هناك مشكلة دستورية تواجه القطاع؛ فقد اعتبرت مصر قطاع غزة منذ توقيع اتفاقية الهدنة على أنه أرض فلسطينية تحت الإشراف الإداري لمصر .

وكان الاقتراح من الناحية النظرية سليماً للغاية ، إلا أنه كانت هناك صعوبات عديدة من الناحية العملية يجب تذليلها قبل تنفيذه . فلم يكن هناك تنظيم فلسطيني موجود ليتولى حكم هذه الأراضي ، كما كان مثل هذا التنظيم في حالة قيامه يحتاج إلى قدرات عسكرية ومالية كبيرة لمواجهة التهديد والمطامع « الإسرائيلية » . كان تنفيذ الاقتراح يحتاج باختصار إلى تعاون عربي صادق لتوفير الحد الأدنى لمقومات الحكم الفلسطيني والدفاع عن الأراضي الفلسطينية .

وأتصور الآن أنه لو كان الاقتراح قد نوقش مناقشة مناسبة في ذلك الوقت ، وخاصة مع الأطراف المعنية وهي مصر والأردن والفلسطينيين في الإطار العربي العام ، لكان من شأنه أن يؤدي إلى قيام الكيان الفلسطيني في ظل وحدة فلسطينية أردنية عن طريق استفتاء شعبي ، وهو ما يجري بحثه حالياً (*) ولكن بعد احتلال « إسرائيل » للضفة الغربية وقطاع غزة .

ورغم هذه الخلافات ، فقد أصدر الرؤساء في النهاية قراراً بتكليف السيد أحمد الشقيري بالإعداد لقيام الكيان الفلسطيني .

وبعد جولة واسعة قام بها الشقيري في العواصم العربية لبحث موضوع الكيان الفلسطيني ، وزارني بمكتبي ، وأبلغني أنه لقي ترحاباً أكبر في الكويت من أميرها الشيخ عبدالله السالم الصباح وحكومته . وأنه لقي تأييداً مماثلاً عندما زار البحرين من الشيخ عيسى آل خليفة ، وعندما زار قطر من الشيخ أحمد علي آل ثاني . وأعلن الرئيس عبد السلام عارف أيضاً تأييد العراق تأييداً كاملاً لقيام الكيان الفلسطيني .

وأبلغني الشقيري أنه استطاع إقناع الملك حسين والحكومة الأردنية بالمشروع الذي وضعه لقيام الكيان الفلسطيني .

وأخبرني أنه فشل في إقناع أمين الحافظ والحكومة السورية . وكان مقتنعاً بأن سوء العلاقات بين دمشق

(*) إشارة إلى مشروع الكونفدرالية الفلسطينية الأردنية الذي كان مطروحاً في السبعينات .

والقاهرة في ذلك الوقت كانت وراء هذه المعارضة السورية . فقد اتهموا الشقيري بأنه يأتمر بأمر مصر ، وبقوا على إصرارهم على إقامة حكومة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهو أمر لم يكن الشقيري يعترض عليه ولكنه لا يملك وسائل تنفيذه .

وعندما أخبرني الشقيري بهذه المعارضة التي لقيها في سورية قلت له إنه وضع مؤقت ، وإن سورية لا بد وأن تؤيد في النهاية قيام الكيان الفلسطيني .

كما واجهت الشقيري، مشكلة أثارها بعض الفلسطينيين عندما زار بيروت، فقد كان الحاج أمين الحسيني ، يصر على الإبقاء على الهيئة العربية العليا بزعامته باعتبارها الهيئة التي تمثل الشعب الفلسطيني ، مستنداً في ذلك إلى قرارات سابقة صادرة عن الجامعة العربية .

كما قامت معارضة من المنظمات الفلسطينية الموجودة في لبنان ، إذ كان كل تنظيم يريد أن يحتفظ بكيانه ، لذا عارضوا قيام التنظيم الفلسطيني الجديد ، وإن كان بعض هذه التنظيمات التي قامت دون تأثرها بتيارات سياسية معينة كمنظمة فتح ، وقفت حيادياً في البداية .

وفي ضوء هذه المعارضة ، كان الشقيري يرى أن التشتت الفلسطيني أشد خطراً على الكيان الفلسطيني من المعارضة التي تبديها بعض الدول .

وذكر لي الشقيري ، أنه يود زيارة قطاع غزة ، فتحدثت مع حاكم القطاع الفريق يوسف العجرودي ، وشرحت له أهمية نجاح الشقيري في إقامة الكيان الفلسطيني وفي قطاع غزة بالذات . وعندما وصل الشقيري إلى القطاع استقبل أحسن استقبال ، واستطاع الفريق العجرودي إعداد معسكر لتدريب الشباب الفلسطيني .

وكانت هذه أول خطوة عملية نحو إنشاء نواة الجيش الفلسطيني ، وقد تمت قبل قيام التنظيم الفلسطيني نفسه .

وفي ٢٨ أيار / مايو ١٩٦٤ ، عقد اجتماع المجلس الفلسطيني لأول مرة في القدس ، وضم شخصيات فلسطينية من كافة أنحاء الوطن العربي ، وبحضور الملك حسين ووفود عن الدول العربية . وفي ختام أعماله ، أعلن المؤتمر قيام منظمة التحرير الفلسطينية . وانتخب المجلس أحمد الشقيري رئيساً للمنظمة ، ليصبح أول ممثل لفلسطين لا يصدر قرار بتعيينه من مجلس الجامعة .

مخاض الميلاد في قمة الإسكندرية

يروي محمود رياض وزير خارجية مصر مشهد المخاض الذي شهدته قمة الإسكندرية في أيلول / سبتمبر ١٩٦٤ وآل أخيراً إلى إعلان ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية(*) فيقول : شهد المؤتمر مناقشات ساخنة حول موضوع الكيان الفلسطيني بعد أن انتخب الشقيري رئيساً لمنظمة التحرير .

وعندما بدأت المناقشة في موضوع الكيان الفلسطيني ، كان من الواضح أن الأمير فيصل قد تأثر بالرسائل العديدة التي وصلته من الحاج أمين الحسيني ، والتي تحمل توقيعات العديد من الفلسطينيين من أعوانه الذين يرفضون بشدة قيام منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الشقيري ، باعتبار أن الهيئة العربية العليا هي التي تمثل الشعب الفلسطيني .

وأشار الأمير فيصل إلى أن قرار القمة الأول قد عهد إلى الشقيري بدراسة الوسائل لإنشاء الكيان الفلسطيني ولم يعهد إليه أن ينشئ هذا الكيان بالفعل .

وكان الأمير فيصل على حق بالنسبة لتفسيره لقرار القمة .

وردّ الشقيري فصالَ وجالَ وتحدث حديثاً عاطفياً حول شعب فلسطين ، وذكر أنه لا يجوز أن تفرض الوصاية على الشعب الفلسطيني لكونه أصبح لاجئاً لدى الدول العربية . وأشار إلى أن مؤتمر القدس جاء معبراً عن مشاعر الشعب الفلسطيني تعبيراً صادقاً . وكان حديث الشقيري ذكياً وهو يحاول أن يستميل الأمير فيصل لا أن ينفره .

وتدخل الرئيس بن بيلا مذكراً أن منظمة التحرير قد قامت بالفعل ولم يعد هناك مجال لمناقشة هذا الامر، وأن انتخاب الشقيري رئيساً للمنظمة كان بالإجماع ، واقترح أن يبحث المؤتمر مطالب منظمة التحرير .

وفي هذه المناقشة لم يتعرض الفريق أمين الحافظ لموضوع الكيان الفلسطيني ، فقد شعر أن جميع الرؤساء يؤيدونه، بل إن الأمير فيصل كان ذكياً عندما أثار فقط وجود اعتراض من بعض الزعماء الفلسطينيين . ولم يعترض هو شخصياً على الكيان الفلسطيني ، بل كان من المؤيدين له .

وكان أول مطلب للشقيري هو إنشاء قوات فلسطينية مسلحة .

وأعلن عبد الناصر أن مصر تضع سيناء وقطاع غزة تحت تصرف المنظمة لإقامة معسكرات التدريب لإنشاء الجيش الفلسطيني .

وأعلن الرئيس السوري أمين الحافظ أن سورية توافق على إنشاء الجيش الفلسطيني على الأراضي

(*) المصدر : محمود رياض ، **مذكرات محمود رياض : الأمن القومي العربي .. بين الإنجاز والفشل** ج٢ ، القاهرة : دار المستقبل العربي ١٩٨٦ ، ص ص (٢٩٥ - ٢٩٧) .

السورية . وكذلك فعل عبد السلام عارف الرئيس العراقي . أما الملك حسين فقد أشار إلى أن الجيش الاردني مشكل فعلاً من أردنيين وفلسطينيين ، وأن إنشاء جيش فلسطيني بجوار الجيش الأردني يخلق حساسيات لا داعي لها .

وأبدى الفريق علي عامر رأيه في أنّ إنشاء جيش فلسطيني أمر يتعلق بالدول العربية ، لأنه سيتم إنشاؤه فوق أراضي هذه الدول . ثم أوضح أنه لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن جيش التحرير الفلسطيني الذي قد يقوم بأعمال لا تتفق مع خطط القيادة العامة .

وكان من الطبيعي أن القوات الفلسطينية في النهاية سوف تخضع في تحركاتها وأعمالها للدول المضيفة ، وكان ذلك واضحاً للشقيري بالرغم من محاولاته للحصول على أكبر قدر من الاستقلال لهذه القوات .

ولذلك ، فقد وافق الرؤساء على إنشاء جيش التحرير الفلسطيني بشرط أن يخضع في العمليات الحربية للقيادة الموحدة أو للقيادة المحلية .

وتبرعت كل من العراق والسعودية والكويت بمبلغ مليون دينار أردني ، وليبيا بنصف مليون دينار كمساهمة أولية من أجل تشكيل الجيش الفلسطيني . ثم أعلن عبد السلام عارف عن تقديمه دفعة ثانية قدرها مليون دينار ، وتقدم أمير الكويت بمبلغ مماثل .

ولذلك كانت البداية طيبة من أجل إنشاء جيش التحرير ، فقد تجمع لدى الشقيري مبلغ خمسة ملايين ونصف مليون دينار أردني .

أما بالنسبة لمصر وسورية فكان عليهما أن يقدما الأسلحة والمدربين للوحدات الفلسطينية التي تقام فوق أراضيهما .

وكانت البداية بإنشاء قوات القادسية في بغداد وقوات عين جالوت في غزة وقوات حطين في سورية ، كما قامت الكويت بإنشاء معسكر للقوات الفلسطينية تحت إشراف وزير الدفاع الشيخ سعد العبد الله .

وكان الشقيري قد زارني قبل لقاء القمة الثاني متعجلاً بحث القضية الفلسطينية ، وعدم إضاعة الوقت في الفرعيات كبحث موضوع مياه نهر الأردن ، فذكرت له أن المشكلة ليست في غياب الأبحاث العربية حول القضية أو تأييدها ، وإنما هي في غياب الأسلوب الأمثل لمعالجة القضية ، وأننا وضعنا أخيراً الأسس السليمة عندما قررنا قيام قيادة عربية موحدة ، وإنشاء تنظيم فلسطيني يقود حركة النضال .

وكان الحمل ثقيلاً للغاية على الشقيري ، فكان عليه أن يبدأ من الصفر أو ما دون الصفر في إقامة منظمة التحرير ، وكانت هناك اختلافات في وجهات نظر الدول العربية بالنسبة إلى مهمته ودور المنظمة ، فالدول التي لا يوجد لها حدود مع « إسرائيل » ، كالكويت والعراق ودول المغرب العربي تؤيد قرارات قيام المنظمة ومهمة الشقيري دون تحفظ .

أما دول المواجهة فاختلفت أوضاعها ، مصر لم تفكر في أي وقت في ضم غزة إلى أراضيها ، ولذلك كانت تؤيد قيام التنظيم الفلسطيني دون تحفظ . ولم تحاول التدخل في أعمال المنظمة كما لم تسمح لأن يكون لها تنظيم خاص بها داخل المنظمة .

وكان الأردن يرى بأن أكثر من خمسين في المائة من سكانه من أصل فلسطيني ، ولم تكن هناك حدود بين الأردن وفلسطين قبل عام ١٩٢٢ ، ولذلك كانت هناك قناعة لديّ بأن المصلحة تقتضي باستمرار هذه الوحدة الطبيعية ، وبالتالي لا يوجد ما يدعو لقيام منظمة فلسطينية فوق الأراضي الأردنية .

وكانت المشكلة التي تواجه الشقيري إيجاد صيغة توفيقية بين هذه الحقائق التاريخية ، وبين قيام منظمة تقود النضال الفلسطيني من أجل التحرر ، يساهم فيها الفلسطينيون الموجودون في الأردن .

أما في سورية فلم يكن هناك أي شك في التأييد السوري للقضية أو لقيام تنظيم فلسطيني ، إلا أنّ تعدد الانقلابات في سورية كان يؤثر على علاقاتها مع مصر والأردن حسب الاتجاهات السائدة ، وكان ذلك ينعكس على علاقاتها بالمنظمة وبالشقيري بالذات ، فقد اعتبرته الحكومة السورية في هذا الوقت خاضعاً للنفوذ المصري ، فكان تأييدها يشوبه بعض التحفظات .

أما السعودية ، والتي كانت على الدوام في مقدمة الدول المؤيدة للقضية فإنها كانت تدعم الهيئة العربية العليا بقيادة الحاج أمين الحسيني ، عندما لم يكن هناك غيره على الساحة لقيادة النضال الفلسطيني ، ولذلك لم يكن من الأمور اليسيرة أن تبدل موقفها بسرعة وتمتنع عن دعم الحاج أمين الحسيني الذي كان يعارض في قيادة الشقيري لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وكنت أرى من أحاديث الشقيري أن معاناته الكبرى هي في إقناع الكتل والجماعات الفلسطينية في توحيد صفوفهم في منظمة التحرير .

الفصل السادس

منظمة التحرير الفلسطينية في عهد الشقيري ١٩٦٤ - ١٩٦٧

١ - الوثائق الأساسية للمنظمة :

- الميثاق القومي الفلسطيني
- النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية

٢ - المؤسسات الرئيسة لمنظمة التحرير الفلسطينية :

- جيش التحرير الفلسطيني
- قوات التحرير الشعبية
- الصندوق القومي الفلسطيني
  - النظام الأساسي للصندوق القومي الفلسطيني
- مركز الأبحاث
- الإذاعة الفلسطينية : صوت فلسطين .. صوت م . ت . ف .
  - كلمة الشقيري في افتتاح الإذاعة ، (آذار/مارس ١٩٦٥)

٣ - القيادات التنفيذية في مرحلة الشقيري :

- اللجان التنفيذية
- مدراء دوائر المنظمة ومكاتبها

٤ - دورات المجلس الوطني الفلسطيني (القرارات)

- الدورة الثانية - القاهرة ١٩٦٥ :
  - القرارات السياسية
  - القرارات العسكرية
  - القرارات الإعلامية
  - قرارات التنظيم الشعبي
- الدورة الثالثة - غزة ١٩٦٦ :
  - القرارات السياسية
  - القرارات العسكرية
  - قرارات في التنظيم الشعبي
  - قرارات في الإعلام والتوجيه القومي
  - القرارات المالية

١ - الوثائق الأساسية للمنظمة

الميثاق القومي الفلسطيني

مقدمة

نحن الشعب العربي الفلسطيني ، الذي خاض معارك ضارية متصلة من أجل الحفاظ على وطنه والدفاع عن شرفه وكرامته ، والذي قدم عبر السنين قوافل متتابعة من الشهداء الخالدين ، وسطر أروع صفحات البذل والتضحية والفداء .

نحن الشعب العربي الفلسطيني ، الذي تآلبت عليه عوامل الظلم والشر والعدوان ، وتآمرت عليه قوى الصهيونية العالمية والاستعمار ، وعملت على تشريده واغتصاب دياره وأراضيه واستباحة حرماته وانتهاك مقدساته ، فما استكان أو لانت له قناة .

نحن الشعب العربي الفلسطيني ، الذي آمن بعروبته وبحقه في استخلاص وطنه وتحقيق حريته وكرامته ، وصمم على حشد قواه ، وتعبئة كل جهوده وطاقاته من أجل متابعة نضاله والسير قدماً على طريق الجهاد المقدس حتى يتحقق له النصر النهائي الكامل .

نحن الشعب العربي الفلسطيني ، استناداً إلى حقنا في الدفاع عن النفس ، واسترداد الوطن السليب بكامله ، وهو الحق الذي أقرته الأعراف والمواثيق الدولية ، وفي مقدمتها ميثاق الأمم المتحدة ، وتطبيقاً لمبادئ حقوق الإنسان ، وإدراكاً منا لطبيعة العلاقات السياسية الدولية ، بمختلف أبعادها ، ومراميها ، واعتباراً للتجارب التي خلت في كل ما يتعلق بأسباب النكبة وأساليب مجابهتها ، وانطلاقاً من الواقع العربي الفلسطيني ، ومن أجل عزة الإنسان الفلسطيني وحقه في الحياة الحرة الكريمة ، وشعوراً منا بالمسؤولية القومية الخطيرة المُلقاة على عاتقنا .

ومن أجل هذا كله ، نحن الشعب العربي الفلسطيني ، نملي هذا الميثاق القومي الفلسطيني ونعلنه ، ونقسم على تحقيقه :

مادة ١ - فلسطين وطن عربي تجمعه روابط القومية العربية بسائر الأقطار العربية ، التي تؤلف معها الوطن العربي الكبير .

مادة ٢ - فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني ، وحدة إقليمية لا تتجزأ .

مادة ٣ - الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ، وهو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية يشترك معها في آمالها وآلامها ، وفي كفاحها من أجل الحرية والسيادة والتقدم والوحدة .

مادة ٤ - شعب فلسطين يقرر مصيره ، بعد أن يتم تحرير وطنه ، وفق مشيئته وبمحض إرادته واختياره .

مادة ٥ - الشخصية الفلسطينية صفة أصيلة لازمة لا تزول ، وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء .

مادة ٦ - الفلسطينيون هم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون إقامة عادية في فلسطين حتى عام ١٩٤٧ ، سواء من أخرج منها أو بقي فيها ، وكل من ولد لأب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطيني .

مادة ٧ - اليهود الذين هم من أصل فلسطيني يعتبرون فلسطينيين إذا كانوا راغبين بأن يلتزموا العيش بولاء وسلام في فلسطين .

مادة ٨ - إن تنشئة الجيل الفلسطيني تنشئة عربية قومية واجب قومي رئيسي ، ويجب اتخاذ جميع وسائل التوعية والتثقيف لتعريفه بوطنه تعريفاً روحياً عميقاً يشده على الدوام إلى وطنه شداً وثيقاً راسخاً .

مادة ٩ - المذاهب العقائدية سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية لا تشغل أهل فلسطين عن واجبهم الأول في تحرير وطنهم ، والفلسطينيون جميعاً جبهة وطنية واحدة ، يعملون لتحرير وطنهم بكل مشاعرهم وطاقاتهم الروحية والمادية .

مادة ١٠ - يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات : الوحدة الوطنية ، والتعبئة القومية ، والتحرير ، وبعد أن يتم تحرير الوطن يختار الشعب الفلسطيني لحياته العامة ما يشاء من النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

مادة ١١ - الشعب الفلسطيني يؤمن بالوحدة العربية ، ولكي يؤدي دوره في تحقيقها ، يجب عليه في هذه المرحلة من كفاحه أن يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها ، وأن ينمي الوعي بوجودها ، وأن يناهض أياً من المشروعات التي من شأنها إذابتها أو إضعافها .

مادة ١٢ - الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان يهيئ الواحد منهما تحقيق الآخر ، فالوحدة العربية تؤدي إلى تحرير فلسطين ، وتحرير فلسطين يؤدي إلى الوحدة العربية ، والعمل لهما يسير جنباً إلى جنب .

مادة ١٣ - إن مصير الأمة العربية ، بل الوجود العربي بذاته ، رهن بمصير القضية الفلسطينية ، ومن هذا الترابط ينطلق سعي الأمة العربية وجهدها لتحرير فلسطين ، ويقوم شعب فلسطين بدوره الطليعي لتحقيق هذا الهدف القومي المقدس .

مادة ١٤ - إن تحرير فلسطين ، من ناحية عربية ، هو

واجب قومي تقع مسؤولياته كاملة على الأمة العربية بأسرها حكومات وشعوباً وفي طليعتها الشعب العربي الفلسطيني ، ومن أجل ذلك فإن على الأمة العربية أن تعبئ جميع طاقاتها العسكرية والمادية والروحية في سبيل تحرير فلسطين ، وعليها بصورة خاصة أن تبذل للشعب العربي الفلسطيني العون والتأييد ، وتوفر الوسائل والفرص الكفيلة لتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه .

مادة ١٥ - إن تحرير فلسطين ، من ناحية روحية ، يهيئ للبلاد المقدسة جواً من الطمأنينة والسكينة ، تصان في ظلاله جميع المقدسات الدينية ، وتكفل حرية العبادة والزيارة للجميع من غير تفريق ولا تمييز ، سواء على أساس العنصر أو اللون أو اللغة أو الدين . ومن أجل ذلك فإن أهل فلسطين يتطلعون إلى نصرة جميع القوى الروحية في العالم .

مادة ١٦ - إن تحرير فلسطين ، من ناحية دولية ، هو عمل دفاعي تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس كما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة . من أجل ذلك فإن الشعب الفلسطيني الراغب في مصادقة جميع الشعوب ، يتطلع إلى تأييد الدول المحبة للحرية والعدل والسلام لإعادة الأوضاع الشرعية إلى فلسطين وإقرار الأمن والسلام في ربوعها ، وتمكين أهلها من ممارسة السيادة الوطنية والحرية القومية .

مادة ١٧ - إن تقسيم فلسطين الذي جرى عام ١٩٤٧ ، وقيام « إسرائيل » باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن ؛ لمُغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعي في وطنه ، ومناقضته للمبادئ العامة التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، وفي مقدمتها حق تقرير المصير .

مادة ١٨ - يعتبر باطلاً كلٌّ من : وعد بلفور ، وصك الانتداب ، وما ترتب عليهما ، وأن دعوى الروابط التاريخية أو الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقائق التاريخ ولا مع مقومات الدولة في مفهومها الصحيح . وأن اليهودية بوصفها ديناً سماوياً ليست قومية ذات وجود مستقل ، وكذلك فإن اليهود ليسوا شعباً واحداً له شخصيته المستقلة ، وإنما هم مواطنون في الدول التي ينتمون إليها .

مادة ١٩ - الصهيونية حركة استعمارية في نشوئها ، عدوانية وتوسعية في أهدافها ، عنصرية تعصبية في تكوينها ، وفاشستية بمراميها ووسائلها . وإن « إسرائيل » بوصفها طليعة هذه الحركة الهدّامة وركيزة للاستعمار ، مصدر دائم للقلق والاضطراب في الشرق الأوسط خاصة ، وللأسرة الدولية بصورة عامة . ومن أجل ذلك فإن أهل فلسطين جديرون بعون الأسرة الدولية وتأييدها .

مادة ٢٠ - إن دواعي الأمن والسلم ، ومقتضيات الحق والعدل ، تتطلب من الدول جميعها حفظاً للعلاقات الصادقة بين الشعوب ، واستبقاء لولاء المواطنين لأوطانهم ، أن تعتبر الصهيونية حركة غير مشروعة وتحرم وجودها ونشاطها .

مادة ٢١ - يؤمن الشعب الفلسطيني بمبادئ : العدل ، والحرية ، والسيادة ، وتقرير المصير ، والكرامة الإنسانية ، وحق الشعوب في ممارستها ، ويؤيد جميع المساعي الدولية التي تهدف إلى إقرار السلم على أساس الحق والتعاون الدولي الحرّ .

مادة ٢٢ - يؤمن الشعب الفلسطيني بالتعايش السلمي على أساس الوجود الشرعي ، إذ لا تعايش مع العدوان ، ولا سلم مع الاحتلال والاستعمار .

مادة ٢٣ - تحقيقاً لأهداف هذا الميثاق ومبادئه ، تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بدورها الكامل في تحرير فلسطين ، وفق النظام الأساسي لهذه المنظمة .

مادة ٢٤ - لا تمارس هذه المنظمة أية سيادة إقليمية على الضفة الغربية في المملكة الأردنية الهاشمية ولا قطاع غزة ولا منطقة الحمّة ، وسوف يكون نشاطها على المستوى القومي الشعبي في الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية .

مادة ٢٥ - تكون هذا المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل تحرير وطنه في جميع الميادين : التحريرية ، والتنظيمية ، والسياسية ، والمالية ، وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين : العربي والدولي .

مادة ٢٦ - تتعاون منظمة التحرير مع جميع الدول العربية كل حسب إمكانياتها ، ولا تتدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية .

مادة ٢٧ - يكون لهذه المنظمة عَلَم وقَسَم ونشيد ، ويقرر ذلك كله بموجب نظام خاص .

مادة ٢٨ - يلحق بهذا الميثاق نظام يعرف بالنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، تحدد فيه كيفية تشكيل المنظمة ، وهيئاتها ، ومؤسساتها ، واختصاصات كل منها ، وجميع ما تقتضيه الواجبات المُلقاة عليها بموجب هذا الميثاق .

مادة ٢٩ - لا يعدل هذا الميثاق إلا بأكثرية ثلثي مجموع أعضاء المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية في جلسة خاصة يدعى إليها من أجل هذا الغرض .

النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية

الباب الأول
مبادئ عامة

مادة ١ - يشكل الفلسطينيون فيما بينهم وفقاً لأحكام هذا النظام منظمة تعرف باسم منظمة التحرير الفلسطينية .

مادة ٢ - تباشر منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولياتها وفق مبادئ الميثاق القومي وأحكام هذا النظام الأساسي ، وما يصدر استناداً إليهما من لوائح وأحكام وقرارات .

مادة ٣ - تقوم العلاقات داخل المنظمة على أساس الالتزام بالنضال والعمل الوطني في ترابط وثيق بين المستويات المختلفة من قاعدة المنظمة إلى قيادتها الجماعية ، وعلى أساس احترام الأقلية لإرادة الأغلبية ، وكسب ثقة الشعب عن طريق الإقناع ومتابعة الحركة النضالية ، والعمل على استمرار الدفع التحريري لدى الجماهير . وتطبيقاً وتنفيذاً لهذا المبدأ ، على اللجنة التنفيذية أن تضع نظاماً خاصاً بتشكيلات المنظمة مراعية في ذلك ظروف الفلسطينيين في مختلف أمكنة تجمعهم ، وتحقيق أهداف الميثاق والنظام .

مادة ٤ - الفلسطينيون جميعاً أعضاء طبيعيون في منظمة التحرير الفلسطينية ، يؤدون واجبهم في تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم ، والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة .

الباب الثاني
المجلس الوطني

مادة ٥ - يُنتخب أعضاء المجلس الوطني عن طريق الاقتراع المباشر من قبل الشعب الفلسطيني ، بموجب نظام تضعه اللجنة التنفيذية لهذه الغاية .

مادة ٦ - إذا تعذر إجراء الانتخابات الخاصة بالمجلس الوطني ، استمر المجلس الوطني قائماً إلى أن تتهيأ ظروف الانتخابات .

مادة ٧ - المجلس الوطني هو السلطة العليا لمنظمة التحرير ، وهو الذي يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجها .

مادة ٨ - مدة المجلس الوطني ثلاث سنوات ، وينعقد دورياً بدعوة من رئيسه مرة كل سنة في شهر أيار/ مايو من كل سنة ، أو في دورات غير عادية بدعوة من رئيسه ، بناء على طلب من اللجنة التنفيذية أو من ربع عدد أعضاء المجلس ، ويكون مكان انعقاده في القدس أو غزة أو أي مكان آخر ، حسب الظروف . فإذا لم يدعُ رئيس المجلس إلى مثل هذا الاجتماع ، يعتبر الاجتماع منعقداً حُكماً في المكان والزمان المحددين في طلب أعضائه أو طلب اللجنة التنفيذية .

مادة ٩ - يكون للمجلس الوطني مكتب رئاسة مؤلف من : الرئيس ونائبين للرئيس وأمين عام ينتخبهم المجلس الوطني في بدء انعقاده .

مادة ١٠ - ينظر المجلس الوطني في دور انعقاده العادي في :

أ - التقرير السنوي الذي تقدمه اللجنة التنفيذية عن إنجازات المنظمة وأجهزتها .

ب - التقرير السنوي للصندوق القومي واعتماد الميزانية .

ج - الاقتراحات التي تقدم إليه من لجان المنظمة .

د - أي مسائل أخرى تعرض عليه .

مادة ١١ - يؤلف المجلس الوطني - تيسيراً لأعماله - اللجان التي يرى ضرورة لتشكيلها . وتقدم هذه اللجان تقاريرها وتوصياتها إلى المجلس الوطني الذي يقوم بدوره بمناقشتها ويصدر قراراته بشأنها .

مادة ١٢ - يتكون النصاب القانوني للمجلس بحضور ثلثي أعضائه ، وتتخذ القرارات بأغلبية أصوات الحاضرين .

الباب الثالث
اللجنة التنفيذية

مادة ١٣ - ينتخب المجلس الوطني من بين أعضائه رئيس اللجنة التنفيذية ، ويتولى الرئيس اختيار أعضائها .

مادة١٤ - تؤلف اللجنة التنفيذية من خمسة عشر عضواً بمن فيهم الرئيس ، وينتخب هؤلاء من بينهم نائباً للرئيس .

مادة ١٥ - اللجنة التنفيذية هي أعلى سلطة تنفيذية للمنظمة ، وتكون دائمة الانعقاد وأعضاؤها متفرغون للعمل ، وتتولى تنفيذ السياسة والبرامج والمخططات التي يقررها المجلس الوطني ، وتكون مسؤولة أمامه مسؤولية تضامنية وفردية .

مادة ١٦ - تتولى اللجنة التنفيذية :

أ - تمثيل الشعب الفلسطيني .

ب - الإشراف على تشكيلات المنظمة .

ج - إصدار اللوائح والتعليمات واتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم أعمال المنظمة ، على ألا تتعارض مع الميثاق أو النظام الأساسي .

د - تنفيذ السياسة المالية للمنظمة وإعداد ميزانيتها .

وعلى وجه العموم ، تباشر اللجنة التنفيذية جميع مسؤوليات منظمة التحرير وفق الخطط العامة والقرارات التي يصدرها المجلس الوطني .

مادة ١٧ - يكون المقر الدائم للجنة التنفيذية في مدينة القدس ، ولها أن تعقد اجتماعاتها في أي مكان آخر تراه مناسباً .

مادة ١٨ - تنشئ اللجنة التنفيذية الدوائر الآتية :

أ - الدائرة التحريرية .

ب - دائرة الشؤون السياسية والإعلامية .

ج - دائرة الصندوق القومي الفلسطيني .

د - دائرة الشؤون العامة والتوجيه القومي .

هـ - أي دائرة أخرى ترى اللجنة ضرورة إنشائها .

ويكون لكل دائرة مدير عام والعدد اللازم من الموظفين . ويحدد اختصاص كل دائرة بنظام خاص تضعه اللجنة التنفيذية .

مادة ١٩ - تقوم اللجنة التنفيذية بتوثيق العلاقات وتنسيق العمل بين المنظمة وبين جميع المنظمات والاتحادات والمؤسسات العربية والدولية ، التي تتفق معها في الأهداف أو تعينها على تحقيق أغراض المنظمة .

مادة ٢٠ - تستمر اللجنة التنفيذية في ممارسة صلاحياتها واختصاصاتها ما دامت متمتعة بثقة المجلس الوطني ، وعلى اللجنة التنفيذية أن تقدم استقالتها إلى المجلس الوطني الجديد في أول اجتماع يعقده ، ويجوز إعادة انتخاب رئيس اللجنة المستقيل .

مادة ٢١ - يتكون النصاب القانوني للجنة التنفيذية من ثلثي أعضائها ، وتتخذ قراراتها بأغلبية أصوات الأعضاء الحاضرين .

الباب الرابع
أحكام عامة

مادة ٢٢ - تشكل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية والخطة التي تقررها القيادة العربية الموحدة ، بالاتفاق وبالتعاون مع الدول العربية المعنية .

مادة ٢٣ - تعمل اللجنة التنفيذية على إلحاق الفلسطينيين بالكليات والمعاهد الحربية العربية للتدريب العسكري وتعبئة جميع طاقات الفلسطينيين وإمكاناتهم ، وإعدادهم لمعركة التحرير .

مادة ٢٤ - ينشأ صندوق يعرف بالصندوق القومي الفلسطيني لتمويل أعمال المنظمة ، يقوم بإدارته مجلس إدارة خاص يؤلف بموجب نظام خاص بالصندوق يصدره المجلس الوطني .

مادة ٢٥ - موارد الصندوق القومي تتألف من :

أ - ضريبة ثابتة على الفلسطينيين تفرض و تُجبى بنظام خاص .

ب - المساعدات المالية التي تقدمها الحكومات والأمه العربية .

ج - طابع التحرير الذي تنشئه الدول العربية لاستعماله في المعاملات البريدية وغيرها .

د - التبرعات والهبات .

هـ - القروض والمساعدات العربية أو التي تقدمها الشعوب الصديقة .

و - أية موارد أخرى يقرها المجلس الوطني .

مادة ٢٦ - تشكل في البلاد العربية والصديقة لجان تعرف بلجان نصرة فلسطين ، لجمع التبرعات ومساندة المنظمة في مساعيها القومية .

مادة ٢٧ - يكون تمثيل الشعب الفلسطيني في المؤسسات والمؤتمرات العربية على المستوى الذي تقرره اللجنة التنفيذية ، وتُسمي اللجنة التنفيذية ممثلاً لفلسطين لدى جامعة الدول العربية .

مادة ٢٨ - يحق للجنة التنفيذية أن تصدر من اللوائح ما يلزم لتنفيذ أحكام هذا النظام .

مادة ٢٩ - تعديل هذا النظام الأساسي أو تغييره أو الإضافة إليه من سلطة المجلس الوطني للمنظمة بأغلبية ثلثي أعضائه .

الباب الخامس
أحكام انتقالية

مادة ٣٠ - يصبح المؤتمر الوطني الأول مجلساً وطنياً انتقالياً تنتهي مدته بانتخاب أول مجلس وطني وفقاً لأحكام هذا النظام ، ويمارس كافة الاختصاصات والصلاحيات المقررة للمجلس الوطني .

مادة ٣١ - تكون مدة المجلس الوطني الحالي سنتين ابتداء من ٢٨/ ٥/ ١٩٦٤ .

٢- المؤسسات الرئيسة لمنظمة التحرير الفلسطينية

كان قيام منظمة التحرير الفلسطينية بمثابة التجسيد الفعلي والعملي للكيان الفلسطيني ، الذي يعد أهم ما تحقق للشعب الفلسطيني بعد نكبة عام ١٩٤٨ وتشتته في الآفاق . لقد عمل هذا الكيان على توحيد الصف الفلسطيني ، وجمع كلمته ، وبلورة أهدافه ، واختيار الوسائل التي بها يمكن تحقيقها ، والتي تتلخص في حقوقه الدائمة في وطنه ، وهي حقوق لا تسقط بالتقادم ، ولا يمكن التفريط فيها أو التنازل عنها ، ولا يحق لأي جهة تجاوزها أو تخطيها .

لا شك في أن من أهم إنجازات الشقيري بعث الكيان الفلسطيني وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، كما قلنا سابقاً ، والأهم من هذا أنه وضع الأسس السليمة والمرتكزات القوية والقواعد المتينة لهذا الكيان ، وشكّل الهيكل التنظيمي والأطر الصحيحة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فصاغ الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الأساس للمنظمة ، من واقع خلفيته القانونية وخبرته النضالية ومشاركته في مسيرة القضية الفلسطينية .

وكان من أبرز المقومات لهذا الهيكل التنظيمي وأسسه ، قيام الشقيري بإنشاء المؤسسات الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية وهي : جيش التحرير الفلسطيني ، والصندوق القومي الفلسطيني ، ومركز الأبحاث . وفي الوقت نفسه أدرك أهمية الإعلام ودوره الفعال في الكفاح والنضال ، فأسس الإذاعة الفلسطينية .. صوت فلسطين ، وأنشأ مكاتب للمنظمة في الأقطار العربية والدول الصديقة لتقوم بواجبها في التوعية بالقضية ، وبخدمة الشعب الفلسطيني في الشتات ، وبتقوية الروابط والصلات بالمسؤولين والرسميين والبارزين في الأقطار المختلفة بما يخدم القضية الفلسطينية .

ونعرض تالياً للمؤسسات التي أنشأها الشقيري :

جيش التحرير الفلسطيني(*)

آمن الشقيري بأنه ما دامت منظمة التحرير الفلسطينية تعمل على تحرير فلسطين ، وأن هدفها الأساس هو استعادة الأراضي الفلسطينية المحتلة ، فلا بد من وجود جيش كأداة لتحقيق هذا الهدف ، الذي كان محل إجماع أعضاء المجلس . ولذلك نصّت القرارات العسكرية للمجلس على :

١) البدء فوراً بفتح المعسكرات لتدريب جميع القادرين على حمل السلاح من الشعب الفلسطيني ، رجالاً ونساء وبصورة إلزامية ودائمة . وإعداد كل فرد منهم ليكون على مستوى معركة التحرير .

٢) تشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية ، وكتائب فدائية قادرة وفعّالة .

٣) تزويد هذه الكتائب بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة والتجهيزات اللازمة .

٤) السعي لإلحاق الشباب الفلسطيني بالكليات والمدارس العسكرية في الدول العربية والدول الصديقة .

٥) تطبيق نظام المقاومة الشعبية والدفاع المدني في صفوف الشعب الفلسطيني .

وبغية البدء بتنفيذ بعض هذه القرارات بسرعة ، تمّ افتتاح أول معسكر في قطاع غزة في شهر أيار / مايو ١٩٦٤ . وافتتحت الحكومة الجزائرية معسكراً تدريبياً خاصا بالفلسطينيين ، وطلبت من مكتب فلسطين في الجزائر تزويدها بأسماء الفلسطينيين الذين يرغبون في الالتحاق بهذا المعسكر .

ظهر أول وجود علني للجيش الفلسطيني النظامي في احتفالات الجمهورية العربية في (مصر) بعيد الثورة يوم ١٩٦٤/٧/٢٣ ، إذ اشتركت وحدات رمزية في العرض العسكري باسم « جيش فلسطين » .

أيّد مؤتمر القمة الثاني الذي انعقد في الإسكندرية يوم ١٩٦٤/٩/٥ قرار منظمة التحرير الفلسطينية بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني التابع للمنظمة ، وباختيار ضباطه وجنوده من أبناء فلسطين أينما وجدوا ، ورصدت المنظمة المبالغ اللازمة له . ونص في بيانه الختامي على أن المؤتمر « اعتمد قرار المنظمة بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني » .

وإثر ذلك ، عينت رئاسة المنظمة ضابطاً فلسطينياً قائداً لجيش التحرير الفلسطيني ، وهو اللواء وجيه المدني من الكويت ، ودَعَته إلى العمل لإنشاء قوات نظامية وقوات فدائية ، وطلبت منه أن يتعاون تعاوناً كاملاً مع القيادة العربية الموحَّدة في جامعة الدول العربية .

شُكلت نواة لهذا الجيش في كلّ من سورية ومصر والعراق ، وأُطلق على قوات الجيش في سورية التي بلغت ثلاث كتائب اسم (قوات حطين) ، وفي العراق شُكّل من كتيبتين حَمَلتا اسم (قوات القادسية) ، وفي قطاع غزة

(*) المصدر : **الموسوعة الفلسطينية** ، ق١ ، ١٩٨٤ ، ج٢ : ص ص١١٦ - ١١٨ . و د . محمد اشتية (تحرير) ، **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية** ، البيرة - فلسطين : المركز الفلسطيني للدراسات العالمية ، ٢٠٠٨ ، ص ١٩٨ .

أُعلن التجنيد الإجباري ، وشكلت القوات في القطاع من ثلاث كتائب حملت اسم قوات (عين جالوت) ، وقامت على رأس القوات الثلاث القيادة العامة لجيش التحرير الفلسطيني ومقرّها القاهرة ، وتتكون من القائد العام للجيش ورئيس الأركان ورؤساء أجهزة القيادة المختلفة .

قدمت سورية والعراق ومصر تسهيلات جمّة من أجل تيسير تطوّع الفلسطينيين في جيش التحرير ، وفتحت أبواب كلياتها ومدارسها العسكرية للتدريب القيادي والاختصاصي والمهني ، وللتمرس بمختلف فنون القتال واستعمال الأسلحة . وسلكت معظم الدول العربية الأخرى هذا السبيل ، إذ سمحت بتطوع الفلسطينيين للالتحاق بالوحدات التي تم تشكيلها ، أو بالكليات والمدارس العسكرية العربية التي رحّبت بتدريب الفلسطينيين .

عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الثانية في القاهرة في ١٩٦٥/٥/٣١ وأصدر قرارات عسكرية ، تعكس حجم اهتمام المنظمة بالجيش من جهة وعدم مقابلة هذا الاهتمام بما يوازيه من قبل الدول العربية ، وهي :

١) الإسراع في تنفيذ التدريب الشعبي .

٢) إنشاء إدارة للتعبئة العامة في المنظمة .

٣) تسهيل مهمة قيادة جيش التحرير في اختيار الضباط والعناصر العسكرية الأخرى ، وانتقالهم ضمن وحدات جيش التحرير وفقاً للمقتضيات العسكرية ، وتمكين القيادة من تدريب الفلسطينيين في أراضي الدول العربية المقيمين فيها .

٤) فرض التجنيد الإلزامي على جميع الفلسطينيين القادرين على حمل السلاح أينما كانوا .

٥) مضاعفة الاهتمام بتشكيلات الفدائيين وزيادة أعدادهم بشكل يمكّن من استخدامهم استخداماً ناجحاً في العمليات الحربية .

٦) الاهتمام بدور المرأة الفلسطينية في معركة التحرير ، لتمكينها من العمل في المقاومة الشعبية ، والخدمات الطبية ، والإسعاف الميداني .

وبعد أن أخذت قيادة الجيش تنفذ خطط التعبئة والتجنيد ، وتلحق الأفراد بدورات تدريبية ، وتبعث المرشحين ليكونوا ضباطاً إلى الكليات العسكرية العربية ، ظهرت أزمة في إطار العمل العربي المشترك تركت آثارها في تطوّر جيش التحرير ، وفي تمركز قواته ومهامها ، كما أثّرت في أعمال منظمة التحرير الفلسطينية ذاتها . وقد برزت هذه الأزمة في مطلع عام ١٩٦٦ حينما اقترحت المنظمة على الأردن السماح لها بتطبيق التجنيد الإلزامي على الفلسطينيين ، وإنشاء كتائب أخرى لجيش التحرير ، وإقامة معسكرات للتدريب الشعبي . وظهرت بوادر انفراج الأزمة إثر الاجتماع المشترك بين الجانبين الأردني والفلسطيني يوم ١٩٦٦/٢/٢١ في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة .

تأزمت العلاقات بين الحكومة الأردنية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، مما أدّى إلى قطع الحكومة الأردنية علاقاتها بمنظمة التحرير في الشهر السابع من عام ١٩٦٦ .

وفي دورته الثالثة التي عقدها المجلس الوطني الفلسطيني في غزة يوم ١٩٦٦/٥/٢٠ ، أصدر عدة قرارات تتعلق بالشؤون العسكرية ، تعبّر عن واقع حال الجيش والمنظمة منها :

١) مناشدة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية تجاه قيادة جيش التحرير ، واعتبار مخصصات الجيش المالية التزامات على الدول العربية غير مرتبطة بما يتوفر من المال لدى القيادة العربية الموحدة .

٢) تحويل إيرادات الصندوق القومي الفلسطيني إلى حساب جيش التحرير .

٣) وضع الدائرة العسكرية في قيادة المنظمة تحت إشراف قيادة جيش التحرير .

وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة التي واجهها جيش التحرير في مرحلة تأسيسه هذه ، استطاعت قيادته أن توفر لأفراد الجيش وضباطه مستوى تدريبياً عسكرياً وقتالياً جيداً ، ولا سيما أن بعض الكليات العسكرية العربية أوشكت أن تخرّج الدفعات الأولى من ضباط جيش التحرير . وإلى جانب هؤلاء الخريجين من الكليات العربية ، أوفدت قيادة جيش التحرير بعثات تعليمية للانتساب إلى الكليات العسكرية في بعض الدول الأجنبية الصديقة .

خصّصت قيادة منظمة التحرير ٨٥٪ من موازنتها لجيش التحرير ، ولكنها واجهت عقبات مالية ، فمعظم الدول العربية لم تدفع حِصصها المالية للمنظمة ، وكان الجيش يومذاك بحاجة إلى خمسة ملايين جنيه إسترليني ، ليستكمل مرحلة التأسيس . وقد ظهر أثر هذا الوضع في قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة التي مرّ ذكرها .

ويمكن القول إن عام ١٩٦٦ شهد تطويراً وتثبيتاً لوضع جيش التحرير ، ولكنه شهد في الوقت ذاته متاعب أثّرت في تنفيذ المرحلة الثانية من خطة إنشائه وتطويره وتسليحه وإعداده للمعركة .

وفي أيار / مايو ١٩٦٧ حينما بدأت نُذُر الحرب تلوح في الأفق ، وضعت المنظمة قوات الجيش تحت تصرف قيادات الأقطار التي وُجدت فيها .

وفي حرب حزيران ١٩٦٧ العدوانية ، تصدى أفراد الجيش في قطاع غزة لقوات العدو الصهيوني وكبدوها خسائر فادحة ، وأظهروا شجاعة فائقة في ذلك ، حتى أن قوات العدوان دخلت خانيونس واندحرت منها ثلاث مرات .

وجدير بالذكر أن الحكومة الصهيونية عقدت اجتماعاً طارئاً بعد الإعلان عن تأسيس جيش التحرير الفلسطيني ، تحدثت فيه غولدا مائير وزيرة الخارجية الصهيونية وقالت : « إن « إسرائيل » تنظر بقلق شديد إلى قرار مؤتمر القمة العربية الخاص بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني » ، وصرح إسحق رابين رئيس أركان الجيش الإسرائيلي آنذاك ، بأن « تشكيل جيش فلسطين يمثل خطراً سياسياً كما يشكل في المستقبل خطراً عسكرياً » .

وأعلن « دين رسك » ، وزير الخارجية الأميركي أنه تلقى رسالة من يهود أميركا يقولون فيها : « إن إنشاء قوات مسلحة من اللاجئين العرب هو تدمير لـ« إسرائيل » وتهديد خطير للسلام في الشرق الأدنى ، ولهذه الدلالة مضاعفاتها الخطيرة ويجب كبحها »(*) .

ومن الجدير بالذكر أن الشقيري أولى تأسيس الجيش وتأهيله تدريباً وتسليحاً اهتماماً كبيراً ، فقد كان شغله الشاغل وفي أولويات برنامجه أنّى توجه ، وكانت أبرز المحطات في ذلك صفقة الأسلحة التي حصل عليها خلال زيارته للصين في آذار / مارس ١٩٦٥ ، وشُحنت عن طريق ميناء الإسكندرية ، دون أن يُخطر الرئيس عبد الناصر ، الأمر الذي أغضبه ، وكاد يتغيب عن حضور افتتاح المجلس الوطني الثاني بسبب ذلك .

وبعد استقالة الشقيري من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٦٧/١٢/٢٤ دخلت المنظمة في مرحلة جديدة ، وعمدت القيادة الجديدة إلى إجراء تغييرات في مناصب قيادة الجيش ، إذ عينت في شهر تموز / يوليو ١٩٦٨ رئيساً جديداً لهيئة الأركان ، وأجرت تنقلات في صفوف ضباط القيادة ، وفي حزيران / يونيو ١٩٦٩ ، أصدرت اللجنة التنفيذية عدة قرارات استحدثت فيها منصب (القائد العام لجيش التحرير) ، وعينت ضابطاً له ، كما عينت رئيساً جديداً لهيئة الأركان العامة ، وأجرت تنقلات أخرى بين الضباط ، وبذلك دخل الجيش - كما دخلت منظمة التحرير الفلسطينية - مرحلة جديدة(**) .

قوات التحرير الشعبية

أصدر الشقيري قراراً بتشكيل قوات التحرير الشعبية في ١٩٦٧/١٠/٣٠ ، كفصيل فدائي مقاتل في إطار جيش التحرير الفلسطيني ، وذلك بعد يومين من تكليف اللجنة التنفيذية له بإتخاذ خطوات تفعيلية لدور جيش التحرير الفلسطيني في انتهاج الكفاح المسلح ، وشكلت لها قيادة من أعضاء في اللجنة التنفيذية وضباط الجيش .

وقد بنت (قوات التحرير الشعبية) ثلاث قواعد : في الكرامة بقيادة نمر حجاج ، والقطاع الأوسط بقيادة أحمد صرصور ، والمنطقة الشمالية بقيادة يحيى مرتجى ، مع نقطة صغيرة في الكرك ، وافتتحت مركز تدريب في جرش ، وتولى قيادته وليد أبو شعبان ، ثم فايز جراد ، فأحمد صرصور ، وأخيراً محمد رزق أبو عبده . تولى قيادة قوات التحرير لاحقاً فايز الترك ، ثم بهجت الأمين وعبد العزيز الوجيه ، ثم بهجت الأمين من جديد ، وفي قطاع غزة بقيادة الضباط الشهداء النقيب زياد الحسيني ، والنقيب عبد القادر أبو الفحم ، وجبر عمار . وقد باشرت عملها النضالي في الأرض المحتلة منذ بداية ١٩٦٨ ، وركزت عملياتها الفدائية على طول شريط غور الأردن والجولان ، ومن أبرز العمليات التي شاركت فيها معركة الكرامة ١٩٦٨/٣/٢١ ، حيث كانت الفصيل الثاني الذي شارك في المعركة وقدمت فيها سبعة وعشرين شهيداً ، وكذلك عملية « الحزام الأخضر » (آب ١٩٦٩) بالاشتراك مع جيش التحرير الفلسطيني ، وقوات العاصفة ، على جبهة طولها سبعة كيلومترات من خط المواجهة بين الأردن والكيان الصهيوني في غور الأردن . وعمليات عديدة بالاشتراك مع جيش التحرير الفلسطيني ومنظمات فدائية في منطقة غور الأردن . وعمليات المقاومة في لبنان ١٩٦٩ .

انضمت إلى فتح والصاعقة في تشكيل « قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني » في شباط / فبراير ١٩٦٩ . حُلّت بعد الخروج الفلسطيني من الأردن سنة ١٩٧١ واستمرت فعاليتها في قطاع غزة حتى سنة ١٩٧٢ .

وقد كانت المنطلقات النظرية لقوات التحرير الشعبية ، والقاعدة الأساسية لاستراتيجيتها السياسية والعسكرية والتنظيمية لها ، نابعة من الإطار العام لفهم منظمة التحرير الفلسطينية للقضية وميثاقها ، ومن هذه المنطلقات :

أ - الثورة الفلسطينية ثورة عربية وحدوية ، بمعنى :

(*) **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية** ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(**) لمزيد من التفاصيل انظر : بهجت أبو غربية ، **من مذكرات بهجت أبو غربية من النكبة إلى الانتفاضة** ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٤ ، ص ص ٢٨٤ - ٢٩٠ .

١ - أن الثورة القائمة هي ثورة الشعب العربي الفلسطيني لتحرير أرضه .

٢ - عمق الثورة هو عمق عربي .

٣ - الثورة الفلسطينية هي ثورة الطليعة العربية المتمثلة في الشعب العربي الفلسطيني .

٤ - الثورة الفلسطينية تؤمن بالوحدة العربية ، وما يتحتم على ذلك من علاقة عضوية متكاملة بين الثورة الفلسطينية والوحدة العربية .

ب - الشخصية الفلسطينية عامل أساسي ولازم للثورة الفلسطينية ، بمعنى :

١ - وجوب إبراز الشخصية الفلسطينية والكيان الفلسطيني ، كردّ حاسم على التآمر الاستعماري لتصفية الشعب الفلسطيني .

٢ - حق الشعب الفلسطيني بجمع شمله ورصّ صفوفه لتحرير وطنه .

٣ - المحافظة على حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى وطنه حراً سيداً .

٤ - إعطاء الشرعية للثورة الفلسطينية ، وتمكين وضعها عالمياً .

ج - هدف الثورة الفلسطينية هو التحرير الشامل الكامل للأرض الفلسطينية .

د - الولاء للثورة الفلسطينية : أي أن تشكل كل الولاءات التنظيمية والعقائدية والسياسية ، دوافع وحدوية لا انقسامية ، انطلاقاً من أن هذه الولاءات لم تحدث في المجتمع الفلسطيني إلا لهدف التحرير .

الصندوق القومي الفلسطيني

منذ تأسست منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، كان الحرص واضحاً فيها على المال كعصب كل عمل ، ولهذا نص النظام الأساسي للمنظمة على أن يكون المسؤول عن المال في المنظمة منتخباً من المجلس الوطني لا معيناً ، حتى تكون له حصانة تمكنه من التدقيق في صرف المال .

ونص النظام الأساسي على انتخاب رئيس الصندوق ، الذي سوف يصبح بعد انتخابه عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لضمان التعاون بين الصندوق واللجنة التنفيذية .

وبموجب النظام الأساسي كانت اللجنة تجدد عمل مجلس إدارة الصندوق ، أو تضيف أعضاء جدد بدل المستقيلين .

بعد انتخاب المجلس الوطني أحمد الشقيري لرئاسة اللجنة التنفيذية ، انتخب عبد المجيد شومان ليرأس الصندوق القومي الفلسطيني ، وقد استمر خمس سنوات ، إلى أن تولت « فتح » قيادة المنظمة ، فاختارت منها رئيساً للصندوق ، وتعاقب على ذلك المركز بعد شومان : زهير العلمي ، وخالد اليشرطي .

ثم رأت قيادة المنظمة أنه من الأفضل أن يكون رئيس الصندوق القومي من المستقلين ، حتى يحظى باحترام وتأييد كافة فئات الشعب الفلسطيني ، مما يضمن تنمية المال وصيانته ، فاختير د . يوسف الصايغ ، ثم اختير د . وليد القمحاوي رئيساً للصندوق القومي الفلسطيني عام ١٩٧٤ ، وفي فترة توليه رئاسة الصندوق اتصل بصندوق النقد الدولي ، ومنظمة اليونسكو التي ساعدت في إنشاء جامعة القدس المفتوحة للتعليم عن بعد ، وانتسبت فلسطين إلى المنظمات العربية الاقتصادية وهي الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية ، وصندوق النقد العربي ، والمؤسسة العربية لضمان الاستثمار .

وكانت دمشق باستمرار مركزاً لمدير إدارة الصندوق القومي ، وكان مجلس إدارة الصندوق يعقد اجتماعاته في مختلف العواصم العربية بالتناوب .

بعد استقالة د . القمحاوي اختير لرئاسة مجلس إدارة الصندوق القومي د . صلاح الدباغ ، ثم تبعه د . حنا ناصر ، ثم جويد الغصين ، وأخيراً رمزي خوري الذي كان مديراً لمكتب رئيس اللجنة التنفيذية ، وانتخب خيري الدين أبو الجبين أميناً لسر مجلس الإدارة واستمر في عمله من ١٩٧٤ إلى ١٩٩٠ .

النظام الأساسي للصندوق القومي الفلسطيني(*)

المقدمة

١ . ينشأ صندوق يعرف باسم « الصندوق القومي الفلسطيني » لتمويل منظمة التحرير الفلسطينية .

٢ . يتألف مجلس إدارة الصندوق من أعضاء لا يقل عددهم عن خمسة عشر عضواً ولا يزيد عن عشرين ، يعينون بقرار من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية المختص بالشؤون المالية .

٣ . ينتخب مجلس الإدارة من بينه نائباً للرئيس وأميناً للسر .

مدة عضوية مجلس الإدارة وصلاحياته :

١ . مدة عضوية مجلس الإدارة ثلاث سنوات قابلة للتجديد بموافقة اللجنة التنفيذية .

(*) المصدر : راشد حميد ، **مقررات المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٦٤ - ١٩٧٤** ، بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٩٧٥ ، ص ص ٦٤ - ٦٦ .

(١) علي بدوان ، **صفحات من تاريخ الكفاح الفلسطيني** ، دمشق : د . ن ، ٢٠٠٨ ، ص٦٢ ، ١٧١ .

(٢) محمود الناطور ، اللواء (أبو الطيب) ، **معركة الكرامة** ، عمان : الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ ص (٣٣١) .

٢ . تحدد صلاحيات مجلس الإدارة بموجب نظام تضعه اللجنة التنفيذية .

٣ . يعين مجلس الإدارة مديراً عاماً للصندوق والعدد اللازم من الموظفين ، كما يحدد اختصاصات وصلاحيات المدير العام .

مقر الصندوق :

تقرر اللجنة التنفيذية مقر الصندوق وفروعه .

أعمال مجلس إدارة الصندوق :

١ . تسلم جميع الموارد المختلفة .

٢ . تمويل منظمة التحرير الفلسطينية وجميع الأجهزة التي تنبثق عنها ، وفق ميزانية سنوية تضعها اللجنة التنفيذية ويقرها المؤتمر العام .

٣ . تنمية موارد الصندوق بكافة الوسائل والإمكانيات المختلفة .

٤ . الإشراف على أعمال الجباية ، وتأليف اللجان التي تقوم بهذه المهمة .

٥ . الإشراف على النفقات التي تحتاجها المنظمة ، وتنظيم وسائل صرفها ومراقبتها .

٦ . وضع نظام مالي خاص تنظم بموجبه عمليات سحب و صرف الأموال ضمن حدود الميزانية العامة .

أموال الصندوق

١ . تودع أموال الصندوق في المصارف العربية التي يختارها مجلس الإدارة .

٢ . تستثنى أموال الصندوق من قوانين وأنظمة النقد المعمول بها في الدول العربية .

موارد الصندوق

١ . رسم سنوي مقداره (٢٥٠) فلساً أو ما يعادلها بالعملات الأخرى ، يلتزم بدفعها كل فلسطيني تجاوز الثامنة عشرة من عمره .

٢ . ضريبة ثابتة تفرض على التجار والملاّكين والموظفين ، وسائر الشركات والمؤسسات وكافة المواطنين الفلسطينيين ، على أن لا تقل عن ٢٪ ولا تزيد عن ٦٪ من مجموع الدخل الصافي ، و تحصّل هذه الضرائب بموجب أنظمة تضعها المكاتب المحلية وتعتمدها اللجنة التنفيذية .

٣ . القروض والمساعدات المالية التي تقدمها الحكومات والشعوب العربية .

٤ . طابع التحرير الذي تصدره المنظمة وتعتمده الدول العربية في المعاملات البريدية والمالية وغيرها .

٥ . التبرعات في المناسبات القومية ، وهبات الأشخاص والهيئات المعنوية والجمعيات والمغتربين العرب وغيرهم .

٦ . القروض والمساعدات التي تقدمها الحكومات والشعوب الصديقة .

٧ . حصيلة إصدار سندات دين لحامله تسمى (سندات تحرير فلسطين) بقيمة إسمية من فئتي خمسة وعشرة دنانير ، تسدد أثمانها لحامله خلال فترة لا تتجاوز العشر سنوات بفائدة قدرها ٤٪ سنوياً ، على أن يكون هذا الإصدار بكفالة جامعة الدول العربية ، ويجري سحب يانصيب على أرقام هذه السندات مرّة كل سنة ، بجوائز مالية يقررها مجلس الإدارة ومعفاة من أية ضرائب كانت في كافة البلدان العربية .

٨ . ما تخصصه كل دولة عربية في ميزانيتها السنوية لصالح الصندوق القومي الفلسطيني .

٩ . أية موارد أخرى قد ترد إلى الصندوق .

أحكام عامة

١ . يقدم مجلس إدارة الصندوق إلى اللجنة التنفيذية تقريراً مالياً عن أعماله يتضمن حساب الواردات والمصروفات مرة كل ثلاثة أشهر ، ويقدم كذلك التقرير السنوي عن أعماله متضمناً حساب الإيرادات والمصروفات والميزانية العمومية .

٢ . تعين اللجنة التنفيذية مراقبي حسابات الصندوق القومي الفلسطيني ، ويقدمون تقريرهم السنوي إلى اللجنة المذكورة .

٣ . يعدل هذا النظام بقرار يصدره المجلس الوطني للمنظمة بناءً على توصية من اللجنة التنفيذية .

مركز الأبحاث

هو أحد الأهرامات الفلسطينية التي كان الشقيري يقول إنه بناها إضافة إلى جيش التحرير والصندوق القومي الفلسطيني ، يقصد بذلك الأركان التي نهضت عليها منظمة التحرير الفلسطينية ، فالمركز يمثل الركن الفكري ، وقد تأسس في بيروت في شباط / فبراير ١٩٦٥ بقرار من اللجنة التنفيذية الأولى لمنظمة التحرير الفلسطينية كإحدى مؤسسات المنظمة ، يديره مدير عام يتبع رئيس اللجنة التنفيذية مباشرة ، ويتمتع باستقلال كبير فيما يتصل بنشاطه في المجالات التي أنشئ المركز من أجلها . وهي تغطية الصراع العربي الصهيوني بالدراسات العلمية والمعلومات الصحيحة ، وذلك من خلال :

١.تغذية أجهزة المنظمة ومؤسساتها بالآراء والمعلومات

(*) المصدر : راشد حميد ، **مقررات المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٦٤ - ١٩٧٤** ، بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٩٧٥ ، ص ص ٦٤ - ٦٦ .

التي تفيدها في مختلف نشاطاتها ، مما يساعد في تحليل المواقف واتخاذها ، ووضع الخطط والبرامج ، واستكمال المعلومات واستخدامها .

٢. جمع الوثائق القديمة والمعاصرة ، ومتابعة الجديد منها ، وتنظيم سبل الإفادة منها .

٣. إنشاء مكتبة متخصصة تضم المراجع والكتب والدراسات التي تقع في دائرة اهتمام المركز .

٤. متابعة الوقائع والأحداث والدراسات ذات الصلة ، وتنظيم الإفادة منها .

٥. إعداد الدراسات والأبحاث الميدانية حول القضية الفلسطينية ، وسائر جوانب الصراع العربي الصهيوني ، ونشرها لتكون مراجع للمختصين والدارسين والقراء المعنيين .

٦. نشر المعرفة بالعدو الإسرائيلي وشؤونه فلسطينياً وعربياً ، وتوفير المعلومات عنه .

وقد التزم المركز في عمله السياسة العامة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتمتع في عهد الشقيري بقسط كبير من حرية الرأي والحوار والتعبير عن المواقف المختلفة في الساحة الفلسطينية ، وكذلك في دراسة نشاط خصوم المنظمة ومواقفهم ، متبعاً مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وضم المركز الأقسام الآتية :

١. المكتبة : التي تضم المراجع والكتب والدوريات ، التي تتناول الشؤون الفلسطينية و (الإسرائيلية) وشؤون الصراع العربي الصهيوني ، وقضايا الشرق الأوسط ، والقضايا ذات الصلة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والعبرية ، وكذلك الدوريات ، وسائر إصدارات الجهات الفلسطينية التي تصدرها الجهات الفلسطينية .

٢. قسم الأرشيف : الذي بدأ بجمع الوثائق المنشورة وغير المنشورة وتصنيفها .

٣. قسم اليوميات الفلسطينية : ويرصد الوقائع اليومية المتصلة بالقضية الفلسطينية من مصادرها المباشرة ، أو التي يتلقاها باللغات الأربع ليصدرها في مجلات نصف سنوية مزودة بالفهارس .

٤. الأقسام البحثية : وهي أهم الأقسام ، إذ تنتج المواد الخاصة بالمركز ، أو تشرف على ما يقدمه كُتّاب من خارجه ، وهي ثلاثة أقسام : (الدراسات الفلسطينية ، الدراسات (الإسرائيلية) ، الدراسات الدولية) .

إدارة المركز

عهدت اللجنة التنفيذية الأولى للدكتور فايز صايغ بمسؤولية تأسيس المركز ، وقد استقال بعد نحو سنة ، فتولى مسؤولية استكمال التأسيس وإدارة المركز شقيقه الدكتور أنيس صايغ ، فوضع خطة المركز التي بدأت بتعريف القارئ العربي بمختلف شؤون الكيان الصهيوني ، نظراً لافتقار المكتبة العربية - في حينه - إلى دراسات علمية كاشفة في هذا المجال . ثم اتجه المركز إلى دراسة أوضاع الشعب الفلسطيني ومؤسساته ، إضافة إلى شؤون العدو .

شكل مركز الأبحاث أول صرح بحثي علمي في تاريخ فلسطين ، وبدأ بزخم وطاقات علمية فلسطينية وجدت دعماً كبيراً من الشقيري ، ويسجل في هذه المرحلة (٢٥ حزيران ١٩٧١) إصدار مجلة شؤون فلسطينية كأول وأهم مجلة بحثية علمية فلسطينية رأس هو تحريرها .

بلغت إصدارات المركز حتى عام١٩٨١ ، ثلاثمئة وأربعين كتاباً عالجت الشؤون السابقة ، فضلاً عن مجلة شؤون فلسطينية ، التي انتظم صدورها حتى دخول الجيش الصهيوني إلى بيروت سنة ١٩٨٢ ، ولقد كان العدو الصهيوني ينظر بقلق كبير إلى النمو المتسارع في هذه المؤسسة ، ويشعر بخطر الأسلوب العلمي الذي تنتهجه سواء في بنيتها التنظيمية أو في خططها البحثية ، ولهذا لم يتورع الإرهاب الصهيوني عن استهداف مديرها العام د. أنيس صايغ برسالة مفخخة كادت تودي بحياته ، ولحقت به إصابات مؤثرة ، وإن كان قد تحدى آثارها بإرادته وعزيمته فلم ينقطع عن العطاء .

كذلك فقد كان مركز الأبحاث في مقدمة الأهداف التي اتجهت إليها القوات الصهيونية ، فقامت بإفراغه من محتوياته ، ولا سيما المكتبة والأرشيف ، ونقلتها إلى الكيان الصهيوني ، وقد أعيدت في أكياس وصناديق بعد ذلك إلى السفارة الفلسطينية في الجزائر ثم إلى ميناء أسدود ، ويفترض أن تكون أصبحت في عهدة السلطة الفلسطينية بعد ذلك ، وفي كل الأحوال فإن مما يؤسف له أن مركز الأبحاث قد انتهى مؤسسةً ودوراً بعد اتفاقية أوسلو .

الإذاعة الفلسطينية

صوت فلسطين، صوت منظمة التحرير الفلسطينية (*)

كانت الأنظمة العربية منذ نكبة ١٩٤٨ تشعر بما تلقيه عليها الجماهير العربية - ولا سيما قواها الحية من أحزاب وحركات سياسية - من مسؤولية في حدوث النكبة، أدناها الاتهام بالتقصير، وأقصاها الاتهام بالعمالة والخيانة، وقد اتخذت الانقلابات العسكرية المتعاقبة في الأقطار العربية منذ عام ١٩٤٩ من هذه الاتهامات ذرائع حيناً وأسباباً في أحيان أخرى للقيام بانقلاباتها، فتقدم أنفسها لمواطنيها ولجماهير الأمة على أنها إنما تسعى الى تحرير فلسطين.

كما كانت الأنظمة تتسلح بالقضية الفلسطينية سواء في اتهام بعضها بعضاً بالقصور تجاه فلسطين، أو في رد التهم عنها، الى صدور متهميها، وكان الإعلام صحافة وإذاعة (قبل ظهور التلفاز) وسيلة للتعبير عن هذه المواقف، كما أدى إلى ظهور برامج خاصة بفلسطين تحمل اسم (ركن فلسطين) في الإذاعات لاستقطاب المستمع الفلسطيني، والمهتم بالشأن الفلسطيني بعامة وأسهمت هذه البرامج - كل وفق رؤية نظامها - في تشويه العقل والنفس العربية، وهو ما استثمرته إذاعة الكيان الصهيوني، ومحطة الشرق الأدنى البريطانية، القويتان فنياً أمام التخلف الإعلامي العربي، فأصبحتا بما تقدمان من بعض الحقائق المغموسة في بحر الأكاذيب الاستعمارية الصهيونية الأكثر قبولاً وتصديقاً، بدءاً من تنبؤات المناخ وانتهاء بالأخبار السياسية والسبق في إذاعتها، فيما انهمكت الإذاعات العربية، مع القيود على برامجها في المعارك العربية البينية، والوهمية أحياناً، وتشويش بعضها على بعضها، بالرغم من ضعف بثها.

وكان انطلاق محطة « صوت العرب » من القاهرة مرحلة جديدة في الإعلام المسموع في المنطقة، إذ أسهمت بقوة في التصدي لمحطتي إذاعة الشرق الأدنى و « صوت إسرائيل » ومهاجمة الاستعمار، وفي تقديم الرؤية القومية الناصرية للمستمع العربي، وكانت أيضاً ذات أثر كبير في الصراع الإعلامي العربي العربي، وفي خضم هذه المعامع الإعلامية لم تكن برامج (ركن فلسطين) ذات أثر إيجابي يذكر.

وحدها كانت الرؤية الفلسطينية المستقلة هي الغائبة عن هذا المشهد الإعلامي، بيد أنها كانت حاضرة في ذهن الشقيري عند تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، لاسيما وهو يستمع إلى الهجمات الضارية التي استهدفت شعبه والمنظمة منذ انبثاق فكرة قيامها، حتى كانت توجه له الكثير الكثير من سهامها وبخاصة في برامج صوت إسرائيل، أشهرها البرنامج الذي أطلقت عليه اسم (أكاذيب تكشفها حقائق) الذي كان من أخطر برامج التزوير والتزييف التي قدمتها الإذاعة الصهيونية، فضلاً عما تبثه إذاعات عربية من برامج وتعليقات تتباين بتباين مواقفها المتقلبة من أحداث القضية الفلسطينية.

وكان حاضراً في ذهن الشقيري ما واجهه منذ رحلته إلى واشنطن، والبرنامج الإذاعي اليتيم الذي تصدى فيه لقسيس صهيوني[1] أو المؤتمرات الصحافية والبيانات التي كان يصدرها من خلال عمله في المكاتب العربية التي كان الإعلام المنحاز للرؤية الصهيونية يحاصرها بعدم نشرها أو بتشويهها.

لذلك كانت الإذاعة، حلماً وهدفاً وقراراً حرص على أن تتخذه اللجنة التنفيذية للمنظمة في بدايات عملها، فقررت المباشرة في إنشاء « صوت فلسطين »، ليكون الصوت الداعي إلى جمع شمل الشعب الفلسطيني المقطع الأوصال، المشرد في الأقطار العربية والأجنبية. وحتى يكون أيضاً الرمز إلى الهدف المرجو، هدف تحرير أرض الوطن المقدس مما حلّ به من اغتصاب وهوان. وفي كلمته في افتتاح الإذاعة[2] حدد الشقيري أهداف الإذاعة وسياستها، أما عن خطة إنشائها فيقول راجي صهيون إن أحمد الشقيري قد استدعاه بعد المؤتمر الأول بأيام قلائل إلى منزله في قرية كيفون اللبنانية، وكلفه المباشرة في إعداد خطة لإنشاء « صوت فلسطين، صوت منظمة التحرير الفلسطينية » والإسراع في ذلك ما أمكن.

وإن هذا القرار قد اتخذ في جلسات اللجنة التنفيذية الأولى، في فندق الإمبسادور في القدس، واتخذ معه قرار تكليفه باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذه.

ويقول صهيون إن هذه المهمة لم تكن سهلة، وعكفت فوراً على تنفيذها، وكان أول ما فعلته تشكيل لجنة تخطيط فنية من نفر من أكرم وأكفأ الإخوان الإذاعيين، هم: صبحي أبو لغد، غانم الدجاني، كامل قسطندي، والمرحوم عبد المجيد أبو لبن، والمرحومة الأديبة سميرة عزام.

ونتج عن ذلك تشكيل لجنة إنتاج إذاعية من المذكورين أعلاه برئاسة دورية فيما بينهم، على أن تعهد إلى المرحومة سميرة عزام مهمة سكرتارية اللجنة بصورة دائمة.

(*) راجي صهيون، **حتى لا ننسى: ذكريات وأصداء وقصة شعب لن ينام على الضيم**، عمان: د. ن، ١٩٩٧، ص ص ١٤٥ - ١٤٨.

(١) انظر: **من القدس إلى واشنطن، الأعمال الكاملة**، مج١، ص ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) انظر: ملاحق الكتاب: كلمة الشقيري في افتتاح الإذاعة الفلسطينية.

وكانت هذه اللجنة هي العمود الفقري لمشروع الإذاعة ، إذ استمرت في العمل الإنتاجي بشكل مسؤول لتسيير البرامج ، وتوجهت إلى القاهرة برفقة المرحوم نقولا الدر ، الذي كان عضواً في اللجنة التنفيذية الأولى رئيساً لدائرة الإعلام .

وفي القاهرة أجريت الاتصالات اللازمة مع المسؤولين في الحكومة المصرية للاتفاق على موعد بدء الإذاعة ، والمساحة الهوائية التي سوف توفر لنا ، وكان الشقيري قد أجرى اتصالاته الأولية مع أركان الدولة المصرية ، وبذلك وجدت الأبواب مفتوحة أمامي هناك ، وكان كل شيء يسير حسناً والحمد لله ، اللهم إلا بالنسبة لطبيعة العملية نفسها ، ومن أهمها :

الناحية المالية :

عدم قدرتنا على مجاراة دور الإذاعة العربية الأخرى في دفع الأجور والمرتبات ، فقد كان المرتب الذي نعرضه على المذيع/المنتج لا يتجاوز ٦٠ جنيهاً مصرياً في الشهر الواحد .

أزمة السكن :

كانت أزمة السكن في القاهرة عام ١٩٦٥ في ذروتها ، الأمر الذي كان يضطرني إلى الاستنجاد بمحافظ القاهرة لتأمين بعض الشقق لموظفي صوت فلسطين ، بإيجارات مخفضة .

صعوبة المواصلات :

كانت المواصلات في القاهرة وما زالت مستعصية ، ولما كان العمل الإذاعي لا يتحمل أي اضطراب في الدوام ، فقد كان لابد من شراء سيارة صالون ، لنقل العاملين خاصة في ساعات الصباح الباكر .

كانت الحكومة المصرية ، قد منحتنا من التأييد والمساندة المعنوية ما لا يمكن أن ننساه ، إلا أننا كنا ندفع ثمناً مادياً للإمكانات والتسهيلات الفنية والمادية التي كنا نتمتع بها ، وكان الشقيري الحكيم ، بعيد النظر - رحمه الله - يصر على أن تدفع المنظمة بدل الإيجار والخدمات والتسهيلات نقداً ، بموجب عقد رسمي مكتوب بيننا وبين الحكومة المصرية بمبلغ قدره (١٥٠٠٠٠) مئة وخمسون ألف جنيه مصري سنوياً ، ويغطي ذلك مساحة استوديوهين اثنين ، أحدهما صغير (لتلاوة نشرات الأخبار والموضوعات الكلامية الفردية أو الثنائية) ، والثاني من الحجم المتوسط (للبرامج الجماعية ، مثل : التمثيليات والأناشيد وبرامج الأطفال وما إلى ذلك) ، وذلك كله على مدى ست ساعات يومياً من البث على أجهزة إحدى أقوى موجات دار الإذاعة المصرية من القاهرة ، بما ينطوي عليه ذلك من خدمات هندسية وفنية وتكنولوجية ، ومن خمس أو ست غرف واسعة لمكاتبنا ، أنا والموظفين في بناية « ماسبيرو » للتلفزيون العربي ، أولاً لمدة نحو سنة ، ثم إلى تسهيلات ومساحات مماثلة في مبنى دار الإذاعة المصرية القديم في شارع الشريفين بعدما انتقلنا إليه بعد نحو سنة .

القيادات التنفيذية في مرحلة الشقيري

(١) اللجان التنفيذية :

- اللجنة التنفيذية الأولى
(١٩٦٤/٦/٤ - ١٩٦٥/٦/٤) :

- أحمد الشقيري (رئيساً)
- بهجت أبو غربية
- حامد أبو ستة
- نقولا الدر
- د . حيدر عبد الشافي
- خالد الفاهوم
- عبد الخالق يغمور
- عبد المجيد شومان (رئيس الصندوق القومي)
- فاروق الحسيني
- فلاح الماضي (أميناً للسر)
- د . وليد القمحاوي
- قصي العبادلة
- قاسم الريماوي
- عبد الرحمن السكسك (نائباً للرئيس)

- اللجنة التنفيذية الثانية
(١٩٦٥/٦/٤ - ١٩٦٦/٦/٤) :

- أحمد الشقيري (رئيساً)
- د . أحمد سروري
- جمال الصوراني
- د . داوود الحسيني
- عبد المجيد شومان (رئيس الصندوق القومي)
- إبراهيم أبو ستة
- عبد الحميد ياسين
- سعيد العزة
- د . فايز صايغ
- سيد بكر
- نجيب ارشيدات [١]

- اللجنة التنفيذية الثالثة
(١٩٦٦/٦/٤ - ١٩٦٧/١٢/٢٣[٢]) :

- أحمد الشقيري (رئيساً)
- جمال الصوراني
- اللواء وجيه المدني
- نمر المصري
- شفيق الحوت
- أحمد السعدي
- عبد المجيد شومان (رئيس الصندوق القومي)
- د . أسامة النقيب
- عبد الفتاح يونس
- أحمد صدقي الدجاني
- سعيد العزة
- إبراهيم أبو ستة

- اللجنة التنفيذية المُعدّلة عشية حرب حزيران ١٩٦٧ حتى تاريخ استقالته ١٩٦٧/١٢/٢٣ :

- أحمد الشقيري (رئيساً)
- جمال الصوراني
- اللواء وجيه المدني
- نمر المصري
- عبد الخالق يغمور
- بهجت أبو غربية
- عبد المجيد شومان (رئيس الصندوق القومي)
- د . أسامة النقيب
- خالد الفاهوم
- يحيى حمودة
- حامد أبو ستة (أضيف إليهم بعد المصالحة مع الأردن)
- يوسف عبد الرحيم
- سعيد العزة
- مجدي أبو رمضان

(٢) مدراء دوائر المنظمة(*) (أعضاء من اللجنة التنفيذية) :

١- الدائرة السياسية	
مسؤول الشؤون العربية	نمر المصري
مسؤول الشؤون الأجنبية	د. صلاح الدباغ
٢- الصندوق القومي الفلسطيني	د. يوسف عبد الرحيم ثم د. منذر عنبتاوي
٣- الدائرة العسكرية	وجيه المدني
٤- دائرة التنظيم الشعبي	أحمد صدقي الدجاني
٥- دائرة الإعلام	نقولا الدّر

(*) نقلاً عن خيري الدين أبو الجبين .

(١) المحامي نجيب ارشيدات أردني عيّن تعبيراً عن التلاحم الفلسطيني الأردني ، لكنه استقال بعد شهرين كون تعيينه يتعارض مع النظام الأساسي ، فهو غير فلسطيني وغير عضو في المجلس الوطني .

(٢) انتهاء عهد الشقيري إثر استقالته .

مدراء مكاتب المنظمة في عهد الشقيري*

- باسل عقل	مصر
- المهندس مصطفى سحتوت	سورية
- شفيق الحوت	لبنان
- داوود عودة	العراق
- عبد الله أبو ستة	قطر
- رفعت عودة	الجزائر
- فؤاد حمزة	المغرب
- عزة طنوس	الأمم المتحدة
- عبد الكريم العلمي	القدس
- زهير شبل	السودان
- فوزي الكيالي	ليبيا
- مجدي أبو رمضان	غزة
- خيري الدين أبو الجبين	الكويت
- سعدي بسيسو	جنيف
- رشيد جربوع	الصين الشعبية

(*) نقلاً عن خيري الدين أبو الجبين .

دورات المجلس الوطني الفلسطيني (القرارات)

قرارات الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني*[1]

المنعقدة في القاهرة من ٣١/٥/١٩٦٥ إلى ٤/٦/١٩٦٥

القرارات السياسية :

تعد هذه الدورة أغنى الدورات الثلاث للمجلس الوطني في عهد الرئيس الشقيري ، ونورد فيما يلي عدداً من أبرز قراراتها السياسية :

- التغلغل الإسرائيلي :

يدعو المجلس الوطني إلى ضرورة مضاعفة الجهود في سبيل مقاومة التغلغل الإسرائيلي في بعض الدول الآسيوية والأفريقية بجميع الوسائل ومنها :

وضع مخطط لدعوة وفود من مختلف البلدان لزيارة فلسطين ، وتمكين هذه الوفود من الاطلاع عن كثب على حقيقة القضية الفلسطينية ، وتوخي أن تضم هذه الوفود رجال الفكر والسياسة والحكم .

أن تتولى الدوائر المختصة في المنظمة دراسة وسائل دعم الجهود لمقاومة التغلغل الاقتصادي الصهيوني في الدول النامية بالتعاون مع الدول العربية والصديقة .

العمل على تأمين السبل الكفيلة بتحقيق مقاطعة الدول الضالعة مع العصابة الإسرائيلية .

- شؤون العائدين :

يؤكد المجلس الوطني أن مسؤولية إغاثة العائدين تقع على عاتق الأمم المتحدة ، وتظل هذه المسؤولية قائمة حتى يتم تحرير الوطن السليب .

يندد المجلس بالمؤامرات الاستعمارية المتوالية ، التي تستهدف اتخاذ إغاثة العائدين وسيلة من وسائل تصفية القضية الفلسطينية ، وإن المجلس إذ يشجب هذه المؤامرات لعلى يقين بأن الدول المضيفة خاصة ، والدول العربية عامة ، ستواصل جهودها في سبيل إحباط تلك المؤامرات بجميع الوسائل .

يعتبر المجلس أن معاملة الفلسطينيين في البلدان العربية ، سواء بالنسبة لحرية تنقلهم أو إقامتهم أو عملهم أو غير ذلك ، مسألة قومية فضلاً عن كونها ضرورة حياتية ، ويلاحظ المجلس أنه لا تزال هنالك قيود تتعلق بمعاملة الفلسطينيين معاملة لا تتفق مع المصلحة العامة ، ولذلك يقرر المجلس بأن يتابع رئيس المنظمة اتصالاته لمعالجة هذه المسألة على أعلى المستويات .

يؤكد المجلس قيام الشعب الفلسطيني بمسؤولياته القومية في تحرير وطنه ، إذ يتطلب اتخاذ جميع الأسباب التي تيسر له حرية السفر والإقامة والعمل في الوطن العربي .

- خطة العمل السياسي العربي :

استعرض المجلس الوطني خطة العمل السياسي العربي التي تنتهجها المنظمة ، وهو يؤكد أن هذه الخطة تقوم على أساس الالتزام فيما ورد في الميثاق القومي الفلسطيني بهذا الشأن وانطلاقاً من هذا الالتزام : الخطة تقوم على أساس الالتزام :

يقرر المجلس أن تحرير فلسطين هو أكبر أهداف العمل الثوري العربي ، وأن دور الشعب الفلسطيني هو دور الطليعة في معركة التحرير .

يطالب المجلس الدول العربية باستخدام جميع الوسائل وخاصة البترول كسلاح فعال في نصرة القضية الفلسطينية .

يعلن المجلس وجوب تصفية القواعد العسكرية الأجنبية في الوطن العربي .

يناشد المجلس الوطني الدول العربية أن تمضي في مساعيها لإحلال السلام في جمهورية اليمن ، حتى تنصرف الجهود العربية إلى مواجهة الخطر الصهيوني ، الذي يهدد الوطن العربي مصيراً وجهداً .

يؤكد المجلس النضال العربي البطولي لتحرير الجنوب المحتل ، وعُمان وجميع الأجزاء العربية التي ما زالت تحت نير الاستعمار .

يطالب المجلس - حفاظاً على عروبة الخليج العربي - بمكافحة التسلل الأجنبي عامة والإيراني خاصة .

- خطة المنظمة في السياسة الخارجية :

يقرر الشعب الفلسطيني أن الاستعمار الغربي ، وبصورة خاصة البريطاني والأميركي هو المسؤول الأول عن كارثة فلسطين وتشريد الشعب الفلسطيني عن وطنه ، ويشجب المجلس استمرار هذه السياسة

(*) قرارات المجلس في الدورة الأولى : انظر : تقرير عبدالرحمن السكسك عن المؤتمر الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(١) المصدر : راشد حميد ، **مقررات المجلس الوطني الفلسطيني/ ١٩٦ - ١٩٧٤** بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٩٧٥ ، ص ص ٧٣ - ٧٩ .

الاستعمارية في دعمها لإسرائيل عسكرياً وسياسياً ومالياً، ويندد المجلس بصورة خاصة بالمساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة إلى « إسرائيل » وخاصة مدّها بالأسلحة الصاروخية .

يعلن المجلس أن المنظمة تحدد سياستها الخارجية وعلاقاتها بالدول تبعاً لموقفها من قضية فلسطين ، وأن الشعب الفلسطيني يعمل على كسب صداقة جميع الشعوب المحبة للحرية والعدل ، ويتطلع إلى تأييد هذه الشعوب في سبيل تحرير وطنه ، واسترداد حقه ، وتقرير مصيره .

يشكر المجلس دول عدم الانحياز للقرار الصادر عن مؤتمرها المنعقد في القاهرة ، الذي أكد حق الشعب الفلسطيني في كفاحه لتحرير وطنه وتقرير مصيره .

يذكر المجلس بالتقدير المواقف الأخيرة المجيدة التي وقفتها الدول الاشتراكية ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي ، لمناصرتها لوجهة النظر العربية في قضية فلسطين أمام المنظمة العالمية .

يشجب المجلس باسم الشعب الفلسطيني التدخل الأميركي في فيتنام والدومينيكان .

يناشد المجلس قداسة البابا بولس السادس لإلغاء كافة الإجراءات المتعلقة بوثيقة تبرئة اليهود من دم السيد المسيح ، هذه الوثيقة التي تستغلها الصهيونية استغلالاً سياسياً في عدوانها على فلسطين .

يناشد المجلس الوطني بمناسبة انعقاد المجلس المسكوني المقبل ، أن يعرب الفاتيكان عن مناصرته لشعب فلسطين في استرداد الديار المقدسة باعتبارها وطناً لأصحابها الشرعيين : المسلمين والمسيحيين .

يستنكر المجلس المساعدات العسكرية والمالية التي تقدمها حكومة ألمانيا الغربية لـ « إسرائيل » ، ويعتبرها عدواناً مباشراً على الشعب الفلسطيني خاصة ، والأمة العربية عامة ، كما يستنكر اعترافها بـ « إسرائيل » . ويناشد المجلس الدول العربية التي اتخذت مواقف التحفظ بالنسبة إلى ألمانيا الغربية أن تنضم إلى صف سائر الدول العربية ، وإن شعب فلسطين والأمة العربية لتذكر على الدوام علاقات الصداقة والمودة التي تربطها بالشعب الألماني ، وتتطلع إلى اليوم الذي تتحرر فيه إرادته من النفوذ الاستعماري ، لتظل علاقة الصداقة هذه متصلة .

و اتخذ المجلس قرارات مهمة في المجالات الأخرى منها :

القرارات العسكرية :

يقرر المجلس الوطني أن تقوم اللجنة التنفيذية بمضاعفة الجهود لدى الدول العربية لتحقيق المزيد من الإنجازات العسكرية بالسرعة الممكنة ، وبصورة خاصة لزيادة حجم القوات العاملة ، حتى يكون الشعب الفلسطيني ذا قدرة وفعالية على القتال في كل الظروف وفي الوقت المناسب ، وترى اللجنة - لتحقيق ذلك - العمل على تنفيذ ما يلي :

الإسراع في تسليح وتدريب وتحصين القرى والخطوط الأمامية .

الإسراع في تدريب الشعب الفلسطيني بمختلف قطاعاته على أعمال الدفاع المدني والمقاومة الشعبية ، بحيث يكون قادراً على الحركة والقتال بسرعة .

العمل على إنشاء إدارة للتعبئة العامة في منظمة التحرير الفلسطينية ، تكون مهمتها إعداد الشعب الفلسطيني للتعبئة العامة .

مناشدة الدول العربية لتسهيل مهمة قيادة جيش التحرير الفلسطيني في اختيار وانتقال الضباط والعناصر العسكرية الأخرى في وحدات جيش التحرير الفلسطيني المختلفة ، وفقاً للحاجات العسكرية لجيش التحرير ، وتمكين القيادة من تدريب الفلسطينيين في أراضي تلك الدول .

العمل على فرض التجنيد الإجباري لجميع الفلسطينيين أينما كانوا ، أسوة بما يطبق في قطاع غزة .

مضاعفة الاهتمام بقوات الصاعقة (الفدائيين) ، وزيادة أعدادها بالشكل الذي يتيح لها العمل السريع بما يتفق مع أبعاد المعركة واحتمالاتها .

الاهتمام الجدي بدور المرأة الفلسطينية في معركة التحرير ، مثل : المقاومة الشعبية ، والخدمات الطبية ، والإسعاف الميداني .

القرارات الإعلامية :

أولاً : ضرورة المثابرة على إحياء المناسبات الفلسطينية والقومية وإعطائها الزخم الكافي .

ثانياً : مطالبة الدول العربية بأن تلحق بسفاراتها وبعثاتها ملحقين صحفيين فلسطينيين في الأماكن التي يتعذر على المنظمة أن تؤسس مكاتب لها فيها .

ثالثاً : تؤكد العمل على إرسال وفود دينية إلى الاجتماعات والمحافل الدينية في أنحاء العالم ، شريطة أن يكون اختيارهم مبنياً على الكفاءة والقدرة على التعبير بلغة البلد المرسل إليه ، أو بأية لغة عالمية .

رابعاً : المثابرة على استضافة قادة الفكر الأجنبي التقدمي ، وأن يهيأ لهم الجو المناسب للتفاعل الفكري بينهم وبين قادة الرأي الفلسطيني .

خامساً : إقامة تعاون إعلامي بين منظمة التحرير والبلدان التي تحارب الاستعمار .

سادساً : تأهيل الأدلاّء السياحيين في البلاد العربية بما يمكنهم من شرح القضية الفلسطينية بطريقة صحيحة ، وتزويد مكاتب السياحة بالمعلومات والنشرات اللازمة .

سابعاً : العمل على تعيين ملحقين عماليين من ذوي الكفاءات في مكاتب المنظمة في بعض البلدان الخارجية ، وخاصة تلك التي تكون مقراً لمنظمات عمالية عالمية .

ثامناً : أ . المثابرة على كشف ومكافحة الجمعيات ذات الميول الصهيونية المستترة تحت أسماء إنسانية برّاقة ، كالماسونية وشهود اليهود .

ب . التأكيد على مطالبة الدول العربية بتشديد المراقبة على التصرفات المشبوهة التي يقوم بها بعض الرعايا اليهود من ذوي الميول الصهيونية في بلدانهم ، والحد من نشاطهم السياسي والاقتصادي الذي يستهدف خدمة الصهيونية والاستعمار بشكل أو بآخر .

تاسعاً : التوسع في إنشاء المكتبات العامة التي تحوي مراجع تختص بالقضية الفلسطينية في أمكنة تجمع الفلسطينيين .

عاشراً : تشكل المنظمة وفوداً نسائية من أعضائها لحضور المؤتمرات الدولية النسوية ، آخذة بعين الاعتبار الحالات التي يستدعي الاشتراك بها تمتع الوفود بحالة العضوية في الهيئات الدولية صاحبة الدعوة ، وإشراك المؤهلات من النساء في مختلف المؤتمرات .

حادي عشر : تبادل البرامج الإذاعية بين صوت فلسطين وسائر الإذاعات العربية .

ثاني عشر : تبني الندوات وأوجه النشاطات المختلفة ، التي تقوم بها الاتحادات والنقابات والتنظيمات وسائر قواعد المنظمة .

قرارات التنظيم الشعبي :

انطلاقاً من التجارب التي مرت بها الحركات التحريرية في أكثر من مكان في العالم ، وفي مقدمتها حركة التحرير الجزائرية ، وإيماناً من المجلس بأن التنظيم الشعبي الذي يقوم على أسس تحريرية أصيلة وسليمة تحقق الانضباط والالتزام ووحدة العمل ، هو الركيزة الأساسية للعمل الجدي في استعادة وطننا السليب ، لذلك قرر المجلس تحقيق التنظيم الشعبي ليكون المنطلق الصحيح للعمل الجاد في سبيل تحرير فلسطين .

وتنفيذاً لذلك فقد قرر المجلس قانون التنظيم الشعبي :

١ . درست اللجنة مشروع الموازنة الخاصة بالتنظيم الشعبي ، وتلفت نظر اللجنة أن الاعتمادات المرصّدة للتنظيم الشعبي لا تتناسب والدور الكبير الملقى على عاتق التنظيم الشعبي في المعركة .

٢ . زيادة الاعتمادات المخصصة للتنظيم الشعبي من ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف دينار) إلى ١٠٠٠٠٠ (مائة ألف دينار) تؤمن من بند احتياطي ، لتمكين المنظمة من إنشاء فروع أكثر لمكاتب التنظيم الشعبي ، ولمساعدة الاتحادات والتنظيمات القائمة .

٣ . العمل على صهر الحركات الفلسطينية في منظمة التحرير الفلسطينية .

٤ . يحث المجلس الدول العربية على تقديم التسهيلات اللازمة لتحقيق التنظيم الشعبي في أسرع وقت .

٥ . الاستفادة من فعاليات أعضاء المجلس الوطني وشيوخ القبائل والعشائر والممثلين الشعبيين في المخيمات في المراحل الأولى من التنظيم الشعبي .

٦ . توصي اللجنة بتشجيع الاتحادات المختلفة ضمن إطار التنظيم الشعبي ، والعمل الفلسطيني الشامل .

كما أصدر نظام انتخاب المجلس الوطني الفلسطيني .

قرارات الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني

المنعقدة في غزة من ٢٠/٥/١٩٦٦ إلى ٢٤/٥/١٩٦٦

القرارات السياسية ومن أبرزها :

حرية العمل الفلسطيني :

لما كان هدف منظمة التحرير الفلسطينية تحرير فلسطين واستعادة أرضها ، ولما كان هذا الهدف لا يتحقق إلا بالاشتباك المسلح مع « إسرائيل » ، ولذلك فلا بد من التأكيد على ما يلي :

١ . أن من أول واجبات العمل الفلسطيني أن يستكمل العدة للاشتباك المسلح وأن يطمئن إلى حركته ، وأمان ظهره في مرحلة الاستعداد والاشتباك .

٢ . العمل الفلسطيني لن يتصدى لأي وضع داخلي في أي بلد عربي ، لأنه متجه بكليته إلى المعركة مع العدو ، وعازف عن أي معركة جانبية ، وعلى ذلك فإنه لن يتصدى إلا لمن يتصدى لحرية حركته .

٣ . أن العمل الفلسطيني يعتبر أن القصد من أعمال الاعتقال والإبعاد والتعسف ضد العديد من العناصر الوطنية الفلسطينية في بعض ساحات التجمع الفلسطيني ، إنما هو محاولة لمثل هذا التصدي ، ويحذر من العواقب الوخيمة التي ستترتب حتماً على الاستمرار في مثل هذه المحاولة ، ولذلك فإن المجلس الوطني الفلسطيني يقرر :

أن حرية العمل الفلسطيني ضرورة لا بد منها لخوض معركة التحرير .

المطالبة بالإفراج فوراً عن المعتقلين الوطنيين ، ووقف أعمال الإبعاد والتعسف ضد الفلسطينيين في كل مكان .

الطلب إلى الدول العربية بإصرار وصلابة منح الفلسطينيين حريتهم في شؤون العمل والسفر والإقامة .

أن جميع المطالب التي تقدم بها رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى حكومة الأردن بشأن العمل الفلسطيني هي الحد الأدنى اللازم لحرية العمل الفلسطيني .

وحدة العمل الثوري :

لما كان النضال من أجل استعادة فلسطين يتطلب توحيد جميع القوى الوطنية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية وعلى أساس مخطط ثوري للعمل ، ولما كانت القوى الثورية الفلسطينية قد أقرت مبدأ توحيد عملها تمهيداً لتوحيد تنظيمها كله ، وأقرت المبادئ التي يقوم عليها هذا التوحيد ، والصيغة التنظيمية التي تتجسد بها ، لذلك :

١ . يؤيد المجلس الوطني هذه الخطوة التي بادرت قيادة المنظمة إلى اتخاذها ، والتي تعتبر - ولاشك - نقطة تحول هامة في مسيرة النضال الفلسطيني ، باعتبار أن توحيد القوى الثورية يشكل الدعامة الشعبية الراسخة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، يدعو جميع الفئات والتنظيمات الثورية إلى الاشتراك الهادف للانصهار في هذا العمل الموحد .

٢ . يفوض المجلس رئيس اللجنة التنفيذية بأن يقدم إلى هذا التنظيم جميع التسهيلات ، التي يتطلبها لوضع التنظيم أمام مسؤولياته الجسيمة في هذه الفترة الحاسمة من فترات نضالنا لاسترداد الوطن السليب .

٣ . يطلب المجلس انبثاق القيادة الجماعية الثورية عن هذا العمل الثوري الموحد ، انسجاماً مع طبيعة المرحلة الجديدة التي وصلت إليها قضية فلسطين .

٤ . إلى أن يتم انصهار القوى الثورية انصهاراً تاماً ، يطلب المجلس من رئيس اللجنة التنفيذية أن يتعاون مع هذه القوى حتى يتحقق هذا الهدف .

العمل العربي الموحد :

لما كان العمل العربي الموحد المنبثق عن مؤتمرات القمة يعتبر مسلكاً من مسالك العمل العربي الموحد على طريق تحرير فلسطين ، ولما كانت الدول العربية قد التزمت عن طريق هذه المؤتمرات بخطة العمل الموحد ، ولما كانت بعض الدول العربية قد خرجت أو انحرفت عن هذه الخطة أو تقاعست في تنفيذها ، وبالرغم من إيماننا القاطع بأن السبيل لتحرير فلسطين هو العمل الثوري النابع من القوة الذاتية العربية ، فإن المجلس الوطني يطالب الدول العربية بأن تلتزم بما قررته مؤتمرات القمة كحد أدنى للعمل العربي الموحد ، ويناشد الشعب العربي في كل مكان أن يكون العين الساهرة التي تقوّم كل انحراف ، وتعدل كل اعوجاج ، وأن يضغط على الحكومات العربية لتنفيذ قرارات القمة نصاً وروحاً .. ويؤكد المجلس الوطني أن منظمة التحرير باقية مهما كان مصير مؤتمرات القمة ومنطقها .

---

* المصدر : راشد حميد ، **مقررات المجلس الوطني الفلسطيني / ١٩٦ - ١٩٧٤** بيروت ، مركز الأبحاث ، ١٩٧٥ ، ص ص ٨٩ - ١٠٢ .

الإعداد للمعركة :

لما كانت قضية فلسطين جزءاً لا يتجزأ من قضية الحرية العربية والوحدة العربية ، ولما كانت قضية فلسطين هي في الواقع قضية دفاع كل بلد عربي عن نفسه ، وقضية الدفاع عن المصير والوجود العربيين بمقدار ما هي قضية استرداد وطن مغتصب وحقوق سليبة ، ولما كان من أول واجبات الشعب الفلسطيني ، بلورة هذه الحقائق وإبرازها للأمة العربية ، يؤكد المجلس الوطني باسم شعب فلسطين :

١ . أن المعركة يجب أن تخاض حتماً على اعتبار أنها المعركة الحاسمة في تقرير المصير العربي كله .

٢ . أن الوقت قد حان للانتقال من مرحلة الاستعداد إلى مرحلة التهيئة الفعلية النهائية ضمن الاستراتيجية العربية الثورية .

٣ . أن واجب إشعال المعركة يقع على القوى الثورية العربية ، التي يتوجب عليها أن ترفع راية المعركة وتتكتل فوراً حولها ، وتستقطب جماهير الأمة العربية كلها لهذا الكفاح التاريخي .

٤ . أن الإحجام عن خوض المعركة مرادف لخسارتها ، وقبول بالتجزئة بديلاً عن الوحدة العربية ، والخطر الدائم بديلاً عن الأمان ، وتعريض الأمة العربية لخسارة المزيد من أراضيها ، وتخلّ عن الأهداف الثورية العربية .

السلاح الذري والمعركة الاستباقية :

يحذر المجلس الوطني بصورة خاصة وقاطعة من الجهود التي تبذلها « إسرائيل » ، والهادفة لإنتاج السلاح الذري ، وينبه إلى خطر الاستكانة إلى أية تصريحات قد تصدر عن العدو معلنة عدوله عن إنتاج مثل هذه الأسلحة .

ويؤكد المجلس بأن هذه التصريحات إذا نظر إليها من زاوية ما ألفناه من العدو من التقدم تحت ستار الخداع والتضليل ، هي في حد ذاتها الدليل القوي على مضيه في طريق صنع هذه الأسلحة .

وينبه المجلس أيضاً إلى أن هدف العدو من السلاح الذري هو تثبيت ما هدف إليه الاستعمار دائماً من تجزئة للوطن العربي ، والتطلع إلى تجميد القوى العربية الرادعة ، التي تحمي الوطن العربي كله ، والسعي عن طريق التهديد الذري إلى الحصول على أكبر قدر من التوسعات الإقليمية في البلاد العربية الأخرى .

ولذا يعتبر المجلس منع « إسرائيل » من امتلاك سلاح ذري هدفاً ملحاً وعاجلاً ، ويعلن أن من الضروري على الدول العربية خوض المعركة الاستباقية مع « إسرائيل » لمنعها من الحصول على السلاح الذري ، مع التأكيد أن هدف هذه الحرب تحرير أرض فلسطين كلها من العدو ، وإعادتها إلى السيادة العربية .

ويقرر المجلس توجيه أصدق عبارات الشكر والامتنان ، مشفوعة بالإعجاب والتقدير إلى الرئيس جمال عبد الناصر للموقف الثوري الذي أعلنه بهذا الصدد ، دفاعاً عن سلامة الوطن العربي وصوناً لقضية فلسطين .

جيش التحرير الفلسطيني :

١ . لما كانت الإنجازات التي حققها جيش التحرير الفلسطيني في المدة القصيرة التي مرت على تشكيله تدعو إلى الاعتزاز والإكبار ، فإن المجلس الوطني يتوجه إلى قيادة هذا الجيش وضباطه وجنوده بتحية الإعجاب والتقدير ، ويوصي بأن تعمل قيادة المنظمة على تأمين الموارد المالية اللازمة لتمكينه من تحقيق إرادة الشعب الفلسطيني في خوض معركة التحرير .

٢ . لما كان الفضل الكبير في قيام جيش التحرير ، وبلوغه هذا المستوى من التسليح والتدريب والإعداد ، يعود إلى الجمهورية العربية المتحدة ، والجمهورية العربية السورية ، والجمهورية العراقية ، والجمهورية الجزائرية ، يقرر المجلس شكر هذه الدول التي مكّنت جيشنا من البروز كقوة فاعلة متهيئة لأداء دور الطليعة في معركة التحرير .

ويناشد المجلس الدول العربية الأخرى أن تبادر إلى تمكين جيش التحرير الفلسطيني من إنشاء وحدات له فيها ، لتكون قوة ثورية قادرة على العمل لاسترداد الوطن السليب ضمن الخطة الثورية العربية .

تسليح أميركا لـ « إسرائيل » :

لما كانت المؤامرات الاستعمارية المسؤولة عن خلق « إسرائيل » في قلب وطننا العربي مستمرة ، وتكاد لا تنقطع عن دعم « إسرائيل » ، وتقويتها ، وحمايتها .

وحيث أن الاستعمار الأميركي هو العدو الأول لجميع حركات التحرير بما فيها تحرير فلسطين .

ولما كانت جميع الدلائل قد أكدت وجود صفقة جديدة للسلاح بين الولايات المتحدة الأميركية و « إسرائيل » تم فيها تزويد « إسرائيل » بمئات الطائرات النفاثة الحديثة ، وأحدث الأسلحة والمعدات ، ولما كانت هذه الصفقة حلقة في سلسلة ما قامت به أميركا لخلق « إسرائيل » ودعمها وحمايتها من إجراءات حملت طابع التحدي والعداء السافر لشعب فلسطين والأمة العربية كلها .

يستنكر المجلس الوطني أشد الاستنكار صفقة الأسلحة الجديدة التي عقدتها الولايات المتحدة

الأميركية مع " إسرائيل " ، ويطلب إلى الشعب العربي في كل مكان أن يحدد موقفه نهائياً من هذا العداء السافر ، الذي يصدر عن أميركا تجاه شعب فلسطين ، وأن لا يقتصر هذا التحديد على مجرد الأماني .

ويطلب إلى الدول العربية أن تبادر فوراً إلى اتخاذ الإجراءات الرادعة ضد الولايات المتحدة ، على ضوء القرار الذي سبق أن صدر عن مؤتمر القمة العربي الثاني ، بتحديد مواقف الدول العربية كلها من الدول الأجنبية في ضوء مواقف الأخيرة من قضية فلسطين .

الصين الشعبية :

١ . لما كانت حكومة الصين الشعبية قدمت مشكورة جميع المساعدات الصادقة لتمكين الشعب الفلسطيني من الكفاح ضد الاستعمار وقاعدته " إسرائيل " ، فإن المجلس الوطني يحيي شعب الصين الشعبية ، ويعرب عن تقديره لسياسة حكومتها القائمة على مبدأ الاعتماد على النفس ، وعن تأييده لنضاله ضد الاستعمار الأميركي ، وتحرير تايوان من عصابة تشاي كان تشك .

٢ . لما كانت الحكومات العربية قد قررت مبدأ تحديد مواقفها من الدول الأجنبية وفقاً لمواقف تلك الدول من القضية الفلسطينية ، لذلك يطالب المؤتمر الحكومات العربية التي لم تعترف بعد بحكومة الصين الشعبية ، الاعتراف بها تقديراً لموقفها من قضية فلسطين ومنظمة التحرير الفلسطينية .

كوريا الشعبية الديمقراطية :

يحيي المجلس الوطني شعب كوريا الشعبية الديمقراطية ، ويعرب عن تأييده لنضال الشعب الكوري للتخلص من عصابة الحكم الحالي في سيئول العميلة للاستعمار الأميركي ، ويناشد الدول العربية ، التي لم تعترف بحكومة كوريا الشعبية الديمقراطية ، الاعتراف بها تقديراً لموقفها من قضية فلسطين ومنظمة التحرير الفلسطينية .

الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي :

١ . يحيي المجلس الوطني سياسة الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الاشتراكي في منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ويشكرها على ذلك .

٢ . يعتبر المجلس الوطني اللقاء الأخير الذي تم بين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير استهلالاً لجهود أخرى في هذا السبيل ، تضمن تحقيق مزيد من التعاون المشترك في سبيل تحرير فلسطين .

ألمانيا الغربية :

يندد المجلس الوطني بسياسة الحكومة الألمانية الغربية ، ويطالب الدول العربية بمقاطعتها اقتصادياً ، لاستمرارها في دعم العدوان الإسرائيلي بالمال والسلاح ، ويناشد المجلس الدول العربية التي لم تعترف بحكومة ألمانيا الشرقية الاعتراف بها ، كما يؤكد تأييده لحق الشعب الألماني في وحدة بلاده .

دول عدم الانحياز :

لما كانت دول عدم الانحياز قد أعربت في مؤتمراتها الأخيرة عن تأييدها لكفاح الشعب الفلسطيني من أجل تحرير وطنه .

يقرر المجلس شكر الدول التي ساندت قضيتنا على مواقفها الصادقة من تأييد القضية وتصفية " إسرائيل " ككيان استعماري ، ويطالب الدول المتبقية منها أن تحذو حذو الدول الأخرى ، ويطلب إلى قيادة منظمة التحرير مواصلة الجهود التي تبذلها مع هذه الدول .

حركات التحرر :

١ . يحيي المجلس الوطني الكفاح البطل الذي تقوم به جبهة تحرير جنوب فيتنام ، ويعلن استنكاره للقصف الأميركي لجمهورية فيتنام الديمقراطية .

٢ . يؤيد المجلس الوطني الكفاح العادل الذي تقوم به حركات التحرير في كل من : أنغولا ، وموزامبيق ، وغيانا المسماة بالبرتغالية ، والكونغو (ليوبولدفيل) ، وزمبابوي (روديسا الجنوبية) وجنوب أفريقيا .

مقررات مؤتمرات القارات الثلاث :

يعرب المجلس الوطني عن تأييده التام لقرارات مؤتمر القارات الثلاث المنعقد في هافانا في مطلع العام الحالي ، ويؤكد تقديره لتأييد شعوب اثنتين وثمانين دولة اشتركت في هذا المؤتمر لقضية فلسطين وتحريرها من الاستعمار والصهيونية ، ويحيي المجلس كفاح الشعب الكوبي ضد المؤامرات الاستعمارية .

<u>القرارات العسكرية :</u>

١ . يعلن المجلس الوطني الفلسطيني ثقته الكاملة بقيادة جيش التحرير الفلسطيني ، ويطالبها بمواصلة الجهد لوضع قواتنا المسلحة أمام مسؤوليات القتال في أسرع وقت ممكن .

٢ . يناشد المجلس الوطني الفلسطيني الدول العربية المعنية الوفاء بالتزاماتها المالية قِبَل قيادة جيش التحرير الفلسطيني ، حتى تتمكن هذه القيادة من تنفيذ خطتها .

٣ . يقرر المجلس الوطني أنه لا يجوز أن تكون

مخصصات جيش التحرير الفلسطيني جزءاً من وفورات القيادة العربية الموحدة ، وأن تعود هذه المخصصات إلى وضعها الأصيل بحيث تكون التزاماً على الدول نحو جيش التحرير الفلسطيني .

٤ . يقرر المجلس الوطني التزام اللجنة التنفيذية للمنظمة بمبلغ المليون جنيه المقرر لها من جامعة الدول العربية في الصرف على أمورها الإدارية ، وتحويل جميع إيرادات الصندوق القومي الفلسطيني لحساب جيش التحرير الفلسطيني ، وفي حالة عدم وفاء بعض الدول العربية بالتزاماتها في المليون جنيه يغطى العجز من إيرادات الصندوق القومي في حدود ١٠٪ من الإيرادات السنوية .

٥ . يوصي المجلس الوطني بأن تحال طلبات إشغال الوظائف إلى قيادة جيش التحرير لإبداء الرأي ، ويرفع هذا الرأي إلى اللجنة التنفيذية لتتخذ القرار الذي تراه مناسباً .

٦ . يناشد المجلس الوطني الفلسطيني الحكومة الأردنية بتطبيق قانون التجنيد الإجباري ، والتدريب الشعبي ، والسماح بإنشاء وحدات لجيش التحرير الفلسطيني ، والإسراع في تسليح وتدريب وتحصين القرى والخطوط الأمامية .

٧ . يناشد المجلس الوطني الفلسطيني الحكومة اللبنانية بإفساح المجال لمنظمة التحرير الفلسطينية لتعبئة أبناء فلسطين المقيمين في لبنان تعبئة عسكرية كاملة .

٨ . يطالب المجلس بمضاعفة الاهتمام بقوات الفدائيين ، وزيادة أعدادها بالشكل الذي يتيح لها العمل السريع بما يتفق مع أبعاد المعركة واحتمالاتها ، والاستفادة بخبرات المجاهدين .

٩ . يطالب المجلس بالاهتمام الجدي بدور المرأة الفلسطينية في معركة التحرير مثل : المقاومة الشعبية ، والخدمات الطبية ، والإسعاف الميداني ، وكل ما يتعلق بأعمال الميدان .

١٠ . يقرر المجلس الوطني الفلسطيني وضع الدائرة العسكرية تحت إشراف قيادة جيش التحرير الفلسطيني .

١١ . يقرر المجلس توجيه الشكر والتقدير لجميع الدول التي سهلت وساعدت على إنشاء وحدات جيش التحرير الفلسطيني .

١٢ . يقرر المجلس الوطني الفلسطيني توجيه الشكر والتقدير لقيادة جيش التحرير الفلسطيني ، نظراً للجهد الكبير الذي بذلته في سبيل الوصول بقواتنا المسلحة إلى أرفع مستويات التنظيم والتسليح والتدريب .

قرارات في التنظيم الشعبي :

أولاً : أقر المجلس مشروع خطة العمل في التنظيم الشعبي ، وأوصى المجلس اللجنة التنفيذية بالعمل على تنفيذ هذه الخطة في جميع مناطق التجمع الفلسطينية .

ثانياً : قرر المجلس أنه عندما تتكامل التشكيلات الشعبية في القطر ، تكون السلطة في القضايا المحلية للتنظيم الشعبي في القطر من اختصاص مكتب القطر ، وفقاً لمبادئ قانون التنظيم والتوجيهات العامة التي تصدر من قيادة المنطقة .

ثالثاً : يوصي المجلس دائرة التنظيم الشعبي ، بالقيام بمزيد من الدراسة لموضوع علاقات الاتحادات بأنواعها مع منظمة التحرير والتشكيلات الشعبية التابعة لها .

رابعاً : ١ . يقرر المجلس أن يكون تمثيل المرأة الفلسطينية في المؤتمرات العربية والدولية عن طريق الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية .

٢ . يقرر المجلس أن يكون المؤتمر العام للتنظيم الشعبي من أعضاء المكاتب القطرية المنتخبين ، في المراكز التي اتيحت فيها فرصة إجراء الانتخابات للتشكيلات الشعبية ، من أعضاء المكاتب القطرية المختارين من قيادة المنظمة ، بالتناوب مع أعضاء المجلس الوطني ، وقواعد المنظمة المختلفة في المراكز التي تعذر إجراء الانتخابات فيها ، على أن يحلّ الأعضاء المنتخبون محلّ الأعضاء المختارين في حالة إجراء انتخابات تشكيلات التنظيم الشعبي .

قرارات في الإعلام والتوجيه القومي :

١ . نظراً للدور الحيوي الذي تؤديه إذاعة صوت فلسطين في نشر وتعميق أهداف المنظمة وأفكارها وشعاراتها ، وإيصالها إلى الشعب الفلسطيني خاصة والجماهير العربية عامة ، يقرر المجلس الوطني ضرورة دعم إذاعة صوت فلسطين مادياً ومعنوياً ، وتسهيل مهمتها الإخبارية بتزويدها بجهاز (تيكر) ، وتمكينها من تخصيص بعض الوقت لبث برامج باللغة العبرية ، توجه إلى اليهود في الأرض المحتلة ، لكشف التناقضات التي تحفل بها الدعايات المستغلة لتعبئتهم في الدولة الغاصبة .

٢ . تكليف نفر من الأساتذة المختصين في مواد الجغرافيا والتاريخ والتربية ، بوضع مقررات مدرسية وفقاً للمناهج التي أقرّتها لجنة المناهج المدرسية ، وحث حكومات البلاد العربية المضيفة

للفلسطينيين باعتماد هذه الكتب لتدريسها في مختلف المراحل الدراسية .

٣ . دعم قسم الثقافة الفنية بالإمكانيات اللازمة التي تمكنه من تنفيذ مشروعاته كإقامة المعارض في الخارج ، وإنجاز مشروع طباعة اللوحات التاريخية ، ومشروع كتب الأطفال المصورة ، ومساندته فيما ينوي الشروع فيه من نشاطات في مجال الفنون الشعبية .

٤ . دعم قسم النشر والإنتاج السينمائي ، بحيث يتمكن من إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفلام الوثائقية والتسجيلية ، ودراسة المجالات التي تمكن من عرض هذه الأفلام على أكبر عدد من المشاهدين داخل البلاد العربية وخارجها ، ضمن إمكانيات المنظمة المالية .

٥ . العمل على إنشاء مجلة أسبوعية تبلور الخط الفكري للمنظمة ، وتعالج القضية الفلسطينية في مختلف نواحيها ، لتعميمها في وجدان الجماهير العربية .

٦ . تكليف اللجنة التنفيذية بإعداد دراسة وافية لمشروع إنشاء معهد أو فصول ملحقة بمعاهد ، كفيلة بتأهيل بعض الشباب الفلسطيني والخبراء الفنيين للعمل وللتدريس في البلاد الأفروآسيوية ، والاتصال بهذا الصدد بالدول العربية وجامعاتها واتحاد المعلمين العرب، سعياً وراء مساهمتهم في تنفيذ هذا المشروع، ودعم مركز الدراسات الفلسطينية في بيروت .

٧ . يقرر المجلس تأييد توجيه مؤتمر وزراء الإعلام العرب بشأن مكافحة الإذاعات التليفزيونية الإسرائيلية .

٨ . يطالب المجلس اللجنة التنفيذية الاتصال بالدول العربية ، ووزارات التربية والتعليم فيها ، لمنع الكتب المدرسية التي توحي باعتبار " إسرائيل " دولة قائمة .

القرارات المالية ، و من أبرزها : -

١ . لما كان طريقنا لتحرير فلسطين هو الكفاح المسلح ، ولما كان شعبنا يعقد أمله ورجاءه على جيش التحرير الفلسطيني ، الذي أتيح للمجلس الوطني في دورته الحالية أن يرى ما بلغه هذا الجيش من كفاءة وحسن تدريب ، وحرصاً على أن تصرف الأموال التي يقدمها الشعب العربي الفلسطيني على تقوية وتدعيم جيش التحرير الفلسطيني ، لذلك قرر المجلس أن تخصص ضريبة التحرير والتبرعات مهما كان مصدرها لهذا الغرض ، والوفورات المتحققة لدى الصندوق القومي الفلسطيني ، ولا يجوز أن ينفق منها لغير هذا الغرض إلا للتغلب على الأزمات المالية الطارئة وفي حدود ١٠٪ .

٢ . تخصيص مبلغ (٧٥٠٠٠ دينار) من الاحتياطي العام المرصود في ميزانية عام ١٩٦٧/٦٦ ، وإضافته إلى مخصصات الدائرة العسكرية لحساب قيادة جيش التحرير الفلسطيني ، لينفق منه على التدريب الشعبي . وبذلك يصبح إجمالي مخصصات الدائرة العسكرية (٧٩٤٢٢٠) ديناراً بدلاً من (٧١٩٢٢٠) ديناراً أردنياً .

٣ . يطالب المجلس أعضاء مجلس إدارة الصندوق القومي الفلسطيني أن يضاعفوا جهودهم لتنمية موارد الصندوق بشتى الطرق والوسائل الممكنة ، لدعم جيش التحرير الفلسطيني .

٤ . يقرر المجلس الوطني مناشدة الدول العربية ، العمل على إصدار التشريعات اللازمة لفرض ضريبة التحرير على أبناء الشعب العربي الفلسطيني المقيمين لديها ، وتقديم التسهيلات اللازمة لقيام أجهزة المنظمة بأعمال الجباية الشعبية ، وتدعو الشعب الفلسطيني لدفع ضريبة التحرير على أي حال .

٥ . يقرر المجلس الوطني مناشدة الدول العربية ، التي لم تنفذ قرار مؤتمر المواصلات السلكية واللاسلكية العربي السادس ، والخاص بإعفاء المنظمة من أجور البريد والبرق والهاتف ، المبادرة إلى وضع هذا القرار موضع التنفيذ .

كما قرر المجلس اعتبار فلسطين المحتلة دائرة انتخابية لها مقعد واحد ، وانتخاب أحمد الشقيري رئيس المنظمة نائباً عن هذه الدائرة ، وعضواً في المجلس الوطني المقبل الذي سيجري انتخابه .

الفصل السابع

المنظمة ومؤتمر قمة الخرطوم

١ - تمهيد
٢ - كلمة الشقيري في المؤتمر
٣ - بيان وفد المنظمة حول انسحابه من المؤتمر
٤ - سجال الشقيري وعبد الناصر في قمة الخرطوم (رواية محمود رياض)
٥ - ذكريات عن مؤتمر القمة في الخرطوم

الفصل السابع
المنظمة ومؤتمر قمة الخرطوم

تمهيد :

تركت الهزيمة العسكرية الكبرى للأمة العربية في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ أثرها على الأمة العربية ، سواء على المستوى الرسمي (مكوّنات النظام العربي) أو المستوى الشعبي ، ولا سيما على حركة القومية العربية التي كان يجسدها النظام المصري بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر . ولم يُهوّن من حجم الكارثة تصنيفها بـ (النكسة) ، ولا التنظيرات التي أطلقت في حينه لتأصيل هذا المصطلح كمفهوم يوحي بالأمل والعمل على تجاوزها . ذلك أن القرار السياسي ، اتجه نحو إرجاء العمل على استعادة الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ ، واستبدل بها أولوية استراتيجية جديدة هي استرداد الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، وهو ما عبّرت عنه القاهرة بمصطلح (إزالة آثار العدوان) الأمر الذي يعني لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الصهيوني الدخول عملياً في نهج السياسة المرحلية . وحينما قرر العرب عقد القمة العربية الرابعة في الخرطوم في ١٩٦٧/٨/٢٩ كان هذا العنوان هو الأبرز حضوراً فيها ، لكن موقف الشعب الفلسطيني ممثلاً بمنظمة التحرير الفلسطينية عبر خطب وتصريحات رئيسها أحمد الشقيري ، والمنظمات الفدائية التي كان يؤكد على أن غايتها انتقلت إلى تحرير كامل التراب الفلسطيني بالمقاومة ، دون فصل بين ما احتُل في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ .

لقد كان هذا التباين الذي يدنو إلى التناقض الاستراتيجي ، وراء عدم دعوة المنظمة ورئيسها الشقيري إلى تلك القمة ، بدءاً من مؤتمر وزراء الخارجية الذي يُعدّ لها ، لكن الشقيري بادر إلى الضغط على الدولة المضيفة للقمة - السودان - فأوفد شفيق الحوت مدير مكتب المنظمة في بيروت إلى الخرطوم ، للالتقاء برئيس وزرائها محمد أحمد محجوب ، للعمل على توجيه الدعوة للمنظمة ، ملوّحاً في حالة الفشل في تحقيق ذلك بأنه سيأتي إلى الخرطوم ليعقد (قمة شعبية) في أحد مساجدها بموازاة القمة الرسمية ، يعلن فيها أن فلسطين لم تُدع لحضور قمة فلسطين .

ودُعي الشقيري للقمة ، كان كعادته يحمل آراءه ومواقفه وقد أعدها إعداداً علمياً ، وخلاصتها حشد كل طاقات الأمة لمعركة التحرير . كما اختصر الموقف السياسي فيما عرف لاحقاً بـ (لاءات الخرطوم الثلاث) : لا تفاوض ، ولا صلح ، ولا اعتراف . وأخفق في أن تقبل اللاء الرابعة : لا حل منفرداً . وإزاء الأجواء السائدة في القمة أنهى حضوره فيها بعبارته المشهورة : « أنا لست ملكاً لأحرص على البقاء في المُلك ، ولست رئيساً لأحرص على البقاء رئيس جمهورية ، أنا واحد من شعب فقد كل شيء ، ولم يعد لنا ما نخسره ، لأننا خسرنا كل شيء ، ولكن بقي لنا عقلنا وكرامتنا وآمالنا ، إن الاتجاه العام في هذا المؤتمر لا يشجعني على المشاركة فيه ، ولا أستطيع أن أسهم في هذه القرارات ، ولذلك فإني أعلن انسحابي من المؤتمر » .

لقد أعلن البيان موقفاً رافضاً لما آلت إليه القمة ، ولوّحت المنظمة فيه بـ (أن تتصل بمختلف الوسائل بجماهير الشعب الفلسطيني ، والقوى الوطنية في الأمة العربية لتحديد معالم المسيرة المقبلة ، التي يتعين على منظمة التحرير الفلسطينية أن تقوم بها) ، ويعني هذا أن المنظمة سوف تسلك درب الجماهير التي تطالب بالتحرير بعيداً عن قرار الأنظمة في الخرطوم . لقد أدى ذلك إلى رفع المظلة القومية المتمثلة أساساً في مصر عن قيادة الشقيري للمنظمة وبرنامجها ، وقد ترافق ذلك مع خلافات نشأت في صفوف اللجنة التنفيذية بحيث طالبه نصف أعضائها بالاستقالة ، وهو ما قام به في ١٩٦٧/١٢/٢٤ .

لقد كان مؤتمر القمة في الخرطوم محطة فاصلة في تاريخ القضية الفلسطينية وفي تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية ، إيذاناً بانتهاء المرحلة الشقيرية ، لذلك نوثق فيما يأتي كلمة الشقيري في المؤتمر ، في ١٩٦٧/٩/١ متضمنة المبادئ التي تضمنتها كمرتكزات لحل القضية الفلسطينية ، وبيان اللجنة التنفيذية للمنظمة حول الانسحاب من المؤتمر . وبالرغم مما أوضحه الشقيري في مذكراته حول قمة الخرطوم ، إلا أنه طرح قصة الخرطوم وجداله فيها بعد ذلك بخمسة أعوام ، في مقالة نرى أنها بالغة الأهمية فيما تضمنته من مقاربات استراتيجية يجدها القارئ في هذا الفصل .

وفي النهاية فإذا كان إيقاع المنظمة منذ نشأتها متناغماً إلى حد كبير مع إيقاع سياسة عبد الناصر ، فمما لا شك فيه أنهما غادرا الخرطوم ولكل امرئ منهما يومئذ شأن يغنيه ... كانت بداية الفراق ، وهو ما سنتطرق إليه في الفصل الآتي .

كلمة الشقيري في مؤتمر قمة الخرطوم

يواجه مؤتمر القمة العربي - بوصفه أعلى أداة للعمل العربي المشترك - مرحلة خطيرة حاسمة ، سوف تقرر مستقبل العلاقات الرسمية ، كما سوف تعكس آثارها على القضية الأساسية التي انعقد المؤتمر من أجلها ، ألا وهي إزالة العدوان الاستعماري الإسرائيلي الذي وقع على الوطن العربي .

ولقد تابعت منظمة التحرير الفلسطينية المداولات التي جرت في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في كل من : الكويت ، ونيويورك ، والخرطوم ، كما درست الأبحاث والتوصيات التي توصل إليها مؤتمر وزراء الاقتصاد والمال والنفط العربي في بغداد .

وبعيداً عن روح التشاؤم ، يبدو واضحاً لمنظمة التحرير أنه إلى هذه اللحظة ، فإن مؤتمر القمة يسير إلى نهاية غير مجدية ، إذا لم يبادر الملوك والرؤساء إلى التوصل إلى قرارات إيجابية ترتفع إلى مستوى آمال الأمة العربية ومطالبها ، وتُخرج الوطن العربي من المحنة القاسية التي ألمّت به . ومهما يكن تقييم ما تم وضعه حتى الآن من توصيات ودراسات ، فإنه مما لا ريب فيه أن الاتجاه الغالب يمكن تلخيصه فيما يلي :

١) استبعاد استئناف القتال في وقت قريب .

٢) عدم الموافقة على قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع الدول التي ساندت العدوان .

٣) التخلي عن وقف ضخ البترول جزئياً أو كلياً ، لزمن محدود أو غير محدود .

٤) عدم الموافقة على سحب الأرصدة العربية من منطقتي الإسترليني والدولار .

وإذا كان هذا ما سوف ينتهي إليه الأمر ، فإن مؤتمر القمة يكون قد اقتصر غاية جهوده السياسية المجردة من القوة ، تاركاً لمعركة الكلام وحدها في الأمم المتحدة وغيرها ، أن تخرج العدو من الأراضي العربية .

ومثل هذه النتيجة التي يتوجب على مؤتمر القمة أن يتجنبها ، لا تعكس إرادة الأمة العربية ، فضلاً عن أنها سوف تؤدي إلى بقاء العدوان ، أو إلى الاستسلام للمعتدي ، وترك الأعباء كلها على كاهل الدول المعتدى عليها ، تتحملها كلٌّ بمفردها وقدر طاقاتها ومواردها .

غير أن الحقيقة الصارخة الأكيدة ، أن هذا الاتجاه على الصعيد الرسمي لا يمثل إطلاقاً مشيئة الشعوب العربية ، ولا تصميمها على احتمال كل تضحية تقدم عليها حكوماتها ، بالغة ما بلغت .

إن وقف ضخ البترول كلياً ولأجل غير محدود ، مع سحب الأرصدة ، وقطع العلاقات بالدول المعادية ، كل ذلك سيؤدي حتماً إلى إزالة آثار العدوان .

على أنه إذا كانت الإجراءات المقترحة حتى الآن غير مقبولة ، كما يبدو الاتجاه الغالب ، أصبح من الواجب أن نجيب على السؤال الكبير : إذن ما هي الخطة البديلة لإزالة آثار العدوان ؟ .

وطبيعي أن تكون هذه الإجراءات مترابطة في جوانبها العسكرية والاقتصادية والسياسية لتؤدي إلى إزالة العدوان ، وإذا لم توضع هذه الخطة المتكاملة فإن النتيجة الحتمية هي استمرار العدوان قائماً على الأرض العربية وفلسطين ، ويكون مؤتمر القمة قد تخلف عن تحقيق الغاية التي اجتمع من أجلها ..

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية على الصعيد العربي في الظروف الحاضرة ، فإن منظمة التحرير ترى من واجبها أن تلفت النظر إلى عدد من الأمور الهامة ذات الصلة الوثيقة بمصير القضية الفلسطينية ، وتتلخص هذه الأمور فيما يلي :

أولاً - إن سياسة « إسرائيل » ، ومشروعاتها التي تقوم بها في قطاع غزة والضفة الغربية تستهدف الإدماج أو الاحتلال طويل المدى .

ثانياً - تعمل « إسرائيل » بمختلف وسائل العنف واللطف على إظهار الشعب الفلسطيني في هاتين المنطقتين بمظهر الرضاء بالأمر الواقع ، وعدم مقاومته ، أو الاستسلام له .

ثالثاً - تسعى « إسرائيل » بكل جهدها - بديلاً عن الانسحاب غير المشروط - إلى تقديم حلول متعددة ، تبدأ من إقامة حكم ذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، إلى إنشاء جمهورية فلسطينية ترتبط بحسن الجوار مع « إسرائيل » .

وإن المنظمة الفلسطينية رغماً عن إيمانها بصلابة الشعب الفلسطيني ، وصموده أمام المؤامرة الاستعمارية الصهيونية في الخمسين عاماً الماضية ، ورغماً عن أنها ترفض جميع هذه الحلول جملة وتفصيلاً ، لما ستؤدي إليه من تصفية القضية الفلسطينية ، فإنها تحذر من الخطر الذي يحدق بالشعب الفلسطيني .. و قضيته في المرحلة الحاضرة .

ومما يضاعف هذا الخطر ، أن الخطة الإسرائيلية لا تقابلها خطة عربية تستهدف إحباطها . إن الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة يتصدى الآن بشجاعة وبطولة للخطة الإسرائيلية ، وهو أعزل من أسباب المقاومة والصمود ، وكل ما يلقاه على الصعيد

العربي من الدعم والتأييد هو الإذاعات العربية التي تنشر أخبار بطولاته وبسالاته .

وتلح منظمة التحرير الفلسطينية أن لا ينتهي مؤتمر القمة دون أن يضع خطة عربية عاجلة تفسد على « إسرائيل » خططها وتدعم المقاومة الشعبية في فلسطين المحتلة ، وأن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة لأن تقوم بدور فاعل في تنفيذ الخطة العربية بما يتيسر لديها من رجال وسلاح ، هذا وتؤكد المنظمة من جديد بالنسبة لجوهر القضية الفلسطينية المبادئ الآتية :

أولاً - لا صلح ولا تعايش مع « إسرائيل » .

ثانياً - رفض المفاوضات مع « إسرائيل » ، وعدم الاعتراف بالاحتلال السابق .

ثالثاً - عدم الموافقة على أية تسوية فيها مسّ بالقضية الفلسطينية ، وما يؤدي إلى تصفيتها .

رابعاً - عدم التنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية ومنطقة الحمّة ، مع التأكيد - باهتمام خاص - على عروبة القدس .

خامساً - في نطاق الاتصالات الدولية في هيئة الأمم المتحدة وخارجها ، لا تنفرد أية دولة عربية بقبول أية حلول لقضية فلسطين .

سادساً - التركيز الدائم المستمر على الصعيدين العربي والدولي ، على أن قضية فلسطين ، وإن تكن عربية مصيرية ، إلا أن شعب فلسطين هو صاحب الحق الأول في وطنه ، وهو الذي يقرر مصيره .

ويبقى على منظمة التحرير الفلسطينية أن تنبه إلى مصير منظمة التحرير الفلسطينية .

إن منظمة التحرير هي نفسها إنجاز كبير ، يتجلى في قيامها ككيان للشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية ، وإن بقاءها واستمرارها في الاضطلاع بمسؤولياتها القومية ، ألزمُ واجبٍ في هذه المحنة القاسية من أي وقت مضى .

ولقد استطاعت منظمة التحرير - رغم المصاعب الكثيرة المتراكمة في طريقها - أن تجمع حولها جميع فئات الشعب الفلسطيني ، فأصبحت تمثله كما تمثل أية حكومة عربية شعبها المتجمع على أرضها ، المقيم تحت سلطاتها .

وبالإضافة إلى نشاطاتها السياسية والإعلامية ، استطاعت منظمة التحرير أن تبني جيش التحرير الفلسطيني بناءً نضالياً ، جعله يقاتل ببسالة وشجاعة في : قطاع غزة ، والجبهة السورية ، والجبهة الأردنية .

إن منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني يقفان الآن وجهاً لوجه أمام المصير ، وإن بقاء المنظمة ضرورة قومية ، فلسطينية وعربية ، في المقام الأول .

وإنها لكارثة قومية ، فلسطينية وعربية ، أن تُصفى المنظمة ، وأن يُسرّح جيش التحرير ، ويأبى شعب فلسطين ومعه الأمة العربية أن تصل المنظمة وجيشها إلى هذا المصير ، وسوف يظل شعب فلسطين يقتطع من لحمه ، ويستنزف من دمه ليُبقي ما أمكن أن يُبقي من منظمة التحرير وجيش التحرير .

ولهذا فإن منظمة التحرير الفلسطينية تقترح على مؤتمر القمة إصدار القرارات التالية :

١) الوفاء بجميع الالتزامات المالية المترتبة لمنظمة التحرير وجيش التحرير بموجب قرارات مؤتمرات القمة ، والاستمرار في أدائها في مواعيدها المقررة .

٢) تمكين منظمة التحرير الفلسطينية من مسؤولياتها القومية في تنظيم الشعب الفلسطيني ، وتهيئته ليقوم بدوره الطليعي في تحرير وطنه وتقرير مصيره .

٣) تعزيز جيش التحرير الفلسطيني ، بحيث تكون للمنظمة سلطة كاملة عليه من حيث : تشكيله وتدريبه وتسليحه وجميع شؤونه الإدارية ، على أن واجبه العسكري يظل مرتبطاً بالخطة العربية الموحدة .

٤) إنشاء معسكرات لتدريب أبناء فلسطين في الدول العربية ، بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية .

٥) إصدار التعليمات أو الأوامر اللازمة في الدول العربية ، كل حسب نظمها الدستورية ، لتمكين منظمة التحرير الفلسطينية من استيفاء ضريبة التحرير من أبناء فلسطين حيثما وجدوا .

بيان وفد المنظمة حول انسحابه من المؤتمر

(تعلن منظمة التحرير الفلسطينية من هذا البلد العربي المناضل (السودان) إلى الشعب الفلسطيني والأمة العربية ، أنها قررت الانسحاب من مؤتمر القمة العربي المنعقد في الخرطوم ، وهي إذ تعلن ذلك لا تستهدف التهجم على أحد أو التنديد بأحد ، وإنما تفعل ذلك بروح أخوية عربية وبكل تقدير واحترام ، وإن الدافع الوحيد لإعلان هذا الانسحاب هو إطلاع الشعب الفلسطيني والأمة العربية على حقيقة موقف المنظمة من ناحية قومية ، خاصة وأن القضية الفلسطينية هي أمانة غالية ، وتقضي هذه الأمانة كواجب مقدس أن يكون الشعب الفلسطيني والأمة العربية على علم بالحقائق الواضحة والظروف الموضوعية ، ولا تريد المنظمة في هذه المرحلة بالذات ، أن تكشف عن جميع الأسباب التي دعت إلى هذا الموقف حتى لا تزداد القضية الفلسطينية خطراً على خطر ، وإنما تقتصر المنظمة في بيان السبب الرئيسي الذي تسمح الظروف بإعلانه ، ذلك السبب في مجمله أن منظمة التحرير الفلسطينية قد عرضت على المؤتمر مذكرة تتضمن ستة مبادئ أساسية يجب أن يرتكز عليها أي حل للقضية الفلسطينية ، وخصصت المذكرة بالتحديد أنه لا يحق لأية دولة عربية أن تنفرد بقبول أي حل للقضية الفلسطينية ، مؤكدة بذلك أن القضية الفلسطينية هي قضية عربية مصيرية ولا يجوز أن تقبل فيها أي حلول سياسية ، إلا إذا اتفقت عليها الدول العربية في اجتماع كامل مسؤول تشترك فيه منظمة التحرير الفلسطينية .

في الجلسة الأخيرة المقفلة التي عقدها مؤتمر القمة شرح وفد المنظمة (برئاسة الأستاذ الشقيري) بصورة وافية ، وجهة نظره في كيفية معالجة القضية الفلسطينية على الصعيد العربي والدولي ، غير أن مؤتمر القمة لم يوافق على مقترحات المنظمة ، ونظراً لأن وفد المنظمة يرى أن موقف مؤتمر القمة هذا أصبح يواجه مسؤولية خطيرة لا تستطيع المنظمة أن تشارك في تحملها ، لم ير وفد المنظمة أمامه بديلاً إلا الانسحاب من المؤتمر إعلاناً منه عن عدم الموافقة على ما انتهى إليه المؤتمر بالنسبة إلى قضية فلسطين .

ويبقى بعد ذلك على المنظمة أن تتصل بمختلف الوسائل بجماهير الشعب الفلسطيني والقوى الوطنية في الأمة العربية ، لتحديد معالم المسيرة المقبلة ، التي يتعين على منظمة التحرير الفلسطينية أن تقوم فيها على ضوء ظروف المحنة المريرة التي نزلت بالوطن العربي في فلسطين ، وإن وفد منظمة التحرير الفلسطينية يرى لزاماً عليه أن يعرب عن عظيم شكره وأخلص تقديره للشعب السوداني ، ولمجلس السيادة في السودان والحكومة السودانية لما لقي من حفاوة بالغة ورعاية أخوية كريمة) .

وبرغم انسحاب وفد المنظمة فإن الموقف الذي عبرت عنه اللجنة التنفيذية جعل المؤتمر يستجيب لجانب من مقترحات المنظمة ، التي أصبحت تعرف بـ « لاءات قمة الخرطوم » .

وفيما بعد ، وعندما اشتد الخلاف حول أسلوب العمل فيما بين الأستاذ أحمد الشقيري من جهة ، وفريق من أعضاء اللجنة التنفيذية من جهة ثانية ، الذي يتكون من الأعضاء : عبد الخالق يغمور ، بهجت أبو غربية ، أسامة النقيب ، يحيى حمودة ، وجيه المدني ، نمر المصري ، يوسف عبد الرحيم ، قدم أحمد الشقيري استقالته إلى الشعب الفلسطيني ، كما هو واضح من كتاب الاستقالة الموجه منه إلى اللجنة التنفيذية ، وقد أذاعها الأستاذ أحمد الشقيري من إذاعة صوت فلسطين في القاهرة . [1]

(١) نص الاستقالة في الفصل الآتي .

سجال الشقيري وعبد الناصر في قمة الخرطوم

رواية محمود رياض *

تحدث رئيس منظمة التحرير الفلسطينية فقال : « إن موضوع الضفة الغربية خطير ، والآلام التي يتعرض لها شعبنا تهزنا جميعاً وتفزعنا على مصير قضية فلسطين . إن منظمة التحرير الفلسطينية قد حددت موقفها من القضية في المبادئ الستة التي وزعتها على المؤتمر » .

وكان الشقيري قد وزع على المؤتمر مذكرة باسم المنظمة طالب فيها بتبني المؤتمر لستة مبادئ هي :

أولاً - لا صلح ولا تعايش مع « إسرائيل » .

ثانياً - رفض المفاوضات مع « إسرائيل » .

ثالثاً - عدم الموافقة على أية تسوية تمس القضية الفلسطينية وتؤدي إلى تصفيتها .

رابعاً - عدم التنازل عن قطاع غزة والضفة الغربية والتأكيد على عروبة القدس .

خامساً - عدم انفراد أية دولة عربية بقبول أية حلول لقضية فلسطين .

سادساً - التركيز على أن قضية فلسطين برغم أنها قضية عربية مصيرية ، إلا أن شعب فلسطين هو صاحب الحق الأول في تقرير مصيره .

ثم استأنف الشقيري كلمته قائلاً : « إن تلك المبادئ الستة قد تم وضعها بعد تفكير عميق ودراسة هادئة . وإننا نشعر شعوراً أميناً وصادقاً بأن هذه المبادئ الستة هي التي يمكن على أساسها حل القضية الفلسطينية . نحن متفقون معكم على ضرورة انسحاب العدو من قطاع غزة والضفة الغربية ، وعلى بذل أقصى الجهود السياسية لحمل العدو على الانسحاب . كما أننا نؤكد أن المنظمة لا تضع شروطاً أو تحفظات لكن السؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا هو : ما هو الثمن الذي يجب علينا أن ندفعه ؟ نحن جميعاً نعرف « إسرائيل » . وأنا بمنتهى التواضع صاحب خبرة طويلة معها وأعرف أهدافها وأطماعها نتيجة الممارسة الفعلية . وأرجو أن يكون مفهوماً لديكم أن موقفنا في المنظمة ليس نتيجة عناد أو تطرف ، لكن الموضوع الذي يجب أن يشغلنا هو موضوع الثمن الذي يتعين علينا أن ندفعه في سبيل استعادة الضفة الغربية ، ونحن نرى أنه إذا كان الثمن باهظاً فإن قبولنا به سيكون خطأً كبيراً . إن سياسة أميركا تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية بصفة نهائية .

والنقاط الخمس الواردة في مشروع جونسون ثمن غالٍ وباهظ من أجل استعادة الضفة الغربية . فهل نحن مستعدون لدفع هذا الثمن الغالي في مقابل الضفة الغربية ؟ أنا كمواطن عربي ، وكرئيس للمنظمة ، أرفض دفع هذا الثمن وأعلن الآن أنني غير موافق . المشروع اليوغوسلافي يهدف إلى تسوية نهائية وإلى سلم دائم في المنطقة قبل حل القضية الفلسطينية . أنا لا أريد أن أطيل عليكم الحديث أكثر من ذلك . لكنني أردت أن أوضح وجهة نظرنا لمجلسكم الموقر والمبادئ الستة التي وضعتها منظمة التحرير ووزعتها عليكم ، هي خلاصة وجهة النظر الفلسطينية بشأن مستقبل القضية . إننا في النتيجة نرفض أي حل يؤدي إلى التصفية النهائية للقضية الفلسطينية .

وتحدث الرئيس عبد الناصر فقال : « أنا أختلف مع الشقيري في تعبير ورد على لسانه حول التسوية النهائية للقضية . فالتصفية النهائية قد تمت فعلاً يوم تعني الجلوس مع « إسرائيل » حول مائدة المفاوضات . وهذا بالفعل ما تريده أميركا . لقد كان أسهل عليّ ألا أتكلم . غير أننا كنا نعاني في الماضي من مصيبة واحدة ، والآن لدينا مصيبتان : مصيبة ١٩٤٨ ومصيبة سنة ١٩٦٧ . لذلك فإنني قلت إننا على استعداد لأن ندفع ثمناً مقابل استرداد الضفة الغربية . فليس في استطاعتنا جميعاً الآن استعادة الضفة الغربية عسكرياً . فهل نتركها في يد « إسرائيل » ؟ وما الذي يمكن عمله في الوقت الحاضر ؟ وما هو البديل ؟ كان يمكنني ان ألزم الصمت وأتحدث عن سيناء فقط . ولكنني أكرر ما قلته من قبل وهو أن الضفة الغربية أهم عندي كثيراً من سيناء حتى ولو بقوا فيها عشر سنوات . أنا قلت إنه لا بد أن ندفع الثمن مقابل الضفة الغربية ، وأنا أقصد بالطبع الثمن المعقول ، طالما أننا لا نستطيع استردادها عسكرياً . ويجب ألا ننسى أن نصف فلسطين قد ضاع سنة ١٩٤٨ والنصف الآخر ضاع سنة ١٩٦٧ . وإذا كان هدفنا الآن استعادة الضفة الغربية عن طريق العمل السياسي ، فلا بد من دفع الثمن » .

ثم أضاف الرئيس عبد الناصر : « الملك حسين كانت له علاقات بالأميركان وكانوا يمدونه بالسلاح وأعتقد أنهم حريصون على استمرار علاقتهم به . ولهذا قلت كلامي بكل وضوح وصراحة . وبالطبع سيكون

(*) وزير خارجية مصر في حينه .

المصدر : محمود رياض ، **مذكرات محمود رياض (١٩٤٨ - ١٩٧٨) : البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط** ، ط٢ ، القاهرة : دار المستقبل العربي ، ١٩٨٥ . ص ص (١٣٥ - ١٣٧) .

هناك ثمن ، ولكن الثمن ليس تصفية القضية ، يجوز أن يكون الثمن هو توثيق علاقة الملك حسين بالأميركان واقترابه منهم أكثر . وإذا كانت الحقيقة دائماً مرّةً إلا أن علينا قبولها لأننا نواجه في الوقت الحاضر مصيبة كبرى . وعلينا أن نعمل من أجل الخروج منها . والموضوع بسيط وواضح للغاية . هناك دائماً طريقان لا ثالث لهما : النضال السياسي والعمل العسكري . وعندما لا نكون قادرين على العمل العسكري فعلينا أن نناضل سياسياً . وإذا كنا قد اخترنا - نظراً لظروفنا - العمل السياسي ، فأنا أختلف مع الشقيري ، هناك فرق بين العمل السياسي وتصفية القضية ، وإذا لم نبادر بعمل إيجابي لاسترداد الضفة الغربية فستتحول الأرض التي احتلها اليهود تدريجياً إلى أرض إسرائيلية » .

ذكريات عن مؤتمر القمة في الخرطوم*

طلبت « شؤون فلسطينية » من الأستاذ أحمد الشقيري أن يخصّها بمذكراته عن مؤتمر القمة في الخرطوم ٢٥ آب / أغسطس ١٩٦٧ ، فرغب في أن يعطيها بشكل حديث يجيب به على عدد من الأسئلة ، وفيما يلي تسجيل لهذا الحديث أعدّه إبراهيم العابد .

• ماذا كان الهدف من عدم دعوتكم لحضور مؤتمر الخرطوم ؟

- الواقع أن عدم دعوتي لحضور مؤتمر الخرطوم له قصة وحكاية تتصل بالقضية الفلسطينية ، وخاصة في الظروف التي جاءت في أعقاب هزيمة حزيران . اجتمع وزراء خارجية الدول العربية لأول مرة بعد الهزيمة في منتصف حزيران في الكويت وقرروا فيما بينهم أن يسافروا إلى نيويورك . وكان الاتحاد السوفييتي قد دعا إلى دورة استثنائية ، دورة طارئة في ذلك الوقت . وهناك رأى وزراء الخارجية تحت مؤثرات متعددة أنه ينبغي عدم دعوة منظمة التحرير الفلسطينية إلى الاجتماعات السياسية المقبلة ، سواء كانت على مستوى وزراء الخارجية أو على مستوى القمة . وكان الاتجاه في ذلك الوقت إلى دعوة مؤتمر للقمة في الخرطوم . ووجد وزراء الخارجية أنفسهم في نيويورك تحت ضغوط هائلة ومتعددة كلها كانت تتجه في اتجاه واحد : هو البحث عن وسيلة سلمية لإزالة آثار العدوان ولو بتضحيات ولو بتنازلات . ومن هنا كان الحديث حول تجنّب دعوة المنظمة ، وأقول متواضعاً دعوة رئيس المنظمة بالذات . بطبيعة الحال كان الذي يحمل لواء هذه الفكرة المنجي سليم رئيس الوفد التونسي . تونس بعد النكبة أحسّت بأنها هي التي انتصرت وانتصرت أفكارها ومعها أفكار بو رقيبة وكأنما لسان حال تونس في ذلك الوقت : ألم نقل لكم في السابق إن الحديث حول تحرير فلسطين باطل ومحال ؟ ألم نقل إن الحرب ضد « إسرائيل » عقيمة وغير مجدية ؟ إلخ .. جاءت تونس بعد هزيمة حزيران لتؤكد هذه التساؤلات مرة أخرى وكأنها على صواب ، وتفردت في ذلك وكأن الدول العربية الأخرى كلها كانت على باطل . ولذلك كان المنجي سليم هو الذي يتولى مهمة إقناع بقية الدول العربية بتجنب دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لأنها تمثّل شعب فلسطين ونضال شعب وآمال شعب من أجل تحرير وطنه ، وأن تحرير فلسطين لم يعد له مجال في نظر تونس وبعض الدول العربية بعد الهزيمة . مضافاً إلى هذا أن رئيس المنظمة شخصياً في نظر تونس حملت عليه الدعاية الصهيونية حملة كبرى وشهّرت به تشهيراً كبيراً ، ولذلك فهو غير مقبول دولياً ، فإذا كنا نريد أن نلجأ إلى العالم الدولي من أجل إزالة آثار العدوان ، يجب أن نزيل آثاراً أخرى تقف في طريق إزالة آثار العدوان ، ومنها إزالة قيادة المنظمة . بطبيعة الحال عدد آخر من الدول مال إلى هذا الرأي . الأردن وجد فيه فرصة للتخلص من رئيس المنظمة ، وكذلك المملكة العربية السعودية . وسبق لممثلي هذه الدول الثلاث في شهر أيار ١٩٦٧ أن تقدموا بمذكرة خطية لجامعة الدول العربية يقولون فيها بالنص : « إن الشقيري لم يعد جديراً بتمثيل الكيان الفلسطيني » . وقبل الهزيمة لم يكن ميسوراً لهذه الدول ولا لغيرها أن يزحزحوا قيادة المنظمة من موقعها . لكن بعد الهزيمة ، وجدت هذه الفرصة بالنسبة للدول الثلاث ، ورأوا في التشهير الصهيوني الكبير برئيس المنظمة ذريعة في أنه لا يمكن للدول العربية أن تصل إلى حل سلمي لهذه القضية طالما بقيت منظمة التحرير تدعو إلى تحرير فلسطين ، وترفض أية تنازلات يمكن أن يقبل العرب عليها . ومن هنا جاء الاتفاق بين الدول العربية بين صامت وناطق على تجاهل دعوة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية . انتهت الدورة الاستثنائية ، وتداعى وزراء الخارجية إلى الخرطوم لعقد اجتماع تحضيري ليضع الدراسات والمقترحات اللازمة أمام مؤتمر القمة الذي سينعقد في الخرطوم . وتولّت حكومة السودان الدعوة إلى مؤتمر وزراء الخارجية في شهر آب ١٩٦٧ . يومها كنت في لبنان ، وكنت أقرأ ما يدور من المشاورات بين الدول العربية دون أن تصلني دعوة ، أو أن تقوم سفارة

(*) إبراهيم العابد (**لقاء**) ، شؤون فلسطينية ، بيروت ، عدد ٤ ، أيلول / سبتمبر ١٩٧٢ ، ص ص ٩٠ - ٩٩ .

السودان في بيروت باتصال بي حول هذا الموضوع ، ومكثت أراقب هذه الأوضاع . وكذلك بدأت تصلني المعلومات أن وزراء الخارجية سيجتمعون بمعزل عن منظمة التحرير الفلسطينية ، إلى الأسبوع الأخير الذي سبق اجتماع الوزراء .

حينئذ قررت أن أذهب إلى الخرطوم دون أن تصلني الدعوة ، وأن أفاجئ وزراء الخارجية في الاجتماع ، وأن أدخل عليهم وأن أضعهم أمام المسؤولية التاريخية في أن يرفضوا حضوري معهم . ودعوت السيد شفيق الحوت مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت إلى بيتي ، وطلبت إليه أن يسافر إلى الخرطوم ، وأن لا يُعلم أحداً بذهابي إلى الخرطوم ، وكلفته بمهمة صغيرة فقط لا يتعداها ، وهي أن يذهب في يوم متفق عليه ويكون بانتظاري ومعه سيارة تكسي في مطار الخرطوم . وأخبرته أنني سأذهب رأساً من المطار إلى الجامع الكبير في الخرطوم ، أنا وأمتعتي وأوراقي ، وأبيت في الجامع وأعلن على جماهير المصلين أنني ضيف الشعب السوداني وضيف الله في بيت الله . طبعاً أردت من وراء هذا ، وكنت قاصداً بكل عزم ، أن أثير الجماهير في الخرطوم لا على الحكومة السودانية لأن المسؤولية لا تقع على عاتقها وحدها ، بل على عاتق الدول العربية مجتمعة . أردت أن أثير الجماهير العربية في الخرطوم على وزراء الخارجية وهم مجتمعون ، فقد كنت عازما في يوم الاجتماع أن أخرج أمام المصلين وأتجه إلى القصر الجمهوري وبالجماهير ، بسلطان الجماهير من ورائي ، أدخل إلى الاجتماع . طرحت هذه الخطة على السيد شفيق الحوت وطلبت منه كتمانها ، وأن يسبقني إلى الخرطوم لنعمل على تنفيذها . وسافر السيد الحوت في الموعد المقرر . وأنا جهزت نفسي لذلك ، ثم دعوت الشيخ عبد الله الطريقي (الخبير البترولي العربي المعروف) لأن يكون في وفد منظمة التحرير ، لأن الدول العربية كانت قد بدأت قبل ذلك بوقف ضخ البترول عن الدول الأوروبية وأميركا باعتبارها دولاً معادية ، ولإيماني بأن البترول هو من أقوى أسلحتنا في المعركة . وفعلاً قبيل اجتماع وزراء الخارجية أصبح كل شيء جاهزاً أمامنا للسفر .

وفي يوم سفري جاءتني برقية من محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان يدعوني إلى اجتماع وزراء الخارجية . دهشت لهذه البرقية لأن الدعوات ذهبت إلى وزراء الخارجية العرب قبل ذلك بثلاثة أسابيع . لكن على كل حال لا بد أن أذهب ، وهناك لا بد أن أبحث عن الدوافع وراء هذه الدعوة العاجلة . وسافرنا إلى الخرطوم وهناك اجتمعت ببعض وزراء الحكومة السودانية في ذلك الوقت ، وبدأوا يتحدثون إليّ بعد مقدّمات بأن التأخر في توجيه الدعوة لم يكن من مسؤولية السودان ، وأن السودان لم يكن من تلك الحكومات العربية التي ألحّت على عدم دعوتك ، وأن وزراء السودان اجتمعوا فيما بينهم وقالوا : لِمَ نتحمل نحن هذه المسؤولية ؟ لماذا نحن نمتنع عن إرسال الدعوة لرئيس المنظمة ؟ فَلْيُدعَ ، وعلى وزراء خارجية الدول العربية أن ينظروا في الأمر؛ فإن قرروا بالإجماع أو بالأكثرية عدم حضور رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يكون القرار منهم ، ولا تتحمل الحكومة السودانية وحدها هذه المسؤولية . وبعد مزيد من التقصّي ، وضح لي أن الحكومة السودانية وصل إلى علمها أمر الخطة التي كنت عازماً على تنفيذها ، وهي الذهاب إلى الخرطوم ولو لم تصلني الدعوة والذهاب إلى الجامع ، ومن هناك الذهاب مع المصلّين إلى مقر اجتماع وزراء خارجية الدول العربية . بلغتهم هذه الخطة؛ إذ عرفت بعد أيام من حديث أخوي مع رئيس الوزراء قال لي : والله لو نفذت هذه الخطة لخرج علينا الشعب في الخرطوم بالعصي والنبابيت ، وحطموا رؤوسنا داخل الاجتماع . أنت لا تعرف مبلغ حماس السودانيين ومبلغ استثارتهم واستغضابهم حين يفلح من يستغضبهم . على كل حال انعقد الاجتماع الأول في القصر الجمهوري . ذهبت ومعي الشيخ عبد الله الطريقي ، والسيد خالد الفاهوم عضو اللجنة التنفيذية والسيد شفيق الحوت . وبعد الكلمة الترحيبية التي ألقاها رئيس وزراء السودان ، خرج المصورون والصحفيون ، واعتبرت الجلسة مقفلة ، وإذ بي أرى أن الجو أصبح جوّ وجوم وهدوء تام ، سكينة كسكينة القبور يقطعها المنجي سليم طالباً الكلمة فينظر إليه محمد أحمد محجوب بشيء من العتاب الأخوي ويقول له : « يا منجي بلاش نتكلم في هذا الموضوع » . ويصرّ المنجي سليم على طلب الكلام قائلاً : « نحن لم نتفق على هذا في نيويورك . هذا الاجتماع قاصر على وزراء خارجية الدول العربية ، ويجب أن يحضره فقط وزراء خارجية الدول العربية » . طبعاً هو تجنب أن يذكر اسمي أو يتعرض لمنظمة التحرير الفلسطينية ، لكنه بقي يكرر في حديثه ، في صياغات مختلفة أن هذا الاجتماع هو اجتماع لوزراء خارجية الدول العربية . فأدركت أنا ، بطبيعة الحال ، من هذه الإشارات ومن الأخبار التي وردتني قبل ذلك ، أن السيد المنجي سليم يصر على عدم حضوري هذا الاجتماع ، فرفعت يدي طالباً الكلمة والسيد محمد أحمد محجوب يتوسل إلي ويناشدني بأن أتكلم بغاية الاختصار وبغاية الهدوء . قلت له ليس هناك مبرر لا للمناشدة ولا للتوسل ، سيكون حديثي عادياً وهادئاً . وقلت إذا كان اجتماع وزراء خارجية الدول العربية هو لبحث علاقات الدول العربية فيما بينها ، ما اتصل منها بالأمور الاقتصادية أو الثقافية أو ما أشبه ، فليس لي مكان في هذا الاجتماع ، وأنا مستعد أن

أخرج لأنه يتصل بموضوعات لا علاقة لي بها . فنحن الشعب الفلسطيني ليس عندنا علاقات اقتصادية ولا علاقات ثقافية . إذا كان السيد المنجي سليم يريد من هذا الاجتماع أن تبحثوا التبادل الاقتصادي بالنسبة للأرز والنفط والقطن فنحن ليس لنا نصيب في هذه المواضيع ، وأنا مستعد أن لا أحضر هذا الاجتماع ، إنما هذا الاجتماع عنوانه الكبير هو البحث في القضية العربية ، هو البحث في إزالة آثار العدوان ، هو البحث في أسباب الهزيمة التي حلت بالشعب الفلسطيني وبالأمة العربية . وما دام الاجتماع معقوداً تحت هذين العنوانين ، فالشخص الأول الذي يجب أن يحضر هو رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قبل تونس وغير تونس . بدأ الاجتماع يتكهرب قليلاً ويتبادل الحضور النظرات . الوفد السعودي ينظر في الوفد الأردني ، والوفد الأردني في وجه المغربي والمغربي في وجه الليبي ، وكانت هذه الوفود متقاربة في وجهة نظرها . أما أنا فاسترسلت في حديثي وقلت : أنا أريد منكم الآن أن تقرروا ما إذا كنتم مجتمعين للقضية العربية التي أنا فريق رئيسي فيها ، أو أنكم مجتمعون لأمور داخلية بين الدول العربية لا صلة للقضية الفلسطينية بها . فعاد المنجي سليم مرة ثانية للكلام وقال : أنا لا أتكلم عن أشخاص ، إنما نحن أمام نقطة نظام ونقطة مبدأ : لقد اتفقنا في نيويورك على أن يكون اجتماعنا قاصراً على وزراء خارجية الدول العربية وفقط وزراء الخارجية ، وأنا لذلك أريد تنفيذ هذا القرار . طلبت الكلام مرة ثانية وقلت : يظهر أن السيد سليم يعتمد على مشاورات جرت بين وزراء الخارجية في نيويورك ، لكن أنا أريد أن أقرر أمامكم جميعا أنني فريق رئيسي في هذا الاجتماع ، ولا يمكن أن يُقرر أي شيء في هذه القضية بمعزل عن الشعب الفلسطيني ، وما دمت أمثّل الشعب الفلسطيني ، فأنا موجود في هذا الاجتماع بحق ، ولست موجوداً صدفة ولا مِنّة لا من المنجي سليم ولا من أي وزير خارجية لأية دولة عربية موجودة في هذا الاجتماع . ونظر الوزراء بعضهم إلى بعض ، لم يتكلم أحد ، بقي المنجي سليم هو الذي يدير حلبة هذا الموضوع ، وبطبيعة الحال رجع المنجي سليم إلى نقطة أخرى حتى يخرج من الحرج الذي وقع فيه ، وبعض الدول العربية كانت تؤيده في هذا الموقف ، إنما لم يؤيدوه بحضوري . فقام المنجي سليم واقترح تأجيل الاجتماع . وطلب أن ينعقد الاجتماع في بيت رئيس الوزراء محمد أحمد محجوب . عدت أنا للكلام مرة ثانية وقلت : أنا لا أعارض في تأجيل الاجتماع ، إذا أراد الوزراء أن يؤجلوا اجتماعهم فهذا شأنهم وإن كنا نحن جئنا إلى موضوع كبير ، موضوع خطير هو إزالة آثار العدوان ، وكل دقيقة لها قيمتها وكل ساعة لها معناها ، لكن إذا كان هناك ملاءمة من تأجيل الاجتماع ، فأنا لا أعارض . أما بالنسبة للطلب الثاني وهو أن ينعقد الاجتماع في بيت رئيس الوزراء السوداني؛ فطبعاً المنجي سليم لن يستطيع منعي من حضور الاجتماع في بيت رئيس الوزراء . إذا اجتمع وزراء الخارجية في بيت رئيس الوزراء فلن يكون بيت رئيس الوزراء ، بل سيكون مقر اجتماع وزراء الخارجية العرب ، ومن حقي أن أحضره؛ إذ لا يكون البيت ملكاً خاصا لرئيس الوزراء إذا أحببتم أن تجتمعوا في بيته . وأنا أحب أن أُطمئن المنجي سليم أنني مستعد أن أتسلق سور بيت محمد أحمد محجوب إذا أقفلت عليّ الأبواب وأحضر الاجتماع؛ لأن هذا حقي من أجل وطني ومن أجل القضية العربية ، ومن واجبي أن لا أغفل عن حضور أي اجتماع ينعقد وفي أي مكان ينعقد . تأجّل الاجتماع بعض الوقت على الطريقة العربية للاستراحة ، وجرت مداولات خارج الاجتماع ومشاورات . بطبيعة الحال وجد المنجي سليم والذين يؤيدونه حرجاً كبيراً في أن يقرروا بقرار مدوّن إخراج رئيس منظمة التحرير الفلسطينية من الاجتماع . وجدوا حرجاً كبيرا في أن تعلم الجماهير العربية والشعب الفلسطيني أن منظمة التحرير الفلسطينية أُخرجت من الاجتماع . وبعد مداولات ومشاورات فيما بينهم اتجه الرأي إلى أن يترك هذا الموضوع إلى مؤتمر القمة الذي سيجتمع بعد شهر في أيلول ، ويرى خلال هذا الشهر ما سيكون من الأحداث والتطورات . وهكذا اتفق الوزراء على ترك هذا الموضوع؛ إذ ما هو المبرِّر أو الحجة ، ماذا يقال للناس ما دام الشقيري موجوداً ، وترك الأمر للمستقبل الذي يحمل في جوفه احتمالات كثيرة قد تُخلّص الحكومات العربية من منظمة التحرير ورئيسها .

ولذلك عدنا للاجتماع مرة ثانية ، وعقدت الجلسة ووضع جدول الأعمال والموضوعات التي يجب أن نعدها لتكون حاضرة أمام مؤتمر الملوك والرؤساء . كانت هذه هي المناسبة الأولى التي تخطينا فيها صعوبة تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في الخرطوم .

• هل صحيح أنك أنت الذي وضعت «اللاءات» الثلاث ؟ وما هي قصة هذا الموضوع ؟

– الواقع عندما اجتمع مؤتمر القمة في الخرطوم في أيلول عام ١٩٦٧(*) ، بدأ رؤساء الحكومات العربية والملوك العرب يُدلون بدلوهم في موضوع إزالة آثار العدوان ، وفي الظروف التي أدّت إلى هزيمة حزيران وأسبابها . خيّم على المؤتمر جو خاص كان من نتائج الهزيمة ، وأنا أسميه جو الهزيمة بوضوح وصراحة وبساطة . من الأسباب التي أدت إلى هذا الجو الانهزامي ، الدورتان السابقتان للأمم المتحدة : دورة

(*) عقد الاجتماع في ٢٩ آب / أغسطس ١٩٦٧ .

استثنائية دعا إليها الاتحاد السوفييتي ، والدورة العادية التي تنعقد عادة في خريف كل عام . وكان الشعور العام في الأمم المتحدة يومئذ ، أن الحرب فشلت في ٤٨ و٥٦ و٦٧ كأسلوب عربي لتحقيق الآمال والأهداف ، وأنه لا يمكنهم الوصول إلى إزالة آثار العدوان إلا بالتغيير في اللهجة العربية والدعاية العربية والأسلوب العربي والموقف العربي ، وأنه يجب أن نخلص من لهجة الحرب ونتخلص من الذين يدعون إلى الحرب ، ويجب أن نسلك سياسة إيجابية . هذا الجو كان مسيطراً على اجتماع مؤتمر القمة . وشعرت أنا بمسؤولية كبيرة أمام أجيالنا المعاصرة والمقبلة ، وأمام الشعب الفلسطيني بالذات . الملوك ملوك والرؤساء رؤساء لكن المشكلة في من يمثل الشعب الفلسطيني . إن عليه واجبات قومية أصيلة عريقة أمام الشعب وأمام التاريخ ، ولا يمكن أن يرضى بأي تنازلات بشأنها ، وأنا أحسست أن مؤتمر الخرطوم هو بداية تنازلات سياسية كبيرة ، بداية تصفيات مبدئية كبيرة بالنسبة للقضية الفلسطينية . القضية الفلسطينية وراءها كفاح عمره خمسون سنة ، وظلت محتفظة بأصالتها وعراقتها والتحرير هدفها . إذا كانت الدول العربية غير قادرة على التحرير اليوم فليس معنى هذا التخلي عن هذا الهدف وعن رفض وجود « إسرائيل » ، ولذلك رأيت أن هذا المؤتمر هو أول اجتماع من أيام مؤتمر أنشاص الذي عقد عام ١٩٤٦ في عهد الملك فاروق والملوك والرؤساء والأمراء الآخرين الذين كانوا يحكمون الوطن العربي في ذلك الوقت ، هو أول اجتماع يتجه إلى ما سماه السياسة الإيجابية .

في الواقع في الماضي وقعت خيانات كثيرة لقضية فلسطين ، لكن لم يحصل أن اتجه البحث في القضية الفلسطينية في أي اجتماع سواء على مستوى ملوك أو أمراء أو سفراء لمثل هذا الاتجاه الذي سمي « السياسة الإيجابية » . لذلك أعددتُ مذكرة وعزمت أن أقدمها للملوك والرؤساء لأسجل فيها موقف الشعب الفلسطيني للتاريخ ، وشعرت فعلاً أننا أمام موقف تاريخي ، أمام منعطف تاريخي كبير يذهب بالقضية الفلسطينية إلى اتجاه مغاير لأهداف ومصلحة الأمة العربية ، ومغاير للقضية الفلسطينية وجهاد الشعب الفلسطيني عبر أجيال طويلة . وأعددت هذه المذكرة بعد أن عكفتُ عليها ليلة بكاملها . أردت من تقديم هذه المذكرة فعلاً أن يكون هناك شيء مدون ، مسجل ، مكتوب حتى لا يقال في وقت من الأوقات إن منظمة التحرير الفلسطينية لم تتخذ موقفاً ، ولم تعرض رغبة الشعب الفلسطيني ولم تُبيّن رأيها إزاء هذا الاتجاه الانهزامي الذي ساد مؤتمر الخرطوم . مؤتمرات القمة ليس فيها محاضر . كل ملك أو رئيس له محضره الخاص ، إما أن يكتب هو ، أو يكتب من خلفه من وزرائه محاضرهم . ليس هناك محضر مدون ورسمي ملزم للجميع . كل حكومة عربية لها محضرها الخاص تدون ما تقوله هي وما يقوله غيرها . ولذلك قررت أن أضع رأي الشعب الفلسطيني في مذكرة مدوّنة وموقعة ومطبوعة وزعتُها عليهم . هذه المذكرة تناولتُ فيها عدة نقاط : تناولت موضوع إزالة آثار العدوان ، وموضوع مقاومة الاحتلال الإسرائيلي ، وضرورة وضع خطة عربية شاملة سياسية واقتصادية وعسكرية وتنظيمية ومالية لبحث الوضع العربي ، الذي انتهى إليه الأمر بعد هزيمة حزيران . وعرضت هذه المذكرة وتلوتها عليهم وشرحتها مقطعاً مقطعاً ، ودخلنا في نقاش امتد يومين حول هذه المذكرة . قبل الملوك والرؤساء بعض الاقتراحات لكنهم رفضوها فيما بعد ، ورفضوا مقترحات أخرى . أذكر على سبيل المثال أنني اقترحت أن يوضع على جدول الأعمال بند رابع (كان الجدول مؤلفاً من ثلاثة بنود) بضرورة وضع خطة عربية عامة شاملة عسكرية وسياسية ومالية وإعلامية وتنظيمية لمواجهة الهزيمة التي لحقت بنا ، مع دراسة أسبابها والخروج باستراتيجية جديدة لمعالجة الموقف . وافق الملوك والرؤساء على إدراج هذا البند في جدول الأعمال . وأحب الآن أن أقول : إن المؤتمرين درسوا البنود الثلاثة ، وعندما وصلوا إلى البند الرابع قالوا : ليس لدينا وقت لدراسته؛ فلنتركه للمستقبل . ولو كان المؤتمر جديراً بأن يسمى مؤتمر قمة لوجب أن يدرس هذا البند الرابع . فأنا أسجل للتاريخ أن أخطر ما وقع في ذلك الاجتماع أنه بحث الأمور الفرعية وترك الموضوع الأساسي والرئيسي ، وهو أن يتفق الملوك والرؤساء على خطة عربية شاملة . كان هذا أول سبب جعلني أعزم في نفسي أن أنسحب من المؤتمر في الوقت المناسب ، لأنه لا معنى لمؤتمر يجتمع ليدرس إزالة آثار العدوان ولا يدرس أصل الموضوع . وقد وافقوا إرضاءً لي وإلحاحاً مني على إدراجه كبند رابع ، لكن في النتيجة تعلّلوا أن ليس هناك وقت لدراسته ويترك الأمر لاجتماعات مقبلة ، مع العلم أنه يجب أن يكرس كل الوقت لهذا البند ، وما عداه يمكن تركه إلى وقت آخر . بعد ذلك انتقلت أنا إلى مسألة مقاومة الاحتلال الإسرائيلي ، وقلت للملوك والرؤساء : إن الضفة الغربية وقطاع غزة سقطتا في يد « إسرائيل » ، ولا يمكن للشعب الفلسطيني أن يرضى بالاحتلال ويجب أن نقاوم الاحتلال . كل الغزوات التي وقعت في العصر الحديث ، على الأقل في أوروبا وغيرها ، قاومها الشعب ، ونحن مهمتنا أن نقاوم هذا الاحتلال . ولذلك يجب أن نضع خطة لمقاومة الاحتلال . من مقتضيات هذه الخطة أن نُدخل عناصر من جيش التحرير الفلسطيني إلى الضفة وغزة يتمركزون بأسلحتهم في مراكز متفق عليها في الداخل ، ويبدأون بإنشاء مراكز مقاومة في الداخل ، وأن جيش التحرير الفلسطيني مستعد أن يؤدي هذا الدور . وشرحت هذه الفكرة بأن نؤلف هيئة أركان فيها العناصر الفلسطينية من الجيش وفيها بعض

الضباط من القيادات العربية ، وأن يكون مقرها في عمّان حتى تمد عناصر جيش التحرير الفلسطيني في الداخل بالسلاح والمال والمهمات والتدريب وبالخطط من وقت لآخر . وبعد شرح طويل بدأ الخلاف بيني وبين الملك حسين حول هذه النقطة وكان رأيه : أن كفانا ما حصل . يجب أن نبحث عن حل سلمي وأسلوب سياسي لإزالة الاحتلال عن أهالي الضفة الغربية . انتقلت إلى بحث القضية سياسياً ، وركزت حديثي على أن هذه القضية ليس لها حل سياسي ، وإذا كان من أحد يجب أن ينخدع بالحل السياسي فيجب أن أخدع أنا قبل غيري؛ لأنني قضيت عمري في المحافل الدولية وفي البحث في الأمور السياسية والدبلوماسية ، ولذلك من الطبيعي أن أكون متأثرا بهذا الماضي الطويل في المحافل الدولية . إنما بالعكس خبرتي الطويلة في الأمم المتحدة قادتني إلى اليقين أن القضية الفلسطينية بالذات ليس لها حل سياسي أو دبلوماسي في داخل الأمم المتحدة أو خارجها وخاصة بعد هذه الهزيمة ، وأن الذين يتوهمون بأن تغيير لغتنا ومنطقنا والقول بأننا نحب السلام ونبحث عن حل سلمي ، سيجعل الرأي العام الدولي في وضع يضغط على « إسرائيل » ، فهذا وهم كبير ، والذين يعرفون الحركة الصهيونية ويعرفون سياسة أميركا ، ويعرفون عجز الأمم المتحدة يدركون بالبداهة أن إزالة آثار العدوان لن تتم إلا بالقتال وبالسلاح وبالكفاح . فالجو الذي كان يسود مؤتمر الخرطوم تلخص في أن إزالة آثار العدوان يقتضي لها جهداً سياسياً لثلاثة أشهر ، أربعة أشهر ، ستة أشهر ، وحينئذ ستنسحب « إسرائيل » من سيناء ومن الجولان ومن الضفة الغربية ، وأن الرأي العام الدولي لا يمكن أن يقبل بالعدوان ، وأن يقبل بأن تجني « إسرائيل » ثمار العدوان . والواقع أن الملوك والرؤساء المجتمعين في الخرطوم كانوا متأثرين بهذا الوهم . وأنا تصديت لهذه الفكرة وحاولت بكل جهدي أن أُخرج المؤتمر من هذا الجو إلى جو آخر . بطبيعة الحال كنا في ذلك الوقت عاجزين عن شن الحرب ، لكن ليس معنى ذلك أن نستسلم ونقبل الهزيمة . وهذا الذي حفّزني أن أقترح البند الرابع في جدول الأعمال في أن نتفق على خطة شاملة ، ولو طويلة المدى ، لإزالة آثار العدوان كمرحلة لتحرير فلسطين ، تحرير الأرض العربية ليس باعتباره نهاية المطاف وخاتمة الأماني والأهداف ، وإنما باعتباره خطوة ومرحلة في سبيل الوصول إلى الخطوة الأخيرة والنهائية وهي تحرير فلسطين . وقلت لهم يجب ألا تظنوا بأن عدوان ٦٧ كعدوان ٥٦ فالظروف تغيرت لأسباب كثيرة : القيادة السياسية لأميركا تغيرت والقيادة السوفييتية تغيرت . قيادتان تغيّرتا في هذه الفترة . وفي اعتقادي أن رئاسة أيزنهاور تحت ظروف معينة هي التي جعلته بعناد وإصرار - لا حفاظاً على المبادئ وحسب ، لكن حفاظاً على مصالح سياسية كبرى للولايات المتحدة - هو الذي ساق بريطانيا وفرنسا و « إسرائيل » ، ودفعهم على الانسحاب من سيناء مكرهين مرغمين . كان من أسباب ذلك طبعاً وجود القيادة السوفييتية يومئذ ، كانت من العوامل التي دفعت أيزنهاور لاتخاذ مثل ذلك الموقف . فلا رئاسة أيزنهاور موجودة الآن في ٦٧ ولا قيادة خروشوف موجودة . وأنا أقول هذا من غير انتقاص للاتحاد السوفييتي وإنما هي ظروف سياسية جعلت قيادة الاتحاد السوفييتي في عام ٦٧ تنهج النهج السياسي عن طريق الأمم المتحدة ، عن طريق الضغط الدولي وتعبئة الرأي العام العالمي لقهر « إسرائيل » على الجلاء والانسحاب من الأراضي المحتلة . وأنا قلت للملوك والرؤساء : إذا كان ظنكم بثلاثة أو أربعة شهور من الجهود السياسية ستخرجون « إسرائيل » وتحملونها على الانسحاب ، فأنتم على خطأ . إن « إسرائيل » بهذا الأسلوب لن تخرج من الأرض المحتلة ولا بثلاثين عاماً ، وبالتالي لن تستطيعوا إزالة آثار العدوان إلا إذا طحنتم « إسرائيل » على كل شبر من الأرض العربية . تطحنونها طحناً ويومئذ تأخذون الأرض العربية لا قبل ذلك .

كانت هذه هي النقطة الثانية الرئيسية التي جرى فيها اختلاف الرأي بيني وبين مؤتمر الخرطوم . جئنا إلى المسائل الأخرى المتصلة بالقضية الفلسطينية . وخوفاً على القضية من أن تتسلل إليها هذه الأفكار الاستسلامية ، وضعت مجموعة من المبادئ وطلبت من المؤتمر أن يلتزم بها اعتقاداً مني أن الالتزام بهذه المبادئ سيجنبها الخطر . ولذلك وضعت في مذكرتي هذه اللاءات الثلاث ، ومعها اللا الرابعة التي رفض المؤتمر إقرارها ونسيها الكثيرون حتى من المشتغلين بالقضية العربية . اللا الرابعة كانت ألا تنفرد أية دولة عربية بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية . وحول اللا الرابعة جرى حوار استمر بضع ساعات مع الملوك والرؤساء وبيني ، يطلبون مني إيضاحاً .

« ماذا تقصد بهذا البند ؟ » وكنت أجيبهم أن الحاضرين كلهم يمثّلون شعوباً جاهدت لاستقلالها وحريتها ، وقاتلت وناضلت من أجل هذه الحرية ، وأنا ساهمت بقسطي المتواضع الضئيل في الأمم المتحدة في الدفاع عن قضايا هذه الشعوب ، قضية الجزائر وقضية تونس وقضية ليبيا وقضية المغرب ، وقلت لهم : إن خبرتي في هذه القضايا التي دافعت عنها ، وهي قضاياكم أنتم ، أنتم الذين كنتم تقررون مصيركم والدول العربية كانت تسندكم . وسألتهم واحداً واحداً : ألستم أنتم الذين قررتم مصيركم نهائياً وكان النضال على أكتافكم ، وكان دور الدول العربية هو مساندتكم وتأييدكم وترك الكلمة الأخيرة لكم ؟ وكان كل واحد منهم أوجه له هذا السؤال يقول : نعم كان الأمر كذلك . فأقول إذاً لماذا لا يكون مثل هذا الحق للشعب

الفلسطيني ؟ أن تكون له الكلمة الأخيرة في تقرير مصيره في الحل السياسي الذي ينبغي أن ينتهي إليه الأمر في قضية فلسطين قبولاً أو رفضاً . الشعب الفلسطيني وحده الذي يقبل أو يرفض . لماذا تنكرون علينا هذا الحق ، ألأننا لاجئون ، أصبحنا شعباً من اللاجئين تريدون أن تجردونا حقنا القومي ؟ أما يكفي أن العالم جرّدنا من حقوقنا الإنسانية والأساسية حتى يقوم إخوتنا العرب يجردوننا من حقنا الوطني القومي ؟ وجرياً على ما كان عليه الحال بالنسبة إلى الشعوب العربية الأخرى ، كان بإمكاني أن أقول في مذكرتي : إن الشعب الفلسطيني وحده دون سواه هو الذي يرفض أو يقبل الحلول السياسية . إنما لأسباب كثيرة منها عروبة هذه القضية ، ومنها أن الخطر يتهدد الأمة العربية كلها ، ومنها أن الأمة العربية هي الفريق الذي يجب أن ينازل الصهيونية و « إسرائيل » ، وإننا نحن طليعة من طلائع هذه الحركة العربية في هذه القضية الكبرى وهذا الخطر الداهم ، لذلك قلت « لا تنفرد أي دولة عربية » . وسُئلت حينئذ من الرئيس عبد الناصر كيف تقترح علينا أن نتصرف إذا عرض علينا حل ؟ قلت : الأمر بسيط إذا عرضت أية حلول أو أية تسويات يُدعى الملوك والرؤساء إلى اجتماع عام ، وتحضر منظمة التحرير الفلسطينية ، ونناقش هذا الرأي ، فإن قبل بالإجماع وبموافقتنا فهو مقبول ، وإن رفض بالإجماع ونحن مع الرافضين فهو مرفوض . وهكذا يكون الشعب الفلسطيني ، قد أشرككم في الرفض والقبول دون أن ينفرد به كما انفردت الجزائر في مفاوضاتها مع فرنسا . فأنا لا أدعو إلى الانفراد للشعب الفلسطيني وإنما لمنع أية دولة عربية من أن تنفرد بأية تسوية للقضية الفلسطينية . الملك حسين قال للرئيس عبد الناصر : لا يمكن أن أقبل بهذا التقييد وهذا التحديد ، أنا أريد أن أعرف ما هي مسؤولياتي . قلت : هذه القضية أولاً هي ملك الأمة العربية وملك الشعب الفلسطيني ، وأحب أن أقرر أمامكم جميعاً ملوكاً ورؤساء من الرئيس عبد الناصر على هذا الطرف من المائدة إلى الرئيس إسماعيل الأزهري على الطرف الآخر ، أن أحداً منكم لا يستطيع وحده أن يقبل أية تسوية للقضية الفلسطينية .

بطبيعة الحال كان جو المؤتمر يميل إلى الأخذ بوجهة نظر الملك حسين ، وخصوصاً الوفد السعودي والوفد التونسي والوفد المغربي والوفد الليبي . والواقع أن هذا عندي بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير . وجدت أن جو المؤتمر العام لا يتفق مع مبادئ الشعب الفلسطيني وأهدافه وآرائه ، وجدت أن الاتجاه السياسي فيما سمي بالسياسة الإيجابية هو أول تنازل كبير وخطير على القضية الفلسطينية ، وجدت أن هذا المؤتمر هو بداية الانزلاق لتصفية القضية الفلسطينية ، ووجدت أن اللا الرابعة ، وهي الصمام الكبير للحفاظ على القضية الفلسطينية مرفوضة . فأعلنت بأني أنسحب من المؤتمر وخرجت فعلاً منسحباً . وأعلنت في اليوم التالي في مؤتمر صحفي بعض أسباب انسحابي . وجرت جهود كبيرة من الملوك والرؤساء ورؤساء وزاراتهم بحملي على العودة إلى الاجتماع وحضور الاجتماع الختامي والموافقة على القرارات ، ولكني رفضت هذا وبقيت مصرّاً على الانسحاب وخرجت .

• رغم رفضنا كفلسطينيين لقرارات مؤتمر الخرطوم ، هل تعتقدون أن السياسة العربية التزمت بقراراته أم أنها قدمت تنازلات أكثر فيما يخص العرب وفلسطين ؟

- هذا السؤال فعلاً ينقلني إلى موضوع آخر كبير وخطير . مؤتمر الخرطوم رغماً عن أنه وضع بعض القيود ولم يضع كل القيود بالنسبة إلى القضية الفلسطينية ، فإن السياسة العربية الرسمية خالفت حتى قرارات مؤتمر الخرطوم التي لم أكن راضياً عنها ، والتي لا أحسب أن الأمة العربية راضية عنها ، ولا أحسب أن الشعب الفلسطيني راضٍ عنها . قرارات مؤتمر الخرطوم على الأقل نصّت بشكل واضح وقاطع وصريح بأنه لا مفاوضة مع « إسرائيل » ولا صلح مع « إسرائيل » ولا اعتراف بـ « إسرائيل » ، ولا انتقاص بالقضية الفلسطينية، ولكن نحن نجد أن السياسة العربية الرسمية بعد مؤتمر الخرطوم قد تخلّت عن هذه اللاءات ، تخلّت عن هذه المبادئ . وكان أول بادرة في هذا التخلي هو قبول قرار مجلس الأمن ، وقرار مجلس الأمن لا يمكن النقاش أو الجدال في مضمونه الرئيسي ، ومضمونه الرئيسي إقامة حدود آمنة معترف بها لـ « إسرائيل » ، مضمونه الرئيسي إزالة حالة الحرب مع « إسرائيل » ، مضمونه الرئيسي حرية الملاحة في خليج العقبة وفي قناة السويس ، مضمونه الرئيسي كما قال قرار مجلس الأمن بألفاظه وعباراته ، الوصول إلى تسوية عادلة لقضية اللاجئين الفلسطينيين ، والتسوية العادلة المقصودة هي توطين اللاجئين . فقبول هذا القرار بهذه المضامين يؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية ، إلى إنهاء حالة الحرب وإلى الاعتراف بـ « إسرائيل » وإقامة حدود آمنة لـ « إسرائيل » ، وبالتالي وقف كل نشاط فلسطيني وكل نشاط عربي سواء كان هذا النشاط سياسياً أم دولياً ، سلمياً أم كفاحياً .

وأنا أعتقد أن السياسة العربية في قبولها لقرار مجلس الأمن ، وقبولها لمبادرة روجرز[1] ، وسعيها

(١) روى لي العقيد أحمد شهيب في ربيع عام ١٩٧٣ في مكتب الأخ أحمد حسن أمين عام الحزب العربي الناصري لاحقاً وبحضوره ، أنه كان مكلفاً من الرئيس عبدالناصر بإعداد الشعب المصري للمقاومة الشعبية ليكون الشعب جاهزاً لأداء دوره في الحرب التي ←

الحثيث الدائم للوصول إلى ما يسمونه بالحل السلمي العادل ، قد تخلت عن حدود مؤتمر الخرطوم ، وقيود هذا المؤتمر الهزيل الذي انسحبتُ منه احتجاجاً على هزل قراراته . وأنا لا أعرف لهذه القضية حلاً سلمياً ولا حلاً عادلاً ، الحل السلمي العادل هو النصر على « إسرائيل » في معركة . ولو أعلم أننا لو بقينا ألف عام في دعوة إلى السلام ، وأن ذلك يؤدي إلى تحرير فلسطين لآثرت انتظار الألف عام دعوة سلام على الدعوة إلى الحرب لتحرير الوطن ، لأني أعلم ما معنى الحرب وما معنى مصائبها ودمارها وخرابها وأكلافها ، خاصة مع « اسرائيل » مدعومة بالولايات المتحدة . لكن فلسطين أغلى من كل هذه التضحيات ، لا لأني أتحدث عن وطني الصغير ، لكن أنا أعلم أن الوطن العربي الكبير هو الذي يتهدده الخطر من هذه الغزوة الصهيونية . السياسة العربية الرسمية تخلت حتى عن القليل من الإنجازات السياسية التي نصّ عليها مؤتمر الخرطوم ، وتمادت في تنازلات خطيرة وكبيرة تتصل في صميم القضية العربية ، ولذلك في اعتقادي أن مؤتمر الخرطوم كان مؤتمر هزيمة ولم يكن مؤتمر صمود كما يقال عنه اليوم . قيل للأمة العربية - عزاء لها في بلائها الذي نزل لها - إنه مؤتمر الصمود ، على حين أنه كان صموداً في إطار الهزيمة وصموداً في ساحة الهزيمة وليس صموداً من أجل التوثّب . أنا لا أنكر أن الجيوش العربية حققت أشياء كثيرة ومزيداً من السلاح والتدريب والقوة ، ولا أنكر على الأمة العربية كذلك أصالتها وعراقتها وتصميمها على تحرير فلسطين ، ولا أنكر على الجندي العربي شجاعته وبسالته وتصميمه على الاستشهاد . المشكلة ليست مع الجيوش العربية ، المشكلة هي مع الحكام العرب ، المشكلة هي مع الحكم العربي الرسمي الذي هو في ظروفه الحاضرة غير مؤهل لهذه المعركة ، ولأنه غير مؤهل فهو يهرب من المعركة ، ويجد لنفسه مهرباً فيما يسميه بأزمة الشرق الأوسط مرة ، وفيما يسميه بتنفيذ قرار مجلس الأمن مرة ، وفيما يسمى بمبادرة روجرز مرة . ويوم قبلت السياسة العربية قرار مجلس الأمن قيل إنه تكتيك يراد منه كسب الرأي العام الدولي . ولما قبلت مبادرة روجرز قيل يومئذ إن ذلك تكتيك لكسب الرأي العام الدولي ، لكن هل نكسب الرأي العام الدولي ونسلم بفلسطين ؟ ! أنا لا أعرف دولة تصون كرامتها ونفسها وحاضرها ومستقبلها يمكن أن تقبل بهذه السياسة . أنا أعتبر أن السياسة العربية الرسمية رجعت حتى عن قرارات مؤتمر الخرطوم نفسها .

• من خلال كلامك ، في مؤتمر الخرطوم نفسه كانت البدايات الأولى للقبول بقرار مجلس الأمن ، ولو أن الملوك والرؤساء وضعوا في جو محرج بسبب وجود منظمة التحرير الفلسطينية ، واضطروا وقتها للقبول باللاءات الثلاث ، لكن يبدو أن جو الاستسلام كان موجوداً .

- جو الاستسلام كان مخيماً على المؤتمر ، لكن لم يكن باستطاعة الملوك والرؤساء أن يرفضوا مطالب منظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة إلى اللاءات الثلاث ، إذاً كيف سيواجهون شعوبهم يوم يخرجون من المؤتمر ويقال إنهم رفضوا اقتراحاً من منظمة التحرير الفلسطينية بأن لا يكون تعايش ولا تفاوض ولا تفاهم ولا صلح مع « إسرائيل » ، مع العلم أن الملك حسين بقي ساعة كاملة وهو يحاور بضرورة رفض الاقتراح القائل بعدم الصلح مع « إسرائيل » . وأنه يتوجب شطب هذا البند لأننا ذاهبون إلى الأمم المتحدة ، فإذا نشر أننا نرفض الصلح مع « إسرائيل » ماذا عندنا لنقول أمام الأمم المتحدة . وكان جوابي على هذا : إذا كنتم تريدون أن تصالحوا « إسرائيل » فلستم بحاجة إلى الأمم المتحدة ، الطريق سهل إذا وجدتم أن هذا هو المخرج الوحيد أمامكم ، صالحوا « إسرائيل » وانتهى الأمر . وبقي يصرّ على هذا الموضوع إلى أن أومأ له الرئيس عبد الناصر بأن من الأفضل أن نأخذ هذا القرار ولا نواجه الشعوب العربية بأننا سوف نتصالح مع « إسرائيل » . ولذلك في الواقع اللا الثالثة « عدم الصلح » يعود الفضل فيها إلى الرئيس عبد الناصر بالذات . فلولا تدخله كان يمكن أن تشطب أيضاً في جملة ما شطب من آراء وتوصيات واقتراحات منظمة التحرير الفلسطينية ، إنما السياسة العربية الرسمية في خلال الأربع سنوات التي نعيشها الآن تقول بإمكانية الصلح مع « إسرائيل » ، وبإمكانية توقيع معاهدة أو اتفاقية سلام مع « إسرائيل » ، فهذه اللا الثالثة زالت مع اللا الثانية ومع اللا الأولى ، ولهذا أصبحت اللاءات الثلاث في مجموعها حِبراً على

← يعد لها عبدالناصر لاحقاً ، فيما كان قد كلف الفريق أول محمد فوزي بإعداد القوات العسكرية ، وفي صباح اليوم الذي قرر فيه عبدالناصر الإعلان عن قبول مبادرة روجرز استدعاهما عبد الناصر وأبلغهما بأنكما ستسمعون مساء اليوم إعلاني قبول مبادرة روجرز وطلب منهما : أن يستمرا في عملهما وكأنهما لم يسمعا شيئاً . إنني أريد من هذا كسب وقت فقط لنقل حائط الصواريخ . وقد التقيت في عام ١٩٩٧ في القاهرة بالفريق فوزي بحضور سامي شرف ومحمد فائق وضياء الدين داود وأحمد حسن وسألته عن هذه الواقعة فأكدها ، ولأمانة التاريخ وحق عبدالناصر أرويها ، مشيراً إلى أن هيكل أشار إليها في حلقاته على فضائية الجزيرة عام ٢٠١٠ .

ورق ، كتبها ووافق عليها الملوك والرؤساء في ذلك الجو اللاهب حين كانت عواطف الأمة العربية مشبوبة ، ولم يملك الملوك والرؤساء يومئذ إلا أن يقبلوا مقترحات المنظمة . إنما حملات الإعلام التخديرية الرسمية استطاعت خلال ثلاث أو أربع سنوات أن تسكن أعصاب الأمة العربية ، وبدأت السياسة العربية تقبل بقرار مجلس الأمن ومبادرة روجرز وإمكانية أو احتمال الصلح مع « إسرائيل » . طبعاً هذه الحملة التخديرية باعتقادي لن تؤثر في صميم فكر الأمة العربية ، ولا بد أن تفيق هذه الأمة وتخلع كل أسباب الهزيمة وكل أسباب الاستسلام لـ « إسرائيل » أو الإمبريالية أو الضغط الأميركي .

• ألم يطرح أحد المسؤولين العرب في الخرطوم القول بأن يناضل الفلسطينيون ويتركوا الدول العربية تسعى في طريق التسوية السياسية ، كما تردد بعد مبادرة روجرز وبعد قرار مجلس الأمن ؟

– لم يطرح أحد من الملوك والرؤساء مثل هذه الفكرة إطلاقاً ، فكرة الحرب والقتال ومقاومة الاحتلال كلها أفكار لم يكن لها مجال في مؤتمر الخرطوم . فذلك المؤتمر كان يحصر جهده كله للبحث عن وسيلة سياسية عن طريق الأمم المتحدة لإزالة آثار العدوان ، وبعد إزالة آثار العدوان يكون لنا موقف ويكون لنا حديث . بالعكس كان هناك نفور من الحديث عن الحرب والكفاح والمقاومة . وتجلّى هذا النفور أكثر ما يكون في كلام الملك حسين لي حين قال : أولم نتعظ فيما مضى بالكلام عن الحرب . المقاومة الفلسطينية بدون إرادة الدول العربية وجدت طريقها وظهرت . ويوم ظهرت رُئِيَ أنه يمكن أن يكون لها منافع في الضغط على الولايات المتحدة وعلى « إسرائيل » وعلى العالم دولياً . ويمكن أن يكون أمامها منافع أخرى ، إذ يكون أمام الأمة العربية شيء تقرأه وعناوين تلهيها وأخبار تستمع إليها ، وتشغلها عن الحكام العرب وعما يفعلون أو ما لا يفعلون . ولذلك وُجدت من المقاومة دولياً وعربياً وضمن هذا النطاق بعض المنافع ، وجرى تأييد من الدول العربية للمقاومة ، تأييد معنوي وتأييد ببعض المال وتأييد ببعض السلاح وتأييد سياسي . لكن هذا التأييد محصور فقط في المرحلة الحاضرة التي تواجه الحكام العرب وليس تأييداً شاملاً مطلقاً . وهذا ما جعل الحكام العرب ينتقلون في مؤتمر الخرطوم من النفور من المقاومة المسلحة إلى قبولها فيما بعد ، كواحدة من الأسلحة التي يمكن استخدامها في معركة تحرير الأرض العربية ، أو ما سمي بمعركة إزالة آثار العدوان .

الفصل الثامن

اللجنة التنفيذية ورياح الفتنة

١ - منظمة لاجئة في مناخات عاصفة
٢ - مذكرة سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية يطالبون الشقيري بالتنحي
٣ - تنحّي الشقيري : هارون هاشم رشيد يروي تفاصيل المشهد
٤ - كتاب استقالة الشقيري الموجه إلى الشعب الفلسطيني
٥ - كتاب الشقيري إلى عبدالخالق حسونة بإعلان استقالته
٦- رسالة الشقيري إلى الرئيس عبدالناصر يخبره باستقالته ويعد باستمرار النضال
٧ - رسالة اللجنة التنفيذية إلى الشقيري رداً على كتاب الاستقالة
٨ - هيكل : اعتذار للشقيري بأثر رجعي

منظمة لاجئة في مناخات عاصفة

كان تشكيل اللجان التنفيذية بالنسبة للشقيري ، غاية في الصعوبة التي أدَقّ ما ينطبق عليها هو وصفها بـ (السهل الممتنع) ، بل أكاد أقول السهل جداً وشبه الممتنع جداً . فالشعب الفلسطيني زاخر بالكفاءات الوطنية على كل صعيد ، كفاءات تتحرق شوقاً لخدمة قضيتها بصدق وعزيمة وإخلاص ، منهم من يحمل تجارب نضالية ميدانية مديدة (يمكن أن يطلق عليهم جيل الآباء) . ومنهم المشردون المثقفون ممن عايشوا نظرياً المدارس الفكرية والثورية المعاصرة ورأوا فيها قدوة لهم ، إنهم جيل النكبة وآخرون رنَوا إلى ثورة الجزائر وانتصارها وحروب العصابات بثقافتها ومنجزاتها؛ فاتخذوها مثالاً .

وهم أجيال من شيوخ وقف بهم تفكيرهم عند حكمة الأمس ، مغمضاً عينيه عن متغيرات ما بعد الحرب الثانية وزمان الحرب الباردة ، وهو جيل وسيط من رجال حملوا على الماضي بقيادته الفلسطينية والعربية ، انهمك في النقد ولم يمتلك بوصلة تهديه سواء سبيلٍ جديد ، فأمضى السنين يمارس النقد إما مشوباً ببكاء على الأطلال أو بأمل قَدَري مبهم لا يرافقه توجّه لعمل ما ، يصفّق للانقلابات الواعدة بالتحرير وينتظر العودة في ركاب المعسكر التقدمي العربي بقيادة عبد الناصر ، متحالفاً مع الاتحاد السوفييتي واثقاً من دُنوّ تباشير النصر ، وتأثّر بكتابات قسطنطين زريق (معنى النكبة) وكذلك وليد قمحاوي (النكبة والبناء) ، وجيل جديد بمقدار ما تفتحت مداركه على آثار النكبة الفادحة بمقدار ما نما وعيه على أُفول الاستعمار واستقلالات الشعوب وثوراتها المظفَّرة ، وبدأ يشكل منظمات فدائية؛ ولمَ لا ؟ فهم أحفاد وأبناء القسّام وعبد القادر الحسيني . وهم (جيل الأبناء - جيل المخيم وطلائع الثورة) . ومنظمة التحرير الفلسطينية . أرادها الشقيري إطاراً جبهوياً تتآلف فيه هذه الأجيال ، وما يتقاطع في قلب كل جيل منها من أطياف شتّى ، بمعنى أن تكون صانعة أو حاضنة على الأقل للوحدة الوطنية في مجتمع يمتد شتاته باتساع الكون ، وإنّ على الشقيري أن يمثّل هذه الأجيال والتيارات والأطياف في إطار اللجنة التنفيذية للمنظمة . وقد كان هذا حاضراً في ذهنه وهو يشكل الأساس القاعدي للمنظمة - المؤتمر الوطني الفلسطيني - وقد عانى في الوصول إليه معاناة هائلة بكل ما تعنيه كلمة المعاناة من معانٍ وليس ما ورد في مذكراته هو وحده ما يعطي الصورة على ذلك ، لكن مذكرات ووثائق الحركات السائدة آنذاك تؤكده . لقد بدأ العمل لبناء المنظمة (ما سمي في حينه الاستشارات) وفق نص قرار التكليف من قبل القمة العربية . هكذا فجأة وبـ « براشوت » هبط مشروع الكيان من فوق (من النظام العربي) فأوجست جلّ القوى خيفة ، حتى حسب البعض أنه جاء ليجهضها أو يُجهز عليها ، (الهيئة العربية العليا - حركة القوميين العرب - البعثيون - حركة فتح - المنظمات الفدائية الناشئة .. إلخ) . وهذا كله يمكن فهمه ، وكان هو نفسه يدركه ويفهمه ويعيه ..

لكن العامل الآخر الأشد عُسراً ، هو المناخ العربي الرسمي العام الذي كانت تسوده ثلاثة تيارات رئيسة :

- التيار القومي الناصري (مصر - الجزائر - العراق بخاصة) ، وهو الذي يتبنى إنشاء الكيان .
- التيار القومي البعثي وتمثله سورية ، وهو تيار عريض في الأقطار العربية وبين الفلسطينيين ، ويقف على يسار التيار الأول .
- التيار المحافظ وتمثله بوضوح السعودية والأردن ، ويتوجس خيفة من المشروع برمّته لأسباب قديمة ومعروفة منذ قيام المملكة الأردنية الهاشمية .

هنا كانت المعضلة الأساس التي واجهها الشقيري في تحركاته ، وقد دوّنها في مذكراته ، وتحدث عنها العديدون من شهود تلك المرحلة [1] . إذن كان على الشقيري أن يوائم في تشكيل اللجان التنفيذية بين أطياف المجتمع الفلسطيني السابق ذكرها ودون إغضاب ، بل ويمكن القول وإرضاء القوميين - التقدميين والمحافظين (الذين كان يُطلَق عليهم أحياناً ما هو أشد حدة وهو الرجعية العربية) .

ولم يجد الشقيري في ذلك غضاضة ما دام ذلك لا يخرج قاطرة المنظمة عن سكّتها باتجاه فلسطين وهي الميثاق القومي الفلسطيني ، وهو ما ظل حريصاً عليه وأميناً له . بل كان قد وضع الخلافات العربية نصب عينيه حين قَبِل التكليف بأن يكون ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية ، حين قال في خطاب القبول : إذا وجدت الخلافات العربية طريقها إلى الجامعة العربية ، مادمت في منصبي هذا ، فإن موقفي فيها واضح وصريح وقاطع : لن أكون طرفاً في هذا النزاع ولن أكون مع دولة عربية ضد دولة عربية أخرى . إن ولائي من أعماق ضميري سوف يكون لفلسطين ولقضيتها ، وفي إطار من الوحدة العربية الكبرى .

وبالرغم من إيماني بالديموقراطية أسلوباً للتمثيل ،

---

(١) انظر : **الأعمال الكاملة للشقيري** - قسم المذكرات - وكذلك فصل الشقيري في كتبهم : أبوغربية - الفاهوم - الحوت - أبوماهر اليماني وسواهم .

فإن هذه الديموقراطية كانت ، في مرحلة تشكيل المنظمة ، آخر أسلوب يصلح لذلك نظراً لظروف تشكيل المؤتمر الفلسطيني و « موزاييك » التمثيل ، والشكوك المتبادلة حتى في ردهاته ، وجلسات العديد من لجانه ، وأهمها لجنة الميثاق ، حتى يمكن وصف المناخ العام للمؤتمر بأنه مناخ استقطاب بامتياز ، مع نقيض إيجابي هو حرص معظم الأعضاء على نجاح المؤتمر ، ولكن بأقصى قدر من القيود التي تكبّل الشقيري على نحو يبدد المخاوف والشكوك لكل فريق ، أو يقللها . وفي الآن ذاته كان عليه أن يكون حريصاً على عدم الخروج عن قاطرة الميثاق القومي الفلسطيني .

لذلك أحسب أن المؤتمر لم يجانب الحكمة حين كلّف الشقيري باختيار فريقه ، وهذه ليست بدعة في ذاتها ، فرئيس الوزراء يختار فريقه الوزاري ، لكن المختلف عليه هنا أن رئيس الوزارة هو « رئيس النظام » في الوقت عينه ، وله أن يبدّل ويغيّر في الوزراء وحقائبهم ، ثم هو من قبل ومن بعد ليس بحاجة - بحكم النظام المقر - للرجوع في ذلك للمجلس .

وأحسب أن هذا كان في حينه لازماً لأن المنظمة لم تكن تعيش على أرض وبين شعب ، بل على أكثر من أرض ، وتجمعاتها وسط أكثر من قطر ، وهي تجمعات تخضع لشروط أو في الحد الأدنى لظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية متباينة ... إلخ . والدول تتباين مواقفها من القضية وفقاً لتباين مواقفها واختلافها الذي يتأثر بدوره بعوامل وضغوط خارجية ... إلخ .

كل هذا يفرض على رئيس المنظمة أن يراعيه في تشكيل اللجان التنفيذية حرصاً على تماسك الكيان الوليد واليافع .

ومن يقرأ مسيرة المنظمة أثناء هذه المرحلة ، يلاحظ أن اللجان التنفيذية قد جرى تعديل تشكيل بعضها وذلك كان عائداً وفق كل القراءات ، لأحد عاملين رئيسين :

الأول : موضوعي ، وهو ما أطلق عليه العديدون من أعضاء هذه اللجان (عامل الترضية) أو أسلوب الترضية ، ويقصد به إرضاء بعض الدول العربية (الأردن - سورية - العراق بشكل خاص) .

والثاني : هو عامل ذاتي ، وكان يحمل عنوانين أولهما « فرديّة الشقيري » ، وثانيهما ، وهو مرتبط جدلياً وعضوياً بالأول ، « عدم الانسجام » ؛ وكلاهما يقعان في إطار عدم الديموقراطية .

ثمة من يبرِّر للشقيري عدم ديموقراطيته ، بأنه ابن جيله وتجربته ، وإذا كان هذا في جانب منه صحيحاً ، فإنه لا يكون صحيحاً حقاً إلا إذا وُضع في الإطار العام للظروف التي تعيشها المنظمة أو التي تحيط بها ، ولا يمكن لقبطان سفينة أو طائرة ، ولا لقائد معركة أن يكون مبصراً لمعيقات المسار إلا ويسعى لتجنبها ، فالسلامة هي القصد والغاية ، وليس السير نحو التهلكة .

ومع أن المسؤولية جماعية ، كما يقال ، إلا أن التاريخ في معظم شواهده يحمِّل القادة مسؤولية الإخفاق ، (الفشل عقيم) فيما (النجاح ولود) كثير الآباء والأبناء .

لقد كان « حَمل » المنظمة عسيراً و « ميلادها » قيصرياً بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، بل وإذا كان المناخ السياسي الذي وُلدت فيه مُثقلاً بالزوابع والعواصف ، كما أوجزنا ، فقد ازدادت هذه العواصف بل وبلغت حدَّ الإعصار ، فما أتيحت لها السكينة حتى تضرب في الأرض جذورها ويشتد عودها وتقف على سوقها . وفي ظل هذا المناخ المتقلب كان أعضاء اللجنة التنفيذية - أية لجنة - يحرصون عليها ، كل بطريقته وبما امتلك من خبرة نضالية أو مرجعية سياسية . كانت الخبرات النضالية متباينة ومختلفة أحياناً ، والمرجعيات السياسية كذلك ، وكل هذا ما كان ليصبّ في مصلحة المنظمة أبداً ، والصورة العامة لما يراد بالمنظمة - لا لها - وما يحاك ضدها من هنا وهناك ، لم تكن واضحة بمجملها أمام الجميع . وحده الشقيري الذي كان قد خبر الأنظمة وسياساتها وعرف قادتها - جلّ قادتها - قبل أن تؤول إليهم المقاليد ، وكان الأقدر على أمرين مهمين أعاناه على التعامل معهم ، ثم خذلاه لاحقاً :

الأول : هو طرح آرائه ومواقفه بقوة المنطق والحجة وتفنيد دعاوى المهادنة ، بجرأة لا تنقصها الكياسة مستعيناً بحجم قضيته .

والثاني : القدرة على امتصاص ما يُدبَّر للمنظمة - القضية بِليل ، فضلاً عن نهار ، ضمن الخط الأحمر الذي رسمه لنفسه وهو المسؤولية التاريخية أمام شعبه وأمته وأجيالهما .

ويمكن إيجاز هذين العاملين بالقدرة على تكامل الاستراتيجية والتكتيك ، وعدم الخلط بينهما ، وبشكل أدق أن يكون التكتيك خادماً للاستراتيجية وعدم السماح له بالتجاوز على الاستراتيجية ، واستمرار الاستعانة بالقدرة على المناورة هنا وهناك وعلى نحو كان لديه محسوباً ، وإن لم يكن مدروساً فيما أزعم .

لقد ظل هذا الوعي معيناً للشقيري حتى أوشكت الواقعة على الوقوع سنة ١٩٦٧ ، فاختل التوازن واضطربت

الرؤية أمام عواصفها الهوج، وفي هذه المرحلة المكفهرة وما تلاها ، تكالبت عوامل عديدة هَبَّت على المنظمة ، عنوانها الوحيد : الخلاص من مرحلة الشقيري ، ومع أنها لم تكن متفاهمة بالضرورة .

ومع تراكم غيوم الحرب في السماء العربية في أيار / مايو، بدأت الوقائع المتلاحقة تفرض نفسها على الجميع فلسطينياً وعربياً وإقليمياً ودولياً، وتسوقهم نحو الحرب سَوقاً دون أن تتيح لهم تشكيل رؤية مشتركة للمواجهة ، فالمصالح الذاتية للأطراف بدأت ناظماً لمواقعهم : الفلسطينيون لهم رؤى متباينة ، المعسكرات العربية حكمت مواقفَها رؤاها السابقة من المنظمة ، ومعسكر الأصدقاء كذلك ، حتى يمكن القول إن المستهدف كان الرئيس عبد الناصر . فقد كان عبد الناصر عارياً تماماً إلا من الجماهير التي لم تكن مهيأةً لها على الأرض أسبابُ المشاركة الحقيقية في المواجهة . فيما العدو الصهيوني يمتلك كل المظلات اللازمة التي يحتاج إليها في شن العدوان (وليس هنا مكان تفصيل ذلك) .

وبالمقابل فإن المنظمة كانت موزعة بين رئيسها الذي كان يرى نُذُرَ الكارثة في إغلاق مضائق تيران وسحب القوات الدولية التي اعتبرها هو وسواه ، الفخ الذي سقط فيه الموقف المصري في إدارته للأزمة ، بحيث لم يعد ممكناً الخروج منه .. والشقيري بإزاء ذلك وحين قراءة مذكراته عن هذه المرحلة يمكن أن تلاحظ أنه كان « طريدة » يلاحقها الصياد الماكر ، وهي تهرب منه ذات اليمين وذات اليسار في رمال مكشوفة ، لا يجد شجرة ولا صخرة يتلطى بها أو يختفي وراءها ...

أما أعضاء اللجنة التنفيذية وبينهم من أضافهم إليها قبيل العدوان (أبو غربية ، يغمور ، وحمودة) ، بل وهؤلاء في مقدمهم وهم بالتأكيد من أعلام النضال الفلسطيني ، فأظن أنهم لم يشكلوا في تلك الأسابيع القليلة مناعة إضافية لجسد المنظمة ، وهو ما نقرأه في مذكرات بهجت أبوغربية ، الوحيد بينهم الذي دافع ورافع عن موقف اللجنة التنفيذية في هذه المرحلة ، كما عن مواقفه الناقدة بقسوة للشقيري منذ إنشاء المنظمة .

ربما لا يجد القارئ أن لكل ما سبق علاقة وثيقة بعنوان هذا الفصل (منظمة التحرير الفلسطينية ورياح الفتنة) ، لكني أحسب أنه لا يمكن فهم ذلك دون ما سبق ، إذ لا يمكن أن نمرَّ على تشكيل اللجان التنفيذية وتعديلاتها مروراً عابراً فلا نرى فيها إلا قرارات مزاجية روتينية أو تغييراً من أجل التغيير ، كما يمكن أن يفهم من عرضها بشكل إحصائي أو توثيقي ، أو كما روج لها بعض المروجين لمزاجية وفردية الشقيري . ربما نقبل وصفها - كما هو حال تشكيل اللجان نفسها - بأنها عمليات توفيقية ، ومحاولات لتحصين بنية إطار اللجنة التنفيذية نفسها في مرحلة ما ، لكنها بالتأكيد ، حتى ضمن هذا السياق قرارات سياسية في الأساس .

وحينما وقعت الواقعة ، فطالت المنظمة لم تعد قدرات ولا طاقات الشقيري قادرة على صدّ السهام التي وُجهت إلى المنظمة في شخصه هو ، وشخصه هنا هو رئاسة المنظمة ، ومبادؤها ، بل أهدافها نفسها .

وطالت رياح النكبة الجديدة اللجنة التنفيذية ذاتها ، بل أطبقت عليها ، ومن رواية بهجت أبو غربية [1] فإن اللجنة التنفيذية كانت في تيهٍ ، وتحس أنه هو صاحب المبادرات العملية التي تلخصت في عاملين ذاتيين أحدهما عسكري : صياغة أو إعادة صياغة عمل عسكري فدائي . وأبو غربية بحكم نشأته ومسيرته - مناضل فدائي عسكري في المقام الأول ، ولهذا العنوان يخضع كل رؤاه السياسية على الأقل حتى تلك المرحلة . والآخر سياسي يطرح إعادة تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني بعد أن غدا نصف أعضائه تحت الاحتلال . وهذان عنوانان مهمان لكنهما ذاتيان ، لا يتيح حجم الواقعة ، والتفاعلات العربة والإقليمية والدولية التي خلفتها الهزيمة الاهتمام بهما وحدهما في سياق منفصل عن تلك التفاعلات ، إلا إذا أصبحت المنظمة فصيلاً فدائياً ، لا ممثلاً مسؤولاً عن الشعب الفلسطيني مسؤولية ازدادت تبعاتها بحكم ضياع بقية الوطن .

وهنا نصل إلى المفصل التاريخي الحقيقي الذي كان له ما بعده في مسيرة المنظمة .

الشقيري كان يحاول أن يرى المشهد كاملاً ويتصرف على أساسه ، وزملاؤه لا يرون من رؤيته إلا فرديته ، بل وأحياناً وبدون رتوش أنه يمارس « ادّعاء العمل الفدائي » بمعنى أن قدراته التكتيكية ومناوراته هي وحدها التي رآها زملاؤه ، وربما كان هو ملوماً أنه لم يضع اللجنة التنفيذية في صورة المشهد كما قرأه ... فآل الأمر إلى ما يأتي :

١ - سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية طالبوا الشقيري بالاستقالة معارضة تنظيمية حملت الشقيري « وسياساته » مسؤولية ما آلت إليه المنظمة ، ولا بديل مطروحاً لهذه السياسة بل إنهم سيسعون إلى ذلك ...

وكم كان ذلك محزناً أن يمرّ أعضاء اللجنة التنفيذية مروراً يكاد لا يذكر على موقف الشقيري في قمة الخرطوم ، وهو الموقف التاريخي الأهم في مسيرة الشقيري وفي مسيرة المنظمة ، الذي

(١) أبو غربية ، **من مذكرات المناضل بهجت أبو غربية ، من النكبة إلى الانتفاضة** ، مصدر سبق ذكره ، ص ص (٣٣٢ - ٣٤٢) .

يحسب للجنة التنفيذية ذاتها ، ولكنها قصمت ظهر المنظمة بموقفها اللاحق بدلاً من أن تتضافر عزيمتها وتقف مع الشقيري تشدُّ أزره . وحده أبو غربية الذي قال إنه أثنى على موقف الشقيري في الخرطوم ، لكنه للأسف عاد فقاد الحملة عليه .

٢ - بل إن خالد الفاهوم وهو عضو في اللجنة التنفيذية يقول : أول كلام سمعته عن إزاحة الشقيري كان في قمة الخرطوم أيلول / سبتمبر سنة ١٩٦٧ ، فأثناء خروجي إلى بهو الفندق لتدخين سيجارة فوجئت بوزير خارجية الأردن « أحمد طوقان » ووزير خارجية تونس « المنجي سليم » يقتربان مني ويجلسان إلى جانبي ، وبعد حديث ودّي قصير ، قال لي طوقان : أخ خالد ، الشقيري ورَّطنا بحرب حزيران ، ولا يجوز أن يستمر ، وقد تكلمنا مع إخوتك فوجدنا تجاوباً لإزاحة الشقيري ، تكلمنا مع نمر المصري وبهجت أبوغربية ، وعبدالخالق يغمور ومع يحيى حمودة ، ومع أسامة النقيب ، ووجيه المدني ، ونرجو أن تنضم إليهم في هذا العمل ، فقلت لهم أنا أرفض هذه الأساليب . وفي أول اجتماع للجنة التنفيذية في القاهرة ، بعد المؤتمر ، قلت لهم أخبرني فلان كذا وكذا ، فشحبت وجوه من ذُكرت أسماؤهم . [١]

٣ - يؤكد أبوغربية نفسه ما أشرت إليه من التيه الذي وجدت اللجنة التنفيذية نفسها فيه بعد النكبة ، فقد كانت المياه تجري من تحت أقدامها وهي تدري حيناً ولا تدري حيناً آخر . لقد كانت سياسة المنظمة مستهدفة بسهام أخرى . أبوغربية نفسه يقول : في صباح يوم ... بعد استقالة الشقيري بنحو أسبوعين فوجئنا بمظاهرة طلابية فلسطينية يشارك فيها بعض الفلسطينيين من غير الطلاب ، تقف أمام مكتب المنظمة في القاهرة تطالب باستقالتنا وعودة الشقيري إلى تولّي رئاسة المنظمة ، ثبت لنا أن المخابرات المصرية كانت وراء تشكيل المظاهرة وأنها أوحت للمتظاهرين أن حكومة الأردن كانت وراء طلبنا من الشقيري أن يستقيل .

٤ - كما يقول بعنوان « ما وراء الأكمة » إلا أن حقيقة الموقف المصري منا ومن أوضاع منظمة التحرير في تلك المرحلة التي سبقت استقالة الشقيري انكشفت بعد سنوات ، ثم تأكدت بعد أن ذكر محمد حسنين هيكل في كتابه (المفاوضات السرية مع « إسرائيل » .. أوسلو ما قبلها وما بعدها) ص (١٩) قصة لقاء فتح مع عبد الناصر واعتماده الشرعية لها .[٢]

٥ - هيكل نفسه تحدث عن دور مصر في تنحية الشقيري إضافة إلى ما أورده أبوغربية في حلقات برنامجه « تجربة حياة » (ملفات ساخنة) واعتذر للشقيري على شاشة الجزيرة ، ولا يهمنا اعتذار هيكل للشقيري كشخص ، ولا نفهمه كذلك - وهو مهم - لكنا نقرأه سياسياً ، إذ نرى فيه تأكيداً على خطأ القرار المصري في حينه ، الذي ضحى برجل استطاع أن يمسك بزمام المنظمة استراتيجياً على نحو صائب ، ويضعها ضمن الاستراتيجية المصرية بالقدر الذي لا يتعارض مع هذه الاستراتيجية .

ويهمنا أيضاً أن نرى في حديث هيكل الجديد ضمن السياق التحليلي والنقدي لتاريخ تلك المرحلة إنصافاً للشقيري .

نخلص من هذا إلى ما يأتي :

١ - إن اللجنة التنفيذية كانت بعد حرب حزيران العدوانية « تائهة » تتلمس دروبها ولم تقدم رؤية استراتيجية شاملة للمرحلة الجديدة ، وإن حاولت تقديم عناوين عسكرية لم تتوافق عليها .

٢ - كانت الحسابات الذاتية تطغى أحياناً على حسابات القضية والكرامة الشخصية ، كرامة اللجنة التنفيذية على حساب مقتضيات المرحلة ، فتغرق في المناكفات .

٣ - لم تتوقف اللجنة التنفيذية عند أخطر قرار اتخذ بحق المنظمة ، وربما لو نفذ لكان الأخطر بحق القضية وهو استبعاد المنظمة من قمة الخرطوم ، التي كان مقرراً لها أن تنحو باتجاه مغاير لما نجم عنها (اللاءات الثلاث) وهو قرار أحسب أنه ما كان للجنة التنفيذية مجتمعة أن تستطيع تجاوزه ، لكن الشقيري تجاوزه ، وفرض باسم المنظمة اللاءات الشهيرة التي هي بحق لاءات الشقيري .

كان على اللجنة التنفيذية مباشرة بعد قمة الخرطوم أن تشدّ من عضُد رئيسها ، وتتماسك هي؛ فإن أي سياسي مبتدئ يعلم أن فرض هكذا قرار على الداعم الأول للمنظمة (عبد الناصر) يعني الكثير .

كما أنه وفقاً للفاهوم؛ فإن خصوم الشقيري من الدول ، (وهم لم يخاصموا شخصه ، بل خاصموا مواقفه ، وخاصموا فيه أيضاً عبد الناصر) شرعوا في التقاط لحظة الهزيمة للخلاص منه - أي الخلاص من نهجه .

٤ - ومع هذا فقد أغلقوا على أنفسهم أبواب المنظمة ،

---

(١) نافذ أبو حسنة ، **خالد الفاهوم يتذكر** ، مرجع سابق ، ص٨٧ .

كتاب الفاهوم وإن كان دقيقاً في الوقائع إلا أنه غير دقيق في الأسماء ، ولذا ربما لم تكن هذه الأسماء كلها قد ذكرت أمامه ، ولعل الفاهوم تحوط لذلك هو ومحرر كتابه فعنونه بـ (**خالد الفاهوم يتذكر**) [المؤلف] .

(٢) أبوغربية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤٧ و ٣٤٨ .

وأصمُّوا آذانهم وأغمضوا عيونهم عن كل ما كان يدور حولهم ، فساهموا (أعني السبعة) في تسهيل عملية الخلاص من الشقيري ، وهو ما كان تحقيقه أشد عسراً ، حتى على عبد الناصر في ظل لجنة تنفيذية قوية متآلفة ، لا تغلب تناقضاتها الداخلية على ما يحاك حولها .

أحسب أنهم لو انطلقوا من الحقيقة المدوية التي جسدتها هزيمة حزيران / يونيو بالنسبة للمنظمة وهي أنها بعد أن كانت قبل حزيران نصف لاجئة تعيش وسط رياح عاتية ، غدت بعد زلزال حزيران منظمة لاجئة تهب عليها أعاصير مدمرة ، لعلهم بفعل حجم الكارثة ضلوا سواء الطريق ، بل وربما بسبب حجم الكارثة أضاع الزلزال الطريق نفسه فضلوا وكاد يكون سيرهم خبط عشواء ، وهم يحسبون أن الطريق لمّا يزل هو الطريق في حين أكدت الكارثة سلامة الهدف بينما ازدادت شقة الدّرب ومشقتها .

على أي حال أرجو أن لا نتجنّى على السبعة الأعضاء الذين طالبوا باستقالة الشقيري إذا وصفنا مواقفهم هذه بالسذاجة السياسية ، التي جانبتهم فيها الحنكة السياسة التي كانت مأمولة منهم ، أو من بعضهم على الأقل ، ولنا أن نصدق أنهم لم ينسقوا مع حكومات أو منظمات ضد الشقيري [1] ، لكن كيف يمكن أن يتصوروا أن المنظمات لا سيما فتح والشعبية فضلاً عن الموالين لمصر والموالين للأردن وكلها تسعى للخلاص من الشقيري ، وسورية ستؤيدهم لصالح خط أكثر تشدداً ، أو ثورية ستؤيدهم !!؟ وهو ما لم يتأخر اكتشافهم له فقد واجهتهم المشاكل فور بدء اتصالاتهم بالدول العربية [2] .

على أي حال كانت تلك الصفحة في التقييم السياسي انقلاباً اتخذ لبوساً ديموقراطياً ، يشفع لأصحابه تاريخهم وأنهم أرادوا الإصلاح وهو انقلاب ليته لم يحدث ، أما وقد حدث فليته لم ينجح ، لكن قاموس السياسي لا يتضمن للأسف الشديد كلمة ليت ...

كان يمكن للشقيري أن يحسم الأمر بقرار ، لكنه لم يفعل ، وإذا كان السبعة قد انكبوا في اللجنة التنفيذية على تدبر أمرهم - أمر الشقيري - بعيداً عما يدور حولهم ، فإن الشقيري قد انكب خارج اللجنة التنفيذية على ما يدور حول المنظمة بأكثر مما يدور في إطار اللجنة التنفيذية نفسها ، وإذا لم يكن قد أفاض في الحديث عن ذلك في مذكراته؛ فإن في رواية هارون هاشم رشيد خلاصة رؤيته .

وفي المحصلة فالشقيري وصلته رسائل الجميع ، فإذا بها تُختزل في كلمة واحدة (الانقلاب) .

وبحكمة المسؤول تجسد موقفه في كلمة واحدة (الاستقالة) .

وأخيراً لا بد أن نشير إلى توجيه الاستقالة إلى الشعب الفلسطيني ، لا إلى اللجنة التنفيذية أو المجلس الوطني . إن أحداً لم يتوقف حتى تاريخه - فيما أعلم - عند هذه الكلمة بما تستحقه ، بل إن الكثيرين حسبوا أنها نوع من « المكابرة » ، حتى لا يظهر الرجل بمظهر المهزوم والمستسلم أمام من عيّنهم في اللجنة التنفيذية ، فالمهم بالنسبة لهم في حينه أن يستقيل الشقيري والسلام ... لكن القراءة البصيرة لهذا التوجيه كانت وستظل تعني أن من بنى الكيان لن يسهم في هدم البنيان ، ويا أيها « الآخرون » ، الزملاء وسواهم : إن « الشعب » هو الحَكَمُ بيني وبينكم ، وهو والتاريخ صاحبا الكلمة الفصل ... وها هو الشعب - بجيله الجديد ، وها هي المواقف تقرأ استقالة الشقيري يوماً بعد آخر القراءة التي لم تقرأ في حينها .. فأمّتنا وشعبنا - كما هو التاريخ - حي لا يموت .

---

(١) أبو غربية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤٢ .

(٢) أبو غربية ، المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .

مذكرة سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية يطالبون الشقيري بالتنحي *

القاهرة ١٤/١٢/١٩٦٧

السيد الأستاذ أحمد الشقيري المحترم
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية
القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فقد استعرضنا أوضاع منظمة التحرير الفلسطينية من جميع نواحيها ، وتبين لنا أنه مالم تتخذ التدابير العاجلة ، والإجراءات الضرورية ، فإن هذه المنظمة التي تعلقت بها آمال الشعب العربي الفلسطيني الوطنية وأمانيه القومية مهددة بالانهيار .

إننا مع معرفتنا التامة بجميع الصعوبات التي تعرضت لها المنظمة منذ نشوئها حتى الآن ، ومع إدراكنا لجميع الظروف التي أحاطت ولا تزال تحيط بها ، إلا أننا نعتقد - على ضوء تجاربنا معكم في فترات متفاوتة ، وفي اللجان التنفيذية المتعاقبة - أنه كان للأساليب التي تمارسون بها أعمال المنظمة ، وتصرّفون بها شؤونها ، الأثر الرئيس فيما تعانيه من جمود ، وما تتعرض له من أخطار ، ولم تكن هذه الأساليب أقل إضراراً بالمنظمة من العوامل الخارجة عنها .

ولما كانت منظمة التحرير الفلسطينية ، قد أقيمت لتكون عنواناً حياً للكيان الفلسطيني وتعبيراً صادقاً عن إرادة الشعب العربي الفلسطيني ، وأداة صالحة لتحقيق الوحدة الوطنية والتعبئة القومية لجميع أبناء هذا الشعب وفئاته وطاقاته ، وقيادة قوية لنضاله على طريق التحرير ، وحيث أنكم قد فشلتم في الوصول بالمنظمة إلى المستوى المنشود ، ولم تتمكنوا من بنائها بناء سليماً يثبت أمام العواصف ، ويصمد في وجه الأحداث ، لذلك فإن الشعب العربي الفلسطيني أصبح قلقاً على منظمته ، ولم يعد يرتاح للأساليب التي تسيرون بها شؤونها ، وتعالجون من خلالها قضية فلسطين المقدسة ، هذه القضية التي يتوقف عليها وجود الأمة العربية ومصيرها .

ولما كنتم لا تزالون تصرون على اتباع هذه الأساليب رغم فشلها ، ورغم ما تحتاجه القضية الفلسطينية من تخطيط متكامل وبناء سليم ، ونظراً لما تنطوي عليه هذه الأساليب أحياناً من استخفاف بوعي الشعب ، واستهانة بنضاله الدامي ، وكفاحه المرير - ويكفي دلالة على ذلك أنه لم يكد أحد ينسى ما أذعتموه على الملأ منذ عام من تأليف مجلس ثورة ، ومجلس تحرير ، لم يكن لهما وجود حتى عدتم اليوم تعلنون عن قيام مجلس ثورة في الوطن المحتل لا وجود له ، وأخذتم من وراء مكتبكم تنشرون باسم هذا المجلس البيانات والبلاغات وتوجهون إليه التعليمات والتوجيهات - وحيث أننا يئسنا من إمكانية تبديل هذه الأساليب ، وقد ذهبت عبثاً جميع محاولات الإصلاح ، سواء عن طريق وضع الخطط الهادفة البناءة لتتمكن المنظمة من العمل الإيجابي المنتج ، أو عن طريق جعل المنظمة مسؤولة أمام مجلس يتولى محاسبتها ومناقشتها كما يتولى الأخذ بيدها ومساعدتها ، وحيث أن الظروف والأوضاع التي تمر بها القضية الفلسطينية لم تعد تحتمل مزيداً من التجارب ، ولم يعد الشعب العربي الفلسطيني يطيق صبراً على هذه الأساليب .

لهذا كله ، فإننا إدراكاً منا للمرحلة الخطيرة التي تجتازها القضية والوطن والشعب ، وتقديراً للمسؤولية الملقاة على عاتقنا كأعضاء في اللجنة التنفيذية للمنظمة ، وحرصاً على الكيان الفلسطيني الذي نؤمن بضرورة المحافظة على بقائه قوياً سليماً ، وتحقيقاً للوحدة الوطنية ، ووحدة النضال المسلح ، وتصعيداً لهذا النضال ، وتمكيناً للمنظمة من التصدي لإحباط المحاولات والإجراءات المترتبة على قرار مجلس الأمن الذي يستهدف تصفية القضية الفلسطينية ، نعلن أنه لا بد من تنحيتكم عن رئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة إذا ما أريد لها البقاء لتتمكن من العمل لتحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها ، وإننا سعياً وراء ذلك نطلب إليكم التنحي فوراً عن رئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة ، لتتمكن هذه اللجنة بالتعاون مع ذوي الرأي من إخواننا أبناء فلسطين ومع التنظيمات والهيئات الفلسطينية العاملة ، من الوصول إلى قيام قيادة جماعية واعية للمنظمة تعمل على مستوى الأحداث ، وتكون مسؤولة أمام جهة مختصة ، تتمثل فيها إرادة الشعب ومشيئته .

إننا في حال عدم استجابتكم لهذا المطلب الوطني ، نحملكم مسؤولية ما ينجم عن ذلك ، وسنمضي متعاونين مع الجميع داخل المنظمة وخارجها في سبيل تحقيق ما تحتم المصلحة العامة تحقيقه في هذه الظروف ، ونعتقد مخلصين أن تنحيتكم عن رئاسة اللجنة التنفيذية للمنظمة يعتبر خدمة وطنية ، ويهيئ جواً صالحاً للعمل الجدي .

نغتنم هذه المناسبة لنقدم لكم أصدق التمنيات .

١٤/١٢/١٩٦٧

عبد الخالق يغمور ، بهجت أبو غربية ، أسامة النقيب ، يحيى حمودة ، وجيه المدني ، نمر المصري ، يوسف عبد الرحيم .

(*) **الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧** (سلسلة - ٣) ، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، وجامعة الخرطوم ، ١٩٦٩ ، ص ص ١٠٠٩ - ١٠١٠ .

تنحي الشقيري هارون هاشم رشيد يروي تفاصيل المشهد*

بعد انسحابه من قمة الخرطوم وعودته إلى القاهرة ، وضع الشقيري الشعب الفلسطيني أمام الحقيقة التي لا يستطيع إخفاءها ، ولا يستطيع خداع شعبه . قالها بعالي صوته : « فشل المؤتمر » . في الوقت الذي صدرت فيه صحف القاهرة تعلن نجاحه ، وانطلق صوت عبد الناصر من القاهرة يعلن عن نجاح المؤتمر .

صدر قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، فكان الشقيري أول من رفضه باسم الشعب الفلسطيني ، لأن ما أشيع أن القرار يتضمن الانسحاب من جميع الأراضي العربية ، وأنه يحافظ على حقوق الشعب الفلسطيني ، كان كذباً في كذب ، ولم يبق أمام الشقيري إلا أن يقف - ولو وحيداً - أمام ما يدبر للشعب الفلسطيني ، وأصبحت المقاومة وحدها هي هدفه ، ففكر في أن يجمع قادة المنظمات الفدائية - التي كانت قد بدأت أعمالها - في طائرة واحدة إلى العراق ، ليجتمعوا مدة أسبوع في وزارة الدفاع العراقية ، ولا يخرجوا إلا متفقين على موقف فلسطيني موحد هدفه المقاومة ومواصلة النضال . وكان هدفه الثاني أن يعاود النظر في الكيان الفلسطيني ، فتظل منظمة التحرير فوق الأرض ، للشؤون الفلسطينية السياسية والتنظيمية والمالية والإعلامية ، والقسم الآخر من الكيان يختص بشؤون الثورة الفلسطينية المسلحة تحت قيادة مجلس الثورة . كان الشقيري يدعو إلى وحدة الصف ، ووحدة الهدف ، ووحدة العمل الفدائي .

وفي ١٩٦٧/١٢/١٤ طالب عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية الشقيري بالاستقالة ، وهم : نمر المصري ، والدكتور أسامة النقيب ، وبهجت أبو غربية ، ويحيى حمودة ، وعبد الخالق يغمور ، واللواء وجيه المدني ، ويوسف عبد الرحيم ، وانضم إليهم فيما بعد عبد المجيد شومان .

شعر الشقيري أنه يقف وحيداً ، وأن رفاقه ينقلبون عليه ، والملوك والرؤساء أغضبهم ما فعله في مؤتمر القمة في الخرطوم ، واعتبروا انسحابه وتحديه لما ينوون ، عملاً غير لائق ، وإعلانه عن فشل المؤتمر من إذاعة صوت فلسطين في القاهرة ، في الوقت الذي يعلن فيه حليفه عبد الناصر نجاح المؤتمر ، كل ذلك شكل جوّاً من الكآبة والترقب الحذر في أجواء منظمتنا ..

بدا واضحاً تخلي عبد الناصر عن تحالفه مع الشقيري ودعمه له ، منذ قمة الخرطوم ، وفي صبيحة يوم ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٧ توجهت مبكراً إلى المقر العام للمنظمة ، ووجدت الشقيري في مكتبه وحيداً ، وأمامه عدد من الصحف كان يقلّبها لحظة حضوري ، رحّب بي كعادته واقفاً ، وأشار إليّ أن أجلس ، وكان بادي الكآبة والحيرة ، تكسو ملامحه مسحة من الحزن ، بادرته بالحديث عما يدور حول استقالته ، وتساءلت : « كيف له أن يترك الساحة التي لم تكن في وقت ما في حاجة إليه كما هي الآن ؟ » . وكان يستمع إليّ بهدوء ، ثم قال : « مازلت تتكلم بحسّ الشاعر والمواطن وذلك حقّك ، وكلماتك هذه طوال الأيام العشرة الأخيرة دقّت أذني من كثيرين ، حتى من التجمعات الفلسطينية التي يعتمدون على إرادتها ، ويركزون على توجيهات الآخرين » وقال : « اسمع يا هارون ، إنني منذ عرفت الدنيا نذرت حياتي لفلسطين ، في أيّما مجال وجدت فيه ، وعندما دعيت لتولي مكان فلسطين في جامعة الدول العربية كنت أضع في ذهني تطور مكانتها . وبعث الكيان الفلسطيني ليكون هدفه الأول والأخير التحرير ، تحرير فلسطين ، ومن اللحظات الأولى لقيتُ دعماً من مصر عبد الناصر . وفي القمة ، يوم طلب مني أن أقوم ببحث إقامة الكيان الفلسطيني ، عدت إليه بمنظمة التحرير الفلسطينية كياناً قائماً ، ولقيتُ من عبد الناصر الدعم والعون . وتعرف كيف أقمنا جيش التحرير في مدة قصيرة ، واليوم وبعد النكسة ، منظمة التحرير الفلسطينية هي الهدف ، لأنها الطريق إلى تحرير فلسطين ، أنا حاولت ، وأرسلت من ينقل محاولتي لقاء عبد الناصر في الأيام الأخيرة . أرسلت مرتين ، واليوم طلبت من أحمد عباس أن يكرر إبلاغ رغبتي بضرورة لقائي بعبد الناصر ، فإذا لقيته واستمع إليّ واستمعت إليه ، وشرحت له وجهة نظري ، وما أخططه لمستقبل العمل الفلسطيني ، وما يمكن أن ألقاه من دعمه ، ربما يتغير الوضع ، ولكن إذا جاءني أحمد عباس بجواب سلبي عن عدم إمكانية مقابلة عبد الناصر ، نعم سأستقيل . » وأخرج ورقة ولوح بها : « وهذه استقالتي التي سأتقدم بها للشعب الفلسطيني » . وواصل حديثه : « تعلم أنني ، أنا الذي اخترت هؤلاء الزملاء الذين يطالبون باستقالتي ، وأنني وفق صلاحيتي أستطيع حلّ اللجنة التنفيذية ، والعمل على اختيار لجنة جديدة ، وأعلم أن جماهير الشعب الفلسطيني معي ، وأنها سوف تؤيدني في أي إجراء أتخذه ، وأنها غاضبة من تحرك هؤلاء الإخوة الفضلاء ، ولكن المسألة الأهم ، هي منظمة التحرير الفلسطينية والحفاظ على بقائها ، وقوتها ودعمها ، وكيف أستطيع ذلك إذا تخلى عبد الناصر في هذه الظروف عن المنظمة ؟ . سيتيح ذلك للكثيرين ممن يتربصون بالمنظمة ، والذين جاءت على غير إرادتهم الفرصة لإجهاضها والانقضاض عليها ، لذا فأنا اخترت أن أستقيل لتبقى المنظمة . وسأبقى جندياً مع المنظمة ، وأية قيادة تختارها مدعومة بجمال عبد الناصر ، يساندها ويقف معها ، ومع الشعب الفلسطيني ، إلى أن يستطيع هذا الشعب أن يملك إرادته ويحقق أهدافه . إني سوف أستقيل يا هارون ، وأستطيع أن أواصل رسالتي ، وأكتب مذكراتي ، وأقدم خبراتي لكل من يريدها من أجل فلسطين » .

(*) **أوراق فلسطينية وعربية** ، إشراف وتحرير أنيس صايغ ، الدار العربية للعلوم ، مقال لهارون هاشم رشيد ، ٢٠٠٨ .

كتاب استقالة الشقيري الموجّه إلى الشعب الفلسطيني*
القاهرة ٢٤ /١٢ / ١٩٦٧

(إخواني أعضاء اللجنة التنفيذية :

أقدّم استقالتي إلى الشعب الفلسطيني ، الشعب الأسير الشريد المهاجر الطريد ، وأقدّم استقالتي كذلك إلى الفدائيين الأبطال الذين يخوضون في هذه الأيام غمرات النضال على أرض الوطن الحبيب ، وأبتهل إلى الله العلي القدير أن يحفظ شعب فلسطين ويحفظ قضيته ، وأن يصون نضاله ويصون منظمته ، وعهدي لمن يأتي بعدي أن أكون له سنداً وعضداً ، أضع بين يديه كل تجربتي وطاقتي ، في طاعة الجندي بين يدي القائد ، فتلك سيرة سيدنا خالد ، قاتل قائداً وقاتل جندياً . والحمد لله أولاً وآخراً) .

(المصدر : الأهرام ، القاهرة ٢٥ /١٢/ ١٩٦٧)

كتاب الشقيري إلى عبد الخالق حسونة بإعلان استقالته **
القاهرة ٢٤ /١٢ / ١٩٦٧

تحية العروبة والتحرير وبعد ،

لقد وجهت في هذا اليوم رسالة للشعب الفلسطيني أعلن إليه استقالتي من رياسة منظمة التحرير الفلسطينية ، وإني أبعث إلى سيادتكم كتابي هذا معرباً عن استقالتي من منصبي كممثل لفلسطين في مجلس جامعة الدول العربية ، وأغتنم هذه الفرصة لأشكر سيادتكم لمساهمتكم الكبيرة في مولد الكيان الفلسطيني وقيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وما أسديتم إلي من عون وتأييد في هذا السبيل ، وسأظل على الدوام واضعاً نفسي تحت تصرف الجامعة والأمانة العامة في خدمة النضال العربي .

(المصدر : الأهرام ، القاهرة ٢٤ /١٢/ ١٩٦٧)

رسالة الشقيري إلى الرئيس عبد الناصر يخبره باستقالته ويعد باستمرار النضال
القاهرة ٢٤ /١٢ / ١٩٦٧

تحية العروبة والتحرير وبعد ،

فقد وجّهت في هذا اليوم رسالة إلى الشعب الفلسطيني باستقالتي من رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد جئت بكتابي إلى سيادتكم أعلن نفسي مواطناً مقيماً على أرض الكنانة وفي رحاب الجمهورية العربية المتحدة ، أؤدي تحت قيادتكم الملهمة دوري المتواضع في خدمة النضال العربي في الميادين السياسية والإعلامية والثقافية .

وإني إذ أعرب لسيادتكم عن تطوعي هذا ، سأظل أذكر على الدوام بالشكر والعرفان ما أسديتم إليّ من مدد وتأييد أثناء عملي في منظمة التحرير .

ويحدوني إلى المبادرة لهذا التطوع ، أنني لا أعتبر استقالتي من رئاسة المنظمة نهاية هادئة لثلاثين عاماً مضت من حياتي في خدمة القضية العربية ، ولكني نذرت أن أقضي ما بقي لي من العمر في ميدان الكفاح .

حفظكم الله ذخراً للعروبة وسنداً للإسلام

رسالة اللجنة التنفيذية إلى الشقيري رداً على كتاب الاستقاله***
القاهرة ٢٤ /١٢ / ١٩٦٧

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

تعرب اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وهي تقبل استقالتكم من رئاستها عن تقديرها الكبير للجهود التي بذلتموها منذ قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي تقدر تمام التقدير ما تحملتم في سبيل قيام المنظمة من أعباء وما أديتم لها من خدمات ، وأن اللجنة ستمضي في تحمل مسؤولياتها لتحقيق ما يتطلع إليه الشعب العربي الفلسطيني في هذه المرحلة الخطيرة ، وستبذل قصارى جهدها في سبيل تحقيق الوحدة الوطنية والتعبئة القومية ووحدة النضال المسلح ، وتصعيده للمضي في طريق التحرير .

تكرر لكم اللجنة شكرها وتقديرها ، وتقدم لكم أصدق التمنيات وأطيب التحيات وتسأل الله العون والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(*) **الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧** (سلسلة - ٣) ، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، وجامعة الخرطوم ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٢٥ .

(**) **المصدر نفسه** ، ص ١٠٢٥ .

(***) **المصدر نفسه** ، ص ١٠٢٦ .

هيكل : اعتذار للشقيري بأثر رجعي

في برنامج قناة الجزيرة (مع هيكل ... تجربة حياة) وضمن حلقات (هيكل .. طريق أكتوبر حرب الاستنزاف وهم الدولة بتاريخ ٤/٢/٢٠١٠) قدم هيكل شهادة مهمة يمكن اعتبارها إعادة تقييم للشقيري وأنها إعادة تقييم لموقفه منه ، كما أنها إعادة تقييم لموقف مصر من الشقيري . أهمية هذا التقييم من هيكل تتمثل في الآتي :

١ - السياق الذي جاءت فيه ، وهو سياق تقييم مرحلة مهمة من تاريخ المنطقة وأحد أبرز أحداثها (حرب ١٩٦٧) .

٢ - أنها شهادة بصوابية موقف الشقيري من تداعيات الأحداث في حينه .

٣ - أنها تبعاً لذلك تعترف بخطأ الاجتهاد الذي أدار ظهره للشقيري في تلك الظروف لصالح حركة فتح .

وخلاصة ذلك أنّ الشقيري في الشأن الفلسطيني ، بل وفي شأن الصراع العربي الصهيوني كان أبعد نظراً وأصوب « تقدير موقف » .

إنني أحيي الأستاذ هيكل على هذا الموقف الذي لا يصدر إلا عن رجل كبير ، تجاوز حدود ذاته لصالح المصلحة القومية العليا .

ولا أقول - باعتباري واحداً ممن كان موقفهم عام ١٩٦٩ هو موقف هيكل اليوم - لقد جاء هذا الموقف متأخراً ؛ بل إنّ هذا التقييم جاء في وقته وفي مكانه الصحيح من إعادة قراءة مرحلة بكاملها ، وهذا هو المكان الصحيح بل الأصحّ لتقديم الاعتذار ، الذي يعني أنه تقييم لرؤية الشقيري واستتباعاً لموقف منظمة التحرير الفلسطينية من قضية فلسطين والاحتلال الصهيوني للأرض العربية عام ١٩٦٧ كشريك عربي أساس في رسم استراتيجية المواجهة . والأهم في ظني أنه في الجانب الآخر حكمٌ هامٌ على مرحلة ما بعد الشقيري ، فيما يمكن قراءته بأنه دعوة إلى استراتيجية فلسطينية وعربية جديدة للقضية العربية وفي المقدمة القضية الفلسطينية .

اعتذار هيكل للشقيري الذي لم تكن حساباته - أي الشقيري - في عام ١٩٦٧ حسابات شخصية ، بل هي في سياق التقديرات المرتبطة بالاستراتيجية المصرية التي كانت قيد التخطيط في حينه ، وتقييمها بعد أن أخذت المرحلة مداها .

في تلك الآونة (كانون أول / ديسمبر ١٩٦٧) كان الموقف المصري حاسماً في تنحّي الشقيري ، ولئن اعتبرنا هذا عاملاً موضوعياً ، فإن عاملاً ذاتياً مهماً كان يجري في الاتجاه نفسه (وقيل إنّ دولاً عربية أخرى شجعت عليه) هو موقف سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية ومجلس إدارة الصندوق القومي ، طالبوا الشقيري بالاستقالة وهو ، مع سواه من عوامل أخرى ، أضعف موقف الشقيري بل سهّل مهمة الطرف / الأطراف الأخرى ، وفي المحصلة دفعت القضية ولما تزل منذ اتفاقات الكيلو ١٠١ وفصل القوات مروراً بكل المفاوضات العبثية ثمناً هائلاً .

لكننا سنورد هنا مضمون ما أورده الأستاذ هيكل حول الموضوع دون تغيير الصياغة اللفظية حرصاً على الأمانة العلمية :

« مؤتمر القمة العربي سنة ١٩٦٤ في القاهرة أنشأ منظمة التحرير ، واختار السيد أحمد الشقيري رئيساً لهذه المنظمة ، السيد أحمد الشقيري محامي وأنا شفته وعرفته ، ما أقدرش أقول كنا أصدقاء ، لكن كنا معارف على درجة كبيرة ، التقينا مرات كثيرة على درجة تسمح لكلينا بأن يفهم وأظن أنا لا أظلم أحمد الشقيري إذا قلت إنه هو كان رجلاً دبلوماسياً أكثر من أي حاجة ثانية ، خطيباً أكثر من أي حاجة ثانية ، قانونياً أكثر من أي حاجة ثانية ، هو في مرحلة سابقة التحق بالوفد السوري في الأمم المتحدة وأظن رأسه لبعض الوقت ، والتحق بالوفد السعودي في الأمم المتحدة وأظنه أيضاً مثّل السعودية لبعض الوقت في الأمم المتحدة ، وفي ذلك الوقت لم تكن الخطوط الفاصلة بين الشام وشبه الجزيرة العربية فاصلة أو قاطعة كما هي الآن ، لكن أحمد الشقيري عمل أدواراً في التعبير عن قضية فلسطين ، وبالتالي بدا وكأنه المرشح الطبيعي لكي يكون رئيساً لهذه المنظمة في مرحلة حشد واستعداد نفسي وتعبئة نفسية لكي تعود قضية فلسطين بوجهها الحقيقي في المواجهة في ذلك الوقت - أتكلم عن سنة ١٩٦٤ - الأستاذ أحمد الشقيري أظن كان صالحاً جداً لهذه المرحلة ، لكن لا أظلمه إذا قلت إنه لما الأمور تحركت ، الحوادث أخذت الأستاذ أحمد الشقيري وبدت تقدمت جماعات فدائية تقاوم ، ظهرت في الأرض المحتلة أو على أطراف الأرض المحتلة ، خصوصاً في سورية جماعات مقاومة على سبيل المثال بدأ يبقى في حركة اسمها حركة تحرير فلسطين ، أخذت « حاء » من كلمة حركة و « تاء » من كلمة تحرير و « فاء » من كلمة فلسطين ، ولكن عكستهم لأنه لو أخذتهم بالترتيب يبقى « حتف » ، ووجدوا أن هذا قد يكون فألاً سيئاً فقلبوا الحروف وخلّوها « فتح » فظهرت حركة فتح ، ظهرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ظهرت حركات

أخرى ، الحركة الشعبية لتحرير فلسطين كان أصلها حركة القوميين العرب يرأسها الدكتور جورج حبش ، وهو رجل مثقف وهو رجل مناضل ومقاتل ، وكان على صلة بمصر لكن لما جاءت ٦٧ أو في مقدمات ٦٧ بدا أن الخيار الماركسي كان دائماً باستمرار عند بعض الحركات الثورية العربية أو اللي بتقول إنها ثورية عربية - مع العلم المقاومون العرب كانوا حركة ثورية بلا جدال - لكن بدا عندهم النموذج الكوبي أنه في هذا الاستقطاب العالمي الموجود أن حكاية عدم الانحياز قد لا تكون هي الخيار الأمثل وأنه أفضل قوي أن نقترب أو أن ننضم حتى إلى معسكر لكي يسبغ علينا حمايته ، وبما أن الأميركان هم أصدقاء " إسرائيل " يبقى إحنا نروح للسوفيات .

صانع القرار المصري بدأ في ذلك الخريف يبحث - ذلك الخريف الصعب ٦٧ بعد المعركة - كل هذه الجبهة بتعد كل هذا الموقف بيعاد بناؤه لكن في مسألة مهمة أين فلسطين ؟ فلسطين في ذلك الوقت ممثلها الأستاذ أحمد الشقيري ، لكن الأستاذ أحمد الشقيري خطيب وهو قانوني وهو قد لا يكون صالحاً لهذه المرحلة ، خصوصاً وإنه بدأ يبان إن في جماعات فلسطينية ، وهو لاحظ وأظن - للإنصاف - أحمد الشقيري إنه نبه القيادة المصرية في ذلك الوقت أن بعض هذه الجماعات المسلحة اللي بتتكلم على المقاومة هي في هدفها توريط ، وهي من أول سنة ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ بتخوض معركة هي نفسها أسمتها معركة التوريط . لكن العمل في رأي هذه الجماعات الفدائية العمل العربي ليس على المستوى المطلوب ، فهم يتصورون إنهم إذا ورطوا الدول العربية ، وإذا دخلت الدول العربية كلها مهما كانت التكاليف في المعركة إذاً فهذا معناه أن المعركة أولاً أعيد إحياؤها بشرارة بقيت ناراً وبعدين أعيد تنظيم القوى اللي داخلة فيها لأنه حتخش فيها سورية ، واضحة حتخش فيها مصر ، واضحة حتدخل بقية الدول العربية وحتبقى معركة كبيرة .

لكن أستاذ أحمد الشقيري في ذلك الوقت كان خائفاً من هذا الموضوع ، ولازم أعترف أن الرجل كان بعيد النظر في هذا ، وأنه قعد عمل مناقشات طويلة جداً مع بعض قادة هذه الجماعات الفدائية اللي بتشتغل في سورية وتقابل معهم وقال لهم إنكم إنتم بهذه الطريقة سوف تورطون بقية الدول العربية وأنا ما عنديش مانع من توريط الدول العربية ، لكن هو السؤال ما إذا كانت هذه الدول العربية وفي هذه اللحظة وفي هذه الأوقات مستعدة لهذه المعركة سنة ٦٧ كان أكبر قوي من أي حاجة عملتها هذه الجماعات لأنه كان في حالة تربص .

أنا أعرف في ذلك الوقت أن جمال عبد الناصر طلب من السيد محمود رياض وزير الخارجية أن يتكلم مع الأستاذ أحمد الشقيري في كيف يمكن .. جمال عبد الناصر في ذلك الوقت كان نفسه في حاجة واحدة بس ، طلقة ، طلقة رصاص واحدة تدوي في فلسطين لكي يعرف العالم أن هناك شعباً ، وأن هناك قضية ، وأن هناك مقاومة ، ولما تكلم محمود رياض تكلم مع أستاذ أحمد الشقيري ، الأستاذ أحمد الشقيري ما كانش .. بشكل أو آخر تكلم على أن هذه الجماعات كلها قد تكون غير قادرة في الوقت ده ، قد تكون في هدفها التوريط قد ، لكن كان واضحاً أن هنا كان في خلاف واضح في الساحة الفلسطينية بين الخطباء وبين المقاتلين ، بين الخطباء وهم في شدة الفصاحة ، وبين المقاتلين وأنا أعتقد أنهم لم يكونوا في ذلك الوقت في شدة الاستعداد حقيقة لحرب تحرير ، لكن على أي حال ما كانش حد بيطلب منهم حرب تحرير في ذلك الوقت ، ولا كانت حرب تحرير فلسطين مع طبيعة القوة الإسرائيلية داخل الأرض المحتلة ما كانتش مجدية إلى الدرجة الكافية ، لكن كان مطلوباً منها أن تكون : واحد عنصر إقلاق ، والحاجة الثانية المهمة جداً عنصر رمزي في وجود شعب فلسطيني وفي وجود قضية وفي وجود مقاومة .

في ذلك الوقت الأستاذ أحمد الشقيري بدأ يبقى .. وأنا هنا يعني أنا بأثر رجعي يمكن بأعتذر له لأنه كان في رغبة بعد كده ، هم وهم بيشتغلوا في المقاومة في علاقات الوضع الفلسطيني غير مستقر ، لأنه في قيادة سياسية بتتكلم وهي مصر بتدعمها ، وهي مصر اللي أنشأت منظمة التحرير أو على الأقل اقترحت إنشاءها وفي عمل عسكري مصر بتساعده والمنطق في لا بد ده كله يندمج ، حتى الأستاذ شقيري كاتب في مذكراته إنه بدأ .. كان في مؤتمر وطني لمنظمة التحرير وأنا الحقيقة كان رأيي - وقد أعتذر للأستاذ الشقيري بأثر رجعي - كان رأيي أن فتح تبقى هي منظمة التحرير في ذلك الوقت ، والأستاذ كاتب في مذكراته إنه ذات يوم أثناء المؤتمر قرأ الأهرام وفهم الرسالة وقدم استقالته وبالتالي دخلت فتح إلى منظمة التحرير فأصبحت الجبهة السياسية والعسكرية جبهة واحدة " .

الفصل الحادي عشر

كتابات وحوارات بعد الاستقالة

تمهيد :

١) الشقيري : أنا الذي ألغيت حكومة عموم فلسطين

٢) الشقيري : لم أقل يوماً « سنلقي اليهود في البحر » !

٣) رسالة الشقيري إلى الرؤساء والملوك العرب في مؤتمر قمة الرباط ٢٦ / ١٠ / ١٩٧٤

٤) هكذا يتكلم أحمد الشقيري

زيارة الكويت والخليج :

٥) أرفض جنيف .. وأطالب بواشنطن

٦) بيان صحفي

٧) مؤتمر جنيف تسوية باطلة .. والفلسطينيون في عنق الزجاجة

٨) في حديث غير سياسي هو الأول من نوعه يجري مع الشقيري

٩) الشقيري يفتح ملفات القضية الفلسطينية

١٠) الشقيري : نعم لثورة حتى النصر .. لا لثورة حتى الصلح

١١) أحمد الشقيري .. لاءات جديدة

١٢) الشقيري : أمنيتي وأنا أغادر الحياة .. أن تكون القضية على الدرب الصحيح

١٣) الحكم الذاتي ... تهويد للضفة والقطاع

١٤) مذكرة مقدمة إلى مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في دورة طارئة في تونس بتاريخ ٢٧ حزيران / يونيو ١٩٧٩

١٥) الشقيري : السادات جرّ مصر لطريق غير عربية ولا إسلامية

١٦) رد على مناحيم بيغن .. آخر ما كتب أحمد الشقيري

١٧) آخر رسالة كتبها الشقيري إلى ابن أخيه بعد توقيع السادات اتفاقية كامب ديفيد ، وانتقاله إلى تونس تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨

كتابات وحوارات بعد الاستقالة

تمهيد :

في حديثنا عن منظمة التحرير الفلسطينية في عهد الشقيري ، الذي انتهى باستقالته ، كان اللافت أنه قدم الاستقالة إلى الشعب الفلسطيني ، ولم يقدمها إلى زملائه الذين طالبوه بها ، كما أنه أشعر الرئيس جمال عبد الناصر بذلك ، وفي نص هذه الاستقالة - كما في نصّ الرسالة إلى الرئيس عبد الناصر - ما يقدم رسالة للشعب من جهة ، وللأمة بعامة - من خلال عبد الناصر - من جهة أخرى ، وأهم مضمون في هذه الرسالة أنه لا يحيل نفسه إلى التقاعد من العمل السياسي ، وإنما يقتصر ذلك على أداء واجبه من ذلك الموقع . ففي رسالته إلى شعبه أكد أنه سوف يظل في خدمة القيادات الجديدة بما لديه من خبرة وتجربة ، وفي رسالته إلى عبد الناصر أكد دور مصر عبد الناصر في قضية فلسطين ، وأنه سوف يواصل دوره تحت راية الأمة التي ترفعها مصر ، برغم ما لديه من اعتراض على الأسلوب (المنهج) الذي انتقلت إليه مصر .

وقد كان الشقيري صادقاً مع نفسه ، وفياً لـ « شعبه وقضيته » ، جسّد هذا وعلى مدار ثلاثة عشر عاماً منذ استقالته وحتى رحيله في عدة اتجاهات أشار إليها في مختلف أعماله ، وهي :

١. وضع كتبه ودراساته التي دوّن فيها هذه التجربة ، والتي صدرت تباعاً مجزأة في حياته ، ثم أُصدرت عام ٢٠٠٦ تحت عنوان : الأعمال الكاملة ، وقد قدمنا إيجازات لها في الفصول السابقة .
٢. كما تابع بعد ذلك دوره من خلال رسائل ومذكرات للمسؤولين العرب والأجانب ، ومؤتمرات الجامعة العربية بمختلف مستوياتها .
٣. إقامة الندوات والمحاضرات حول الأحداث المستجدة .
٤. إصدار البيانات التي يشرح فيها موقفه من الأحداث ويحللها سياسياً وعلمياً .
٥. إجراء الحوارات الصحافية التي يجيب فيها عن الأسئلة حول القضايا و المستجدات السياسية .

هذا إضافة إلى الاتصالات المباشرة مع القيادات الفلسطينية والعربية المختلفة .

ولاستكمال صورة الشقيري ومواقفه ووفاء بحقه في أن نقدم صورته كاملة لشعبه وأمته ، رأينا من الضرورة عرض نماذج من هذه الأدبيات ، التي لم ترد في الأعمال الكاملة ، وإن كان بعض ذلك قد ورد في بعض كتبه ، التي أصدرتها لاحقاً لجنة تخليد ذكراه وأسرته ، ونشير هنا بخاصة إلى (الطريق إلى مؤتمر جنيف) ، (الجامعة العربية كيف تكون جامعة .. وكيف تصبح عربية) و (خرافات يهودية) ، غير أن عدداً من القضايا الأخرى نظمتها هذه الحوارات حفزتنا إلى اختيار مجموعة من المواد نوردها في هذا الفصل ، وسيجد فيها القارئ امتداداً لمواقفه الملتزمة بالاستراتيجية الأساس التي نهض عليها فكر الشقيري وهي :

١. الكفاح المسلح سبيلاً للتحرير .
٢. الوحدة العربية هي السبيل الرديف ، وكل ما يفصل بين الأمرين سيعود إلى ضياع الأمة .

وتتناول هذه الرسائل والمذكرات والحوارات والندوات والبيانات الموضوعات الآتية :

١. استمرار الأطماع الاستعمارية الصهيونية في الأرض العربية .
٢. ما زال النفط والثروات العربية عنوان الاستهداف ، تماماً كما أنها أدوات القوة .
٣. قرار ٢٤٢ هو القرار الأسوأ منذ وعد بلفور ونكبة ١٩٤٨ .
٤. المخاطر التي يحملها مؤتمر جنيف .
٥. التحذير من مشروع (الدولة الفلسطينية) و (حكومة المنفى) ، والمقاربة في التوقيت مع الثورات التي أعلنت مثل هذه الدولة أو الحكومة من حيث التوقيت .
٦. المرحلية ومعناها وسياقها وفهمه لها ، كمرحلة تعود إلى مرحلة أخرى على طريق التحرير ، لا سبيلاً إلى تسوية دائمة ، وأن الثورة هي « ثورة حتى النصر لا ثورة حتى الصلح » .
٧. دور المنظمة وواجبها في التمسك بميثاقها ، وتأكيد دور الأمة القومي ومسؤولياتها في التحرير ، (عار فلسطين هو عار الأمة) .
٨. الإشادة بحرب أكتوبر ومنجزاتها ، ثم الانقضاض السياسي الذي جرى عليها .
٩. مركزية القدس في القضية .
١٠. التركيز على دور الجماهير في خطابه ، والتوجه بالأمل إلى جيل الشباب .

ولتفصيل ذلك اخترنا مما توافر لدينا من هذه الأدبيات المواد الآتية ، التي تفصّل الرأي والموقف في كل ما سبق بالمنطق والحجة .

١) الشقيري : أنا الذي ألغيت حكومة عموم فلسطين *

(مقتطفات)

جريدة السياسة ، الكويت، ١٣ / ١ / ١٩٧٤

من بين الذين سبق وأشهروا وجهة نظر المعارضة لدولة المنفى الفلسطينية ، السيد أحمد الشقيري الرئيس السابق لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد كانت أول معارضة عملية له لهذه الفكرة « .. كما يقول عندما ألغى حكومة عموم فلسطين التي كانت موجودة برئاسة المرحوم أحمد حلمي باشا حينما عهد إليه بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ . » وقال « .. ألغيتها لأنني لا أؤمن بجدواها ، كما أن رأيي لم يتغير بهذا الموضوع بل زادته إيماناً ويقيناً ورسوخاً . فنحن الآن في مرحلة تحرير ونضال وطني ويكفينا في الوقت الحاضر منظمة التحرير الفلسطينية كأداة لهذا النضال الوطني . فنحن لا زلنا بعيدين عن التحرير ولذلك يجب أن نظل بعيدين عن إنشاء حكومة في المنفى . لقد أنشأ إخواننا في الجزائر الحكومة المؤلفة حينما كانوا على عتبات النصر ، وذهبوا إلى مؤتمر أفيان وانتهت المفاوضات بينهم وبين فرنسا بالاعتراف باستقلال الجزائر ، فأين نحن من مثل هذه المرحلة ؟ » .

ويضيف الشقيري قائلاً : أنا أعلم أن عدداً كبيراً من الدول الأفريقية والآسيوية مستعدة للاعتراف بحكومة فلسطينية في المنفى ولكن هذا الاعتراف قائم بالنسبة لمنظمة التحرير ، وبذلك فإننا لن نضيف شيئاً سوى أننا ننشئ مؤسسة من غير حاجة إليها . ولهذا فإنني مرة ثانية أكرر نصيحتي بأن لا تبادر منظمة التحرير الفلسطينية إلى تغيير نفسها إلى حكومة بالمنفى أو إلى إنشاء مثل هذه الحكومة إلى جوارها .

وبالضرورة فإن الحديث مع الشقيري عن دولة المنفى يرتبط برأيه الخاص عن مؤتمر جنيف ، وهو رأي يكشف المتابع أنه يلتقي مع ما يسمى الآن بجبهة الرفض في الساحة الفلسطينية والساحة العربية ، مع ملاحظة أن رأي الشقيري يستفيض بالشواهد السياسية والتاريخية .

يقول السيد الشقيري : لست أرى أي جدوى من مؤتمر جنيف إطلاقاً ! بل إني أرى فيه الضرر كل الضرر والخطر كل الخطر على القضية الفلسطينية والعربية سواء بسواء . وإنني أنصح الشعب الفلسطيني أن لا يشترك في هذا المؤتمر لا من قريب ولا من بعيد . وليس هذا الموقف الرافض ناشئاً عن عوامل عاطفية أو مشاعر مرتجلة ولكنه نابع من تحليل عميق لما سينتهي إليه مؤتمر جنيف ، وفي اعتقادي أن « إسرائيل » ومعها الولايات المتحدة ستطرح على المؤتمر مواقف لا تقبل التراجع عنها وتصر على الجانب العربي أن يقبل بها ، ومن هذه المواقف الإسرائيلية على وجه التحديد ما يأتي :

١- إن « إسرائيل » تصر على أن ينتهي مؤتمر السلام بمعاهدة صلح كاملة تنعقد بين « إسرائيل » والدول العربية ، وتنص هذه المعاهدة على الاعتراف بـ « إسرائيل » وحدودها وسيادتها الإقليمية .
٢- المعارضة التامة في عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم ، سواء الذين نزحوا في عام ١٩٤٨ أو الذين نزحوا في عام ١٩٦٧ .
٣- عدم التخلي عن القدس العربية والأحياء المجاورة لها حتى حدود مدينة رام الله .
٤- ضم القرى الأمامية في الضفة الغربية إلى سيادة « إسرائيل » ومعها العشرون مستعمرة إسرائيلية القائمة على ضفة نهر الأردن .
٥- إبقاء قطاع غزة تحت السيطرة الإسرائيلية إما بتدويله أو بضمه إلى « إسرائيل » .
٦- مؤتمر جنيف بالنسبة لقضية اللاجئين سيدعو إلى توطينهم في البلاد العربية ، وبهذا فإن ١,٥ مليون فلسطيني سيسلخون من جسم الشعب والوطن الفلسطيني . والضفة الغربية حتى لو عادت كلها - وهذا مستحيل - فلن تستطيع أن تستوعب لاجئاً واحداً من المليون ونصف .

هذا على الصعيد الفلسطيني ، أما على الصعيد العربي فأنا على يقين بأن « إسرائيل » لن تتخلى عن مواقع ومراكز محددة من سيناء وكذلك لن تنسحب من معظم المواقع الاستراتيجية في الجولان .

يضاف إلى ذلك إصرار « إسرائيل » على الاعتراف بحرية الملاحة في قناة السويس وفي خليج العقبة ، شأنها في ذلك شأن الدول الأخرى . كذلك فإن «إسرائيل» ستطالب الدول العربية، مصر وسورية والأردن بعقد معاهدة صلح تقوم على أساس التعايش السلمي وحسن الجوار والالتزام بعدم الاعتداء . وفي رأيي أن هذه هي التسوية السلمية التي يقوم الدكتور كيسنجر وزير الخارجية الأميركي بتحقيقها . وعلى هذا تصبح النتيجة النهائية لمؤتمر جنيف كما توقعتها إهداراً للقضية العربية الفلسطينية وتصفية للقضية الفلسطينية . وفوق كل هذا فستلتزم الدول العربية بإنهاء حالة الحرب بينها وبين « إسرائيل » ، وتصبح لفظة العدو في

(*) أجرى الحديث في القاهرة مصطفى أبو لبدة .

الإذاعات العربية بالنسبة لـ « إسرائيل » محظورة وممنوعة ومن باب أولى يصبح العمل الفدائي عملاً عدائياً وانتهاكاً لمعاهدة الصلح . وإن مثل هذه النتائج إنما هي تصفية للثورة العربية وللقضية الفلسطينية وللعمل الفدائي انتظاراً لما هو أخطر وهو مرحلة أخرى تستعد فيها « إسرائيل » لتوسع آخر وعدوان أكبر .

ولهذا فإنني أحذر الحكومات العربية - ومنها الشعب الفلسطيني - من النتائج الوخيمة التي تنتظرها من مؤتمر جنيف .

ويرى السيد الشقيري أن حرب أكتوبر قد كشفت قدرات الأمة العربية العسكرية والسياسية فأصبح من غير الجائز لهذه الأمة العربية التي تملك هذه القدرات الضخمة أن تقبل بمثل هذه الحلول الذليلة المهينة . ويقول : لو كنت أعلم أننا أمة فقيرة أو ضعيفة ولا نملك القدرات التي نملكها ، لكان علينا أن نقول أن الاستسلام هو قدرنا ! ولكن طاقاتنا وقدراتنا أكبر وأعظم ، وهي قادرة على النصر ، حيث كل ما ينقصنا هو تعبئتها تعبئة كاملة واستخدامها على الوجه الأفضل .

ولو شئنا أن ندخل في مقارنة بسيطة لاتضح لنا ما يأتي :

١- نحن ١٢٠ مليون من البشر يقابلنا ٣ ملايين من اليهود .
٢- نحن نملك من البترول وحده في هذا العام دخلاً يقدر بـ ٤٠ مليار دولار في السنة ، وهذا أكبر مما تملكه الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي واليابان .
٣- نحن نملك مواقف إستراتيجية من مضيق جبل طارق إلى خليج البصرة ما لا تملكه أي من الدولتين العظميين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة .

ويثور السؤال حينئذ : لماذا نقبل الهزيمة والاستسلام؟! أنا لست ضد السياسات الواقعية أو المرحلية ، ولكن يجب أن لا يغيب عن بالنا أن الحل المرحلي يجب أن لا يهدر المراحل التالية .

أما من ناحية السياسة الواقعية فإن الواقعية العلمية تقول بصراحة وبأمانة إننا أقوياء وأغنياء ولا ينقصنا إلا أن نستخدم هذه القوة وهذا الثراء ، وإن الأمة العربية لو رضيت لنفسها شظف العيش عاماً أو عامين لاستراحت من « إسرائيل » أبد الدهور بدل أن تظل « إسرائيل » تستخدمنا كل عمرنا كما استنزفتنا في الثلاثين سنة الماضية .

ويبقى موضوع هام وهو موقفنا من الولايات المتحدة، وفي رأيي أنه يجب أن نضع في حسابنا حين نخطط للمعركة الكبرى أن نكون مستعدين للتصدي للولايات المتحدة بالوسائل التالية :

١- تأميم المصالح البترولية الأميركية في الوطن العربي .
٢- وقف التعامل الاقتصادي والتجاري بين الدول العربية والولايات المتحدة .
٣- تحريم الوطن العربي بمطاراته ومرافئه ومياهه الإقليمية على المصالح والمؤسسات الأميركية البحرية والبرية والجوية .
٤- قطع العلاقات مع الولايات المتحدة .

إن الجيوش العربية التي قاتلت في معركة رمضان - وفي مقدمتها الجيشان المصري والسوري - لم تقاتل لتصالح « إسرائيل » وتعترف بسيادتها على فلسطين ، وإن الشهداء الذين سقطوا في هذا الصراع عبر الخمسين عاماً الماضية يرفضون بكل إباء أن تصفى القضية العربية ومعها القضية الفلسطينية في مؤتمر جنيف . إن الفائدة الوحيدة من مؤتمر جنيف هي أنه لا فائدة فيه .. وفي يقيني أن الإنسان العربي ومعه المواطن الفلسطيني رفض بعفويته وسليقته مؤتمر جنيف . وإذا كان لي أن أستشهد فيكفي أن نرجع إلى المظاهرة الكبرى التي قامت بها الجماهير العربية واللبنانية في بيروت يوم مجيء كيسنجر إلى لبنان ، مما اضطر الوزير الأميركي أن ينزل بطائرته في مطار رياق إذ لم يستطع أن ينزل في مطار بيروت . وإنني أعتبر مظاهرة بيروت مظاهرة للأمة العربية بأسرها ، فهي تحمل معنى الرفض القاطع الصائح ضد مؤتمر جنيف . ولو كانت الظروف مؤاتية في بلاد عربية أخرى لقامت مثل هذه المظاهرة وأشد .

لاءات الخرطوم :

• طويلاً كتبتم في الجزئين الأخيرين اللذين نشرتموهما بعنوان « الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء » ... مؤتمر الخرطوم ولاءاته المعلنة وغير المعلنة . فأين منها مؤتمر جنيف ؟

الشقيري : أنا لا أريد أن أعود إلى جذور القضية الفلسطينية ولا إلى قرارات مؤتمر الخرطوم ، فيكفي أن أشير إلى أن مؤتمر الجزائر الأخير قد التزم بصورة قاطعة بأن التسوية السلمية يجب أن تتضمن الجلاء الكامل عن الأراضي العربية المحتلة في سيناء والجولان والضفة الغربية وفي مقدمتها القدس العربية ، وكذلك المحافظة على الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . وإنني أريد أن أقول بأعلى صوتي لمؤتمر الجزائر ولجميع الملوك والرؤساء العرب الذين حضروه بأن هذه المطالب التي أعلنوها لن تتحقق في مؤتمر جنيف، وبيني وبينهم الزمن !

٢) الشقيري : لم أقل يوماً « سنلقي اليهود في البحر » ! *

(مقتطفات)

جريدة القبس ، الكويت، ٢١ / ٩ / ١٩٧٤

• القضية الفلسطينية أخذت طريقها في جدول أعمال الأمم المتحدة بعد قرار مؤتمر وزراء الخارجية العرب الأخير بهذا الخصوص ، ونظراً لخبرتكم الطويلة في أعمال الأمم المتحدة ، كيف تنظرون إلى هذا الموضوع ؟

- إنني أؤيد بكل قوتي ومن غير تحفظ القرار العربي الذي اتخذه وزراء خارجية الدول العربية أخيراً بطلب إدراج القضية الفلسطينية على جدول أعمال الأمم المتحدة لهذه الدورة ، لأن الأمم المتحدة منبر عالٍ لا يكلف الدول العربية إلا الجهد الأصيل والنشاط السياسي الجاد ، وإنني أنعي على الدول العربية في السنين الماضية تقصيرها في عدم عرض القضية على الأمم المتحدة . ولو أننا نتذكر ما تقوم به « إسرائيل » من حملات الدعاية الضخمة من أجل مواطن يهودي يحبس في الاتحاد السوفييتي أو في أي بلد آخر لأدركنا مدى تقصير الدعاية العربية في مصير وطن بكامله وشعب بأسره هو الشعب الفلسطيني . غير أن موافقتي على عرض القضية على الأمم المتحدة تفرض علي أن أصارح الحكومات العربية العشرين بالواجبات الكبرى التي تترتب عليها في هذا الصدد ، فإن إدراج القضية على جدول الأعمال أمر سهل يمكن الحصول عليه بيسر لأن الأمم المتحدة أصبح لديها ما يمكن أن يسمى « الجنتلمان أجريمنت » بأن كل دولة لديها شكوى نستطيع عرضها على جدول الأعمال ، لكن الصعوبة الحقيقية هي في عرض القضية عرضاً عميقاً شاملاً وتحديد المطالب الوطنية في نهاية هذا العرض ، وأعتقد أن من حق الجماهير العربية والشعب الفلسطيني أن يطالبوا وزراء الخارجية جميعاً أن يتولوا بأنفسهم ، لا عن طريق معاونيهم ، عرض القضية بإسهاب وقوة وصراحة ، لأن الذي جرى في السنين الماضية أن يوكل أمر القضية الفلسطينية إلى موظفي البعثات العربية لدى الأمم المتحدة ، على حين أن « إسرائيل » كانت على الدوام توفد وزير خارجيتها بالذات ابتداء من غولدا مائير إلى أبا إيبان لمناقشة القضية الفلسطينية ، وهذا فارق محزن يبين مدى اهتمام « إسرائيل » وتفريط الجانب العربي .

أما النقطة الرئيسية الثانية فهي المطلب القومي الذي سترسو عليه مناقشة القضية الفلسطينية ، وهنا فإن المواطن العربي والفلسطيني يطرح سؤالاً كبيراً خلاصته : ماذا ستطلبون من الأمم المتحدة ؟ وماذا أعددتم من الدراسات والمواقف لتأييد مطالبكم سواء كانت مطالب شاملة أو محدودة ؟ وأنا لا أريد أن أقترح على الوزراء والوفد الفلسطيني ماذا ينبغي أن تكون هذه المطالب حتى لا أتهم زوراً مرة ثانية بأنني أريد إلقاء « إسرائيل » في البحر . غير أن واجب الأمانة يفرض علي أن أنبه سلفاً بأن عرض القضية على الأمم المتحدة لن يكون له سوى نتائج إعلامية وسياسية ، فكائناً ما كان القرار الذي سيصدر ، حتى لو قام على أساس تحرير فلسطين بكاملها ، وهو أحد المستحيلات ، فلن يستطيع العرب أن يستعيدوا عن طريق الأمم المتحدة شبراً واحداً من وطنهم .

• تردد أنكم رشحتم شخصياً لتمثيل فلسطين في الأمم المتحدة أثناء عرض القضية ، فهل جرت معكم اتصالات بهذا الشأن ؟

- تحدث معي في هذا الموضوع بعض قادة المنظمات الفلسطينية ، كما اتصلت بي إحدى الدول العربية ، وفي هذه المرحلة غالباً أرغب أن يقتصر دوري على إسداء النصيحة إلى أية حكومة عربية أو جهة فلسطينية ، وإنني لست في حاجة إلى أن أؤكد أنني مستعد أن أضع كل تجربتي وخبرتي تحت تصرف أي جهة عربية أو فلسطينية ، بشرط أن أملك الحرية الكاملة في عرض القضية الفلسطينية من أساسها وجذورها عرضاً كاملاً شاملاً يقوم على أساسين واضحين .

أولاً : أن الوطن الفلسطيني وحده جغرافية كاملة لا تقبل التجزئة ، فإن ساحل الوطن الفلسطيني ابتداء من عكا شمالاً إلى رفح جنوباً لا يتجزأ عن الداخل الفلسطيني ابتداء من صفد شمالاً إلى الخليل جنوباً ، وعلى وجه التخصيص فإن القدس لا تمييز فيها بين قديمة وجديدة فهي في مجموعها وحدة حضارية عربية إسلامية خارج الأسوار وداخلها .

ثانياً : إن الشعب الفلسطيني كوطنه ، وحدة قومية لا تتجزأ ، فاللاجئون الفلسطينيون المعروفون بلاجئي الـ ٤٨ ، والنازحون المعروفون بلاجئي الـ ٦٧ ، كل هؤلاء يؤلفون جزءاً واحداً من الشعب الفلسطيني ، وأن الـ ٢٠٠ ألف فلسطيني الذين يعيشون في الكويت والعراق والسعودية ودول الخليج من حقهم أن يساهموا في تقرير

(*) أجرى الحديث عبد الكريم بيروتي في منزل الشقيري في كيفون بلبنان .

مصير شعبهم تماماً مثل الـ ٤٠٠ ألف فلسطيني الذين يعيشون في « إسرائيل » أو الـ ٦٠٠ ألف فلسطيني الذين يعيشون في الضفة الشرقية أو الـ ٦٠٠ ألف فلسطيني الذين يعيشون في سورية ولبنان ، وبعبارة واحدة فإن الشعب الفلسطيني في مواطنه ومهاجره هم شعب واحد من حقه أن يقرر مصيره في جميع أراضيه . لقد أوضحت هذه الأمور وغيرها إلى إحدى الدول العربية وبعض القيادات الفلسطينية ، فإذا كانت هذه الآراء مقبولة ، فسأكون أسبق الوفود العربية في الوصول إلى نيويورك ، وإذا لم تجد هذه الآراء قبولاً حسناً فإنني أدعو للوفود العربية بالتوفيق والرشاد والسداد بملء جوارحي .

- بالنسبة لمؤتمر السلام المقترح في جنيف ، هناك انقسام في الرأي بين المنظمات حول المشاركة الفلسطينية في هذا المؤتمر أو مقاطعته .. ما رأيكم في ذلك ؟

- الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى إسهاب كبير ، وقد شرحت وجهة نظري في هذا الموضوع في رسالة وجهتها إلى الرؤساء العرب الثلاثة : أنور السادات وهواري بومدين وحافظ الأسد وذلك في اليوم الأول لانعقاد مؤتمر جنيف . ويكفيني فقط أن أشير إلى أن مؤتمر جنيف ينعقد لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي صدر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ وأعلنت رفضه في اليوم التالي ٢٣ شرين الثاني/ نوفمبر بوصفي رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولقد زادتني الأعوام الماضية رسوخاً في اجتهادي ويقيني بأن قرار مجلس الأمن لا يصلح أن يكون أساساً لمرحلة نضالية لا على الصعيد العربي ولا على الصعيد الفلسطيني . أما السبب الثاني فهو أن مؤتمر جنيف ينعقد تحت مظلة نصبها الدكتور هنري كيسنجر حين أعلن في خطابه الافتتاحي لمؤتمر جنيف استشهاده بالمثل العامي المعروف بالعربية : « إللي فات مات ! » وهذه كلمة موجهة إلى الأمة العربية والشعب الفلسطيني . وأخيراً أرسلت إلى الرئيس بومدين منذ أسبوع رسالة حملها إليه السيد سعدون سفير الجزائر في دمشق ، وقد سافر بالإجازة إلى الجزائر وزارني قبل سفره فحملته رسالة مطولة إلى الرئيس بومدين أشرح فيها وجهة نظري ، وذلك لأن بومدين سيكون رئيس الجلسة الأولى لمؤتمر القمة العربي الذي سيعقد في الشهر المقبل في المغرب ، ولا أرى أنه من المناسب الكشف عن مضمون هذه الرسالة الآن[1] .

- أنتم أول من أنشأ كياناً عسكرياً لمنظمة التحرير بإنشائكم جيش التحرير الفلسطيني . ما هو الدور الذي يلعبه هذا الجيش حالياً ؟ وهل تتصورون أنه يؤدي المهمة التي أنشئ من أجلها ؟

- جيش التحرير الفلسطيني قام بأروع البطولات في حرب الأيام الستة ، فقد قاتل بكل شجاعة في قطاع غزة ، واعترفت « إسرائيل » بأن جيش التحرير الفلسطيني دمر لها في تلك الحرب ما لا يقل عن ٨٠ دبابة ، وبقي صامداً إلى أن سقطت جبهته الخلفية في سيناء ، وفي حرب الأيام الستة توافد الألوف من شبابنا الفلسطيني على سورية وخصوصاً من مناطق الخليج العربي يطالبون بالسلاح للانضمام إلى القوات العربية ، وكان هؤلاء قد تم تدريبهم في معسكرات أعدتها منظمة التحرير في مناطق الخليج ، وكانت لنا في الكويت قاعدة لتدريب المظليين ، كما قمنا بتدريب شبابنا في معسكر الرشيد في بغداد .

- وفي حرب تشرين الأخيرة أبلى جيش التحرير الفلسطيني بلاء مجيداً على الجبهة السورية ، ولا أنسى أن الفدائيين الفلسطينيين حيثما وجدوا أبدوا بطولة نادرة في حربهم مع الإسرائيليين ، وسواء كان الأمر يتعلق بجيش التحرير أو بأبطالنا الفدائيين ، فإن مشكلتهم في الالتحام المباشر مع العدو الإسرائيلي هي مشكلة عربية وليست مشكلة فلسطينية . وإن شعباً يخرج منه شباب في عمر الزهور يربطون في أوساطهم أحزمة متفجرة ليلقوا حتفهم في عمليات فدائية شجاعة ، مثل هذا الشعب يجب أن يفتح له الوطن العربي بكل قدراته ليكون قادراً على الانطلاق في مواجهة « إسرائيل » .

- مشروع الدولة الفلسطينية يدور حوله نقاش أيضاً بين الجهات الفلسطينية بين الرفض أو القبول ، ما هو رأيكم في هذه الدولة المقترحة ؟

- لا أظن أن هذا الموضوع يستحق مني جواباً مفصلاً رغم كل ما قيل بشأنه من آراء ومجادلات ، ويكفي أن نسأل الثورة الجزائرية متى أنشأت الحكومة الجزائرية المؤقتة ؟ لقد أنشئت هذه الحكومة يوم كانت الثورة على عتبة التحرير ، وأين نحن الآن من عتبة التحرير بالنسبة للتراب الفلسطيني بكامله ، بل أين نحن من هذه « الدولة » المقترحة التي تقوم على حطام الوطن الفلسطيني ، إنها أشبه ما تكون بالدولة « الدمية » والدمى يلعب بها الأطفال لا الرجال !

- في مؤتمر القمة العربية في الخرطوم بعد النكسة ، قدمتم مشروع الدولة العربية المتحدة ، أين أصبح هذا المشروع ؟

- قدمت مشروع الدولة العربية المتحدة في مؤتمر الخرطوم ، وأعلنت أنه الجواب الوحيد على هزيمة

(١) نص الرسالة ضمن مواد هذا الفصل (رقم ٣) .

العرب، وقلت إن التصدي لـ « إسرائيل » يتطلب قيام دولة اتحادية بين الدول التي تتماثل في ظروفها وخصوصاً دول المواجهة مع العدو ، ويؤسفني أن الجواب كان يومئذ من بعض الحكام العرب بأن طلبوا منا إرجاء الأمر بضعة أشهر حتى يمكن إزالة آثار العدوان ! وكان جوابي أن إزالة آثار العدوان بدول عربية متفرقة يتطلب أعواماً عديدة لا بضعة أشهر ، وها نحن الآن في العام الثامن ولم نستطع بعد إزالة آثار العدوان الإسرائيلي ... وأعتقد أن الذي يسمى الآن على ألسنة الحكام العرب بالتضامن العربي لا يمكن أن يكون بديلاً عن الوحدة العربية ، حتى أن حرب تشرين الأخيرة أثبتت أن الوحدة العربية شيء والتنسيق العربي شيء آخر . وقد رأينا ماذا فعل التنسيق في المجالات العسكرية والسياسية والبترولية ، فهل يستطيع أي حاكم عربي أن يدعي أننا منذ حرب تشرين نصدر عن سياسة عربية واحدة ؟ إنني أناشد القوى الوطنية العربية بأسرها ، والجيل الصاعد من شبابنا وطلابنا أن يعودوا ويمسكوا بزمام الوحدة العربية التي أصبحت مع الأسف « قضية يتيمة » وأرجو أن لا تطول هذه الفترة ؛ لأن إيمان الأمة العربية بقضية الوحدة أعمق وأصلب من أن تغمرها موجات التجزئة والانفصال التي تعيشها الأمة العربية في الظروف الراهنة .

- بالمناسبة ، أين أصبحت « لاءات » الخرطوم في الوقت الذي يطغى فيه الحديث عن مؤتمر السلام في جنيف ؟

- يؤسفني أن أقول إن « لاءات » الخرطوم ، وهي منسوبة إليّ ، قد دفنت في مؤتمر الخرطوم نفسه ، وقد انتصبت « نعم » مكان كل « لا » من لاءات الخرطوم ! غير أن الجماهير العربية ومعها الشعب الفلسطيني ما زالت متمسكة بهذه « اللاءات » وتضيف إليها « لا » رابعة موجهة إلى الحكم العربي المعاصر !

- كيف تقيّمون إنجازات القيادة الفلسطينية الحالية ؟ وما هي ملاحظاتكم على أسلوب العمل الذي تتبعه منظمة التحرير التي كنتم أول من تولى رئاستها ؟

- لا أريد أن أخوض في هذا الموضوع على صفحات الجرائد ، وأفضل أن أترك هذا لندواتي الخاصة مع القيادات الفلسطينية ، وفيما أسدي إليهم من النصيحة والتوجيه .

٣) رسالة الشقيري إلى الرؤساء والملوك العرب

في مؤتمر قمة الرباط ٢٦ / ١٠ / ١٩٧٤

أبعث إليكم هذه الرسالة لمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط ، والأمة العربية تواجه مرحلة بالغة الأهمية والصعوبة ، ولا أبالغ إذا قلت إنها أخطر مرحلة مرت في تاريخنا الطويل ، ولا أستثني من ذلك غزوات التتار والإفرنج على الأمة العربية في العصور الوسطى .

وإني لأستميحكم عذراً أن أبدأ هذه الرسالة بمقدمة متواضعة عن صاحبها ، بالقدر الذي يتصل بمضمونها وحوافزها وأهدافها .

فهذه الرسالة ليس مبعثها الحماس والانفعال العاطفي ، فإن صاحبها وهو يقترب من السبعين من عمره ، قد خلف الحماسة وراءه منذ زمن بعيد ، فانطفأت جذوة انفعالاته واشتعل رأسه شيباً ، وإن كان الشيب قد باكره وهو يواكب مؤتمرات القمة الأربعة من القاهرة إلى الإسكندرية إلى الدار البيضاء إلى الخرطوم ، وما أصدرت من قرارات كان التنفيذ الوحيد في معظمها أنها لم تنفذ .

وهذه الرسالة كذلك ، لا تستهدف المزاودة على أحد ، فإن صاحبها قد تخلى عن المسؤولية العامة بعد حرب الأيام الستة ، وهو يدرك بالطبع أنه أمام استحالة عملية في أن يصبح ملكاً أو رئيساً ، باعتباره فلسطيني المولد والنشأة ، والوطن العربي تسوده أوضاع التجزئة العربية التي تجعل من المواطن العربي ، إنساناً أجنبياً في كثير من نشاطاته العادية .

وهذه الرسالة أخيراً ، لا تقصد إلى التنديد بالملوك والرؤساء ، أو التشهير بمواقفهم أو الكشف عن إخائهم ، بل تستهدف - أولاً وأخيراً - دعوتهم إلى طريق الصواب والسداد والإقلاع عن الانجرار في ارتكاب الأخطاء ، فإذا كانت عودة المواطن إلى الصواب فضيلة ، فإن رجوع الحاكم عن الخطأ فضيلة أعظم وأكرم .

ومن الخير أن مؤتمركم قد ظل يؤجل من وقت لآخر ، حتى رسا أخيراً على الموعد الحاضر بعد قرابة عام واحد على انعقاد مؤتمر القمة الأخير في الجزائر ، وبهذا تهيأت الفرصة كاملة لمزيد من كشف الموقف بكل أبعاده ، وأول ما يتبادر إلى الأذهان أن الواجب يقضي أن يكون أمامكم كشف حساب عن العام بكامله ، يسرد بصدق وأمانة أخطاءكم وإنجازاتكم .

وإني لأعتقد مخلصاً ، أنكم في هذه الفترة العصيبة ، أحوج ما تكونون إلى كشف بأخطائكم لا منجزاتكم ، فهذه تتولى إشهارها أجهزة الإعلام العربية الرسمية ، تشيد بها وترددها بحرية كاملة من غير قيود ولا حدود .

ولست أعتذر عن استعمال كلمة « الخطأ » حين أنسبها إلى مواقفكم ، فإني لا أجد في اللغة العربية - وما أغناها - لفظاً أكثر أدباً وعفة ولطفاً من كلمة الخطأ في التعبير عن الخطأ .

ولا أحسب أن الأمر في حاجة إلى اعتذار ، حتى في مخاطبة الملوك والرؤساء في لهجة قاسية غير نابية ، فإن المصير لا يحتمل المجاملة والملاطفة ، وحرب رمضان المجيدة التي رفعت رأس الأمة العربية شامخاً ، تمر هذه الأيام في عنق الزجاجة ، وأحوج ما تحتاج إليه أن تظل في حمى من الأخطاء التي تتعاقب عليها ، حتى لا تتآكل إنجازاتها العظيمة في غمرة المساومات السياسية شيئاً فشيئاً ، ولا يتناقص رصيدها في مهب الرياح الدولية يوماً بعد يوم .

ومن هنا ينشأ الواجب الأسمى في مكاشفة أولي الأمر بأخطائهم ، بصدق وشجاعة ، فليس الدين ولكنها الدين والدنيا ، ومن هنا كذلك وجب على أولي الأمر أن يلتزموا بالنصيحة ، وأن يقوّموا المعوج من آرائهم ومواقفهم ، والتراث العربي غني كل الغنى بسيرة حكامنا الأوائل الذين كانوا يحمدون الله ، أن في رعاياهم من يقوّم اعوجاجهم بالحوار وبالنار .

وانطلاقاً من هذا كله ، فسأقتصر في رسالتي هذه إليكم على بيان الأخطاء السياسية الفادحة التي وقعت بعد حرب رمضان ، ثم أختم بعد ذلك باقتراح خطة بديلة ، تجنب الأمة العربية المآزق والمزالق التي تواجهها ، وتمكن النضال العربي من استئناف مسيرته في تحقيق أهدافه القريبة والبعيدة .

المهادنة الأميركية :

وأول هذه الأخطاء وأقدمها على الإطلاق ، أن الحكومات العربية راحت بعد حرب رمضان تتعامل مع الولايات المتحدة ، تعاوناً غير متوازن ولا موزون ، بل إنه يتسم بالمغامرة من غير مبرر سليم أو تقدير صحيح . فقد أعلن الجانب العربي ثقته بالولايات المتحدة من غير تحفظ ولا احتراز ، وأكد تأكيد الواثق أن السياسة الأميركية قد غيرت موقفها بصورة جذرية ، وجعل منها وسيطاً وضامناً لما يسمى بالتسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط .

وامتداداً لهذا الخطأ الفادح ، فقد انطلقت التصريحات العربية الرسمية تردد أن الدكتور كيسنجر

وزير الخارجية الأميركي هو صانع المعجزات، وأنه أهل للثقة العربية الكاملة، وراحت أجهزة الإعلام العربية الرسمية تدخل في روع المواطن العربي أن أميركا بوزير خارجيتها الدكتور كيسنجر ستحقق للأمة العربية مطلبها المرحلي الراهن في الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة، وتحقيق المطالب المشروعة للشعب الفلسطيني.

وهذا التضخيم لأميركا والتعظيم لوزير خارجيتها، إنما يعود بالأمة العربية خمسين عاماً إلى الوراء ... إلى تلك الحقبة العربية المتخلفة في أوائل العشرينات حين سادت القيادات العربية موجة من التفخيم والتعظيم لشخصية الكولونيل لورنس - الذي وصف يومئذٍ بأنه صانع المعجزات ومدبر الحروب والانقلابات وصديق العرب الأكبر - القادر على انتزاع الاستقلال من مخالب الحلفاء، حتى أصبح يلقب بـ « ملك العرب غير المتوّج » .. ما لبثت أن كشفت أن الكولونيل لورنس ومعه دول الحلفاء، قد نكثوا عهودهم وفرضوا على البلاد العربية الاستعمار والصهيونية والتجزئة، ولا تزال الأمة العربية تئن تحت كابوس هذا البلاء الثلاثي الرهيب.

ومثل الكولونيل في الماضي، فإن الدكتور كيسنجر في الحاضر قد لبس الكوفية والعقال، وأخذ يصطنع صداقة العرب وينتزع ثقتهم، ويمنيهم بأنه سيصنع لهم المعجزات، على حين أن المعجزة الكبرى التي يتطلع الدكتور كيسنجر إلى إنجازها هي أن يحمل الحكومات العربية على الاعتراف بـ « إسرائيل » والصلح معها والتعايش بجوارها، وتلك حقاً معجزة كبرى فشلت « إسرائيل » في الوصول إليها، منذ نشأت إلى يومنا هذا.

ولسنا في حاجة في العودة إلى تاريخ الولايات المتحدة، ودورها الرهيب في إلحاق أكبر كارثة بالأمة العربية فيما بذلت من جهود ضخمة في نشوء « إسرائيل » ودعمها المتواصل، في خلال الخمس والعشرين سنة الماضية، ويكفي أن نذكر أن أميركا بإمداداتها العسكرية الضخمة، كانت هي السبب الوحيد في أنها طوّقت حرب رمضان المجيدة وحالت بينها وبين النصر الكامل.

ليس هذا فحسب، بل إن أميركا هي التي مكنت « إسرائيل » من استعادة زمام المبادرة، لتصل قواتها العسكرية إلى الضفة الغربية في مصر وإلى جبل الشيخ في سورية، بعد أن اجتازت القوات المصرية الباسلة القناة، ودمرت خط بارليف، وبعد أن اخترقت القوات السورية الشجاعة خطوط العدو ودمرت تحصيناته، وأشرفت على بقاع فلسطين المحتلة.

بل إنه يكفي أن نذكر أن أميركا، وحتى بعد وقف إطلاق النار، قد أمدت « إسرائيل » بالمعونات المالية الضخمة والإمدادات العسكرية المتوالية، لتضمن لها على الدوام التفوق العسكري، وكان آخر هذا المدد ما قدمته الولايات المتحدة لـ « إسرائيل » من الدبابات والطائرات من مخازن حلف الأطلنطي في ألمانيا، قدمته في هذا الشهر وعلى عجل، كأنما المعركة واقعة اليوم أو غداً.

ولم تكتفِ أميركا بهذا كله، بل انتهزت فرصة انعقاد الأمم المتحدة في دورتها الأخيرة، فخطب الرئيس الأميركي ووزير خارجيته، وكأنما الأمة العربية في قفص الاتهام، فراحا يهددان ويتوعدان الدول العربية، ويعتبران البترول العربي مسؤولاً عن الأزمة الاقتصادية العالمية، وجعلا الأمم المتحدة منبراً للتشهير بالأمة العربية، وكأنما أصبحت الحرب الباردة - التي كانت قائمة في الخمسينات بين أميركا وروسيا - حرباً أخرى بين أميركا والأمة العربية في السبعينات.

وقد تولى وزراء خارجية الدول العربية الرد على التهديدات الأميركية، كما تولى رئيس الوفد الصيني تفنيد الموقف الأميركي تفنيداً أثار إعجاب الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ... ولكن الرد العربي في قاعة الأمم المتحدة يجب أن يرد برد عربي حاسم في الوطن، فالعداء الأميركي يجب أن يقابله عداء عربي، يتسم بالحكمة والشجاعة حقاً.

ولقد كان على رأس إنجازات حرب رمضان أن الأمة العربية قد اكتشفت ذاتها واكتشفت معها قدراتها الرادعة الفاعلة، وبعد أن انقضى هذا العام على حرب رمضان، وما خلف من دروس وعبر، فإن الدرس الأكبر الذي يتوجب على الملوك والرؤساء أن يتعلموه ويعملوه، هو أن يشهروا في وجه أميركا جميع أسلحة الردع التي يملكونها من دبلوماسية واقتصادية ونفطية على جميع الجبهات وفي جميع الميادين .. ولست في حاجة أن أسردها أو أفصلها، فإن الجماهير العربية تعرفها حق المعرفة، وما فتئت تنادي بها منذ أن أقامت أميركا « إسرائيل » في وطننا، فحالت دون وحدتنا ونهضتنا واستنزفت حياتنا ووجودنا، وإن موقف الردع الذي أدعوكم إليه لا ينبع من الشعور بالبغضاء نحو الولايات المتحدة لغير ما سبب، فأنا أنتمي إلى جيل عربي كان يطالب في المشرق العربي، في أوائل العشرينات بانتداب أميركي على ديار الشام، إذا كان مطلب الاستقلال لا سبيل إلى تحقيقه.

كان ذلك مبلغ إعجابنا وثقتنا في الولايات المتحدة يومئذٍ، أما وقد أخذت السياسة الأميركية تناصبنا العداء بعد ذلك، منذ قرار الولايات المتحدة بإنشاء الدولة اليهودية في عام ١٩٤٧ إلى هذا الشهر واليوم الذي تعقدون فيه مؤتمركم العتيد .. فقد أصبح الواجب القومي يدعوكم أن تقابلوا العداء بالعداء.

لقد اختارت السياسة العربية أن تهادن أميركا ، وقد مضى عام كامل على التجربة ، فماذا كانت حصيلة التجربة ؟

إذا كان العام الذي مضى بكل اجتماعاته ومؤتمراته ومماطلاته ووعوده ، قد أثبت شيئاً ، فقد أثبت أن التجربة فاشلة ، وأن الاستمرار فيها يعود إلى نتائج فاشلة .

لقد أثبت هذا العام أن سياسة الدكتور كيسنجر في الوصول إلى تسوية سلمية قد رست على حصيلة واحدة : مجاملات وقبلات للدول العربية ، ودبابات وطائرات لـ « إسرائيل » .

وليس هذا سجعاً مصنوعاً ، ولكنه حقائق صارخة تتحدث عن نفسها بنفسها ، وما على الملوك والرؤساء إلا أن يستمعوا إليها ويعملوا بهديها ، ألم يخطبوا مرات ومرات : نعادي من يعادينا ونصادق من يصادقنا .

أميركا تستخدم سلاحنا :

وثاني الأخطاء العربية الفادحة ، فإنه يتمثل في الطريقة التي استخدم فيها البترول العربي ، فقد سار في دروب ملتوية ، وانتهى به الأمر دون أن يحقق أهدافه العربية وانتزعته أميركا من أيدينا ، فدعمت اقتصادها وحققت لشركاتها أرباحاً طائلة ، وألحقت بشركائها في حلف الأطلنطي واليابان خسائر فادحة .

ولن يغفر التاريخ العربي للحكام العرب أنهم ارتكبوا أكبر تراجع عن قراراتهم المعلنة بصدد سلاح البترول .. تراجعوا عنها بعد أن كادوا يقطفون ثمارها ، ودون أن يحققوا الأهداف التي أعلنوها ، واندلعت ألسنة الإعلام الرسمية تهلل لأثرها وخطرها .

وها أنا أعود إلى المحاضر الرسمية ، لأسرد على الملوك والرؤساء مواقفهم بنصوصها وتواريخها في عرض موجز حسب الترتيب الزمني :

في ١٩٧٣/١٠/١٦ أي بعد عشرة أيام من حرب رمضان أصدر وزراء النفط العرب في اجتماعهم الذي عقدوه في الكويت ، قراراً واضحاً ينص على تخفيض إنتاج النفط فوراً بنسبة لا تقل عن خمسة بالمائة حتى يتم انسحاب « إسرائيل » من كل الأراضي العربية المحتلة ، وحتى تعاد للشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة ، وأن يوجه الخفض نحو الولايات المتحدة في المقام الأول .

وقد كان هذا القرار حلاً وسطاً بين اتجاهين مختلفين ، فقد كان العراق وليبيا والجزائر يصرون على موقف أشد صرامة تجاه أميركا ، وكانت الدول العربية الأخرى ترى أن تعالج الأمور « بالرويّة والحكمة والتدرج » .

وكائناً ما كان هذا الاختلاف ، فقد ابتهجت الأمة العربية لقرار مؤتمر الكويت ، ورضيت به كخطوة أولى على الطريق ، وخاصة أنه ربط البترول العربي بالانسحاب الكامل وضمان حقوق الشعب الفلسطيني بصورة كاملة لا تشوبها شائبة .

وفي ١٩٧٣/١٠/١٨ أصدرت الحكومة السعودية بياناً رسمياً أعلنت فيه أنها ستبذل كل مساعيها لدى حكومة الولايات المتحدة الأميركية ، لتعديل موقفها الحالي بدعم « إسرائيل » في حربها مع الدول العربية ، وإذا لم تثمر هذه المساعي فإن السعودية سوف توقف تصدير النفط للولايات المتحدة .

وفي ١٩٧٣/١٠/١٩ حظرت الجمهورية العربية الليبية شحن النفط إلى الولايات المتحدة الأميركية ، وفي اليوم نفسه أصدرت السعودية قراراً بوقف تصدير النفط إلى الولايات المتحدة بسبب إمدادات السلاح الأميركي لـ « إسرائيل » .

وأعلنت الدول العربية الأخرى المنتجة للنفط إجراءات مماثلة تنفيذاً لقرارات مؤتمر الكويت .. على حين بقي العراق في تنفيذ سياسة التأميم بدلاً من التخفيض .

وفي ١٩٧٣/١٠/٢٢ صدر قرار وقف إطلاق النار ، ولكن الدول المنتجة للنفط استمرت في إجراءاتها التي اتخذت ، وأعلنت في اليوم نفسه ، أن سلاح النفط لن يتوقف بتوقف القتال ، وأن الحظر على تصدير البترول إلى أميركا سوف يستمر إلى أن يتم انسحاب « إسرائيل » الكامل من الأراضي العربية المحتلة ، وتستعاد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

وفي ١٩٧٣/١١/١٥ أصدرت منظمة الأقطار العربية المنتجة للنفط بياناً أعلنت فيه : أن الدول العربية ستواصل فرض القيود على إنتاج النفط إلى أن تقرر الأسرة الدولية اتخاذ إجراءات حاسمة وفعالة لحمل « إسرائيل » على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة .

وفي اليوم نفسه أعلن وزير النفط الكويتي تعليقاً على هذا البيان « بأن حظر النفط العربي على أميركا سيبقى ساري المفعول ، طالما استمر الاحتلال للأرض العربية ، وما دام الشعب الفلسطيني لم يسترد حقوقه المشروعة » .

وفي ١٩٧٣/١١/٢١ أعلن الدكتور كيسنجر تحذيراً إلى الدول العربية المنتجة للنفط ينذر فيه « بقيام الولايات المتحدة بإجراءات مضادة إذا استمرت حرب النفط العربية » .

وجاء الرد العربي على التهديد الأميركي سريعاً وحاسماً وواضحاً ..

ففي ١٩٧٣/١١/٢٢ رد وزير النفط السعودي قائلاً : إذا ما لجأت الولايات المتحدة إلى التدخل العسكري فإن بلاده ستعمد إلى تفجير عدد من آبار نفطها ، وأضاف أنه إذا ما وضع جدول زمني بالانسحاب الإسرائيلي من الأرض العربية فسيوضع جدول مقابل بالزيادة النفطية ، وأنه عندما يتم الانسحاب كلياً سيعود إنتاج النفط إلى ما كان عليه قبل حرب تشرين .

وفي ١٩٧٣/١١/٢٦ انعقد مؤتمر القمة العربي في الجزائر واتخذ قراراً حاسماً .. « باستخدام النفط العربي كسلاح .. والاستمرار في الحظر بالنسبة للدول المساندة لـ « إسرائيل » .

وعقب انتهاء مؤتمر الجزائر ، شرح الرئيس بومدين - بوصفه رئيساً لمؤتمر القمة العربي - القرار الذي اتخذه الملوك والرؤساء بصدد حظر البترول العربي ، ورد على تهديدات الدكتور كيسنجر بشأن قيام الولايات المتحدة الأميركية بعمل عسكري لاحتلال منابع النفط العربي بقوله « هذا كلام فارغ ، هل يريدون وضع دبابة على كل متر مربع في العالم ، لقد قلت عندما تحدثوا عن الوحدات الأميركية الخاصة التي تتدرب في الصحراء استعداداً لاحتلال منابع النفط العربي ، أن هذا يكلفنا بضعة فدائيين لنسف آبار البترول ، وستكون كارثة الغرب كارثة كبرى » .

وفي ١٩٧٣/١٢/٤ عاد الرئيس الجزائري ، وكرر تحذيره بقوله « إذا حاول الغرب التصرف بعجرفة أو استخدام القوة فإنه سيصاب بكارثة ، وإن كل آبار النفط ستحرق ، وكل أنابيب النفط ستدمر ، وسيدفع الغرب الثمن » .

وفي ١٩٧٣/١٢/٩ عقدت منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط اجتماعاً لدراسة الموقف من جديد ، واتخذت القرارات الآتية :

أولاً : إذا تم التوصل إلى اتفاق حول الانسحاب الإسرائيلي من كل الأراضي المحتلة ، وفي مقدمتها مدينة القدس بموجب جدول زمني موقَّع من « إسرائيل » وتضمن الولايات المتحدة تنفيذه ، فإن الحظر على تصدير النفط إلى الولايات المتحدة سيرفع فور بدء تنفيذ الجدول الزمني للانسحاب .

ثانياً : يعقد وزراء النفط حال الاتفاق على الجدول الزمني للانسحاب اجتماعاً لوضع جدول زمني لإعادة إنتاج النفط إلى المستويات التي كان عليها ، متماشياً بذلك مع مراحل الانسحاب .

ولقد كان هذا القرار العربي الأخير واضحاً ومحدداً يربط ربطاً محكماً بين البترول والانسحاب الإسرائيلي من الأض العربية ، ومن القدس ، وأيقنت الأمة العربية أن الحكومات العربية جادة حقاً هذه المرة ، وأن الجلاء الإسرائيلي أصبح قاب قوسين أو أدنى ، وأن حرب رمضان المجيدة وإلى جانبها حرب البترول ، سوف تحقق هدفها المرحلي في تحرير الأرض العربية من شرم الشيخ إلى جبل الشيخ وإلى القدس وقلقيلية .

غير أن الأمة العربية قد أفاقت صباح التاسع عشر من شهر آذار ١٩٧٤ على فاجعة جديدة تضاف إلى الفواجع السابقة .. وسيظل اليوم التاسع عشر من آذار يوماً تعيساً في تاريخ هذه الحقبة من نصالنا .

في ذلك اليوم وقفت الأمة العربية أمام سراب الحكم العربي ، فقد أصدرت الحكومات العربية قراراً بإلغاء كل قراراتها السابقة ، ورفعت الحظر عن الولايات المتحدة دون أن تنسحب « إسرائيل » شبراً واحداً من الأراضي العربية المحتلة أو عن بيت المقدس ، وإذا كانت الأمة العربية قد فجعت بقرار وقف إطلاق النار في المعركة العسكرية بعد أسبوعين من اندلاعها ، فقد كانت فاجعتها أكبر وأكبر بوقف إطلاق النار في معركة النفط .. فالمعركة العسكرية لا تخلو من أسرارها ومضاعفاتها ، ولكن معركة النفط كانت واضحة المعالم ، وكانت الأمة العربية تتابع تطوراتها يوماً بعد يوم ، وتلمس نتائجها الباهرة .

وعلى هذا فإن الحكام العرب لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم في قرارهم الخاطئ ، بعودة سلاح البترول إلى غمده قبل أن يحقق أهدافه المعلنة والمؤكدة المرة بعد المرة ، وأن رفع الحظر عن أميركا ، استجابة لرغبة أميركا ، دون أن نظفر منها ولو ببيان يلزم « إسرائيل » بالانسحاب الكامل .

واليوم فإن الفرصة مواتية أمام الملوك والرؤساء المجتمعين في مؤتمر القمة ، لأن ينجو من مسؤوليتهم التاريخية في الخطأ الذي ارتكبوه .. لا بالاعتذار والاستغفار ، ولكن بالتصحيح الواضح الصريح .. بالعودة إلى الصواب ، فها قد مضى عام على الحظر ورفع الحظر ، والأرض العربية تحت الاحتلال والقدس تحت التهويد .. والأمة العربية لا تطالبكم بأكثر من قراراتكم التي تفاخرتم بها زمناً طويلاً .

وإني لأرجو أن لا تعتبروا هذا المطلب القومي ، مزايدة ، أو غوغائية ، أو عاطفية ، وهي الرد الشائع على كل مطلب قومي ، فإن الموقف الإسرائيلي يدعوكم اليوم أكثر من أي وقت مضى ، أن تعودوا لاستخدام سلاح النفط بحكمة وشجاعة ، بعد أن أعلنت « إسرائيل » في قاعة الأمم المتحدة ، أنها ترفض العودة إلى خطوط ١٩٦٧ وتعتبر بيت المقدس بشطريها العاصمة الخالدة لـ « إسرائيل » .

التحرك السياسي بعيداً عن حرب رمضان :

وثالث الأخطاء العربية الفادحة ، يتجسد في التحرك

السياسي العربي الذي جاء في أعقاب حرب رمضان، فما أن تم وقف إطلاق النار، حتى أخذت السياسة العربية تسير بعيداً عن حرب رمضان وانتصاراتها المجيدة، وبدا واضحاً أن الخط السياسي العربي راح يستمد سيره من هزيمتنا في حرب الأيام الستة، بدلاً من أن ينطلق من انتصاراتنا في حرب رمضان .. وهذا الحكم صارم من غير شك، ولكنه ليس بظالم على أي حال، فقد اختار حكام العرب في تحركهم السياسي المطالبة بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وهو القرار الذي أملته ظروف هزيمتنا في حرب الأيام الستة، فجاء الخط السياسي العربي بعد حرب رمضان ردة إلى الوراء، إلى حقبة الهزيمة، وكأنما حرب رمضان لم تقع، وكأنما سقطت انتصاراتها شهيدة مع أبطالنا الشهداء.

ولقد كانت أمام حكام العرب صياغات دولية كثيرة، تخاطب فيها العالم الدولي، دون أن تسهم باطلاً وزوراً مرة أخرى بأننا نريد إلقاء اليهود بالبحر، ومن الإنصاف أن نعيد إلى الذاكرة أن الرئيس السادات، قد أعلن في خطابه في ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣ أننا على استعداد فور الانسحاب من كل الأراضي العربية المحتلة، أن نحضر مؤتمر سلام دولي في الأمم المتحدة، وأننا في هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة والجمعية العمومية ومجلس الأمن. ولكم وددت وأنا أستمع إلى خطاب الرئيس السادات أن ترسخ عبارة «فور الانسحاب» على الأرض العربية رسوخ جبل المقطم، وأن تثبت على طريقنا السياسي ثبات أبي الهول.

ولكن سرعان ما تقلص هذا الموقف الدولي، الموقف الذي حدده الرئيس السادات بعناية مركزة، وتحول من الالتزام بجميع قرارات الأمم المتحدة، وانحصر في المطالبة بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وصاحب ذلك حملة إعلامية ضخمة تؤكد أن قرار مجلس الأمن ينص على الانسحاب الإسرائيلي الكامل من جميع الأراضي العربية، وينص كذلك على المحافظة على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .. مع أن المواطن العادي - حتى ولو لم يكن على حظ من الثقافة السياسية - يدرك بسهولة حينما يقرأ نص ذلك القرار، كما أصدره مجلس الأمن، لا كما نشرته الأجهزة العربية الرسمية، بأنه لا ينص على الانسحاب الكامل، ولا يتحدث إطلاقاً عن «الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني».

ونحن نذكر أن الوفود العربية لدى مجلس الأمن كانت قد كافحت كفاحاً مريراً لكي تقنع أعضاء المجلس، بأن يضموا «أل» التعريف على كلمة «أراضٍ» ليكون الانسحاب شاملاً كاملاً، ولكن المجلس قد ضنّ على الدول العربية بـ«أل» التعريف، لتبقى قبضة «إسرائيل» في عنق الأمة العربية.

وواضح أن قرار مجلس الأمن، وهو أسوأ قرار أصدرته الأمم المتحدة بعد قرار التقسيم الشهير، منح لـ«إسرائيل» معظم مطالبها، وتتلخص فيما يلي:

أولاً: الاعتراف بـ«إسرائيل» كدولة مستقلة ذات سيادة.

ثانياً: الاتفاق معها على حدود آمنة معترف بها.

ثالثاً: الالتزام باحترام وحدتها الإقليمية، وأمنها وسلامة أراضيها.

رابعاً: إنهاء حالة الحرب بين الدول العربية و«إسرائيل».

خامساً: التنازل عن الادعاءات والمطالب السابقة (وهذا يعني فلسطين).

سادساً: حرية الملاحة في قناة السويس وخليج العقبة.

هذا ما أعطاه قرار مجلس الأمن لـ«إسرائيل»، بالإضافة إلى تصفية المقاومة الفلسطينية، ولم يعط الدول العربية إلا الانسحاب من «أراضٍ» في صيغة مكبلة بالقيود .. مضافاً إلى تجريد مناطق عربية من السلاح إلى أجل غير محدود، فيما يشبه نزع السيادة العربية عنها.

وفيما يخص اللاجئين الفلسطينيين، فإن قرار مجلس الأمن، لم ينص على التزام «إسرائيل» بعودتهم إلى ديارهم ووطنهم، بل نص في فقرة ثانوية على «تسوية عادلة للاجئين الفلسطينيين».

ولقد كان طبيعياً أن يصدر قرار مجلس الأمن بالصيغة التي جاء فيها، فإن هزيمة حرب الأيام الستة كان لا بد أن ينعكس أثرها على مجلس الأمن .. وهذه المنظمة الدولية لا تعطي الشعب، أي شعب، إلا بقدر ما يأخذ في ساحة المعركة .. لا أكثر ولا أقل ..

ولكن لم يكن من الطبيعي إطلاقاً من الحكام العرب، بعد أن أسقطت حرب رمضان أسطورة الحدود الآمنة، أن يقبلوا القرار الصادر من مجلس الأمن الذي يقوم على الأسطورة ذاتها، وكانت مفارقة عجيبة حقاً أن تبني السياسة العربية أسطورة أسقطتها العسكرية العربية الباسلة.

مؤتمر جنيف:

ورابع الأخطاء العربية الفادحة، هو الاشتراك في مؤتمر جنيف، وعلى أساس قرار مجلس الأمن إياه .. وبقدر ما كان موقف الملوك والرؤساء سليماً وواضحاً في مؤتمر الجزائر، فقد كان الموقف خاطئاً بالكلية في الاشتراك بمؤتمر جنيف.

ذلك أن مؤتمر الجزائر، وقد سبق مؤتمر جنيف بشهر واحد تقريباً قد قرر أن مرحلة النضال العربي هي:

أولاً: التحرير الكامل لكل الأراضي العربية المحتلة،

وعدم التنازل أو التفريط في أي جزء من هذه الأراضي ، أو المساس بالسيادة الوطنية عليها .

ثانياً : تحرير مدينة القدس العربية ، وعدم القبول بأي وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على المدينة المقدسة .

ثالثاً : الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

رابعاً : قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً ، ولا يجوز لأي طرف عربي التنازل عن هذا الالتزام ، وذلك وفق ما قررته مؤتمرات القمة السابقة .

هذه قرارات واضحة وملزمة حقاً ، ولكن العيب الذي رافق مؤتمرات القمة منذ أن انعقد مؤتمر الملوك والأمراء في زهراء أنشاص ، في عهد الملك فاروق ، أن قرارات القمة سليمة دائماً وأبداً ، ولكن الالتزام بها لم يكن سليماً دائماً وأبداً .

ولقد حسبنا بعد حرب رمضان المجيدة ، أن « حليمة لن تعود إلى عادتها القديمة » ، ولكنا شهدنا بعد أن انفرط مؤتمر القمة في الجزائر بشهر واحد ، أن الوفود العربية تشترك في مؤتمر جنيف لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، الذي يستهدف تصفية القضية الفلسطينية من أساسها ، وفي مخالفة واضحة للقرارات التي اتخذها مؤتمر القمة العربي في الجزائر .

ويكفي للتدليل على أهداف مؤتمر جنيف ، أن الدكتور كيسنجر قد افتتح خطابه مستشهداً بالمثل العامي المعروف « اللي فات مات » ، وإذا كان هذا الاستشهاد يعني شيئاً فإنه يعني موت القضية الفلسطينية كما يشتهي الدكتور كيسنجر ، والولايات المتحدة ، و « إسرائيل » بطبيعة الحال .

ومن أجل ذلك فإن استئناف العمل في مؤتمر جنيف ، بعد أن وضحت الأهداف بالتجربة والممارسة ، لا يتفق إطلاقاً مع المبادئ الأساسية للقضية العربية ، ولا مع المواقف الرسمية التي أعلنها قادة العرب منذ خمسين عاماً إلى يومنا هذا ، ولا مع مؤتمرات القمة من بدايتها حتى الآن .

الاستمرار في الخطأ :

وخامس الأخطاء العربية الفادحة ، بل أفدحها على الإطلاق ، هو الاستمرار في طريق الخطأ بعد أن وضحت كل منعطفاته ومزالقه .

والآن وقد مضى عام واحد على وقف إطلاق النار ، وعلى مؤتمركم الذي عقدتموه في الجزائر ، يمكن التأكيد بصورة جازمة أن معالم الطريق أصبحت واضحة حتى للذين أرادوا أن يكتشفوه بأقدامهم لا برؤوسهم .

لقد وضح على وجه قاطع أن طريق مؤتمر جنيف مسدود من كل أطرافه ، وأنه إذا كان مفتوحاً فعلى سراب .. والمفكرون العرب حذروا من عواقبه قبل انعقاده ، فإن السياسة الأميركية معروفة والأهداف الإسرائيلية مفضوحة ، وليس الأمر في حاجة إلى عبقرية خارقة لكشف المكشوف وفضح المفضوح .

ومع ذلك فقد مر هذا العام ليكشف عن الحقيقة في مجموعة من الوقائع المعلنة ، تثبت بما لا يقبل الشك أن المرحلة النضالية التي رسمت حدودها في مؤتمر الجزائر يستحيل تنفيذها بالوسائل السياسية ، إلا إذا كانت السياسة العربية المعاصرة تريد أن تسجل تراجعاً آخر يضاف إلى التراجعات العديدة السابقة .

وتتلخص هذه الوقائع المعلنة فيما يلي :

أولاً : لقد أعلن الدكتور كيسنجر غير مرة أنه يسعى للوصول إلى حل وسط بين المطالب العربية والإسرائيلية ، وهذا يعني أن المطالب العربية لا يمكن تحقيقها كاملة .. كما التزم بها الملوك والرؤساء في مؤتمر الجزائر .

ثانياً : قدمت أميركا - عشية انعقاد مؤتمر جنيف وبعده - مساعدة عسكرية ومالية لـ « إسرائيل » ، دون أن تلتزم « إسرائيل » بأي موقف محدد بالنسبة إلى الانسحاب .

ثالثاً : رفضت « إسرائيل » أثناء مباحثات الفصل بين القوات أن الاتفاقية هي خطوة أولى على طريق الانسحاب الكامل .

رابعاً : توالت التصريحات الإسرائيلية ، وآخرها منذ أيام ، بأنها لا تعتزم العودة إلى خطوط ١٩٦٧ ، وأنها تصر على البقاء في الجولان ومواقع معينة من سيناء ، وقد أعلنت المصادر الإسرائيلية أن « إسرائيل » تقوم ببناء تحصينات جديدة في الجولان تبلغ تكاليفها عشرين مليون جنيه إسترليني .

خامساً : ازداد الموقف الإسرائيلي وضوحاً حين أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي شعار « قطعة من الأرض مقابل قطعة من السلام ، وأن « إسرائيل » مستعدة لتقديم تنازلات إقليمية .. وهي تتنازل بذلك من أرضنا لنا ، مقابل تنازل من أرضنا لها .

سادساً : أن مؤتمر جنيف سيغرق وربما لأعوام طويلة في خريطة تفصيلية أعلنت عنها « إسرائيل » تبين فيها المواقع التي ستحتفظ بها والمواقع التي ستتنازل عنها .

سابعاً : وبالنسبة للاجئين الفلسطينيين فإن الموقف الإسرائيلي واضح ، يقوم على أساس توطينهم خارج فلسطين ، في تعبير « إسرائيل » أن الأرض العربية شاسعة ، وأموال العرب وافرة .

ثامناً : أما بيت المقدس ، وهي التي تتميز عن سائر الحواضر العربية بأنها أعظم ساحة عربية شهدت أعظم صراع بين الشرق والغرب ، فالموقف الإسرائيلي بشأنها لا يحتمل مرة واحدة من الشك .. إن القدس عند « إسرائيل » هي العاصمة الخالدة ، شرقها وغربها ، ولا يمكن التخلي عنها بالطرق السياسية ، و « إسرائيل » التي خرجت من القنيطرة في إطار اتفاق الفصل ، بعد أن هدمتها حجراً على حجر ، لا يمكن أن تخرج من بيت المقدس إلا في معركة طاحنة تطحن فيها القوات الإسرائيلية عند حائط المبكى .. وعلى ضوء هذه الحقيقة يجب أن يخطط الملوك والرؤساء لتحرير بيت المقدس .. فالكفاح المسلح هو طريق التحرير ولا طريق سواه .

تاسعاً : إن « إسرائيل » ماضية في تصعيد هجرة اليهود السوفييت ، ولا تترك أميركا فرصة إلا وتلح على الاتحاد السوفييتي لإباحة الهجرة اليهودية ، وفي المؤتمر الصحفي ، الذي عقده الدكتور كيسنجر عشية سفرته الأخيرة إلى الشرق الأوسط ، صرح بأن المساعي الأميركية للضغط على هذا الموضوع الخطير ستستمر .. ودار البحث بين موسكو وواشنطن على إباحة الهجرة ، وانتهى الأمر بأن أعلنت المصادر الرسمية من واشنطن بأن الاتفاق قد تم مع موسكو وواشنطن على تسهيل هجرة اليهود السوفييت إلى « إسرائيل » بمعدل ستين ألفاً في العام .. فماذا بقي من التسوية السلمية ؟

عاشراً : تعتزم « إسرائيل » تسليم الضفة الغربية وقطاع غزة ، من غير القدس الكبرى والقرى الأمامية ، بحيث لا تملك المقومات الاقتصادية ولا القدرات الدفاعية ، ولا تحقق للشعب الفلسطيني أدنى طموحاته الوطنية .. وأي طموح هذا بعد تسليم معظم الوطن إلى العدو الدخيل ! وإذا كان هناك من طموح فإنه طموح العدو أن نعترف به ، ونعترف بوطننا وطناً له[1] .

هذه هي الأخطاء ، فما هو الصواب ؟ :

سؤال كبير ، ويملك الملوك والرؤساء أن يطرحوه في وجه كل ناقد ، ويملكون أن يقولوا إن النقد سهل يسير لا يكلف إلا تحريك القلم واللسان .. ولكن واجب الملوك والرؤساء أن يعبدوا الطريق إلى الصواب ، والصواب يصبح حينئذٍ يسير المنال .. إنه يسير المنال حين تفتح الأنظمة العربية المجال حراً أمام المفكرين العرب - وما أكثرهم - للتعبير عن آرائهم في الصحافة والإذاعة والمؤسسات العامة ، وكلها تابعة بشكل أو بآخر للسلطة في معظم الدول العربية ، فحينئذٍ يستطيع أهل الفكر من هم في الحكم وخارج الحكم ، أن يصارحوا الحاكم بالخطأ قبل وقوعه ، وأن يردوه عنه بعد وقوعه .

إن إطلاق الحرية لكل مواطن عربي بالممارسة الفعلية لا بالنص الدستوري فحسب ، ليعبر عن رأيه ويشترك في تقرير مصير أمته هو الذي يقود الحكم والحاكم إلى الصواب ، ويجنبه الخطأ والاستمرار في الخطأ .

ولو أن الحكم العربي ، منذ فجر الاستقلال إلى يومنا هذا لم ينفرد في معظم الأحوال بالسلطة ، في معزل عن الشورى الحقيقية ، والحرية الفعلية لتجنبت الأمة العربية كثيراً من المخاطر التي أحاطت بها .. وما كان أكثر منها .

ولهذا فإن الصواب ، والانتقال من خطة خاطئة إلى خطة سديدة ، يحتاج أول ما يحتاج إلى حوار حر يعبر عن مشيئة الأمة وإرادتها من غير هيبة ولا رهبة .

وفي ظل الحوار الحرّ الرشيد ستتضح للحكم العربي ، في هذه المرحلة بالذات ، معطيات محددة تتلخص في الحقائق التالية :

إن الحل الأميركي الإسرائيلي يستهدف - بأسلوب المراحل المتدرجة - أن ينزل بنا من موقع إلى موقع ، حتى يتحقق للصهيونية حلمها القديم في أن نعترف بالدولة اليهودية ، أرضاً ووجوداً وسيادة ، وتصبح عضواً طبيعياً في مجموعة دول الشرق الأوسط ، ومثل هذا الحل مرفوض مبدأً وأساساً وجملة وتفصيلاً ..

وإذا كانت حرب رمضان لم تستطع أن تحقق الأهداف التي قامت من أجلها ، فإن تلك الحرب قد أثبتت أننا قادرون على تحقيق الأهداف في مرحلة تالية .. وإذا كان مؤتمركم سيكتب له شرف وضع خطة نضالية كاملة شاملة تضعونها بصدق وعزيمة .. فما أحراكم أن تكون بداية عملكم هي نهاية التجربة .. تجربة التسوية السياسية .. ينبغي أن تكون تلك النهاية هي البداية في أعمالكم .

وأنا لا أريد أن أتحدث عن خطة النضال من ناحيته العسكرية ، ففي الأمة العربية بحمد الله نخبة من قادتنا العسكريين يستحقون الثقة الكاملة إلى جانب الإعجاب والتقدير ، ومثلي ليس مؤهلاً للحديث في الخطط العسكرية .. ولو أن القادة السياسيين في الوطن العربي قد التزموا بخطط قادتنا العسكريين منذ ١٩٤٨ إلى يومنا هذا ، لتجنبنا كثيراً من الهزائم وحققنا كثيراً من الانتصارات .

---

(١) الفقرات السابقة تضمنها كتاب الشقيري : **صفحات من القضية العربية** ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٩ ، ص ص ٧ - ٢٥ .

ولكني سأضع أمامكم ما تؤهلني إليه تجربتي المتواضعة الطويلة في العمل العربي .. وألخصها في الأمور الآتية :

صندوق التحرير والتعمير : لا بد من إنشاء صندوق عربي للتعمير والتحرير ، إن أية خطة نضالية تحررية لا بد أن تعبئ لها الأمة العربية مواردها المالية ، وأن تضع اقتصادها في خدمة الحرب ، لأن الحرب في النهاية هي التي تصون الوطن ، وموارده واقتصاده .. والأمة العربية قد استيقظت مؤخراً لترى نفسها مالكة لثروات مذهلة ، يعجب أصدقاؤنا كيف نملك هذه الثروة الضخمة وأرضنا محتلة .. إن ثروتنا النفطية قد بلغت هذا العام ستين مليار دولار ، في أكثر التقديرات تحفظاً ، وإذا كان سلاح النفط فعالاً إلى الحد الذي هزّ العالم ، فإن ثروتنا النفطية قادرة على التحرير والتعمير ، ومن العجب العجاب أننا في الواقع عشرون دولة متخلفة ، على حين أننا نملك هذه الثروات الكبرى .. ولكن هذه الثروات في حاجة إلى ثورة لاستخدامها في التحرير والتعمير .

وبديهي أن لا نطمح في أن تنزل الدول البترولية عن ثروتها كاملة منحة أو حتى قرضاً .. إن أعباء التحرير تقع على فريقين ، القريب قبل البعيد ، والموسر قبل المعسر ، ولكن المصادفة أن القريب هو المعسر .. هذا مع العلم أن مصر وسورية - وهما القريبان من العدو - يخصصان للجيش ما لايقل عن ستين في المائة من الميزانية العامة ، مضافاً إلى زهرات الشباب الذين لا يقدرون بالكنوز .

ويجب الاعتراف مع الشكر أن الدول النفطية - وخاصة في حرب رمضان - قد قدمت معاونة سخية إلى كل من سورية ومصر ، وهما اللتان تحملتا أعباء المعركة بشجاعة وفداء .

ولكن التحرير لا يقوم على العون والنجدة ، إن المساعدة المالية تصلح في حالة الطوارئ كالآفات السماوية .. ولكن التحرير يحتاج إلى التزامات محددة ومحسوبة .. ولعل مصر وسورية لا تلحان في وضع الأمور في إطار الالتزام بديلاً عن العون ، إما حياء أو إباء ، أو حفاظاً على التضامن العربي الرقيق الأكتاف .

ولكن المفكرين العرب ما فتئوا يطالبون الدول النفطية بالالتزام ، وقد توليت بنفسي دراسة هذا الموضوع مع عدد من المفكرين ، وانتهينا إلى أن ريع الثروة النفطية العربية يجب أن يخصص لصندوق التحرير والتعمير ، وبهذا يبلغ رأسمال الصندوق على أساس هذه النسبة مبلغ خمسة عشر مليار دولار تنفق على الوجه الآتي :

مصر وسورية : إن مصر هي أكبر قوة ضاربة في الوطن العربي ، وقد قام جيشها الباسل بدور قتالي أثار إعجاب العالم ، ومصر تلك ثروة من الكفاءات المتعددة الجوانب يحسب لها حساب .. وسورية كذلك أثبت جيشها الباسل وشعبها الشجاع بطولة نادرة ، واستطاع في الأيام الأولى من الحرب أن يصل إلى مشارف فلسطين ، ومصر وسورية تتحملان الآن مسؤولية النضال بصبر وشجاعة ، ولو خصص لهما من الصندوق مبلغ ثمانية مليارات دولار ، خمسة لمصر وثلاثة لسورية ، لاستطاعا أن يدعما مقومات الحرب والاقتصاد الحربي .

الصناعات الحربية : ولكن الحرب تحتاج إلى صناعة ثقيلة وإلى مصانع الحرب ، وفي حروبنا كلها عانينا مشاكل كبرى بالسلاح والذخيرة ، وقد أصبح السلاح سلعة سياسية ، لا بضاعة تشترى وتباع ، هكذا ، وفي عام ١٩٤٨ أوقفت بريطانيا السلاح والذخيرة عن الجيوش العربية في أحلك الأوقات .. وفي حرب الأيام الستة لقينا عناء كبيراً من امتناع الاتحاد السوفييتي عن تزويدنا بالسلاح في ساعة الخطر الأكبر .. ففي مساء الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، حينما تحطم سلاح الجوي المصري ، أبرق الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يطلب من السيد بريجينيف خمسين طائرة مقاتلة ، كنجدة عاجلة لصد الهجوم الإسرائيلي الذي كان يخترق سيناء ، ولكن موسكو لم تستجب رغم توسلات السفير المصري في موسكو الدكتور مراد غالب .. ومشاكل السلاح في عهد الرئيس السادات قد كشف بعضها الرئيس السادات بنفسه .. وتخصيص مبلغ خمسة مليارات دولار للصناعات الحربية يجعلنا أسياد الميدان إلى حد بعيد .

الصومال واليمن شمالاً وجنوباً : هذه الأقطار الثلاثة تتحكم في مداخل البحر الأحمر ، ومعها مضيق باب المندب . وقد كشفت حرب رمضان عن أهمية هذه المواقع الاستراتيجية[1] ، ولذلك فإن تخصيص مبلغ خمسمائة مليون دولار يكفل لهذه الأقطار الثلاثة المزيد من القدرة الدفاعية مضافاً إلى التنمية الاقتصادية ، والمجالات فيها متوافرة ..

لبنان : هذا القطر العربي أضعف البلاد العربية ، ولكنه يملك أكثر المواقع الاستراتيجية قوة ، وهو هدف من الأهداف الصهيونية المعروفة ، وخاصة مناطقه الجنوبية .. وكان ولا يزال هدفاً للعدوان الإسرائيلي ، وممراً مكشوفاً في الجو على الجبهة السورية ، وأن

(١) نلفت إلى مصير الصومال منذ عشرين عاماً ، وما يعانيه اليمن حالياً ما يؤكد القدرة الاستراتيجية الاستشرافية المبكرة للشقيري .

تخصيص مبلغ ٢٠٠ مليون دولار ييسر تعمير جنوب لبنان وتحصينه ، مع إقامة شبكة دفاع صاروخية تحميه من الطائرات الإسرائيلية ، وتجعل الجبهة السورية مغلقة على سلاح الجو الإسرائيلي .

السودان : بمساحته التي تتجاوز ربع أوروبا ، وإمكاناته الضخمة ، يمكن أن يتحول إلى أكبر بلد لإنتاج المواد الغذائية واللحوم حين يخصص له مبلغ مليار دولار ، وبالتنمية الزراعية في السودان والبلاد العربية الأخرى ، لا تقع الدول العربية تحت تهديد الرئيس الأميركي في منع تصدير القمح ، ولا تقع في صراع بين النفط والقمح .

وفي مجال التنمية الزراعية تتوافر فرص كبيرة في سورية والعراق ، وكان يعرف أن العراق وحده هو سلة الخبز في الشرق الأوسط .

الضفة الغربية وقطاع غزة : هذا القسم من فلسطين معرض للتهويد بالإجراءات الاقتصادية الإسرائيلية ، ولا سبيل للصمود والثبات إلا بالقيام بمشروعات عمرانية لأهلنا في ذلك الجزء الغالي من وطننا أكثر من الثناء والمديح .. إن الضفة الغربية وقطاع غزة محتاجان إلى المال العربي للحيلولة دون التهويد ، وإن تخصيص مائة مليون دولار يجعل الضفة الغربية وقطاع غزة قادرين على الصمود حتى يحين الأجل .

الإعلام العربي : قضية مزمنة قديمة ، ولم يكن ينقصها إلا المال .. إن نضالنا في حاجة كبرى إلى إعلام ، وإن تحت يد الأمين العام لجامعة الدول العربية ملفات كبيرة وخبرة ثمينة في أهداف الإعلام ووسائله .. وإن تخصيص مبلغ خمسين مليون دولار كفيل بأن يعبئ أجهزة الإعلام العالمية ، ويجند كفاءاتنا العربية ، وأصدقاءَنا العديدين من الخطباء والكتّاب .. إن قضيتنا قضية حق وعدل ، ولكن أحداً لا يسمع لغائب عن الميدان ، وقد كنا غائبين وما نزال .

معهد الدراسات الاستراتيجية والبحوث العلمية : لا تستطيع أمة أن تستغني عن مثل هذا المعهد ، حتى ولو لم يكن أمامها واجب التحرير .. لقد أصبح العلم والمختبر كل شيء في حياة الأمة ، في السلم والحرب على السواء .. وإن تخصيص مبلغ مائة وخمسين مليون دولار يضع العلم في خدمة الأمة للحاضر والمستقبل .

الثورة الفكرية المهاجرة : وهذه المعاهد والمؤسسات في حاجة إلى رجال إلى جانب المال .. إن كفاءاتنا العربية مهاجرة في أقطار الأرض لأسباب شتى ، منها الروتين الحكومي والبيروقراطية الإدارية في الوطن العربي . لنا في المهاجر عبقريات عربية في مختلف مجالات العلم والفن .. في الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والذرة والإلكترونيات وحتى في الفضائيات ، وإن الملوك والرؤساء وحدهم يحملون اليوم تبعة بقاء علمائنا في الخارج .. نحن نملك النفط الخام ، ولكن مشتقاته الكبيرة تأتينا مصنوعة من الخارج ، وعلماؤنا المهاجرون هم الذين يشاركون في صنعها .. وهذا مثل واحد على تقصيرنا وتخلفنا .

إن الملوك والرؤساء يتحملون مسؤولية أمام التاريخ ، وفي هذا المؤتمر بالذات يبذلون جهدهم لاستنفار هذا الجيش العربي المهاجر ليأخذ مواقعه في الوطن العربي ، في المصانع والمزارع والمخابز والمعاهد .

يقيناً أنهم حاضرون للنضال في صفوف الشعب ، بعلمهم وتجربتهم ، ولكن على الملوك والرؤساء أن يهيئوا لهم الحرية الكاملة في التفكير والتخطيط والتنفيذ ، وأن يكون هدفهم هو خدمة العلم لا الحاكم .

مجلس المتابعة الأعلى : إن خطة التحرير والتعمير تحتاج إلى إدارة فعالة محدودة العدد يتيسر اجتماعها ، وصدور القرارات عنها في أسرع ما يكون من الوقت ، وهذا يتطلب إقامة مجلس أعلى للمتابعة ، وليس للحكومات العربية أن تخشى أن هذا المجلس هو حكومة فوق الحكومات ، فإن الحكم العربي المعاصر يخشى حتى هواجس الوحدة ، فدرالية كانت أم اندماجية ، إن هذا المجلس كما يدل عليه اسمه هو تنفيذ قرارات مؤتمر القمة ، إنه ليس من المعقول أن تصبح العشرون دولة أداة تنفيذ .. إن المجلس الأعلى للمتابعة هو الذي ينفذ قرارات مؤتمر القمة ، وليكون الأمر في إطار جامعة الدول العربية فينبغي أن يكون الأمين العام للجامعة ، هو الأمين العام لهذا المجلس .. ولأسباب كثيرة معروفة لا حاجة إلى تفصيلها ، نقترح أن يكون هذا المجلس مؤلفاً من رؤساء مصر والجزائر وسورية والعراق وليبيا ، وهذا التأليف يضم العمق الاستراتيجي في الوطن العربي ، مشرقه ومغربه ، كما يجمع أكبر القدرات العسكرية العربية .

هذا هو خير استثمار للثروة العربية في الوطن العربي .. إنه لمؤسف حقاً أن تستثمر الثروة العربية في الخارج ، وبلادنا تلتمس القروض من الخارج بشروط ثقيلة ومبالغ ضئيلة .. إنها مفارقة محزنة أن نقرض اليابان مليار دولار ، وتعود اليابان لتقرض مصر مائة مليون دولار .. ونحن نفاخر بهذا النصر المظفر .

ولكن الجانب الروحي للاستثمار هو أغلى الجوانب وأعزها .. ما أغلى أن نرى ملايين الفلاحين في وطننا وقد اكتسوا بعد عري وحفاء ، وصحّوا بعد مرض ، وتعلموا بعد جهل .. وما أعز أن نرى عمالنا يقيمون في بيوت مريحة ، ويشربون مياهاً نقية ، ويأكلون ويشبعون ! .

وفوق هذا ، ما أغلى وما أعز أن نرى وطننا وقد تحرر من الغاصب الدخيل ، وأن تصبح مقدراتنا بأيدينا ، وأن تكون ثرواتنا في خدمة أمتنا من المحيط إلى الخليج ! ويومئذٍ يصبح هذا الشعار جميل المضمون كريم المحتوى .. ليس هذا بمعجزة ، وإن كان يجب علينا أن نصنع المعجزة .

والدكتور كيسنجر ليس صانع معجزات ، إنه صاحب مهارات ، وإنما مثله كمثل الحاوي البارع ، يطلق الدنانير من أكمامه وليس في جيبه دينار واحد ..

ومن آخر المهارات التي مارسها الدكتور كيسنجر أنه قام بزيارة عدد من الدول العربية ، قبيل انعقاد مؤتمركم ، يبذل الوعود هنا وهناك ، ليجعل اجتماعكم مشدوداً إلى السراب ، وبالتالي مشلولاً عن العمل .

وأخيراً فإن صاحب هذه الرسالة يكتبها إليكم لأنها حقه وواجبه ، وهو لا يمثل أحداً ، ولا ينتمي إلى أي حزب أو تنظيم أو حكومة ، إنه ينتمي إلى الأمة العربية ، وإلى الأمة العربية ولاؤه ، ولكن رسالته هذه إليكم تمثل ضمير الأمة العربية في كل أقطارها وأمصارها .

ولقد كان قبلكم ملوك ورؤساء منهم من خلع ومنهم من صرع ، ومنهم من مات على فراشه ، ولم يبق لهم جميعاً إلا التاريخ ، واعتبروا يا أولي الألباب .

٤) هكذا يتكلم أحمد الشقيري*

جريدة الرأي، عمّان، ١٩٧٦/٧/٢٠

• هل كل نشاطك في الوقت الحاضر مقصور على الرياضة والكتابة والمتابعة فقط .. أم يتجاوز ذلك إلى إبداء الرأي والنصح والاتصال؟

- هذا سؤال يرد علي بصورة مستمرة من عدد كبير من الإخوان العرب والفلسطينيين . ولست أريد الدخول في إجابة تفصيلية عليه . لكن أحسم القول بأني لا أعيش حياة العزلة والدعة، فأنا أعيش القضية العربية ومعها القضية الفلسطينية بالطبع من جميع جوانبها . بكل طاقاتي وجوارحي . وكل ما في الأمر أن دوري في العمل القومي قد أخذ طريقاً آخر . فبعد أربعين عاماً قضيتها في صميم العمل العربي على مستويات مسؤولة متعددة سواء في الأمم المتحدة أو في الجامعة العربية أو في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية كان من الطبيعي - وقد طالت المسيرة - أن يقتصر نشاطي على دور المواطن العربي العامل . لكن ذلك لا يعني أني متقاعد أو محال إلى المعاش . وإنما كل ما في الأمر أني أصبحت أمارس العمل القومي قدر طاقتي وظروفي .

فأنا على اتصال دائم بعدد من الدول العربية عن طريق سفرائها أو وزاراتها أو بالاتصال الشخصي المباشر . أضع بين أيديهم آرائي وخلاصة تجاربي في القضية العربية . أناقش معهم الأخطاء السياسية التي يقترفها الحكم العربي المعاصر من حين إلى حين، وأثر ذلك على القضية الفلسطينية . ثم إني ثانياً على اتصال وثيق بالقيادات الفلسطينية بمختلف اتجاهاتها . أُبصِّرهم بالمآزق والمزالق التي تكتنف القضية الفلسطينية وأحاول مساعدتهم على تجنبها وسلوك السبيل القويم في سبيل حماية النضال الفلسطيني . وأنا ثالثاً ألتقي بصورة مستمرة بإخواني العرب والفلسطينيين لدراسة مختلف جوانب القضية العربية والقضية الفلسطينية بالذات على ضوء التطورات التي ترافقها على الصعيدين العربي والدولي . ولا يكاد يخلو يوم واحد من لقاءات أو ندوات نتدارس فيها مختلف الشؤون العربية . وما تبقى عندي من فراغ فإني أكرسه للقراءة والكتابة. وقد صدر لي حتى الآن قرابة عشرة كتب تدور حول مذكراتي السياسية . وإني أحسب بكل تواضع أن هذه المذكرات ستكون مرجعاً عربياً أساسياً للحقبة التاريخية التي تناولتها، وأعني بها مؤتمرات القمة العربية التي انعقدت على التوالي في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء ومؤتمر الخرطوم . وهي في مجموعها تؤلف سجلاً جامعاً لكثير من الأحداث العربية التي وقعت في الظروف الراهنة .

• وإلى أين - في تصورك - وصلت القضية الفلسطينية الآن ؟ وما هو رأيك في الحل الذي يمكن قبوله كمرحلة للوصول إلى تسوية نهائية للقضية كلها في ضوء الخلافات العربية التي أعقبت التضامن العربي الذي لم يكتب له أن يستمر أكثر من لمحة بصر، وكذلك في ضوء الوفاق الدولي بين الدولتين العظميين ؟

- أظنك توافقني على أنه من غير الممكن عزل القضية الفلسطينية عن الظروف العربية أو الدول التي تكتنفها وإن كانت الظروف العربية في الواقع هي العامل الأهم في هذا المجال . كذلك فإن العلاقات الدولية وخاصة بين الدولتين العملاقتين لها تأثير بارز في مسيرة القضية الفلسطينية، غير أننا يجب ألا ننسى أن القضية الفلسطينية لها طبيعة خاصة تميزها عن جميع القضايا التحررية الأخرى في العالم . ذلك أنها تنفرد - وأكرر : تنفرد - بأنها قضية احتلال لوطن وقضية إحلال شعب مكان شعب .

ولا نعرف قضية في التاريخ القديم أو المعاصر تشابه القضية الفلسطينية في هذه الظاهرة المميزة، فكل القضايا الاستعمارية أو العنصرية تتجلى فيها ظاهرة الحكم الأجنبي الإمبريالي الذي لا يقيم شعباً مكان شعب ولا يدعي أصلاً أن الرقعة التي احتلها هي أرض آبائه وأجداده وأن له حقاً تاريخياً فيها . وفي عصرنا الحديث شهدت منابر الأمم المتحدة ما لا يقل عن سبعين قضية تحرير عرضت، وكان وراءها كفاح مسلح في أوطانها، ولم تكن واحدة تشبه القضية الفلسطينية من قريب أو من بعيد . وقد أردت بتحديد طبيعة القضية الفلسطينية أن أؤكد حقيقة علمية لا يمكن الانحراف عنها أو التهرب منها وهي أن سياسة المراحل التي طبقت على قضايا التحرير العالمي لا يمكن أن نستوردها ونطبقها على القضية الفلسطينية تطبيقاً كاملاً .

ذلك أن وجه الخطورة في السياسة المرحلية من شأنه أن يهدد جوهر القضية نفسه . ولست أريد أن أذهب بعيداً في ضرب الأمثال . فإن الحلول المرحلية في قضايا الجزائر وتونس والمغرب كما نقرؤها بالاتفاقات التي تمت فعلاً بين هذه الأقطار العربية

(*) أجرى الحوار في القاهرة يوسف صبّاغ .

من جانب وفرنسا من جانب آخر ، قد أقرت للشعوب العربية الثلاثة بشخصيتها الوطنية الكاملة ، وبحقها في تقرير مصيرها ، وبوحدتها الإقليمية الشاملة . وكل ما فرضته الاتفاقات الفرنسية كان مجرد قيود على النشاطات الثقافية والمالية ، أو تحديد لفترة الانتقال الزمنية لممارسة السيادة الوطنية الكاملة ، أو بقاء قواعد أجنبية لمدة محددة .

فإذا انتقلنا إلى التسويات المطروحة بصدد القضية الفلسطينية ، فإننا نراها تسويات تمزق الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني وتجعل منه أربع فئات :

١- الفلسطينيون « الإسرائيليون »

٢- فلسطينيو الضفة الغربية وقطاع غزة

٣- الفلسطينيون اللاجئون منذ سنة ١٩٤٨

٤- الفلسطينيون النازحون في سنة ١٩٦٧

ولكل فئة من هذه الفئات الأربع حلول مطروحة بعيداً عن وحدة الشعب الفلسطيني .

هذا بالنسبة للشعب . أما بالنسبة للوحدة الإقليمية فإن الحلول المطروحة من شأنها أن تعطي أربعة أخماس وطننا إلى « إسرائيل » : وطناً شرعياً لها نعترف به ونتنازل عنه وإبقاء الخمس الباقي لنا وهو الضفة الغربية وقطاع غزة في حوزتنا كمنطقة مجردة من السلاح يقوم عليها ما يسمى بسلطة وطنية تعيش تحت كنف « إسرائيل » ورحمتها مفتقرة على الدوام إلى المعونات والمساعدات الخارجية ، لأن الضفة الغربية كما هو معلوم - لا تملك مقومات اقتصادية ولا دفاعية ، ولا تكاد تحتمل إعالة وإعاشة أهلها الذين يعيشون فيها الآن ، فضلاً عن أن زيادتنا السكانية في الضفة الغربية لن تجد لها مجالاً حيوياً في أرضنا . وسنجد أنفسنا في مستقبل غير بعيد مضطرين للهجرة من الضفة الغربية التماساً للرزق والحياة .

وفوق هذا - بل قبل هذا - علينا ألا ننسى بيت المقدس . فليس في الحلول المطروحة على الساحة الدولية أي اعتراف بعروبة القدس القديمة . ناهيك عن القدس الجديدة التي نسي الكثيرون أننا نملك أكثر أحيائها ومتاجرها ومنشآتها . وهذا موضوع كبير لعله يحتاج إلى كتاب مستقل بذاته . لكن أكتفي بأن أقول إن الحل المرحلي المطروح على الساحة الدولية يهدم المراحل المقبلة من أساسها ، لأن المفروض في الحل المرحلي أن يؤدي إلى مراحل أخرى لكنه هنا يهدم كل مرحلة لاحقة وبذا لا يصبح حلاً مرحلياً ولكن حلاً نهائياً ، لأن « إسرائيل » لن تسلم شبراً واحداً من الضفة الغربية إلا مقابل معاهدة صلح حاسمة بينها وبين العرب ويكون فيها الشعب الفلسطيني فريقاً رئيسياً ، ويكون من شروط هذه المعاهدة الاعتراف بـ « إسرائيل » والتعايش معها والتنازل عن الأرض .

إن سياسة المرحلية مبدأ دولي معترف به . وقد طبق على جميع القضايا التحريرية، وكان تطبيقه ناجحاً في جميع الأحوال لسبب واحد وهو أنه لم يتناول مصير الشعب بكامله ، ولا مصير الوطن بأرضه وتراثه . وهذا هو الفارق الأكبر بين قضية فلسطين والقضايا الدولية الأخرى .

أما ما هو الحل فذلك سؤال آخر لا بد له من جواب .. وأحسب أن كثيراً من تفاصيل هذا الجواب لا تخفى على قادة العرب ولا على المواطنين العرب.

• الخلاف بين المنظمات الفلسطينية ضار أو نافع ؟ لقد قيل إن وجود أجنحة متطرفة يساعد على إجبار العدو على المرونة .. وإن المصلحة تقتضي وجود المتطرفين ؟

- الوحدة الوطنية الفلسطينية هي الشرط الأساسي الأول للنضال الفلسطيني المسلح ، ولا بديل عنه . وليس معنى الوحدة الوطنية أن الشعب الفلسطيني يحتويه رداء واحد ، فإن الاختلاف في الرأي أمر طبيعي ، ولكن قيام وحدة وطنية بقيادة النضال في جميع الجبهات والميادين أمر حيوي أساسي . الشعب الفلسطيني غير مسؤول عن تعدد القيادات والمنظمات القائمة على الساحة الفلسطينية ، فإنّ تشتت الشعب الفلسطيني في مواطنه ومهاجره المتعددة يعفيه من هذه المسؤولية ، ذلك أنه يعيش في كل قطر عربي تحت ظروف معينة وقيود لا يستطيع معها أن يأخذ بيديه المبادرات الحرة الكاملة لتعريف قضيته ، بحيث أصبح العمل الفلسطيني حائراً أمام ظاهرة غريبة ، فلا هو فلسطيني بصورة كاملة يستمد الإرادة من مشيئة الشعب الفلسطيني ، ولا هو قومي عربي بصورة شاملة في منأى عن الخلافات والمنازعات العربية. ومن هنا، يتسلل الخطر على العمل الفلسطيني ويجعله على الدوام في مهب الرياح . وأنا لست من القائلين بعزل القضية الفلسطينية عن القضية العربية . وقد حرصت يوم وضعت مشروع الميثاق الوطني الفلسطيني على التأكيد بأن تحرير فلسطين هو تبعة قومية يقع عبؤها على عاتق الأمة العربية بأسرها .. حكوماتٍ وجيوشاً وشعوباً . وهذه دعوة إلى القومية العربية أعلنها المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول الذي عقد في بيت المقدس في شهر أيار/ مايو عام ١٩٦٤ ، غير أن قومية المعركة شيء و « ولادة » منظمات فلسطينية في مختلف العواصم العربية شيء آخر .

وأنا من القائلين بقومية المعركة وعروبة التحرير ولا أفرق بين فلسطيني وعربي في شرف الجهاد

لتحرير كامل التراب الوطني في فلسطين . فإذا لم يكن هذا ميسوراً في الظروف الراهنة فلا أقل من أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية فلسطينية المشيئة والإرادة غير منعزلة عن الحكم العربي المعاصر، ولكنها في نفس الوقت لا تأتمر بأمره وتتحرك بمشيئته .

وعلى ذلك أقول إن تعدد المنظمات والقيادات الفلسطينية أمر ضار بلا شك، وله مخاطر رهيبة وقعنا فيها أكثر من مرة ووصلت إلى درجة الاقتتال بالسلاح . ومهما حاولنا أن نفلسف التعدد فإنها فلسفة لا تنطوي على الخير وتؤدي بالقضية إلى الهاوية .

زيارة الكويت والخليج

قام الشقيري أواخر شهر كانون الثاني / يناير ١٩٧٧ بزيارات للكويت وبعض أقطار الخليج العربية ، لعل أهمها وأغزرها نشاطاً كانت زيارته للكويت التي أجرت معه فيها جميع الصحف الكويتية اليومية (الرأي ، السياسة ، الوطن ، القبس) ، وبعض المجلات مقابلات وأحاديث خاصة ، كما عقد ندوة في جامعة الكويت، وأصدر في ختام الزيارة بياناً صحفياً .

جميع هذه الحوارات تكاد تتشابه أسئلتها ونركز على الموضوعات التي وردت في الحوارات التي أشرنا إليها في التمهيد الخاص بحوارات هذه المرحلة لذلك اقتصرنا على ما يأتي ، وتحمل عناوينها الأرقام ٥ و ٦ و٧ في هذا الفصل :

- المقابلة الصحفية التي أجراها الصحفي المخضرم محمد توفيق الشنطي في مجلة اليقظة .

- البيان الصحفي في ختام الزيارة في (١٩٧٩/٢/١) مضامين الزيارة وأهداف وسبب زيارته للكويت الذي أكد أنه يتعلق بمشروع إعداد دراسة عن تطوير الجامعة العربية وهي ما أشرنا إلى أن الأمين العام للجامعة العربية محمود رياض (وزير خارجية مصر الأسبق) كان قد كلفه بها ، لكنه اعتذر عن التكليف لاعتراض عدد من الدول على ذلك ، قادتها تونس - كما يرى هو - ومعها المغرب والسعودية ، إلا أنه استكمل الدراسة وأصدرها كتاباً بعنوان : « الجامعة العربية .. كيف تكون جامعة .. وكيف تصبح عربية » وكذلك حول مؤتمر جنيف ، وتفصيل ذلك ضمن كتابه : « الطريق إلى جنيف » .

- كما ندرج تغطية الندوة التي أقامها اتحاد طلبة فلسطين في جامعة الكويت ، لأن مضامينها تطرقت إلى شؤون النضال الفلسطيني السابق ودور جيل الشباب في المستقبل .

- مقابلة فريدة في جميع ما عثرنا عليه من مقابلات الشقيري من قبل ومن بعد ، كونها تتناول جوانب من حياته الاجتماعية أجرتها جريدة السياسة .

٥) أرفض جنيف .. وأطالب بواشنطن*

مجلة اليقظة ، الكويت ، ٣١ / ١ / ١٩٧٧

إذا كان هناك إنسان يستطيع أن يتحدث عن القضية الفلسطينية ويحلل همومها ويحدد أبعادها بأستاذية الدارس وممارسة الخبير ووطنية المناضل ، فلن يكون هذا الإنسان إلا الرئيس السابق لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وباعث الكيان الفلسطيني ومؤسس جيش التحرير .. أحمد الشقيري . ابن القضية الذي لم تنطفئ جذوة ناره منذ خمسين عاماً . وحين يعود الشقيري في هذه المرحلة الخطيرة بالذات للظهور على مسرح الأحداث ، ويتكلم بعد سنوات من الصمت المطبق معتكفاً خلالها لكتابة مذكراته وتأريخ الأحداث ، فإن لهذه العودة أعظم المعاني ، وأبلغ المفاهيم .. فالشقيري يطلق من خلالها على صفحات « اليقظة » صيحات الإنذار المبكر من خطورة الأيام القادمة ، ومما يراد بنا ، والتحذير من الجري واللهاث على طريق جنيف وراء الحلول المسلوقة .

- من خلال تصريحاتكم التي نشرت في الصحف الكويتية مؤخراً تبين أنكم تحذرون من عواقب الاندفاع وراء مؤتمر جنيف وتخشون الوقوع في براثن « اللعبة » الدائرة الآن على مسرح الأحداث في الشرق الأوسط .. بل إنكم بالأحرى وبكل صراحة ، ترفضون مؤتمر جنيف .. إذن ، ما هو البديل لديكم ؟

- نعم أرفض مؤتمر جنيف .. نحن في الواقع نظرتنا إلى مؤتمر جنيف لا تقوم على أساس الرفض العاطفي أو الرفض المجرد ، أو الرفض الخالي من المنطق ومن الموقف القومي والوطني .. الرفض قائم على أساس أن مؤتمر جنيف يراد منه تصفية القضية الفلسطينية ، ولذلك كل عربي وكل فلسطيني ملتزم بالحفاظ على القضية الفلسطينية وبصيانتها ، فهذا ليس موقف رفض إنما هو موقف صون للقضية الفلسطينية وحماية للشعب الفلسطيني وللقضية الفلسطينية ، إنما ما هو البديل ؟ .. بطبيعة الحال أن يكون اللقاء في واشنطن ومع واشنطن وليس في جنيف مع الإسرائيليين بحضور الولايات المتحدة وبحضور الاتحاد السوفييتي . أنا أقول إن مؤتمر جنيف لن يأتي بالنتيجة المرجوة ، ولكن مؤتمراً في واشنطن ، يكون الفريقان فيه الجانب العربي موقف واحد متحد الكلمة مرصوص الصف ، وأميركا في الطرف الآخر لأنها هي الطرف المباشر في القضية الفلسطينية .. هي ليست وسيطاً لهذه القضية ، بل هي طرف مباشر في هذه القضية ، ولولا هذا الطرف المباشر ما كانت « إسرائيل » ولما بقيت « إسرائيل » ولا استمرت ، فـ « إسرائيل » باقية وتعيش وتحيا بالعون العسكري الأميركي والعون الاقتصادي الأميركي لـ « إسرائيل » ، ولذلك علينا أن نذهب إلى رأس النبع كما يقولون في بلادنا ، هناك النبع الذي يفيض على « إسرائيل » بالمدد من المدفع إلى الرغيف ، ولذلك باعتقادي أنه يجب أن يكون هناك وفد عربي موحد يلتقي في واشنطن مع الإدارة الأميركية الجديدة ويقدم المطلب العربي في هذا الموضوع . وأنا لا أقول المطلب العربي يجب أن يتضمن تحرير فلسطين اليوم ، لأن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم لا اليوم ولا غداً ولا بضربة واحدة ولا بحرب واحدة .. لكن يجب أن يكون الحل حلاً مقبولاً معقولاً يعطي للشعب الفلسطيني فسحة من التنفس وأرضاً يستطيع معها أن يمد رجليه وساقيه ، لكن أن تعطى له أرض ١٥٪ من وطنه لا يستطيع أن يمد فيها أصابعه فضلاً عن جسمه الكامل ، وخصوصاً هناك النمو السكاني وهو كبير للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة فهذا أمر يرفضه الشعب الفلسطيني وترفضه الأمة العربية ، كما أن الاعتراف بـ « إسرائيل » مسألة يجب أن لا تكون واردة مطلقاً .. واليوم قرأت في صحف الصباح ربما لندن تايمز أو إحدى الصحف البريطانية تقول إن المملكة العربية السعودية رفضت في البلاغ المشترك بين السعودية وفرنسا الاعتراف بـ « إسرائيل » .. إنني أرجو أن يكون هذا الخبر صحيحاً ، وإذا كان صحيحاً أرجو أن يمتد هذا الموقف إلى جميع العرب . وأنا أذكر ، وهذه حادثة لا بأس عليّ أن أشير إليها الآن بعد أن أصبحت جزءاً من التاريخ أن المرحوم الملك فيصل كان قد أعطى تصريحاً لإحدى الصحف السعودية ذكر فيه أن السعودية غير مستعدة أن تعترف بـ « إسرائيل » حتى لو اعترفت بها الدول العربية الثلاثة عشر ، وكانت الدول العربية يومئذ ثلاث عشرة دولة .. وفي ذلك الحين كان هناك شيء من الفتور بين المرحوم جلالة الفيصل وبيني ، وأنا لست من مقامه الدولي ولا من قدره ، لكن كانت بيننا صلات وأصابها شيء من الفتور .. وبعد أن قرأت هذا التصريح بعثت له برسالة أُحييه وأُهنئه على هذا الموقف وأقول له أرجو لهذا الموقف الدوام والاستمرار والإصرار ، وأن تقف العواصم العربية كلها هذا الموقف ، ولذلك أتمنى أن يكون هذا الخبر صحيحاً وأن تمتد صحته إلى جميع العواصم العربية ،

(*) أجرى المقابلة أبو توفيق [محمد توفيق الشنطي] .

لأن الاعتراف بـ « إسرائيل » ليس معناه الاعتراف بنظام دولي قام في العالم الدولي في الأسرة الدولية ، إنما معناه الاعتراف بشرعية الاحتلال الإسرائيلي لرقعة غالية من وطننا العربي وهي فلسطين ، فلذلك البديل ليس هو مؤتمر جنيف ، وإنما مؤتمر واشنطن .. والفريقان فيه الوفد العربي الموحد وأميركا في الطرف الآخر ، ونحن نتكلم أمام أميركا من مركز القوة ، لا نتكلم من مركز الضعف أو الاستسلام أو المناشدة أو الرجاء أو التوسل .. لأننا نحن نملك قوة هائلة في وطننا العربي ، وهذه كلها تخولنا أن نتكلم من مركز القوة وأن لا نتوسل لمطالبنا ، وإنما نفرضها فرضاً ونحن قادرون على فرضها .

• ما هو تقييمكم للدولة الفلسطينية المقترحة ؟

- المفاوضون العرب في جنيف حينما يواجهون المفاوض اليهودي سيجدون أن الدويلة الفلسطينية ستكون فريسة المقص الإسرائيلي ، يقصقص الضفة الغربية من كل أطرافها ، فيخرج منها أولاً القدس الكبرى التي تبدأ من جنوب بيت لحم إلى جنوب رام الله التي يعتبرها الإسرائيليون خاضعة للسيادة الإسرائيلية المطلقة ، وهذه القدس الكبرى تؤلف ثلث الضفة الغربية من حيث المساحة .. ثم يمضي المقص الإسرائيلي ليخرج القرى الأمامية التي تبدأ من أراضي جنين إلى أراضي الخليل جنوباً ليجعلها تحت السيادة الإسرائيلية .. ويمضي المقص إلى أبعد من ذلك ، فيأخذ من هنا قرية ، ومن هناك بلدة على اعتبار أنها لازمة للحدود الآمنة « لإسرائيل » . ثم يتجه شرقاً إلى ضفة الأردن فيضم اليه شريطاً عازلاً يحشر في طياته ٣٠ مستعمرة إسرائيلية تكون كل مستعمرة منها بمثابة ترسانة عسكرية « إسرائيلية » .. أما « الكوريدور » المقترح بين قطاع غزة والضفة الغربية فسيكون أشبه بالمزلقان الذي يرتفع وينخفض ليقف جندي « إسرائيلي » عليه فيسمح للفلسطيني أن يعبر من الضفة إلى غزة بعد إجراء التفتيش اللازم للشخص الفلسطيني وأمتعته .. وهذا الحطام البالي من الضفة الغربية ستطالب الأمم المتحدة وفقاً للقرار ٢٤٢ أن يكون منطقة مجردة من السلاح .. وبعد أن يتم على هذا التخطيط العام توضع الخرائط التي ترسم هذه الحدود ، ويكتب اتفاق بين العرب و « إسرائيل » مبيناً حدود « إسرائيل » وأرض « إسرائيل » ، وسيكون مضمون ذلك أن ما لا يقل عن ٨٥ ٪ من تراب الوطن الفلسطيني تابعاً لـ « إسرائيل » وطناً تاريخياً للصهيونية[1] . هذا فيما يتعلق بالناحية الإقليمية ، أما باقي جوانب القضية الفلسطينية ، فليس له حل في جنيف .. والذين يتحدثون من المسؤولين العرب أن مؤتمر جنيف سيكون محور القضية الفلسطينية فإنهم مخطئون إلى أبعد الحدود ، لأن باقي الجوانب من القضية الفلسطينية لا حل لها في مؤتمر جنيف ، مثال ذلك أن مليونين من الشعب الفلسطيني لن يجدوا لهم حلاً في جنيف ولا اتفاقيات جنيف .. وكمثال على التحديد أن الـ٢٥٠ ألف فلسطيني المقيمين في الكويت لن يستطيعوا العودة إلى وطنهم ، لأن الضفة الغربية لا تستوعبهم ولا تستوعب جماهير اللاجئين الفلسطينيين ، بل إن من المنتظر - وهذا مؤسف ومفجع - أن يكون الكويت وباقي أرجاء الوطن العربي مستعداً لاستقبال مجموعات جديدة من النازحين من الضفة الغربية طلباً للعيش والعمل ؛ لأن ازدياد النمو السكاني لن تستوعبه الضفة الغربية ، مضافاً إلى هذا أن تسوية جنيف ستتناول الصلح مع « إسرائيل » والاعتراف بها والتعايش السلمي معها وحُسن الجوار .. ويقيني أن الأمة العربية لا يمكن أن تقبل هذه النهاية المفجعة للقضية الفلسطينية . أما قطاع غزة الذي بقي من جنوب فلسطين وسموه قطاع غزة ، فليس في كل هذا القطاع ما يؤخذ لأن القطاع « مجروم » على العظم .

• هل معنى هذا أنك ترفض أن نعود لنعيش على ١٥٪ من الأرض بدل التسكع في الدول العربية وتحت كل كوكب وفي المهاجر ؟

- أنا لا أرفض أن نسترد شبراً واحداً من الأرض الفلسطينية ، ولا أرفض أن نسترد قرية واحدة من أرضنا وأن نضع فيها كل أهلنا .. والحديث عن أن الفلسطينيين عليهم القبول بالـ١٥٪ بدل أن يتسكعوا خارج وطنهم وأن هذا الحديث عليه تحفظات وعليه قيود .. أولاً الـ١٥٪ لن تكاد تتسع لأهلها الذين يقيمون عليها ، بل كيف تستوعب الـ١٥٪ البقية الكبرى من أولئك الأخوة الذين يعيشون بعيداً عنها ؟! . لذلك فإن هذه الـ١٥٪ والكلام عنها فيه من الإغراء ، وفي الحقيقة أنه لا ينطوي على حقيقة ، لأن الضفة الغربية لو عادت كلها فهي لا تستوعب أهلها ، وسنرى في العام الأول والعام الثاني ، أهلنا في الضفة الغربية نازحين إلى الكويت يبحثون عن الرزق .. إذن هذا لا يحل القضية ولا يحل المشكلة مضافاً إليه أن هذا ليس هو التحرير للأرض العربية ، هذه عملية استلام وتسليم ، موظف يحل محل موظف آخر ، يعملون معاملة معروفة .. استلام وتسلم . فتعطينا « إسرائيل » قطعة أرض فنقول لهم بارك الله لكم في الـ٨٥٪ من الأرض الفلسطينية ، هذا وطنك التاريخي ، وأنت موجود عليها وجوداً شرعياً وليس بيننا وبينك خلاف بعد اليوم .. وأعتقد أنه ليس

(١) وهذا ما قدمته لها أوسلو بعد ستة عشر عاماً من هذه المقابلة .

هناك عربي أو فلسطيني يتنازل عن وطنه أو يساوم عليه تحت شعار التسكع .

• أحمد الشقيري .. أنت متهم في هذه الفترة أنك رافض بل تتبنى جبهة الرفض للحلول القادمة وجنيف .. فهل هناك ما تستند عليه في ذلك ؟

- أنا أعتقد أن الوطن العربي ليس فيه جبهتان : جبهة رفض ، وجبهة قبول .. الأمة العربية ١٢٠ مليون ومعهم الشعب الفلسطيني ثلاثة ملايين ، لو أخذنا أخاً مواطناً كويتياً من الشارع وسألناه هل تريد الصلح مع « إسرائيل » ؟ فإنه يقول فوراً لا .. لا .. لو سألت مواطناً في شوارع الدار البيضاء في المغرب أو الجزائر أو القاهرة أو عمان أو السعودية أو أي بلد عربي .. هل تريد الصلح مع « إسرائيل » ؟ فإنه سيقول تلقائياً لا .. إذن ، الحقيقة ليس هناك جبهتان في الوطن العربي .. بل إنها جبهة واحدة ، وأنا لا أريد أن أسميها « رفضاً » ، بل أسميها جبهة الحفاظ على القضية الفلسطينية ، وصونها من أن يجري تصفيتها ، هي جبهة حماية وجبهة صيانة للقضية الفلسطينية ، وهذه الجبهة تضم ملايين الأمة العربية ومعها الشعب الفلسطيني .. إنما هناك رأي رسمي .. هناك بعض الجهات العربية تتكلم عن تسوية سلمية ، ولذلك أنا لا أستطيع أن أقول أنا من جبهة الرفض ، أو أنا زعيم جبهة الرفض وحامل لوائها ، بل أقول أنا مواطن أنتمي إلى الأمة العربية التي تصمم على الحفاظ على هذه القضية وصيانتها من الدمار والتصفية .

• إذن ، ما هو الحل ؟

- الحل .. هو الحل الذي تلاقيه كل قضية تحرير تمت في العالم ، وأظن أن قضايا التحرير العالمية منذ القرن التاسع حتى هذا القرن وهذا اليوم تتجاوز مائة حركة .. وكل حركة منها صادفت نكسات وجابهت سقطات وصادفت هزائم .. لكنها لم تستسلم واستمرت في الطريق إلى أن حققت آمالها وأهدافها ، فأنا أقول بالاستمرار في النضال .. والنضال يواجه المد والجزر ويواجه الانتكاس ، ومراراً ما يصادف ظروفاً تسقطه على الأرض ، لكنه يعود منتصباً ويقف على قدميه مرة ثانية ويعود للنضال .. فأنا أقول بالنضال والكفاح ، وخصوصاً أن الأمة العربية تملك الآن طاقات ضخمة تمكنها من الاستمرار في النضال .. إن طاقات العرب أضعاف طاقات الحركات التحررية في العالم كله .. من فيتنام إلى أنغولا الأخيرة ، كل هذه الحركات التحررية مواردها وطاقاتها ضئيلة ، ضعيفة بالقياس إلى الطاقات الهائلة التي تملكها الأمة العربية . وإذا ما استعرضنا النكسات التي منيت بها الثورة الفلسطينية ، فأقول إنها مهما كانت فإنها طبيعية ، ومنتظرة ، وليس هناك نضال يلتف بالحرير ، ليس هناك نضال تحيطه الزهور .. النضال له مصاعب ومتاعب .. ونحن يجب أن نتحمل هذه المصاعب صبراً على الشدائد ، لا صبراً على الضيم .

• وماذا عن شعبنا في داخل الوطن المحتل وتقييمك لموقفه ؟

- إن شعبنا في الضفة الغربية وقطاع غزة على جانب عظيم من الوطنية ، ووفودهم دائماً يأتون إلى بيتي ويقولون ما عليكم منا نحن .. إننا صامدون ، المهم أنتم في الخارج استمروا في الصمود والقتال .. والمثال على ذلك أيضاً أن شعبنا في الضفة والقطاع يتصدى لـ « إسرائيل » بالحجارة .. هذا دليل على أن شعبنا صامد وصابر .

• ذكرت بعض الأخبار أنك ستكون أول رئيس للدولة الفلسطينية القادمة ، ما قولك في ذلك ؟

- نعم .. لقد سئلت أن أكون رئيساً لهذه الدولة ، وكان جوابي : أنا لا أصلح لها ، وهي لا تصلح لي .. ولا أريد أن أختم حياتي السياسية ، وقد اقتربت من السبعين ، بأن أضع طوق العار في عنقي هذا ، أو أذهب إلى قبري يرافقني الخزي .. ثم إنني رجل جبان أمام ضميري ، أرتجف بين يديه ولا أعصي له أمراً .. وأحسب أن جميع آبائنا وأجدادنا الأقدمين ينادون من تحت تراب فلسطين ، ويصرخون على كل عربي وكل فلسطيني : حذارِ .. حذارِ .. أضف إلى هذا أن التاريخ قد انتقل من أرجاء الكرة الأرضية كافة ، وهو واقف الآن كالمارد في منطقة الشرق الأوسط ليرى ويسمع ، وعلى الحاكم العربي المعاصر أن يعلم أنه سبقه ملوك ورؤساء ، فمنهم من خُلع ومنهم من صُرع ومنهم من مات على فراشه ولم يبق لهم إلا التاريخ .. أما الثورة الفلسطينية ، فكما قلت شأنها شأن كل الحركات التحررية ، تتعرض للانكسار والانتصار .. لكن الثورة لا تستسلم أبداً ، قد تنزل تحت الأرض زمناً طويلاً ، ولكنها تعود للنضال فوق الأرض ثانية ، وقد يتعب جيل ولكن بعد ذلك ينهض جيل آخر صدوره مختزنة الطاقات والقدرات .. وتنشب الثورة من جديد .. وما بالنا نذهب بعيداً ، إن فلسطين هي مهد النضال والكفاح عبر خمسين عاماً ، وخلال الانتداب نهض الشعب الفلسطيني بخمس عشرة ثورة تصدى فيها للاستعمار البريطاني وللقوى اليهودية العالمية ، وكان للاستعمار قوة عسكرية هائلة تتجاوز الخمسين ألف جندي بأحدث المعدات الحربية تصدى لهم عمالنا وفلاحونا وطلابنا وكل جماهير الشعب ، والثورة الحالية هي السادسة عشرة ولن تكون الأخيرة ، وسيظل الشعب الفلسطيني طليعة النضال ، والأمة العربية كذلك لن تتخلى عن وطنها في فلسطين ، لأن

القضية الفلسطينية قضية قومية على المستوى الأول ، بل إنني أستطيع القول إنه إذا تم تسوية أزمة الشرق الأوسط في جنيف ، فإن المفاوض العربي سيعود إلى الوطن العربي من جنيف ليجد أن القضية الفلسطينية تطل عليه من النوافذ ، ذلك أن التسوية لن تكون خاتمة المطاف لا عند الأمة العربية ولا عند الشعب الفلسطيني .. وإذا كان هذا الجيل قد أعياه النضال وأن سراجه قد نفد زيته فستأتي أجيالنا الصاعدة لتحمل راية النضال ثانية ، وعلى الولايات المتحدة وحلفائها والصهيونية أن تعلم هذا علم اليقين ، ذلك لأنه لا سلام مع العدو ولا تعايش مع الاحتلال .

• زيارتكم للكويت عادية ، أم رسمية ؟

- رسمية بدعوة من الأخ معالي الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية . وكما سبق ونشر في الصحف فإنني بصدد وضع كتاب جديد يتضمن مشروعاً عربياً جديداً لتطوير وتحويل الجامعة العربية من منظمة إقليمية إلى دولة اتحادية على أساس فدرالي ، وهي أمنية كل العرب من المحيط إلى الخليج .. ونحن - جيلنا بمعنى أصح - هو جيل القومية العربية التي لا تعترف بحدود ولابفواصل .

٦) بيـــان صحـفـي*

رأيت أن أدعوكم إلى هذا المؤتمر الصحفي ، في ختام زيارتي لهذا القطر العربي المضياف لأفضي إليكم بانطباعاتي العامة ، مع إيجاز مكثف عن أوضاع القضية العربية في مسارها الراهن ، والظروف الخطيرة التي تحدق بها في المرحلة الحاضرة ... كل ذلك ملخصاً فيما يلي :

أولاً: إن ما يسمى بالتسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط من خلال مؤتمر السلام في جنيف يقوم على الالتزام بقرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) والعمل على تنفيذه بكل أجزائه ، وهذا القرار سيلزم الطرف العربي بالصلح مع « إسرائيل » ، والاعتراف بها ، والتسليم لها بحدود آمنة ، وبشرعية وجودها وسيادتها على الأرض الفلسطينية مع التعهد بوحدتها الإقليمية والحفاظ على أمنها وسلامتها .. وذلك سيفضي حتماً إلى وقف النضال العربي والفلسطيني إلى حين لا نعلم مداه .

ثانياً : لقد أعلنت أميركا أكثر من مرة في عهد الإدارة السابقة واللاحقة أنها ستعمل لتحقيق حل وسط بين مطالب العرب والإسرائيليين ، ومعنى ذلك أن لا يتم الانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي العربية المحتلة ، وهذه أول نكسة للموقف العربي .

ثالثاً: ومما يدعم هذا التفسير الأميركي أن القرار أصلاً لم ينص على الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة ، ولا حتى إلى خطوط الخامس من حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ .

رابعاً :وبالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة بالذات ، فقد أعلنت « إسرائيل » غير مرة وأيدتها في ذلك المصادر الأميركية المسؤولة ، أنها ستطالب بمواقع عربية معينة لضمان أمنها وسلامتها ، فضلاً عن بقاء ثلاثين مستعمرة إسرائيلية على ضفاف نهر الأردن ، وكل مستعمرة تؤلف « إسرائيل » الصغرى .

خامساً : إن الضفة الغربية وقطاع غزة ، حتى إذا انسحبت « إسرائيل » عنها بكاملها ، ستبقى مجردة من السلاح ، والذين يعرفون جغرافية تلك البقعة الغالية من وطننا يدركون أنها تخلو من المقومات الاقتصادية والدفاعية ، وأنها لا تكاد تستوعب أهلها ، فضلاً عن الزيادة السكانية المتوقعة ، مما ينذر بنزوح الفلسطينيين بعد التسوية ، إلى أرجاء الوطن العربي .

سادساً : وبصورة قاطعة فإن الضفة الغربية لا تتسع للمليوني فلسطيني من شعبنا وهم الذين يؤلفون التجمعات الفلسطينية في الوطن العربي وفي المهاجر .

سابعاً: إن القدس الكبرى حسب التحديد الذي وضعته « إسرائيل » في تموز / يوليو ١٩٦٧ يمتد بين بيت لحم إلى رام الله ، ومنها القدس القديمة ، قد أعلنتها تحت السيادة الإسرائيلية ، وتؤيدها أميركا في ذلك بصورة أو بأخرى ، وهذه تؤلف ثلث الضفة الغربية من حيث المساحة ، وأقصى ما تعرضه « إسرائيل » بصدد القدس القديمة هو الموافقة على قيام مؤسسات دينية محلية للإشراف على الأوقاف والأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية .

ثامناً: إن موضوع الفلسطينيين قد ورد في قرار مجلس الأمن على اعتبار أنه مشكلة لاجئين ، ولم ينص هذا القرار على إعادتهم إلى وطنهم وديارهم ، وبهذا تبقى قضية اللاجئين في غير حل إلا استمرار التشرد إلى أجل غير مسمى .

تاسعاً: إن الدولة الفلسطينية المرتقبة ، لن تصلح للحاضر ولا للمستقبل ، فهي تقوم على خمسة عشر في المئة من الوطن الفلسطيني ، والشعب الفلسطيني لا يعارض عودة شبر واحد يتم تحريره فعلاً من وطنه ليقيم عليه سلطته الوطنية ، من غير أن يؤدي إلى الصلح مع « إسرائيل » والاعتراف لها بخمسة وثمانين في المئة من فلسطين وطناً شرعياً لـ « إسرائيل » ، على حين أنها لا تملك أكثر من خمسة في المئة من جميع فلسطين .

عاشراً: إن اعتماد القرار (٢٤٢) وهو الذي صدر بعد هزيمة حرب الأيام الستة ، فيه إهدار لأمجاد الحرب العربية الباسلة في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣ ، فضلاً عن إهداره لأسس القضية العربية التي تبنتها الأمة العربية عبر خمسين عاماً ... وكان الأجدر أن تعمل السياسة العربية على أساس صيغة تتفق مع مكاسب حرب أكتوبر لا مع خسائر حرب حزيران .

ولقد قيل إن مساوئ القرار معروفة وإن الانتقاد لا يكفي بل يجب طرح البديل ، والبديل يطرح نفسه ، إذا توفرت الإرادة للعمل في إطار البديل ... فنحن نقترح أن تكون تسوية الأزمة على أساس قرارات الأمم المتحدة جميعها منذ أن نشأت المشكلة في عام ١٩٤٧ ، ومن هذه القرارات ثلاثون قراراً بعودة اللاجئين إلى وطنهم وديارهم ، وعشرة قرارات بشأن القدس ، وكل هذه القرارات تعبر عن موقف دولي لا عربي . ولكن هذا البديل يتطلب أن نحدد الفريق الأصلي في مشكلة

(*) الصحف الكويتية ١٩٧٧/٢/٢ .

الشرق الأوسط ... وأن يكون تعاملنا مع هذا الفريق على هذا الأساس .

وكل متتبع لتاريخ أزمة الشرق الأوسط منذ بدايتها إلى يومنا يدرك بداهة أن الفريق الأصلي الذي أوجد الأزمة وعمل على تفاقمها هو الولايات المتحدة .

إن أميركا هي التي أقامت « إسرائيل » ، وبنت لها جيشاً وسلحته بأحدث الأسلحة ولا تزال ، وهي التي نقلت إلى بلادنا ما يقرب من مليونين وربع المليون يهودي بأموالها وتأييدها السياسي ، وبأموالها أنشأت ما يقرب من سبعين مستعمرة يهودية على سيناء والجولان والضفة الغربية ، وبأموالها وعلمائها بنت لـ « إسرائيل » المنشآت النووية في ديمونا ، وبأموالها تقوم « إسرائيل » بتهويد المدينة المقدسة .. وأخيراً فإن أميركا هي التي أرسلت منذ ثلاثة أسابيع أول فوج من الطائرات الحربية الحديثة التي يصل مداها إلى خمسة آلاف كيلو متر ، تكون قادرة على الضرب من المحيط إلى الخليج .

إذن فأميركا هي الفريق الأصلي الذي يجب أن تتعامل معه الدول العربية تعاملاً جدياً حازماً يصل إلى حد المواجهة السياسية والاقتصادية وغيرها ، لتحقيق الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية وتحقيق مطالب الشعب الفلسطيني .

ولدينا سابقة شهيرة في هذا الصدد ، حينما تصدى الرئيس آيزنهاور لـ « إسرائيل » وحضّها على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة في خلال أربعة أشهر ، وانسحبت معها بريطانيا وفرنسا أثناء العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ .

ويتعين على الدول العربية أن تضع الرئيس الأميركي الجديد جيمي كارتر أمام نفس الظروف التي واجهها آيزنهاور قبل عشرين عاماً .. ذلك أنه قد تنقضي مدة الرئيس الأميركي الجديد والاحتلال الإسرائيلي جاثم على الأرض العربية .

ونحن الآن بعد العشرين عاماً هذه ، نملك قوة اقتصادية هائلة على حين أن الدول التي ساهمت في بناء « إسرائيل » تعاني مشاكل اقتصادية ضخمة ، تحاول أن تسويها عن طريقنا وبمواردنا الهائلة .. وهذه هي فرصتنا الذهبية في العصر الحديث .

ذلك هو البديل لمن يبحث عن البديل ، وهو ليس مسؤولية دولة عربية واحدة أو اثنتين ، ولكنه واجب الدول العربية جمعاء .

وقبل أن أختم هذا المؤتمر الصحفي أرى لزاماً علي أن أتقدم بوافر الشكر والتحية إلى الكويت الشقيق أميراً وحكومة وشعباً ، لما لقيته من جميل الضيافة وكريم الحفاوة ، ثم إنني سعدت بلقائي مع صاحب السمو ولي العهد وأصحاب المعالي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والدفاع ، ووزير الخارجية ، ووزير التربية ، ولقيت استماعاً واهتماماً كريمين فيما تحدثت فيه .. ورأيت في ذلك ما يحفزني أن أهيب بأولياء الأمور في البلاد العربية أن يفتحوا أبوابهم وقلوبهم للمفكرين العرب في الوطن العربي ليدلوا إليهم بآرائهم الحرة بصدد القضية العربية .. فذلك أدعى لانتهاج العمل والاطمئنان على سلامته .

وأضيف كذلك توجيه الشكر إلى الصحافة في الكويت فقد أفسحت صدرها لآرائي التي عرضتها بصدد القضية المقدسة ، وذلك يحفزني أيضاً أن أناشد المسؤولين في الدول العربية أن يفتحوا أجهزة الإعلام أمام الرأي العربي الحر لينتفع الرأي الرسمي برأي قادة الفكر في الأمة العربية ، فإن الحكام يروحون ويغدون ولا تبقى إلا الأمة ، وهي باقية ما دامت الحياة على هذه الأرض .

تلك هي آرائي ، لا أمثل فيها حكومة ، ولا حزباً ولا تنظيماً ، ولكني بكل تواضع أحسب أنها تمثل ضمير هذه الأمة وتعبر عن آمالها ومخاوفها .

جعل الله لنا من أمرنا مخرجاً .

الكويت ١ / ٢ / ١٩٧٧ **أحمد الشقيري**

٧) الشقيري في ندوة اتحاد الطلبة الفلسطينيين بجامعة الكويت: مؤتمر جنيف تسوية باطلة .. والفلسطينيون في عنق الزجاجة*

جريدة القبس، الكويت، ٣٠/١/١٩٧٧

قال السيد أحمد الشقيري، الرئيس السابق لمنظمة التحرير الفلسطينية، إن مؤتمر جنيف لن يفيد القضية الفلسطينية أو العربية. وندد الشقيري بالحلول المطروحة لتسوية قضية الشرق الأوسط، ووصفها بأنها ذات داء باطل وأن الفلسطينيين في عنق الزجاجة. وأضاف في الندوة التي دعا إليها الاتحاد العام لطلبة فلسطين بالكويت، أن السياسة العربية بعد حرب أكتوبر/ تشرين الأول قد « هبطت إلى أسفل ». وأعلن رفضه للقرار رقم ٢٤٢، ووصفه بأنه قرار مشؤوم ولد على فراش الهزيمة.

وتناول الشقيري، في كلماته وردوده ونقاشه للأسئلة المطروحة في الندوة، جوانب المسيرة الفلسطينية، والمعارك التي خاضها عبر الثلاثين عاماً الماضية. وقال إن الأمة العربية تملك من القوة الاقتصادية، ما يمكنها من فرض إرادتها، وأكد أنه لن يعود إلى ممارسة المسؤولية العامة.

وفي بداية الندوة توجه الشقيري بالتحية للكويت، أميراً وحكومة وشعباً وقال:

« نحن جميعاً في مشرق الوطن العربي، مع شعبنا الشقيق في الكويت وطننا الأصيل، وفلسطين تملأ خواطرنا وضمائرنا، أجسادنا هنا، لكن أرواحنا في فلسطين، مع شعبنا المجاهد في الضفة الغربية، وقطاع غزة وسواحل فلسطين ورباها، كل رجالنا ونسائنا وفلاحينا في الميدان، وكان ذلك شأننا عبر ثلاثين عاماً ».

وعرض الشقيري مراحل النضال الفلسطيني منذ بدايتها، سواء في مواجهة الصهاينة أو ضد القوات البريطانية، التي بلغت خمسين ألف جندي وقت الانتداب. وقال إن الشعب الفلسطيني، كان يتصدى لهذه القوات المسلحة.

وقال الشقيري: إن الذين يقولون إن الشعب الفلسطيني قد باع أرضه، وتركها للدول العربية لتحريرها، إنما يرددون فرية صهيونية كبرى، فالشعب الفلسطيني خاض ١٥ ثورة مسلحة، في القدس ونابلس وطبرية، وإن ثورته الحالية، هي ثورته السادسة عشرة.

واستشهد بشهادة لرئيس الوزراء الإسرائيلي السابق ديفيد بن غوريون، حين سئل: ماذا تملكون في فلسطين؟، فأجاب:

« نحن نملك ٥٪ من أرض فلسطين ٢٪ منها نملكها منذ زمن الدولة العثمانية، والثلاثة الباقية في زمن الانتداب البريطاني ».

وتعرض الشقيري إلى الزحف الصهيوني على الأرض الفلسطينية، الذي جاء على مراحل، حتى أصبح الصهاينة يحتلون جميع الأراضي الفلسطينية. وقال:

« واليوم يطلب إلى الشعب الفلسطيني أن يتنازل عن وطنه تحت شعارات مؤتمرات دولية بعضها سمي بالأمم المتحدة وبعضها يسمى جنيف ».

وقال الشقيري إننا نمر الآن بمرحلة خطيرة لم يمر بها أجدادنا، وجيلنا هو جيل الحسم في قضيته المصيرية وأعاد إلى الأذهان مؤتمر ١٩٣٠، وقال إن الوفد العربي رفض أن يلتقي بالوفد الصهيوني، الذي كان يترأسه حاييم وايزمان، وأنه منذ اليوم الأول الذي أعلن فيه المندوب السامي البريطاني أن اللغة العبرية أصبحت هي اللغة الرسمية لفلسطين، اجتمع رئيس بلدية القدس « موسى كاظم الحسيني » بأعضاء المجلس، وقدموا استقالاتهم احتجاجاً على هذا القرار.

وقال الشقيري « إنهم يغروننا الآن بالتسوية السلمية ... أي التعايش السلمي مع « إسرائيل » الطاغية، كيف تحتل أرضنا، ويطلب منا أن نمد أيدينا لـ « إسرائيل » .. هل هناك شعب فرط في وطنه حتى يطلب منا أن نسلم أرضنا للعدو؟ ».

« إنهم » يريدون أن يجروا الفلسطيني إلى هذه الهاوية الكبرى، ويطمعون باعتراف فلسطيني بـ « إسرائيل » .. وتساءل:

- ما هذا الذي يعرض علينا؟

قطاع غزة والضفة الغربية، وطننا لنا؟. أي هراء هذا؟. إنها تسوية باطلة، فـ « إسرائيل » لن تسلمنا قرية واحدة، إلا إذا اعترفنا بها، وتعايشنا معها. إن ١٠٪ من أرضنا لا تصلح أن تكون وطناً.

ووجه الشقيري كلامه إلى الدول العربية كافة قائلاً:

- لن تنجحوا في تحرير بيت المقدس إلا بالمظليين

(*) قام بالتغطية إبراهيم الويشي.

العرب يهدمونها فوق رؤوس الصهاينة . وتساءل أين يذهب مليونان من أبناء الشعب الفلسطيني ؟ كيف يرضى الشعب الفلسطيني بهذه التسوية ؟

وقال الشقيري إن العرب الذين حققوا انتصارات مجيدة في حرب أكتوبر هم الآن سجناء أنفسهم ، وقد كبلوا أنفسهم بأنفسهم ، وإن السياسة العربية ، قد هبطت إلى أسفل ، منادية بأنه يكفينا قرار ٢٤٢ ، بل أقولها بصراحة لقد حدث انقلاب في الدول العربية ، ليس كغيره من الانقلابات الأربعين التي شهدتها الأمة العربية ، إلا أن هذا الانقلاب الحادي والأربعين ، قد حدث بدون البلاغ رقم واحد ، وبدون احتلال رئاسة الأركان ، لقد حدث ضد الأمة العربية ذاتها !

وأعاد إلى الأذهان أول مؤتمر قمة عربي ، بعد النكسة عام ١٩٦٧ ، الذي عقد بالخرطوم حيث قرر الملوك والرؤساء أنه لا صلح ولا اعتراف بـ « إسرائيل » ، ولا مساس بالقضية الفلسطينية . ثم قال :

وإذا بالقيم النضالية تنقلب إلى عكسها ، فنحن نقول إننا جاهزون للصلح والتعايش مع « إسرائيل » .

بديلان لجنيف

وأضاف الشقيري ، أنه سئل عما إذا كان لديه بديل لمؤتمر جنيف ، فأجاب بأن لديه بديلين ، وليس واحداً ، وقال « لكن يشترط في البديل أن تكون هناك إرادة لقبوله » .

وتساءل الشقيري عن الحكمة بتمسك العرب بالقرار رقم ٢٤٢ بالذات ، برغم أن الأمم المتحدة قد أصدرت ثلاثين قراراً تتعلق بعودة اللاجئين ، والقرارات العشر الأخرى تتعلق ببيت المقدس ، وقال إننا نتمسك بالقرار ٢٤٢ وحده لأنه يتعلق بـ « إسرائيل » . وتساءل من جديد :

- أي معنى لأن نلقي في سلة المهملات بثلاثين قراراً ، ونتمسك بقرار واحد طرح على فراش الهزيمة .

وقال إن عدونا هو « إسرائيل » ، لكن عدونا الأصيل هو الولايات المتحدة ، و « إسرائيل » هي العدو العميل ، التي كان عدد أفرادها لا يزيد عن خمسين ألفاً عام ١٩٢٠ ، وبلغ الآن ثلاثة ملايين ، أي أنهم ازدادوا ستين مرة ، وهي زيادة لم تقع في أية دولة في العالم ، لأن أميركا تعمل دائماً على زيادتهم فوق الأرض الفلسطينية ، وأميركا هذه هي التي يجب أن نتعامل معها ، لكن من موقف القوة ، فريق عربي ، لفريق أميركي .

وتحدث الشقيري عن القوة الاقتصادية العربية فقال إننا بها نستطيع أن نفرض إرادتنا ، انطلاقاً من شعار « نعادي من يعادينا ، ونصادق من يصادقنا » ، ولا ندع الفرصة لأميركا لأن تنفرد بنا دولة دولة ، بل نواجهها كرجل واحد ، ودولة واحدة .

وكرر الشقيري ، ما أعلنه مراراً ، من أنه لن يعود إلى ممارسة المسؤولية العامة ، وقال إنه لا ينتمي إلى أية حكومة أو حزب أو تنظيم ، ولا يرغب في الحصول على سلاح أو أموال ، وإنه لا يسعى إلى إنشاء أية منظمة جديدة ، وقال :

- أنا مواطن فلسطيني فحسب ، وقد ذكرت في كتاب استقالتي ، الذي قدمته إلى الشعب الفلسطيني عام ١٩٦٧ ، أنني لا أعتزل وطني ، ولا أتخلى عن قضية بلادي ، وهذا ليس عهدي وحدي ، وإنما يجب أن يكون عهدكم جميعاً .

وفي نهاية الندوة ، أجاب الشقيري على أسئلة الحاضرين ، وكانت تدور حول تصوراته عن الدولة الفلسطينية المقترحة ، وما تردد عن تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني ، ورأيه في التسوية المطروحة ، فقال :

- الدولة المقترحة ، ليس لها مقومات الدولة ، فإنها ستظل تحت رحمة « إسرائيل » استراتيجياً .
- الميثاق الوطني ، أقره الشعب الفلسطيني في بيت المقدس عام ١٩٦٤ ، وأقسموا اليمين على هذا الميثاق ، ولا يملك أحد تعديله ، لأنه متعلق بوطننا ، وحاضرنا ومستقبلنا .
- إذا كان جوهر القضية في « جنيف » فلنذهب ، لكن يجب أن نتحرك من منطلق القوة ، منطلق المارد العربي البترولي ، وإلا لن نبلغ شيئاً .
- ما جرى في لبنان ، تقع مسؤوليته على الدول العربية كلها ، وهو كارثة عربية خطيرة .
- الشعب الفلسطيني أمام مجزرة ، وهو في عنق الزجاجة .

٨) في حديث غير سياسي هو الأول من نوعه يجري مع الشقيري*

(مقتطفات)

ملحق جريدة السياسة ، الكويت ، ١٩٧٧/١/٣١

ما اقتصر حديث للأستاذ أحمد الشقيري طوال السنوات الثلاثين الماضية ، إلا على الشؤون السياسية وحسب ، وهمومه الفلسطينية بالذات والعربية بشكل عام .

ويمكن القول ، إن القارئ ما عرف الشقيري إلا سياسياً محترفاً ، وكاتباً لامعاً ، وخطيباً مفوهاً ، يملك ناصية الكلمة ورنة العبارة بصوته العميق وأسلوبه الذكي الرشيق .

لكن لأحمد الشقيري ، شأنه شأن أي إنسان على وجه المعمورة ، امتلكته السياسة وتملكته صورة أخرى ، هي صورة الإنسان ، الذي له قلب ، وعواطف وأحاسيس ، كما أن لأحمد الشقيري - فضلاً عن ذلك أيضاً - مذكرات خاصة جداً ، منها ما نشرها في كتب مذكراته ، ومنها ما لم ينشرها بعد ..

وفي هذا الحديث مع الشقيري الإنسان ، وذي المذكرات الخاصة ، نسلط الأضواء على هذين الجانبين فقط ، في محاولة لتعريف القارئ من خلال أجوبة الزعيم الفلسطيني على النواحي المظلمة في حياة الشقيري ، حيث لم تسلط عليها الأضواء أبداً ..

وفيما يلي هذا الحوار الطريف مع أحمد الشقيري :

• ما هو أخطر مأزق وقع فيه الشقيري منذ النكبة ؟

- يوم ٦ حزيران/ يونيو سنة ١٩٦٧ عندما اندلعت الحرب كنت في بيت المقدس ، جاء تلفون من السفير العراقي في عمان يقول فيه إن طاهر يحيى رئيس وزراء العراق سيحضر إلى عمان من القاهرة لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك وسيلتقي بك عند الملك حسين أرجو الحضور .

أقفلت السماعة وأعددت نفسي للسفر وإذا بالحرب تندلع وقد سمعت النبأ من الراديو فتساءلت هل أفضل البقاء في القدس بين أهلي وشعبي أم أذهب لعمان وألتقي بالملك حسين وطاهر يحيى رئيس الوزراء العراقي آنذاك ؟ وذهبت إلى عمان لأقوم بالواجب .

قالوا يومها إنني هربت بملابس إمرأة من بيت المقدس وكنت أعلم أن القدس سوف تسقط، واقترحت على الملك حسين اقتراحاً عملياً بأن أستدعي جيش التحرير الفلسطيني الموجود في - درعا - التي تبعد ساعات ليدخل القدس ويدافع مع أبنائها عنها من وراء الأسوار وتكون حرب شوارع ، وأوضحت للملك أن القدس لا تقصف من الجو بل الحرب حرب شوارع واقترحت تأجيل الحرب لأننا لم نكن مستعدين استعداداً حربياً .. ولكن لم يوافق على هذا الاقتراح أحد .

• كم مرة نجا الشقيري من الموت بعد هجرة فلسطين ؟

- حاول الصهاينة اغتيالي أكثر من مرة عندما كنت مندوباً للمملكة العربية السعودية في الأمم المتحدة، إذ طلبوا مني أن يضعوا لي حراسة على الفندق الذي أنزل فيه فرفضت ذلك وفضلت المبيت عند أصحابي . هذا حدث فقط في نيويورك وفي غير ذلك ما تعرضت حياتي للموت . لقد كنت في غزة في مناسبات كثيرة بين تجمعات شعبية حوالي نصف مليون من الجمهور بدون حراسة، وفي القدس أيضاً في ساحة المسجد الأقصى كنت أيضاً وسط التجمعات الشعبية كنت أتنفس الهواء بصعوبة من كثرة الجماهير ولم أتعرض إلى شيء من ذلك . والحراسة من الله ومؤمنون بالقدر « إذا لم يحرسنا الله فلا حارس لنا » .

• هل كان الأستاذ الشقيري يعرف ياسر عرفات قبل قيام فتح ؟

- عرفت ياسر عرفات في مناسبتين الأولى سنة ١٩٦٢ عندما كنت في بيتي في لبنان ، فقد كنت عائداً من الأمم المتحدة وجاء يحدثني عن قيام نشاط تنظيمي ثوري يحتاج إلى قيادة سياسية وطلب مني أن أكون قائداً لهذا التنظيم .

والمرة الثانية في القدس في أيار/ مايو سنة ١٩٦٤ عندما انعقد المجلس الوطني الفلسطيني وكان عضواً ورأيته مع بقية الإخوة .

• كم مرة أحب الأستاذ أحمد الشقيري في حياته ؟

- أحببت سبع مرات زوجتي أولاً وأولادي الستة .

• من أكثر زعيم عربي أحبه الشقيري ؟

- بالتأكيد الرئيس الراحل المرحوم جمال عبد الناصر وما وقع بيني وبينه من خلاف لم ينقص من حبه شيئاً .

• من أذكى حاكم عربي مر على الشقيري ؟

- الملك عبد العزيز بن سعود .

(*) أجرت الحديث فكرية البحيصي .

• هل يشاهد الشقيري أفلاماً سينمائية ؟ وكيف يقضي أوقات فراغه ؟

- أشاهد أفلاماً سينمائية قصيرة في بيتي بالتلفزيون .

ليس عندي وقت فراغ وأكره الفراغ وإذا حدث فراغ فأنا أشغله في القراءة والكتابة وممارسة رياضة المشي فأنا أمشي ساعة قبيل الظهر وساعة قبل المساء، وهنا حالياً أمارس رياضتي في حديقة الحزام الأخضر خوفاً من ازدحام السيارات ..

• أي صوت غنائي أعجب الشقيري ؟

- أنا أحب شوقيات أم كلثوم ومقدسيات فيروز ..

• أي كاتب عربي أعجب الشقيري ؟

- أحب أيام الدكتور طه حسين وأحب أيامي في " أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية " .

• أي خطيب عربي أعجب الشقيري ؟

- مكرم عبيد حينما خطب سنة ١٩٣٢ وحفزني أن أرد عليه بخطاب .

• كم لغة يتحدث أحمد الشقيري ؟

- بالإضافة إلى لغة الضاد ، التركية والإنجليزية وقليلاً من اللغة الفرنسية .

• ما هي أمنية الشقيري ؟

- أمنيتي أن أموت في عكا . ليس أن أدفن فيها فقط ولكن أريد أن تكون وفاتي في عكا وهي بلدي ومسقط رأسي ، لقد قال نابليون عنها في مذكراته عندما كان في سانت هيلانة : " لقد أضعت مستقبل حياتي على أسوارك يا عكا " .

• يقال إن أحمد الشقيري غني جداً فهل هذا صحيح ؟

- أنا غني جداً في غير المال وأما المال فأنا ميسور الحال .

• من هو أكثر زعيم فدائي فلسطيني كانت تربطه بالشقيري علاقة قبل قيام التنظيمات الفلسطينية ؟

- الشيخ عز الدين القسام الذي استشهد في أحراج يعبد سنة ١٩٣٥ ودافعت عن رفاقه الذين سقطوا في المعركة . وهم يمثلون أول ثورة مسلحة على الاستعمار الصهيوني والبريطاني .

• أي منفى نال إعجاب الشقيري بعد أن ضاعت فلسطين ؟

- مكتبي الصغير في بيتي في القاهرة في عمارة ليبون بالزمالك لأني أعيش فيها مع صلاح الدين الأيوبي .

• أكثر مرة (نرفز) فيها أحمد الشقيري في حياته ؟

- سؤال لطيف لأن النرفزات كثيرة أحاول أن أذكر أكثر مرة نرفزت فيها في حياتي :

عندما اجتمع ملوك ورؤساء العرب في مؤتمر القمة العربية في الخرطوم سنة ١٩٦٤ حينما صرح الملوك والرؤساء العرب " قررنا استئناف ضخ البترول " ، نرفزتي تجسدت في انسحابي من المؤتمر .

• ما هي أكلات الشقيري المفضلة ؟

- أكلاتي المفضلة اللبن الزبادي في العشاء وأكلة المسخن المحمر المشهورة في مدينة طولكرم .

• هل كانت علاقات الشقيري بجمال عبد الناصر جيدة ؟

- كانت جيدة جداً وتخللتها فترات من الخلافات والجفوة أشبه بالبهارات التي تفتح الشهية .

• لو لم يكن الشقيري محامياً ولا رئيساً سابقاً لمنظمة التحرير ولا خطيباً ولا أديباً ماذا كان يجب أن يكون ؟

- أحب أن أكون مزارعاً فلاحاً لتزداد صلتي بالأرض فأنا عاشق للأرض، ولطالما كنت أتجول في بلادنا في منطقة الجليل بالسيارة أرى الجمال والجلال في المنطقة الرائعة وتجدينني بدون إحساس أصفق في السيارة لوحدي .

• ما هي هوايات الشقيري غير السياسة والأدب ؟

- هوايتي في الساعة الخامسة صباحاً أن أضع ميكرفون الراديو في أذني حتى لا أزعج زوجتي وأطوف بين محطاته لأستمع إلى أخبار العالم، وهذا الراديو رفيقي دائماً وأنا أمارس هذه الهواية في الفندق وأسمع الأخبار وأتنقل فيه من محطة إلى محطة .

• ما رأي الشقيري في هؤلاء :

١ . ديغول .

٢ . أيزنهاور .

٣ . ماوتسي تونغ .

٤ . أنديرا غاندي .

٥ . كميل شمعون .

١- ديغول : أعجبني ديغول قائداً لحركة التحرير الفرنسية .

وأبغضه حينما كان يعالج القضية الجزائرية وفي الأمم المتحدة بدأت خطابي بكلمة اشتهرت في الأمم المتحدة قلت " إن الرئيس ديغول قد خان الجنرال ديغول " .

٢- آيزنهاور : أعجبني قائداً عسكرياً في أوروبا . وأبغضه رئيساً جمهورياً لأميركا حينما أعلن ملء الفراغ في الشرق الأوسط وخطبت خطاباً شديداً ضده .

٣- ماوتسي تونغ : اجتمعت به ثلاث ساعات في بكين في زيارة لنا سنة ١٩٦٥ رأيت فيه شخصية تاريخية عظيمة .

٤- أنديرا غاندي : أعجبت بوالدها جواهر لال نهرو في مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ وليس لي معها ذكريات ولا انطباعات لأنها كانت أشبه بسكرتيرة لوالدها وأزعجني أنها أصبحت دكتاتورة في الهند وعهدي أن الدكتاتورية في الرجال وليست في النساء .

٥- كميل شمعون : ليست لدي ذكريات وانطباعات شخصية عنه .

• ما هو أكبر مقلب شربه الشقيري في حياته ؟

- لم يستطع أي مقلب أن يصادفني وما شربت شيئاً .

• من هو أكثر شخص أكل مقلباً من الشقيري ؟

- المقالب ليست من هواياتي فقد قضيت معظم حياتي وعمري من أجل وطني وفي هذا الإطار لم أكن سياسياً ولا دبلوماسياً إلا فيما يخدم وطني .

• كم مرة سجن أحمد الشقيري ؟

- سجنت في فلسطين مرتين أو بالأحرى ثلاث مراتٍ مرة في سنة ١٩٢٩ في حوادث ثورة البراق في بيت المقدس، ومرتين في ثورة ١٩٣٦ و ١٩٤٠ وأنا هارب إلى مصر قبض علي في دير البلح على الحدود المصرية الفلسطينية في القطار من قبل ضابط إنجليزي اقتادني إلى غزة ومنها نقلت إلى سجن القلعة في عكا ومنها إلى معتقل المزرعة في شمال عكا .

وفاتني أن أذكر أن الاعتقال الإجباري فرض عليّ في منطقة الحمة في فلسطين التي تصلح في شهر أغسطس لشوي الناس .

وفي سجن القلعة أول ما استقبلني وهتف لي المسجونون المتهمون بجرائم وهم ينتظرون المحاكمة وينتظرون مني المدافعة عنهم والتقى في السجن المحامي والمتهم .

• هل يحب أحمد الشقيري أن يعود إلى الأضواء الفلسطينية ؟

- إذا كان المقصود بالأضواء الفلسطينية الدور القيادي فأنا لا أريد السلطة على الشعب الفلسطيني ، أما إذا كان المقصود بالأضواء الفلسطينية غير هذا فأنا واحد من الشعب أخدمه بطاقاتي وقدراتي الوطنية .

• صمت الأستاذ الشقيري قليلاً وقال :

- كفى .. كفى فهذا أول حديث يجري من هذا النوع معي شكراً .

٩) الشقيري يفتح ملفات القضية الفلسطينية*

جريدة العرب، الدوحة، ١٩٧٧/٢/٧

• أحمد الشقيري الذي يحمل آمال وتطلعات وهموم ما يقارب من أربعة ملايين فلسطيني مشتتين في طول العالم وعرضه، اختلفت التصورات والآراء حول جولته في منطقة الخليج. فمن قال إنه يتحرك في إطار استراتيجية فلسطينية جديدة، وهناك من تصور أن تحركه قد يصل إلى أبعد من ذلك.

وحقيقة أن الرجل الذي عايش آلام أمته وكفاح الجماهير العربية العريضة، لا زال يمتلك الطموح في توحيد الأمة العربية رغم المطبات السياسية والأشواك التي تدمي النضال العربي.

فالشقيري لم ينكر أن واجبه كجندي فلسطيني يحتم عليه استمرار التحرك لشرح تطورات قضية شعبه، ولكنه إلى جانب ذلك يسعى إلى خلق جامعة عربية قوية، وقيام اتحاد كونفيدرالي عربي.

- الهدف من زيارتي هو هدف المواطن العربي حينما يكون زائراً لمنطقة الخليج ودارساً لأحوالها الثقافية والاقتصادية والعمرانية والسياسية، إنما يتطلع إلى التعرف على جوانب هذه النهضة، وكذلك التعرف على مختلف التيارات السياسية التي تجتاح الوطن العربي فيما يتعلق بالقضية العربية وما يتعلق بالقضية الفلسطينية بالذات، فهي في الأصل استجابة لدعوة من وزير خارجية الكويت، وسرني كثيراً أن أذهب إلى الكويت وألتقي بإخواننا المسؤولين، وسرني هناك كذلك التقائي بإخواني الكويتيين والفلسطينيين.

طبعاً أنا في هذه الزيارة مواطن عربي همه الاطلاع والدرس والبحث وتبادل وجهات النظر مع المسؤولين من جهة ومع المفكرين العرب من جهة أخرى. كما هو معلوم أنا ليس لي مسؤولية رسمية لا في الجانب العربي ولا في الجانب الفلسطيني، لكنني كمواطن فلسطيني أحرص على الدوام أن أقوم بواجبات المواطن، فإذا كنت قد اعتزلت المسؤولية العامة ليس هذا يعني اعتزالاً لواجبي كمواطن فلسطيني أعمل مع إخواني المواطنين الفلسطينيين في سبيل تحقيق مطالب الشعب الفلسطيني ودفع الأذى والخطر الذي يحدق الآن بالقضية الفلسطينية.

ولذلك فزياراتي وأحاديثي واتصالاتي أقوم بها فقط كمواطن فلسطيني ليس له أي صفة رسمية.

كما أنني لا أستهدف لا من قريب ولا من بعيد أن أعود إلى ميدان المسؤولية العامة وإنما أحرص كل الحرص على أن يكون رأيي وتجربتي وخبرتي تحت تصرف إخواني الشعب الفلسطيني في كل تجمعاته.

وفي الكويت لقيت عدداً من السفراء العرب الذين أعربوا عن الرغبة في أن أزور بلادهم. وسبق لي في العام الماضي أن زرت الجزائر، وليبيا، والسعودية. وها أنا الآن في منطقة الخليج.

لذلك، فإن الهدف من الزيارة هو هدف علمي دراسي، كما أنه هدف قومي أتطلع من ورائه إلى إيضاح الموقف حول القضية الفلسطينية والظروف التي تكتنف هذه القضية.

هنالك موضوع محدد، وهو واحد من أهداف زيارتي، وهو مشروع منذ مدة وأنا عاكف على دراسته، وهو تطوير الجامعة العربية، من منظمة إقليمية إلى دولة اتحادية كونفدرالية.

أنا واكبت الجامعة العربية منذ عام ١٩٤٤ أيام مشاورات الوحدة التي انعقدت في الإسكندرية، وكنت يومئذ مستشاراً للوفد السوري، ثم واكبت الجامعة العربية أميناً مساعداً في عهد عزام، وعبد الخالق حسونة من بعده، واكبت الجامعة كذلك في الوفود العربية: في الوفد السوري مرة، وفي الوفد السعودي مرة أخرى، ولذلك تجربتي في الجامعة العربية أوحت إلى أنه بعد ثلاثين عاماً من النتائج الهزيلة التي توصلت إليها الجامعة العربية وعدم تحقيق آمال وطموحات المواطن العربي بإنشاء الجامعة العربية، فإنه آن الأوان بأن نطور الجامعة العربية من منظمة إقليمية إلى دولة اتحادية الكونفدرالية، وهذه كونفدرالية هي أنعم وأطرى أنواع الوحدة - ليست لينة فتعصر ولا صلبة فتكسر.

جربنا الوحدة الاندماجية فما فلحت، وجربنا وحدة فيدرالية فما فلحت أيضاً، ولم يكن السبب في ذلك الأمة العربية لأن الأمة العربية واحدة وترغب في الوحدة اليوم قبل الغد، إنما أسبابها تتصل بالحكم العربي المعاصر الذي أدى إلى إخفاق هذه التجارب.

وأنا أحس الآن أنه آن الأوان بعد ثلاثين سنة أن نطور هذه الجامعة إلى اتحاد كونفدرالي وخاصة أن أوروبا الآن مقبلة على اتحاد فيدرالي - وهو الأرقى.

أوروبا شعوبها التي تقاتلت عبر الأجيال وقامت

(*) أجرى الحديث عبدالحي دويدار.

بينهم مذابح دينية وطائفية وحروب سياسية ومصالح متضاربة ، والجماجم بالملايين ، الآن يتطلعون إلى قيام برلمان أوروبي يشترك في الانتخابات العامة فيه كل سكان أوروبا الغربية وإلى قيام دولة اتحادية فيدرالية .

فإذا كان أولئك الذين اقتتلوا وتناحروا يطمعون الآن في إقامة اتحاد أوروبي فنحن من باب أولى ، الأمة الواحدة والشعوب الواحدة ، واللغة الواحدة ، أن نوجد نوعاً من أنواع الاتحاد بدلاً من هذه الاتحادات التي تطالعنا فيها الصحف كل شهرين أو ثلاثة بين هذه الدولة أو تلك - هذا العمل المشرذم في الوحدة .

هذا المشروع أعددت له دراستي وأملي كبير في أن أتقدم به بعد استكماله رسمياً إلى الجامعة العربية ، وإلى الدول العربية ، وأنا دائماً في لقاءاتي مع المسؤولين أيضاً أطرح هذه الفكرة لأرى مدى الاستجابة .

• وهل وجدت استجابة لدى الدول التي زرتها ؟

- نعم ، الفكرة تطرح الآن لأول مرة ، وتطرح في ظرف قد يظن الواحد من بعيد - أين الفيدرالية والكونفدرالية والعالم العربي يغوص الآن في هذه المشاكل الكبرى . ولذلك فإنني لا أتوقع استجابات سريعة .

وغرضي الآن إعطاء صورة عامة في إطارها الواسع ، ولا بد أن ردود الفعل ستأتي حين تكتمل الدراسة وتأخذ تفاصيلها في إطار هيكلها العام . . وحقيقة أن هذا هو الهدف الثاني القومي من هذه الزيارة .

• قلت للأستاذ الشقيري : وماذا عن علاقتك بالقيادات الفلسطينية ؟ وهل تختلف معهم في الرأي حول مجريات الأحداث المتعلقة بالقضية الفلسطينية ؟

- أنا لا أعلم أن هناك خلافاً في وجهة نظري بالمبادئ الأساسية بيني وبين منظمة التحرير الفلسطينية ، والقيادة الفلسطينية ، فالمجلس الوطني الأخير الذي أقر مبادئه العشرة المعروفة واضح كل الوضوح ، من أنه يرفض إقامة الدولة الفلطسينية عن طريق جنيف وعن طريق القرار ٢٤٢ ، ولذلك ليس هناك في المبادئ الأساسية اختلاف ، وأنا ألتقي بإخواننا قادة المقاومة باستمرار وأعطيهم رأيي بتطورات القضية الفلسطينية .

وأنا منذ استقلت عام ١٩٦٧ أعلنت أنني سأظل أعمل لبلادي جندياً كما عملت لها قائداً ، أسوة بسيدنا خالد ابن الوليد ، قاتل قائداً وقاتل جندياً .

وأنا الآن جندي متواضع في الساحة ولا يمكن إلا أن أكون مشاركاً في تجربتي برؤيتي التي أطرحها على إخواني دائماً سواء في القيادة أو في التجمعات الفلسطينية .

جنيف . . غول القضية

طبعاً أنا تخالجني مخاوف كبرى في الوقت الحاضر لأن غول القضية الذي يكمن وراءها يقبل علينا يوماً بعد يوم .

جنيف الآن الحديث يكثر من حولها وطبعاً أنا لا أرى خيراً في جنيف للقضية الفلسطينية إطلاقاً ، ولا يمكن أن نجني من ورائها شيئاً ما بقيت تحت قرار ٢٤٢ ، الذي يكرس الوضع الإسرائيلي تكريساً كاملاً ما من شأنه أن يفرض علينا إذا اشتركنا في هذا المؤتمر أن نعترف بـ « إسرائيل » ، أن نتصالح مع « إسرائيل » ، أي نسلم لها بوطننا الواقع تحت الاحتلال .

وتلخيصاً للموقف أنا أعتقد أن الشعب الفلسطيني كله في إجماع على هذه المبادئ الأساسية .

قد يكون هناك خلاف في الطرق والوسائل مثل وجود خلافات بين المنظمات ، وهذا ليس في الخفاء ، هناك خلافات فكرية ، واجتهادات متعددة وهذا ينجرّ على المواطنين الفلسطينيين ، إنما هذا لا يفيد الشعب الفلسطيني من حيث مبادئه الأساسية الكبرى ، وأهدافنا جميعاً تحرير وطننا ، ونحن نعتبر جميعاً أن « إسرائيل » هي عدونا ، ولا يمكننا أن نتفاهم مع الإسرائيليين والاحتلال الإسرائيلي قائم فوق وطننا .

- وأنا أحذر من المزالق التي تنتظرنا .

- أحذر من المآزق التي تتطلع إلينا لتجذبنا إليها .

- وأحذر من الهاوية التي يراد على الصعيد الاستعماري الإمبريالي ، يراد من الشعب الفلسطيني أن ينزل إليها . طبعاً المنظمة واقعة تحت ضغوط شديدة ، فما جرى في لبنان مرحلة ضغط على المنظمة وعلى قياداتنا الفلسطينية لأن يركعوا ويسلموا ويستسلموا ، وهذه الضغوط ستستمر ، وإذا بحثنا عن جذورها لوجدنا أنها تهب من العالم الغربي ومن العالم الاستعماري تأتي إلى البلاد العربية تلف الوطن العربي . هذه الضغوط شديدة ، ولكن أنا لا أعتقد أن هذه الضغوط ستأتي بثمراتها ، لن يركع الشعب الفلسطيني ، ولن يستسلم ، ولن يصالح « إسرائيل » مهما كانت الصعاب ومهما كانت التضحيات . هذه قضية وطن وقضية مصيرية فلا يوجد حجر في فلسطين إلا وتحته شهيد ، منذ ١٩٢٠ إلى يومنا هذا ، ولذلك الضغوط موجودة ولكن ما ليس بموجود هو أن نركع تحت هذه الضغوط ، الركوع لن يتم ، وماذا « سيعملوا » بنا بعد المذبحة التي جرت في لبنان .

صحيح أن الشعب الفلسطيني يعاني من المتاعب ، كل فرد يعاني متاعب كبرى ، ولكن هذا هو قدرنا أن نصبر وأن نصمد .

إذا كانت الظروف العربية والعالمية الحاضرة غير مواتية لاستمرار النضال؛ فإن هذا لا يفرض عليها الاستسلام . سيأتي وقت، ويأتي جيل عربي وظروف أكثر ملاءمة لاستئناف النضال ، فالقضية الفلسطينية دائماً فيها فترات صعود في النضال ، وفيها فترات ركود .

في الثلاثين سنة الماضية ، في عهد الانتداب كان لنا خمس عشرة ثورة ، بين هذه الثورات كانت فترات ركود ، أو فترات انتكاس ، لكن لم يجر الاستسلام والتسليم .

في عام ١٩٤٨ قامت « إسرائيل » ، وشرد شعب فلسطين ، ومن عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٤ ، كانت فترة ركود ، غياب النضال الفلسطيني أو الثورة الفلسطينية ، لكن دائماً كان الفلسطينيون في كل تجمعاتهم يبحثون ليل نهار عن المخرج من الركود .

وهذا كله نتيجة هذا الإحساس الفلسطيني في تجمعاتهم ، وبتشاور الشباب الفلسطيني انتهى بقيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وقيام الثورة الفلسطينية .

- صحيح نحن لا نريد تعدد المنظمات ، ونحن نريد وحدة وطنية ، لكنها الظروف وبعضها نحن غير مسؤولين عنها ، فالانقسام والتشرذم الفلسطيني هو امتداد للوضع العربي ، امتد إلينا وأنشب مخالبه فينا ، لذلك هذه الفترات لن تركعنا .

ففي فترة الركود يرابط شعبنا منتظراً للفرصة ، متى لاحت ينهض من مرابطته ، خمسة عشر عاماً منذ عام ١٩٤٨ وحتى قيام منظمة التحرير عام ١٩٦٤ كانت هناك فترة ركود ، وظن البعض أن الشعب الفلسطيني قد مات .

وانتهت القضية .. ودالاس عندما زار المشرق في ذلك الوقت ، في إحدى خطبه قال « خلاص انتهت القضية الفلسطينية والجيل الفلسطيني الثالث ليست له ذكريات في فلسطين »

وبعد أن قال هذا الكلام ببضعة أيام رأينا أن الشعب الفلسطيني هب هبته سواء في منظمة التحرير الفلسطينية أو بقيام الثورة الفلسطينية .

ولذلك أقول لا نحن نخاف ولا غيرنا يفرح أن تصيبنا فترة ركود ، لأن ذلك من طبيعة الثورات .

فالثورة الجزائرية ، انتصرت بعد احتلال فرنسي للجزائر دام ١٣٠ عاماً كانت في الجزائر سنوات نضال تعقبها نكسات . وآخر نضال كان نضال السبع سنوات في ثورة الجزائر الذي حقق الاستقلال الجزائري ، لكن السبع سنوات الأخيرة سبقتها ثورات وانتكاسات وركود .

- وما العمل بعد رفض الركوع ؟

- نرفض الركوع ونرابط ونصبر ونصمد وتأتينا الظروف لاستئناف النضال ، فالضغوط القائمة يراد من ورائها أن تحملنا على أن نساوم على وطننا وأن نصالح « إسرائيل » العدو مباشرة . . هذا لن نفعله بالتأكيد .

نحن في موقف الدفاع منذ خمسين سنة

العدوان بدأ علينا منذ وعد بلفور ، بدأت الهجرات اليهودية موجة بعد موجة ، وغزو مسنود بالحراب البريطانية ، والآن موجات الهجرة مستمرة والصهاينة مسنودين بالأميركان .

والذي يمول الهجرة الصهيونية من ؟ هي أموال أميركية لأن « إسرائيل » ليس عندها أموال تمول هذه الهجرة الضخمة ، أميركا تمول الميزانية الإسرائيلية التي هي في عجز دائم : كل سنة ٢ مليار عجز تدفعها الخزانة الأميركية .

أميركا تأخذ دوراً مباشراً في عدائها للأمة العربية وللشعب الفلسطيني ، معتبرة أن « إسرائيل » هي ولايتها الحادية والخمسين . وإنها كما عبر أحد الأميركان « حاملة طائرات أميركية » من أجل أن تكون الشرطي الأمامي .

الأميركان كانوا يعتبرون أن حدودهم في فيتنام ، فحاربوا في فيتنام ولكنهم تحطموا ، وهم الآن يعتبرون تل أبيب حدودهم في المشرق العربي .

آخر صفقة أسلحة أميركية لـ « إسرائيل » طائرة ف - ١٥ التي يصل مداها إلى خمسة آلاف كيلو متر .

كان ذلك بفضل الدعم الأميركي لـ « إسرائيل » ، وأميركا من أركان اقتصادها هو الاقتصاد العربي ، فأميركا تعاني الآن من أزمة اقتصادية ضخمة ، عندهم بطالة وتضخم مالي بغير حدود ، والاقتصاد الأميركي والغربي مفتقر الآن إلى الاقتصاد العربي ، لذلك فإن أمام العرب فرصة ذهبية ما جاءت علينا منذ خمسين سنة . فاقتصادنا العربي قادر الآن أن يهز الاقتصاد الأميركي ، ويجعله يترنح فلماذا لا نستخدم هذا السلاح الاقتصادي العربي لإرغام أميركا على التخلي عن دعمها المتواصل لعدونا .

نحن الآن لا نكلم الأميركان من مركز قوة ، وإنما من مركز الرجاء والتوسل والمناشدة ، الإنجليز أصدروا وعد بلفور ، وأميركا بالإرهاب الفكري والاقتصادي فرضت التقسيم ، وأنشأت دولة « إسرائيل » وأميركا الآن ومعها أوروبا الغربية يئنون تحت وطأة المشاكل الاقتصادية .

كل أعدائنا مفتقرون الآن إلينا وهذه فرصتنا الذهبية أن نكلمهم من مركز القوة وأن نفرض حلاً .

وللأسف ، العكس هو الذي يجري الآن ، يراد أن يكون هنالك حل إسرائيلي مسنود بالسلاح الأميركي والنفوذ

الأميركي ليفرض على الأمة العربية ككل ، وعلى الشعب الفلسطيني بالذات .

ويضيف الشقيري ، يغروننا الآن بعناوين كبيرة « دولة فلسطينية » ، كلمة دولة كلمة كبيرة عندما يسمعها المواطن العادي يحسب أن وراء هذا العنوان الضخم شيئاً ، لكن الحقيقة أن هذه الدولة لن تنشأ إلا بأرض ، وأن هذه الأرض لن نحصل عليها إلا بتسليمها من قبل « إسرائيل » لنا ، و « إسرائيل » لا تسلمها إلا بالصلح والاعتراف والتعايش ، ونحن نرفض الصلح والاعتراف والتعايش ، ولذلك القضية الآن تقف على حافة هاوية ، وأرجو بتضامننا وبيقظة الحكم العربي أن ندفع الخطر عن القضية الفلسطينية .

١٠) الشقيري: نعم لثورة حتى النصر .. لا لثورة حتى الصلح*

(مقتطفات)

جريدة القبس، الكويت، ١٤ / ٤ / ١٩٧٧

• مؤتمر جنيف، حقيقة أم وهم ؟ وإلى أين سيقود ؟

- أثار مؤتمر جنيف اهتمام العرب منذ أن أصدر مجلس الأمن قراره الشهير بالدعوة له . وقد سمي « مؤتمر السلام » ، وكما يقول أهلنا « الكتاب يقرأ من عنوانه » ، ولذلك مؤتمر جنيف نستطيع أن نقرأه من اسمه وعنوانه ، وعندما يكون اسمه وعنوانه « مؤتمر السلام » فمعنى ذلك أنه يجب أن يفضي بالنهاية إلى اتفاق سلام وإلى عقد معاهدة صلح بين الدول العربية و « إسرائيل » .. وامتداداً لهذا المفهوم ، لا بد أن يكون الشعب الفلسطيني فريقاً في هذا الصلح ، وإذا انتهى مؤتمر جنيف إلى النجاح الذي ترجوه له الولايات المتحدة و « إسرائيل » وكثير من الدول الغربية تحت شعار الوصول إلى تسوية سلمية سياسية لأزمة الشرق الأوسط ، فذلك يعني عملية تصفية القضية الفلسطينية وتصفية النضال الفلسطيني ، وتصفية الثورة الفلسطينية ، ونهاية منظمة التحرير الفلسطينية التي وجدت من أجل التحرير .

- سينتهي مؤتمر جنيف إلى القضاء على هذه المنظمة ، وعلى كل أهدافها ، ونشاطاتها ، وتطلعات الأمة العربية ومعها الشعب الفلسطيني . هذا ما تريده « إسرائيل » ، وهذا ما تريده الإدارة الأميركية الجديدة برئاسة كارتر ، وهذا ما تريده أكثرية الدول الغربية التي تريد أن ينتهي الأمر في الشرق الأوسط إلى ما يسمى بالاستقرار والازدهار والسلام والأمن ، وإن كان كذلك ، فلا يمكن أن يتم إلا على حساب القضية العربية وعلى حساب القضية الفلسطينية ، وحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية .

هذا الكلام ليس مبعثه العاطفة الوطنية فحسب ، وإنما مبعثه الدراسة العلمية القانونية السياسية لمؤتمر جنيف ، فإذا ما أردنا أن نبحث عن جذور هذا المؤتمر ، وعن الأسس الدولية والقانونية التي ينعقد من أجلها ، لوجدنا بغاية البساطة ، ومن غير حاجة إلى عبقرية قانونية أو دولية ، أن هذا المؤتمر ينعقد من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر بعد حرب الأيام الستة في نوفمبر ١٩٦٧ .

ذلك القرار كان ثمرة الهزيمة، يوم هزم العرب في ٦٧ . كان من الطبيعي أن يفرض الغالب على المهزوم شروطه حينما تنتهي كل حرب ، « الغالب يفرض شروطه على المغلوب » . يومئذ اعتبرنا مغلوبين على الساحة الدولية ، واعتبرت « إسرائيل » هي الغالبة ، ففرضوا علينا شروطاً إسرائيلية أميركية بموجب ذلك القرار . وهذا القرار واضح الدلالة ليس إلى حدود حزيران ١٩٦٧ ، هذه الحدود غير مذكورة في هذا القرار إطلاقاً ، هذا الانسحاب ليس من جميع الأراضي العربية المحتلة بصورة كاملة ، وإنما من أراض ، وبخلوا على الأمة العربية بـ « أل التعريف » في ذلك الوقت في مجلس الأمن مع أن الوفود العربية طالبت ليومين متتالين الوفد البريطاني والوفد الأميركي بأن يضعا « أل التعريف » أو « كلمة جميع الأراضي العربية المحتلة » أو « حدود الخامس من يونيو » ولكن الأميركيين والبريطانيين رفضوا إدخال هذه التعابير .

لكن نحن إذا تساءلنا : هذه الحدود التي تريدها « إسرائيل » ، أين ستكون ؟ . ليست في الجوزاء ولا في السماء . إنما ستكون على أرضنا الفلسطينية ، على جزء من ترابنا الوطني . وهنا نطرح سؤالاً آخر : بين حدود ١٩٦٧ وحدود ١٩٤٧ يوجد خمسة آلاف كم٢ من الوطن الفلسطيني احتلتها « إسرائيل » على التعاقب خلال عشرين سنة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ .. كانت « إسرائيل » تزحف كل أسبوع وكل شهر وكل سنة هذا الزحف العدواني عبر ٢٠ سنة نقلها من حدود ١٩٤٧ وفي حدود التقسيم التي أعطتها إياها الأمم المتحدة من وطننا ومن أرضنا ، نقلت حدودها من حدود ٤٧ إلى حدود ٦٧ والفرق بينهما ٥ آلاف كم٢ ، أي خمس الوطن الفلسطيني .

• وما هو الموقف الذي ينبغي على منظمة التحرير اتخاذه تجاه مؤتمر جنيف ؟

- في رأيي أن مؤتمر جنيف شطر الموقف العربي ، لكنه أفرز القوى الوطنية في الوطن العربي . مؤتمر جنيف لقي تأييداً أو مساندة من جانب يضم بعض القيادات الفلسطينية ، لكنه واجه ويواجه معارضة من الكثرة الغالبة من الأمة العربية وشعب فلسطين الذي يرفض جنيف لأنه سينتهي إلى الصلح مع « إسرائيل » ، وهذا النضال العربي ومعه الفلسطيني عبر خمسين عاماً ، ومواثيقنا الوطنية كلها ترفض مثل هذه النهاية . ليس فقط الميثاق القومي لعام ١٩٦٤ الذي وضعناه في بيت المقدس وقوفاً ووجوهنا إلى المسجد الأقصى ، وأقسمنا على أن نصون الميثاق ونصون بلادنا ونعمل

(*) أجرى الحديث في القاهرة صادق نواس .

على تحرير كل شبر من أرضنا ومن وطننا ومن ترابنا الطيب .. سبقتنا مواثيق كثيرة عقدها آباؤنا وأجدادنا من سنة ١٩٢٠ في فلسطين ، مؤتمرات وطنية سبعة ، من المؤتمر الأول إلى المؤتمر السابع ، وكل شيوخنا في فلسطين أيام كنا في بلادنا ، وقفوا أيضاً وأقسموا العهد والميثاق على الحفاظ على التراب الوطني الفلسطيني . وإذا كنا نحن نريد أن نصالح « إسرائيل » الآن ، يحق أن نتساءل : الشهداء عبر خمسين عاماً ذهبوا من أجل ماذا ؟ . وهذه المذابح التي حلت بنا من أجل ماذا ؟ والآن ندعو إلى التطوع من أجل ماذا ؟ ونحمل السلاح ونحوز السلاح من أجل ماذا ؟

إذا كان من أجل الصلح ، فتكون ثوراتنا المتعاقبة كلها وتحت شعار « ثورة حتى الصلح لا ثورة حتى التحرير والنصر » . ونحن شعارنا الذين طرحه آباؤنا وأجدادنا وثوارنا الذين ذهبوا شهداء حتى في هذه السنين الأخيرة ، لم يسقطوا شهداء من أجل أن نذهب إلى جنيف ، ونتصالح مع « إسرائيل » ونطوي القضية وكأن شيئاً ما كان .. هذا لم يفعله شعب على وجه الأرض ، أنا لا أعرف حركة تحريرية انتهت إلى التسليم للعدو الغاصب المحتل ، انتهت بتسليم الوطن ، نحن نعلم أن الحركات التحريرية تمر بمراحل يتم فيها التوافق والانتقال في المراحل الانتقالية مع السلطة المحتلة ، لكن هذه الاتفاقات لا تكون على حساب الوطن وعلى حساب الشعب ، كانت على الدوام من أجل السلطة الوطنية ، مدة انتقال السلطة الوطنية .

ويقول سمعت أن أخاً تونسياً وآخرين غيره قالوا في المجلس الوطني : « إن على منظمة التحرير أن تحارب وتفاوض كما فعلت فيتنام وغيرها » . ولكني أقول : إن هؤلاء لا يعرفون ماذا كان هدف المعركة في فيتنام .. نحن مع أهل فيتنام لأنهم كانوا على حق عندما رفعوا شعار « حاربوا وفاوضوا » لأن المعركة لم تكن من أجل الأرض في فيتنام ، كانت من أجل النظام ، هل يكون النظام العميل الأميركي هو الذي يسود فيتنام ، أو النظام الوطني المنبثق من إرادة الشعب الفيتنامي الطامح إلى الحرية ، ومن أجل هذا انتصرت فيتنام .. مرت سنة فاتحد الشمال والجنوب في دولة واحدة . إذاً ، كانت الثورة من أجل الوحدة ، ومن أجل الحكم الوطني المنبثق من إرادة الشعب ، وليس الحكم الذي يستند إلى جراب عملاء الولايات المتحدة ، أولئك إذن كانوا على حق في أن يحاربوا ويفاوضوا ، لأن الخلاف لم يكن على الوطن ، ولا من أجل السيادة أبداً .. أميركا لم تزعم يوماً أنها تريد أن تجعل من فيتنام الولاية الحادية والخمسين . أما قضيتنا في فلسطين فمختلفة كل الاختلاف ، « إسرائيل » ومعها الولايات المتحدة الأميركية تقولان إن « إسرائيل » وجدت لتبقى .. وكارتر في تصريحاته الأخيرة يقول « إسرائيل » هي أعظم إنجاز حققته الشعوب في التاريخ المعاصر ، ونحن نقول إن قيام « إسرائيل » هو أعظم انتهاك لحقوق الإنسان في هذا التاريخ ، وأعظم إرهاب حل بالشعب الفلسطيني ، لذلك أنا ضد جنيف ومعي الأمة العربية كلها والشعب الفلسطيني كله ، ومن أراد أن يستبين هذه الحقائق فليتفضل إلى الشارع .. إلى المخيمات .. هناك يعرف الحقيقة .

أنا طفت البلاد العربية في السنة الماضية ، وهذه السنة ، وأعرف مشاعر المواطن العربي والأمة العربية .. أنا لا أتكلم بالعاطفة وقد أشرفت على السبعين .. ليست الحماسة التي تتكلم ، وإنما هو الإيمان بالقضية الوطنية لأنها قضية الشعب وقضية الوطن ، ولا يمكن المساومة عليها إطلاقاً .

الاتفاقات التي صارت بين الدول المستعمرة وبين الشعوب المستعمرة كانت من أجل مدة الانتقال . متى يتسلم أهل البلاد السلطة الوطنية ، وهذا ما تم في تونس .. فالأخ التونسي الذي تكلم عن المجلس الوطني لعله لا يعرف قضية بلاده .. لا يعرف أن القضية التونسية كانت بيننا وبين فرنسا صراعاً ليس على ملكية الوطن وإنما على الحرية والسيادة ، فلما سلمت فرنسا للشعب التونسي بحريته كانت المفاوضات قائمة على أساس متى يجلو الفرنسيون عن البلاد ، ومتى يستلم أهل البلاد السلطة والسيادة ، خلال ثلاث أو خمس سنوات ؟ .. وكذلك كانت مفاوضات « إيفيان » بالنسبة للجزائر وكذلك الحال بالنسبة للمغرب وكذلك بالنسبة لمصر .. سبعون سنة من الاحتلال البريطاني ، هنا في مصر ، لم يسلم الشعب المصري بالاحتلال ، بل ظل مكافحاً مجاهداً ، إلى أن جاء الوقت ، وتمت اتفاقية الجلاء ، ولكن بريطانيا ، في وقت من الأوقات لم تكن تزعم أن الأرض المصرية أرض بريطانية وأن بريطانيا ستبقى في هذه البلاد إلى الأبد ، الوضع مع « إسرائيل » مختلف ، فالذين يتكلمون عن المراحل لا يعرفون القضية الفلسطينية .. إما أنهم يجهلونها أو يتجاهلونها ، أو أعياهم السير في الدرب ، واستُنزفوا ولم يستطيعوا الاستمرار في السير ، ولذلك أنا غير موافق على أن تذهب الدول العربية والشعب الفلسطيني إلى جنيف .

القضية قضية مبدأ أصلاً ، ثم إني أعتقد عملياً أيضاً أن هذا المؤتمر لن يحقق للأنظمة العربية ما ترجوه أو ما ترجوه بعض القيادات الفلسطينية . كلهم واهمون وغارقون في الخيال إذا كانوا يظنون أنهم يستطيعون في مؤتمر جنيف عملياً أن يصلوا إلى النتائج التي يتطلعون إليها .

بالنسبة للفلسطينيين ، إذا كان يريد أن يذهب أحد

من الفلسطينيين إلى جنيف فإنه لا يملك أن يذهب باسم منظمة، ولا باسم ثورة .. لا باسم منظمة التحرير، ولا باسم الشعب الفلسطيني إطلاقاً ، ولا يملك أحد هذا الحق . الذي يريد أن يذهب من الفلسطينيين ، فليذهب باسمه المجرد ، يذكر اسمه الأول فقط ، وليس له الحق أن يذكر اسم أبيه أو جده ، لأنه لا أبوه ولا جده يوافقان على الذهاب إلى جنيف .. هذا يجب أن يكون واضحاً ومعلوماً .

بعض الناس يقولون : إلى متى سنظل نحارب ؟ أنحارب إلى الأبد ؟ وأجيب : نحن لا ندعو إلى حرب إلى الأبد .. من قال إننا دعاة حرب إلى الأبد ؟

أنا قرأت مرة بعض إشارات في بعض الصحف العربية تقول : وهل سنظل نحارب إلى الأبد ؟ .. أبداً ، من قال إننا سنحارب إلى الأبد ؟! سنحارب إلى أن نصل إلى حقوقنا ، ولا بد أن نصل إلى هذه الحقوق . أنغولا حاربت ٥٠٠ سنة ... لم يقل الشعب الأنغولي في الخمسين سنة الأولى « كفاية .. حنحارب إلى الأبد » . الجزائريون حاربوا ١٥٠ سنة ، ولم يقولوا في العشرين سنة الأولى « كفاية .. يجب أن نستسلم إلى فرنسا » ، وفرنسا كانت تزعم أن أرض الجزائر هي أرض فرنسية . ناضلوا ١٢٠ سنة إلى أن تحقق الاستقلال والحرية ..

عبد القادر الجزائري .. زعيم الثورة الجزائرية الأولى الذي صمد .. انكسر ، وذهب إلى دمشق لاجئاً وتوفي فيها ، وتعاقبت الثورة الجزائرية والنضال الجزائري ١٢٠ عاماً إلى حقبة النضال الأخيرة ، وحقق الشعب الجزائري حريته بمليوني شهيد وجاءوا برفات الأمير عبد القادر من دمشق، ودفنوه في أرض الجزائر .. لم يقل أحد من الجزائريين أو من قيادة الشعب الجزائري في الخمسين سنة الأولى « كفاية حرب ، لا نستطيع أن نحارب إلى الأبد » . كل الحركات التحريرية استمرت أجيالاً وتعاقبت عليها جيلاً بعد جيل ، ونحن أولى ... لأن واقعنا أشد وأقسى وأمرّ فيما يتعلق بقضيتنا من الناحية العملية .

ماذا يريد العرب .. يريدون عودة الأرض العربية كاملة . وهذه التصريحات وصلت إلى عنان السماء ، نحن نقول لهم مستندين على حقائق ووقائع مادية تثبت ذلك ، إنكم لن تستطيعوا تحرير الأرض العربية كاملة ، وإن أميركا نفسها - وهي الآن الوسيط - هي في الحقيقة عدو ، وليست وسيطاً ، لأنها منحازة إلى « إسرائيل » مائة في المائة ، وهي تقول يجب أن نصل إلى حل وسط ، ومعنى ذلك الحل الوسط أنها لن تلبي رغبات الدول العربية بالجلاء الكامل . ثم إن أميركا تقول للعرب يجب أن تتفاوضوا ، وهذا يعني أنه ما دام هناك تفاوض ، فإن الجلاء عن الأرض العربية خاضع إلى المساومة والمفاوضة ، هي أخذ وعطاء ... وهذه النقطة الثانية تثبت أن الجلاء عن الأرض العربية كاملة لن يتم . ثم ، لدينا ملف ضخم من تصريحات المسؤولين الإسرائيليين منذ عام ١٩٦٧ إلى الآن يقولون فيها بأنهم لن يعودوا إلى حدود ١٩٦٧ ، ولذلك كان من واجب العرب على الأقل أن يقولوا ما دامت « إسرائيل » تعلن أنها لن تعود إلى حدود ١٩٦٧ فإنهم لا يريدون الذهاب إلى جنيف .

ما الفائدة من الذهاب إلى مؤتمر جنيف و « إسرائيل » تنسفه من البداية ؟ إنها ترفض الانسحاب من الأراضي المحتلة ، خصوصاً الأراضي العربية .. تترك الجانب الفلسطيني ، بل الأراضي التي هي دولياً وبالاتفاقات الدولية تابعة لدول أعضاء في الأمم المتحدة ، أراضٍ ليس لـ « إسرائيل » أن تبقى فيها يوماً واحداً وهي سيناء والجولان لأنها في معزل عن التراب الفلسطيني إذاً ، ما الذي سيحققه مؤتمر جنيف ؟

ونأتي إلى قضية القدس . في اعتقادي أن قضية القدس هي درة النزاع في هذا الموضوع . ولقد أعلنت « إسرائيل » ومعها أميركا ، أن القدس هي عاصمة « إسرائيل الخالدة » ، وأنها لن تعود عنها . يوم دخلوا بيت المقدس تجمعوا كلهم فيها ، زعماء دينيون وعسكريون وسياسيون ، وأعلنوا بعهد وميثاق « الآن نعود إلى بيت المقدس ، ولن نخرج منها بعد اليوم » . وقالوا مرات ومرات أن « إسرائيل » بغير بيت المقدس « جنة بلا ناس وجسد بلا روح » . ويعود إلى مؤتمر جنيف الذي انعقد في كانون الأول / ديسمبر ١٩٧٣ . في الجلسة اليتيمة التي انعقدت في جنيف ، أعلن أبا إيبان وزير خارجية « إسرائيل » آنذاك أنه لا خروج من القدس ، وأنها هي العاصمة ، وأن قضية القدس غير قابلة للمفاوضات ... قالوا هذا في المؤتمر ، بالإضافة إلى ما قالوه من أنه « لا عودة إلى حدود ١٩٦٧ » . نترك التصريحات الصحفية جانباً ، ونأتي إلى المواقف الرسمية سواء في الأمم المتحدة أو في مؤتمر جنيف ... أعلنت « إسرائيل » مرات ومرات أن القدس في حوزة « إسرائيل » وأنه لا عودة إلى الحدود السابقة ، وأنه يجب أن تقوم هناك معاهدة صلح بيننا وبين الدول العربية ، وأن معاهدة الصلح هذه يجب أن يكون فيها انفتاح اقتصادي وثقافي واجتماعي . فهل يقبل العرب بذلك ؟

- ما رأيكم في تصريحات كارتر الأخيرة حول المشكلة الفلسطينية والوطن الفلسطيني ؟

- ما الذي قاله كارتر ؟ .. تحدث عن ضرورة التوصل إلى اتفاق سلام ، وقال إن هذا الاتفاق يجب أن يؤدي في النهاية إلى فتح الحدود بين « إسرائيل » والدول العربية اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، ومعناه أن تصبح « إسرائيل » في وضع مريح يسمح لها بأن تدخل الجامعة العربية

ما دامت إحدى دول الشرق الأوسط وفي قلب العالم العربي ، ولا يبقى إلا أن تدخل في منظمات إقليمية (وقد سبق أن دعتنا " إسرائيل " إلى مؤتمر إقليمي لبحث مسائل الصحة ومكافحة الجراد ، ومشاكل الزراعة ثم في قضية اللاجئين) . هذا كلام يجب أن يعرفه كل مواطن . ليس في جنيف سواء تحت مظلة القرار رقم ٢٤٢ أو تحت مظلة أي قرار آخر مكان للمليوني لاجئ فلسطيني ، فـ " إسرائيل " وأميركا والدول العظمى لديها تصور واضح في أذهان مسؤوليها ، وهو أنه لم يعد هناك مكان لعودة اللاجئين الفلسطينيين لأنه في نظرهم حل محلهم مليون ونصف مليون من الإسرائيليين .. لم يعد لهم بيوت ، ولا مزارع ولا ... ولا ، مع أن هذا الكلام منقوض ومرفوض ، لأن " إسرائيل " تتطلع إلى مجيء يهود الاتحاد السوفييتي وعددهم ٣ ملايين نسمة . فإذا كان عندها برامج لتهجير ٣ ملايين يهودي وتتسع البلاد لهم ، لماذا لا تتسع للمليوني لاجئ فلسطيني .. وقد قالها إيبان في جنيف ، والخطاب عندي ... أنه " لا مجال لإعادة اللاجئين إلى ممتلكاتهم السابقة ... نحن عندنا تجربة الاستيطان يستطيع العرب الاستفادة منها " . هو يريد أن يقوم بدور المرشد والناصح والمعلم ليعلم الدول العربية ، كيف تعمل لتوطين اللاجئين في الوطن العربي .

- التعتيم الإعلامي العربي هو الذي فرض أن لا ينشر خطاب إيبان .. وأنا لم آخذه من الإعلام العربي ... بل من الأمم المتحدة وباللغة الإنجليزية .. وعندما قرأته ، رأيت نفسي أمام مواقف رهيبة ، تريد أن تفرضها " إسرائيل " على الأمة العربية كما يفعل الغالب مع المغلوب .

ومن المحزن أن يكون موقفنا هذا بعد حرب أكتوبر .. أنا أقول إن حرب أكتوبر فنياً وعسكرياً كانت عملاً مجيداً ، لكن كل السياسة العربية التي مورست بعد هذه الحرب استنزفت انتصارات الحرب ، وأكلت رصيدها . أعطتنا الحرب رصيداً ضخماً فسحبنا هذا الرصيد حتى لم يبق منه شيء ، ويأتي كارتر بإدارته الجديدة ليضحك على العرب وعلى الفلسطينيين ويقول لهم ، نريد أن نعمل لكم وطناً قومياً ، وهلل بعض الناس دون أن يقرأوا التصريح بكامله وكأنما بعض المنظمات يجب أن تعوم كما قال المثل العامي " على شبر ماء " وبعض الأجهزة العربية نشرت بالأعمدة الضخمة والمانشتات الكبيرة هذا الخبر المثير على صفحاتها الأولى .. وأضاف إليه أن مجرد مصافحة كارتر لممثل منظمة التحرير هو حدث تاريخي خطير ، فأي تفاهة أشد من هذه التفاهة ، وأي سطحية وضحالة أشد من هذه السطحية والضحالة ؟! .

إذا كانت المصافحة والابتسامة هي الحدث الوطني الخطير ، فلست أدري ماذا سيفعل يوم التحرير ... رغماً عن أن وزارة الخارجية الأميركية أصدرت بيانات متعددة تؤكد أن مصافحة ممثل المنظمة ليس له أي مغزى سياسي .. هذا ما قاله الأميركيون أنفسهم ، ولكننا أعطينا كل المغازي السياسية . لذلك فإنه ليحزنني أن الإعلام العربي في عدد من الدول العربية يضلل ويجهّل الرأي العام العربي والشعب الفلسطيني . المواطن العربي والمواطن الفلسطيني أذكى من كل ذلك ، فهو يتهرب من الإذاعات العربية ومن الصحافة العربية إلى الإذاعات والصحافة الأجنبية ويستمع إلى الحقائق ويعرفها ... ومن هنا فإن المواطن العربي والفلسطيني يعرف الحقائق معرفة جيدة .

• ما رأيكم في " جبهة الرفض " ؟

- إن جبهة الرفض في حقيقتها هي كل الأمة العربية ، وإنما في اعتقادي أن الدبلوماسية العربية الذاهبة إلى جنيف سترى أن الطريق مسدود أمامها ، ولن تستطيع العودة إلى الشارع العربي بل وإلى العواصم العربية وللجماهير الإسلامية لتقول " إننا لم نستطع استرداد بيت المقدس " . والعالم الإسلامي والعالم العربي يحتفل كل سنة بليلة الإسراء والمعراج ، فكيف يمكنه أن يقبل تسوية ليست القدس على رأسها ، وأقصى ما يمكن أن نصل إليه ، هو أن تسمح لنا " إسرائيل " بإنشاء مجلس من أجل الأوقاف الإسلامية من أجل تنظيفه وترميمه هذا إذا بقي المسجد الأقصى ، لأن الحفريات مستمرة بحثاً عن الهيكل اليهودي من كل جانب ، ولا ندري إلى أين سينتهي الأمر بنا ، لذلك فأنا في اعتقادي أن الذين سيذهبون إلى جنيف سيعودون وينضمون إلى " جبهة الرفض " ... لكن جبهة الرفض مع اللطم والندم حيث لا ينفع اللطم ولا ينفع الندم .

بعضنا يتكلم عن النقاط الأربع عشرة ، وهؤلاء لا يعرفون أن ولسون هو أكبر الذين صنعوا وعد بلفور ١٩١٧ وأعان الحركة الصهيونية بالضغط على وزارة الخارجية البريطانية يومذاك لإصدار وعد بلفور . لقد كشف الرئيس كارتر بعض أوراقه ، وهناك أوراق كثيرة . إننا نقول إن أميركا تملك أكثر من ٩٥ بالمائة من أوراق اللعبة .. نعم .. لكن كل ورقة تنكشف سنجد أنها علينا وليست لنا . بعض أوراقه التي انكشفت قال فيها إن الأمر يحتاج إلى ٨ سنوات ريثما ينتهي هذا النزاع ونصل إلى اتفاق . ثماني سنوات إذا أضفناها إلى العشر التي مرت علينا يكون مجموعها ١٨ سنة يجثم الاحتلال الإسرائيلي خلالها ، ولن نستطيع أن نظفر من أميركا بشيء . هل تستطيع أميركا أن تفعل لنا شيئاً إن كانت صادقة ؟ .. نعم .. تستطيع ، وأمامنا عليها مثل ، ومثل تاريخي ...

أيام الرئيس آيزنهاور وفي عهده ، وضعته الأمة العربية تحت ظروف جعلته يخرج " إسرائيل " وبريطانيا وفرنسا معاً بالعصا من سيناء وغزة خلال ثلاثة شهور ، دون مؤتمر جنيف ومن غير معاهدة صلح ، ومن غير حدود آمنة ومعترف بها .

الرئيس آيزنهاور أيام العدوان الثلاثي أخرج كل هؤلاء ، وليس " إسرائيل " وحدها ، بل ومعها الحليفان العظميان ، وكانا يومئذٍ عظيمين فعلاً ، ذلك لأن الأمة العربية اتخذت آنذاك موقفاً لو اتخذته اليوم لحملت كارتر على أن يلعب نفس الدور الذي لعبه آيزنهاور .

ونحن اليوم قادرون على اتخاذ موقف أعظم ، لأننا أقوى من عام ١٩٥٦ .. كانت قوانا محدودة ، أما الآن وفي عام ١٩٧٧ فقوانا لا حدود لها ، الاقتصاد الأميركي يعتمد علينا ، الاقتصاد الأوروبي يعتمد علينا ، يسألوننا عن البديل ؟ يسألوننا ما هو المخرج ؟ البديل والمخرج في أيدينا .. نحن الآن أمام فرصة ذهبية لم تحدث منذ خمسين عاماً ، كل الذين أنشأوا " إسرائيل " منذ خمسين سنة في حالة الضعف الاقتصادي والتضخم المالي والبطالة ، وكلهم بحاجة إلى الأمة العربية ، من أميركا إلى هولندا .. جميعهم في حالة من الارتباك الاقتصادي والاجتماعي ، ويعقدون مؤتمرات اقتصادية دولية لإنقاذ ميزان المدفوعات ، ولا يجدون إلى ذلك سبيلا . وكذلك فإن نقدهم يتدهور يوماً بعد يوم ، والبورصة تتأرجح كل أسبوع .. هم محتاجون إلينا .. هم في حالة الهبوط ، ونحن في حالة الصمود ، لأن اقتصادنا متنام متعاظم . ثرواتنا كثيرة ، نحن نستطيع من مركز القوة أن نطلب الحل ، وأن نفرض الحل ، لكننا مع الأسف نطلب الآن من موقع الهزيمة تطبيق القرار ٢٤٢ ، كان المفروض بعد حرب أكتوبر - وهي حرب انتصار - أن نتكلم من موقع النصر ، فارتددنا على أعقابنا إلى عام ١٩٦٧ ، ووجدنا عند الأمم المتحدة قرار الهزيمة فتناولناه بأيدينا نحن من سلة الأمم المتحدة ، وقلنا لدول العالم نفذوا لنا هذا القرار ، قرار الهزيمة ، نحن نطالب بتنفيذه ، الأمة العربية بعد حرب أكتوبر حدث فيها انقلاب وهو أقسى انقلاب حل بالأمة العربية .. أول انقلاب كان انقلاب بكر صدقي في العراق في الثلاثينيات ، وأعقبه بعد ذلك أربعون انقلاباً ... انقلاب وانقلاب مضاد ، ثورة وثورة مضادة ، في كل العالم العربي .. هذا الانقلاب هو أفظع انقلاب عمّ العالم العربي ، لأنه انقلاب دون احتلال رئاسة الأركان ودون البلاغ رقم واحد .. هذا الانقلاب ، كان انقلاباً فكرياً هائلاً ، نقل القضية من فلك إلى فلك ، ومن محور إلى محور ، ومن قضية نضال إلى استسلام وتخاذل ، ومن عدم صلح إلى صلح ، ومن عدم مفاوضة إلى مفاوضة ، ومن عدم تعايش مع " إسرائيل " إلى تعايش معها .. ونحن الآن ننادي ونأخذ المبادرات من أجل الصلح مع " إسرائيل " و " إسرائيل " تتردد .. نحن نهرول وراء الصلح ، هذا موقف تاريخي لا يجوز أن يمر بسهولة بهذا الشكل ، وفي اعتقادي أن هذا الموقف سيفضي بالنتيجة إلى تحرك عربي في الوطن العربي بكامله ، لاستئناف النضال .

الأمة العربية سترفض الرضوخ ، وترفض الاستسلام .

١١) أحمد الشقيري .. لاءات جديدة *

جريدة العهد ، الدوحة ، ١٥ / ١٢ / ١٩٧٧

على مدى أربع ساعات ، في أكثر من جلسة ، كنت أستعيد ذكريات ما قبل سنوات عشر ، حين كان صوته الهادر المميز يأتينا عبر المذياع .. أو في لقاءاته الجماهيرية ، وكان يشهد له حينئذ أنه الخطيب العربي الأول الذي لديه القدرة على الاستمرار في خطبته ساعات دون أخطاء لغوية ، وبنفس التأثير المتأجج في نفوس الجماهير .. حتى أن إذاعة العدو الصهيوني ، حين كانت تهتم بمقارعة ثلاثة أصوات هي : جمال عبد الناصر ، وأحمد سعيد ، وأحمد الشقيري ، لم تجد ما تقارع به الشقيري من حجة إلا تخصيص حلقات من برنامجها المشهور - أكاذيب تكشفها حقائق - تتناول الشقيري الخطيب بحثاً عن أخطاء لغوية عجزت عن اكتشافها دون التعرض للمضامين التي كان يزخر بها أي خطاب له .. وكأنهم ما وجدوا في « الورد من عيب إلا أن قالوا عنه أحمر الخدين .. !؟ »

وغير أحمد الشقيري الخطيب اكتشفت أنه كان واحداً من رعيل الصحفيين الفلسطينيين الأوائل ، فقد عمل في إحدى صحف بيت المقدس حين كان يدرس الحقوق عام ١٩٢٨ .

تنقل بي رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الأول عبر محطات عديدة بدأها من القدس وجنيف وانتهى بها في الدوحة .. حيث كان يحل ضيفاً بصفته الشخصية . والعلاقة بين القدس وجنيف تثير الشجن والأسف معاً حين يتناولها الشقيري ، بنفس القدر الذي تثيره العلاقة بين القدس والدوحة من روابط أخوة واتصال بما يثبته التاريخ السالف ، وواقع الحال في الحاضر ..

وكدت أتحول وأنا في حواري مع الشقيري إلى رجل يُستجوب ، على عكس مهمتي حين توجهت إليه أحاوره .. وأمطرني بأسئلته الكثر عن الصحافة .. والحياة .. وذكريات الوطن ..

سألني أبو مازن عن بلدتي .. فقلت له بأسى : القدس ، ولم يكن هو ليقل أسى عني وهو يتلقف اللفظ وكأنه يوحي له بألف مأساة ومأساة ..

واكتشفت أنه حين تناول القدس كان قد حدد لي بداية الحوار فقال :

نبدأ من القدس مرابط أمانينا وفيها لنا ذكريات عزيزة ، وفيها لنا أمجاد قبل صلاح الدين وبعده .. وهي درة المشكلة المسماة بأزمة الشرق الأوسط ، ونحن إن استخلصنا القدس حَزِنّا شيئاً كثيراً .. وإن لم نستخلصها واستخلصنا غيرها الكثير فإننا لم نجنِ شيئاً ، هذه موطن الإسراء والمعراج ولا أدري كيف يجوز للعرب والمسلمين أن يحتفلوا بليلة الإسراء والمعراج وموطنهما محتل ، والمسجد الأقصى يئن ، والإسرائيليون يعيثون فيه فساداً وظلماً .. وعهراً .. وأنا أقول هذه الألفاظ ليس من باب المجاز وإنما من باب الحقائق .. لأن الفتيات الإسرائيليات مخصرات مع شبابهم يدخلونها بمنتهى قلة الأدب وفي غاية الوقاحة ، لا يقيمون حرمة في بيت الله ، ولذلك هذا المسجد الأقصى وبيت المقدس ، نحن نعتبر أية تسوية لا تتضمنهما وإعادتهما إلى السيادة العربية باطلة .. وليس المطلوب مجرد أن يسمح لنا بزيارة المسجد الأقصى والأماكن المقدسة الأخرى ، أو أن يكون لنا فيها بلدية صغيرة تمثل التجار وأصحاب المهن ، وتعنى بتكنيس الشوارع ، نحن نعني بعودة القدس : عودة السيادة العربية ، والحل الأميركي الذي نعرفه يهيئ لجعل « إسرائيل » سيدة ، وليخدعوا المسلمين والعرب بقولهم إن الأماكن المقدسة بخير ، حيث يبقى هناك مجلس أوقاف إسلامي وقضاة شرعيون .. لكن هذا شيء وممارسة السيادة شيء آخر ، وعملية تهويد القدس مستمرة ، ويتكلمون عن التدويل ومعناه الخفي التهويد ، ويتكلمون عن القدس الموحدة ، وهذا معناه أن تكون موحدة تحت السيادة الإسرائيلية ، وقادة « إسرائيل » في تموز / يوليو ١٩٦٧ بعد الهزيمة العربية أصدروا مرسوماً قانونياً جعلوا فيه حدود القدس الكبرى مبتدئة من بيت لحم جنوباً ومنتهية في رام الله شمالاً .. فهذه هي القدس الكبرى التي تتضمن القدس العربية وكأن القدس في قسم منها ليست عربية وفات هؤلاء أن القدس الجديدة لنا فيها كثرة الملكية ..

وفي الثامن من حزيران ١٩٦٧ تداعى كل زعماء « إسرائيل » الدينيين والسياسيين والعسكريين في جمع كبير وصلوات وأدعية ، واستدعوا بن جوريون من النقب ، وتعاهدوا بقسم : الآن عدنا إليك يا أورشليم ونحن الآن نتعاهد ألا نخرج منك بعد اليوم . ودسّوا هذا العهد في أحجار حائط البراق - المبكى - والذين يعرفون العناد الإسرائيلي يفهمون أن القدس لن تتحرر من جنيف ، وتحريرها لا يبدأ من هناك .. بل من حواضر العرب كلها - من مكة .. والقاهرة والدوحة - وهذا يبدأ بغير الطرق الدبلوماسية الفاشلة الخائبة مع « إسرائيل »

(*) أجرى الحوار صالح زيتون .

لأنها لا تصلح معها .. لأنها محتلة ، وهذا المحتل لا يعقل أن يخرج بالتراضي ، لا يتخلى عما نهب إلا غِلاباً والأرض لمن غلب .

• وأي جيل هذا الذي سيحرر الأرض .. وقد مرت أجيال .. والمأساة تزداد .. ؟

انتبه أبو مازن لسؤالي بتمعن وقال :

- إذا كان هذا الجيل غير قادر أو متخاذل ، أو لديه القدرة ولا يستخدمها ، فإن هذا لا ينفي أن هناك جيلاً أكثر قدرة يستخدمها للتحرير وتخليص بيت المقدس كما استخلصها صلاح الدين بعد ٩٠ عاماً ..

• قلت : لكن المسؤولية تبقى على جيلكم الذي بداء المأساة .. بدءاً من النكبة ومروراً بالنكسة .. وانتهاء إلى ما نحن فيه الآن .. ؟

- أنا لا أعترف بتقصير الأمة .. الأمة غير مقصرة فلسطينياً وعربياً .. ولكن السياسة العربية هي المقصرة ، وهو ما أدى إلى سقوط بيت المقدس ، حتى كلفنا كل جهدنا ، وأسهل علينا كان أن نحتفظ بها من أن نسعى إلى تخليصها ، وقد دعوت في الماضي حين كنت أميناً عاماً مساعداً للجامعة العربية ، وحين كنت رئيساً للمنظمة إلى إنشاء كتائب تعسكر في بيت المقدس يشترك العرب والمسلمون في الدفاع عنه وهو الآيل للسقوط إذا ترك الحال هكذا .. وقد قلت للملك حسين أن يتسلم قيادة جيش التحرير ليعسكر في القدس ويحميها لإدراكي بالمصير المرتقب والخطر المحدق ، وسقطت القدس بعد أن أخفقنا وحق علينا ما كان عبد الله الصغير يوم خرج من غرناطة باكياً .. فقالوا له :

إبكِ مثل النساء ملكاً مُضاعاً

لم تحافظ عليه مثل الرجال

• وهل نعزي أنفسنا ونحن نستعرض التاريخ .. إننا نريد شيئاً في الحاضر يطمئننا إلى أننا قادرون على فعل شيء مُجدٍ على طريق التحرير .. ويجيب الشقيري مستعرضاً مواضع القدرة العربية :

- الذي أقوله إننا لسنا ضعفاء .. نحن قوة هائلة .. قوة عالمية .. قوة اقتصادية ضخمة ، ومواقع استراتيجية رائعة ، وليست هناك دولة في العالم تملك المواقع التي يملكها العرب ، شرقاً أو غرباً ، وهذه ثروة عظمى ، إضافة إلى البترول ، إذن فنحن نمتلك قدرات استراتيجية ، وقدرات اقتصادية ، أضف إليها القدرات الروحية ، وهي كفيلة أن تحرر وطناً لولا أن السياسة العربية مشتتة ولا تستخدم هذه القدرات وأنها إذا استخدمتها لا تستخدمها طويلاً .. وأنت تعلم أن وزراء البترول اجتمعوا أكثر من مرة وقرروا استعماله كسلاح رادع ، واشترطوا أنهم لن يعودوا عن قرارات الردع إلا بالجلاء الكامل عن الأرض العربية في سيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة ، وفي المقدمة بيت المقدس .. وإذا بهم في ١٩ مارس ١٩٧٤ الذي اقترحته يوماً حزيناً ، يعلنون عن وقف إجراءات الردع ، ولم يبرّوا بقراراتهم .. وانسحب سلاح البترول من الميدان ، وبقيت « إسرائيل » على أراضينا وفي بيت المقدس ..

لكن واقع الحال يبين لنا الركض اللاهث الآن وراء جنيف .. حتى أصبحت قبلة الأنظار ولم يعد من التفات إلى مصادر قوتنا في ذاتنا ..

- عقدت جنيف في جلستها الأولى في ٢١ ديسمبر ١٩٧٣ .. ومعروف المثل الشعبي الذي يقول - المكتوب يقرأ من عنوانه - وحضرها الأميركان والروس والأردن ومصر و « إسرائيل » ، وقرئ المكتوب من كلام كيسنجر الذي قال « إللي فات مات » ، أي : أيها الحاضرون إن قضية فلسطين ماتت ، ولتتكرم عليكم « إسرائيل » بأرض هنا وأرض هناك ، وهم يتحدثون بلغة الصدقة ، ورابين قال أكثر من مرة « إننا مستعدون لتنازلات إقليمية » وهذه التنازلات تأتي من وطننا نحن وليس من وطنه هو .. لأنه لو تنازل عن تل أبيب لا يكون قد تنازل عن شيء لأنها ليست وطنه ، ومن يتنازل فليتنازل عما يملكه .. يرد المنهوب إلى أصحابه .. وموضوع جنيف إن كانت فيه جدوى فهناك جدوى واحدة هي أن يقنع الذين يظنون أن فيه جدوى ، أن ليس فيه من جدوى ! .. وأنا أعرف أن الدبلوماسية العربية ترغب في دخول تجربة مميزة بعد خمسين سنة من الرفض ، وبعد لاءات الخرطوم . ويقول أقطاب هذه الدبلوماسية : لقد جاء دور الإيجابية .. وأنا أقول لهم أيضاً نعم .. نحن بحاجة إلى إيجابية .. ولكن هل عملية من هذا النوع يجب أن يتوفر لها أرض ومواقع أقدام .. وجنيف ليست أرضاً خصبة .

• ولو أن العرب جرّبوا جنيف فماذا ترى من نتيجة متوقعة .. ؟

- إن جربوها .. فسيدركون سلامة موقفنا .. إذ إن « إسرائيل » ليست طرفاً يمكن أن يفتح معه حوار لأنه محتل وسالب ، وفتح حوار معه يعني اعترافاً باحتلاله ، وقد خبرنا حلول « إسرائيل » كما خبرنا الحلول الأميركية .. ولسنا بحاجة إلى كبير عبقرية لمعرفة كنهها .. فالحال الإسرائيلي المدعوم بالسلاح الأميركي سيفضي إلى بقاء بيت المقدس تحت السيادة الإسرائيلية ، ولا أعتقد أن هناك عربي يرضى بهذا ، والقدس حسب النظرية الإسرائيلية ستشكل ثلث الضفة ، وهي إن حصلت عليها وفاوضت العرب على تنازلات فعن ماذا ستتنازل .. ؟ إذ إن النتيجة ستفضي إلى تمسك « إسرائيل » بالقرى الأمامية والبقاء في

٣٠ مستعمرة على نهر الأردن [١] .. ولا يبقى حينئذ للفلسطينيين سوى ما يقرب من ١٥٪ من الوطن الفلسطيني، على أن يعترف بنسبة ٨٥٪ الباقية كوطن شرعي للصهاينة، والالتزام بالمحافظة على وحدة « إسرائيل » الإقليمية مع ما هو مطلوب من تعايش بعد التسوية، وهذا مستحيل إذ إن المحصلة ستكون توقف النضال العربي والثورة الفلسطينية ..

- هذا يقودنا يا أبا مازن للحديث عن الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع، وما يقال عن جدوى حكومة المنفى .. فما هو تعليقكم .. ؟

- إن الدولة الفلسطينية إن قامت فستكون خالية من المقومات العسكرية والاقتصادية، ومجردة من السلاح اللهم إلا بنادق الشرطة، وواقع الحال يقول إن النمو السكاني في الضفة الغربية يتعاظم، والضفة لن تستطيع استيعاب ما فيها من تنامٍ سكاني ... إضافة إلى الفلسطينيين الآخرين ... ومنطوق هذا ونتيجته أن تصبح الدولة حزام أمن لـ « إسرائيل »، إذ سيحرص رئيس الدولة المقترحة - ثورياً كان أو غير ثوري - على الالتزام بعدم مساس أي طفل فلسطيني لكيان « إسرائيل » خوفاً من أن تتعرض دولته المسخ .. للزوال وهي الهشة والتي يمكن أن تزول بحركة بسيطة من « إسرائيل » ... لذا تجده مضطراً للوداعة .. والتسوية هذه ستوجد نظاماً فلسطينياً قابلاً للتعامل مع « إسرائيل »، ونصيحتي للشعب الفلسطيني وللثورة الفلسطينية بالذات أن لا تكون طرفاً في هذه التسوية وأن لا تشترك في جنيف على هذا الأساس خصوصاً وقد سمعنا أن « إسرائيل » لا تقبل إلا قراري ٢٤٢، ٣٣٨ مع العلم أنهما يدعوان إلى الانسحاب الفوري من الأراضي المحتلة، فهل هذه السنون التي ذهبت هدراً معناها الانسحاب الفوري ؟

- لكن المقولة الآن هي أن علينا أن نقبل بأي حل يجعلنا نتحرك في نتيجته على أرض فلسطين .. وقد تكون الضفة صالحة لممارسة هذا ..

- في رأيي أن تحرير الضفة سياسياً كان أو عسكرياً ليس بالأمر البغيض .. وإذا كان هناك من وسيلة لتحرير قرية دون تنازل أو صلح أو إعطاء وطننا لـ « إسرائيل »، فلا يمكن أن نرفضها، بل نسعى إليها، ولكن يبقى كل ما هو مطروح دون مستوى الثورة الفلسطينية بقيادة المنظمة، وهي لا تملك التنازل عن شبر من الوطن ما دامت ملتزمة بالميثاق ..

- يلاحظ - انسياقاً مع هذا الخط المنادي بالدولة - خط آخر يدعو إلى تشكيل حكومة منفى، وهي ليست بحاجة إلى أرض فما تعليقك .. ؟

- ما ينسحب على الدولة ينسحب على حكومة المنفى .. إذ لا نفع ولا جدوى منها، فكلها ضرر، ولنتعظ من التجربة السابقة يوم أنشئت حكومة عموم فلسطين في غزة ومرت عليها أعوام ولم يتبق منها إلا اسمها .. وموظف واحد .. مما حداني إلى إصدار قرار بإلغائها بعد تشكيل المنظمة، وما أعتقده أن شكل المنظمة الحالي يكفينا الآن وإلى زمن غير قريب لضمان استمرارية الكفاح الفلسطيني.

- والبديل لكل هذا يا أستاذ أحمد ؟

- البديل هو استمرار النضال وتجميع القدرات التي نملكها، وإعداد الخطة الرشيدة المدروسة المتكاملة، نحن لا نريد أن نحارب غداً، لكن لا نريد أن نبقي الغد بدون خطة، ولا نريد أن نحارب حرباً مرتجلة أو عاطفية، لكن نريد أن نستأنف حرب الاسترداد والتحرير لبيت المقدس، وكل شعوب الأرض خاضت حرب التحرير، وأعتقد أنه لو مضت سنون دون استئناف النضال فليس معنى هذا أن تسكن الأمور، فالأمم في حركاتها لا تحارب كل عمرها .. الجزائر بقيت ١٣٠ سنة تحت الاحتلال الفرنسي ولم تحارب ١٣٠ سنة، كانت كرّاً وفرّاً، انتصارات ونكسات، لكن إرادة النضال بقيت مستمرة، الأمير عبد القادر الجزائري حارب ولم يستطع أن يظفر بتحرير وطنه وحررته الأجيال التي تلته .. ونحن الشعب الفلسطيني لنا ١٥ ثورة في تاريخنا، في كل مدينة فلسطينية، ونذكر إضراب الستة أشهر، وحصلت فترة سكون بعد التشرد والنكبة، والنضال لا يأتي بين يوم وليلة .. بل يأتي بعدم الاستسلام، ولو لمجرد المطالبة المتواضعة التي تنادي بأراضي عام ١٩٦٧، وسلفاً تقول أميركا إنها تبحث عن حل وسط، وهذا يعني وسطية الحل بين مطلب أراضي ١٩٦٧ من العرب ومطلب عدم التخلي من « إسرائيل » أي أنه لن تعود سيناء كلها أو الجولان كاملة ولن تعود القدس ولو قال الأميركان نعم مطلب العرب صحيح ويجب تنفيذه، لأمكن تنفيذ هذا المطلب المتواضع وهو لن يتحقق بكامله.

- ومع استمرارية النضال ألا ترى من ضرورة لتحريك سياسي مُجْدٍ يساعد على تحريك الموقف ؟

- إذا كان لا بد من هذا فليكن مع أميركا وليس مع « إسرائيل » ..

- أتعني ضرورة الاتجاه نحو أميركا وهذا ما يحصل الآن ؟

- لا أعني هذا .. ولكنني أقول إن أميركا فريق أصيل في المشكلة وعلينا أن نعاملها من هذا المنطلق ..

(١) أكّد نتنياهو رئيس الوزراء الصهيوني والعديد من أركان الحكومة والجيش الصهيوني تمسكهم بشريط على طول الأغوار بمحاذاة الأردن (وكالات الأنباء، شهري ٢٠٠٩/١٢ و ٢٠١٠/١).

علينا أن نقول للأميركان أنتم الفريق الأصلي ، وإسرائيل ليس لها شأن ، إذ أنتم من خلقتم « إسرائيل » والمسؤول الأول عن هذه المأساة ، فبريطانيا انتهت وأورثتكم هذه المشكلة فبالإرهاب السياسي أنشأتم « إسرائيل » واستصدرتم قرار التقسيم ، ثم سلّحتم « إسرائيل » ، وكانت آخر مظاهر التسليح حين أمدت واشنطن « إسرائيل » بطائرات يصل مداها ٥ آلاف كيلومتر ، وبالحساب الوصول من طنجة إلى البصرة ، إذن فلقاؤنا مع أميركا مهم ، وهي تعرف القضية كما نعرفها .. وإذا تم ذلك فلنحدّد مطالبنا كاملة ونقول لجيمي كارتر إن أيزنهاور - سلفك - أخرج حلفاءه بريطانيا وفرنسا و « إسرائيل » في حرب ١٩٥٦ من بور سعيد والإسماعيلية وقطاع غزة خلال ساعات على الرغم من أن بن جوريون كان يبكي وهو يقول إن « إسرائيل » موطن وصايا موسى .. ومع ذلك انسحبوا .. وفي اعتقادي أن كارتر قادر على ترحيل « إسرائيل » بقرار ..

نحن اليوم أقوى من عام ١٩٥٦ ، ولذلك قوتنا قادرة على أن تخلق ظروفاً سياسية واقتصادية أمام جيمي كارتر أشد وأعتى من ظروف آيزنهاور ، وهو الذي أخرجهم دون جنيف أو اعتراف أو الحدود المعترف بها ، وهذا أقل المطالب الثلاثة ..

• وهل تتوقع شيئاً من هذا .. والمطروح الآن من جنيف ليس إلا ؟

- لذا أنا أخشى أن تمر فترة كارتر دون أن تصل الدبلوماسية إلى حل مقبول في جنيف ، ولنا في تجربة « لوزان » شقيقة « جنيف » تجربة حين اجتمعت لجنة التوفيق الدولية هناك مع العرب والإسرائيليين كل على انفراد على مدى أعوام وكانت مهمتها محددة بقرار من الأمم المتحدة بشأن إعادة اللاجئين ، ولم تصل إلى نتيجة ، وقدمت للأمم المتحدة ٢٠ تقريراً مضمونها الاصطدام بالموقف الإسرائيلي المتعنت ضد عودة اللاجئين . ورغم السنوات البعيدة على تشكيل هذه اللجنة ، فإن اللجنة ما زالت تحتفظ لها بغرفة في مبنى الأمم المتحدة ..

وعلينا أن نأخذ من تجربة لوزان مثالاً ، ولن تكون جنيف بأفضل منها .

• ولكن كل الأفواه تقول إن الفرصة مواتية لحل سلمي في المنطقة .. وقد استهل كارتر عهده بمثل هذا التفاؤل .

- ليس كارتر وحده .. بل إن كيسنجر سبقه في خطابه الوداعي إلى القول بأننا مقبلون على فرصة ذهبية لحل مشكلة الشرق الأوسط لأن العرب أصبحوا - مرنين ومستعدين للاعتراف بـ « إسرائيل » والتعايش معها بعدما فقدت القوى الوطنية الراديكالية نفوذها ..

• مع ما تقوله إلا أن التسوية تبدو خطواتها حثيثة .. بوساطة أميركا كما هو ظاهر ..

- أميركا ليست مؤهلة كوسيط لأنها عدو في الأساس ، والوسيط يجب أن يكون محايداً ، لذا فأنا أدعو إلى اعتبار أميركا طرفاً أساسياً لأنه ثبت اشتراكها في حرب أكتوبر ، حين مدَّت العدو بجسر جوي من الطائرات والدبابات بعد اليوم العاشر للحرب ، وهذا تعريف مناسب لمعنى الطرف المحارب في أية معركة ..

أنا أطلب أن نتعامل مع أميركا على هذا الأساس وحينما نكون قادرين على تسوية مرحلية دون شروط ذليلة ، وأنا لا أتمنى أن أبعث إلى زمن أتحسر فيه .. وأنا على أبواب السبعين وبيقيني لو أن الشهداء جميعاً طيلة مراحل النضال العربي عادوا إلى الحياة اليوم وسمعوا ما نسمع لآثروا العودة إلى التراب وقالوا : لبطن الأرض أجدر بنا وأجدر من ظهرها ، لأنهم استشهدوا دون التوقيع على صلح وتسليم أوطان ..

ولا أدري كيف سيكون مستقبل تعليمنا أطفالنا لجغرافية فلسطين وتاريخها .. وأظن أن التسوية ستمنع هذا ..

• لا أدري كيف أواجه كلامك هذا وأنت الذي سمعنا منك الكثير في مدى قيادتك .. وجيل الحكام الحالي يطلب فرصة ليثبت جدارة ما يطرح من حلول ..

- أنا لا أتكلم سطحياً .. فما أقوله هو ناتج عن تجربة خمسين عاماً وإن أخطأت فهو خطأ المجتهد الذي له أجر .. وإن كان أصاب فله أجران .

• وبمناسبة جولة فالدهايم الأخيرة ومحاولته الجادة للتوفيق بين الأطراف توطئة للدعوة إلى جنيف ، وعلى ضوء ما جرى بين الأمين العام للأمم المتحدة والقيادة الفلسطينية .. ماذا تقول ؟

- لا أملك تفاصيل جزئية عنها ، ولكنني اطلعت على مجمل الحوار بين أبو عمار وفالدهايم ، وأنا موافق على الكثير مما قاله عرفات لفالدهايم .. ونرجو أن يستمر هذا الموقف ..

• وبالمناسبة هل أنت راضٍ عن القيادة الفلسطينية الحالية .. ؟

- النضال العربي ومعه النضال الفلسطيني أمامه وقت ليس بالقصير ، ولست في صدد نقد سلبيات أي منهما ، وأنا على أية حال لا تنقصني الشجاعة لقول شيء ، ولكنني أغلب الشفقة على الشجاعة .. ففي هذه المرحلة الرهيبة تستحق منظمة التحرير الإشفاق وأنا من الذين ساهموا بتواضع بإنشائها خصوصاً بعد المآسي المروعة التي حدثت بلبنان ..

ولكن هذا لا يمنعني من أن أفضي بآرائي بكل حزم وصراحة مع المنظمات والقيادات، كلما لاحت الفرص، وهي تأتي كثيراً، وإني أقوم بواجب التحذير والإنذار، والإشفاق على الوضع العربي والفلسطيني حالياً، وأظنني لا أخدم فلسطين كثيرا لو تكلمت عن هذا الآن، وإنما أكتفي بإسداء النصح لإخواني كلما التقيتهم.

ومنذ تركت قيادة المنظمة لم أتخل عن واجبي كمواطن ولم أعتزل القضية إنما انتقلت من الميدان العام إلى ميدان المواطن حيث تفرغت للنصح والإرشاد والكتابة والندوات، وبيتي باستمرار ندوة منعقدة لإخواني العرب والفلسطينيين، من غير رغبة أن أعود إلى القيادة أو المسؤولية العامة ..

- ومع هذا لا يخفى أن لكم ملاحظات على الموقف الحالي في المنظمة بعد تجربة لبنان المريرة ... ؟

- بصراحة .. المنظمة والشعب الفلسطيني بحاجة إلى وقفة طويلة وشجاعة لإعادة النظر في كل الخطط النضالية السياسية والتنظيمية والثقافية .. ولا بد أن ندخل مرحلة جديدة من النضال ونستفيد من تجاربنا، وعلى ضوء هذا نضع الخطط، وليس معنى هذا تغيير الأهداف .. بل تغيير المناهج والوسائل .. وأعتقد أن الكثيرين من الموجودين في المنظمة غير موافقين على وضع المنظمة الحالي بما هي واقعة فيه تحت أعباء ضخمة ..

- يفهم في كثير من مواقفك أنك قريب من مواقف الرفض .. فهل أنت رفضي .. ؟

- الأمة العربية كلها جبهة رفض .. أنا آسف لتحديد معنى الرفض على قسم محدود .. إذ إن للمعنى الواسع للرفض شقين : إيجابي يقول باستمرار الكفاح، وسلبي يحذر من الذهاب إلى جنيف، ولا أعتقد أن هناك خلافاً بين الجماهير العربية حول هذا. وقد استُخدمت الكلمة استخداماً غير صحيح حين اقتصرت على مجموعة ولو استفتيت ضمير الإنسان العربي كله والفلسطيني على وجه الخصوص على سؤال واحد هو : هل تصالح « إسرائيل » على حساب الوطن الفلسطيني .. ؟ لقال الجميع لا ..

وقد لمست مثل هذا الموقف في رجالات مجلس الشورى القطري حيث رفض الجميع هذا الحل ما دامت « إسرائيل » تحتل بيت المقدس ..

ولا أدري كيف أنهم لا يفكرون بالفعل في مصير مليونين من الفلسطينيين ليس لهم مكان في جنيف ولا تنص جنيف على إعادتهم، و « إسرائيل » تقيم الحجة علينا ولديها خطط لاستيفاد ٣ ملايين يهودي لا يملكون شيئاً في الأرض، في حين يستعصي أن تتسع الأرض لمليونين من أصحاب الأرض .. وتذكيراً بالرفض فأنا أقول قول من سبقني إلى القول : إن كان رفضاً حب موطني .. ألا فليشهد الثقلان أني رافض.

- ولكنهم يقولون إن جنيف تجربة .. وقد ولى زمن الرفض ولاءات الخرطوم ..

- إنهم يدخلون جنيف ويعلمون أنها تجربة .. وقد قال لنا الله في القرآن أن لا نلقي أنفسنا في التهلكة، وإخواننا النصارى يقولون في صلاتهم كل صباح : « ربنا نجّنا من الشرير ولا تدخلنا في تجربة .. فهل لهم أن يقنعوا بالمصير سلفاً » ..

أما اللاءات الثلاث فقد أصبحت كلها نعم .. وكل لاء فيها صارت ثلاث .. نعم .. مع الفخر والاعتزاز.

على ما يبدو بعد أن أصبحت اللاءات تعني لديهم الغوغائية والارتجال، والبعد عن المنطق والعقلانية ومسايرة الوضع الدولي .. وأنا أقول لهؤلاء الذين يحرصون على المنطق الدولي : إنني أخاطبكم من خلال المنطق الدولي، فالأمم المتحدة أصدرت أكثر من ٢٠٠ قرار دولي بشأن فلسطين، وأي معنى أن تُخرج من الجمعية قرار ٢٤٢ وترمي الباقي، فإذا أردت المنطق الدولي فلا تأسر نفسك بسجن .. وتكبل يديك بيديك بقرار ٢٤٢ وكله أصفار .. وبعد ذلك تشكو وتقول أنا سجين وأنت الذي سجنت نفسك .. والواقع أنت أسير نفسك مع العلم أنك قوي من الداخل.

- وفلسطينياً إلى متى يبقى الرفض ؟ وماذا سيعني ..؟

- الموقف الفلسطيني منفصل عن الموقف العربي الرسمي .. فالعرب إن قبلوا بقرار ٢٤٢ فلسنا ملزمين بذلك، ولهم أن يستعملوه سلاحاً في وجه أميركا ... بل إن العرب يجب أن يخلقوا معارضة للتسوية .. هذا إن لم توجد أساساً ..

ولا داعي أن يصطدم الفلسطينيون بالسقف العربي، وأعتقد أن عبارة عبد الناصر بأن الفلسطينيين ليسوا ملزمين بتنفيذ ما تريده السياسة العربية، عبارة تصلح حتى الآن.

وعلى أي حال فالعرب الآن يعملون على أساس أسوأ من السابق، وهم سياسياً كانوا قبل ٣٠ سنة أحسن حالاً من اليوم، وعسكرياً كانوا في معركة أكتوبر عظماء، لولا ما تبعها من سياسة .. أحالت العدو إلى منتصر يفرض شروطه ويعاملنا على أساس هزيمتنا في حربي ١٩٤٨ و ١٩٦٧.

- نعود إلى جولتك وسرها في هذا الوقت بالذات ..

- بكل بساطة وصدق أقول إنه دور المواطن، وقد بدأت بدعوة من وزير الخارجية الكويتية واستمرت الدعوات من الدول الأخرى، وأنا الآن في صدد تأليف كتاب عن الجامعة العربية يستهدف تحويلها إلى اتحاد

كونفدرالي عربي ، وأنا الذي عاصرت الجامعة منذ ولادتها ، حتى منذ كونها جنيناً ، وأرى بعد ٣٠ سنة أنه لا يجوز للدول العربية أن تبقي على هذه الصيغة ، وميثاق الجامعة الآن يصلح لأن يوضع في متحف ، لأن الدول الأوروبية تعمل ميثاقاً أرقى من ميثاق الجامعة ، وتجدده باستمرار ، والأمين العام للأمم المتحدة لديه صلاحيات أكثر من أمين عام الجامعة العربية .. أوروبا تبحث عن إقامة برلمان أوروبي وهي التي اقتتلت سياسياً واقتصادياً وهي التي حدثت عندها حرب المائة سنة ..

• وعلى ماذا تقوم مضامين دعوتك هذه .. ؟

- في دعوتي لتطوير الجامعة بدأت بداية متواضعة ، والصورة تتلخص في دعوة الدول العربية العشرين بإرسال مفوض لكل منها إلى القاهرة .. حيث مبنى الجامعة العربية ، وأجهزة الجامعة الكثيرة تصبح متخصصة وتحيلها إلى الوزارة الاتحادية وتصوغها على شكل قرارات تنشر في الجريدة الرسمية ، وهذه الوزارة الاتحادية تكون لها اختصاصات ثقافية واقتصادية وسياسية ، لأن ما نشهده الآن فشل معظم الصيغ الوحدوية ، فنسمع كثيراً كل فترة وأخرى عن رغبة دولتين أو أكثر في إقامة اتحاد .. وهذه تعتبر خطوات مبعثرة تنهض ثم تزول ، لذا فنحن ندعو إلى وزارة اتحادية عربية منعقدة بشكل دائم ، ما دام لكل دولة عربية وزير ، ومع الزمن يمكن أن ينمو هذا النموذج من كونفيدرالي إلى فيدرالي ، هكذا فعلت أميركا لمدة ١٥ سنة ، عملت كونفيدرالية ثم انتقلت إلى الفيدرالية .. وكانت فيها ١٣ مستعمرة بريطانية ، ورغم كونها كذلك إلا أنها نفذت رغبتها ، وكذلك في سويسرا هكذا بدأت وهكذا انتهت .. وأعتقد أنها بداية متواضعة للأمة العربية أن تبدأ بالكونفيدرالية .

• لكن هناك صيغة التضامن العربي مطروحة الآن فهل تصلح أساساً للدعوة .. ؟

- ليس هناك تضامن عربي .. هناك ورقة بهذا الاسم .. والمطلوب عمل مشترك ونضال .. وأنا أتساءل ماذا فعل التضامن العربي الذي وقّعنا عليه في قمة الدار البيضاء ، لم يحدث شيء ، اللهم إلا الحروب ، والحشود العسكرية ..

• نعود إلى محطة الدوحة .. الانطباعات والنتائج ..

- زيارتي لقطر أثارت في نفسي ذكريات سابقة حين جئت عام ١٩٦٤ مع بداية عهد منظمة التحرير ، والتقيت مع الإخوة القطريين في الملعب البلدي ، وأحسست يومها بما في الإخوة العرب هنا من إحساس دافق : إن حدود فلسطين الشرقية لا تقع على نهر الأردن بل على ضفاف الخليج حيث الدوحة ..

واليوم وأنا أزور الدوحة أفاجأ بجموع الشباب الذين يقبلون عليّ مسلّمين ليذكّروني بذلك الموقف .. وأنتبه لواقع الحال .. فإذا الشباب أيام جئت أصبحوا اليوم رجالاً ينتشرون في وظائف وأعمال رفيعة ، فقد كبروا وكبر وعيهم القومي مع تعاظم المشكلة والقضية الفلسطينية ، فالشعب القطري يعيش القضية بكل جوارحه وما وقع لفلسطين مؤخراً يعتمل في ضمائرهم وخواطرهم ..

• ويذكر لي الأستاذ الشقيري باهتمام لقاءه بأعضاء مجلس الشورى فيقول :

- على الرغم من قصر الوقت الذي التقيت فيه بأعضاء مجلس الشورى .. إلا أنني اعتبره لقاء قومياً .. تحدثنا فيه عن القدس ، والدولة الفلسطينية ، وجنيف .. ولمست أن كل الأسئلة التي يمكن أن يسألها الفلسطيني طرحت علي من أعضاء مجلس الشورى ..

• وبالمناسبة فأنا أشهد للشقيري حضور ذهنه رغم أنه يقف على أبواب السبعين ، ويذكّرني دوماً بأنه ما زال شباباً ويثبت لي حضور ذاكرته بما يحفظه من تواريخ وأرقام تدلل على عمق خبرته السياسية على مدى نصف قرن .. ولكنه يعود بنا طويلاً إلى الماضي السحيق .. إلى هيرودتس المؤرخ اليوناني الشهير .. فقد كتب هذا المؤرخ في القرن الرابع قبل الميلاد عن تاريخ قطر وتحدث عنها كجزء من الوطن العربي وأشار إلى المستوطنين الأوائل لقطر وهم الكنعانيون وهؤلاء أنفسهم أجداد الفلسطينيين الأوائل ..

وهذا يدلل على مدى الترابط القطري - الفلسطيني منذ أقدم العصور !!

ولم أشأ أن أطيل الحوار أكثر مع الرجل .. فقد تناول معظم القضايا .. وكان حريصاً على الإشارة أنه يتحدث فيها كشخص وناصح .. ولم أفوّت الفرصة للقول : لم لا تتقدم للميدان لإثبات دورك ؟ وكان يقول كفاني ماضٍ مع الحكم العربي المعاصر ..

وقلت له وأنا أودعه : حتى ولو عرضت عليك قيادة المنظمة فرضاً .. أجابني وهو يضغط على الكلمات ويشد على يدي :

- أحمد الشقيري إذا استلم منظمة التحرير فرضاً .. لن يسلمها فرضاً !

١٢) الشقيري: أمنيتي وأنا أغادر الحياة .. أن تكون القضية على الدرب الصحيح*

(مقتطفات)**

جريدة الوطن، الكويت، ٢٥ / ١١ / ١٩٧٧

« كما كان شعار السلطة الوطنية الذي طرح سنة ١٩٧٣ هو بداية الإغراق والتفريط كذلك ستكون نهاية جنيف هي بداية الثورة العربية » .

وما بين البداية والنهاية مؤامرة شرسة يستعرض السيد أحمد الشقيري أول رئيس لمنظمة التحرير أبعادها وفصولها في لقاء لم يكن تقليدياً . فمع السيد الشقيري تنتفي قوانين لعبة الصحافة ولا يعود بإمكانك أن تأخذ بزمام المبادرة . وقد أجريت هذه المقابلة في ١٩٧٧/١١/١٥ ، أي قبل أن يقرر السادات زيارة « إسرائيل » وبهذا فقد خلا الحديث من الإشارة إلى أبعاد الزيارة .

والشقيري الذي أخذ يسترد نشاطه في الفترة الأخيرة عبر جولات في الوطن العربي ومهرجانات وخطابات ، لا يزال يحتفظ بحيويته وقدرته على الاسترسال .

وفي منزله المطل على النيل في القاهرة استقبلنا وابتسامة ترحيب ترافقها استفسارات عن - الوطن - وباختصار يجعلك تتجاوز فاصل الزمن وتحس بأنك أمام شخص تربطك به معرفة وثيقة وقديمة في مثل أعوامه السبعين الذي يصر على أن يذكرنا بها .

قال السيد الشقيري وهو يعتدل في جلسته : هاتي أسئلتك ..

قلت في شيء من التردد ، ولا أدري لماذا :

- الوضع الفلسطيني يمر الآن في منعطف حاسم ، هل يصبح للفلسطينيين أخيراً دولة ، أم أن عليهم مواجهة ظروف عربية قد تكون في أغلبها معادية ؟ كيف ترى الخروج من هذا المأزق ؟

هز رأسه وقال :

- هل يصبح للفلسطينيين أخيراً دولة ؟ لا شك في اعتقادي أنه سيصبح لهم دولة ولكن أخيراً وأخيراً ، أما ما هي هذه الدولة ؟ فهذا هو السؤال ؟

سيصبح لهم دولة ولكن يرتبط هذا بالهدف القريب والبعيد بمراحل النضال الفلسطيني ، كما يرتهن هذا بالقدرات العربية والفلسطينية المعبأة لتحقيق هدف ما مرحلياً كان أو نهائياً .

أنا لا أشك لحظة واحدة أن الأمة العربية لا بد وأن تحرر فلسطين بكاملها ، ولا بد أن يعود الشعب الفلسطيني إلى وطنه بكامله . كذلك أنا على يقين تام بأن الأمة العربية لن تتخلى عن فلسطين كجزء من الوطن العربي . والشعب الفلسطيني لن يتخلى عن فلسطين وطناً له من غير أن يكون لأحد سيادة عليه .

أما متى يتحقق هذا ؟ فهذه مسألة لا بد للزمن أن يحسمها ، وأن يقررها ويضعها في إطارها الصحيح . نعم سيكون للفلسطينيين أخيراً دولة . ولكن في الظروف الحاضرة وفي المسيرة الحاضرة والدبلوماسية العربية المعاصرة لن تكون هناك الدولة الفلسطينية التي يمارس الشعب الفلسطيني سيادته الكاملة على أرضها ، والتي في ظلها يعود كل فلسطيني إلى وطنه ، مدنه وقراه ومزارعه يعيش كما يعيش كل إنسان في وطنه .

فالدبلوماسية العربية المعاصرة لن تحقق للشعب الفلسطيني ولا للأمة العربية لا الدولة الفلسطينية التي نحن نتطلع إليها ولا حتى مرحلة يرضى عنها الشعب الفلسطيني والأمة العربية .

فلقد أثير حول الحديث عن دولة فلسطينية ركام من الأساطير والأوهام . وأظن هذا يذكرنا برواية شكسبير : (تسمع جعجعة ولا ترى طحناً) .

هذا هو العنوان الكبير الذي اشتغل به الإعلام الأميركي منذ مدة ومن تحته بعض أجهزة الإعلام العربية . وهذا الحديث كله ظلم لنضال الشعب الفلسطيني وللقضية الفلسطينية وتخدير للأمة العربية .

العنوان كبير وضخم . وقد يخطر على بال من لا يعرف أسرار القضية الفلسطينية أنه ستنشأ فعلاً دولة فلسطينية ويعود الفلسطينيون إلى دولتهم ، وربما أن أحداً من إخواننا المواطنين في الوطن العربي مشرقه ومغربه إذا رأى فلسطينياً غدا في الشارع يقول له (خلاص ستصبح لكم دولة ، وعودوا إلى وطنكم وإلى دولتكم) . فهذه الصورة الضخمة وضعت أمام المواطن العربي والفلسطيني لتشعره أن القضية توشك أن تحل حلاً مرضياً وعادلاً وشريفاً وسيصبح لنا دولة وسنعود نحن الجالسين هنا ومعنا ثلاثة ملايين فلسطيني

(*) أجرت الحديث في القاهرة سلوى البنا .

(**) منعاً للتكرار لم نشر إلى موقفه من مؤتمر جنيف ، وكذلك رأيه في مشروع الدولة الفلسطينية ، اللذين تكررا في جل لقاءاته في هذه المرحلة .

آخرين . لذا أحب أن أؤكد بالدرجة الأولى أن موضوع الدولة هذا على ضخامة الإعلام العربي الذي نفخ في هيكله نفخاً ضخماً ، أؤكد أنه لن تكون هناك دولة بمقومات الدولة الصحيحة ، وأنها ستكون في أفضل الأمور والأحوال محمية إسرائيلية واقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي استراتيجياً إن لم يكن فعلياً .

وهنا يطرح سؤالان :

ما هي مساحة الأرض التي يجب أن تعطى للفلسطينيين ؟ . وما هو مصير هذه الأرض ؟ دولة مستقلة ؟ أم جزء من المملكة الهاشمية تحت مشروع المملكة العربية المتحدة ، أو اتحاد كونفدرالي أو فدرالي ؟

السياسة العربية تتكلم عن فدرالية أو كونفدرالية وكان الأجدر لو كانوا صادقين أن تحدث هذه في الوطن العربي لكنهم هنا يتحدثون عنها خروجاً من المأزق الذي تكلمت عنه .

فموضوع الرابطة مع الأردن هذا ليس أميركياً فقط لكنه أصلاً إسرائيلي إذ قام مشروع ألون على هذه الفكرة . وقد وضع بريجنسكي في كتابه (الورقة الأرجوانية) أو (الكتاب الأرجواني) تمييزاً عن الكتاب الأبيض أو الأزرق .. - وذلك قبل أن يلي الحكم ويصبح مستشار الأمن القومي - وضع مع كبار الساسة الأميركيين والأساتذة الجامعيين مشروعاً لتسوية للشرق الأوسط ، ومن الغريب والمفجع معاً أن هذا المشروع الذي وضعه ورفاقه الخمسة عشر أصبح دستوراً لبعض الأنظمة العربية ينهلون من منهله ، فعباراتهم تأتي مقتبسة منه وليست توارد خواطر ، ولنأخذ مثلاً ما يقول بعض الرؤساء العرب : (لا بد من قيام رابطة بين الضفة الغربية والأردن وقبل مؤتمر جنيف) ، نفس هذا الكلام موجود في ورقة بريجنسكي ، وهذا معناه أننا بدأنا نشرب من مناهل السياسة الأميركية وفقدنا الإرادة الذاتية في الفكر وأصبحنا نقرأ مشروعات الأميركان ونرددها ونوسعها ، ونكتب فيها مقالات تبشر بها صحفنا .

حكاية صغيرة أرويها على سبيل المثال والتذكير حول القدس .

في اليوم الثاني لاحتلال بيت المقدس تجمع اليهود ألوفاً حول حائط البراق وجاء أشكول والحاخامون والزعماء كما جاء بن غوريون بطائرة هيلوكبتر من مستعمرة سيدي بوكر . وكتبوا (الآن دخلنا بيت المقدس ونتعهد ألا نخرج منها بعد اليوم) ودسّوا هذه الورقة كعمل رمزي بين أحجار حائط المبكى ، وهذه القدس الكبرى تؤلف ثلث الضفة الغربية وحين يخرجونها من الضفة ماذا يبقى ؟ .

ولا ينتهي الأمر عند القدس الكبرى ، فكل القرى الأمامية التي كنا نسميها في عهد المنظمة ، واختلفنا مع الملك حسين على تسميتها بالقرى الأمامية أصبحت جزءاً من « إسرائيل » ، ولن يعيدوها لنا .

والخط الطويل الذي يبدأ من أول سهل جنين - جنوب جنين إلى الخليل مروراً بقلقيلية انتهى أمره أيضاً ، ودمرت كثير من قراه وأقيم مكانها مستعمرات ومزارع .

بعد ذلك يبقى أنهم بحاجة إلى حدود آمنة غير القرى الأمامية العربية التي أخذوها ، ولا بد من هذا الجبل هنا وعطفته هناك بالإضافة إلى ما لهم من مستعمرات مثلاً ثلاثون مستعمرة على ضفة نهر الأردن ، وكل مستعمرة تؤلف قلعة مسلحة .

هذا المقص الإسرائيلي هو الذي سيشتغل بالخريطة الفلسطينية يدور ويتعرج ويصعد الجبال وينزل الوديان إلى أن يبقى لنا مدينتان أو ثلاث ويضع قرى يقولون لنا هذه لكم وأقيموا عليها دولتكم . وبالطبع ستكون مجردة من السلاح ، وبإشراف قوات طوارئ دولية وليس لها مقومات عسكرية ولا اقتصادية ولا تكاد تستوعب أهلها ، بالإضافة إلى أنها ستكون كتفاً إلى كتف إلى جانب « إسرائيل » القوية المسلحة بالأسلحة الأميركية والمتقدمة سنة بعد سنة ، وكأنك تبني كوخاً صغيراً إلى جوار قلعة كبرى محصنة تحصيناً متيناً ، ولا أتصور هذه يمكن أن توصف بأنها دولة ، وستسوقها الظروف - رضي أهلها أم لم يرضوا - إلى أن تصبح جناحاً صغيراً إلى جوار الأردن ، وهذا الكوخ سيكون له معبر من المعابر إلى الأردن فالحل المطروح أن تكون الدولة عسكرياً تابعة لـ « إسرائيل » في الضفة الغربية وإدارياً للأردن .

ويحزننا أن يكون في هذا الحل ما يغري أي فلسطيني إذ ليس فيه إغراء إلا للرفض ، وإذا وجد بعض الفلسطينيين من الذين يسيل لعابهم لهذا الحل فلا يسع المرء إلا أن يحس بأنه أمام كارثة وطنية وفاجعة حقيقية .

لكن هذا لا يدفعنا إلى اليأس ، فكل حركات التحرر العالمية تقع باستمرار في نكبات ومطبات وهزات وانتكاسات ، وهذا لا يعيب الشعب ولا القضية ، فحركة التحرر الجزائرية مثلاً واكبها انتكاسات لكن المسيرة استمرت ، فالأمير عبد القادر الجزائري ناضل إلى أن انتهت كل مقومات النضال فهاجر إلى دمشق ، وجاء بعده مواكب من المناضلين إلى أن جاءت حرب السنين السبع الأخيرة التي قادها الأخوان بن بيلا وبومدين ورفاقهما ثم جاؤوا بعد ذلك برفات الأمير عبد القادر الجزائري إلى الجزائر فالجزائر وجد فيها من يدعو إلى غير النضال وأقول هذا عن معرفة ، ففي باريس سنة ١٩٥٠

حين أردنا أن نتولى الدفاع عن قضية الجزائر وجدنا بعض الجزائريين من الموجودين في باريس يطالبوننا بعدم المطالبة بالاستقلال ولا بالسيادة، وإنما بالمساواة وبالرعوية الإفرنسية ، وحجتهم في ذلك أن الدستور الفرنسي كما قالوا (يعتبرنا رعايا فرنسيين ، فنحن نريد الرعوية الإفرنسية والمساواة مع المواطنين) ، وعملوا يومئذ برلماناً فيه مندوبون جزائريون ، لكن هذا لم يوقف النضال ، وما أريد قوله أنه وإن وجد بيننا من الفلسطينيين سواء كانوا منتمين إلى منظمات أو غير منتمين سلكوا سبيل التنازل والاستسلام فليس هذا نهاية المطاف ، وسيأتي من بعدنا جيل عربي وفلسطيني وسيستمر الكفاح والنضال حتى تتحقق مطالبنا .

لكن يبقى أن التاريخ سيقيم هذه المرحلة ويضعها في موقعها الطبيعي في تاريخ النضال العالمي والنضال العربي والنضال الفلسطيني .

- ويسألني : من أي بلد أنت ؟ فأقول من يافا .

يتابع :

- مثلاً يافا بقرار التقسيم فلسطينية عربية ، التسوية الآن ستعطيها لـ « إسرائيل » كوطن لها وليس كعدوان ، إلى هذه اللحظة نعتبر « إسرائيل » معتدية على كل فلسطين قومياً ، ومعتدية على قسم كبير من فلسطين دولياً ، وذلك يشكل يافا واللد والرملة وعكا ومناطق أخرى . هذه معتدى عليها بالمنطق الدولي ، ويوم أنتهي أنا من جنيف ومن التسوية أكون قد سلمت لـ « إسرائيل » بحقها بالعدوان الذي تم بين ١٩٤٧ — ٦٧ وهذه المناطق تبلغ حوالي خمسة آلاف كيلو متر مربع ، بالإضافة إلى القرى الأمامية وما تأخذ باسم الحدود الآمنة ، إذن جنيف تعني التسليم بما وهبت الأمم المتحدة ، ثم التسليم بأرض اعترفت لك بها الأمم المتحدة ، والتسليم بأراض جديدة تحت شعار الحدود الآمنة .

أميركا قالت على لسان كارتر :

(صلح حقيقي) يكون من مضامينه انفتاح كامل وتعايش كامل وتصادق كامل بين الفريقين . تفتح الحدود مع مصر وسورية والأردن و « إسرائيل » اقتصادياً وسياسياً وسياحياً ، ويجب أن تقتلع جذور العداء من نفوس الطلاب .

ولقد صرح بيغن قبل ذهابه في سفرته الأخيرة أنه يفهم السلام أن يكون له سفير في دمشق والقاهرة، كذلك غولدا مائير أن تتسوق في خان الخليلي والموسكي ، فالقضية ليست قضية توقيع ميثاق . والانسحاب يتم على مراحل كل مرحلة مرتبطة بأمور عملية مثلاً :

خمسة كيلو مترات يقابلها فتح الحدود .

خمسة كيلو مترات أخرى ممنوع أن تقول الإذاعة العدو الإسرائيلي .

خمسة كيلو مترات بعدها تلغى كتب الجغرافيا والتاريخ التي تتحدث حديثاً عدائياً .

وبالتالي تصبح « إسرائيل » وكأنها من دول الجامعة العربية بالإضافة إلى امتيازات أخرى تتمتع بها عن الدول العربية ، فدول الجامعة قد تتحارب إعلامياً أو يحدث بينها قطيعة وإقفال حدود وحروب ولكن مع « إسرائيل » لا شيء من هذا ، أما إن فعلت هي ذلك فمعناه أن من حقها أن تعود إلى الأرض التي تنازلت عنها ، مبررة ذلك بنقض العهد والبحث عن حدود أخرى آمنة غير تلك التي لم تعد آمنة كفاية .

وأنا أسأل الآن أي عربي أو فلسطيني : هل يقبل أن تعود هذه الأرض بهذه الشروط ؟

وهنا قد يرد سؤال وهل تبقى تحت الاحتلال ؟ أنا لا أقول بأنها يجب أن تبقى تحت الاحتلال ، الذي يقول هو التفكك العربي والنضال العربي الذي يمر في نكسة ، وعدم وجود ثورة عربية .

وهنا لا بد وأن أشير إلى أننا الآن أمام فرصة ذهبية للوصول إلى أعظم الحلول للقضية الفلسطينية أمام فرصة لم تأتنا منذ سنة ١٩٤٨ ، وهذه الفرصة منظورة ومرئية وملموسة .

- ولكن أستاذ شقيري لا أفهم هذه الفرصة ونحن نمر في نكسة على حد تعبيرك ؟ من حولنا نرى أن الأنظمة العربية أنظمة مرتهنة فأين هي الفرصة وكيف ؟

- علينا أن نحدد أعداء قضيتنا ، العدو الأول الولايات المتحدة ، العدو الثاني أوروبا الغربية والثالث « إسرائيل » .. هؤلاء جميعاً يرزحون تحت أعباء وعناء ومشاكل اقتصادية فميزان المدفوعات في خلل ، والدولار في تهاوٍ ، والعمال العاطلون بالملايين ، وكارتر يحذر باستمرار من ويلات في الطاقة ، كيسنجر في رحلته لأوروبا يحذر من أنها مقبلة على كارثة إذا كانت تعتمد على موارد النفط الأميركية لأن أميركا نفسها مقبلة على كارثة بسبب أزمة الطاقة ، وفي الطرف الآخر العرب الذين لا يعانون شيئاً من هذا ، نحن لنا ما لا يقل عن مئة مليار دينار من الثروة العربية تستثمر في أميركا وأوروبا .

إذن نحن في هذه القوة الكبيرة وأمامنا أميركا وأوروبا المتهاويتان نملك الفرصة لنفرض الحل الذي نريد . ولنأخذ مثلاً حظر البترول في أكتوبر كيف جددناه وربطنا التجديد كل مرة بالانسحاب الكامل عن الأرض العربية وفي مقدمتها القدس إلى أن جاء ١٩ آذار /

مارس حين مر كيسنجر على بعض العواصم العربية وخدرها أو خدعها أو خدعوا أنفسهم وأوقفوا القرار بدون أن ينفذ شيء من طلباتهم المعلنة ، وكانت عملية خديعة كلية كما كان لورنس يخدع العرب .

والذي يدرس كباحث ما حدث للعالم نتيجة القرار من أزمات خانقة يدرك أهمية النفط العربي والثروة العربية وكلاهما أقوى من الصهيونية العالمية إذا استخدم استخداماً حسناً رشيداً وفاعلاً وعلمياً وليس استخداماً أهوج، وبالعكس نحن نعطي تطمينات لأميركا بتأكيدنا على اتباعنا النظم الاقتصادية العالمية ، وبهذا نضيع فرصة ذهبية لم تكن لنا في الماضي .

لنأخذ عدوان سنة ٥٢ في ذلك الوقت لم يكن هناك (كومبرومايز) كان يوجد موقف دولي وموقف عربي كانت السياسة العربية (واقفة على رجليها وشامخة) وقد ضرب العمال السوريون أنابيب البترول فهدد آيزنهاور الإسرائيليين وطالبهم بالخروج من سيناء وغزة والعودة لخطوط الهدنة السابقة . آيزنهاور جعل بن غوريون يبكي في الكنيست (بأن علينا أن نخرج من سيناء أرض آبائنا وأجدادنا التي نزلت علينا فيها الوصايا العشر ، نخرج منها لظروف نحن غير قادرين على التصدي لها) وخرج معهم الإنجليز فالفرنسيون أكبر حلفاء أميركا .

لو أنشأنا نحن مثل تلك الظروف ، ونحن الآن أقوى من عهد سنة ٥٦ للعب كارتر دور آيزنهاور وأعادهم إلى الخطوط السابقة دون قرار ٢٤٢ ودون جنيف .

• لا زلت أسأل أين هذه الفرصة والأنظمة كما تعرف ؟

- ليس هذا ما يفزعني ، بل إن الذي يفزعني هو أن الثورة الفلسطينية ليست في وضع تستطيع فيه أن تسوق الوضع العربي إلى خلق الظروف التي كانت موجودة آنذاك ، والأمل الأكبر منذ كانت الثورة إلى الآن أن تكون هي الحصن ، وهي المحرك والدافع ، ليست المندفع والمدفوع . نريد أن يكون زمام القضية بيد الثورة . وأن تأخذ عبارة (منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني) مضمونها الثوري الذي يفرض على الدول العربية الأخرى أن لا تتصرف بالقضية الفلسطينية أي تصرف مغاير .

أما نحن الآن وقد بدأنا نقبل حلولاً ونسير نحو حلول كنا ندين لها بعض أولادنا أو رجالنا بالضفة الغربية ونتهمهم بالمروق فقد أصبحنا نقبل على ما كنا ندينه بالذات .

هذا ما يفزعني ، أنا لا أفزع من الوضع العربي لذلك أصر على أن الفرصة الذهبية بأيدينا وعندنا القدرات والطاقات دائماً ، لكن كل حركة تحريرية تحتاج دائماً الدينامو الذي يحركها ويدفعها للأمام .

• ألا ترى أن قرار ٢٤٢ سيغير من خريطة التحالفات الفلسطينية ؟

- ليس فقط الفلسطينية وإنما العربية أيضاً .

- مستقبل الثورة الفلسطينية هو مستقبل الثورة العربية ، فالثورة الفلسطينية لو تألقت إلى النجوم لن تستطيع تحرير فلسطين وحدها .. تستطيع أن تؤدي دور الطليعة وهو الذي وضعناه في الميثاق في بيت المقدس سنة ١٩٦٤ ، لقد جاء فيه أن تحرير فلسطين تبعة قومية عربية كبرى تقع على عاتق الأمة العربية حكوماتٍ وجيوشاً وشعوباً، والشعب الفلسطيني طليعتها، لم نقل هذا عبثاً ، كذلك وضعنا المادة السادسة التي تقول بأننا نحن لا نمارس السيادة على الضفة الغربية ولا قطاع غزة ، ومع الأسف جاء أحد المجالس الوطنية وشطب هذا البند لأننا بدأنا نفكر بالسلطة .

• كيف ترى إذن مستقبل الثورة الفلسطينية ؟

- أقول سنبدأ من جديد ، سيبدأ الشعب الفلسطيني ومعه الأمة العربية من جديد ..

وهنا يعطي السيد الشقيري أمثلة من التاريخ فيذكر كيف قامت في فلسطين حتى سنة ١٩٤٨ خمس عشرة ثورة ، وما بين سنة ١٩٤٨ حتى ١٩٦٤ انتهى الوجود النضالي الفلسطيني .. لكن هذا لم يمنع من أن تقوم منظمة التحرير بخيرها وشرها حسب تعبير السيد الشقيري والتي هي رمز النضال الفلسطيني والتحرر وقامت بعد ١٦ سنة ، هذا يؤكد أنه ولو بعد عشرين سنة سنقوم مرة ثانية ، كذلك الأمة العربية ..

ويعطي مثلاً أيضاً الحركة الصليبية الاستعمارية التي مرت على فلسطين وسورية وتونس وأقامت الحصون والقلاع والمصانع التي لا تزال قائمة إلى اليوم ، ويقول السيد الشقيري :

لقد وجد في العرب من قاتل تحت راية الصليبيين ومع ذلك استمر نضال الأمة العربية والشعب الفلسطيني حتى دمروا هذه الحركة وطحنوها ..

فالمد العربي ظل إلى ذلك الوقت متنامياً متعرجاً حتى حقق أغراضه . ويستدرك بمرح :

- لا تقلقي إذن يا سلوى !

• حدثتنا عن واقع الثورة والمأزق الذي تعيشه ، ولم تحدثنا عن كيفية الخروج من هذا المأزق ؟

- لنعد قليلاً إلى الوراء ، أنا في يوم إنشاء المنظمة - وأتأسف لاستعمال كلمة أنا - وضعت الميثاق كله ربما أضيف إليه في مؤتمر القدس أربع أو خمس فقرات ، لكن هيكله وتفكيره وصورته أنا وضعتها بعد أن زرت إخواننا في جميع البلاد العربية واستطلعت رأيهم ، لم يخطر يوماً على بالي أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية

هي مفتاح القضية لكن أداة من الأدوات وفصيلاً من الفصائل ، وهذا ما ركّز في المادة الأولى ..

طلبوا منا أن نعلن حكومة عموم فلسطين ورفضنا ، جاءتنا برقيات من الخليج لنعلن جمهورية رفضنا ، « قلنا ما بدناش جمهورية » ووضعنا المادة السادسة التي تقول نحن لا نريد سيادة ، وهنا تحضرني عبارة من يوميات بيغن يقول « اجتمعنا وقلنا هناك شيء واحد علينا أن نقرره كمبدأ وهو أن لا نفكر بالسلطة ، ونتعاهد على هذا .. ولهذا يعود السبب في نجاحنا .. فلو فكرنا بالسلطة سنقتتل ونختلف ونتضارب » ..

وللأسف هؤلاء بعد المؤتمر الأول والثاني أو الثالث قالوا « السلطة الوطنية » ، ثم جاء أناس طيبون يقولون « على أي أرض تتحرر » أي أنهم وضعوا بعض الضوابط وظنوا أن هذه الضوابط ستضبط الذين لا ينضبطون ..

السلطة الوطنية تتم على أرض تقف عليها بسلاحك .. هذه هي السلطة الوطنية . ومع الأسف ظلوا يكررون في المجالس الوطنية « السلطة الوطنية » وأصبح الصراع هو أن يدعموا هذا الشعار بكلمة وهي « على أرض يتم تحريرها » . هل نحن الآن على أرض يتم تحريرها ؟

وما معنى كلمة تحرير ، أصبح للقضية العربية والفلسطينية قاموس جديد ، ولا يفوتني هنا أن أذكر بأن الخوف من عودة الراديكاليين إلى الحكم يسيطر على أميركا ، وقد حذر كارتر « إسرائيل » ونصحها بأن تتعامل مع المعتدلين وتغتنم الفرصة التي إذا لم تفلح فسيرجع الراديكاليون للحكم ..

كذلك بريجنسكي حذر من ذلك ، أما من يتساءل عن سبب رفض اليهود للدولة الفلسطينية ويقرن هذا بالقول إنها لولا أنها جيدة لنا لما رفضتها « إسرائيل » لهؤلاء أقول إن مقياس اليهودي في مطالبه ليس في تلبيتها مئة بالمئة فقط .. فمقياسه أيديولوجياً موجود في التلمود والتوراة حيث يقول المئة ليست بمئة وإنما بألف ، ويوم لا يجد الواحد بالألف في قضيته يرفض .. « إسرائيل » لا تريد دولة فلسطينية .

- الثورة الفلسطينية بشكلها الراهن ، هل هي قادرة على الاستمرار وما هو البديل ؟

- لا تقولي بشكلها الراهن بل بشكلها المرهون ، ويتابع : إذا أرادت الثورة الفلسطينية أن تعود إلى الخنادق والبنادق والنضال فهذا ممكن ، ويستدرك طالباً أن أكتب « إذا » بخط عريض ويطلب مني أن أقرأها ثم أقرأها معكوسة ومقلوبة وهذا هو الحال الذي نحن فيه ..

- ألا تحدثنا عن الثورة العربية بشكل أوسع ؟

- الثورة العربية شيء متأصل في الأمة العربية ، لأن لنا طموحات لم تتحقق ، وعندما يكون للمرء رغبات لا يستطيع تحقيقها فسيعمل حتماً على تحقيقها .

فالثورة هي عمل لتحقيق الطموحات .. عمل دائب متواصل مستمر مستخدم فيه كل الوسائل وكل الأسلحة ، والثورة فكرة موجودة في الأمة العربية وتحتاج إلى ظروف إما أن تقولي ثورة عربية الآن فأقول لا .. لا إمكانية لانبثاق ثورة عربية غداً نراها في الشارع ، لكن النية موجودة وكذلك الإرادة وتحتاج لظروف موضوعية لتجعلها تتفجر ، كالبذرة في الأرض طالما هي مغمضة فلا تنبت حتى يأتي وقت تنفلق والانفلاق هو التفجر .

وفي نهاية اللقاء طلب إلي أن اسجل أمنيته في الحياة ، فقال وهو يودعنا :

- أمنيتي في الحياة أن أحس عن يقين وأنا أغادرها بأن القضية الفلسطينية على أول الدرب الصحيح .

١٣) الحكم الذاتي ... تهويد للضفة والقطاع *

جريدة الرأي، عمّان، ١٨ / ١٠ / ١٩٧٨

قال السيد الشقيري إن الواجب القومي يدعو من غير تردد إلى مساندة الأردن بكل الطاقات الممكنة لتمكينه من الاستمرار في الصمود أمام الضغوط الكبرى التي يتعرض لها من أجل الانضمام إلى المفاوضات مع « إسرائيل » . وأضاف السيد الشقيري إن على قمة بغداد أن تضع كل الثقل في مساندة الأردن بكل الوسائل لأنه أصبح يمثل رأس الحربة في اللعبة السياسية وأنه يتعرض لضغوط هائلة نظراً لعلاقته العضوية بالقضية الفلسطينية . ورداً على سؤال حول مؤتمر القمة الذي سيعقد في بغداد قال السيد الشقيري إن تجربة الأجيال العربية مع مؤتمرات القمة السابقة ليست مشجعة وأعرب عن قناعته بأن تلك المؤتمرات قد هوت إلى قاع التاريخ من غير جدوى وفي ظل هذه المؤتمرات وصلنا إلى ما نشاهده في هذه الأيام .

ومضى : يقول ولذا فإن قمة بغداد تقف أمام تحديات كبيرة وامتحان صعب خاصة وأن الرأي العام الدولي قد أخذ عن مؤتمرات القمة السابقة فكرة غير سارّة ، فإن الأصدقاء والخصوم على السواء كانوا يرون في الاجتماعات السابقة بأنها مجرد غضب وتهديد واحتجاج واستنكار ثم لا تلبث الأمور بعد ذلك إلا أن تتجاوز العمل العربي المشترك وقال السيد الشقيري إن قمة بغداد يجب أن تكون القمة الأولى لا التاسعة لأننا نريدها قمة جديدة لا صلة لها بالماضي ، قمة جادة تعبئ الدول المشتركة فيها الكثير من طاقاتها وقدراتها الاقتصادية والسياسية والمالية لانتشال القضية الفلسطينية من القاع الذي سقطت فيه ومن التصفية التي تتعرض لها .

ويرى السيد الشقيري أن الولايات المتحدة تمني نفسها بأن الدول العربية ستهرول الواحدة بعد الأخرى للسير في طريق التسوية والصلح مع « إسرائيل » ولذلك فإن واجب قمة بغداد الأول هو سد الطريق بصورة حاسمة أمام هذه المحاولة ، ولا يتم ذلك إلا بأن تصبح جميع الدول المشتركة جبهة مواجهة متكاملة لا أن يكون بعضها جبهة مساندة والأخرى جبهة مواجهة . أي المطلوب أن يكون الوطن العربي كله ميداناً واحداً . وأشار الرئيس الأسبق لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى أن الولايات المتحدة تعلن من غير مراوغة أنها تبذل جهوداً مكثفة لإقناع الدول العربية بالانضمام إلى التسوية . هذه الضغوط أصبحت موجهة في الوقت الحاضر وبالتحديد إلى المملكة الأردنية الهاشمية نظراً لعلاقتها العضوية بالقضية الفلسطينية . وحول المؤامرات التي تتعرض لها القضية الفلسطينية يقول السيد الشقيري إن القضية الفلسطينية تمر في ظروف عصيبة بل هي أخطر ما واجهته حتى الآن ، ولا أحسب أن القضية الفلسطينية في عهد الصليبيين وإقامة الدولة اللاتينية في بيت المقدس كانت أقسى وأصعب مما تمر به في الوقت الحاضر .

ومن أجل ذلك فلا يستطيع أي عربي ولا أي فلسطيني أن يكون بمعزل عن الأحداث الجارية التي تدور حول القضية الفلسطينية وليس هذا الزمن .. زمن العزلة أو الوقوف موقف المتفرج فإن الواجب القومي يستنفر كل مواطن عربي وفلسطيني ليؤدي واجبه في خدمة قضية وطنه قدر استطاعته وما تسمح به الظروف .

كما أدعو جميع القوى والأحزاب والمنظمات العربية في أرجاء الوطن العربي أن تعبئ كل طاقاتها وجهودها لدفع الخطر الداهم عن القضية الفلسطينية في ظروفها الحاضرة ، ولا يصح لأحد أن يكون في معزل عن قضية وطننا المقدس ، كما أدعو أبناء العروبة جميعاً أفراداً وجماعات أن يسقطوا الخلافات أمام هدف واحد وهو : دفع الخطر الداهم . وأكد السيد الشقيري أن الخطر كامن في التسوية المطروحة التي خرجت من كامب ديفيد التي ستؤدي إلى نتائج خطيرة منها :

١- أن اللاجئين الفلسطينيين الذين خرجوا من ديارهم في حرب ١٩٤٨ وهم يقاربون مليونين من أهلنا لا « حظ » لهم في هذه التسوية .. فإنها لا تنص على عودتهم بصورة قاطعة حاسمة ، بل إنها تتجاهل قرارات الأمم المتحدة التي تزيد على عشرين قراراً والتي نصت على عودتهم .. والتسوية لم تنص على هذه القرارات .

٢- أما النازحون الذين أخرجوا من وطنهم في حرب ١٩٦٧ فإن أمر عودتهم مرهون بموافقة « إسرائيل » تعيد من تشاء وترفض من تشاء ، وهذا واضح من شروط التسوية .

٣- إن حق تقرير المصير الذي يجري الحديث حوله بصدد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، فإنه ملجوم بكلمات وشروط تجعله في حكم العدم . ويكفي أن نشير إلى أن « إسرائيل » هي أحد الفرقاء الذين سيحددون مصير الشعب الفلسطيني . ومن

(*) أجرى المقابلة مندوب الجريدة في القاهرة .

المعلوم أن حق تقرير المصير معناه البسيط الواضح أن يقرر كل شعب بنفسه وحده ، ولكن التسوية تنص على أن الفلسطينيين يشاركون في تقرير المصير و « إسرائيل » هي الشريك الآخر الذي يقرر مصير الشعب الفلسطيني ، وعلى ذلك فإن حق تقرير المصير لم يعد بيد الشعب الفلسطيني وحده بل أصبحت « إسرائيل » هي التي تقرر مصيره .

والفرق بين تقرير المصير والمشاركة في تقرير المصير كالفرق بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي ، وبهذا الصدد فإن التسوية قد ألغت حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وجعلته بين يدي « إسرائيل » .

وأعاد الشقيري إلى الأذهان الحجة القانونية حول حقوق الشعب الفلسطيني التي وردت في مقررات عصبة الأمم التي صدرت في أوائل العشرينات قبل خمسين عاماً ، فقد اعترف ميثاق العصبة آنذاك أن الشعب الفلسطيني مؤهل للاستقلال بعد مرحلة من التدرج على الحكم الوطني ، ويصبح من المفجع حقاً أن الشعب الذي كان مؤهلاً للاستقلال قبل خمسين عاماً يعرض عليه اليوم الحكم الذاتي تحت رعاية الدولة الإسرائيلية .

وحول رأي الشقيري بصدد الانسحاب الإسرائيلي الذي نصت عليه التسوية قال : ومن قال إن التسوية نصت على الانسحاب ؟ صحيح أن لفظة الانسحاب قد وردت في اتفاقية التسوية ولكن التسوية نفهسا ألغت الانسحاب . لقد أعطت باليمين وسلبت باليسار ، ذلك أن التسوية نصت على بقاء القوات الإسرائيلية بقطاع غزة والضفة الغربية بمراكز جديدة تحددها « إسرائيل » . وقد أعلنت المصادر الإسرائيلية أن القوات الإسرائيلية تبلغ إثني عشر ألف جندي وستبقى منها ستة آلاف جندي تحدد لهم مراكز جديدة في بلادنا ، فهل هذا يعتبر انسحاباً أم أنه تأكيد للاحتلال الإسرائيلي وبرضا العرب والفلسطينيين أنفسهم ؟

وحول الحكم الذاتي الذي نصت عليه التسوية قال السيد الشقيري إن التسوية قد ذكرت الحكم الذاتي ولكنها جعلته في قبضة « إسرائيل » لأن الاتفاقية نصت بصراحة أن اختصاصات الحكم الذاتي ستحددها « إسرائيل » في اتفاقية خاصة ، ويجب أن تكون خاضعة لاعتبارات الأمن الإسرائيلي . هذا لا يبقي للحكم الذاتي الفلسطيني إلا تكنيس الشوارع بشرط مراعاة الأمن الإسرائيلي وبشرط أن لا يصل الغبار إلى « إسرائيل » ويخل بالأمن الإسرائيلي ، فهل هذا مصير الكفاح العربي منذ خمسين عاماً ؟ وهل هو النتيجة النهائية لتضحيات آلاف الشهداء الذين سقطوا من الأمة العربية والشعب الفلسطيني ؟ غير أن الواقع أن الحكم الذاتي سيصبح في حقيقته هو التهويد الذاتي للضفة الغربية وقطاع غزة .

ومضى السيد الشقيري يقول : إن التهويد واضح في الرسالة التي بعث بها بيغن إلى الرئيس الأميركي والتي قال فيها إن « إسرائيل » تعتبر أن كلمة الضفة الغربية وقطاع غزة حيثما وردت في اتفاقية كامب ديفيد فإنها تعني يهودا والسامرة ، وهذان التعبيران معناهما أرض « إسرائيل » وكل ذلك يدل بصورة قاطعة على أن تسوية كامب ديفيد في نظر « إسرائيل » معناها أن فلسطين جميعها قد أصبحت خاضعة للسيادة الإسرائيلية من البحر الأبيض المتوسط حتى نهر الأردن ، وأن السنوات الخمس الانتقالية هي مرحلة لتهويد كل فلسطين .

أما بالنسبة للقدس فيقول السيد الشقيري : الموقف الإسرائيلي ساطع كالشمس ، لقد أعلن بيغن في رسالته إلى الرئيس الأميركي أن القدس هي عاصمة « إسرائيل » ولن تعود مجزأة كما كانت بالماضي وأنها ستظل عاصمة لـ « إسرائيل » إلى الأبد ، وما قالته أميركا عن عدم موافقتها على ذلك قال لا يهمنا موقف أميركا لأن الذي يحتل القدس هي « إسرائيل » وليست أميركا ثم إن حصيلة هذه المراسلات ترسو في النهاية على حقيقة لا مجال للجدال فيها وهي أن القدس سوف تظل تحت الاحتلال الإسرائيلي ولن تخرج القدس من يد « إسرائيل » بكتاب من الرئيس كارتر ، وبهذا يكون العرب قد خسروا بيت المقدس ولن يظفروا بها مرة ثانية ، إلا أن تعود عليهم حجراً على حجر إذا استطاعوا أن يظفروا بها جهاداً وحرباً .

١٤) مذكرة مقدمة إلى مجلس جامعة الدول العربية
المنعقد في دورة طارئة في تونس بتاريخ ٢٧ حزيران / يونيو ١٩٧٩

أصحاب المعالي وزراء خارجية الدول العربية المحترمين

ينعقد اجتماعكم الطارئ في تونس ، وطن الكفاح والجهاد والمقر الجديد لجامعة الدول العربية وسط ظروف خطيرة بالغة القسوة والصعوبة ، فمنذ أن انتهى اجتماعكم في الكويت وقعت في الوطن العربي أحداث خطيرة تتراكم أمامكم كلها اليوم وهي تلح عليكم بالتصدي لها بقرارات فعالة من شأنها أن توقف شرها وخطرها .

والواقع الذي لا مبالغة فيه أنه منذ اجتماعكم في الكويت الشقيق ما مر يوم واحد إلا وسجل لـ « إسرائيل » انتهاكاً جديداً للحقوق العربية حتى إنه لا يكاد ينتهي خرق إسرائيلي حتى يتبعه خرق آخر أشد منه نكالاً للشعب الفلسطيني ومهانة بالأمة العربية بأسرها ، ولا تكاد الصحافة العالمية ووكالات الأنباء تلحق بأخبار هذه الانتهاكات الإسرائيلية ، فقد باتت تجري بسرعة متلاحقة تعسر ملاحقتها ومتابعة تفاصيلها ، وأصبح المواطن العربي يقرأها يوماً بعد يوم في ذهول ورهبة وهو يتساءل بكل جوارجه : أما لهذا الليل من آخر ؟ وأما لهذا العدوان الإسرائيلي من نهاية ؟ وأخيراً التساؤل الكبير : أما له من رادع عربي يوقف هذا العدوان الإسرائيلي الصارخ عند حده ؟ .

ولا تتسع هذه المذكرة لتسجيل تفاصيل الانتهاكات الإسرائيلية المتواصلة ، فأنتم من صميم هذه الأمة وفي الصف الأول من قياداتها وتصل إليكم أنباء الاعتداءات الإسرائيلية ساعة بعد ساعة ولكنني كمواطن عربي واكب القضية العربية منذ زمن طويل وعاصر أحداثها أرى من واجبي ومعي الملايين من المواطنين العرب من المحيط إلى الخليج أن أناشدكم بأن يكون اجتماعكم هذه المرة مرتقياً إلى مستوى الأحداث ، وأن تكون معالجتكم لها متوازية مع جسامتها وفداحتها ، وأخيراً أن تكون قراراتكم بشأنها متساوية مع قرارات الأمة العربية وطاقاتها وما أكثرها وأفعلها ، ذلك أن المأساة الكبرى التي تعيشها الأمة العربية في المرحلة الحاضرة قد أصبحت تتطلب منكم اتخاذ قرارات جادة وفعالة على غير ما ألفتم اتخاذه من قرارات عادية أثبتت التجربة والممارسة عدم جدواها وفعاليتها .

ومن هذا المنطلق فإني أضع أمامكم بكل تواضع واحترام حقيقة أساسية لا يمكن بدونها أن يكون أي قرار فعالاً ومجدياً وباعثاً على الاحترام ، من قبل الرأي العام الدولي ، ناهيكم عن الرأي العام العربي .

هذه الحقيقة الأساسية التي أعنيها هي أن القرارات التي اتخذتها الجامعة العربية منذ أن وقعت حرب الأيام الستة لم تكن موجهة إلى الفاعل الرئيسي المباشر الذي صنع أزمة الشرق الأوسط منذ نشأتها ، ولكن تلك القرارات كانت قاصرة على مخاطبة « إسرائيل » وحدها بالتنديد والاستنكار والتشهير ، و « إسرائيل » ليست دولة من النوع الذي يجدي معه الأسلوب السياسي حتى ولو جاءها عن طريق الأمم المتحدة أو مجلس الأمن .

وأنتم أول من يعرف أن « إسرائيل » هي العضو الوحيد في الأمم المتحدة الذي صدرت ضده أكثر القرارات عدداً ، وباقي عبارات التنديد والاستنكار ، وسجلات الأمم المتحدة في هذا الصدد تفوق العد والإحصاء ، ولا جدال في أن السبب الرئيسي في عدم إذعان « إسرائيل » لقراراتكم وقرارات الأمم المتحدة هو أن المسؤول الرئيسي عن مصائب الشرق الأوسط مطمئن في موقعه لا يتعرض له أحد ، ومصالحه في الشرق الأوسط يحميها ضحايا السياسة الأميركية أنفسهم .

وبإيجاز يمكننا القول بكل صدق وأمانة إن الدبلوماسية العربية قد تجنبت التعرض للمسؤول الأول والمباشر عن جميع المآسي التي غمرت الشرق الأوسط منذ عام ١٩٤٨ إلى يومنا هذا ، وعلى النقيض من ذلك فإن الدبلوماسية العربية تتعامل في معظم الأحوال مع السياسة الأميركية تعاملاً يتسم بالمودة والصداقة ، ولا خلاف بأن المسؤول الذي نعنيه هو الولايات المتحدة الأميركية . على أنه من الإنصاف القول بأن الدبلوماسية العربية قد حالفها الصواب كل الصواب حينما اتخذت قراراتها المعروفة بالنسبة لإجراءات النفط بعد حرب أكتوبر والتزمت بتنفيذها بصورة حازمة والاستمرار في تلك الإجراءات شهراً بعد شهر إلى أن (يتم انسحاب « إسرائيل » من الأرض العربية بكاملها وفي مقدمتها القدس) .

كان ذلك هو قرار الحكومات العربية بالإجماع وبالعبارة التي اقتبستها ، غير أنه مما يؤسف أن الدكتور كيسنجر قد استطاع من خلال جولة قام بها في عدد من الدول العربية أن يقنعها بالعدول عن قراراتها ، وقد تم له ذلك من غير أن تجلو « إسرائيل » عن شبر واحد من الأرض العربية وبذلك فقدت الأمة العربية فرصة ذهبية لتحرير أراضيها بعد أن كانت ثمرة النصر قد

أوشكت أن تكون في قبضة الأمة العربية .

ونحن لو تركنا جانباً مسلسل الأحداث الماضية التي اقترفتها أميركا ضد الشرق الأوسط وشعوب الأمة العربية ، يكفينا أن نشير أنه منذ أن أصدر مجلس الأمن قراره الشهير رقم ٢٤٢ وهو بحد ذاته يعتبر أسوأ قرار اتخذته الأمم المتحدة في أية قضية دولية حتى الآن ، فإن أميركا قد عطلت تنفيذه الشامل الكامل وساندت « إسرائيل » في تفسيراتها الشهيرة المتعلقة بالحدود الآمنة ، ثم دفعت بالنظام المصري إلى توقيع اتفاقيات كامب ديفيد ، وأفضى ذلك كله إلى أن أصبحت مصر غير عربية ولا إسلامية ولا إنسانية ، وأصبحت فلسطين عرضة للضياع تحت منطق الأمن الإسرائيلي ، ومما ساعد على ذلك أن الدبلوماسية العربية لم تتعامل مع أميركا تعاملاً جاداً وحازماً كما يفعل الجانب الإسرائيلي ، كلما أراد مزيداً من الاحتلال والتوسع .

وقبل ذلك كله كانت قد جاءت مبادرة السادات التي فاقت في بشاعتها أبشع ما عرفه التاريخ الإنساني الطويل من استسلام وذل وهوان .

وكان من نتيجة ذلك كله أن انطلقت « إسرائيل » في تصعيد مطالبها ومواقفها ، وزادت في اعتداءاتها وانتهاكاتها ، فمن مصادرة مساحات شاسعة من الأراضي العربية ، إلى تهديم القرى والمنازل العربية ، إلى إنشاء المستوطنات اليهودية واحدة بعد الأخرى في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ، إلى العبث الرهيب بالمقدسات الدينية ، إلى اضطهاد الأهلين بالإرهاب والتعسف والجور إلى آخر السلسلة من الانتهاكات الظالمة الغاشمة التي لا تتسع هذه المذكرة لسردها .

وقد بلغ من طغيان « إسرائيل » وغرورها أنها لم تتورع عن تصعيد مواقفها حتى في الأمور البسيطة ، وآخر ما جرى من هذا القبيل أن الوفد الإسرائيلي رفض أن يقيم في فندق فلسطين في الإسكندرية لأنه يحمل اسم فلسطين ، كان ذلك مثلاً آخر على ذروة الصلف والطغيان والغرور من الجانب الإسرائيلي ، يقابله من الناحية الأخرى أن الجانب المصري كعادته قد أذعن واستسلم فاستضاف الوفد الإسرائيلي في فندق سان استفانو فكان ذلك هو الهوان بعينه ، فهذا الفندق كان معقل الحركة الوطنية المصرية في عهد الزعيم الخالد المجاهد سعد زغلول طيب الله ثراه وبذلك تهاوى ذلك الموقع المصري النقي إلى مستنقع الرجاسة الإسرائيلية .

وطبيعي أن إغفال أمر أميركا في الفكر السياسي العربي ، هو الذي جعل « إسرائيل » تتمادى في طغيانها وانتهاكاتها ، وخاصة أن الرئيس الأميركي قد أعلن غير مرة أنه لا يريد أن يضغط على « إسرائيل » ، ويؤثر أن يترك مصير المفاوضات للحوار الحر بين الأطراف المعنية مباشرة .

ولعل أبرز ما تتجلى فيه مسؤولية الولايات المتحدة عن الأحداث الجارية في الشرق الأوسط هو العدوان الإسرائيلي المتواصل على جنوب لبنان بحراً وجواً وبراً ، مما أدى إلى عدم هدم القرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية فضلاً عن تقتيل الآلاف من الأبرياء العزل نساء وأطفالاً وشيوخاً ... وأوضح أن الغاية من ذلك كله هو حمل الشعب الفلسطيني والحكومة اللبنانية على الانضام إلى تسوية كامب ديفيد .

ومما يجدر بالإعجاب والتقدير في هذه المناسبة أن لبنان ، رئيساً وحكومة وشعباً قد رفض العرض الذي أعلنه الإرهابي مناحيم بيغن بالشروع بمفاوضات بين « إسرائيل » ولبنان لتوقيع معاهدة صلح بينهما ... وكان مثار الإعجاب في الرفض اللبناني أن لبنان غارق في مشاكل وأحداث أشد هولاً وصعوبة مما يزعمه السادات في تبريره لمبادرته الاستسلامية بالنسبة لمصر .

وصفوة القول ، يا أصحاب المعالي وزراء خارجية الدول العربية ، أن مفتاح الموقف بأسره هو في يد الولايات المتحدة ، وما لم تشعروا أميركا ، بصورة جادة بمسؤوليتها المباشرة عن الجلاء عن الأرض العربية ، فإن « إسرائيل » ستظل محتلة لأرضنا العربية ، لا تجلو عنها إلا بعد أن تستنزف آخر نقطة من سيادتنا وكرامتنا ، وهذه لم يبق منها نظام السادات إلا النزر اليسير .

ثم إن أمامكم فرصة ذهبية قد لا تتاح لزمن طويل في الوصول إلى تسوية مقبولة لتحقيق المطالب العربية المعروفة ، فإن أميركا في ظروفها الحالية تعاني أزمات خانقة منها أزمة البطالة وأزمة الدولار وأزمة التضخم المالي وأزمة العجز في ميزان المدفوعات ، يضاف إلى ذلك أزمة الطاقة الحاضرة ، فإن وكالات الأنباء الأميركية وصحافتها مليئة في هذه الأيام بأخبار طوابير الأميركان المتجمعين حول محطات البنزين للحصول على حاجاتهم اليومية ، فهل هنالك من فرصة أعظم من هذه الفرصة لمواجهة أميركا بالموقف اللازم الذي يحضها على إجلاء « إسرائيل » عن الأرض العربية في أقرب وقت ومن غير شروط مذلة أو مهينة ؟

وأمامكم الآن على جدول أعمالكم مثل صارخ ينبئ عن المدى الذي وصل إليه عدم الاكتراث بالموقف العربي على الصعيد الدولي ، وهو القرار الكندي بنقل السفارة من تل أبيب إلى بيت المقدس وهذا هو أول الطريق لاعتراف دولي بالقدس عاصمة « لإسرائيل » ، وستتبعه فيما بعد إجراءات مماثلة من دول أجنبية أخرى .

ويقيناً أن كندا قد أقدمت على هذا العمل غير المشروع لأنه ينسجم على المدى البعيد مع إطار السياسة الأميركية ، فضلاً عن إحساس من كندا نفسها بأن رد الفعل العربي لا ينتظر أن تكون له أهمية فعلية ، وأن أي قرار عربي يتخذ في هذا الشأن سيكون مصيره التراخي فيما بعد ، وأنه في النهاية لن يكون سوى واحد من القرارات التهديدية الكثيرة التي سبق أن أصدرتها الدول العربية وعدلت عنها في النهاية وكان حظها الإهمال .

من أجل ذلك كله فإن اجتماعكم هذا في خضم هذه الأحداث التي تحيط بالقضية العربية ، هو اجتماع تاريخي يتطلب قرارات تاريخية ، تتوقف عليها ثقة الأمة العربية بالدبلوماسية العربية بل بالحكم العربي في وجوده واستمراره ، ومما يبعث على هذا الشعور الخطير أن المواطن العربي لا يكتفي بنقل مقر الجامعة العربية من عاصمة إلى عاصمة وكأن ذلك ضرورة قومية عليا ، وإنما يتطلع إلى أن تنتقل الجامعة إلى آفاق أخرى من الجدية والفعالية والأصالة العربية ، خاصة وأن الشعب التونسي البطل بقيادة رئيسه قد استضاف الجامعة العربية في تونس وأنقذها من الجو المظلم الذي أحدق بالقاهرة منذ المبادرة المشؤومة إلى يومنا هذا .

ولا بد في النهاية من الإشارة إلى ثلاث سوابق سياسية أقل خطراً من أزمة الشرق الأوسط استخدمتها أميركا تطبيقاً لقرارات الأمم المتحدة وميثاقها : السابقة الأولى هي حظر الأسلحة الأميركية عن تركيا بسبب القضية القبرصية ، والسابقة الثانية هي وقف المساعدات الاقتصادية عن روديسيا من أجل مقاومة التمييز العنصري ، والسابقة الثالثة هي وقف المساعدات الاقتصادية عن الباكستان بسبب المنشآت النووية .

أما بالنسبة لـ « إسرائيل » فإن المساعدات العسكرية الأميركية تتدفق بصورة مستمرة ، ومن جملتها - الأسلحة المحرمة دولياً . وكذلك فإن المساعدات المالية والاقتصادية لا تزال أميركا ماضية في تقديمها لـ « إسرائيل » ، والرئيس الأميركي يتابع الانتهاكات الإسرائيلية من غير اهتمام ولا مبالاة ، مكتفياً بتصريحات غير مجدية كقوله بالنسبة إلى إنشاء المستوطنات إن أمرها مما يؤسف له أنه يؤلف عقبة في طريق السلام على حين أن هذه المستوطنات تبنى في حقيقتها بالأموال الأميركية وتتولّى القوات الإسرائيلية حمايتها بالأسلحة الأميركية . ولهذا فقد آن للدبلوماسية العربية أن تواجه السياسة الأميركية بهذه الحقائق وأن تدعمها باستخدام القدرات العربية الكثيرة التي تملكها الأمة العربية . وفي هذا المجال فإن المواطن العربي لا يقبل الحجة التي ترددها بعض المراجع العربية الرسمية من أن الطاقات العربية يجب ألا تستخدم لتهديد الاقتصاد العالمي ، ذلك أن الحفاظ على الوطن العربي ومقدساته وصون سيادته يجب أن يكون في المقام الأول قبل أي اعتبار ، وأن عالماً يقف موقف المتفرج من قضية الشعب الفلسطيني والأرض العربية لا يستحق أن يعطى أهمية تفوق أهمية الوطن العربي وكرامة شعوبه .

من أجل ذلك كله فإن أنظار الأمة العربية بأسرها تتطلع في هذه الأيام إلى مقركم الجديد في تونس لترى هل من جديد في السياسة العربية يحفظ للأمة العربية أرضها وشرفها ودينها .

ولقد سبقتكم السوق الأوروبية المشتركة فأصدرت بياناً في العشرين من شهر يونيو / حزيران فأعلن وزراء خارجيتها تنديدهم (بالاستيطان الصهيوني) والأعمال الإسرائيلية المعرقلة للسلام وطالبوا بوضع حد للاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية والاعتراف بالحقوق الفلسطينية ومساندة بناء كيانه والدفاع عن حرمته الترابية .

ولا أحسب أن البيان الذي سيصدره الوزراء العرب سيكون أكثر شمولاً مما جاء في بيان وزراء خارجية السوق الأوروبية (كما أوردت نصه أعلاه) ، كما يبقى عليكم أن تشفعوا بيانكم بإجراءات عملية تؤيده وتدعمه ، وبذلك تكونون قد فعلتم أكثر مما فعله الوزراء الأوروبيون .

وتفضوا بقبول فائق الاحترام

أخوكم

أحمد الشقيري

٢٦ / ٥ / ١٩٧٩

١٥) الشقيري : السادات جرّ مصر لطريق غير عربية ولا إسلامية*

جريدة الأنباء ، الكويت ، ١٩٧٩/٨/٥

• لسيادتكم باع طويل في السياسة الدولية والدبلوماسية العربية ، ونطمح في أن تقيّموا للجماهير العربية أهداف ومرامي المعاهدات والعلاقات المصرية - الإسرائيلية والموقف العربي .

- الواقع الذي لا مبالغة فيه ، أنه منذ توقيع معاهدة الصلح المنفردة وما تلاها من اجتماعات للقادة العرب في بغداد ووزراء الخارجية العرب في الكويت وعمان وتونس وللآن ، لم يمر يوم واحد إلا وسجلت « إسرائيل » فيه انتهاكاً جديداً للحقوق العربية ، حتى إنه لا يكاد ينتهي خرق إسرائيلي حتى يتبعه خرق آخر أشد منه نكالاً للشعب الفلسطيني ، ومهانة بالأمة العربية بأسرها ، ولا تكاد الصحافة العربية والعالمية ووكالات الأنباء تلاحق أخبار هذه الانتهاكات التي باتت تجري بسرعة تتعسر ملاحقتها ومتابعة تفاصيلها ، وأصبح المواطن العربي يتابعها في ذهول ورهبة حدثاً بحدث .

إن المأساة الكبرى التي تعيشها الأمة العربية الكبرى في المرحلة الحاضرة أصبحت تتطلّب منها اتخاذ قرارات جادة وفعالة على غير ما ألفت اتخاذه من قرارات وأعمال عادية أثبتت التجارب والممارسات عدم جدواها وعدم فعاليتها .

وأود أن أضع أمام الأمة العربية وكل قياداتها « حقيقة أساسية » وهي أن القرارات التي اتخذتها جامعة الدول العربية منذ حرب الأيام الستة لم تكن موجهة إلى الفاعل الرئيسي المباشر الذي صنع مشكلة الشرق الأوسط وظل مختبئاً وراءها منذ صناعتها ، وما زال على رأسها ، بل كانت موجهة قاصرة مقتصرة على « إسرائيل » وحدها بالتنديد والاستنكار تارة ، وبالتشهير والقرارات تارة أخرى ، ومعروف أن « إسرائيل » ، ليست دولة من النوع الذي يجدي معه التعامل بالأسلوب السياسي ، حتى لو جاءها عن طريق الأمم المتحدة أو مجلس الأمن .

الكل يعلم ويعرف أن « إسرائيل » هي العضو الوحيد في الأمم المتحدة الذي صدرت ضده أكثر القرارات عدداً وكل عبارات التنديد والاستنكار والشجب التي عرفها وتعارف عليها البشر والقوانين ، وسجلات الأمم المتحدة في هذه الصدد تفوق العدد والإحصاء ، ولا جدال في أن السبب الرئيسي في عدم إذعان « إسرائيل » للقرارات العربية ولقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ولدول عدم الانحياز ، يعود لكون المسؤول الرئيسي عن مصائب الشرق الأوسط مطمئن في موقعه ولا يتعرض له أحد ، ومصالحه في الشرق الأوسط يحميها ضحايا السياسة الأميركية أنفسهم .

وباختصار ، يمكننا القول بكل الصدق والأمانة ، إن الدبلوماسية العربية قد تجنبت التعرض للمسؤول الرئيسي الأول والمباشر عن جميع المآسي التي غمرت المنطقة منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا ، وعلى النقيض من ذلك فإن الدبلوماسية العربية تتعامل في معظم الأحوال مع السياسة الأميركية تعاملاً يتسم بالمودة والصداقة ، ولا خلاف بأن المسؤول الذي نعنيه هو الولايات المتحدة الأميركية .

من الإنصاف القول بأن الدبلوماسية العربية حالفها كل الصواب حينما اتخذت قراراتها المعروفة بالنسبة لإجراءات النفط في أعقاب حرب أكتوبر / تشرين الأول ، والتزمت بتنفيذها بصورة حازمة والاستمرار في تنفيذ تلك الإجراءات شهراً بعد شهر إلى أن يتم الانسحاب الإسرائيلي من الأرض العربية بكاملها وفي مقدمتها القدس . غير أنه مما يؤسف له ، أن الدكتور كيسنجر قد استطاع من خلال جولة غزا بها عدداً من الدول العربية أن يقنعها بالعدول عن قراراتها ، وقد تم له ذلك من غير أن تجلو « إسرائيل » عن شبر واحد من الأرض العربية ، وبذلك فقدت الأمة العربية فرصة ذهبية لتحرير أراضيها بعد أن كانت ثمرة الانتصار قاب قوسين أو أدنى من قضية الأمة العربية ، قطفها كيسنجر من أيدي العرب .

نترك الآن جانباً مسلسل الأحداث الماضية التي اقترفتها أميركا ضد العرب وشعوبهم ويكفينا أن نشير أنه منذ أن أصدر مجلس الأمن قراره الشهير رقم ٢٤٢ وهو بحد ذاته يعتبر أسوأ قرار اتخذته الأمم المتحدة في أية قضية دولية حتى الآن ، فإن أميركا قد عطلت تنفيذه الشامل ، وساندت « إسرائيل » في تفسيراتها الشهيرة المتعلقة بالحدود الآمنة ، ثم دفعت برأس النظام المصري القائم إلى توقيع اتفاقيات كامب ديفيد وما تناسل عنها من اتفاقية الصلح المنفرد والمسلسل الذي كان يرمي إلى جر مصر بربط رئيسها إلى أن تصبح مصر غير عربية ولا إسلامية ولا إنسانية كهدف أساسي ، وأصبحت بذلك فلسطين عرضة للضياع تحت منطق الأمن الإسرائيلي ، ومما ساعد على ذلك أن الدبلوماسية العربية لم تتعامل مع أميركا تعاملاً جاداً

(*) أجرى المقابلة من عمّان صادق نواس .

وحازماً كما يفعل الجانب الإسرائيلي كلما أراد مزيداً من الاحتلال والتوسع .

وكان من أبعاد ذلك كله ، أن انطلقت « إسرائيل » في تصعيد مطالبها وحزم مواقفها ، وزيادة اعتداءاتها وانتهاكاتها بمصادرة مساحات شاسعة من الأراضي العربية ، وهدم المنازل والقرى العربية لإقامة مستوطنات صهيونية واحدة تلو الأخرى في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ووصلت إلى حد العبث الرهيب بالمقدسات الدينية وإلى إضطهاد الأهلين بالإرهاب والتعسف والجور بالقتل والسجن والتعذيب والطرد إلى آخر السلسلة من الانتهاكات الظالمة الغاشمة .

لقد بلغ من طغيان « إسرائيل » وغرورها ، أنها لم تتورع عن تصعيد مواقفها حتى في الأمور البسيطة ، وآخر ما جرى من هذا القبيل أن الوفد الإسرائيلي ، رفض أن يقيم في فندق فلسطين بالإسكندرية ، لأنه يحمل اسم فلسطين فقط ، فكان ذلك مثلاً جديداً على ذروة الصلف والطغيان والغرور ، يقابله من الناحية الأخرى ، أن الجانب المصري قد أذعن واستسلم ، فاستضاف الوفد الإسرائيلي في فندق « سان استفانو » فكان ذلك هو الهوان بعينه — لأن هذا الفندق كان معقلاً للحركة الوطنية المصرية في عهد الزعيم المجاهد سعد زغلول طيب الله ثراه ، وبذلك تهاوى ذلك الموقع المصري النقي إلى مستنقع الرجاسة الإسرائيلية .

إن ما أقدم عليه السادات وجر إليه الشعب المصري لأبشع جريمة عرفها التاريخ العربي الطويل من ذل وخنوع ومهانة واستسلام لم يعرفها التاريخ قبله .

- أثبتت جامعة الدول العربية عدم قدرتها وفعاليتها لردع السادات عن فصل مصر عن الوطن العربي ، فما هو رأيكم ولسيادتكم جهود مضنية من أجل تطويرها وإصلاحها لخدمة العرب وقضاياهم ؟

- أصبحت اليوم تونس بلد الكفاح والجهاد مقراً جديداً لجامعة الدول العربية ، وسط ظروف خطيرة بالغة القسوة والصعوبة ، وتتوقف ثقة الأمة العربية بل والحكم العربي وجوده واستمراره على قراراتها .

والمواطن العربي ذاته لا يكتفي بنقل مقر الجامعة من عاصمة إلى أخرى ، وإنما يتطلع إلى أن تنتقل الجامعة إلى آفاق أخرى من الجدية والفاعلية والأصالة العربية ، خاصة وأن الشعب التونسي البطل قد استضاف الجامعة العربية في تونس ، وأنقذها من الجو المظلم الذي أحدق بالقاهرة منذ المبادرة المشؤومة وإلى يومنا هذا .

إن مشكلة الجامعة العربية في هيكلها العام ، وعلى صعيد دولها وبعد ٣٠ عاماً من عمرها قد أصبحت غابة مستعصية موحشة ، وأصبح إصلاحها وتطويرها يثير الرعب في قلوب الذين يعيشون فيها ويختبئون في كهوفها ، ولهذا تتعالى صيحات الخوف والرعب كلما سمعوا وقع أقدام الخطوة الأولى لمن يحاول الإصلاح أو التطوير .

إنني مؤمن بضرورة وجود جامعة الدول العربية بما ينسجم مع آمال وتطلعات وطموحات الأمة العربية ومن أجل خدمة الذات العربية أولاً ، ثم لاجتياز المراحل الصعبة والعقبات والقضايا المحلية والدولية التي تواجهها حتى ترتقي لمستوى الأحداث والمحن باتخاذ قرارات جادة وفعالة تكون متساوية ومتناسبة مع قدراتها وطاقاتها وما أكثرها وما أفعلها .

ومأساة أمتنا الكبرى التي تعيشها في هذه المرحلة الحاضرة الخطيرة ، تتطلب الإصلاح والتصحيح والتطوير لتجسد الجدارة والقدرة والأصالة العربية لاسترداد مجد العرب الذي نقله العالم عنهم ، في حين هم نسوه وتناسوه مع كل ما وصلوا إليه من علم وتعلم وثقافة . إن التاريخ لا يهمل والأجيال القادمة لا ترحم ، وستطلع على التاريخ وتعرفه ، وسيكون حكمها على أجيالنا وما عملته لا يرحم ما دمنا مقصرين ولم نبلغ مستوى وقف التآمر واجتياز الصعاب .

- الكيان الفلسطيني الذي حرصت على بنائه ورفع بنيانه لبنة لبنة ، يمر الآن في مراحل خطيرة ، تستهدف هذا البنيان وما يشمله ، فما هو تصوركم لإنقاذه ؟

- إن محاولات هدم الكيان الفلسطيني ، ودفن القضية العربية الفلسطينية إلى الأبد ، بتجريدها من شعارها وعنوانها وسلاحها الوحيد « تحرير كامل التراب الفلسطيني » بجرِّها إلى موائد المفاوضات هو من أكبر الأخطار وأشدها التي تهدد هذا الكيان وتهدد الوضع العربي بأكمله .

إنني ألفت الأنظار وأنبه العقول وأحذر من الأفكار التي تراود البعض من مزالق المفاوضات السياسية والدخول في طريقها لتسويات انهزامية تحت تأثير حملة إعلامية مضللة وضغوط مفتعلة لها مصالح في خدمة العدو وليس من أجل فلسطين وقضيتهم ، بهدف دفع الفلسطينيين إلى المفاوضات مع « إسرائيل » ، بما لا يعود على هذا الشعب بأية جدوى ، بل يلحق به العار والذل والهوان ، وأمامنا مثل حي صارخ فيما أقدم عليه السادات ، والشعب المصري أكبر عدداً وعدة من الشعب الفلسطيني وأكثر قدرة ، وها نحن نرى العدو الإرهابي مناحيم بيغن مع زمرته من الصهاينة يركل السادات بقدميه القذرتين كل يوم مثل الكرة يتحكم فيها

اللاعب ويقذفها حيث شاء ليحقق ما يريد ، وسيلاقي الشعب الفلسطيني لا سمح الله نفس المصير إذا أقدم على أي لقاء أو مباحثات أو مفاوضات مع الإسرائيليين لها معنى واحد ، هو أن تمد يديها إلى جيوب العرب لتأخذ كل ما فيها ، فإن لم تجد شيئاً انتزعت رموش عيونهم وشعر وجوههم ورؤوسهم لتتخذ منها أدوات لمستشفياتها الطبية .

وليعلم من لا يعلم أن « إسرائيل » من وجهة النظر القانونية العربية والدولية ، ليست دولة ، وإنما هم مجموعة غزاة مغتصبين مدعمين بقوة دولة كبرى ، تدعمهم بالمال والسلاح والعتاد والرجال إن احتاجوا ، لتعطيهم حق إقامة دولة على حقوق شعب كامل بطرده وزرعهم بقوة الحديد والنار والإرهاب والدمار محلهم ، وهذا الحق لا يملكه أحد ولن يملكه ، ما دام هذا الشعب الذي اغتصبت دياره وترابه يقف موقف الرجال الذين لا تهزهم العواصف ولا تهزهم الضغوط أو المساومات للمفاوضات على حق لهم مع سلطة مغتصبين لا تنطبق عليهم القوانين الدولية ولا ميثاق الأمم المتحدة ، ولا مواثيق حقوق الإنسان ، ولا ميثاق جنيف فيما يتعلق بالحفاظ على الأقاليم المحتلة والحقوق الوطنية وحقوق المحاربين وغيرها ، وقد أدينت دولياً كما قلت بقرارات عديدة لا تحصى ولا تعد ، وظلت على حالها عصابة مسلحة مستوطنة غازية تضرب عرض الحائط بكل القيم الإنسانية والدولية وبكل القرارات .

لذلك فإن اتصال أية جهة فلسطينية أو عربية ولأي سبب من الأسباب مع أية جهة من جهات العدو ، يعتبر في نظر القوانين العربية جريمة لا يجوز تبريرها أو الدفاع عنها وخيانة ما بعدها خيانة . الكيان الفلسطيني ثورة تحريرية ، إذن .. هي تمرد على كل ما يحد من طبيعة تكوينها ، وقد نالت ثقة الجماهير الفلسطينية واندفاعها نحوها والانخراط في صفوفها على أساس ميثاقها الوطني المعلن ، والذي لا يجوز تعديله أو الالتفاف حول نصوصه ، فالميثاق في بنوده الأساسية ، ليس قانوناً داخلياً تصدره حكومة أو نظاماً لقطاع معين يجوز تعديله وتغييره ، وإنما هو دستور ثابت يحدد مسيرة الجماهير الفلسطينية ، ولا ينتهي العمل به إلا بتحقيق أهدافه ، وواجب الشعب الفلسطيني أن يضع الخطط والأعمال الثورية المسلحة سراً وعلناً لتحقيق مبادئ ميثاقه ، ولا يجوز أن نستجدي العالم وطناً قومياً لنا ، في جزء من وطننا ، فوطننا معروف المعالم مغتصب الأرجاء ، وعلينا واجب خلاصه بكل الوسائل التي تحفظ للوطن والكيان كرامته ، ومن ينكص عن ذلك فلن يجد مصيراً أفضل من الذين سبقوه في التفريط بأوطانهم وكرامتهم وحقوقهم عبر التاريخ .

- كيف السبيل في تصوركم ، لاجتياز المرحلة الخطيرة الحاسمة التي تمر بها أمتنا العربية في عالمنا الكبير ؟

- إن إغفال أمر أميركا في الفكر السياسي العربي ، هو الذي جعل « إسرائيل » تتمادى في طغيانها وانتهاكاتها خاصة وأن الرئيس الأميركي أعلن غير مرة أنه لا يريد أن يضغط على « إسرائيل » ويؤثر أن يترك مصير المفاوضات للحوار الحر بين الأطراف المعنية مباشرة . ولعل أبرز ما تتجلى فيه مسؤولية الولايات المتحدة عن الأحداث الجارية في الشرق الأوسط ، هو العدوان الإسرائيلي المتواصل على لبنان وجنوبه بحراً وجواً وبراً ، مما أدى إلى هدم القرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية ، فضلاً عن تقبل آلاف الأبرياء العزل نساء وأطفالاً وشيوخاً ، وواضح أن الغاية من ذلك كله هو حمل الشعب الفلسطيني والحكومة اللبنانية على الانضمام إلى تسوية كامب ديفيد .

ومما يجدر بالإعجاب والتقدير أن لبنان رئيساً وحكومة وشعباً قد رفض العرض الذي أعلنه الإرهابي بيغن بالشروع بمفاوضات بين لبنان - و « إسرائيل » لتوقيع معاهدة صلح بينهما ، وكان مثار الإعجاب في الرفض اللبناني أن لبنان غارق في مشاكل وأحداث أشد هولاً وصعوبة مما يزعمه السادات في تبريره لمبادرته الاستسلامية بالنسبة لمصر .

إن أمام العرب اليوم فرصة ذهبية قد لا تتاح لزمن طويل في الوصول إلى تسوية مقبولة لتحقيق المطالب العربية المعروفة ، وهذه الفرصة أن أميركا في ظروفها الحالية تعاني أزمات خانقة منها على سبيل المثال أزمة البطالة – أزمة الدولار – أزمة التضخم المالي – أزمة العجز في ميزان المدفوعات – يضاف لذلك أزمة الأزمات موارد الطاقة ، فهل هناك فرصة أعظم من هذه الفرصة ، لمواجهة أميركا ، بموقف عربي حازم ، يحملها على إجلاء « إسرائيل » عن الأرض العربية في أقرب وقت ومن غير شروط مهينة أو مذلة ؟

أمام العرب مثل آخر صارخ يوضح عدم اكتراث الغرب بمواقفهم على الصعيد الدولي ، ذلك هو القرار الكندي ، بنقل سفارتهم من تل أبيب إلى القدس ، وهذا هو أول الطريق لاعتراف دولي بالقدس عاصمة لـ « إسرائيل » وستتبعه فيما بعد إجراءات مماثلة من دول أجنبية أخرى .

وفي يقيني أن كندا قد أقدمت على هذا العمل غير المشروع لأنه ينسجم على المدى البعيد في إطار السياسة الأميركية ، فضلاً عن إحساس من كندا نفسها بأن رد الفعل العربي لا ينتظر أن تكون له قيمة فعلية ، وأن أي قرار عربي يتخذ في هذا الشأن سيكون مصيره

التراخي فيما بعد ، وأنه في النهاية لن يكون سوى واحد من القرارات التهديدية الكثيرة ، التي سبق وأن أصدرتها الدول العربية ، وعدلت عنها في النهاية ، وكان حظها الإهمال .

تجدر الإشارة هنا إلى ثلاث سوابق سياسية أقل خطراً من أزمة الشرق الأوسط ، استخدمتها أميركا تطبيقاً لقرارات الأمم المتحدة وميثاقها .

الأولى : حظر الأسلحة الأميركية عن تركيا بسبب القضية القبرصية .

الثانية : وقف المساعدات الاقتصادية عن روديسيا من أجل مقاومة التمييز العنصري .

الثالثة : وقف المساعدات الاقتصادية عن باكستان بسبب المنشآت النووية .

أما بالنسبة لـ « إسرائيل » ، فإن المساعدات العسكرية الأميركية تتدفق بصورة مستمرة ، ومن جملتها الأسلحة المحرمة دولياً ، وكذلك فإن المساعدات المالية والاقتصادية لا تزال أميركا ماضية في تقديمها لها ، والرئيس الأميركي يتابع الانتهاكات الإسرائيلية من غير اهتمام ولا مبالاة مكتفياً بتصريحات غير مجدية كقوله بالنسبة لإنشاء المستوطنات « إن أمرها مما يؤسف له ، وإنه يؤلف عقبة في طريق السلام » . على حين أن هذه المستوطنات تبنى في حقيقتها بالأموال الأميركية ، وتتولى القوات الإسرائيلية حمايتها بالأسلحة الأميركية .

ولهذا فقد آن الأوان للساسة العرب والدبلوماسية العربية ، أن تواجه السياسة الأميركية بهذه الحقائق ، وأن تدعمها باستخدام القدرات العربية الكثيرة التي تملكها الأمة العربية .

أما حملة التهديدات الإعلامية والتصاريح التي يصدرها بعض المسؤولين الأميركيين عنيفة تارة وجانحة نحو حاجتها تارة أخرى تحت شعارات احتلال منابع الطاقة أو تحت شعار حمايتها في الجزيرة والخليج العربي ، ما هي في تقديري إلا نوع من أنواع المناورات الهادفة إلى تعزيز وجودها على حساب انقسام العرب وتمزيق وحدة شعوبهم ومواقفهم ، وهي نظرية « فرِّق تسد » .

وفي هذا المجال فإن المواطن العربي لا يقبل الحجة التي ترددها بعض المراجع العربية والرسمية من أن الطاقة العربية يجب أن لا تستخدم لتهديد الاقتصاد العالمي ، ذلك أن الحفاظ على الوطن العربي ومقدساته وصون سيادته وكرامته يجب أن يكون في المقام الأول ، قبل أي اعتبار ، وإن عالماً يقف موقف المتفرج من قضية الشعب الفلسطيني ومن القضايا العربية ، لا يستحق أن يعطى أهمية تفوق أهمية الوطن العربي وكرامته وسيادته واستقلاله .

إن الأمة العربية تمتلك القوة والقدرة لمواجهة السياسة الأميركية وقادرة على التأثير بها وتحويلها وإبعادها عن « إسرائيل » . وتحتاج إلى الإرادة السياسية الحازمة لاتخاذ المواقف الثابتة التي ترهب وتفرض على الساسة الأميركيين تبديل مواقفهم من أجل مصالحهم العليا ولحل الأزمات الخانقة التي خلفتها سياسة دعم « إسرائيل » على حساب الشعب الأميركي .

١٦) رد على مناحيم بيغن .. آخر ما كتب أحمد الشقيري*

مجلة شؤون عربية ، تونس ، آذار / مارس ١٩٨١

حينما انتقل المرحوم أحمد الشقيري ، المناضل العربي الفلسطيني الكبير إلى رحمته تعالى في السادس والعشرين من شباط/فبراير ١٩٨٠ ، كان قد أنجز قسماً كبيراً من كتاب استوحاه ، ورد به على بيان مناحيم بيغن « إلى شعب مصر » في الحادي عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٧ . وقد حصلت « شؤون عربية » على مخطوط الكتاب الذي تأمل أسرة الفقيد نشره قريباً . وتنشر مجلتنا ، في عددها الأول هذا ، الفصل الأول من الكتاب . وقد جاء في وصية الفقيد إلى عائلته « حرصت كل أيام حياتي أن أترك ميراثاً من الرأي والجهد في سبيل قضايانا القومية أو شؤوننا العامة .. إني أدعو أبنائي وجميع أصدقائي في الوطن العربي أن يراجعوا هذه الكتب بالتصحيح والتنقيح ، وأن يكون ريعها وقفاً على تعليم أبناء الشهداء ... » .

في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٩٧٧ ، أطلق الرئيس السادات من مجلس الشعب المصري مبادرته الشهيرة ، ولا حاجة بنا أن نذكر تفاصيلها فقد نقلتها الأقمار الصناعية وأجهزة الإعلام العالمية إلى جميع أرجاء العالم . وكذلك فإنه لا حاجة بنا أن نخوض في تحليلها وتقييمها ، فإن الحكم العادل بشأنها موكول إلى نهايتها ، وما أعظم أسلافنا القدامى حين قالوا : الأمور بخواتيمها . وهذا هو أعف ما يقال بشأن هذه المبادرة .

غير أن هذه المبادرة قد فجرت مبادرات إسرائيلية ضخمة ، في مجال الإعلام والسياسة معاً ، وراح العالم يصغي إلى مهرجانات خطابية ، عربية وإسرائيلية ، حيث يدلي كل فريق بمطالبه ودعاواه ، شارحاً أسانيده وحججه .

وجاءت أولى المبادرات الإسرائيلية ، في اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٧ مباشرة بعد يومين من مبادرة الرئيس السادات ، وكانت لا تزال ساخنة ، تعوج وتموج في أرجاء العالم الفسيح ، وكأنما كانت « إسرائيل » على موعد مع مبادرة القاهرة ساعة بساعة . ففي عشية ذلك اليوم ، تأبط مناحيم بيغن رئيس وزراء العدو ، ذراع المبادرة المصرية وصعد بها إلى الأقمار الصناعية الأميركية ، ليذيع على الشعب المصري خطاباً يتحدث فيه عن موقف « إسرائيل » عن مواضيع الساعة التي تستأثر باهتمام الرأي العام ، العربي والدولي على السواء . وفي مثل وميض البرق أرسلت « إسرائيل » النص الكامل لهذا الخطاب إلى الأمم المتحدة ، باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والعبرية ، يوزع على أعضاء الأمم المتحدة كوثيقة دولية .

والمواطن العربي القومي ، الحريص على حاضر الأمة العربية ومستقبلها ، يجب أن ينصرف بالضرورة إلى دراسة خطاب العدو الإرهابي مناحيم بيغن ، تاركاً خطاب الرئيس السادات جانباً ، فالخطاب الإسرائيلي يكشف عن مواطن الخطر العدواني الرهيب ، على حين أن العربي يلهث وراء سراب لا يكاد يصل إليه حتى ينجذب إلى سراب جديد في الأفق البعيد .

وخطاب رئيس وزراء العدو ، ليس طويلاً ولا عريضاً ، ولكنه عميق الأغوار ، عبأ فيه صاحبه كل ما يريد أن يقوله لمصر وللعرب ، والرأي العام الدولي . وفوق ذلك فإن مناحيم بيغن قد استخدم أقل العبارات والألفاظ لإبراز أضخم الأهداف ، ومن كان له أذنان للسمع فليسمع ، ومن كان لا يعجبه ما يسمع ، فليشرب البحر ، وهو غير بعيد ، فهناك الأبيض وهناك الأحمر ، وللناس فيما يشربون مذاهب .

وبكلمة موجزة ، فإن خطاب رئيس وزراء العدو ، يمثل في تعبير العصر الحديث « كبسولة » صغيرة تحتوي القضية الصهيونية برمتها ، ومن هنا كان الاهتمام به أجدر وأجدى . وأصبح الواجب القومي يقتضي منا أن نقرأه بتدبر وروية ، وأن ندرسه بتعمق عميق ، كشفاً عن أغواره البعيدة وأباطيله المختلفة واحدة واحدة . والقضية الصهيونية ركام من الأباطيل اكتست مع الزمن والتكرار والإصرار رداء من الحق . والحق بعيد عنها بُعد النجوم والأفلاك .

ومما يحمل على الأسف أن المبادرة المصرية قد لقيت تأييداً وتنديداً من الإعلام العربي بكل فنون الإعلام ، شعراً ونثراً ، وفقهاً وتاريخاً ، ما لا يقع تحت حصر ، ولم تلق خطبة العدو الإسرائيلي جواباً ولا رداً . وكان الرد الوحيد الذي ظفر به خطاب رئيس وزراء العدو ، ما قالته إحدى الصحف العربية برشاقة وأناقة « إنه لا يستحق الرد لأننا معنيون بالحاضر والمستقبل ، وإن الماضي قد أصبح ملك التاريخ » .

والعناية بالمستقبل ، دون الالتفات إلى الماضي هي أول بوادر الهزيمة في المعركة ، لأن القضية في الأصل ، بيننا وبين « إسرائيل » ، تقوم على الماضي ، وهذا الماضي هو الذي صنع الحاضر ، والحاضر هو الذي سيصنع المستقبل ، ولكن في مزيد من الشر ما بعده مزيد .

والمواطن العربي ، القارئ لكل أدبيات الصهيونية ، ولكل منطقيات سيدتها الكبرى أميركا ، يرى باستمرار وإصرار وعلى الدوام أن الصهيونية وأميركا تناشدان العرب على الدوام نسيان الماضي بكل مآسيه ، والتطلع إلى مستقبل ينعم بالازدهار . وقد كانت مناشدة الاستعمار إلى جميع الشعوب المناضلة لتحقيق حريتها وسيادتها؛ التخلي عن الماضي ، واعتماد الواقع القائم ، وبناء حياة جديدة ولكن على أساس هذا الواقع . ولو أن الحركات التحريرية في العالم قد ألقت بالها إلى هذه المناشدة وأمثالها ، لم تتحقق للشعوب المغلوبة على أمرها حرية ولا سيادة ، ولبقي الاستعمار جاثماً على صدر القارات القديمة في هذا العالم .

وفي مسيرة الصهيونية وهي تحقق انتصاراتها مرحلة بعد مرحلة ، كانت دائماً تدعو كلما أثيرت مناسبة للوصول إلى تسوية سلمية ، إلى نسيان الماضي ، والانطلاق من الواقع الذي وصلته الصهيونية دون أن تتراجع ولو خطوة واحدة إلى الوراء ، ولا تفتأ الصهيونية تحقق الواقع بعد الواقع ، مرحلة بعد مرحلة . ويكون الواقع الجديد دعوة متجددة لنسيان الماضي والأخذ بالواقع الجديد . وهكذا دواليك ..

ومن هنا تبدو المفارقة حزينة ومفجعة في موكب هذه المبادرات العربية والإسرائيلية ، حينما يسمع المواطن العربي دعوة واحدة من الطرف العربي والطرف الإسرائيلي معاً وفي وقت واحد . هذه الدعوة تقول بالعبرية والعربية : دعونا ننسى الماضي نحن أبناء اليوم ولننظر إلى المستقبل ... وفي هذا القول وحده تصفية وتسوية قبل الدخول في التسوية .

وموقف اللاردّ ، أو اللامبالاة من الجانب العربي ، له أبعاده الخطيرة على الصعيدين العربي والدولي ، وخاصة أن الجانب الإسرائيلي يصر على التحدي ، والجانب العربي لا ينهض للتصدي . وعلى الصعيد العربي فإن الخطر العربي يتمثل في أن المواطن العربي لا يسمع رداً عربياً على التحدي اليهودي . وهذا يفضي في النهاية إلى ضعف القضية العربية وتراخي أصحابها في الدفاع عنها . أما على الصعيد الدولي ، فإن القضية الصهيونية تزداد إقناعاً لدى الإنسان العادي في العالم ، ولماذا يكترث العالم لقضية ، أي قضية لا يدافع عنها أصحابها . ومن هنا فإن عدم التصدي لخطاب رئيس وزراء العدو وعدم مطاردته الحجة بالحجة ، تماماً كمطاردة العدو في الميدان حتى يسقط على الأرض إعياء وإغماء ، إنما هو خطأ فادح ، وإثم قومي لا يغتفر ، وذلك أكثر الألفاظ تهذيباً ورأفة ورحمة .

ومما يزيد في خطورة الأمر ، أن خطاب بيغن قد جاء في أعقاب خطاب الرئيس السادات ، وفي موكب إعلامه وكأنهما طرفان لقضية واحدة ، عادلة وشريفة .

وقد يبدو خطاب رئيس وزراء العدو ، في قراءته السريعة ، أنه يردد كلاماً عادياً ومعاداً . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فإنه في ظاهره كالأفعى ناعم الملمس وفي أنيابه العطب . والخشية الخشية أن تتخذ الأفعى من بيوتنا جحوراً لها ، ومن بيوتنا إلى عقولنا وأفئدتنا .

وقد وردت في خطاب مناحيم بيغن مقولات خطيرة ، تجدد الدعوى الصهيونية وتؤكدها ، ولا يصح أن تمر من غير مناقشة أو تفنيد ، حرمة للحق والتاريخ معاً ، وذوداً عن القضية العربية وعن قضية فلسطين بالذات ، وخاصة في هذه الأوقات حيث تجري محاولات استعمارية جادة لإفراغها من مضامينها القومية وقدسية موقعها في ضمير الأمة العربية ووجدانها . ولكن أخطر هذه المقولات التي تصل إلى حد الترهات هو ما ورد في آخر خطاب مناحيم بيغن حين أعلن للشعب المصري قوله « وسيسعدنا أن نرحب برئيس جمهوريتكم ، وأن نستقبله بالضيافة التقليدية التي ورثناها أنتم ونحن من أبينا المشترك إبراهيم » .

ولا شك أن عبارة « الضيافة التقليدية » التي يتمسح بها مناحيم بيغن تثير الغضب على هذا الكذب ، فإن الذين نهبوا ثروات الشعوب بالربا والابتزاز والاختلاس ناهيك عن الوسائل الأخرى المنافية للشرف والقيم الأخلاقية ، وكذلك فإن الذين اغتصبوا وطناً بكامله وسرقوا ممتلكات الشعب الفلسطيني من مدنه إلى قراه ، إلى مزارعه إلى مصانعه ، إلى فراشه وأثاثه ، إلى مدخراته ومقتنياته ، هؤلاء إنما يوجهون أكبر إهانة لكلمة « الضيافة » حينما يلوكونها بألسنتهم . ومتى كانت اللصوصية الدولية كرماً وضيافة ؟

ولكن قصة « أبينا إبراهيم » على حد تعبير مناحيم بيغن لا بد أن نفرد لها هذا المقال لأنها تنطوي على أكبر أكذوبة عرفها التاريخ الإنساني ، وهي أكذوبة افتراها أحبار اليهود لأغراض سياسية ودسوها في كتبهم الدينية ، ومنها انتقلت إلى مراجع تاريخية ، ومضت تكرر عبر العصور والأجيال حتى غدت من المسلّمات في الثقافة العامة الشائعة .

وهذه الأكذوبة لا يشفع لها قدم الزمان الذي ترجع إليه ، فإن سطحية الأرض قد امتدت زمناً طويلاً ثم ما لبث العالم أن أسقطها إلى الأرض من غير هوادة ولا رحمة . وآية العجب العجاب أن يتولى مناحيم بيغن بنفسه ترديد هذه الأكذوبة ، ناسباً نفسه إلى إبراهيم ، وهو آخر يهودي على وجه الأرض يستطيع أن يرفع نسبه إلى إبراهيم ، ويربط قرابته بالشعب المصري وبالأمة العربية عن طريق « أبينا المشترك إبراهيم » .

وحسبنا ، كرد أولي على هذه الأكذوبة ، أن نرجع إلى كتاب « الثورة » الذي وضعه مناحيم بيغن عن حياته

الإرهابية في فلسطين ، لنرى أن سفاح دير ياسين ، قد كتب بيديه الملطختين بدماء الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال ، أنه ولد في بولونيا ، وأنه دخل إلى فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية في غمرة من يسمون بالمهاجرين اليهود غير الشرعيين .

وفي فلسطين اليوم ما يقارب نصف سكان « إسرائيل » ، من هم على شاكلة مناحيم بيغن ، من مواليد بولونيا ورومانيا وهنغاريا وألمانيا وروسيا وكثير من بلدان العالم ، وجميع هؤلاء لا يستطيعون أن يرتقوا إلى أبوة إبراهيم عبر رحلة تاريخية طويلة تقرب من أربعة آلاف عام ، هلكت خلالها أقوام ، وبادت دول ، وتشتتت أمم ، وانصهرت في غضونها شعوب وشعوب .

ولو أن أحداً من يهود اليمن قد زعم هذا الزعم الذي أعلنه مناحيم بيغن ، لكانت بين يديه قلامة ظفر من شبهة تاريخية في أنه تحدر من ملوك حمير الذين اعتنقوا اليهودية في سالف العصر والزمان ، وإن كان هؤلاء ليسوا من مواليد إبراهيم ، فالثابت أنهم كانوا من وثنيي العرب ، وما حل إبراهيم في ديارهم . فالحجاز كانت آخر ما وصل إليه إبراهيم في رحلاته . وكذلك لو أن أحداً من يهود العراق قد انتحل النسب إلى إبراهيم ، لكان له خيط نحيل من الشك في أنه من بقايا السبي البابلي ، أو السبي الأشوري ومن هنا جاءت الصلة بإبراهيم . بل لو أن أحداً من يهود المغرب أو تونس أو مصر قد نادى بأبوة إبراهيم ، لانصرف الظن أنه من يهود الأندلس الذين عاشوا مع العرب وشاركوا في الحكم ومجالات العلم والاقتصاد ، ثم هاجروا منها إلى الوطن العربي بعد أن استعاد الإسبان أرضهم .

أما أن يتمسح مناحيم بيغن بأعتاب إبراهيم ، فذلك هو الباطل الصارخ ، بل هو باطل الأباطيل ، على حد تعبير سليمان الحكيم . ومن حق المواطن العربي أن لا يقف عند حدود هذه الردود المنطقية الحاسمة ، فلا بد لنا أن نكشف عن الحقيقة بكل أبعادها وأطرافها ، حتى لا تبقى في الأمر شبهة . وخاصة أن بعض « قادة العرب » ولا نريد أن نشير إليهم بأسمائهم ، يتحدثون ومعهم أجهزة إعلامهم ، عن « اليهود أبناء عمومتنا » وهم يحسبون أنهم بذلك يثبتون أنهم قوم متحضرون ، وأنهم يعرفون درجة القرابة بيننا وبين اليهود . وهي قرابة لا تنحدر إلا من الجد الأعلى آدم عليه السلام ، لا من إبراهيم ولا من أبناء إبراهيم ، فإن آدم هو أبو البشر ، الأخيار منهم والأشرار .

وقد يبدو لأول وهلة ، أن هذا الكلام نرسله جزافاً من غير دليل علمي أو برهان تاريخي . ولنرجع إلى العلم وإلى التاريخ ، بل فلنرجع أولاً إلى « التوراة » وهي كتاب اليهود ديناً ، ودستور الصهيونية حركة وسياسة وعقيدة وهدفاً . وخلاصة ما ورد في التوراة بشأن القرابة التي نحن بصددها أن اليهود هم ذرية يعقوب ، وأن يعقوب هو ابن إسحق ، وإسحق ابن إبراهيم . وهذا هو مسلسل القرابة إلى إبراهيم . وفي القصص اليهودية أن يعقوب له اسم آخر وهو « إسرائيل » ويعني جندي الله ، ومن هنا يسمى اليهود بـ « بني إسرائيل » .

وأول ما يجب أن نلفت إليه النظر ، أن إبراهيم اليهود هو غير إبراهيم المسلمين ، فالأول ، كما هو في توراة اليهود ، يختلف اختلافاً تاماً عن إبراهيم المسلمين ، وإبراهيم المسلمين ورد ذكره عدة مرات في القرآن الكريم ، وصورته الرائعة في هذه السور الجميلة قد بلغت أرقى درجات الكمال الإنساني ، وصفاء التوحيد ، وسمو القيم الروحية الرفيعة ، ومن هنا فهو عند المسلمين « أبو الأنبياء » و « خليل الرحمن » « وأبو الضيفان » ، وفي الصلاة في قراءة « التحيات » يدعو المسلمون قائلين : اللهم بارك على سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم . يرددونها في كل صلاة .

أما إبراهيم اليهود فإنه شخص آخر لا يمت بصلة إلى إبراهيم المسلمين ، وها هي التوراة بين أيدينا لنتعرف على سيرة إبراهيم كما وردت في سفر التكوين ، وهو أول أسفار التوراة . إبراهيم - أو أبرام كما ورد في التوراة قبل أن يتحول اسمه إلى إبراهيم ، ولد في أور[1] « الكلدانيين » أما آباؤه فقد ذكرت التوراة أنهم يرجعون بنسبهم إلى سام بن نوح .

وتقول التوراة في الإصحاح الحادي عشر عن بداية القصة ، إن « تارح » والد أبرام قد خرج من أور الكلدانيين إلى حاران[2] ومعه أسرته الصغيرة ، ابنه أبرام وزوجته ساراي ، وابن أخيه لوط وزوجته مِلكَة . وأقاموا هناك ، وكانت أيام تارح مائتين وخمس سنين ، ومات في حاران . وجاء في الإصحاح الثاني عشر أن الرب قال لأبرام « اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة .. وفيك تتبارك جميع قبائل الأرض .. فذهب أبرام كما قال له الرب .. وكان ابن خمس وسبعين سنة حين خرج من حاران » .

ثم تذكر التوراة أنهم « أتوا أرض كنعان ومعهم ذخائر وعبيد وماشية .. واجتاز إبراهيم في الأرض إلى مكان شكيم - نابلس - وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض » . وتحدثت التوراة بعد ذلك عن تجوال أبرام في الأرض .

(١) مدينة أور تقع أطلالها غربي مدينة الناصرية في العراق ، وكانت مركز عبادة القمر ، ومن هنا كان عزوف إبراهيم عن عبادة القمر لأنه رآه من الآفلين ، كما ورد في القرآن الكريم .

(٢) حاران ، اسمها الآن حرّان تبعد ثلاثماية ميل إلى الشمال الشرقي من دمشق .

وتقول التوراة فيما بعد إنه « حدث جوع في الأرض وكان شديداً » ، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب فيها ، ومعه زوجته ساراي « وكانت حسنة جداً » كما تؤكد التوراة .

وهنا تأتي قصة خليعة لعلها أقدم قصة مدونة في تاريخ « الأدب » المكشوف .

وخلاصة القصة كما ترويها التوراة « أن أبرام قال لساراي امرأته وهي على مقربة من مصر .. إني علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فإذا رآك المصريون قالوا هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك . قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك .. » !

وذلك ما وقع فعلاً ، كما تروي التوراة « فلما دخل أبرام على مصر رأى المصريون أن المرأة حسنة جداً فأخذت إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال . وضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة ، ودعا أبرام وقال له : ما هذا الذي صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت لي هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي .. خذها واذهب . ووكل به أناساً شيعوه إلى خارج الديار » .

وهكذا فإن التوراة تقذف بزوجة إبراهيم - ستنا سارة كما يسميها المسلمون - إلى أحضان فرعون في فراشه ، ليعود بها إبراهيم « مشيعاً » خارج الديار ، مجللاً بالإثم والعار . ويقيناً فإن إبراهيم هذا هو جد اليهود حقاً ، وحاشا الله أن يكون جد المسلمين . فالقصة إثم وعار في حق الأنبياء - إثم أن يتزوج الرجل أخته ، وعار أن يبيع عرضه بالجمال والعبيد والحمير .

ثم تروي التوراة في الإصحاح الثالث عشر أن الرب قال لأبرام : « سأجعل نسلك كتراب الأرض ، حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد » . وتتحدث التوراة بعد ذلك عن حرب محلية اشترك فيها أبرام ، سنعرض لها في كتابنا بالتفصيل . ثم يشكو أبرام في الإصحاح الخامس عشر إلى الرب قائلاً : « إنك لم تعطني نسلاً ، فأخرجه الرب إلى خارج ، وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها ، وقال له هكذا يكون نسلك » .

ويستأنف الإصحاح السادس عشر قصة أبرام فيقول : « أما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له . وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت لأبرام ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين . فدخل أبرام على هاجر فحبلت . فلما رأت ساراي أن هاجر حبلت أذلتها فهربت هاجر من وجهها . فوجدها ملاك الرب على عين في البرية فقال لها « تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة وستلدين ابناً تدعين اسمه إسماعيل . وكان أبرام ابن ست وثمانين لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام » [1] وقال الله « ها أنا أبارك إسماعيل وأثمره وأكثره كثيراً جداً ، اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » .

يبدأ الإصحاح السابع عشر حديثه قائلاً « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الرب وقال له : سأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً . وتكون أباً لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد اليوم أبرام بل يكون اسمك إبراهيم . لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم . وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً . وملوك منك يخرجون . وساراي امرأتك لا تدعوها ساراي بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً . أباركها فتكون أمماً ، وملوك شعوب منها يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه وضحك . وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة ، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة » . ولم تقل لنا التوراة كيف سجلت ما قاله إبراهيم في « قلبه » !

وفي الإصحاح الثامن عشر تروي لنا التوراة قصة طريفة تقول إن الرب ظهر لإبراهيم وقال له « سيكون لامرأتك سارة ابن ، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة . وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام . وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء . فضحكت سارة في باطنها وقالت أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ . فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة .. هل يستحيل على الرب شيء . في الميعاد أرجع إليك ... ويكون لسارة ابن . فأنكرت سارة قائلة لم أضحك لأنها خافت . فقال الله لا بل ضحكت » .

وبسبب هذا الضحك بين سارة « وربها » فقد سمى المولود « إسحق » فهذا اللفظ معناه باللغة العبرية القديمة يضحك ! والحكاية كلها تدعو إلى الضحك فعلاً . إذ كيف عرفت التوراة أن سارة قد انقطعت عنها « عادة » النساء ، وكيف عرفت أن سارة ضحكت « في باطنها » من حديث الرب .

ويأتي الإصحاح العشرون ليكرر لإبراهيم نفس القصة المرذولة التي وقعت له مع فرعون مصر ، لتكون هذه المرة مع ملك آخر هو أبيمالك ملك جرار [2] . وتقول التوراة إن إبراهيم تغرب في جرار وأقام عند أبيمالك

(١) وإسماعيل أصله في اللغة القديمة « ليسمع أيل » و « أيل » إله كنعاني معناه الإله الأكبر ، وكان مولد إسماعيل في نحو عام ١٧٩٤ ق . م في بلدة الثميلة بين بئر السبع والعوجا من أعمال فلسطين . أما أمه هاجر فهي من « أم العرب » إحدى قرى بلدة الفرما إلى الجنوب الشرقي من بور سعيد . وهاجر تعرف « بأم العرب » ويرجح أن يكون هذا هو سبب تسمية القرية على اسمها .

(٢) كانت تقوم على التل المعروف تل جمة إلى الجنوب الشرقي من غزة .

ملك الفلسطينيين ، وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي ، وأخذ أبيمالك سارة . وجاء الله إلى أبيمالك في الحلم وقال له : إنها متزوجة ببعل ... فالآن رد امرأة الرجل . ودعا أبيمالك إبراهيم وعنفه بغضب على فعلته ، فقال له إبراهيم لقد خفت أن يقتلوني " من أجل امرأتي وبالحقيقة هي أختي ، ابنة أبي (!!) غير أنها ليست ابنة أمي (!) فصارت لي زوجة (!) " فأعطى أبيمالك إبراهيم غنماً وبقراً وعبيداً وإماء ورد إليه سارة امرأته . وتنتهي القصة البشعة " بأعجوبة " طريفة تقول " إن إبراهيم صلى إلى الله فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن . لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك بسبب سارة امرأة إبراهيم " . ويبدو أن " الرب " قد أغلق أرحام البيت الملكي بأسره ، ليفتح رحم سارة فيما بعد ، وقد بقيت ما بقيت من الأيام والليالي مع ملك جرار ، من غير خمار ولا إزار .

وفي الإصحاح الحادي والعشرين تأتي التوراة مباشرة لتقول إن الرب " افتقد سارة كما قال . وفعل الرب لسارة كما تكلم . فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابنا في شيخوخته " ، أسماه إسحق . وكان إبراهيم ابن مئة سنة .

ويأتي بعد ذلك الإصحاح الثاني والعشرون ليروي قصة الفداء على نقيض ما يقول به الإسلام في القرآن . فالضحية في التوراة هو إسحق وليس إسماعيل . وموقع الفداء هو في أحد جبال القدس لا في مكة ، والتفاصيل الأخرى تكاد أن تكون متقاربة . وتقول التوراة إن الرب قال لإبراهيم " من أجل أنك لم تمسك ابنك وحيدك ، أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر ... ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي " وسكن إبراهيم بعدها في بئر سبع . وعبارة " ابنك وحيدك إسحق " يجب أن تبقى في ذاكرة القارئ لنرى كيف أصبحت محور القضية اليهودية بالإضافة إلى حصر حكاية الفداء في إسحق دون إسماعيل .

ويقول لنا الإصحاح الثالث والعشرون إن سارة عاشت مئة وسبعاً وعشرين سنة . وإنها ماتت في حبرون في أرض كنعان - الخليل؛ وفي حوار مع أهل المدينة ناشدهم إبراهيم أنه غريب ونزيل عندهم ، ويرجو إبراهيم دفن سارة في مغارة حقل المكفيلة في حبرون في أرض كنعان .

ويقول الإصحاح الرابع والعشرون إن إبراهيم شاخ وتقدم في الأيام فدعا إليه أليعازر الدمشقي " عبده وكبير بيته " وقال له ضع يدك تحت فخذي . " فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني - إسحق - من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم ، بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحق " . وليلاحظ القارئ استمرار التركيز على إسحق دون إسماعيل ، كما عليه أن يلاحظ روح العداء على الكنعانيين وبناتهم ، وهم أهل البلاد وأصحابها الشرعيون .

وتمضي التوراة في عدة صفحات لتروي قصة طريفة مليئة بالمفاجآت تنافس الأساطير القديمة سرداً وتخريفاً ونسيجاً . وخلاصة القصة كما يرويها الإصحاح الرابع والعشرون أن " عبد إبراهيم " ذهب على رأس قافلة من الجمال حتى وصل إلى أرام النهرين ، حيث تسكن عشيرة إبراهيم ، وكيف تعرف عند البئر على ابنة ابن أخي إبراهيم " رفقة " وعلى كتفها جرتها ، " وكانت الفتاة حسنة المنظر جداً . وعذراء (!!) لم يعرفها رجل " . ولم تذكر لنا كيف عرفت أن رفقة كانت عذراء ، وهي ما تزال عند البئر لم يمسسها بشر ! ثم تمضي القصة فتروي حديث " عبد إبراهيم " مع رفقة ، وكيف تم التعارف بينهما ، وكيف دعته إلى البيت ، وما كان من الحديث بينه وبين أبيها ، وعن المهمة التي أوفده إبراهيم من أجلها ، ثم كيف عرض العبد موضوع زواج إسحق من أهله وعشيرته ومن غير بنات الكنعانيين . ثم تحكي القصة أمر الموافقة على الزواج وكيف أن رفقة وفتياتها ركبن الجمال قاصدين أرض الجنوب وكيف تم اللقاء مع إسحق ، فأدخلها إلى خباء أمه سارة . " وأخذ رفقة فصارت زوجة له وأحبها وتعزى إسحق بعد موت أمه " .

ومع أن هذه الأسطورة تبرز الكراهية الشديدة التي يضمرها إبراهيم للبنات الكنعانيات ، إلا أن مرجعاً تاريخياً مرموقاً يقول إن إبراهيم تزوج بعد وفاة سارة امرأتين كنعانيتين رزق منهما بأحد عشر ولداً[1] ويبدو أن إبراهيم قد أحب لنفسه ما كرهه لولده إسحق ، أو أن الكنعانيات أصلح للشيوخ من الشباب !

ثم يطالعنا الإصحاح الخامس والعشرون ليقول لنا إن إبراهيم أخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له ستة أولاد وردت أسماؤهم ومعظمها على وزن فعلان وهو وزن عربي في الصميم ، وولد الأبناء ثمانية أولاد ذكرت أسماؤهم . ويروي الإصحاح أن " إبراهيم عاش مئة وخمساً وسبعين سنة ، وأسلم روحه ومات بشيبة صالحة شيخاً شبعان أياماً وانضم إلى قومه . ودفنه إسحق وإسماعيل في مغارة المكفيلة حيث دفنت امرأته سارة " . ويذكر الإصحاح بعد ذلك مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية . فذكرت أسماءهم

(١) **تاريخ الطبري** - ج١ . ص ٣٠٩ - ٣١١ .

« بديارهم وحصونهم . اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم . وعاش إسماعيل مئة وسبعاً وثلاثين سنة وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه » .

تلك هي قصة إبراهيم كما وردت في التوراة منذ مولده في أور الكلدانيين حتى هجرته إلى سورية ، وإلى فلسطين وإلى مصر ثم عودته إلى فلسطين وما تخلل ذلك مما جرى من حكايات لسارة ومعها ، ثم وفاته ودفنه في حبرون المدينة التي تحمل اسمه إلى اليوم مدينة خليل الرحمن . فأين هذه القصص اليهودية الخليعة من السيرة الإسلامية الطاهرة لسيدنا إبراهيم كما وردت في القرآن الكريم وفي كتب التراث الإسلامي ، وفيها من جليل المواقف ما يأخذ بمجامع القلوب .

أين هذه الفضائح الأخلاقية مما يسرده كتاب « الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل » حين يقول : « روي عن ابن عباس أن إبراهيم كان أول من لبس السراويل لأنه كان من حيائه يستحي أن ترى الأرض عورته » . ولتكن الرواية أسطورة ، ولكنها أسطورة تبالغ في الحياء والشرف والعفة » [1] بل أين متاجرة إبراهيم بزوجته كما سردتها التوراة مما جاء في التراث الإسلامي « أن آزر أبا إبراهيم كان يصنع الأصنام ويعطيها لإبراهيم ليبيعها ، فكان إبراهيم يقول : « من يشتري ما يضره ولا ينفعه ؟ » فلا يشتريها أحد ، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى النهر فصوب فيه رؤوسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه » [2] فأي التاجرين أرفع وأروع في التاريخ الإنساني ، التاجر الذي جاء ذكره في التوراة أم التاجر الذي جاء ذكره في القرآن !! بل إن حوار إبراهيم مع عقل إبراهيم ووجدانه ، كما جاء في القرآن ، يعتبر أعظم ما قصه القرآن على مسامع الزمن ، حين نظر إبراهيم إلى الكوكب فقال (هذا ربي) . فلما أفل انصرف عنه وهو يقول (لا أحب الآفلين) . ثم (رأى القمر بازغاً) فقال (هذا ربي) . فلما غاب انصرف عنه وقال (لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) . فلما طلعت الشمس قال (هذا ربي هذا أكبر) فلما أفلت انصرف عنها وقال لقومه (إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين [3]) .

وبعد ، فإن قصة إبراهيم كما جاءت في التوراة تؤدي إلى استنتاجات هامة ، تناقض الدعوى اليهودية من الرأس إلى الأساس ، وتكفينا مؤونة الرد على بيغن من نص التوراة نفسها فهي في كلمة بسيطة تثبت بصورة قاطعة أن إبراهيم ليس جداً لليهود ، فهو يكاد أن يكون « آدم » الثاني ، جداً للإنسانية بأسرها وليس جداً لليهود وحدهم . ويكفي في هذا المجال أن نبرز النقاط التالية : -

أولاً : أن الرب وعد أبرام أن « يجعله أمة عظيمة . وأن جميع قبائل الأرض تتبارك فيه » ، وذلك حينما طلب إليه الخروج من العراق . وواضح من هذا الكلام أن أبرام ليس خاصاً بشعب واحد ، اليهود أو غيرهم ، ولكن لجميع قبائل الأرض وهذا يشمل البشر جميعاً على وجه التعميم .

ثانياً : حينما عاد أبرام من مصر أكد الرب أنه « سيجعل نسل أبرام كتراب الأرض لا يستطيع أحد أن « يعده » وهذا لا ينطبق على اليهود لأن عددهم كان محدوداً على مر التاريخ ، وهم من أقل الأقوام عدداً ، ومفهوم التأكيد الإلهي أن نسل إبراهيم سيكونون بني البشر أجمعين .

ثالثاً : وعاد الرب ، في موضوع لاحق من سفر التكوين ، وأكد مرة أخرى أن « نسل إبراهيم سيكونون بعدد النجوم ، إذا كان يستطيع أن يعدها ، وكان الرب في المناسبة السابقة قد أشار إلى نسل إبراهيم « كتراب الأرض » ، والنجوم والتراب أقرب إلى عدد البشر أجمعين ، لا إلى شعب بذاته ..

رابعاً : ولم تقتصر توكيدات الرب على إبراهيم بل إنها شملت هاجر زوجة إبراهيم المصرية ، فقد أعلن إليها الرب بعد أن ولدت « إسماعيل » أن يكثر نسلها بحيث لا يحصى .

خامساً : وبعد ميلاد إسماعيل يظهر الرب لإبراهيم ليعلن إليه توكيدات جديدة يقول له فيها « سأكثرك كثيراً جداً ، وتكون أباً لجمهور من الأمم ، ويكون اسمك بعد اليوم إبراهيم فلا يكون اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم . لأني جاعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً ، وأجعلك أمماً » وهذه التوكيدات تشير كلها إلى أن إبراهيم هو لجميع القبائل والشعوب والأمم وأنه يكون أباً لهم جميعاً . وهذا هو السبب في تغير اسمه ، لأن لفظة « إبراهيم » في اللغات القديمة معناها « أبو الجمهور » .

سادساً : وعادت توكيدات الرب لتشير إلى سارة فتذكر أن الرب قال لإبراهيم إن ساراي سيصبح اسمها سارة « أباركها وأعطيك منها ابناً ، فتكون أمماً ، وملوك شعوب منها يكونون ، وبهذا أصبحت سارة وكأنها الأم الثانية للبشرية ، بعد حواء ، كما أصبح إبراهيم الأب الثاني بعد آدم .

سابعاً : ولم تستطع التوراة أن تغفل إسماعيل ابن

(١) المصدر السباق ، ص ٤٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .
(٣) سورة الأنعام - **القرآن الكريم** .

الجارية فقالت إن الرب « سيباركه ويثمره ويكثره كثيراً جداً ، ويلد اثني عشر رئيساً ويجعله أمة كبيرة » .

ثامناً : ولا يفوتنا في هذا المجال أنه بالإضافة إلى الزوجتين سارة وهاجر ، فإن إبراهيم قد تزوج قطورة وكان له منها أولاد وأحفاد وتزوج امرأتين كنعانيتين أنجب منهما بنين وبنات .

تاسعاً : يبرز في هذه المقتبسات أن النزعة العنصرية عند اليهود قديمة قدم التاريخ ، فإن إبراهيم اليهود ، الذي أعلن عن نفسه أنه « غريب ونزيل » في مدينة حبرون وفي كنف الكنعانيين ، يضمر كراهية شديدة للشعب الكنعاني ، ويبعث بعبده إلى العراق ، ليختار لابنه إسحق زوجة من آل بيته .

عاشراً : كما تبرز هذه المقتبسات إسحق بأنه بطل الفداء ، وأن إسحق هو ابنه الوحيد مع أن إسماعيل هو ابنه الكبير ويكبره بثلاثة عشر عاماً . ولكن إسماعيل عربي الأم ، وإسحق هو أبو يعقوب ، ويعقوب اسمه إسرائيل ، وإليه ينتسب بنو إسرائيل ، فكان لا بد لأحبار اليهود الذين كتبوا التوراة أن يدسوا في التوراة هذه الوقائع .

حادي عشر : ويتبع ذلك أن الذين كتبوا التوراة قد جعلوا بيت المقدس لا مكة موضع الفداء ، توكيداً على دعوى بني إسرائيل ببيت المقدس ، وأن يعقوب الذي هو إسرائيل ، كان بطل الفداء . دون أن يكون لإسماعيل العربي ، ابن هاجر المصرية ، أي أثر أو خبر .

ثاني عشر : وقبل هذا وذاك فإن التوراة قد أغفلت أن إبراهيم هو عربي وابن قبيلة عربية .. فهو من العراق ، أور الكلدانيين ، وكان العراق يستوطنه في ذلك العهد القبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية . وقد أوضح ذلك الأستاذ عباس العقاد في كتابه الشهير « إبراهيم أبو الأنبياء » .

ثالث عشر : وأخيراً فإن التوراة تبرز نزوع اليهود إلى الإثراء الحرام بكل وسيلة ، ولا حرج أن تكون الزوجة أو الشقيقة ، هي الوسيلة ، ولم يجد أحبار اليهود حرجاً لإلصاق هذا العار بأبي الأنبياء ، إبراهيم عليه السلام .

ونخلص من هذا التلخيص السريع ، كما نقرأه في التوراة نفسها ، وهي كتاب اليهود المقدس ، إلى أن نصيب اليهود في أبوة إبراهيم لا تتجاوز حفنة رمل صغيرة من رمال البحر ، وما هو أقل من ذلك من تراب الأرض . وقد جاء العلم الحديث ليخبرنا عن عالم الفضاء أن نجومه لا تعد ولا تحصى ، وبهذا أصبح سهم « إسرائيل » في إبراهيم أقل من القليل ، بل أقرب إلى العدم .

هذا ما تنتهي إليه الدراسة الصابرة للتوراة وهي تقودنا إلى الحقيقة الصائحة الصارخة إلى عنان السماء بأن حديث بيغن عن صلة اليهود بإبراهيم تكذبه التوراة بنفسها ونصها .

ولكن هذا المقال يظل ناقصاً إذا لم نتناول ولو بصورة سريعة موقف المسيحية من هذه الأسطورة اليهودية ، والسيد المسيح عليه السلام هو أصدق من يتكلم في هذا الموضوع ، وقد تصدى السيد المسيح وهو يدعو إلى رسالة الخير والمحبة والسلام ، لدعوى اليهود بأنهم أبناء إبراهيم ، وقام بينه وبينهم حوار عنيف يجد القارئ العربي تفاصيله الوافية في الأناجيل .

وكان المجتمع اليهودي قد بلغ أقصى درجات الإلحاد والانحطاط الخلقي والفساد الاجتماعي ، وقد أثار ذلك في نفس السيد المسيح ثورة عارمة على الحياة اليهودية برمتها ، وهو بنفسه يهودي المولد والنشأة ، فانطلق يدعو إلى الثورة على أباطيل اليهود وخرافاتهم ، فكان أعظم ثائر يهودي على مر العصور والأجيال .

وثار أول ما ثار على العقدة الكبرى في نفوس اليهود ، ألا وهي أنهم أبناء إبراهيم وأنهم في عصمة من العذاب والعقاب ، وإنا لنجد في إنجيل يوحنا (الإصحاح الثامن) حواراً عنيفاً بينه وبينهم :

قال اليهودي للمسيح : أبونا هو إبراهيم .

قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم كنتم تفعلون أعمال إبراهيم . ولكنكم تطلبون أن تقتلوني . هذا لم يعمله إبراهيم . أنتم من أب هو إبليس .

ولم يتردد السيد المسيح من أن يترجم غضبه من الوعظ والإرشاد ، إلى الشدة والعنف فقد دخل الهيكل - معبد اليهود - مرة ، ورأى فيه الصرّافين وباعة الحمام ، فأخرجهم وهو يعلن في وجههم « لقد جعلتم بيت الله مغارة لصوص » .

وفي جبل الزيتون الواقع شرقي بيت المقدس وقف السيد المسيح يبعث صيحاته الواحدة تلو الأخرى ، منذراً جموع اليهود بقوله « يا أورشليم ، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً » (إنجيل متى - الإصحاح ٢٣) .

وفي سفر أعمال الرسل يشتد الإنجيل على اليهود بكلام غليظ ، فيسخر من معتقداتهم حيث يقول الإصحاح السابع « يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان . كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا » .

ويأتي بعد ذلك دور بولس الرسول ، وهو من أبرز تلاميذ السيد المسيح وقد ولد ونشأ يهودياً ، واضطهد المسيحية أول الأمر ثم اعتنقها وأصبح من أشد دعاتها ، وها نحن نراه في رسائله البليغة يدخل في حوار عنيف حاد مع جموع اليهود ، ويصيح في وجههم قائلاً : « هل

الله لليهود فقط . أليس للأمم أيضاً " ثم يتحدث عن أبوة إبراهيم ويفرق بين " إبراهيم الجسد " و " إبراهيم الأعمال " في رسالة بولس على أهل رومية (الإصحاح الرابع) . وهو يؤكد بذلك أن الانتساب إلى إبراهيم ليس بالدم ولكن بالأعمال الصالحة . ويعود بولس الرسول لتوكيد هذا المعنى فيتحدث في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (الإصحاح العاشر) عن " إسرائيل الجسد " ، وهو يعني بذلك أولئك الذين يزعمون أنهم من نسل إبراهيم . ويردد في رسالته إلى أهل رومية قائلاً " لأنه ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون " . كل ذلك ليؤكد أن " أبوة " إبراهيم هي مسألة رمزية ، وليست العبرة بالقرابة ، وإنما بالأعمال الصالحة ، لأن " إبراهيم هو أب لجميعنا " كما يردد المرة بعد المرة ، وبهذا تصبح علاقة اليهود بإبراهيم كعلاقة الناس أجمعين . ويذهب بولس الرسول إلى مدى أبعد فهو يعلن في رسالته إلى أهل غلاطية ، ورومية ، أن إبراهيم هو " أب لجميع المسيحيين " ، وبذلك يؤكد هذا العلّامة اليهودي الكبير أن إبراهيم هو للمسيحيين كما هو لليهود سواء بسواء .

وبولس الرسول هذا كان يعنّف اليهود ويسخر من أباطيلهم ، يتحدث إليهم بالعبرية ويرد على دعاواهم بمنطقهم . فقد كان متفقهاً في دينهم ، وبلغ من جداله معهم أن أثار معهم موضوع إبراهيم و " الختان " وهو علامة الإيمان عند اليهود ، فقال لهم " نحن الختان ، نعبد الله بالروح ... ولا نتكل على الجسد . من جهة الختان أنا مختون في اليوم الثامن (مثلكم) ، أنا من جنس إسرائيل ، ومن سبط بنيامين ، عبراني من العبرانيين ، ومن جهة الناموس أنا فريسي " (من رسالته إلى أهل فيلبي) . وبهذا قطع الطريق على كل حججهم ، من الختان إلى نسب العبران ، إلى أبوة إبراهيم .

ولكن ذروة الكلام في هذا الموضوع ما قاله بولس في رسالته إلى أهل غلاطية (الإصحاح الثالث) حين قال " إن الذين هم من أهل الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم " وبهذا جعل الإيمان - لا قرابة الدم - هي الصلة الوثقى بإبراهيم .

وما هو أبلغ من ذلك أن بولس الرسول قد أنكر على الإسرائيليين إسرائيليتهم ، حين أعلن إليهم في رسالته إلى روميه (الإصحاح التاسع) قوله ، ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون ، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاده " . وبهذا أصبحت أبوة إبراهيم ومعها الشخصية الإسرائيلية مسألة رمزية علاقتها الإيمان ولا شيء غير الإيمان . وتصدى لهم مرة أخرى بكل دعاواهم وخاصة فيما يتعلق بانتسابهم إلى إبراهيم ، فقال في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ، أهم عبرانيون فأنا أيضاً ، أهم إسرائيليون فأن أيضاً ، أهم نسل إبراهيم فأنا أيضاً " (الإصحاح الحادي عشر) .

ومع أن هذه الحجج الدامغة قد انقضى عليها عشرون قرناً من الزمان ، إلا أنها لا تزال حية نابضة ، تدمغ الإسرائيليين في كل مكان من بيغن العدو والمحتل في بيت المقدس ، إلى الحاخام اليهودي في نيويورك سواء بسواء ، إلى الأعضاء اليهود في الكونجرس في واشنطن .

وليس لنا أن ننسى في هذا المجال أن يوحنا المعمدان قد صاح في وجه اليهود صيحة عالية منددا بانتساب اليهود إلى إبراهيم . فلنستمع إليه وهو يصيح " يا أولاد الأفاعي ، لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً . لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم " . ومعروف أن يوحنا المعمدان كان يهودياً وقد عرف كيف يخاطبهم من معتقداتهم وفي لغتهم . وكان السيد المسيح يقول لليهود في وجوههم : إنكم قتلة الأنبياء ، أيها الحيات ، أولاد الأفاعي . وفي الإصحاح الرابع من إنجيل يوحنا يصل السيد المسيح إلى قمة الثورة على اليهود ويقول " إن الخلاص هو من اليهود " . فكانت هذه أعظم صيحة تداوت وما تزال في سمع الزمان .

وهكذا فقد كانت المسيحية في واقع الأمر أكبر ثورة تصحيحية على أباطيل اليهود ، وكان السيد المسيح نفسه هو رافع علم الثورة فقد تصدى للعصبية اليهودية ، والانتساب إلى إبراهيم كطريق للخلاص والعصمة ، ودعا إلى طهارة القلوب أولاً ، لا إلى طهارة الجسد بالاختتان أو بالانتماء إلى إبراهيم .

وإلى هذه المعاني وأمثالها أشار المؤرخ الشهير الأستاذ جيبون في كتابه " اضمحلال الإمبراطورية الرومانية " حيث قال : " إن المسيحية انتشرت لأنها صححت الكثير من تطبيقات اليهود لعقيدتهم في الرب ووسائل عبادته . وبعد أن كان الوعد برضاء الله محصوراً في ذرية إبراهيم - تميزاً وتحزباً - أصبح في المسيحية قدراً مشترطاً للأحرار والعبيد ، واليونانيين والبربر ، واليهود والأمميين على السواء " .

وبعد المسيحية جاء الإسلام ، والحديث هنا لا يتسع له إلا كتاب كبير ، فإن حوار اليهود مع الرسول عليه السلام بعد أن هاجر إلى المدينة المنورة يستنفد صبر الصابرين . وكانت حكاية إبراهيم من أبرز المواضيع التي دار حولها الحوار ، وقد حسم القرآن الكريم الأمر بأبلغ الحديث كما جاء في سورة آل عمران مخاطباً اليهود مباشرة : " يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ، والذين آمنوا والله ولي

المؤمنين » صدق الله العظيم . كأنما جاءت هذه الآية تحمل « الدليل المادي » القاطع كما يقول رجال القانون ، فإن التوراة تم تدوينها ، باعتراف أحبار اليهود أنفسهم ، بعد ألف عام من حياة إبراهيم . ومن هنا فإن القرآن الكريم يوجه سؤاله الصارخ إلى اليهود : « لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده » ، ومن بعده بألف عام ويزيد .

تلك هي صفوة القول في علاقة اليهود بإبراهيم ، بدأناها بالتوراة ، ثم بالإنجيل ، وجعلنا خاتمتها ما جاء في القرآن الكريم . ونخرج من هذا كله بأن كلام بيغن عن أبوة إبراهيم لليهود هي من أباطيل الدعاية اليهودية ، فليس إبراهيم أباً لهم ، فإن إبليس وحده هو أبوهم ، كما قال السيد المسيح . وكلامه في هذا الموضوع هو فصل الخطاب .

١٧) آخر رسالة كتبها الشقيري إلى ابن أخيه بعد توقيع السادات اتفاقية كامب ديفيد وانتقاله إلى تونس تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨*

الإبن العزيز الأستاذ / أنور الشقيري حفظه الله ،

وأخيراً فقد انتهى بنا المطاف ورحلنا إلى تونس الخضراء بعد تشاور مع عدد من الإخوان ومنهم أصدقاؤك الشباب في الكويت ، وقد اعتذرت شاكراً عن استضافة عدد من الدول العربية .

كان استقبالنا في تونس حاراً وأخوياً ، وقد ذكر الإخوة هنا أيام قضيتهم في الأمم المتحدة ، وكان ذلك بعض واجبنا ، والحمد لله لا يزال الوفاء من شيمة العرب .

البلد جميل للغاية ، وليتك تقضي إجازتك عندنا إذا أتيحت لك الفرصة . وقد استأجرنا شقة مفروشة صغيرة لكنها لطيفة ومناظرها جميلة .

بدأت زيارتي للسفارات العربية وللجامعة العربية حتى لا أنعزل عن قضيتنا ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، لن أنقطع عنكم في الكويت كلما لاحت الفرصة . سلامي لأصدقائك الشباب فرداً فرداً واحداً واحداً ، ولقد خطر في بالي أن أضع أمام الأخ الأستاذ الشبل النقاط الآتية ليصوغ منها حديثاً أو مقالاً :

١- لقد أصبحت مصر في عهد السادات ولاية أميركية يحكمها كارتر بالتلفون المباشر ، والسفير الأميركي في القاهرة أصبح شأنه شأن السفير البريطاني في أيام حكم فاروق يحكم ويرسم وأمره مطاع .

٢- كذلك لم تعد مصر مصرية ، ولا عربية ولا إسلامية ، وأصبح الأزهر (معقل الثورة الإسلامية) دار فتوى لتبرير الاستسلام « لإسرائيل » .

٣- بل إن ثورة يوليو / تموز تعتبر أنها قد انطمست وأصبحت غير ذات موضوع ، لأنه لو بقي فاروق لما أقدم على ما فعله السادات .

٤- لقد حقق السادات للصهيونية أكثر مما كان يحلم به زعماء الصهيونية وأكثرهم آمالاً ، واستطاعت « إسرائيل » أن تصل إلى إنجازات كانت تخطط لبلوغها في القرن الحادي والعشرين وخاصة بشأن بيت المقدس .

٥- إن رأس الأفعى هي أميركا ، والأرض العربية هي في الواقع تحت الاحتلال الأميركي ، والمستوطنات تزرع بالأموال الأميركية ، وأميركا تلغي معونتها للدولة الإسلامية الباكستان بسبب المنشآت النووية . وعند « إسرائيل » ما هو أخطر ، ولكن أميركا تواصل معاونتها « لإسرائيل » بالأموال الوفيرة والأسلحة المتقدمة .

وهذه مجرد أفكار عابرة أتركها للأستاذ يتصرف فيها كما يشاء ، عن طريق الجامعة العربية .

لا تنسى أن تكتب إلى الوالد وتبلغه سلامي وتطمئنني عن صحته .

أبو مازن

(*) المصدر جريدة الرأي العام ، الكويت ، ١٩٨٠/٥/٣ ، أي بعد وفاته بنحو شهرين .

الفصل الثالث عشر

الشقيري في كتبهم

• الشقيري في موسوعات	- موسوعات كتبت عن الشقيري - الموسوعة الفلسطينية
• يعقوب العودات	من أعلام الفكر والأدب في فلسطين
• محمد عزة دروزة	- في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية - رسالة دروزة إلى الحاج أمين حول موقفه وحملته على الشقيري
• شفيق الحوت	- الفلسطيني بين التيه والدولة - بين الوطن والمنفى
• عيسى الشعيبي	الكيانية الفلسطينية
• فيصل الحوراني	الفكر السياسي الفلسطيني
• أنور الخطيب	كلمة أخيرة ونهائية حول الشقيري
• أ . د . خيرية قاسمية عرض : أ . د . محمد علي الفرا	أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً
• أكرم زعيتر	بواكير النضال
• نافذ أبو حسنة	خالد الفاهوم يتذكر
• راجي حبيب صهيون	حتى لا ننسى
• ربيحة الدجاني المقدادي	رحلتي مع الزمن
• خيري الدين أبو الجبين	قصة حياتي في فلسطين والكويت
• هارون هاشم رشيد	إبحار بلا شطآن
• أحمد اليماني (أبو ماهر)	تجربتي مع الأيام
• أ . د . أنيس صايغ	أنيس صايغ عن أنيس صايغ
• علي شمس الجعبري	صفحات من حياتي
• شريف الجعبري	من دروب العمر
• محمود رياض	الشقيري في جامعة الدول العربية

الشقيري في موسوعات

تناولت عدة موسوعات الحديث عن الشقيري ، بعضها في حياته وأخرى بعد وفاته . وكان ما ورد عنه في الموسوعة الفلسطينية هو أشمل ما كتبت عنه هذه الموسوعات ، لذلك اقتصرنا على إيراد ما أوردته الموسوعة الفلسطينية ، و أتبعناه بذكر أسماء الموسوعات الأخرى ، فيما عدا ما كتبه يعقوب العودات في كتابه الموسوعي من أعلام الفكر والأدب في فلسطين وهو أول مادة موسوعية كتبت عن الشقيري وتمثل عرضاً لكتاب الشقيري الأبرز في قسم المذكرات « **أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية** » .

موسوعات كتبت عن الشقيري

١ - من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، يعقوب العودات ، عمّان : ورثة المؤلف ، ١٩٧٦ ، ص ص ٣٢٠ - ٣٣٠ .

٢ - الموسوعة السياسية ، د . عبد الوهاب الكيالي ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، ١٩٧٩ ، ١ : ٩٧ - ٩٨ .

٣ - الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية ، الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ١ : ٢٧٢ .

٤ - ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة ، جدة : دار المنار للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ١ : ٢١ - ٢٢ .

٥ - موسوعة أعلام فلسطين ، محمد عمر حمادة ، دمشق : دار الوثائق ، ط٢ ، ٢٠٠٠ ، ١ : ١١٩ - ١٢٥ .

٦ - الموسوعة العربية ، هيئة الموسوعة العربية ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ١١ : ٧٣٢ - ٧٣٣ .

أحمد الشقيري (١٩٠٨ - ١٩٨٠)

الموسوعة الفلسطينية (*)

محام فلسطيني ، وأول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولد في بلدة تبنين ، جنوبي لبنان ، حيث كان والده الشيخ أسعد الشقيري منفياً لمناهضة سياسة السلطان العثماني عبد الحميد وتسلّطه . ثم انتقل - وهو طفل - إلى مدينة طولكرم ، للعيش مع والدته . وفي سنة ١٩١٦ انتقل إلى عكا حيث أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٢٤ ، وأتم دراسته الثانوية في القدس سنة ١٩٢٦ ، والتحق بالجامعة الأميركية في بيروت ، لكنه طرد منها في العام التالي بقرار من سلطة الانتداب الفرنسي ، لمشاركته في قيادة مظاهرة ضخمة قام بها الطلاب العرب في الجامعة الأميركية بمناسبة ذكرى يوم السادس من أيار / مايو . فعاد إلى فلسطين ، وانتسب إلى معهد الحقوق في القدس يدرس ليلاً ويعمل نهاراً في صحيفة مرآة الشرق ، دون أن يشغله ذلك عن القيام بواجبه تجاه وطنه . وبعد أن تخرج من هذا المعهد عمل وتمرن في مكتب المحامي عوني عبد الهادي ، أحد مؤسسي حزب الاستقلال في فلسطين . وتعرّف خلال هذه الفترة إلى عدد من رجالات الثورة السورية الكبرى الذين لجأوا إلى فلسطين ، ومنهم شكري القوتلي ورياض الصلح ونبيه العظمة وعادل أرسلان .

عاشت فلسطين في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ثورات متتالية ، كان أهمها الثورة الفلسطينية الكبرى ، (ر : ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩) ، وقد شارك الشقيري فيها مناضلاً في وجه الانتداب البريطاني والصهيونية بلسانه وقلمه ، ومدافعاً عن المعتقلين والثوار العرب الفلسطينيين أمام المحاكم البريطانية . وحين انتهت تلك الثورة لاحقته سلطات الانتداب البريطاني فغادر فلسطين إلى مصر حيث أمضى بعض الوقت ، ثم عاد إلى فلسطين في أوائل الحرب العالمية الثانية فافتتح مكتباً كبيراً للمحاماة ، واختص بالدفاع عن المناضلين الملاحقين وبقضايا الأراضي؛ فعمل على إنقاذ قسم من الأراضي العربية ومنع تسرُّبها إلى الصهيونيين . ولما تقرر تأسيس المكاتب العربية في عدد من العواصم الأجنبية برئاسة موسى العلمي ، عُيّن الشقيري أول مدير لمكتب الإعلام العربي في واشنطن ، ثم نقل مديراً لمكتب الإعلام العربي المركزي في القدس وقد ظل على رأس عمله هذا إضافة إلى المحاماة ، إلى أن وقعت نكبة ١٩٤٨ فاضطر إلى الهجرة إلى لبنان ، واستقر مع أسرته في بيروت .

قررت الحكومة السورية أن تفيد من خبرات الشقيري في مجال السياسة الخارجية فعينته عضواً

(*) الموسوعة الفلسطينية ، دمشق : هيئة الموسوعة الفلسطينية ، ط١ ، ١٩٨٤ ، القسم العام ، مج١ : ٩٨ - ١٠٠ .

في بعثتها إلى الأمم المتحدة (١٩٤٩-١٩٥٠) . ثم عين أميناً عاماً مساعداً للجامعة العربية بوصفه يحمل الجنسية السورية . وقد بقي في منصبه هذا حتى سنة ١٩٥٧ ، حيث عيّن وزير دولة لشؤون الأمم المتحدة في الحكومة السعودية ، وسفيراً دائماً لها لدى هيئة الأمم المتحدة . وكان الشقيري خلال وجوده في الأمم المتحدة خير محام عن القضية الفلسطينية ، وعن قضايا العرب الأخرى ، ولا سيما قضايا المغرب والجزائر وتونس . وفي عام ١٩٦٣ أنهت المملكة العربية السعودية عمل الشقيري في الأمم المتحدة لخلافه مع وزارة الخارجية السعودية .

لم يبتعد الشقيري عن الحياة العامة ، فقد وقع اختيار الملوك والرؤساء العرب عليه ، فور عودته من الأمم المتحدة ، ليشغل منصب ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية بعد وفاة ممثلها أحمد حلمي عبد الباقي . ثم اتخذ مؤتمر القمة العربي الأول (ر : القمة العربية ، مؤتمرات) المعقود في شهر كانون الثاني/ يناير سنة ١٩٦٤ قراراً بتكليف الشقيري ، بوصفه ممثل فلسطين في الجامعة ، بإجراء اتصالات مع أبناء الشعب الفلسطيني حول إنشاء الكيان الفلسطيني على خير القواعد السليمة ، والعودة بنتيجة اتصالاته ودراساته ومساعيه إلى مؤتمر القمة العربي التالي . فقام الشقيري بجولة في الدول العربية التي يعيش فيها الفلسطينيون ، ووضع مشروع الميثاق القومي والنظام الأساسي لمنظمة التحرير (ر : الميثاق القومي الفلسطيني ١٩٦٤) ، وتم اختيار اللجان التحضيرية التي وضعت بدورها قوائم بأسماء المرشحين لعضوية المؤتمر الفلسطيني الأول (٢٨ آذار / مارس - ٢ حزيران / يونيو سنة ١٩٦٤) الذي أطلق عليه اسم المجلس الوطني الفلسطيني الأول لمنظمة التحرير . وقد انتخب هذا المؤتمر أحمد الشقيري رئيساً له ، وأعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وصادق على الميثاق القومي والنظام الأساسي لمنظمة التحرير . ثم انتخب المؤتمر الشقيري رئيساً للّجنة التنفيذية للمنظمة ، وكلّفه اختيار أعضاء هذه اللجنة وعددهم خمسة عشر . كما قرر إعداد الشعب الفلسطيني عسكرياً وإنشاء الصندوق القومي الفلسطيني .

قدم الشقيري إلى مؤتمر القمة العربي الثاني (١٩٦٤/٩/٥) تقريراً عن إنشاء الكيان الفلسطيني ، وأكد فيه الناحيتين التنظيمية والعسكرية للكيان ، من أجل تحقيق هدفَي التعبئة والتحرير . كما قدم إلى المؤتمر أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد وافق المؤتمر على ما قام به الشقيري ، وعلى تقديم الدعم المالي للمنظمة .

تفرغ الشقيري لرئاسة اللجنة التنفيذية في القدس ، ولوضع أسس العمل والأنظمة في منظمة التحرير الفلسطينية ، وإنشاء الدوائر الخاصة بها ومكاتبها في الأقطار العربية وفي الدول الأجنبية ، وبناء الجهاز العسكري تحت اسم جيش التحرير الفلسطيني . وفي الدورة الثانية للمجلس الوطني (القاهرة ٣١ أيار/ مايو - ٤ حزيران / يونيو ١٩٦٥) بيّن الشقيري ما قامت به اللجنة التنفيذية برئاسته ، ومن ذلك إنشاء القوات العسكرية ، والصندوق القومي ، ودوائر المنظمة ومقرها العام في القدس . ثم قدّم استقالته ، فقبلها المجلس ، ثم جدّد رئاسته للّجنة التنفيذية ومنحه حق اختيار أعضائها .

وبعد عدوان حزيران / يونيو ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) حدث تغير كبير على الساحتين العربية والفلسطينية ، كما قام تباين في وجهات النظر بين بعض أعضاء اللجنة التنفيذية ورئيسها ، فتقدم الشقيري في كانون الأول / يناير سنة ١٩٦٧ باستقالته إلى الشعب العربي الفلسطيني . وقد قبلت اللجنة التنفيذية تلك الاستقالة ، وانتخبت عضو اللجنة التنفيذية يحيى حمودة رئيساً بالوكالة ، وأصدرت بياناً أعلنت فيه أنها ستعمل ، بالتعاون مع القوى الفلسطينية العاملة ، على قيام مجلس وطني جديد لمنظمة التحرير تنبثق عنه قيادة جماعية مسؤولة تعمل على تصعيد النضال المسلح وتوحيده ، وتحقيق الوحدة الوطنية وتعبئة الجهود القومية وتطوير أجهزة المنظمة .

رفض الشقيري بعد استقالته أي عمل أو منصب رسمي وانصرف إلى الكتابة ، فكان يقيم في منزله في القاهرة معظم أيام السنة ، وينتقل صيفاً إلى منزله في لبنان .

لم يكن بيته في القاهرة يخلو من زائريه الفلسطينيين وعرب الأقطار الأخرى ، يتبادلون معه الأحاديث ويديرون النقاش حول شتى القضايا العربية والدولية . وكان يؤكد دائماً أن المساومات السياسية لن تحرر فلسطين ، وأن الكفاح المسلح هو وحده الطريق السليم للتحرير . كما كان يؤكد وجوب محاربة الإمبريالية الأميركية باعتبارها الجهة التي ترتبط موضوعياً مع الصهيونية و « إسرائيل » ومخططاتها ، وهي التي تعمل على فرض سيطرتها على الأمة العربية ونهب ثرواتها . ويؤكد ضرورة استعمال النفط سلاحاً من أسلحة التحرير ومحاربة الإمبريالية .

وقد عدَّ توقيع اتفاقتي كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية ، وتطبيع العلاقات بين مصر والكيان الصهيوني خيانة عظمى للقضية الفلسطينية والعربية ، لذلك غادر القاهرة إلى تونس سنة ١٩٧٨ .

أمضى الشقيري بضعة شهور في تونس حيث أصيب بمرض عضال نقل على أثره إلى مدينة الحسين الطبية في عمّان ، وقد توفي فيها يوم ١٩٨٠/٢/٢٥(*) ، ودفن بناءً على وصيته في مقبرة الصحابي أبي عبيدة بن الجراح في غور الأردن ، على بعد أقل من ثلاثة كيلومترات من حدود فلسطين المحتلة ، تلك المقبرة التي تضم عدداً من قادة الفتوحات الإسلامية ، ومنهم سعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة .

خلّف الشقيري وراءه عددا كبيراً من الدراسات والمؤلفات ، تدور حول القضايا العربية والقضية الفلسطينية ، ومنها :

١. من القدس إلى واشنطن (حول تجربته في المكاتب العربية)
٢. قضايا عربية
٣. دفاعاً عن فلسطين و الجزائر
٤. فلسطين على منبر الأمم المتحدة
٥. حوار و أسرار مع الملوك و الرؤساء العرب
٦. أربعون عاماً في الحياة السياسية
٧. مشروع الدولة العربية المتحدة
٨. من القمة إلى الهزيمة - مع الملوك و الرؤساء العرب
٩. إلى أين ؟

(*) هكذا في الأصل ، والصحيح هو ١٩٨٠/٢/٢٦ - رواية أسرة الشقيري والمصادر الأخرى جميعها .

من أعلام الفكر والأدب في فلسطين *

يعقوب العودات

هو أول مادة موسوعية كتبت عن الشقيري وتمثل عرضاً لكتاب الشقيري الأبرز في قسم المذكرات .

ولد (أحمد) في قلعة تبنين بلبنان الجنوبي سنة ١٩٠٨ حيث كان والده الشيخ أسعد الشقيري معتقلا في زمن الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد ، وكانت والدته تركية تزوجها والده على زوجة تركية أخرى .

بعد طلاق والدته نقل عمه المرحوم قاسم الشقيري إلى مدينة طولكرم ليعمل موظفاً في دائرة المالية فانضم أحمد ووالدته إلى أسرة عمه وأقاما معهم ، وفي طولكرم تزوجت أمه موظفاً في بريد طولكرم اسمه (سليم) ، وبهذا تهيأ لأحمد من يكفله في حياة الطلاق والفراق ، ولعل هذا كان سنة ١٩١٣ .

في طولكرم عاش أحمد في كنف والدته وزوجها ، ودخل المدرسة وتعلم القراءة والكتابة في جو من الرهبة ، إذ كان الطلاب يرتجفون بين يدي (المعلم حسن) وهو معلم كريم العين مجيد الخط .

وبعد وفاة والدته في طولكرم سنة ١٩١٦ ذكر الجيران لأحمد أن له أباً عظيماً في عكا ، وأن أهله على ثراء كبير وجاه عظيم ، وأن عكا مدينة أكبر من طولكرم وفيها مدارس كثيرة .

وبعد أيام سهل له الجيران السفر إلى عكا وزوادته (تذكرة النفوس) التي تثبت أنه ابن الشيخ أسعد الشقيري . وحالما بلغ عكا كان والده غائباً إلى أن سمع ذات يوم أنه عاد من رحلة ، وبعد أيام أُدخل على والده في غرفته بعد أن غادرت خالته (زوجة والده) المنزل لزيارة أو نزهة ، فكانت فرصة للتعارف بين الولد وأبيه .

ودخل أحمد مدرسة ابتدائية ، وكان مواظباً عليها مجتهداً في دروسه ، وكثيراً ما كان يُبكّر في الذهاب إليها حتى قبل أن تفتح أبوابها ، ولعل هذا الجد من جانبه طبيعة في نفسه منذ صغره ، ولعله قد تضاعف بقدر ما كان يسمعه من العجائز في بيتهم من النصح والإرشاد بالانكباب على الدرس ، وأن الدرس وحده هو الذي سيأتي بالفرَج .

ورغم أن الصرف والنحو كانا يُدرَّسان باللغة التركية ، ومعلم القواعد تركي أيضاً ، فقد كان أحمد مولعاً باللغة العربية والقرآن الكريم منذ نشأته ، وظل ولعه باللغة يرافقه في جميع مراحل تعلمه حتى تمكن من قواعدها وشواردها ، وأصبح الإعراب سليقته وأصبحت له شهرة في المدرسة والبيت عن جَدّه واجتهاده وتفوقه على أقرانه .

وبعد الاحتلال البريطاني كان (أحمد) يجلس ليلاً في ديوان الأسرة ، وعمه قاسم يقرأ الصحف ومن حوله وجوه المدينة وهم يتحدثون عن (الصهيونية) و (وعد بلفور) وهجرة اليهود إلى فلسطين .

وانضم (أحمد) إلى فرقة كشافة المدرسة بحماسة بالغة ، وزاد من حماسه أن معلم الكشافة اكتشف أحمد خطيباً ، فأصبح خطيب الفرقة ، ومنذ ذلك اليوم وهو خطيب مُلهَم .

وكان يتردد على الشيخ عبدالله الجزار مفتي عكا ، ويحضر دروساً يلقيها في النحو والفقه والحديث ، وزاد من تمكّنه من العلوم الإسلامية أن مجلس والده كان ندوة علم يحضرها العلماء وسراة القوم ، ويستمع إلى حوارهم في مختلف المسائل الدينية . وكانت لوالده مكتبة دينية قيمة وأصبح مع الزمن مسؤولاً عنها ، فعرف ماهية تلك الكتب وأسماء مؤلفيها .

وفي بعض الليالي كان (أحمد) يمر بندوة القاص الشعبي في المقهى وهو يقف في وسطها وبيده قضيب وأمامه طاولة يقرع عليها من حين إلى حين ، ويقصُّ شِعراً ونثراً سيرة عنترة والمهلهل وأبي زيد الهلالي .

وبعد انقضاء العام الدراسي لسنة ١٩٢٤ أنهى (أحمد) الصف الأعلى في المدرسة الأميرية بعكا ، وقرر والده أن يلحقه وشقيقه أنور بمدرسة صهيون الإنكليزية بالقدس لأنها تُعنى بالعلم والنظام ، فمكثا فيها ثلاثة أعوام (١٩٢٤ - ١٩٢٦) ولقد آلمه خلال دراسته زيارة اللورد بلفور لبيت المقدس سنة ١٩٢٥ لمناسبة افتتاح الجامعة العبرية .

وفي أيام الآحاد كان (أحمد) يذهب إلى الكنيسة الإنجيلية بالقدس ، وفي فصول الدراسة تعلم العهدين القديم والجديد باللغة الإنكليزية القديمة ، وحفظ كثيراً من الأمثال والقصص عن ظهر قلب ، وأصبح (مُبَرِّزاً) في هذا الموضوع متفوقاً على أقرانه المسيحيين .

ومن المفارقات اللطيفة أنه أحرز جائزة التفوق في العهدين خلال الأعوام الثلاثة التي قضاها في مدرسة صهيون ، ونجم عن دراسته العهدين أنها مكنته من اللغة الإنكليزية " العريقة " ، فكانت له زاداً كبيراً في الأمم المتحدة وخاصة لدى وفود أميركا اللاتينية حتى ظهر لبعضهم أنه مسيحي من البلاد المقدسة ،

(*) يعقوب العودات ، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين** ، عمّان : ورثة المؤلف ، ١٩٧٦ ، ص ص ٣٢٠ - ٣٣٠ .

وحدثت مناسبات عديدة فنَّد فيها مزاعم الصهيونية من نواحٍ دينية مسيحية .

ومضى صيف ١٩٢٦ وأطل موعد الجامعة الأميركية في بيروت ، فدخلها (أحمد) مع شقيقه أنور ، وكان يتردد على نادٍ له تاريخ معروف اسمه (العروة الوثقى) (*) ويتداول الشؤون العامة مع نفر من إخوانه القوميين العرب ، وكان للسياسة حظ موفور في (العروة الوثقى) .

وفي عام ١٩٢٧ أقبل يوم الشهداء الواقع في ٦ أيار / مايو من كل عام ، وهو ذكرى إعدام الشهداء في سورية ولبنان عام ١٩١٦ على يد جمال (باشا) السفاح ، وفي ساحة الشهداء ببيروت سار (أحمد) على رأس مظاهرة كبرى بلغت قبور الشهداء في محلة الرمل ، ووقع الاختيار عليه وعلى يوسف الكيلاني (من بغداد) ليتكلما باسم الطلاب العرب ، وكان احتفالا مهيبا خطب فيه عدد من رجالات بيروت منهم رياض الصلح وجبران تويني مؤسس جريدة « النهار » ، وحين جاء دور (أحمد) للكلام لم يستطع بلوغ المنصة في زحمة الجماهير ، وكان قصيراً نحيلاً ، فحمله رفاقه على أكتافهم ، وارتجل خطاباً حماسياً أثنى فيه على الشهداء ، وحمل على جمال السفاح والعهد العثماني ، وأشاد بالوحدة العربية ودعا إلى قيامها .

وعاد مع الطلاب إلى الجامعة الأميركية دون أن يدري ماذا يخبئ له القدر ، وأصبح الصباح وإذا بالصحف طافحة بأخبار المظاهرة الكبرى ، وبرجال الشرطة يقتادونه إلى سراي الحكومة ويسلمونه ورقة مكتوباً عليها « صدر الأمر بإبعادك من البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي » .

غادر (أحمد) السراي إلى الجامعة ، ورغم تدخُّلها وبعض أعيان بيروت لتجميد أمر الإبعاد فقد أصرت دوائر المفوض السامي على تنفيذ الأمر ، وجاءت سيارة الشرطة الفرنسية إلى الجامعة لتأخذ (أحمد) إلى نقطة الناقورة وعلى جواز سفره عبارة بالإفرنسية هذه ترجمتها : « ممنوع دخوله إلى سورية ولبنان ، مطرود ، داعية سياسي » .

كان إبعاد (أحمد) من الجامعة الأميركية نقطة تحول في حياته ، فقد ألهب هذا الحدث حماسته ، وألقى به في ميادين العمل الوطني في وقت مبكر من عمره .

ورأى في جريدة (الزمر) التي كانت تصدر في عكا هدفه المنشود ، فأخذ يكتب فيها المقالات الوطنية بالدعوة إلى مقاومة الحركة الصهيونية والاستعمار ، وقاده التفكير إلى الالتحاق بـ (معهد الحقوق الفلسطيني) في القدس ليكون محامياً؛ فقصد القدس وشرع في معاملة الالتحاق بمعهد الحقوق إلى أن كلل الله سعيه فحقق ما أراد .

وليملأ أوقات فراغه تسلم جريدة (مرآة الشرق) المقدسية لصاحبها المرحوم بولس شحادة ، فكان صحفياً وسياسياً في النهار وطالب حقوق في المساء .

وفي عام ١٩٢٨ ولج (أحمد) باب الحركة الوطنية في فلسطين وجعل (مرآة الشرق) مَنبراً للدعوة التي نادى بها العاملون في الحقل الوطني : (الإنكليز أصل الداء ورأس البلاء) ، وأصبحت (مرآة الشرق) جريدة وطنية بعد أن كانت تنطق بلسان المعارضين ، وبادر كيث روش (باشا) حاكم لواء القدس إلى إنذار (أحمد) بالكف عن الكتابة في الصحف ، فثارت ثائرة الشباب على هذا الإنذار ، وكانت النتيجة مُضِيَّهُ في كتابة المقالات .

وشهدت فلسطين عام ١٩٢٨ نشاطاً قومياً على كل صعيد ، وكان من آيات ذلك إنشاء (جمعيات الشبان المسلمين) على غرار ما قام في مصر ، وكان قد زار فلسطين الدكتور عبدالحميد سعيد الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وطاف في معظم مدن فلسطين ودعا إلى تأسيس هذه الجمعيات ، فدعا (أحمد) ونفر من الشباب الواعي إلى مؤتمر يعقد في يافا للاتفاق على التدابير اللازمة . وبعد التئام الشمل نجح المؤتمر وقرر تأسيس جمعيات الشبان المسلمين في أنحاء فلسطين ، وحرص على أن تظل الجبهة الوطنية في فلسطين الإسلامية - المسيحية متماسكة ، وأخذت أندية يافا القومية تتبارى في دعوة رجال الفكر لإلقاء محاضرات وطنية ، فاستجاب (أحمد) إلى دعوة النادي الأرثوذكسي ، وكان موضوع محاضرته (ربيع الحياة) .

وجاء عيد الغفران عند اليهود فإذا بجموع اليهود شيباً وشباناً يتدفقون على حائط المبكى في مظاهرة عسكرية ، وأخذوا ينفخون في البوق ، ووضعوا الطاولات والستائر ، ورفعوا أصواتهم ، وكانت حركاتهم آية في التحدي والاستفزاز . وهنا اهتاجت الخواطر والمشاعر وابتدأ الصدام في القدس القديمة ، فتصدى العرب للمسيرة اليهودية ، وتصدى البوليس للعرب ، وسقط القتلى والجرحى بالمئات ، وتألفت في البلاد جمعيات (حراس المسجد الأقصى) على غرار الجمعيات التي ألفها اليهود باسم (حراس المبكى) ، وكان للحاج أمين الحسيني ودوائر المجلس الإسلامي والشباب العربي دور كبير في إيقاظ الشعور والتنبيه للخطر الصهيوني .

وكان (أحمد) دائم الحركة في شمال البلاد مع إخوانه الشباب يحض الشعب على وحدة الصفوف ونبذ الخلافات والذود عن حمى الوطن ، فضاقت السلطة البريطانية ذرعاً بهذا النشاط المثير ، فاعتقلته ونقلته إلى قرية الزيب (إحدى ضواحي عكا) في إقامة

(*) العروة الوثقى جمعية لطلاب الجامعة الأميركية .

إجبارية ، وانتهت مدة اعتقاله ، فعاد إلى القدس معتزلاً العمل في « مرآة الشرق » ليعطي دراسة الحقوق وقتاً أكثر وجهداً أكبر .

وفي الثلاثينات من هذا القرن خرج (أحمد) مع لفيف من شباب عكا إلى الحدود السورية لاستقبال ياسين الهاشمي الزعيم العراقي المعروف ، وساروا به في موكب فخم إلى عكا ، وخطب (أحمد) بين يديه خطابا وطنيا ، فكان رد الهاشمي : « لابد من أن نبني الخُلُقَ القومي في الحكم العربي أولاً ... وقبل كل شيء » .

وفي أوائل الثلاثينات أسهم (أحمد) بنصيب وافر في الحركة الوطنية وفي التحضير للقضية الفلسطينية أمام (لجنة شو) ، وأثناء عمله في هذه اللجنة عرض عليه المحامي عوني عبدالهادي أن يعمل في مكتبه ، فرحّب بالعرض وانضم إليه .

وجاءت تواصي (لجنة شو) مشجعة ، فقررت اللجنة العربية العليا إرسال وفد إلى لندن لعرض المطالب الوطنية ، فأخذ (أحمد) وبعض العاملين في الحقل الوطني يعدون ملفاً عن القضية الفلسطينية ، وراح يواصل الليل بالنهار وهو يجمع الوثائق ويهيئ المذكرات .

وفي سنة ١٩٣٣ أحاط البوليس بعرب وادي الحوارث وطلب منهم أن يخرجوا من الأرض التي عاشوا عليها وترعرعوا فيها هم وآباؤهم وأجدادهم ، فتنادت الهيئات الوطنية لمؤتمر قومي عقد في يافا في آذار ١٩٣٣ ، فشرح (أحمد) خطورة الموقف وتحدث بتفصيل عمّا شاهد في وادي الحوارث ، وختم كلمته بأن الأمر يستدعي قيام جبهة وطنية تضم كل الزعماء ، شريطة أن يتخلوا عن مناصبهم الحكومية ويتفرغوا لقيادة الحركة الوطنية ، فرحب قسم منهم بهذا الاقتراح وأعرض القسم الآخر عن تحقيقه .

وأغرم (أحمد) بقضايا الأراضي ، إذ كانت المنازعات ناشبة بين العرب واليهود حول ملكية الأراضي فقد كانت الشركات اليهودية بما لديها من ثراء ونفوذ لدى المسؤولين البريطانيين تعرف كيف (تصطاد) ملكية إسمية للأراضي العربية ، وكثيراً ما تطوع الشقيري للدفاع عن حقوق الفلاحين ، وقضى الليالي الطوال في السهر معهم وهو يبحث مواقع القرى وسجلاتها وحدودها منذ العهد العثماني .

وفي تلك الفترة زار فلسطين إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزارة المصرية عهد ذاك ، وحل ضيفاً على المندوب السامي . وفي زيارتهما لعكا طلب (أحمد) إلى الأهلين تجاهله ، إذ كان عرب فلسطين وفديين في مشاعرهم الوطنية(*) .

وفي العاشر من تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٥ سقط المناضل عزالدين القسام مع بعض رفاقه شهداء في أحراج يعبد (بقضاء جنين) نتيجة اصطدام مسلح مع القوات البريطانية ، فتطوع الشقيري ومعين الماضي للدفاع عن الأحياء من عصبة القسام المؤمنة الباسلة .

في أواسط الثلاثينات ١٩٣٤ و ١٩٣٥ كان الشعب العربي في فلسطين يتحفز للثورة على الحكم البريطاني ويرى في الهجرة اليهودية عاملاً هاماً لتدميره واجتثاث أصوله من أرضه ، فقررت الهيئات الوطنية ، في ١٥ نيسان / أبريل ١٩٣٦ ، الإضراب العام احتجاجاً على السياسة الغاشمة التي تنتهجها بريطانيا ضد عرب فلسطين ، فانبرى (أحمد) وبعض إخوانه للدعوة إلى ثورة شعبية تحريرية ، ودام هذا الإضراب ستة شهور .

وكانت السلطة البريطانية تقف من الإضراب موقف المراقب إلى أن ذرَّ قرن الأعمال المسلحة في البلاد ، وتألفت (العصابات) لقطع الأسلاك الهاتفية ونسف الجسور ومهاجمة القطارات وإلقاء القنابل على البريطانيين واليهود ، فأعلنت السلطة حالة الطوارئ ، وقامت بحملة اعتقالات واسعة ، وأنشأت معتقلاً في عوجا الحفير وآخر في صرفند ، وزجت فيهما بالمئات من العاملين في الحركة الوطنية ، واعتقلت الشقيري ونقلته إلى سمخ وفرضت عليه إقامة جبرية ، وإثبات وجوده في مركز البوليس إحدى عشرة مرة في اليوم الواحد إلى أن انتهى الإضراب الشامل .

وفوجئ الفلسطينيون صباح الحادي عشر من تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٦ بنداء من اللجنة العربية العليا استناداً إلى رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي والإمام يحيى والأمير عبدالله بن الحسين بدعوة الشعب الفلسطيني إلى السكينة ، وفي صباح الثاني عشر استجاب الشعب وتوقف الإضراب .

وفي السادس من كانون الثاني / يناير ١٩٣٧ قررت اللجنة العربية العليا الاتصال باللجنة الملكية البريطانية وبسط القضية أمامها ، وطلب رئيسها الحاج أمين الحسيني إلى (أحمد) المثول أمامها - مع جملة المندوبين الذين ستختارهم اللجنة العليا - ليتحدث عن قضية فلسطين من نافذة القانون الدولي ، لكنه اعتذر عن هذه المهمة إيماناً منه بأن القانون الدولي لن ينقذ فلسطين من مخالب الصهيونية .

وفي ٨ أيلول / سبتمبر ١٩٣٧ عقد الساسة العرب مؤتمراً قومياً في بلودان برئاسة ناجي السويدي لمقاومة التقسيم ودعم مطالب الشعب الفلسطيني ،

(*) حزب الوفد المصري الذي يناهضه اسماعيل صدقي .

فاشترك الشقيري في هذا المؤتمر .

وما أن أطل شهر أيلول ١٩٣٧ حتى انفجر الموقف في فلسطين بانتشار العصابات المسلحة من رفاق القسام ، وقيامها بعمليات عسكرية جريئة ضد السلطات البريطانية . وقد ترصد أربعة من القساميين للمستر أندروز حاكم لواء الجليل فأطلقوا عليه النار وأردوه قتيلاً ، فَجُنَّ جنون السلطة البريطانية ، فأعلنت حَلّ اللجنة العربية العليا واللجان القومية وعزلت الحاج أمين الحسيني من مناصبه في المجلس الإسلامي والأوقاف ، واعتقلت أعضاء اللجنة العربية العليا ونقلتهم على باخرة بريطانية إلى سيشل ، وطفق رجال الأمن يبحثون عن الحاج أمين وجمال الحسيني والشقيري لتضمهم إلى قافلة المبعدين إلى سيشل ، فهرب (أحمد) إلى القدس واختفى بضعة أيام في بيت المحامي عمر الصالح البرغوثي ، ومنه لجأ إلى بيت المحامي مغنم مغنم ، وقرر اللجوء إلى القاهرة واتخاذها مركزاً لنشاطه ... فَحَمَل رسول أمين جواز سفره إلى القنصلية المصرية في القدس ، ولم يغادر الرسول القنصلية إلا وسِمَة الدخول على جواز سفر الشقيري . وبعد أيام خرج من دار مضيفه بلحية طويلة وقبعة سوداء ووضع نظارة سوداء على عينيه ، وركب قطار القدس - اللد ، ومن هذه أخذ قطار القاهرة وتجاوز غزة ، فتناول ضابط المهاجرة الفلسطيني جواز سفره وختمه ، وواصل سفره حتى وصل إلى محطة دير البلح وهو مطمئن النفس ، وطال وقوفه في دير البلح ، فإذا بأحد كبار رجال الأمن البريطانيين يدخل عليه غرفته في القطار ويدعوه إلى شرب الشاي في غزة .

وحملته سيارة عسكرية إلى غزة ، ووضع الجنود القيد في يديه ، وعندما بلغوها أدخل (أحمد) زنزانة في السجن وفك القيد من يديه ، ففرش البطانية على الأرض وتوسد حقيبة ثيابه ، وقضى في سجن غزة خمسة أيام ، ومنه نقل بالقطار إلى حيفا ، وبعد فترة من الوقت دخل سجن عكا وقضى في جناح المجرمين عشرين يوماً .

وبلغ الاستياء من الشعب في عكا أن دعا إلى تأليف وفد من وجوه المدينة ، فقابلوا الحاكم البريطاني محتجين على إيداع الشقيري السجن وطلبوا نقله من السجن إلى المعتقل ، وبعد أسبوع أرسله البريطانيون إلى معتقل المزرعة .

أدركت السلطة البريطانية أن أسلوب (الاعتقال) لم يعد مُجدياً ، فأخذت تفرج عن المعتقلين ، وخرج (أحمد) من المعتقل إلى بيته في عكا ، وبعد أيام دعاه حاكم لواء الجليل ونفراً من المعتقلين الذين أفرج عنهم لمقابلته في الناصرة ، فألقى عليهم بياناً خطياً طافحاً بالتهديد والوعيد وبنسف المدن وتدمير القرى وفرض العقوبات إذا لم تتوقف الثورة ، فكان جواب الشقيري أن الشعب سيمضي في كفاحه حتى تتحقق أمانيه القومية فخرج القوم من مكتب حاكم اللواء ، وإذا بموظف عربي ينصح (أحمد) همساً أن لا يعود إلى عكا ، فقد صدرت تعليمات بالقبض عليه ، فتلقى النبأ بسكينة وهدوء وانطلق بسيارته إلى طبريا فسمخ فالحمة ، وسلك طريقاً عسكرياً إلى دمشق ، لكن وعورة الطريق حالت دون سفره إلى دمشق .

عاد (أحمد) إلى سمخ وكاشف صديقه السيد روحي الخطيب بالأمر ، فرتّب أمر سفره بالقطار من الحمة ومن غير جواز سفر ... وبعد أن بلغ دمشق اجتمع بإخوانه الذين لجأوا إلى دمشق قبله ، فاقترحوا عليه الإقامة في بيروت على مقربة من الحاج أمين الحسيني ليتعاونا معاً .

وفي بيروت أخذ (أحمد) يشرح تطورات القضية الفلسطينية وشؤون الثورة ويكتب المقالات في جرائد « النهار » و « بيروت » و « اليوم » بقلم (عربي) ، لكن فلسطين غاصت في بحر من الدماء ، واستفحل أمر الاغتيالات والثارات وسقط العشرات من الأبرياء في المدن والقرى الفلسطينية ، وكان في عدادهم الدكتور أنور شقيق (أحمد) طبيب الثورة وقلبها في شمال فلسطين ، فدعاه أحدهم لمعالجة جريح ، وفي طريقه لأداء هذا الواجب القومي أطلق عليه النار فأرداه قتيلاً .

ورغم هول المصاب ظل (أحمد) على نشاطه السياسي فزار تركيا ليستطلع إمكانية الدعم والتأييد للقضية الفلسطينية خاصة فيما يتعلق بالسلاح ، لأن مصطفى كمال صديق لوالده الشيخ أسعد الشقيري ، وقضى في تركيا ثلاثة أسابيع اتصل خلالها بالصحافة التركية ، وبعث برسالة إلى مصطفى كمال رئيس الجمهورية شرح فيها ظروف الثورة الفلسطينية وما تعانيه من نقص في السلاح ، وسأله تزويد الشعب الفلسطيني بالعتاد والذخيرة ، لكن مصطفى كمال كان يعاني مرضا خطيرا في كبده ، فعاد (أحمد) إلى بيروت ليعمل مع العاملين في سبيل قضية وطنه .

بعد نشوب الحرب العالمية الثانية في اليوم الأول من أيلول / سبتمبر ١٩٣٩ أبلغت السلطات الإفرنسية اللاجئين السياسيين المقيمين في بيروت أن إقامتهم في لبنان غير مرغوب فيها وأن عليهم الرحيل ... فأبحر (أحمد) إلى القاهرة وأسهم مع إخوانه العاملين في الشؤون العربية ومنها قضية فلسطين . وفي شباط / فبراير ١٩٤٠ نعي إليه من عكا والده الشيخ أسعد الشقيري ، وأن السلطات البريطانية لا تمانع في عودته إلى فلسطين ، فعاد (أحمد) إلى مسقط رأسه واستأنف عمله في المحاماة .

وفي ٢٢ آذار / مارس ١٩٤٥ شهد (أحمد) مولد جامعة الدول العربية وكان في زيارة للقاهرة ، وفي أوائل هذه السنة كلفه موسى العلمي السفر إلى واشنطن لتأسيس مكتب عربي ، فاستجاب لهذا الطلب القومي وعاد إلى القدس ، ومنها انطلق إلى القاهرة فواشنطن وبعد وصوله بأسابيع دعته دار الإذاعة الأميركية في نيويورك للدخول في حوار مع القس وندل فيلبس حول القضية الفلسطينية ، فلبّى الدعوة ودار الحوار بينهما كما يدور الصراع ... وكان القس المأجور يتكلم من غير إيمان ، وأن للمأجور وجهاً يفضح صاحبه .

وبعد سنين جرت بينه وبين (غولدا مائير) - وكانت وزيرة خارجية " إسرائيل " - مساجلات عنيفة حول (نازية) الحاج أمين الحسيني . وفي مطلع ١٩٤٦ عاد (أحمد) إلى القدس فوجد أن الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها وأن الصهيونية العالمية قد نشطت بنفوذها الضخم ، كما انطلق الإرهاب الصهيوني من عقاله ، فأخذ يعد العدة لعرض القضية الفلسطينية على لجنة التحقيق الأنجلو أميركية ، وانتهى به الأمر مع زملائه إلى إعداد مَلَفّ ضخم باللغة الإنكليزية على أحسن ما يكون سرداً وعرضاً .

وفي شباط / فبراير ١٩٤٦ باشرت اللجنة عملها في القدس بالسماع إلى أقوال الجانبين العربي واليهودي ، ولكنها تجاوزت العدالة ، إذ أوصت بنسف الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٣٩ ومهدت السبيل لإقامة دولة " إسرائيل " .

بعد أن وقعت المأساة الفلسطينية الأولى سنة ١٩٤٨ ، انتخب الشقيري مساعداً لعبدالرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية . وفي أوائل آذار / مارس ١٩٤٧ اختارته الجمهورية العربية السورية مستشاراً للوفد السوري في مجلس الجامعة . وفي شهر حزيران / يونيو ١٩٤٨ توقف القتال في فلسطين امتثالاً لقرار مجلس الأمن ، واختارت الأمم المتحدة الكونت برنادوت وسيطاً دولياً ؛ فهبط على المشرق العربي وأعرب للعرب واليهود عن رغبته في أن يشكل كل من الفريقين وفداً من الخبراء ليشرح وجهة نظر بلاده في القضية وملابساتها ، وأن يكون اللقاء في رودس ، فقررت الجامعة العربية أن يمثلها وفد كان الشقيري في عداد أعضائه ، وفي ٢٠ حزيران / يونيو ١٩٤٨ ، بلغ الوفد العربي جزيرة رودس ؛ واتفق أعضاؤه على أن يكون الشقيري الناطق باسمهم .

وفي ١٩٤٨/٩/١٧ اغتال اليهود برنادوت لأن التقرير الذي أعدّه ليس في صالحهم . وكانت الأمم المتحدة مجتمعة قبل ذلك في باريس ، ومثّل الدول العربية أشخاص على مستوى عال ، ومثل فلسطين الشقيري وهنري كتن والدكتور يعقوب خوري . وتم الاتفاق مع الحكومة السورية على أن يرئس الشقيري وفد فلسطين ليخطب ويناقش بدلاً من أن يكون مستشاراً للوفد السوري .

وجاء دوره في الكلام فألقى بياناً مستفيضاً عن القضية الفلسطينية منذ نشأتها إلى زمن عصبة الأمم عبر الانتداب البريطاني ، وعن القدس وقدسيتها واستمساك العرب بعروبتها ، وتكلم شرتوك وزير خارجية " إسرائيل " الأسبق معلناً تمسكه بقرار التقسيم ، معارضاً لكثير مما ورد في تقرير برنادوت ، مُصراً على أن يكون حل مشكلة اللاجئين ضمن التسوية العامة ، وحاول أن يرد على بيان الشقيري فلم يجد منفذاً سوى أن يقول " إنه نازي سابق وقد تعاون مع الحاج أمين الحسيني المعروف بصلاته مع هتلر " .

ورغماً عن المستوى العالي الذي كانت الوفود العربية تتألف منه فإنها كانت تجهل الموقف العسكري في الوطن العربي . ولكي تقف على رأي مجلس الجامعة العربية - وكان في حالة انعقاد دائم - بصدد ظروف القضية التي تناقشها الأمم المتحدة في باريس وتعيين الموقف الذي ينبغي اتخاذه ... قصد (أحمد) القاهرة وشرح الموقف من كافة جوانبه وأبعاده ، وعاد إلى باريس يحمل رفض مشروع برنادوت ومشروع التقسيم مع التمسك بعروبة فلسطين .

ومن الاجتماع الذي عقدته (لجنة التوفيق الدولية) التي أنيط بها بحث قضية فلسطين في بيروت ، حضر الشقيري مع خالد العظم ، وزير خارجية سورية الأسبق بوصفه مستشاراً للحكومة السورية بعد أن انتهت رئاسته للوفد الفلسطيني في الأمم المتحدة لدورة ١٩٤٨ ، وعزم على الإقامة في مصر ، لكنه غادرها إلى لوزان للالتحاق بالوفد السوري أمام (لجنة التوفيق الدولية) .

وفي سنة ١٩٤٩ سافر الشقيري إلى (ليك ساكسس) لحضور اجتماعات الأمم المتحدة ، وأسهب في شرح القضية الفلسطينية على ضوء تقرير لجنة التوفيق الدولية ، وتكلم عن قضية اللاجئين بحرارة وإسهاب ، وتحدث عن قضية القدس مستعرضاً تاريخها الجليل ومقدساتها الحافلة بالذكريات ، ولكن الدول الكبرى الضالعة مع " إسرائيل " وقفت من خطبه وانتقاداته موقفاً سلبياً .

وفي ربيع سنة ١٩٥٠ ، سافر إلى سويسرا ليمثل الحكومة السورية أمام (لجنة التوفيق الدولية) وأمام (مجلس الوصاية) المنعقد في جنيف لوضع مشروع دستور لمنطقة القدس . وفي الثاني من شباط ١٩٥١ أصدر مجلس الجامعة العربية قراراً بتعيين الشقيري الأمين العام المساعد للأمين العام ، غير أن سورية اشترطت غداة تعيينه أن يعمل في الوفد السوري في الأمم المتحدة بالإعارة ، واستمر هذا الترتيب حتى سنة

١٩٥٧ ، حينما وافق الرئيس القوتلي على إعارته للملكة العربية السعودية .

وحين انعقدت دورة الأمم المتحدة لسنة ١٩٥١ ، في باريس أُسندت رئاسة الوفد السوري إلى فارس الخوري ، وكان الشقيري نائباً له .

وعلى هذا النهج عمل الشقيري في الأمم المتحدة السنين الطوال رئيساً للوفد السوري ورئيساً للوفد السعودي إلى أن جاءت مشكلة اليمن سنة ١٩٦٢ ، وجاء معها وفد تونسي يرجو الوفود العربية في المنظمة الدولية (كلمة خير) . ومن غير أن يطلب (أحمد) أية تعليمات من دمشق دعا الوفد التونسي معه إلى هيئة الأمم ، وعقد مؤتمراً صحفياً للحديث عن القضية التونسية . وفي تلك الأثناء حمل إليه وزيران تونسيان (توكيلاً) باسم الحكومة التونسية يخوله الدفاع عن القضية التونسية أمام الأمم المتحدة . وفي خضم هذه المشاكل وصل وفد ليبي إلى الأمم المتحدة وطلب إليه تأييد القضية الليبية من غير قيد ولا شرط .

ودخل (أحمد) المعركة وهي على أشدها بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، وأكد حق الشعب الليبي في تقرير مصيره وحريته واستقلاله ، وأن تصفية القواعد الأجنبية في ليبيا لا يختلف عليها في الأمم المتحدة إلا اثنان : بريطانيا وأميركا .

ووقع عليه الاختيار من قبل الوفود العربية ليتولى قيادة القضية المراكشية في الأمم المتحدة ، وفي الموعد المحدد وقف الشقيري مدافعاً عن المغرب العربي ، وأقبلت عليه الوفود العربية والآسيوية مهنِّئة بدفاعه الموفق ، ووجدت القضية المراكشية في اليوم التالي من الدول الصديقة العون والتأييد . وبعد انتهاء دورة الأمم المتحدة سنة ١٩٥٢ ، قام برحلة إلى إسبانيا ، وكانت الأندلس طريق عودته إلى الوطن .

وفي خريف ١٩٥٢ غادر سورية لحضور دورة الأمم المتحدة ، وهناك وجد أن السياسة الأميركية التي أفلحت في استصدار قرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ واعترفت بـ « إسرائيل » سنة ١٩٤٨ ، وأيّدت دخولها عضواً في الأمم المتحدة سنة ١٩٤٩ ، أرادت أن تجعل من دورة الأمم المتحدة لسنة ١٩٥٢ وسيلة لتوطين اللاجئين في البلاد العربية وتصفية ما بقي من قضيتها .

وبعد تدارس الموقف مع أعضاء الوفد السوري الدائم رأوا أن باب الفَرَج هو عند الاتحاد السوفييتي ، وكانت تربط الشقيري بفيشنسكي رئيس الوفد الروسي صلات من الود . وفي مكتب الوفد الروسي تحدث مع فيشنسكي في القضية الفلسطينية حديثاً مطولاً ورجاه نصرة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي .

وعندما جاء يوم التصويت في الجمعية العامة أعلنت روسيا أنها ليست مع القرار ، وكذلك الدول الاشتراكية كلها ، فسقط القرار الذي تبنته أميركا لأنه لم يظفر بأكثرية الثلثين ، فأعلن الشقيري من منبر الأمم المتحدة شكر الأمة العربية للاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية ، كما أعلن استنكار الأمة العربية لموقف أميركا وحليفاتها . وانتهت دورة الأمم المتحدة لسنة ١٩٥٢ بهزيمة منكرة لـ « إسرائيل » ومن هم وراءها .

وفي سنة ١٩٥٣ كان النضال الوطني في تونس والجزائر ومراكش آخذاً طريقه إلى المحافل الدولية ، وفي ١٩٥٣/٩/٧ قررت الجامعة العربية عرض القضية التونسية والقضية المراكشية على الأمم المتحدة . أما قضية الجزائر فقد كانت (جوزة صلبة) في نظر الجامعة العربية ، فحملت الوفود العربية هذه القرارات إلى الأمم المتحدة ، وكان الشقيري رئيساً للوفد السوري ، وحضر هذه الدورة عدد من ساسة المغرب العربي جاءوا إلى نيويورك للدعاية والاتصالات السياسية تأييداً لقضايا بلادهم ، وكان في عدادهم الباهي الأدغم (تونس) ، وأحمد بلا فريج (المغرب) ، لكن الصعوبة التي واجهتهما ... كيف السبيل إلى دخولهما قاعات الأمم المتحدة واتصالهما بالوفود ؟ والوفد الإفرنسي يراقبهما منذ وصلا إلى الولايات المتحدة .

عقدت الوفود العربية اجتماعاً لبحث هذه المشكلة ، واستقر الرأي أن يضمهما الشقيري إلى الوفد السوري كمستشارين ، وعندما جاء موعد بحث قضيتي تونس ومراكش جلس (المستشاران) الأدغم وبلا فريج في جناح الوفد السوري ، فصعق الوفد الإفرنسي أن يرى عدوّيه اللدودين يجلسان داخل اللجنة السياسية وفي مقاعد الوفد السوري ، فوثب رئيس الوفد الإفرنسي إلى مكتب همرشلد الأمين العام للأمم المتحدة محتجاً على وجود هذين (الغريبين) في اللجنة السياسية ، فأعرب همرشلد عن أسفه واعتذاره ... وأعلن أنه لا بد وأن يكون هناك خطأ .. فتناول سماعة الهاتف واتصل بدائرة البروتوكول مستوضحاً ، فقيل له إنهما مستشاران بالوفد السوري ، وقد جاء كتاب بذلك من رئيس الوفد السوري ... فسكت همرشلد ، وسكت معه الوفد الإفرنسي وعاد إلى قاعة اللجنة السياسية ليسمع الشقيري وقد بدأ حديثه عن الاستعمار الإفرنسي وعما يعانيه الشمال الأفريقي من بلاء هذا الاستعمار .

وفي سنة ١٩٥٤ عادت القضية الليبية إلى الشقيري من زاوية الممتلكات الإيطالية في ليبيا وما مصيرها ؟ وكيف التصرف بها ؟ واتصلت به الحكومة الليبية لتقف على رأي قانوني .

وواكب القضية الليبية منذ نشأتها في الأمم المتحدة ،

فجاء (أحمد) إلى ليبيا وقابل الملك السابق إدريس السنوسي ونصحه بأن تضع ليبيا يدها على ممتلكات الطليان والتصرف بها ، لأن أرض الشعب يجب أن تعود إلى الشعب .

ولاح للشقيري أن إسبانيا راغبة في مساعدة الشعب المراكشي في كفاحه لنيل استقلاله ، وكان قد تعلّق بالقضية المراكشية منذ تولّى عرضها في الأمم المتحدة سنة ١٩٥٣ ، فقابل الرئيس المصري السابق اللواء محمد نجيب ، وبحث الموضوع معه فشجعه هذا على مقابلة الجنرال فرانكو ، وزوّده بكتاب توصية ولقي منه كل تقدير وتشجيع .

وفي نيسان / أبريل ١٩٥٥ استقبلت باندونغ بأندونيسيا القادة والمناضلين ، وكان الشقيري في عداد الوفد السوري . وفي هذا المؤتمر حاولت « إسرائيل » أن تمثل فيه وحاولت أن لا تثار قضية فلسطين ، لكن الدول العربية حاربت هاتين المحاولتين ، وصالَ (أحمد) وجالَ في هذا الميدان وأصرَّ على أن تُدرج القضية الفلسطينية على جدول العمل ، وانبرى مع وفود الدول العربية لشرح القضية من مختلف جوانبها . وقبل أن ينفضَّ المؤتمر ، أخذ خالد العظم رئيس الوفد السوري والشقيري مستشار الوفد (عهداً) من شو إن لاي الزعيم الصيني بتأييد القضايا العربية وقضية فلسطين .

وفي آذار / مارس ١٩٥٧ قصفت الطائرات البريطانية جنوب اليمن المحتل ، وفرَّ زعماء القبائل إلى الإمام أحمد ملك المملكة المتوكلية اليمنية يشكون ما حل بهم من خراب ودمار ، وشكا الإمام بدوره إلى الجامعة العربية ، وأعلن مجلس الجامعة أن بعثة تمثل دول الجامعة ستسافر إلى اليمن لتدرس الحالة عن كثب ، فتألفت البعثة من ممثلي الدول العربية ، وكان الشقيري رئيس هذه البعثة بوصفه الأمين العام المساعد للجامعة العربية ، ولم تكن زيارته هذه لليمن خاتمة المطاف فقد زارها مرة أخرى وهو يعمل في الأمم المتحدة رئيساً للوفد السعودي لدرس النزاع البريطاني اليمني وملاءمة عرضه على الأمم المتحدة .

وكانت الدورة الثانية عشرة للأمم المتحدة في خريف ١٩٥٧ دورة القومية العربية ، وكانت هذه القومية في تلك الفترة عالية الصيحات مدوية الشعارات ، وتعالت معها مبادئ الحياد الإيجابي والتعايش السلمي ومقاومة الأحلاف العسكرية ، فكان طبيعياً أن تتبوّأ القومية العربية مكان الصدارة على منبر الجمعية العمومية ، وأن تتركز حولها خطب الوزراء الأربعة الكبار : دالاس (الولايات المتحدة الأميركية) ، وسلوين لويد (بريطانيا) ، وبينو (فرنسا) ، وغروميكو (الاتحاد السوفييتي) . وقد تهجم الوزراء الثلاثة الأُوَل على القومية العربية ونسبوا إليها القلق الذي يعانيه الشرق الأوسط .

وجاء دور الشقيري في المناقشة العامة ، وراح يفند أقوال كل من الوزراء الثلاثة الغربيين ويعزو أسباب التوتر الذي يسود المنطقة إلى السياسة الأميركية والبريطانية المسؤولة عما يعانيه الشرق الأوسط من متاعب وقلق ، وأوضح أن قضية فلسطين هي المحور الدائم للعلاقات العربية الدولية .

وفي هذه الدورة - دورة سنة ١٩٥٧ - هاجم الشقيري الوزراء الثلاثة الكبار بشدة وهاجم زملاءهم الصغار برفق ... وهاجم فرنسا في قضية الجزائر وهولندا في قضية إيريان الغربية تأييداً لأندونيسيا .

وفي آب / أغسطس ١٩٥٨ انعقدت الجمعية العامة في دورة طارئة ، وخطب الرئيس آيزنهاور ، وكان خطابه على العموم إنذاراً وتحذيراً لبعض الدول العربية ... وبعده مباشرة تحدث سلوين لويد فأعرب عن مخاوف العالم الحرّ مما انتهت إليه الأمور بين الدول العربية وأيّد ما أعلنه آيزنهاور .

وفي ١٥ آب / أغسطس ١٩٥٨ وقف الشقيري على المنبر العام وألقى خطاباً أودع فيه آمال الأمة العربية وآلامها ، وفي أيلول / سبتمبر ١٩٥٩ انعقدت الدورة الثانية والثلاثون لمجلس الجامعة العربية في (الدار البيضاء) بالمغرب ، وكان الشقيري عضواً في الوفد السعودي ، وفي هذه الدورة فاتحه عاهل المغرب محمد الخامس بقضية موريتانيا التي تحاول فرنسا أن تجعل منها دولة مستقلة وبالتجربة الذرية التي ستقوم بها فرنسا في الصحراء ، وطلب بحث هاتين القضيتين في هيئة الأمم .

وفي الندوة الدولية صال مندوب فرنسا وجال وهيمن على الأمم المتحدة ، وبعد أيام وقف الشقيري على المنبر العام وانبرى يسرد الحجج الواحدة تلو الأخرى بالأضرار التي تلحق بصحة الإنسان نتيجة للإشعاعات الذرية ، وناشد الدول الأعضاء أن يصوتوا إلى جانب الشكوى المغربية .

وفي خريف سنة ١٩٦٠ ، انعقدت الأمم المتحدة في نيويورك ، وقد حضر جلسة الافتتاح رؤساء حكومات الكتل العالمية الثلاث : الغربية والشرقية واللامنحازة ، وتحدث فيها الرئيس السوفييتي خروشوف عن طائرات التجسس الأميركية التي تقوم بمهمات استطلاعية في الأراضي الروسية ، وراح خروشوف يتهدد ويتوعد ، وأنذر الغرب بالفناء والدمار إذا قام بأية محاولة للعدوان على روسيا وحليفاتها . وحين قام أحد الوزراء الصغار من الدول الغربية يجادل خروشوف ، خلع هذا حذاءه من قدمه ولوّح به في وجه الأمم المتحدة وضرب به المائدة

أمامه وسط عاصفة من الهَرَج والمَرَج، فنهض الشقيري من مقعده وصافح خروشوف، وكان حذاؤه ما يزال على الطاولة أمامه وأوداجه تهتز بالغضب .

وفي عام ١٩٦٢ تقدمت كوبا بشكواها على أميركا مدعية أن الأخيرة تدرب (اللاجئين) الكوبيين على حمل السلاح وتدفعهم للقيام بغارات على كوبا، فتصدى الشقيري للمسؤولين الأميركيين منتصراً لكوبا وسائلاً الرئيس كندي : لماذا لا يدرب اللاجئين الفلسطينيين على حمل السلاح ليستردوا بلادهم . إن الأمم المتحدة قد اعترفت بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم ... وقد رفضت « إسرائيل » عودتهم ... ولم يبق أمام الفلسطينيين إلا السلاح ... فلماذا لا يفعل الرئيس كندي للفلسطينيين ما يفعله للكوبيين ؟ .

وحدث أن جاء خروشوف إلى الأمم المتحدة لحضور « دورة القمة » فزاره الشقيري في مقر الوفد السوفييتي الدائم، وشرح له جميع القضايا العربية وفي مقدمها قضية فلسطين، ثم اجتمع به في القاهرة لمناسبة اشتراكه في احتفالات السد العالي، وفي قصر القبة تحدث إليه طويلاً في كل ما يهم الأمة العربية، وكان اللقاء الكبير في (سوجي) على شاطئ البحر الأسود في صيف ١٩٦١ تلبية للدعوة التي تلقاها من خروشوف نفسه .

خمسة عشر عاماً سلخها الشقيري من عمره في الأمم المتحدة في صراع مع « إسرائيل »، وخمسة عشر عاماً سبقتها من النضال القومي ضد الصهيونية والاستعمار، وكان خلالها معتقلاً في السجون مترافعاً أمام المحاكم، مُتصدِّراً المظاهرات، ثم لحقتها خمسة أعوام في بناء الكيان الفلسطيني وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية .

وفي الجلسة الأخيرة المنعقدة في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٣ ذهب إلى الأمم المتحدة كرئيس لوفد فلسطين، وألقى كلمة كانت بمثابة وداعٍ إذ قال : إن مشكلة فلسطين هي مشكلة استعمارية ولا يمكن أن تُحلَّ إلا كما حُلَّت المشاكل الاستعمارية، وكما حُلَّت المشكلة الجزائرية ... وأنتم تعرفون معنى الحل الجزائري من البداية إلى النهاية ... وقد أصبح من الضروري أن نشرع في حركة تحريرية تعتمد على جيش التحرير وسنبني هذا الجيش وستقوم حركة التحرير .

وحقق القدر أمانيه ... فبعد أن عاد إلى الوطن، عُهد إليه بإنشاء الكيان الفلسطيني، وقامت منظمة التحرير وجيش التحرير، وتجسدت الشخصية الفلسطينية . وفي ١٩٦٧/١٢/٢٤ قدّم استقالته كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وكممثل لفلسطين لدى جامعة الدول العربية .

وهكذا ختم (أحمد) سيرته في الأمم المتحدة باستقلال الجزائر، ووقف على منبر الأمم المتحدة مشيداً بانتصار الحرية، كما فعل قبل ذلك بالنسبة إلى المغرب وتونس .

في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية *

محمد عزة دروزة

في صباح الإثنين ٢ آذار / مارس ١٩٦٤ زارنا الأستاذ الشقيري في دمشق . وكان أذيع قبل خبر تكليفه من الجامعة العربية بالسعي إلى تهيئة أسباب إقامة كيان فلسطين وفقاً لما تقرر في مؤتمر القمة . وقد شجعناه على المضي في نشاطه وحبذنا ما اعتمده من الدعوة إلى مؤتمر فلسطيني ليختار لجنة تنفيذية ، ويُقرَّ الميثاق والنظام اللذين أعلنهما في نشرة خاصة . وقلنا له إنه أمام تحدّ ، وأمام أنظار الناس . وإن من واجبه لنفسه ولوطنه أن يبذل جهده في سبيل إقامة ذلك . وقد سُرَّ من التشجيع ، وقال إنه ماض في نشاطه إلى النهاية .

وقد سألناه عمّا إذا كان بينه وبين سماحة الحاج أمين الحسيني تشادّ؛ فنفى وقال إنه هو الذي رشَّحه ليكون ممثّلاً مع آخرين في مجلس الجامعة لفلسطين بعد شغور مركز فلسطين بوفاة المرحوم أحمد حلمي باشا . وإنه حينما رجع من القاهرة ثم من نيويورك التي ذهب إليها كممثل لفلسطين في بحث قضيتها في هيئة الأمم اجتمع إليه وطلب أن يتعاون معه . بل وأن يكون جهده في نطاق رعايته . وإن ما احتوته بيانات الحاج أمين كرئيس الهيئة العربية العليا ضد نشاطه ، هو نتيجة غيظ شخصي لأن مجلس الجامعة انتخبه وحده ممثلاً لفلسطين دون الاثنين الآخرين اللذين رشحهما الحاج معه وهما إميل الغوري وإسحق درويش .

ولقد كنت أتابع كل ذلك فكتبت للحاج أمين كتاباً في هذا الشأن ، فأخبرت الأستاذ الشقيري بمآل الكتاب [1] فارتاح لذلك أشدّ الارتياح .

وقد سألته عن رحلته إلى فلسطين ، فقال إنه قوبل مقابلات حماسية مشجعة من الملك والحكومة في الأردن والشعب في مختلف المدن والمخيمات في فلسطين والأردن ، ولم يشعر بأي انقباض ولا معارضة لفكرة المؤتمر ، وأنه عهد إلى الشيخ عبد الله غوشة والشيخ عبد الحميد السائح بدرس موضوع تشكيل لجنة تحضيرية ، واتفق معهم على بعض أسماء يتعاونون معهم مثل راسم الخالدي وعارف العارف وغيرهما .

وسألته عن ما كان من أمر غزة ، فقال إنه قوبل كذلك مقابلة حماسية ومشجعة دون معارضة . وأنه ألف هناك لجنة تحضيرية أيضاً .

وسألته عن مقابلاته مع أركان الحكومة السورية فقال إنها كانت مشجعة ، وأنه يعتقد أنهم سوف يؤيدون ويشجعون . وقال إن الفلسطينيين في دمشق يأتون زرافاً ويظهرون حماساً وتشجيعاً لفكرة المؤتمر ، وإنه اجتمع مع زكي التميمي مدير مكتب الهيئة العربية العليا في دمشق ، وأخبره أنه مستعد للتعاون مع المفتي ، وطلب منه أن يكتب له بذلك ، وسمّينا له بعض الأسماء لتتكون منهم لجنة تحضيرية ، مثل محمد الخضرا وحمدي النابلسي وفائز الكنفاني وحسن الشامي والشيخ توفيق إبراهيم والشيخ عبد الرحمن مراد .

وقد قال إنه سيذهب إلى بيروت ويجتمع مع المفتي ثانية رغم ما بدر منه ضده ، ويكرر عليه التعاون معه ، ويبذل جهده لتشكيل لجنة في بيروت ثم في العراق والسعودية والكويت .

وقد اقترحت عليه أن يضيف إلى النظام ما يلي :

١ - أن يكون من دوائر اللجنة التنفيذية دائرة عسكرية .

٢ - أن يتكوّن للّجنة مكتب من رئيس اللجنة وأمينها العام ، ورؤساء الدوائر ، ليجتمعوا أسبوعياً لبحث الأمور الطارئة والجارية الهامة التي لا تحتاج إلى اجتماع اللجنة التنفيذية بكاملها . وأن يكون للمكتب دعوة هذه اللجنة إلى اجتماعات فوق العادة إذا مسّت الحاجة .

٣ - أن ينص على وجوب انعقاد اللجنة التنفيذية مرة كل شهر أو كل شهرين ، بالإضافة إلى الاجتماعات فوق العادة التي تمس الحاجة إليها خلال ذلك .

٤ - أن ينص على إيجاد فروع أو مكاتب للمنظمة في العواصم العربية وفي عواصم الدول المهمة الأجنبية .

وقد نبّهناه إلى أهمية لجنة التنسيق بين اللجان التحضيرية ، ووجوب اختيارها من مختلف البلاد ومن أشخاص موثوقين ومرموقين . وإلى وجوب وضع مبلغ من المال تحت تصرفها لتيسير انعقاد المؤتمر . وإلى وجوب وضع مبلغ من المال كذلك تحت تصرف اللجنة التحضيرية لتيسير سفر المندوبين . وإلى وجوب تأمين سفر المندوبين مع الحكومات في سورية ولبنان وغزة والكويت والسعودية والعراق بسبب العراقيل التي توضع عادة أمام تنقلات الفلسطينيين .

ولقد أذاعت الهيئة العربية العليا أثناء وجود

(*) محمد عزة دروزة ، **في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية** ، بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، ١٩٧٢ ، ص ص ١٣٩ - ١٤٢ .

(١) لأهمية ما ورد في الكتاب المشار إليه أوردناه في نهاية هذه الشهادة .

الأستاذ الشقيري في دمشق بياناً ذكرت فيه أنه يتجاوز صلاحياته ، وأن مهمته هي الاستطلاع ثم الرجوع إلى مؤتمر القمة وليس عقد مؤتمر وانتخاب لجنة تنفيذية له . فزرنا الأستاذ الشقيري في فندقه في ٦٤/٣/٦ وحدّثناه في ذلك ولمحنا منه أنه هو الآخر ليس متأكداً من مهمته أهي استطلاعية أم تنفيذية . فاقترحنا عليه العودة إلى مصر ، ولا سيما أن لجنة ممثلي الملوك والرؤساء تنعقد في هذه الآونة ، وعرض ما جرى معه في جولاته في قطاع غزة والضفة الغربية والضفة الشرقية وسورية ، وإطلاعهم على ما وضعه من ميثاق ونظام ، وأخذ رأيهم في كل ذلك . وحملهم على توضيح مهمته ليمضي في نطاق ذلك حتى لا ينعقد المؤتمر ثم تذهب الجهود سُدى . ويحسن أن يخبرهم أن بعض الناس يحبّذون أن يجري انتخابات لمندوبي المؤتمر ، وأن ذلك مستحسن إن أمكن ، حتى ينقطع الاعتراض على المؤتمر في المستقبل .

وإذا حبّذوا ذلك حبذوه لحكوماتهم لتحقيقه؛ فتلقى اقتراحي بالموافقة مع التردد . ثم جاء لزيارتي ليلة ٦٤/٣/٧ ، فأكدت عليه كلامي فقال إنه مرتبط بموعد سفره إلى العراق ، وإنه أرسل رسالة إلى القاهرة وطلب من ممثلي الملوك والرؤساء جواباً عليها في العراق ، وإنه إذا لم يتلق الجواب فسيذهب إلى القاهرة . وكلامه يؤيد ما لمحناه من أنه ليس متأكداً من مهمته ، ومع ذلك فقد لمحنا أنه قد يسير في خطته في أمر التنفيذ والدعوة إلى المؤتمر وعقده ، ليجعل الحكومات والناس أمام أمر واقع . وقد أظهرنا عجبنا من عدم تعيين لجان تحضيرية في قطاع غزة وفلسطين وسورية ، فقال إنه مستحضر على الأسماء وسيتم ذلك في هذه الفترة . وقد أكدنا عليه ثانية بذل الجهد في عرض التعاون مع سماحة الحاج أمين الحسيني ، وأن يطلب منه ترشيح أسماء للّجان التحضيرية وللمؤتمر ، ويظهر استعداده للتفاهم معه على كل أمر من أمور المؤتمر ولجنته التنفيذية ، فوعد .

رسالة دروزة إلى الحاج أمين حول موقفه وحملته على الشقيري(*)

سماحة الأخ الكريم السيد أمين الحسيني حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فإني متابع لما تنشره الهيئة في هذه الحقبة من بيانات . وقد اطلعت على آخر بيان لما نشر في جريدة الكفاح العدد ١٨ شباط / فبراير ١٩٦٤ ، فرأيت من واجبي وإخلاصي للقضية ولسماحتكم معاً أن أكتب إليكم هذا الكتاب راجياً أن تستقبلوه بقبول حسن وآملاً أن يكون فيه الفائدة والصواب .

١ - إني ألمح في بيانات الهيئة العربية العليا ، وبخاصة في آخر بياناتها ، حملة شديدة على السيد أحمد الشقيري . ولم أطلع في الصحف ولا فيما نشر على لسانه ، ما يبرر ذلك .

ولقد علمتُ أن الهيئة رشّحته مع آخرين لتمثيل فلسطين في مجلس الجامعة بعد وفاة المرحوم أحمد حلمي باشا ، كما قرأتُ في بيان نُشر للهيئة أنها عيّنته رئيساً لوفد فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة . وهذا يعني أنكم منحتموه ثقتكم .

فإذا كان مجلس الجامعة ، قد اختاره مفرداً ليكون ممثل فلسطين في الجامعة ومفرداً لتشكيل وفد فلسطين إلى هيئة الأمم ، فهو على كل حال مؤيَّد بترشيحكم وثقتكم . ولقد كان تعيينه رئيساً لوفد هيئة الأمم من قِبَل الهيئة العربية بعد قرار مجلس الجامعة بذلك فكان هذا داعماً للقرار بشكل ما . فهل بدا منه شذوذ وانحراف جوهري بعد ذلك ، أوجب استحقاقه لهذه الحملة ، التي بلغَ فيها الغلوّ إلى حدّ اتهام جميع الحكومات العربية وملوكها ورؤسائها بأنهم قبلوا أن يكون ممثلاً لفلسطين في الجامعة ، وأوكلوا إليه إقامة كيان فلسطيني بقصد تصفية القضية الفلسطينية كما جاء في البيان الأخير ؟ لأني لا أريد أن أظن أو أفرض أو أصدق أنه استحق هذه الحملة منكم بسبب قبوله أن يكون ممثلاً لفلسطين في الجامعة وأمام هيئة الأمم بقرار مجلس الجامعة ، ثم أن يقوم بمهمة السعي لإقامة الكيان الفلسطيني بقرار مؤتمر القمة ، في حين أن الهيئة ترى أن التعيين من حقها أو من حق المجلس الأعلى لحكومة عموم فلسطين . لأن هذا يبدو أمراً شكلياً لا يبرر هذه الحملة . وقد كان ترشيح الهيئة له ليكون ممثلاً لفلسطين ولو مع غيره ، وتعيينها له رئيساً لوفد هيئة الأمم ولو بعد قرار الجامعة ، مانعاً أو مُسقطاً لكل ما يمكن أن يقوله أحد في حقه بالنسبة للفترة السابقة لذلك .

٢ - في بيان الهيئة الأخير ، ذُكر أن الهيئة علمت من أوثق المصادر أن المقصود من إقامة كيان فلسطين الذي تقرر في مؤتمر القمة ، هو إنشاء مكتب سياسي للنشاط في الأوساط الدولية دون أي عمل نضالي تحريري ،

(*) محمد عزة دروزة ، **في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية** ، بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٧٢ ، ص ص١٣٤ - ١٣٩ .

ويبدو أن هذا كان من الذرائع لتلك الحملة ، وكأنما هو من رأي وهدف السيد الشقيري ، وقد تكون المناقشة في أمر لم تتبين معالمه ، ولكن وقد قرأت تصريحات عديدة للسيد الشقيري في مجلة آخر ساعة ، ثم في جريدتي الحياة والكفاح ، أقول : إن هذه التصريحات واضحة كل الوضوح بأن الكيان المراد إقامته هو للعمل النضالي التحريري بقدر ما هو للعمل السياسي الدولي ، بل إن فحواه يفيد إيجاب العناية بالأمر الأول؛ لأنه الأشدّ والأساس والهدف . ولقد كنت اجتمعت به في دمشق قبل ثلاثة أشهر وحدثته فيما خطر لي من بعض الخطط النضالية ، ووجوب اعتبارها الهدف الجوهري الذي لا يمكن لغيره أن يحرر فلسطين أو يحرك قضيتها من جمودها؛ فأقسم لي أنه متفق معي على ذلك ، وأن هذا هو هدفه الأساسي الذي ينشط في سبيله .

وليس من الإنصاف أن يقال إن كل هذا منه دجل وكذب ومتاجرة . ومن الإنصاف أن يُنتظَر حتى يظهر الدليل على الصدق والكذب والجِدّ والدجل . وإذا كان هناك دليل صادق واقعي فيجب ذكره بوضوح حتى يكون الناس على بيّنة .

٣ - إن الهيئة تشدد في أن يكون الكيان المراد إنشاؤه ممثلاً صادقاً للشعب الفلسطيني . وهذا صواب وحق لا ريب فيهما . ولم أرَ في تصريحات السيد الشقيري شذوذاً عن ذلك ، وتصريحاته المنشورة في جريدة الحياة عدد الجمعة ٢١ شباط / فبراير تصريحات صريحة كل الصراحة وقوية كل القوة وشاملة كل الشمول في هذا الصدد ، ثم في صدد الأهداف التي سوف يعمل هذا الكيان لها في المجال النضالي وفي المجال الدولي ، وفي صدد استقلاله عن الحكومات العربية مع تعاونه معها . وفي صدد كونه للشعب الفلسطيني ومن الشعب الفلسطيني بحيث لا يمكن لأحد أن يزيد عليها شيئاً .

٤ - ولقد كنتم توافقون على أن يجتمع مجلس وطني مؤلف من عناصر تمثيلية ومعتمدة، على النمط الذي كانت تعقد في نطاقه مؤتمرات فلسطين وآخرها مؤتمر غزة ، فينتخب هيئات جديدة تمثل الشخصية الفلسطينية ويُحدد معالم الميثاق القومي ويؤيده ، ويكون هو بمثابة برلمان على نمط ما جرى في غزة . ثم رجعتم عن ذلك في بيانكم الأخير وشدّدتم على وجوب انبثاق هذا المجلس من انتخابات عامة حرة نزيهة بريئة من الضغط والاستغلال والترغيب والترهيب .. إلخ ، مُعلّلين ذلك بما تم من تصافي الملوك والرؤساء وزوال المانع . وقد يكون هذا حقاً جميلاً ومرغوباً فيه ، ولكني أتساءل : هل تعرفون أن هذه الشروط تحققت في أية بقعة من بقاع الدنيا حتى العريقة في الديموقراطية فضلاً عن البلاد العربية ؟ وهل تعتقدون حقاً أنها يمكن تحقيقها بالنسبة للفلسطينيين الذين يعيشون في ظل حكومات عديدة مختلفة النظم والعقائد والميول ؟ وهل لا يخطر ببالكم أن الناس الذين يعرفون كل ذلك ، حينما يقرأون هذه الشروط يتبادر لهم لأول وهلة أنها وُضعت لتكون ذريعة مسبّقة للاعتراض والطعن في أية نتيجة تنتج عن عملية انتخابية عامة ، إذا لم تأت كما تشتهون حتى ولو جرت تحت إشراف لجنة الجامعة لأنها على كل حال تُتَّهم بأنها مماشية لعواطف وميول حكوماتها ؟

وهل تجهلون أن الانتخابات بالنسبة للفلسطينيين بنوع خاص ، الذين طوحت بهم النكبة وتقاسمتهم الأهواء وتشتتوا تحت كل كوكب ، وشعروا بضياع أليم ، سوف يرافقها أهواء وميول ومهاترات وتيارات وانقسامات أكثر بكثير مما قد يكون من مثل ذلك بالنسبة لأهل بلد مستقرّين . وسوف تأتي بكل ذلك إلى المجلس الذي يجتمع فيه المندوبون ، ولن يكون لمثل هذا المجلس وما ينبثق عنه من هيئات أيُّ قدرة على عمل منتج في المجال السياسي وبخاصة في المجال النضالي؛ لأن العمل يحتاج إلى تواثق وانسجام ، ومن المتعذّر جداً أن يكونا مضمونين في انتخابات تجري في مثل هذه الظروف وما يرافقها .

هذا في حين أن فكرة المجلس الوطني الأول الذي يتألف من عناصر معبرة وتمثيلية ونقابية واعية تظل أقل احتمالاً لمثل تلك المشاهد الأليمة ، وأكثر احتمالاً للانسجام والتضامن والإنتاج . ومن الممكن أن تكون لجنة تحضيرية من أشخاص معروفين بالنزاهة والحصافة والمعرفة ، من مختلف المناطق التي فيها فلسطينيون ، لتأمين ودعوة هذه العناصر . ومع ذلك فإن فكرة الانتخابات ليست مستبعدة في خطط الشقيري . وقد ذكرها في جملة ما ذكره من الوسائل . والأمر موكول إلى ما يتفق أهل الحل والعقد من الفلسطينيين على أنه الأفضل والأكثر إمكاناً وإنتاجاً ، والأقل إزعاجاً ومشاهد مريرة .

٥ - وهناك نقطة حسّاسة أريد أن أتعرض لها . فقد يقال ولماذا يتجاهل مجلس الجامعة ثم مؤتمر القمة الهيئة العربية العليا وسماحة رئيسها ، وهم الذين شغلوا فراغ العمل لقضية فلسطين طيلة العشرين سنة ومثلوا فلسطين ، واعترفت بذلك الحكومات العربية والجامعة العربية وهيئة الأمم في وقت من الأوقات ؟

وقد يكون هذا حقاً ، غير أن الجميع يعرفون أن التواثق والانسجام مفقودان بين كثير من الحكومات

العربية ولا سيما المؤثرة منها وبين الهيئة وسماحة رئيسها ، شئنا الاعتراف بذلك أم أبينا ، لأنه واقع لا يمكن إنكاره . ولو سلّمنا أنه ناشئ عن سوء تفاهم وأسباب باطلة ووشايات ودسائس وتضليل . وقضية فلسطين لا يمكن أن تستغني عن الحكومات العربية والانسجام والتواثق بين هذه الحكومات ، والذين يضطلعون بالعمل في سبيل هذه القضية شرط لا بدّ منه إذا كان يراد لهذا العمل أن يكون منتجاً في مختلف المجالات ، ولا يمكن أن يُفرضا فرضاً على كل حال .

وخلاصة القول إننا اليوم أمام فرصة ذهبية وهي موافقة جميع الحكومات العربية وملوكها ورؤسائها على قيام كيانٍ فلسطيني ، وإبراز الشخصية الفلسطينية ، وتمكينها من العمل في سبيل تحرير فلسطين والدفاع عن قضيتها في مختلف المجالات ، وإظهارهم الاستعداد للاعتراف به وتعضيده . وكان عدم الإجماع على ذلك هو الذي يعقّد القضية ولا سيما رفض الأردن الذي يعيش في ظل حكومته ثلاثة أرباع الفلسطينيين . وكل موقف أو مطلب أو نشاط مؤدّ إلى تعطيل أو إضاعة هذه الفرصة وإغراقها في البلبلة ضار أعظم ضرر لقضية فلسطين ، التي كرّستم حياتكم وجهودكم لها . وأعيذكم بالله وأناشدكم دينكم وإخلاصكم وضميركم وجهادكم أن لايكون ذلك منكم ولا ممن يعملون معكم بأمركم أو برضائكم في أي حال .

وأحمد الشقيري بعد ليس قائداً عاماً ، وليس رئيساً ، وليس صاحب سلطة ونفوذ . وإنما هو مجرد وسيط ومنفذ مؤقت إلى أن تتم إقامة الكيان الفلسطيني ، فينتهي دوره الحاضر من جميع الوجوه وتعود الأمور إلى هذا الكيان .

وهو يقول هذا ، ويقول معه إن هذا الكيان يجب أن ينبثق من الشعب ، وأن يكون ممثلاً للشعب وأن تكون القيادة فيه جماعية ، وإنه لن يكون تابعاً للحكومات ، وسوف يكون مستقلاً يستعين بالحكومات والشعوب العربية والصديقة ، ويكون الأساس فيه الشعب الفلسطيني . وهو يعلن أن لديه مخططات ومشاريع سوف يعرضها على الجميع ويتعاون فيها مع الجميع ، ويسير في إتمام المهمة الموكولة إليه وفق ما يتفق عليه ويجده أهل الحلّ والعقد من الفلسطينيين .

فالواجب في اعتقادي والمصلحة العامة يقضيان علينا جميعاً ، ومن جملتهم الهيئة العربية أن تمشي معه إلى آخر الشوط ، وتدرس ما عنده وتتعاون معه على إتمام المهمة المؤقتة الموكولة إليه ، مادام أن الحكومات العربية ومؤتمر القمة قد انتدبوه لها بالإجماع ، ومادام الانسجام والتوافق مع هذه الحكومات لا بد منه لنجاح أي عمل سياسي وتحريري . وما دمنا في أمسّ الحاجة إلى مساعدة وتعضيد هذه الحكومات ، وما دام هو ملتزماً بالعهود التي يقطعها على نفسه ، وليس في يدنا دليل على مراوغته فيها إلى أن تتم إقامة الكيان الممثل للشعب على أفضل الأسس الممكنة ، حيث يأخذ هذا الكيان بعد ذلك الزمام ويسير قدماً إن شاء الله في سبيل الغايات المنشودة وأهمها النضال التحريري ، فبهذا فقط نتجنب الانقسام والبلبلة ولا نضيع الفرصة الذهبية السانحة أو نؤخر الانتفاع بها ، ولا سيما أن هناك جماعات كثيرة في مختلف المناطق التي فيها فلسطينيون يرون هذا هو الأصلح المعقول . والله المسؤول أن يسدد خطانا جميعاً نحو أفضل السبل ، وأن يجنبنا الانقسام والمزالق والبلبلة ، وأن يوفقنا إلى اغتنام هذه الفرصة التي نرجوه أن يجعلها سعيدة ميمونة على قضيتنا الغالية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفلسطيني بين التيه والدولة *

شفيق الحوت

من المعروف أن فلسطين قد قُبلت عضواً في جامعة الدول العربية منذ تأسيسها . كان حكام العرب مبالغين في تفاؤلهم بقرب استقلال فلسطين ، فوضعوا نصاً في ملحق خاص بها جاء فيه « يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله إلى أن يتمتع هذا القطر بالاستقلال » . ومن الذين تعاقبوا على هذا المنصب بالتوالي ، السيد موسى العلمي ، والحاج أمين الحسيني ، ثم أحمد حلمي باشا رئيس حكومة عموم فلسطين .

غير أن هذه الحكومة ، لأكثر من سبب ، لم تستطع الصمود ، وتحولت إلى جهاز رمزي لا يملك ولا يحكم ، وبقيت أوضاع فلسطين في جامعة الدول العربية بنداً مستمر الإدراج ، مستمر الإهمال . لم يكن بين الدول العربية من هو متحمس لتطوير تلك الأوضاع بالسماح للفلسطينيين بتنظيم شؤونهم وإبراز كيانهم .

في أيلول / سبتمبر من عام ١٩٦٣ ، أي قبل ثلاثة أشهر من خطاب عبد الناصر ودعوته لمؤتمر القمة ، اتصلت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالسيد أحمد الشقيري ، الذي كان قد أقيل مؤخراً من رئاسة الوفد السعودي لدى الأمم المتحدة ، وأبلغته عن رغبة أكثرية الدول الأعضاء في تسميته ممثلاً لفلسطين لدى مجلس الجامعة .

وكان الشقيري ، وهو الذكي الطموح ، مدركاً لما كان يعتمل في نفوس الفلسطينيين ، مطّلعاً على بعض تحركاتهم وتنظيماتهم . كما كان يعرف تمام المعرفة دهاليز الجامعة العربية وزواريب العمل العربي الرسمي ومتاهاته .

ومهما اختلف أي فلسطيني مع الشقيري في رأي أو اجتهاد أو في أسلوب في العمل ، إلا أنه لا يستطيع - إن توخّى وجه الله والحقيقة - إلا أن يشهد للرجل بدوره الكبير الذي قام به من أجل بعث الكيان الفلسطيني وإحياء شخصية شعب فلسطين الوطنية . ولو عرف بعض من هاجموه بقسوة وهاجموا معه « فكرة » منظمة التحرير الفلسطينية فنعتوها بشتى الصفات الظالمة ، وما كان يعانيه الشقيري في سبيل إقامة تلك المنظمة من قبل الحكام والحكومات العربية ، لأدركوا مدى ما كانوا مُتجنّين .

ولكن الذي يغفر لنا كلنا أخطاءنا في تلك المرحلة ، هو ذلك الفراغ وذلك التمزق الذي عشناه ما بين مرحلة التيه ومرحلة القومية ، وذاك الانقطاع بين مجموعات شعبنا وجهلنا ببعضنا البعض كأفراد وتنظيمات وأحزاب . وأخيراً ذاك السيل من الإعلام غير المسؤول الذي كان ينهال كالسياط ، يصنف هذا عميلاً وذلك مأجوراً إلى آخر ما عرفنا وسمعنا من أنماط التصنيفات في تلك الأيام .

إذن ، فالشقيري باعتباره ممثلاً لفلسطين في الجامعة هو المرشح لتمثيل فلسطين في مؤتمر القمة . ولكن السؤال لم يكن « من سيمثل فلسطين ؟ » ولكنه كان « هل ستمثل فلسطين في مؤتمر الملوك والرؤساء وهي التي لا ملك لها ولا رئيس ؟ »

من يصدق اليوم أن قضية فلسطين كانت قد وصلت إلى هذا المستوى في عام ١٩٦٣ ؟

وبالفعل قامت بأوساط الجامعة ضجة حول هذا الأمر ، خصوصاً وأن الأردن والسعودية بالإضافة إلى موقفهما المتشابه آنئذ من قضية فلسطين وكيانها ، كان لهما موقفهما الخاص من الشقيري بالذات ، وعندما اتضح بأن أكثرية الدول العربية توافق على تمثيل فلسطين في المؤتمر وبدعم خاص من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الجزائرية الفتية ، فقد تمت دعوة فلسطين بشخص الشقيري ، مع ملاحظة بروتوكولية تحرم الشقيري من الجلوس على كرسي مماثل لكراسي الملوك والرؤساء ، وعلى أن يكون الكرسي متخلفاً بعض الشيء عن كراسي البقية من الحكام ! .

وخاض الشقيري معركة « الكيان » داخل مؤتمر القمة ، والمستمعون يتراوحون بين متحفظ من هذه الفكرة وآخر غير مبال ، وثالث يميل ببعض العطف لكن لا يريد إبداءه على حساب علاقاته مع غيره من الحكام !

وانشغل الملوك والرؤساء بقضية مجرى نهر الأردن وبقضاياهم الثنائية ، وخرج المؤتمر في النهاية بمجموعة من التوصيات يهمنا منها ثلاثة أو أربعة سطور وهي :

« يستمر السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول إلى إقامة القواعد

(*) شفيق الحوت ، **الفلسطيني بين التيه والدولة** ، بيروت : المؤلف ، ١٩٧٧ ، ص ص ٥٧ - ٧١ .

السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني ، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » . هذه توصية عامة لا ذكر فيها لكلمة « كيان » أو « منظمة » أو « شخصية » أو أي شيء من هذا القبيل . وهي عامة وغامضة وترجح الاتصال بالدول الأعضاء وتعطيه أولوية على الشعب صاحب القضية .

وكان الله في عون الشقيري .

فمن ورائه شعب لا يرحم يريده أن يقول « للكيان » كن فيكون ، ووفق تأملات وخيالات لا حدود لها ، ومن أمامه حكام لا يرحمون ، ولكل هواه ولكل سياسته وتحالفاته ونكاياته .

وبهمة يحسد عليها من كان في عمره ، راح الشقيري يسعى ، وفي حقيبته مسودة لميثاق قومي ، ولنظام أساسي لما عرف فيما بعد بمنظمة التحرير الفلسطينية . انطلق من القاهرة بعد أن أعطته ضوءاً أخضر بأن لا مانع لديها من مثل هذه الخطوة . وَحَطَّ في عمان حيث كانت أضخم العقبات وأصعبها . وهي موقف النظام هناك من قضية هذا الكيان ، الذي إن شمل فيما يشمل « الأرض » ، فمعنى ذلك انسلاخ الضفة الغربية وتجزئة المملكة الأردنية .

وَيله إن أغضب الملك حسين بتضمين ذلك في مشروعه ، وويله من نظام البعث في سورية (عهد أمين الحافظ) إن هو ألغاها من مشروعه . وكان حكام سورية آنئذ يصرون على أن لا كيان بدون أرض ، وأن الأرض موجودة وعلى الملك حسين أن يتخلى عن الضفة الغربية ، وأن يتخلى عبد الناصر عن غزة . ولا أذكر أنهم أشاروا في هذا الصدد إلى منطقة « الحمّة » التي كانت أيامها في عهدة النظام السوري !

لقد كان الشقيري كمن يريد أن ينجو من البلل وهو يمشي تحت الرذاذ ، بل وأحياناً تحت سماء فتحت كل قِرَبها . وبأسلوب العارف بطبيعة الحكام ، واعتماداً على تأييد جماهيري عارم لم تخفف منه حدة « المعارضة » الفلسطينية ، استطاع الشقيري أن ينتزع موافقة العديد من العواصم العربية . وكان يستغل جولته العربية للاتصال بجموع الفلسطينيين هناك ، ليتداول معهم في مشروعه الذي يحمله في حقيبته ، وفي فكرة عقد المؤتمر الوطني الأول لتشريع هذا المشروع ونقله من الحقيبة إلى أرض الواقع .

ومرة ثانية أحب أن أنصف الرجل ، فأقول إنه أمام إصراره وعناده في سبيل إقامة منظمة التحرير ، كإطار سياسي للكيان الفلسطيني انقسمت المعارضة الفلسطينية بين مؤيد متحفظ يريد للتجربة أن تأخذ مداها وأن يلعب دوره من داخل الإطار لا من خارجه ، وبين معارضة تبدو اليوم كم كانت طفولية أو مثالية ، لرفضها كل شيء .

واختارت « ج . ت . ف . » وأنا من ضمنها موقف المؤيد المتحفظ ، وانطلقنا ندعو لضرورة دعم مشروع المنظمة بتغليب عنصر « الشباب » على التقليديين . ورفعنا يومها شعار : « الشرعية ثم الثورية » . وقلنا إن « الموقف الفلسطيني » نفسه هو وحده القادر على تثوير المنظمة وتطويرها إن هو أراد ، وإن السلبية والمقاطعة والمعارضة غير المسؤولة ، إن نجحت ، فسيبقى الفلسطيني على حاله ، بلا عنوان ، بلا تنظيم ، بلا كيان . وقلنا إن قيام منظمة التحرير لا يعارض ولا يجوز أن يتعارض مع ما هو قائم من تنظيمات وجبهات ، وإن على هذه كلها أن تشارك في المؤتمر التأسيسي وأن تقول كلمتها في الميثاق والنظام وفي كل ما سيتخذ من قرارات وتوصيات . وكنا أول من أطلق على منظمة التحرير أنها « الإطار السياسي » والبديل للأرض الذي يلتقي عليه الفلسطينيون ليحددوا مسارهم النضالي » .

وأخيراً .. والتحفظ يلف كل خطوات الشقيري ، عربياً وفلسطينياً ، تمكنت « اللجنة التحضيرية لتشكيل المجلس الوطني » برئاسة الشقيري بالطبع ، من اختيار أعضاء المجلس الوطني وتحديد موعد ومكان اجتماعه ، في الثامن والعشرين من أيار / مايو ١٩٦٤ في مدينة القدس .

وللحق أنه لو ترك الأمر للشقيري لدعا كل شعب فلسطين لذلك المؤتمر ، وأن أي فلسطيني لم يحضر ، إنما كان بسبب موقف منه .

وكان ذلك اللقاء التاريخي في فندق « انتركونتيننتال » فوق إحدى روابي مدينة التاريخ التي كَلّ منها التاريخ ولم تكِلّ هي منه .

ولأول مرة ، بعد ست عشرة سنة ، من الشتات والتيه والتمزق يلتقي الفلسطينيون مع بعضهم ، وهم حيارى بين نشوة اللقاء وفرحة جمع الشمل ، وبين القلق من هذه القفزة الخطرة إلى مستوى تحمل المسؤولية الوطنية .

وكان القلق يزداد بنا ويستبد بصدورنا ونحن نرى هذا الحشد من رجال النظام الأردني من مخابرات وسياسيين . ولكن بازدياد مشاعر القلق هذه كان بالمقابل ، يزداد الإحساس بالواجب وضرورة التحدي وإثبات الذات .. وأهم من هذا كله الخروج بقرار إعلان قيام الكيان ، قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، عنواناً ورمزاً للشخصية الفلسطينية الوطنية وناطقاً باسم شعب فلسطين .

كانت أياماً كلها تاريخ .. حركة دائبة ، نقاش مستمر

، شكوك لا تنقطع ، مؤامرات لا تنتهي ، وتهديدات تتراوح بين التلميح والتصريح ، ولجان تسجل وتشطب وتطبع ، ثم تلغى وتسجل من جديد .

لم نكن نعيش أو نحيا ، وإنما كنا كلنا في حالة روحية تحركنا بوعي ومن دون وعي للمضيّ قُدُماً ، وتذليل كل عقبة وتفويت كل فرصة تخريب .

ووصلنا أخيراً ، وفي جلسة الختام أعلن المؤتمر الوطني قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد أن أقر ميثاقها ونظامها الأساسي ، وانتخب الشقيري أول رئيس لأول لجنة تنفيذية للمنظمة .

انتهينا من الشرعية الفلسطينية وبقي أمام المنظمة انتزاع شرعيتها العربية ، ولم يكن ذلك بالسهل ، لا سيما وأن السعودية غابت عن ذلك المؤتمر ، وحالت دون السماح للفلسطينيين عندها من المشاركة فيه . كما كان النظام السوري وقتها لم يكن مرتاحاً لهذه المنظمة ، وكان يعتبرها « جهازاً » جديداً من أجهزة عبدالناصر .

وتركنا القدس ، بعد أن وضعنا ، وفي أيار / مايو ١٩٦٤ أول لبنة في صرح الشخصية الفلسطينية التي كانت قد تهدمت في أيار / مايو نفسه من عام ١٩٤٨ . عجيب دور أيار هذا في تاريخ فلسطين ! .

ومن القدس إلى الإسكندرية ، وإلى « فندق فلسطين » بالذات لطرح « كيان فلسطين » على الملوك والرؤساء العرب الذين كانوا على موعد مع قمتهم الثانية يوم الخامس من أيلول / سبتمبر ١٩٦٤ .

وبين الموقف السعودي الذي لا يريد الكيان ولا الشقيري والموقف السوري الذي يريد كياناً بأرض فوقها جيش مسلح ، كادت تنفرط القضية لتبقى فلسطين فندقاً يطل على شواطئ البحر من الإسكندرية ، بدلاً من أن تتحول إلى كيان من لحم ودم ومؤسسات وقيادات وقواعد .

وتدخَّل يومها عبد الناصر وبن بيلا وعبد السلام عارف ، وهدأت الأجواء وتم الاعتراف العربي الرسمي بالكيان الفلسطيني . وبمبادرة عراقية أريحية تبرع الأثرياء من الحضور بخمسة ملايين دينار كانت أول دفعة في الصندوق القومي الفلسطيني .

وانطلقت قيادة المنظمة برئاسة أحمد الشقيري لتبني من الصفر أو ما دونه ما يستلزمه الكيان من مؤسسات ودوائر وقوات مسلحة ، واتخذت من القدس مقراً لها ، وافتتحت مكاتب للمنظمة في العواصم العربية ، واخترت من بين من اختيروا لأمثل المنظمة في مكتب لبنان .

ومن مكتبي في مجلة الحوادث على كورنيش المزرعة ، انتقلت إلى مكتبي في منظمة التحرير على بعد ثلاثمئة متر على نفس الكورنيش .

ولم يَدُر بخلدي وقتئذٍ كم ستجرني بعيداً هذه الثلاثمئة متر عما كان يمكن أن تكون عليه حياتي لو بقيت في « الحوادث » مكتفياً بالكتابة والتعليق ، غير طامح بممارسة ما كنت أكتب وأقول ، باليد واللسان والدم .

وبدأنا معاناة « المسؤول » الذي لا يملك « الصلاحيات » أو « الإمكانيات » وتتطلع إليه الأبصار وكأنه يمتلك العصا السحرية ، وليس عليه إلا أن يحركها ليأتي بالمعجزات . وشعب فلسطين شعب صعب ، معطاء وكريم ولكنه كله من القادة والرؤساء . وهو يستعجل التحرير ، وهذا حق ، ولكن ما كان ، وأنا منه ، ليدرك أن الجنين يفد إلى هذه الدنيا بمجرد التقاء النطفة ببويضة الرحم ، وأنه لا بد من مرور تسعة أشهر . ما كان يدرك أن مجرد رفع « علم فلسطين » فوق أي مكتب من مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية يحتاج إلى عراك طويل عريض مع الدولة المضيفة ، وكأن سماء العرب الطافحة بسواري الرايات القطرية قد ضاقت براية فلسطين ! سقت ذلك مثلاً ، ليتأمل القارئ بعد ذلك كم كانت صعبة وشائكة طريق بناء المنظمة ، ناهيك عن تطويرها كما كانت جماهيرنا تطالب وتلح بالطلب .

وإذا كان للمنظمة ما تعاني منه بالنسبة للحكومات العربية ، فلقد كان لنا نحن « الشباب » داخلها ما نعاني منه بالنسبة لرئيسها .

وليس هدفي هنا سرد تفاصيل الصراع داخل منظمة التحرير بين عقليتين متباعدتين ، وإنما لا بد من لمحة عن ذلك من أجل سياق ما نكتب عنه من معاناة « الفلسطيني الوطني » .

وحاشا أن أقصد التجريح بأحد ، فلقد علمتني دروس الحياة النضالية التي خضتها ولا أزال في خضمها ، أن أترفع عن المهاترة والتشهير وقذف الوحل .

فالشقيري ، وكان رمز العقلية التي كنت في خندق مجابهتها مع رفاق لي من جيل ما بعد النكبة ، كان بحكم عمره وتكوينه السياسي بعيداً ، بل وكارهاً ، لهذا الجيل الجديد الذي في الساحة الفلسطينية والمتجسد بالتكتلات والتنظيمات وبقايا الأحزاب .

ومما ضاعف في موقفه السلبي من هؤلاء ، وكنا نحن منهم ، رغبته في الانفراد بالسلطة . كنا ، وغيرنا من حوله ، نحاول جاهدين تحويل المنظمة إلى بنيان شعبي ، له روافده وقنواته مع جماهير الشعب ، ولكنه كان يريدنا « ديكوراً » من حوله ، وسعاة ودعاة لما يقرر وما يريد .

وكان مما يزيد من حرجنا نحن « الشباب » أمران اثنان :

- الأول أننا بررنا دخولنا في المنظمة ، مختلفين في ذلك عمن كنا معهم في المعارضة ، وبالدعوة الإيجابية للعمل من الداخل . وكان ذلك التزاماً أدبياً أمام أصدقائنا وإخوتنا ممن آثروا التريّث ورصد تجربتنا الخاصة .

- والثاني أننا أقدمنا بكل الصدق والأمانة على حل تنظيمنا « ج . ت . ف . » على أمل أن يكون « التنظيم الشعبي » في المنظمة هو الوعاء والبوتقة التي تصهر وتُوحد جميع التنظيمات ، لتكتشف بعدئذٍ أن الشقيري ليس جاداً بإقامة هذا التنظيم ، مما أحرجنا أمام رفاقنا في التنظيم المنحل الأمر الذي دفع البعض لمحاولة لملمَته من جديد وإن كان الأوان قد فات .

أما الشقيري فلقد ازداد تعنّتا وهو يرى الشعبية المتعاظمة للتنظيمات السرية بين صفوف الفلسطينيين ، وخصوصاً بالنسبة لحركة « فتح » بالذات التي كانت قد أعلنت عن انطلاق رصاصتها الأولى في اليوم الأول من الشهر الأول من عام ١٩٦٥ .

ولم نكن يومها نرى وجهة نظر « فتح » ولم نُقرّها على انطلاقتها في خوض الكفاح المسلح . كنا نخشى من التورط في حرب غير متكافئة ، وكان عبد الناصر بالنسبة إلينا هو المعيار وهو البوصلة ، ولم يكن يريد حرباً آنئذ ، ولكنه في نفس الوقت كان قد بدأ حواراً سرياً مع أركان فتح في محاولة لفهمهم وللتفاهم معهم .

وكنا بين الشاقوفين : شاقوف الشقيري وأسلوبه المتخلف في البناء الثوري ، وشاقوف العمل الفدائي الذي كنا نخشى خطأ توقيته .

ووصل صراعنا مع الشقيري إلى ذروته بين أواخر ٦٦ و ١٩٦٧ ، وبلغ الأمر أن حلَّ اللجنة التنفيذية ليخرج منها أحمد السعدي وأحمد صدقي الدجاني وكاتب هذه السطور . ويومها تضامن معنا عدد من كبار العاملين في المنظمة مثل راجي صهيون وصلاح الدين الدباغ وغيرهما .

ولعل آخر ما اختلفنا مع الشقيري عليه كان حول تشكيله لمجلس وهمي أسماه « مجلس الثورة » ، وذلك في محاولة يائسة منه لإقناع الجماهير بأن المنظمة على ما يتمنون لها من تحرك واستعداد ، فأبرقنا له يومها ثلاثتنا ، نشجب تصرفه ونعتبره غير مسؤول .

كان ذلك في العاشر من شباط / فبراير ١٩٦٧ ، وفي ١٧ من نفس الشهر ، أطلق مجهولون عليّ النار بهدف اغتيالي ولكن الله لطف ، وجاءت الإصابة طفيفة ، وكانت تلك أولى المحاولات ولكنها لم تكن الأخيرة .

وكان بديهياً أن يربط بعض المعلقين بين هذه المحاولة وبين ما كان بيننا وبين الشقيري من خلاف وصل حد المطالبة بتنحيته ، وقد نفيت ذلك في حينه ، واتهمت من كان يريد استثمار خلافنا ليتآمر على منظمة التحرير كلها .

وستبقى الحقيقة الكاملة سراً إلى أن تكشف الظروف ملابساتها . فلقد كنا في تلك المرحلة قد دخلنا في طور من النضال خلق لنا أكثر من عدو وأكثر من جهة تتمنى وتسعى للخلاص منا . ولكنها الأعمار تبقى بيد من أعطاها لا تطول ولا تقصر عن يومها الموعود .

ومن شباط / فبراير حتى حزيران / يونيو بقيت أوضاع المنظمة مخلخلة بين شد وجذب حتى وقعت الواقعة وكانت هزيمة حزيران ، أو حرب (الأيام الستة) التي كانت في حقيقتها حرب « السنوات الست » لأن أولى معاركها ابتدأت يوم جريمة الانفصال وانفكاك الجبهتين الجنوبية والشمالية .

وكما تركت تلك الكارثة آثارها على مجموع الأمة العربية ، فكان أكثر من بديهي أن تكون أعمق آثارها على الشعب الفلسطيني بالذات وعلى منظمة التحرير بشكل خاص .

وأطلّت من بين الركام الحزين والرايات المنكَّسة والنفسية المحبطة حتى الموت ، بيارق « الفلسطيني الثائر » .

الفلسطيني الثائر

لا أعتزم خوض أي حوار حول « متى » بدأت ثورة الفلسطيني ، لنحدد بعد ذلك « متى » بدأت مرحلة « الفلسطيني الثائر » . في يقيني أن انطلاقة الثورة أو الإعلان عن انطلاقتها ، لا يعني بالضرورة أننا أصبحنا فعلاً ثورة وثواراً . وأرجو أن لا يفهم من هذا الكلام أي تقليل من شأن الانطلاقة أو الإعلان عنها . فتلك كانت بداية شرارة . وكان لا بد من مشوار شاق على الطريق ، ومن ظروف تتهيأ ، ومن معطيات تتوفر ، ومن مبادرات وممارسات تنفذ ، حتى تستحق الثورة اسمها فتنسب المرحلة عندئذٍ إليها .

فإذا كانت « الثورة » تعني « رفض الواقع والكفاح لتغييره » ، فالفلسطيني عندئذٍ ، وبهذا التحديد ، ثائر وابن ثائر منذ وعد بلفور عام ١٩١٧ ، لأنه منذ ذلك اليوم المشؤوم وهو يتابع مقاومته للاستعمار والصهيونية ، سالكاً كل السبل ومعتمداً كل الوسائل المتاحة . أضربَ وتظاهرَ وحملَ السلاح وعصى اللوائح المدنية و .. لم يترك طريقاً إلا واتبعه حتى وقعت المأساة بالهزيمة العسكرية ، والتواطؤ السياسي في ذلك الأيار / مايو من عام ١٩٤٨ .

وهو أيضاً ، وكما أشرنا في الفصول السابقة ، وطيلة مراحل تشرده في التيه ، وتمزقه في التيار القومي ، ثم في مرحلة بناء شخصيته الوطنية الشرعية ، كان ثائراً يرفض واقعه ويحاول تغييره ، ويتحمل في سبيل ذلك شتّى أنواع العَسف والقمع والإرهاب .

ولكن إذا كان المقصود من كلمة « ثورة » هو اعتماد « البندقية » سبيلاً لتغيير الواقع ، فلا شك عندئذٍ أن الفلسطيني قد سجل هذا الموقف بالإعلان عنه وبالممارسة ليلة انسلاخ عام ١٩٦٥ عن العام الذي سبقه ، وفي لحظة كانت جموع غفيرة في دنيا العرب من المحسوبين على قيادات هذه الأمة ، من رسميين وغير رسميين ، يشربون الأنخاب احتفاء برأس السنة مع التمنيات بأن يكون العام المقبل عام ١٩٦٥ ، عام « الخير والبركات » . !

غير أن تلك الرصاصة وذلك الإعلان لم يؤخذا على محمل الجد وإن أثارا الحماسة والفضول . وقيل يومها الكثير في تلك الرصاصة وذلك الإعلان ، وتراوح القول بين التشكيك الرهيب بأصحاب الرصاصة والإعلان ، وبين التهويل بالمديح واعتبارهم ثوار الأمة وقادتها الجدد . وبين هذا وذاك يندرج مسلسل من الآراء والتفسيرات .

وكما أشرت ، لقد كانت وقفتنا من « فتح » ورصاصتها وقفة متحفظة ، لا بسبب خشيتنا من « التورط » بحرب لسنا على استعداد لها كأمة وحسب ، وإنما أيضاً بسبب غموض هويتها السياسية وما كان يصدر عنها من « أدبيات » سلبية بالنسبة لمفاهيمنا القومية والتقدمية . وبقيت علاقاتنا معها تنمو مع التجربة ، موقفاً موقفاً ، وخطوة خطوة . تتأرجح نحو التقدم وتَكِشُّ حيناً آخر . وقد عُكِسَ ذلك على موقفنا داخل منظمة التحرير ، وباتت المقارنة بين قادة « فتح » والتنظيمات بشكل عام ، وبين قادة منظمة التحرير مصدر أرق وقلق مستمرين لنا ، مما حفزنا للإسراع بالصدام مع الشقيري الذي كان يطبخ على « شمعة » ونحن نريدها في « الحَلّة » المضغوطة .

أريد أن أخلص من هذا التكرار للقول بأننا حتى ذلك الحين ، أي بعد أكثر من سنة على الانطلاقة المسلحة لم نكن بعد - كشعب - قد دخلنا مرحلة « الفلسطيني الثائر » وإن كنا على عتباتها .

ونوالي سرد الأحداث الفاعلة ، كما عشناها وبقدر ما تسمح به الذاكرة المنهكة بما تحمل من ذكريات . وكنت أحيا تلك الأحداث وأرقبها ، وأساهم بقدر في صنعها من موقعي كعضو « مُقال » من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير و « منقول » بقرار من الشقيري لإدارة « مكتب » المنظمة في الهند ، التي كانت حينئذ لم يُسمع بعد بأن للمنظمة مكتباً فيها !

كان الجو داخل المنظمة غاية في التوتر ، وإلى جانبها كانت الاتصالات والاجتماعات يومية مع ممثلي مختلف التنظيمات (وما كان أكثرها !) ، وذلك بقصد البحث عن الصيغة التي يمكن من خلالها إنقاذ المنظمة وتوأمة النضال بين الشرعية والثورية ، وبين المسؤولية السياسية والمسؤولية القتالية . وفي ملفاتي مئات الأوراق ومشروعات البيانات وخطط العمل ، التي تم الاتفاق عليها ولكنها لم تر النور .

حقا إن لكل شيء أواناً ، مهما حاولت أن تستقدم أو تستأخر . وما كان بقدرة أي منا أن يحقق تلك الوحدة بين المنظمات ، وأن يحقق التزاوج بينها وبين منظمة التحرير . حتى وقعت المأساة الثانية عام ١٩٦٧ ، فهزت كل ما في الساحة العربية من قناعات ، ومهدت لأية قوة تغييرية أن تقفز إلى أي موقع تختار . كفر الناس بكل ما هو قائم ، باستثناء عبد الناصر الذي سيبقى في التاريخ أقرب إلى الظاهرة منه إلى الحاكم أو المسؤول العابر .

وما أن صحونا من الوجوم حتى تطلّع الجميع إلى ضرورة الحسم في تغيير بنية المنظمة وقياداتها .

يقول الشقيري في الفصل الأخير من مذكراته « الهزيمة الكبرى » ، معللاً في « استقالته أو إقالته » بأسباب عربية ، ولا سيما بسبب موقفه في مؤتمر الخرطوم وانسحابه في اليوم قبل الأخير ، وينحى باللائمة على مصر وجريدة « الأهرام » ، التي باتت تبرز أخبار معارضيه والمطالبين بتنحيته . ويسوق أسباباً أخرى مثل « عدم انشراح » بورقيبة وفيصل للتعاون معه ، وغير ذلك من الأسباب .

وقد يكون على حق فيما ذهب إليه ، ولكننا نختلف معه لإغفاله « السبب » الفلسطيني في « استقالته أو إقالته » . وفي رأينا أنه لولا ذلك « السبب » لما كان باستطاعة الأسباب العربية - على أهميتها - أن تنحيه عن منصبه .

في الخرطوم ، وقد شاركته في أعمال مؤتمرها الشهير ، وإن كان لم يمرّ على ذِكرنا أو ذكر أي رفيق ممن ساهموا في العمل معه في مذكراته أو تصريحاته لأسباب تتعلق بتكوينه النفسي ، أشهد بأن الشقيري كان قاسياً مع الملوك والرؤساء قدر قسوتهم عليه وأشد . وكم كان الموقف منه يبدو لي شخصياً ولا سيما بالنسبة للسعودية وتونس ، ولكن كان يستحيل التمييز بين الشقيري الشخص والشقيري رئيس المنظمة .

وأشهد أن الرجل دافع دفاعاً مجيداً ، وهو المحامي اللامع ، عن المنظمة والقضية . وأعترف أنه كثيراً ما اعترتني الدهشة وهو يرد على الكبير والصغير دون أي

اعتبار؛ وإن كنت أشعر أحياناً بأنه كان « يبالغ » ويعرف أنه يبالغ . كما كنت أحس أن « لغته » إنشائية أكثر مما عادت تحتمل ظروف المرحلة ، وبعيدة عن « لغة » الأرقام والحقائق التي لا تعرف الحماسة ولا تعترف بها .

في الخرطوم ، وأنا أرقب القادة العرب وأستمع لكلام رئيس المنظمة ، أيقنت أنه لا بد من « جديد » في الوطن العربي وفي الساحة الفلسطينية ، كما أيقنت أن المشوار طويل وقد يتجاوز الخمس سنوات التي حدثني عنها الرئيس عبد الناصر بعد انتهاء ذلك المؤتمر ، يوم قال لي إنه لا بد من انقضائها قبل أن تستكمل الجمهورية العربية المتحدة قدرتها على خوض الحرب الرابعة .

الشقيري نفسه شعر بذلك كما أشار في مذكراته ، مع فارق واحد بيننا ، وهو ظن الشقيري بأنه سيقود بنفسه هذا « الجديد » ! ولكن الرياح كانت شديدة ، والجديد المطلوب يتجاوز الأشكال إلى المضامين ورموزها . وكان الشقيري رمزاً ، أدى قسطه للقضية وللكيان ، وهو قسط كبير ، ويتجنى على الحق من يغبطه ذلك .

في الرابع عشر من كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٧ تلقّى الشقيري مذكرة من أعضاء اللجنة التنفيذية التي كان شكلها ليتحدى بها معارضيه ، يطلبون منه فيها التنحّي عن منصب رئاسة المنظمة . وهكذا قدّم الشقيري « استقالته » بعد أن وجّهها « للشعب الفلسطيني » في ٢٥ من نفس الشهر ، وبعد أن تأكد بأنه لم يكن أمامه من مخرج أو سبيل .

وباستقالة الشقيري دخلت المنظمة عهداً جديدا ، هو عهد « التنظيمات أو المنظمات الفدائية » . أما فترة الانتقال التي لم تتجاوز التسعة أشهر القليلة فقد كانت المنظمة فيها ، كرئيسها المؤقت السيد يحيى حمودة ، عاجزة حائرة ، تحاول عبثاً وبتخبط ، تأجيل ما أصبح محتوماً وهو تسليم المنظمة للمنظمات الفدائية ، ولفتح بصفة خاصة .

وكانت « فتح » مترددة هي الأخرى ، ووقف من أبنائها من يرفض تسلم المسؤولية في منظمة التحرير واعتبر ذلك « مقبرة لها » . ولولا وعي ياسر عرفات بالذات ومن سانده في رأيه لانتهت كل أوضاع الثورة إلى غير ما نعرفه الآن ، ومن المؤكد إلى أسوأ . ففي رأيي أنه لو لم تدخل « فتح » المنظمة لما بقيت المنظمة ولما بقيت « فتح » .

بين الوطن والمنفى *

شفيق الحوت

بعد ستة عشر عاماً من محاولات الرد على الهزيمة ، والبحث عن السبيل الأقصر لتحرير الأرض والإنسان الفلسطينيين ، وفي غمرة الإرهاصات المتعددة التي كانت تحبل بها الساحة العربية ، وفلسطين منها بشكل خاص ، أطل جمال عبد الناصر على جماهير أمته بعد ظهر الثالث والعشرين من كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٣ ، وألقى خطاباً اعتُبر نقطة تحول على الصعيد العربي الرسمي بالنسبة إلى النضال الفلسطيني ، الذي كان هو الآخر يراجع مسيرته ويبحث عن دروب جديدة أكثر فاعلية وتأثيراً .

في هذا الخطاب دعا عبد الناصر إلى عقد أول مؤتمر للقمة العربية ، بعد طول سبات لجامعة الدول العربية سببه الخلافات العربية التي وصلت إلى حدود الاحتراب . وبعد عرض قاس وصريح لمجمل العلاقات العربية السيئة قال عبدالناصر : « وبصرف النظر عن هذا كله فنحن مستعدون للاجتماع مع الكل علشان فلسطين » . وكانت « إسرائيل » وقتئذٍ تعمل على سرقة المياه العربية بتحويل مجرى نهر الأردن . ثم تحدد يوم ١٣ كانون الثاني / يناير ١٩٦٤ موعداً لاجتماع هذه القمة ، ولم يتخلف عن حضوره أحد باستثناء الملك الليبي الذي أناب عنه ولي عهده الأمير رضى .

كان من المعروف أن مجلس الجامعة هو الذي يتولى اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعمال الجامعة ، إلى أن يتمتع هذا القطر بالاستقلال ويصبح قادراً على تعيين مندوبه !

ومن الذين تعاقبوا على هذا المنصب : السيد موسى العلمي ، والحاج أمين الحسيني ، ثم أحمد حلمي باشا رئيس ما كان يسمى « حكومة عموم فلسطين » . وبعد وفاته في أيلول / سبتمبر ١٩٦٣ ، أي قبل ثلاثة أشهر من دعوة الرئيس عبدالناصر إلى عقد مؤتمر القمة ، كانت الأمانة العامة للجامعة العربية قد اتصلت بالسيد أحمد الشقيري ، وبلّغته رغبة أكثرية الدول العربية في تسميته ممثلاً لفلسطين لدى الجامعة . وكان الشقيري قد استقال ، أو أقيل من منصبه كنائب لرئيس الوفد السعودي لدى الأمم المتحدة ، بسبب خلافه مع الملك فيصل فيما يتعلق بالصراع الدائر في اليمن بين مصر والسعودية ، إذ رفض - كما قال لنا مرة - أن يرفع شكوى ضد القاهرة بسبب وجودها العسكري في اليمن .

(*) شفيق الحوت ، **بين الوطن والمنفى** ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص ص ٨٧ - ١٠٤ .

وكان الشقيري - وهو الذكي الطموح - مدركاً ما كان يعتمل في نفوس الفلسطينيين ، ومطلعاً على تحركاتهم وتنظيماتهم ، كما كان يعرف دهاليز الجامعة العربية وزواريب العمل الرسمي ومتابعاته ، إذ سبق أن مثّل سورية لأعوام في الجامعة قبل التحاقه بالعمل مع السعودية . لذلك فمن الطبيعي أن يكون الشقيري هو المرشح لتمثيل فلسطين في مؤتمر القمة . وكانت المفاجأة مذهلة عندما احتجت بعض الدول العربية على ذلك باعتبار أن الشقيري ليس ملكاً ولا رئيساً . وكان لكل واحدة من الدول المعارضة دوافعها وأسبابها ، وهي بالنسبة إلى السعودية غيرها بالنسبة إلى الأردن أو تونس . غير أن الجهد المشترك الذي بذلته الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الجزائرية الفتية حسم المسألة في النهاية ، إذ تمت دعوة الشقيري إلى تمثيل فلسطين ، مع ملاحظة بروتوكولية تحرمه الجلوس على كرسي مماثل لكراسي الملوك والرؤساء ، وعلى أن يكون هذا الكرسي متخلفاً إلى الوراء بعض الشيء عن كراسي بقية السادة النجب !!

ما كنت لأصدق أن هذا الطلب " البروتوكولي " كان صحيحاً لولا ما سمعناه فيما بعد ، وهو أن الشقيري قبل أن يبدأ مداخلته الأولى في المؤتمر قام بدفع كرسيه إلى الأمام حتى أصبح بمحاذاة كراسي الجميع من حوله ، دلالة على المساواة ، وعلى أن فلسطين ليست أقل من سائر الدول العربية حتى لو كانت في قيد الاحتلال والتجزئة؛ وقد تكررت محاولة " بروتوكولية " شبيهة بها وكنت الشاهد عليها ، وذلك في مؤتمر القمة في الخرطوم ، عندما استثنت حكومة السودان الشقيري من دون سائر القادة وحددت إقامته بفندق آخر غير ذلك الذي نزل فيه زملاؤه . يومها أثرنا ضجة وهددنا بمغادرة الفندق والنزول ضيوفاً عند أصدقاء سودانيين لنا في الخرطوم ، ثم اتصل بنا محمد أحمد محجوب ، رئيس الحكومة السودانية ، مقسماً بالله العظيم أن ليس هناك من نية مبيتة ، وأنه أخلى غرفاً للوفد السوداني ليفسح للشقيري أن يقيم مع بقية الملوك والرؤساء .

كان على الشقيري أن يذلل كثيراً من العراقيل والمعوقات التي تقف في طريقه على المستويين الرسمي العربي ، والشعبي الفلسطيني . فلقد كان لعدد من الدول العربية مآخذ عليه لأسباب شخصية لا علاقة لها بقضية فلسطين . مثل تونس التي لم يكن رئيسها الحبيب بورقيبة يحتفظ بودّ للرئيس الفلسطيني المنتظر . وسورية برئاسة الفريق أمين الحافظ لم تكن تأخذ الشقيري على محمل الجد ، وتتعامل معه " كعميل " لعبد الناصر الذي لم تكن علاقتها به طبيعية منذ جريمة الانفصال . أما الأردن فكان لديه ما يقلقه من المشروع القابع في فكر الشقيري ، وهو قلق مشروع بالنسبة إلى بلد يشكل الفلسطينيون فيه قرابة نصف السكان .

بالإضافة إلى هذه الهموم كان على الشقيري كذلك أن يستحصل على دعم الشعب الفلسطيني بنسبة ملموسة ، وأن ينتصر على الحملة المضادة التي كان بعض " طلائع " هذا الشعب يشنها عليه ، من أمثال حركة القوميين العرب والتنظيمات البعثية وغيرها من القوى ، التي غالت في نقدها للشقيري ومشروعه حتى قبل معرفتها بالتفصيلات .

في الفترة الزمنية التي سبقت انعقاد مؤتمر القمة في كانون الثاني / يناير ١٩٦٤ ، جال الشقيري في معظم عواصم البلاد التي يوجد فيها فلسطينيون ، وعقد عشرات الاجتماعات والتقى الجماهير في المخيمات ، فأثبت أنه سيد المنابر وصاحب " كاريزما " قوية . ولا أبالغ إذا قلت إنه استطاع كسب الأغلبية الساحقة من أبناء شعبه إلى جانبه وجانب مشروعه الذي يحلم به . ويخطئ من يعتقد أن هذا التعاطف الجماهيري كان لأسباب عاطفية محضة واستجابة عفوية لخطابات الشقيري المؤثرة والمقنعة ، إذ إني أعتقد أن هذا الدعم كان نتاج حسابات فلسطينية شعبية أثبتت أنها أكثر دقة من حسابات بعض القادة الموجودين في الساحة ، والرافضين لهذا المشروع .

كان الوعي الشعبي عميقاً بضرورة إعادة الروح إلى الشخصية الوطنية الفلسطينية ، وضرورة انتزاع اعتراف الحكام العرب بهذه الشخصية من خلال تنظيم يجسدها .

ولقد كان لعدد من أبناء شعب فلسطين وشخصياتها الوطنية والفكرية والاقتصادية ، دور في مساندة مشروع إقامة الكيان الفلسطيني ، سواء عن طريق دعمها المباشر لما كان يقوم به الشقيري من تحركات ، أو غير المباشر عن طريق النقد وإسداء النصيحة تفادياً للسلبيات وتصحيحاً للتوجه قبل تبنيه وإقراره ، أو حتى عن طريق المعارضة التامة للمشروع خشية أن ينتهي هذا الكيان إلى ما انتهت إليه حكومة عموم فلسطين؛ فالأجواء الفلسطينية كانت عابقة بالمناقشات والجدل ، ومن هؤلاء الذين ساهموا في هذه المناقشات على اختلاف آرائهم أذكر : عبد المجيد شومان ، الشيخ عبد الحميد السائح؛ بهجت أبو غربية ، قدري طوقان ، عبد الله الريماوي ، أحمد صدقي الدجاني ، رفعت النمر ، عبد المحسن القطان ، خيري حماد ، حيدر عبد الشافي ، منير الريس ، وليد الخالدي ، كمال ناصر ، برهان الدجاني ، فايز صايغ ، يوسف صايغ ، وآخرين . لقد كانت الحماسة تملأ الأجواء الفلسطينية ، وهو ما دفع المئات إلى التحرك ، كل في إطار قدراته وإمكانه .

صحيح أن الكل لم يكن على رأي واحد أو خط واحد ، لكن هذه التعددية أغنت الساحة بالعديد من وجهات النظر والاجتهادات .

ومن المفارقات بالنسبة إلى الموقف العربي من الشقيري ومشروعه ، كان موقف كل من عمّان ودمشق . فبينما أبدت الأولى انزعاجها من فكرة إقامة الكيان ، وخطورة ذلك على المملكة باحتمال انسلاخ « الضفة الغربية » عنها ، كان أمين الحافظ في سورية يصر على أن لا كيان من دون أرض ، وأن الأرض موجودة ، وعلى الملك حسين أن يتخلى عن الضفة ، وأن يتخلى عبد الناصر عن قطاع غزة ، وستكون سورية مستعدة لإعادة « الحمّة » التي كانت في عهدتها .

كان حال الشقيري كمن يريد النجاة من البلل تحت هذه الزخّات التعجيزية . لكنه في النهاية استطاع - بصموده وصبره وقدرته على الحوار والمناظرة - أن يؤلف « اللجنة التحضيرية لتشكيل المجلس الوطني الفلسطيني » ، والتي قامت بدورها في اختيار أعضاء المجلس الوطني واعتماد مسودة لميثاق قومي ولنظام أساسي لما عرف فيما بعد بـ « منظمة التحرير الفلسطينية » .

في الثالث عشر من كانون الثاني / يناير ١٩٦٤ ، وفي لحظة تاريخية ، انعقدت القمة العربية الموعودة ، وخرج المؤتمر بمجموعة من التوصيات ، يهمنا واحدة منها لم تتجاوز كلماتها أربعة سطور جاء فيها : « يستمر السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » .

توصية عامة لا ذكر فيها ولا إشارة إلى كلمة « كيان » أو « منظمة » أو « شخصية وطنية » أو أي شيء من هذا القبيل . توصية عامة وغامضة ، ومن دون أية آلية ، وتعطي الدول العربية أولوية على الشعب صاحب القضية في تقرير مصيره .

كانت ردات الفعل سلبية ، واعتبرت القوى السياسية المتحركة في الساحة أن هذه التوصية ليست سوى ملهاة يقدمها حكام العرب للشعب الفلسطيني ، كي تحرفه عن الخط الثوري الحقيقي والمتمثل في التنظيمات التي كانت ملأت الساحة ، والتي ترفع شعار الكفاح المسلح وترفض وصاية الحكام العرب وجامعتهم .

لكن بدلاً من النواح والغضب والصراخ في الأودية ، حمل الشقيري هذه السطور الأربعة في حقيبته ، عازماً أمره على تحويلها إلى حقيقة مادية راسخة ، وانطلق مرة ثانية يزور مراكز التجمع الفلسطينية حيثما أمكنه، ليعد عدته لعقد اللقاء التاريخي المرتقب لتأسيس الكيان الوطني الفلسطيني . وبعد مشاورات مضنية مع بعض العواصم العربية والقيادات الفلسطينية ، تحدد أن يعقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته التأسيسية الأولى في الثامن والعشرين من أيار / مايو ١٩٦٤ ، في مدينة القدس .

هكذا ، ولأول مرة بعد ستة عشر عاماً من الشتات والتمزق والتيه ، يلتقي الفلسطينيون بعضهم بعضاً وهم حيارى بين نشوة اللقاء وفرحة جمع الشمل ، وبين القلق من هذه القفزة الخطرة والأمل بانتزاع الشعب لحقه في تمثيل نفسه وتحمل مسؤولياته .

كان شعوري بأن الجميع كان مسكوناً بشحنة روحية تحركنا بوعي ومن دون وعي للمضي قُدماً في تذليل العقبات وتبديد الشكوك ، وعدم السماح لأية قوة ضاغطة بإضاعة الفرصة المتاحة ، والتي قد لا تتكرر مرة أخرى في حال الفشل .

كانت أياماً كلها تاريخ .. حركة دائبة ، نقاش مستمر ، شكوك وأوهام ، تهديد وإغراء ، ولجان تناقش ، تسجل وتشطب وتطبع ، ثم تلغي كل شيء لتبدأ من جديد .. وهكذا .

ووصلنا أخيراً إلى جلسة الختام وفيها أعلن الشقيري - باعتباره رئيس المؤتمر - قيام منظمة التحرير ، بعد أن تم إقرار ميثاقها ونظامها الأساسي ، وانتخاب الشقيري رئيساً لها .

عندما غادرنا القدس ، لم نكن ندرك بعمق أن ما قمنا به في تلك الأيام من أيار / مايو ١٩٦٤ ، كان بداية الرد الاستراتيجي الجاد على ما حدث لنا ولفلسطين في أيار / مايو ١٩٤٨ . وأعتقد - بعد مرور أكثر من خمسين عاماً على النكبة - أن أهم إنجاز وطني حققه النضال الفلسطيني حتى لحظتنا الراهنة كان التأسيس لقيام منظمة التحرير الفلسطينية .

ومن فندق « إنتركونتننتال » في القدس إلى فندق « فلسطين » في الإسكندرية ، حيث كان الملوك والرؤساء العرب على موعد مع قمتهم الثانية ، وذلك يوم الخامس من أيلول / سبتمبر ١٩٦٤ . وكان على الشقيري أن يدلي بمرافعة طويلة كي يتمكن من انتزاع قرار يعطيه الضوء الأخضر لإعلان قيام المنظمة بشرعية عربية ، تمهيداً لبدء عملية البناء .

كان من الممكن أن يفلت زمام الأمور في خضم التناقضات العربية وتصور كل عاصمة عربية لماهية دور المنظمة ! فمنها من كان يريدها « يافطة » أو « عنواناً » لفلسطين ، شعباً وقضية ، لا أكثر ولا أقل؛

ومنها من كان يريد أن « يمتطيها » سلفاً عن طريق المزايدات؛ وغيرها على العكس يريد « ترويضها » ثم استيعابها كورقة في جيبه . وطبعاً كان هناك من الدول من هو موجود ، لكنه في سبات عميق .

وكالعادة لولا تدخل الرئيسين عبد الناصر وبن بيلا لما تحلحلت الأمور ، ولا سيما بعد أن ضم عبد السلام عارف صوته إلى صوتيهما ، وبادر بأريحية عراقية إلى إعلانه مساعدة مالية - كدفعة أولى - لحساب المنظمة ، وأقفل النقاش وتمت الموافقة على قيام المنظمة .

انطلق الشقيري على الفور ليبني من الصفر ، أو ما دون الصفر ، ما يستلزمه هذا الكيان الجديد من مؤسسات ودوائر مدنية ، وقوات مسلحة . وبعد جملة من الاتصالات السريعة ، عربية وفلسطينية ، توجه أبو مازن إلى القدس ، المقر الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية ورفع علم فلسطين على السارية ، وأعلن أسماء أعضاء اللجنة التنفيذية الأولى الذين سيعملون على مساعدته في بناء هيكلية المنظمة ، بدءاً بدوائرها المتعددة ومكاتبها لدى الدول العربية ، وقبل هذا كله بناء جيش التحرير الفلسطيني .

شملت اللجنة التنفيذية الأولى ، إضافة إلى رئيسها أحمد الشقيري ، ورئيس الصندوق القومي الفلسطيني عبد المجيد شومان ، والاثنان معاً كانا يُنتخبان مباشرة من جانب المجلس الوطني الفلسطيني ، كلاً من : بهجت أبو غربية ، حامد أبو ستة ، نقولا الدر ، حيدر عبد الشافي ، خالد الفاهوم ، فاروق الحسيني ، عبد الخالق يغمور ، فلاح الماضي ، وليد قمحاوي ، قصي العبادلة ، قاسم الريماوي ، عبد الرحمن السكسك .

في أوائل تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦٤ ، اتخذت اللجنة التنفيذية قراراً بتكليفي تمثيلها لدى الجمهورية اللبنانية ، ومديراً لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت . وكانت قيادة الجبهة (جبهة التحرير الفلسطينية - طريق العودة) قد أعلنت دعمها لقيام منظمة التحرير ، كما أعلنت عزمها على تقديم كل إمكاناتها لإنجاح التجربة . وبناء على ذلك وافقت قيادتها على تكليفي ، فاستقلت من مجلة « الحوادث » وانتقلت إلى مكتبي الجديد على « كورنيش المزرعة » ، أحد شوارع بيروت الحيوية .

وباشرت العمل فوراً على تأسيس المكتب بعد تفريغ عدد من كوادر الجبهة للعمل في مختلف أجهزة المنظمة . ولم يكن التفرغ يومئذ يشكل أي إغراء مادي خاص ، كما أن التنظيمات الأخرى لم تكن أقرّت بعد مبدأ التعاون مع المنظمة الوليدة .

حرصت منذ البداية على تنظيم علاقات المكتب بالحكومة اللبنانية على أسس دبلوماسية أسوة بأية سفارة عربية . ولم يكن ذلك بالأمر الهين ، فأخذ جهداً هائلاً ، واحتاج إلى دعم شعبي لبناني وفلسطيني معاً . وأذكر ، على سبيل المثال ، أننا عانينا كثيراً قبل إقناع الدولة اللبنانية بحقنا في رفع علم فلسطين على واجهة المكتب . ولا شك في أننا كنا محظوظين في عهد حكومة الرئيس الحاج حسين العويني الذي أبدى تجاوباً مشكوراً ، فانتهينا معه إلى اتفاق اعتبرت الحكومة من خلاله « مكتب منظمة التحرير الفلسطينية » بعثة دبلوماسية كأية سفارة عربية ، لها وعليها ما تنص عليه اللوائح الدبلوماسية المتبعة . وكان مكتب المنظمة في لبنان أول مكتب للمنظمة يستحصل على هذا الموقع في كل عواصم الدول العربية . وعلى الرغم من كل هذا الإنجاز المهم ، فقد وُجد بين التنظيمات الفلسطينية من حاول المزايدة ، معتبراً هذا الإنجاز إنجازاً شكلياً وترفاً سعى له مدير المكتب ليضع على سيارته « اللوحة الدبلوماسية الصفراء » ! ! غير أن هؤلاء المزايدين تناسوا أن السيارة التي يفترض أن توضع عليها اللوحة الدبلوماسية كانت سيارة متواضعة ومتوسطة الشكل والعمر وملكاً خاصاً لصاحبها .

يومئذ اقتنعت بأن الناس نوعان ، بغض النظر عن أي انتماء سياسي أو عقائدي : ناس عندهم أخلاق ، وناس يفتقرون إلى ذلك . كما اقتنعت بأن على من يريد التصدي للعمل العام أن يتعلم الصبر ، وألا يتزعزع عند كل فرية أو تهمة .

والساحة اللبنانية ، على ما فيها من هموم ومشكلات ، لم تكن وحدها شغلنا الشاغل ، فقد أخذنا على عاتقنا محاولة السعي من أجل توحيد التنظيمات الفلسطينية ، إيماناً منا بأن المنظمة ليست تنظيماً بالمعنى التقليدي المعروف ، وإنما هي « الوطن » المؤقت ريثما يتم تحرير الأرض المحتلة ، وأنها هي « الإطار » المؤهل لاستيعاب الجميع داخل أطرها المدنية والعسكرية على الرغم من التباينات الفكرية والسياسية .

لم تتكلل محاولات توحيد هذه التنظيمات بالنجاح ، وإن ساهمت في اختزال المسافات بينها وبين المنظمة . وتقع المسؤولية في هذا الفشل على كاهل التنظيمات من جهة ، والشقيري من جهة أخرى . وأستطيع القول ، بعد مضي الزمن ، إن الفريقين لم يكونا شديدَي الحماسة لمثل هذه الوحدة ، ولكل فريق أسبابه .

ثم جاءت « رصاصة فتح الأولى » في الأول من كانون الثاني / يناير ١٩٦٥ ، لتثير زوبعة كبرى من الضجيج السياسي في الساحة الفلسطينية . وازدادت مهمتنا التوحيدية تعقيداً ، مع بروز الخلاف بشأن مقولة « الكفاح المسلح » وعلاقته بالاستراتيجية العربية ،

وموقف القيادة العربية الموحدة كما هو مسجل في تقرير قائدها اللواء علي علي عامر من خطر الاشتباكات مع « إسرائيل » من دون تنسيق عربي . وكنا في تنظيمنا ضد « نظرية التوريط » ، وكنا لا نقبل بمن يزايد على عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة ، ولا سيما أن كثيرين من أعداء عبد الناصر بدأوا - بعد الانفصال - يغمزون من قناة وجود قوات الطوارئ في شرم الشيخ وخليج العقبة ، ويحاولون تحديه بـ « مزايدات » فلسطينية . حتى أن بعض المحسوبين على القاهرة وعلى عبد الناصر تأثر يومئذ بالدعوة إلى الكفاح المسلح ، فأخذ يدبج المقالات الاستفزازية من نوع « اليوم اليوم .. وليس غداً » ، و « إسرائيل » قبل أن تمتلك القنبلة الذرية » ، إلى غير ذلك من الإشارات غير المباشرة ، وكأن القاهرة لم يكن ينقصها لتحقيق النصر سوى اتخاذ القرار بإعلان الحرب ، وكأن المنظمة الوليدة نفسها ، ومعها التنظيمات الفلسطينية كلها ، كانت في تلك المرحلة قادرة على التصدي وحدها لـ « إسرائيل » ، ومن غير دعم معلن وواضح من دولة عربية واحدة على الأقل !

وهكذا أصبحنا في « الجبهة » - ومعنا من يرى رأينا - بين المطرقة والسندان : مطرقة الشقيري وأسلوبه التقليدي في عملية البناء ، وسندان العمل الفدائي والعاطفة الجياشة التي أحاطت به على الرغم من فقدان التنسيق العربي ، وخصوصاً مع القاهرة بالذات .

استمر هذا الوضع المتعب ثلاثة أعوام ، إلى أن وقعت حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ ، ووقع ما كنا نخشاه ونختصم من حوله فكراً وممارسة ، وهو ضياع ما كان تبقى من فلسطين ، بما فيها القدس الشرقية ، بالإضافة إلى سيناء في مصر ، وهضبة الجولان السورية .

وحاول الشقيري خلال هذه الفترة أن يستوعب مشكلاته من خلال تغييره لأعضاء اللجنة التنفيذية . ففي ١٠ آب / أغسطس ١٩٦٤ ، شكّل اللجنة التنفيذية الثانية التي استمرت نحو عام من دون أن تفلح في رأب الصدع بين جيلين من العاملين في المنظمة : الجيل التقليدي الوفي لأسلوبه في العمل القائم على المجاملة والبيروقراطية ، والجيل الشاب الطامح إلى ممارسات ثورية متطورة ، تكون قادرة على استيعاب كل هذه القوى التي كانت تناضل خارج إطار المنظمة وترفض المشاركة في أجهزتها ودوائرها المتعددة .

وشملت هذه اللجنة ، بالإضافة إلى الشقيري وشومان ، كلاً من : إبراهيم أبو ستة ، سيد بكر ، جمال الصوراني ، نجيب ارشيدات ، أحمد السروري ، فائز صايغ ، داوود الحسيني ، سعيد العزة ، عبد الحميد ياسين .

انكشف الواقع الداخلي للمنظمة على حقيقته في الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني التي تم عقدها في غزة في أيار / مايو ١٩٦٦ ، إذ احتدم النقاش بين من سمّيتهم التقليديين وبين ممثلي الشباب والجيل الجديد . واستطعنا من خلال هذه الدورة أن نفرض على الشقيري تطعيم لجنته التنفيذية الجديدة بعناصر شابة ، فجاءت تشكيلة اللجنة على الشكل التالي : الشقيري رئيسا للّجنة ، وكذلك عبد المجيد شومان رئيساً للصندوق القومي . أما الأعضاء فكانوا : سعيد العزة ، إبراهيم أبو ستة ، جمال الصوراني ، نمر المصري ، عبد الفتاح يونس ، شفيق الحوت ، أحمد السعدي ، أحمد صدقي الدجاني ، أسامة النقيب ، عبد الخالق يغمور ، بهجت أبو غربية ، رفعت عودة .

حاولنا جهدنا في هذه القيادة إنجاز بعض ما أوصى به المجلس الوطني في دورته الثالثة ، ولا سيما بالنسبة إلى دائرتي التنظيم الشعبي والإعلام ، وتشكيلات جيش التحرير الموزع ما بين قطاع غزة وسورية والعراق ومصر ، ولم يكن قائد الجيش ، اللواء وجيه المدني بعيداً عن توجهاتنا ، وكثيراً ما نسقنا معاً بعض النشاطات العسكرية عبر تنظيم سري كان يعرف باسم « أبطال العودة » .

في هذه الأثناء اقترفت « إسرائيل » جريمة قتل جماعية في قرية السموع في الضفة الغربية ، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بين المنظمة والحكومة الأردنية ، وتفاقمت الأزمة داخل المنظمة بشأن الطريقة التي كان الشقيري يعالج بها الأمور . وكان أن أصدر منفرداً - عبر إذاعة المنظمة في القاهرة - بلاغاً أعلن فيه إعفاء اللجنة التنفيذية من مهماتها وتشكيل « مجلس ثورة » سرّي بديلاً منها . ثم أعلن جملة قرارات مسّت عدداً من ضباط الجيش الذي لم يرض عن انقلابه ، ووصل به الأمر إلى حد تهديدي بالإقالة أو النقل ، ثم اختار لي النقل إلى الهند التي لم يكن للمنظمة فيها - آنئذٍ - أي مكتب .

قمت ، أنا واثنان آخران من أعضاء اللجنة التنفيذية هما أحمد السعدي وأحمد صدقي الدجاني ، بالإبراق إليه في ١٥ شباط / فبراير ١٩٦٧ ، محتجين على تصرفه ، ومعتبرينه غير شرعي . ثم ألحقنا البرقية بمذكرة تفصيلية نشرح فيها أسباب رفضنا لقراراته ومخالفاته للقانون الأساس ، ورأينا في النهج الذي لا بد من اتباعه في القيادة بأسلوب ديمقراطي ومسؤولية جماعية بعيدة عن التفرد . ودعوناه في ختام المذكرة إلى العودة عن قراره والمبادرة إلى تأليف لجنة تنفيذية جديدة .

اتسعت دائرة المعارضين فشملت عضوين آخرين من اللجنة التنفيذية هما الدكتور حيدر عبد الشافي والدكتور رفعت العودة ، وكلاً من الدكتور صلاح الدباغ

المدير العام للدائرة السياسية ، والأستاذ خليل عويضة مدير شعبة التربية والتعليم ، وراجي صهيون المسؤول في دائرة الإعلام .

وأنا أستعيد هذه الذكريات ، أعود مرة أخرى إلى التساؤل عن سر وقوع عبد الناصر في شرك حرب حزيران / يونيو ، وهو الذي كان قبل ثلاثة أشهر من وقوعها يحذر من مثل هذه الحرب قبل توفير مستلزمات الانتصار فيها . وعلى الرغم مما سمعته منه - فيما بعد - في قمة الخرطوم ، ومما قرأته مما كتبه كثيرون عن أسرار هذه الحرب ، فإني حتى الآن لم أستوعب بعد حقيقة ما حدث ، وذلك لهول ما جرى مما لا نزال نلملم تداعياته حتى الآن .

كان من المؤكد أن تعكس تلك الحرب آثارها الدرامية على امتداد الساحة العربية ، بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية . وقد سارعت عدة عواصم عربية إلى اغتنام الفرصة لتصفية حساباتها ، وللتهرب من تحمل أية مسؤولية ، وتحولت المنظمة إلى كبش فداء وكأنها كانت المسؤولة عن تلك الهزيمة الكبرى .

لذلك ارتأينا إيقاف صراعاتنا الداخلية والاصطفاف من جديد وراء قيادة المنظمة والشقيري بالذات ، دفاعاً عن كياننا الوليد ، الذي بدا مهدداً بالتحجيم وربما بالتصفية الكاملة . وكنا لاحظنا أن هناك بين الدول العربية من كان يسعى لإغفال دعوة المنظمة إلى المشاركة في أعمال مؤتمر القمة العربي الذي كان السودان دعا إلى عقده في الخرطوم أواخر آب / أغسطس من تلك السنة التعيسة . وكان الشقيري قد بعث إليّ برسالة عن طريق رئيس الدائرة السياسية آنئذ ، نمر المصري ، بلّغني فيها إرجاء قراره السابق بنقلي إلى الهند ، والعودة إلى ممارسة جميع صلاحياتي كمدير لمكتب المنظمة في لبنان . ثم طلب إليّ التوجه إلى العاصمة السودانية للمشاركة في اجتماع لوزراء الخارجية العرب هدفه التمهيد للقمة المرتقبة .

كان ذلك في أوائل آب / أغسطس ١٩٦٧ ، وكانت تلك أول مهمة سياسية لي على هذا المستوى . وفي هذا الاجتماع ، الذي امتد خمسة أيام متتالية ، فقدت خلالها براءتي السياسية إذ اكتشفت خلالها -لدهشتي - أولى حقائق العمل السياسي العربي ، وهي أن المسؤول الأول في أي قطر عربي ، ملكاً كان أو رئيساً ، وهو وحده صاحب الكلمة ، وهو لا يترك لوزيره إلا هامشاً ضيقاً للمناورة .

في هذا الاجتماع - التجربة - أيقنت أن وجود الأبيض والأسود مستحيل ، وأن الرمادي هو الأزلي والأكثر رواجاً . وأكثر ما آلمني هو ما رصدته من أحقاد بين بعض الدول العربية على بعضها تفوق أحقاد أي منها على العدو المشترك . لقد كدت أخرج من جلدي وأنا أستمع إلى لغة الشماتة والتشفي على الرغم من فداحة المصيبة التي ألمت بالأمة .

وما كان ليشدني من مهاوي اليأس والإحباط غير ذلك الهدير الصاخب للملايين من أبناء السودان ، الذين وفدوا إلى الخرطوم من كل قرية وفجّ عميق ليستقبلوا قادة العرب ، وليثيروا النخوة في نفوسهم للانتقام من « إسرائيل » .

بعد خمسة أيام تمخض الاجتماع عن قرارين : الأول يقضي بدعوة وزراء الاقتصاد والمال والنفط العرب إلى اجتماع يعقد في بغداد ، يبحثون فيه فيما يمكن اتخاذه من إجراءات انتقامية؛ والثاني يدعو إلى اجتماع آخر يعقده وزراء الخارجية قبل موعد القمة بأيام بهدف التحضير لجدول أعمالها .

وعلى الرغم من تأكيد رئيس الوزراء السوداني ، محمد أحمد محجوب لي أن الدعوة ستوجه إلى المنظمة ، فقد ساورني الشك خصوصاً عندما علمت بأن الدعوة لم توجه إلينا للمشاركة في مؤتمر بغداد بحجة أنه « ليس لدى الفلسطينيين أي اقتصاد أو مال أو نفط » ! !

عدت إلى بيروت وأنا قلق بالنسبة إلى مشاركتنا في القمة ، خصوصاً بعد أن سمعت ما سمعته في اجتماع وزراء الخارجية من تصريحات وتلميحات استهدفت الشقيري ، لأسباب سياسية أو شخصية ، ونقلت إلى اللجنة التنفيذية ملاحظاتي التي تعزز هذه المخاوف .

وجاء موعد انعقاد اجتماع وزراء الخارجية المقرر لإعداد جدول الأعمال ، ولم نتلق الدعوة للمشاركة ، الأمر الذي استدعى إيفادي مرة ثانية إلى الخرطوم حاملاً رسالة من الشقيري إلى الرئيس محجوب ، ومزوداً بتعليمات خاصة لاتباعها في حال إصرار حكومة السودان على عدم توجيه الدعوة إلى رئيس المنظمة للمشاركة في القمة .

كان الليل بارداً حول الطائرة ، وأعصابي مشدودة ، يسقط قلبي كلما سقطنا في مطب هوائي ، والسؤال يستبد بي : هل من المعقول ألا توجه الدعوة إلى أبناء فلسطين لحضور مؤتمر عربي باسمها وباسم قضيها ؟

وبدأت تلوح الخرطوم في الأفق كجيد حسناء أبانوسية مزين بالألماس حول النيلين الأبيض والأزرق . وعلى أرض المطار وجدت في انتظاري صديق العمر ورفيق الجامعة وسجن الرمل في بيروت مصطفى المدني ، السفير في الخارجية السودانية ، ومعه سعيد السبع ممثلنا في الخرطوم ، الذي بادرني بالحديث عن ضغوط جادة يتعرض لها السودان بشأن دعوة المنظمة ، واستفسرته عن موقف محجوب ، فقال لي مصطفى :

« محجوب محرج ويريد أن ينعقد المؤتمر ، وأن ينجح باعتباره يمثل الدولة المضيفة . ومازال يؤثر الصمت مؤجلاً إعلان موقف حكومته إلى آخر لحظة ممكنة » . وأضاف مصطفى محاولاً طمأنتي : « على كل حال هو بانتظارك ! » وسألته مستوضحاً : « متى ؟ غداً إن شاء الله ؟ » فابتسم مصطفى وقال : « بل الآن » . وكان الوقت تجاوز منتصف الليل بقليل ، وسرعان ما تذكرت أن السودانيين مثل كل الأفارقة يحبون سهر الليل .

كان محجوب في ديوان منزله المفتوح باستمرار ، فاستقبلني مدعياً الغضب ومحاولاً أن يبدو جاداً أكثر من اللازم وقال : « إيه حكاية الشقيري بتاعكو ده ، نازل فينا في الصحف والإذاعات ... هو عاوز إيه ؟ » فقلت له : « هو لا يريد شيئاً ليس من حقه ، يريد دعوة فلسطين إلى المؤتمر » . ففاجأني : « أنت تعشيت ؟ » ثم أمر بتحضير « لقمة » ، وأضاف : « خلاص ياسيدي ، حنطلب من سفارتنا في بيروت توجيه الدعوة إلى رئيس المنظمة » .

وتدخل مصطفى وروى لمحجوب ما كنت أنوي فعله لو لم تستجب حكومة السودان لنداء المنظمة ، من رفض لضيافة الحكومة ، واعتصام في مسجد العاصمة ، وعقد مؤتمر صحافي ، والاحتكام إلى شعب السودان . وبين الجد والمزاح قال محجوب : « يعني عاوزين تعملوا لنا شغل صعاليك ! إنتو فاكرين السودان هو اللي مش عاوزكم ؟ » .

وأخذ محجوب يردد على مسامعي أسماء الدول المعارضة لمشاركة المنظمة ، وأعرب عن مخاوفه من ردات فعلها !

في خضم الحوار دخل علينا جمال محمد أحمد وكيل وزارة الخارجية ، والشريف الهندي وزير المال . وكانا ككل السودانيين متعاطفين إلى أبعد الحدود مع المنظمة وضرورة مشاركتها ، وأكدا لمحجوب أنه ليس في استطاعته أن يحجب الدعوة عن الشقيري لأسباب قانونية أولاً ، ولأن شعب السودان - وهذا هو الأهم - لا يمكن أن يقبل بذلك وسيقلب الدنيا رأساً على عقب .

وبنزق محبب ، حسم محجوب موقفه وقال : « خلاص ، بكره الصبح تصل دعوة الشقيري إلى بيروت » . فقلت على الفور : « ولماذا إزعاج سفارتكم ، من الممكن تبليغ ممثلنا هنا بالأمر رسمياً وهو يقوم بالاتصال فوراً » . وسألني محجوب وهو يرفع سماعة هاتفه : « هو اسمه إيه ممثلكم هنا ؟ » . فقلت له : « السبع ، سعيد السبع » . فحبكت النكتة معه وقال : « هو إيه ده سبع وحوت ؟ هو إحنا ناقصنا وحوش في السودان ؟ » .

وانتهت مهمتي ، لكن متاعب محجوب لم تنته ، فكان عليه أن يقنع سورية بالعدول عن موقفها بعدم حضور المؤتمر ، كما كان عليه اختراع معجزة للجمع بين عبد الناصر والملك فيصل وإيقاف الحرب القائمة بينهما في اليمن . وأثبت محجوب أنه رجل دولة أكبر منه كشاعر ، على عكس ما كان يتمنى أو يعتقد .

ولن أسهب في رواية التفصيلات ، ولكني أرى من الضروري التركيز على عدد من النقاط المهمة :

النقطة الأولى : إن نتائج مؤتمر القمة هذا عكست التغيير الذي أحدثته النكسة في موازين القوى داخل المجموعة العربية ، كما ظهر من اللغة التي صيغت بها قراراته ، ففي مقابل اللاءات الشهيرة : لا صلح ولا تعايش ولا تفاوض مع « إسرائيل » ، حصرت الدول العربية التزامها بإزالة آثار العدوان وتحرير « ما استجد احتلاله من الأراضي العربية » . وكانت تلك أول إشارة رسمية عربية غير مباشرة إلى إقرار العرب بالوجود « الإسرائيلي » فوق الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٤٨ .

النقطة الثانية : إن منظمة التحرير الفلسطينية انسحبت من المؤتمر في جلسته الختامية ، وأعلنت في مؤتمر صحافي عقده الشقيري تحفظها إزاء القرارات التي صدرت . وكان الخلاف في وجهات النظر على « اللاءات الثلاث » المشار إليها ، لأنها في الأصل كانت أربع لاءات بحسب الاقتراح الفلسطيني . أما الرابعة التي أُسقطت من البيان الختامي وأدت إلى الانسحاب ، فكان نصها : « لا انفراد لأي دولة عربية بقبول أي حل لقضية فلسطين » . كذلك أغفل البيان اقتراحاً فلسطينياً يلزم الدول العربية بعدم قبول أي حل للقضية إلا بعد مناقشته في اجتماع عربي مسؤول تشترك فيه منظمة التحرير الفلسطينية .

وأعتقد أن في استطاعتنا القول ، بعد مرور قُرابة أربعين عاماً على هذا المؤتمر ، إن الشقيري كان على حق في تحفظه لأن هواجسه حينئذ تحولت إلى حقائق فيما بعد . فقد انفردت مصر بحل سنة ١٩٧٨ من خلال اتفاقية كامب ديفيد ، ثم لحقت بها - ويا لسخرية القدر - منظمة التحرير نفسها فانفردت بصلح من خلال اتفاقية أوسلو سنة ١٩٩٣ ، ثم لحق بها الأردن سنة ١٩٩٤ منفرداً هو الآخر من خلال اتفاقية وادي عربة .

النقطة الثالثة : إن « إسرائيل » اعتبرت نتائج هذه القمة ، بتوصياتها وقراراتها ، مشروع « إعلان حرب » على « إسرائيل » كما ورد على لسان وزير خارجيتها أبا إيبان . ولعل الواحد منا يتساءل : أين هي الحقيقة في هذه التقويمات والتحليلات ؟ والرد على هذا التساؤل ليس سهلاً ، وهنا تكمن خطورة « الكلمة » وأهميتها في لغة السياسة . حتى « غياب الكلمة » قد ينم عن الكثير

والخطر من النوايا أو المواقف المعلنة .

النقطة الرابعة والأخيرة : هي مجرد الإشارة إلى أن مؤتمر الخرطوم شكّل منعطفاً مهماً في مسيرة النضال الفلسطيني ، ووضع حداً لمرحلة الشقيري في قيادة المنظمة .

وقد استقال الشقيري فعلاً بعد نحو أربعة أشهر من مؤتمر الخرطوم ، وقدم استقالته إلى الشعب الفلسطيني عبر إذاعة المنظمة ، وذلك في ٢٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٧ ، لتبدأ من بعده رحلة جديدة يمكن تسميتها مرحلة « التنظيمات » .

وأنا أختم هذا الفصل من مذكراتي أشعر بأن من واجبي الأخلاقي أن أكرر ما سبق أن قلته مراراً وفي عدة مناسبات ، إنه لولا الشقيري لما وُجدت منظمة التحرير الفلسطينية ، أهم إنجاز وطني حتى الآن . إن هذا الرجل السياسي المحنك والمناضل الصامد ، وعلى الرغم من كل مواقفنا منه أو تصريحاتنا عنه خلال تعاوننا المشترك ، سيبقى علماً من أعلام فلسطين البارزين ، وثاني ثلاثة ممن عَدَّهم الشعب الفلسطيني من زعمائه : من قبله الحاج أمين الحسيني ، ومن بعده الأخ أبو عمار .

الكيانية الفلسطينية *

عيسى الشعيبي

يفرد عيسى الشعيبي الكاتب الفلسطيني في كتابه « **الكيانية الفلسطينية** » فصلاً عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، جاء فيه : « بعد سلسلة التطورات الكيانية ، على المستويين الفلسطيني والعربي ، شهدت أواسط الستينات مرحلة البناء الفعلي للكيان الفلسطيني ، وكان قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ إيذاناً ببدء هذه المرحلة الهامة والأساسية للشعب الفلسطيني ، ونقطة الانعطاف الأهم في مسيرة البناء الكياني ، فالمنظمة إلى جانب كونها المؤسسة المعترف بها للفلسطينيين ، كانت أيضاً فاتحة عهد من التطورات الكيانية في مراحل لاحقة » . ومركز استقطاب الوعي الكياني الفلسطيني فيما بعد . ومنذ إنشائها كان دور المنظمة حاسماً في كل التطورات الكيانية ، التي أخذت تعبيراتها السياسية المحددة فيما بعد . بل إن تاريخ المنظمة بكليته كان تاريخ النضال الكياني للشعب الفلسطيني ، ولم يكن قيام منظمة التحرير الفلسطينية في إطار الرسمية العربية وبترحيب منها ، أكثر من استجابة عملية لحالة قائمة في الواقع الفلسطيني ذاته ، ففي أول مؤتمر عربي شامل ، كان في ضيافة عبد الناصر ، وعقد عام ١٩٦٤ ، صدر بيان ختامي لم يأت على ذكر الكيان الفلسطيني ، فقد صدر كما يلي : « يستمر السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الأعضاء بغية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة ، لتنظيم الشعب الفلسطيني ، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » . وكان الشقيري قد أوضح سبب خلو البيان الختامي من ذكر عبارة « الكيان الفلسطيني » ، وأن تأتي فقرة : « تقرير مصيره » بعد فقرة « تحرير وطنه » كأسباب غير مباشرة وأقل أهمية . وفي ذكرياته حول تلك المرحلة من العمل العربي يقول : « إن الملوك والرؤساء العرب ، الذين لم يقرروا قيام الكيان الفلسطيني ، وكانوا مختلفين حول معانيه وتحديداته السياسية . ففي الوقت الذي كان فيه الملك حسين ، يصر على أن لا يأتي بيان القمة على ذكر الكيان الفلسطيني ، كان الرئيس السوري يطالب بأن تعطى للكيان أرض الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفي الوقت الذي كان الملك سعود ملك العربية السعودية الأسبق يقترح قيام حكومة فلسطينية ، كان الرئيسان الجزائري والتونسي يقترحان قيام جبهة تحرير وطنية ، وحتى أنه كان هناك بعض الاعتراضات على الشقيري ذاته كممثل للشعب الفلسطيني ، ولكن القاهرة ثبتته كممثل للشعب الفلسطيني في الجامعة العربية ، إذ كان التنسيق كاملاً بين الشقيري والحكومة المصرية ، في مختلف المراحل التي قطعها الشقيري في عملية الإعداد لقيام المؤسسة الكيانية الفلسطينية .

وقد عززت القاهرة كثيراً من جانب الشقيري ، حين أذنت ، لأول مرة ، لمندوب فلسطين في الجامعة العربية ، بالتحدث في قطاع غزة ووضعته في موضع المرجع السياسي الأعلى للفلسطينيين هناك ، وفتحت له معسكرات كتائب الجيش الفلسطيني ، وفوضته بإعداد قانون التدريب العسكري الإجباري لكل فلسطيني من أبناء القطاع ، وذلك كله قبل قيام منظمة التحرير الفلسطينية . ولقد تجاوز الشقيري قرار القمة بتضافر الحالة السياسية الفلسطينية موضوعياً مع التوجهات الرسمية لحكومة عبد الناصر ، لتكسر قرار القمة العربية الأولى لمصلحة قيام مؤسسة تمثيلية للشعب الفلسطيني » . وقد ذكر ذلك بنفسه حين قال : « قرار الملوك والرؤساء العرب لم يخولني إنشاء الكيان الفلسطيني إطلاقاً ، كل ما خولني إياه أن أتصل وأن أدرس بغية الوصول إلى القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني ، فقد كانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس ، ومن ثم تقديم تقرير إلى مؤتمر القمة الثاني المزمع عقده في الإسكندرية » . إلا أن الشقيري من جهته لم يكن ينقصه التصميم على إيجاد مؤسسة كيانية فلسطينية ، مادامت هذه العملية في محصلتها ، استجابة للواقع السياسي الفلسطيني ولتوجه الجمهورية العربية المتحدة ، فعشية بدء جولته العربية المقررة ، وجه الشقيري عن طريق الإذاعة ، بياناً إلى الشعب الفلسطيني ، قال فيه : « نحن شعب من غير كيان ، وقضية من غير قيادة ، من أجل هذا علينا أن نتنادى إلى تنظيم شامل ، إلى تعبئة كاملة لكافة فئات الأمة » ، وأضاف « لقد كنا نتنادى لإنشاء الكيان الفلسطيني منذ زمان طويل فها قد لاحت الفرصة وهي الآن أمام أعيننا وفي قبضة أيدينا . إن مؤتمر الملوك والرؤساء قد فتح الطريق أمام الشعب الفلسطيني ، أمام كيان الشعب الفلسطيني » ، ثم عرّف الكيان بأنه وسيلة لا غاية ، وبأنه يعني : « قيادة وطنية جماعية مناضلة قاعدته الكبرى هي الشعب بأسره ، » وبأنه « أجهزة ومعسكرات تدريب وقوات نظامية » . وبقي الشقيري ممسكاً بالهدف المركزي ، ألا وهو إنشاء

(*) عيسى الشعيبي ، **الكيانية الفلسطينية** ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٧ ، ص ٢٧٠ .

الكيان الفلسطيني ، خلال جولته على الدول العربية ، حيث التقى كبار المسؤولين فيها ، كما عقد عدة لقاءات مع التجمعات الفلسطينية فيها ، ومع مختلف القوى السياسية الفلسطينية . ولهذا اتخذت جولته هذه ، صفة التهيئة والإعداد لمؤتمر فلسطيني واسع ، يتم عقده قبل انعقاد مؤتمر القمة العربية الثاني . وقد أخذ عبر جولته تلك ، موافقة الملك حسين ، على افتتاحه في القدس ، كما نال تأييد معظم المسؤولين العرب لخطته الكيانية تلك ، في ظل هذا المناخ ، الذي كان يشيعه بريق العمل العربي الجماعي ، وسياسات مؤتمرات القمة .

وقد عقد الشقيري المؤتمر الوطني الفلسطيني في الثامن والعشرين من أيار / مايو ١٩٦٤ بحضور ٣٥٠ مندوباً فلسطينياً ، حيث عرض برنامجه لقيام المؤسسة الفلسطينية ، التي عرفت منذ ذلك التاريخ باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، وشرح الشقيري في خطابه الافتتاحي نتائج جولته على الدول العربية . ثم أخذ يعرّف الكيان ، وبعد ذلك قدم الهيكل العام للكيان في مشروعين : الأول : هو الميثاق القومي الفلسطيني ، والثاني : النظام الأساسي لمنظمة التحرير ، ومن ثم عقد المؤتمر جلسة عمل انتخب الشقيري رئيساً للمؤتمر ، وقد أعلن بنفسه عن ولادة منظمة التحرير الفلسطينية ، مبيناً أن موجبات إقامتها هي الإيمان بحتمية تحرير الجزء المغتصب من فلسطين ، وإصرار الشعب الفلسطيني على إنشاء كيانه وتعبئة قواه المادية والمعنوية . ثم تلا الشقيري برقية وجهها إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة يشعره فيها بقيام المنظمة . وهكذا انبثقت منظمة التحرير الفلسطينية كأول مؤسسة تمثيلية جامعة للفلسطينيين ، في ظل إجماع شعبي فلسطيني ، وشرعية عربية واسعة . وإذا كان الإجماع الفلسطيني لم يتأكد في مرحلة النشوء والبناء ، فإن الشرعية العربية كانت حاسمة ، وقد كان كسب الموافقة الرسمية الأردنية على وجه التحديد نقطة الكسب الأهم من نقاط الشرعية العربية . وبداية الانطلاق الحقيقي نحو عملية بناء الكيان . وعليه فقد كان ترحيب مؤتمر القمة العربي الثاني في الإسكندرية في أيلول / سبتمبر عام ١٩٦٤ بقيام منظمة التحرير دعماً للكيان الفلسطيني ، وطليعة للنضال العربي الجماعي لتحرير فلسطين ، وتكريساً لشرعية المنظمة على الصعيد العربي وواحداً من المكاسب الرئيسية المهمة التي نالها الشعب الفلسطيني في مراحل مبكرة من نضاله .

في الواقع لم يكن ترحيب القمة العربية الثانية بقيام المؤسسة الكيانية الفلسطينية أكثر من اعتراف بالأمر الواقع ، والتصديق على حقيقة قائمة بالفعل ، الأمر الذي دفع ببعض الدول العربية إلى طي اعتراضاتها السابقة ، والتسابق على تأييدها لإقامة منظمة التحرير . ولقد أوضح الشقيري الذي حضر القمة الثانية بصفته رئيساً للجنة التنفيذية للمنظمة ، وليس كمندوب فلسطين ، كما كان عليه الحال في القمة الأولى ، حين خاطب قمة الإسكندرية بقوله : « أمامكم أيها الرؤساء ، كيان شعب فلسطين كحقيقة واقعة ، بل أمامكم شعب فلسطين بأرواحه وأمواله نذرها لفلسطين وتحرير فلسطين ، وقد بقي على الدول العربية ، جميعها ، أن تمد شعبنا الباسل البطل بكل أسباب النصر والتأييد ، ولعل هذا ما جعل منظمة التحرير الفلسطينية معنى مرادفا لمفهوم الكيان الفلسطيني ، ورديفاً لعملية بناء الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، بتعبير ملموس ومحدد . وكان قيام المنظمة بحد ذاته ، بمثابة تحذير فعلي لتداعيات الوعي الكياني ، وتحقيق عملي لمشاعر الانتماء إلى الفلسطينية ، التي عبرت عنها المعادلة المتفائلة بأن منظمة التحرير الفلسطينية مساوية للشعب الفلسطيني ، ومن ناحية ثانية شهدت الفترة التي قامت فيها منظمة التحرير الفلسطينية بدايات عمل فلسطيني مسلح ، يعبر هو الآخر عن درجة من درجات نمو الوعي الذاتي الفلسطيني على كيانيته الخاصة ، ومنهاج خاص في العمل لتحرير فلسطين ، خارج إطار الشرعية العربية التي حظيت بها المنظمة .

وكانت مواقف القوى السياسية المنظمة تراوح بين معارض ومتحفظ على قيام منظمة فلسطينية جامعة . ومن بين جميع التنظيمات السياسية الفلسطينية ، احتفظت الهيئة العربية العليا لفلسطين بموقف يتسم بالثبات من قيام المنظمة . وفي غمرة الجولة التي كان الشقيري يقوم بها على الدول العربية ، أصدرت بياناً أكدت فيه تمسكها بمبدأ إجراء انتخابات عامة لإنشاء الكيان ، معلنة أنها « موقنة أن جمهرة الشعب الفلسطيني الواعية تؤيد هذا المبدأ وترفض كل تعيين ، أو فرض من أي جهة » . وهي بذلك ترد على ما كان يقوم به الشقيري من تهيئة لعقد مؤتمر وطني فلسطيني ، عبر تشكيل اللجان التحضيرية . وقد أعربت الهيئة في بيانها عن اعتقادها أنه ليس من حق الشقيري البت في موضوع إنشاء الكيان وتأليف لجنة تحضيرية يعين هو أعضاءها ، ولا حتى عقد مؤتمر في شهر أيار / مايو المقبل ، وفي مؤتمر صحفي عقده الحاج الحسيني (رئيس الهيئة) قال : إن مشروع الكيان ، كما قدمه السيد الشقيري ، يسهل تصفية هذه القضية .

وبالنسبة لحركة القوميين العرب ، والاتحاد العام للطلبة العرب ، وجبهة التحرير الفلسطيني - طريق العودة - والشباب العربي في لبنان ، فقد أصدروا بياناً مشتركاً حول تصورهم للكيان الفلسطيني طالبوا فيه بأن يكون الكيان منبثقاً عن انتخابات حرة ، تعبر عن

إرادة الشعب الثورية الأصيلة ، تعبيراً صادقاً . فإذا تعذرت لأسباب قاهرة فلا بد لإرادة الشعب الثورية في أن تمثل في مؤتمر وطني عام تدعو إليه لجنة تحضيرية تمثل فيها جميع المنظمات الثورية والقوى العاملة . وبعد صدور قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الأول ، أصدرت حركة القوميين العرب بياناً منفصلاً حول المؤتمر ووليدته منظمة التحرير الفلسطينية ، محاولةً إسناد الشقيري أمام الضغوط العديدة التي يتعرض لها من الرجعية التي لا تريد من الكيان أن يكون أكثر من كيان شكلي يجهض العمل الثوري الحقيقي . كما أصدر الاتحاد العام لطلبة فلسطين بياناً هاجم فيه مشروع الشقيري ووصفه بأنه أعد بوحي عقلية مساومة حاولت أن تشق طريقها للعمل في ظل قوى لا يهمها من أمر فلسطين شيء . وعشية انعقاد مؤتمر القدس صدر عن المكتب السياسي للقوى الثورية الفلسطينية للعمل الموحد بيان يحدد المبادئ الأساسية للحركات السياسية الفلسطينية الممثلة فيه ، وهي : « جبهة التحرير الفلسطينية ، الجبهة الثورية لتحرير فلسطين ، جبهة التحرير الوطني الفلسطينية ، تكتل الفدائيين المستقلين ، جبهة التحرير العربية لفلسطين ، والمنظمة القومية للتحرير » ، وقد تضمنت عروبة فلسطين ، ووجود الشعب الفلسطيني ، وطالبت بتحرير الأرض الفلسطينية ، وأكدت أن ذلك واجب الأمة العربية . أما موقف حزب البعث العربي الاشتراكي ، فقد لخصته مذكرة بعثت بها إحدى واجهات الحزب السياسية ، هي : « الجبهة الثورية الفلسطينية » إلى مؤتمر القمة العربي الثاني ، جاء فيها : « إن التنظيمات الشعبية التي تستطيع أن تكون ثورية وفعالة لا تصنع من أعلى ولا تخلق بقرارات ، وإن الكيان الذي انبثق عن مؤتمر القدس ، يفتقر إلى أهم مقومات التنظيم الثوري . أما حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » فقد حددت رؤيتها لمنظمة التحرير الفلسطينية من خلال افتتاحيات نشرتها مجلة « فلسطيننا » . فعقب جولة الشقيري العربية ، كتبت : « عشية مؤتمر القدس تلتقي مع الجميع في إصرارهم على أن يكون الكيان ثورياً وذا مضمون ثوري ، وأنها تتفق مع من ينادي بأن الكيان مرتكز الثورة المسلحة ، وليس بديلاً عنها ، وشددت على أهمية الجانب العسكري في الكيان المزمع إقامته ، واعتبرت ذلك أساساً للكيان الفلسطيني . وهكذا من خلال ما تقدم ، نرى أن جميع القوى السياسية الفلسطينية ، أجمعت على ضرورة بعث الكيان الفلسطيني ، بالرغم من تعارض الرؤية فيما بينها .

وقد لخص الشقيري فهمه للكيان الفلسطيني ، حينما خاطب مؤتمر القدس قائلاً : « الكيان الفلسطيني صندوق فلسطيني يجبي الأموال بأمانة وينفقها بأمانة .. الكيان الفلسطيني مكاتب سياسية في جميع أنحاء العالم لكسب الأصدقاء والتماس العون والمدد أينما وجدناه ، الكيان الفلسطيني تنظيم فلسطيني لجميع فئات الشعب اللاجئ والمقيم ... » وفي عهد الشقيري مضت منظمة التحرير الفلسطيني في بناء الكيان الفلسطيني دون التوقف عند الانتقادات الفلسطينية ، مستفيدة من دعم القوى الناصرية الفلسطينية ، ومن دعم حكومة عبد الناصر ذاتها ، فشكلت في تلك الحقبة مزيداً من كتائب جيش التحرير في كل من قطاع غزة ، وسورية والعراق ، وافتتحت مزيداً من المكاتب في مختلف العواصم العربية وعدد من العواصم الأجنبية . وعقدت ، بعد عام على قيام المنظمة ، الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة . كما أعلن الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، إثر انتهاء مؤتمره العام الذي عقد في غزة عام ١٩٦٥ اعتبار المنظمة : الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين والقائدة لنضاله . كما تأسس الاتحاد في ظل المنظمة .

الفكر السياسي الفلسطيني *

فيصل الحوراني

فيصل الحوراني ، في كتابه : « الفكر السياسي الفلسطيني » قدم دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ليضع بين أيدينا صورة للفكر الفلسطيني ، كما أظهرتها طروحات منظمة التحرير الفلسطينية ، وممارساتها ، وإعلان برنامجها السياسي المرحلي؛ لأن تأسيس المنظمة كان الحدث الأهم في مسيرة الشعب الفلسطيني بعد سنة ١٩٤٨ ، ولأن وضع البرنامج الوطني المرحلي كان بدوره الحدث الأهم في تاريخ المنظمة . جاء في الكتاب « التقى ملوك ورؤساء الدول العربية في أول مؤتمر للقمة العربية في القاهرة ، وقرروا العمل لـ « تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » .

وكان من بين القرارات العملية ، التي أشار إليها البيان الختامي ، قرار العمل على تنظيم الشعب الفلسطيني ، وتكليف أحمد الشقيري مباشرة الاتصال بالفلسطينيين لهذه الغاية ، وتقديم تقرير اجتماع القمة التالي عن حصيلة نشاطاته . وقد جيء بأحمد الشقيري بالذات ، وفي تصور الذين جاءوا به ، أنه المؤهل أكثر من غيره ، للعب الدور المنوط بالمنظمة المقبلة ، من قبل الملوك والرؤساء .

والحقيقة أن الشقيري كان قد شرع بإجراء اتصالات تمهيدية على نطاق واسع بالأوساط الفلسطينية ، منذ صدر قرار مجلس الجامعة العربية في أيلول / سبتمبر ١٩٦٣ ، بتكليفه بتمثيل الشعب الفلسطيني في الجامعة العربية . وبدأ جولة جديدة من الاتصالات بممثلي أوساط الرأي العام الفلسطيني ، في أماكن التجمع الفلسطيني في الوطن العربي .

بعد صدور قرار مؤتمر القمة الأول وتكليف الشقيري بالذات ، استاء رئيس الهيئة العليا « الحسيني » لأنه رأى أن الدول العربية تجاوزته ، وتجاهلت زعامته التاريخية للشعب الفلسطيني . وحاولت الهيئة تأليب الرأي العام على الشقيري ، فدعت إلى مؤتمر فلسطيني عقدته في بيروت ، وصدر عن هذا المؤتمر بيان أعلن عن الترحيب بفكرة إنشاء الكيان ، ودعا إلى إنشائه عن طريق إجراء انتخابات عامة لجميع الفلسطينيين . موقف الهيئة العربية هذا ، عكس بصورة أو بأخرى ، مواقف كل ما كان قد تبقى من قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية التي قادت العمل الوطني قبل سنة ١٩٤٨ بالدرجة الأولى . ويبدو أن هذا الموقف تأثر بموقف سلطات المملكة العربية السعودية التي كانت علاقتها طيبة من جهة مع الهيئة ، وسيئة من جهة أخرى مع الشقيري ؛ لأسباب ترتبط بمواقفه حين كان ممثلاً لها لدى الأمم المتحدة .

وفي دمشق دعا الفلسطينيون الأعضاء في حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم ، إلى أن يتشكل الكيان على أسس ثورية ، واتخذوا موقفاً متحفظاً من الشقيري ونشاطه !! وعشية انعقاد مؤتمر القدس لإعلان تأسيس منظمة التحرير ، نشرت جريدة « البعث » (اللسان المركزي للحزب) مشروعاً للكيان الفلسطيني ، في محاولة للتأثير على مناقشات المؤتمر .

والمشروع يعكس في بنوده بصورة غير مباشرة ، شكوك حزب البعث ، وبالتالي شكوك الحكم في سورية ، وتحفظاتهما حول الطريقة التي جرى بها إعداد الكيان من قبل أحمد الشقيري . وفي تفسير هذا الشك والتحفظ البعثي ، يدخل في الحسبان خلافات حزب البعث مع الناصريين الذين كانوا يتعاونون مع الشقيري ، بوصفه مدعوماً من القاهرة من جهة ، ومن الحكم الأردني ، الذي كان يعارض إبراز الكيان من الجهة الأخرى . وليس من المبالغة القول بأنه ما من فلسطيني يهتم بالأمور السياسية ، أو بالشؤون العامة ، وما من تنظيم أياً كان شكله أو اسمه ، إلا وكان له رأيه ومساهماته في هذه النشاطات .

أما الشقيري فرغم كل الانتقادات التي وجهت لمشروعه ونشاطه وتطلعاته الفلسطينية ، فقد نجح ومعه معاونوه الذين اختارهم بنفسه ، في آخر الأمر في تشكيل المؤتمر الفلسطيني الأول . ولم تجر انتخابات عامة ، بل تشكلت لجان تحضيرية من قبله ، في كل بلد يتجمع فيه فلسطينيون . وقامت هذه اللجان ، بإشراف مباشر من الشقيري ، بتسمية الفلسطينيين المرشحين لعضوية المؤتمر ، ثم قامت لجنة تحضيرية مركزية معينة منه هي الأخرى ، بتنسيق الأسماء التي اقترحتها اللجان التحضيرية المحلية ، وأعدت قائمة نهائية بها . وضمت القائمة النهائية مندوبين مختارين عن التجمعات الفلسطينية داخل الوطن وخارجه ، ثم قدم الشقيري « ترضية للحكم الأردني » تمثلت في ضم قائمة لأعضاء المؤتمر شملت جميع الفلسطينيين ،

(*) فيصل الحوراني ، **الفكر السياسي الفلسطيني : ١٩٦٤ - ١٩٧٤ : دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية** ، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف) ، ١٩٨٠ ، ٢٤٨ صفحة .

من الأعضاء والأعضاء السابقين في مجالس النواب والوزارات الأردنية ، وفي مجالس البلديات والقرى ، دفعة واحدة ممن لم تكن أسماؤهم قد وردت في القوائم التي أعدتها اللجان التحضيرية .

وعشية انعقاد المؤتمر ، منعت السلطات الأردنية أعضاءه الذين يتخذون مواقف معارضة ، ممن كانوا في سجونها أو كانوا قد غادروها من الحضور . وهنا صار كل شيء مُهَيَّأً من جانب الشقيري ومعاونيه لعقد المؤتمر . وكان ثمة حرص شديد من قبلهم على أن يحضر الملك حسين جلسة الافتتاح . وحضر الملك حسين مقابل شرطين وضعهما وقَبِلهما الشقيري : أولهما أن تصرف منظمة التحرير النظر عن كل ماله صلة بتنظيم وتسليح الفلسطينيين في الأردن ، وثانيهما أن ينص صراحة في خطاب الشقيري الافتتاحي وفي ميثاق م . ت . ف على أن المنظمة ليست لها أهداف في الضفة الغربية . وفعلاً فقد أعلن الشقيري في خطابه الافتتاحي ، انسجاماً مع ما اتفق عليه مع الملك حسين : « أن الوحدة هي الطريق إلى تحرير فلسطين ، ومن معاني هذه الوحدة أن انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس ، لا يهدف إلى سلخ الضفة الغربية عن الضفة الشرقية (الأردن) ، ولكننا نهدف إلى تحرير وطننا المغتصب ، ونحن لا نتعرض للكيان الأردني لا من قريب ولا من بعيد » . والمعروف أن الشقيري كان في خطاباته وبياناته ، يدعو إلى الوحدة العربية ، وكان ممن يكررون : « أن الوحدة هي الطريق إلى تحرير فلسطين » .

لقد وصف الشقيري في خطابه ذاك ، عبارة الكيان الفلسطيني ، بأنها « تعبير مفجع ، ينطلق من الفاجعة التي حلت بفلسطين » ، وقال : « لكن يجب أن يكون واضحاً أن هذا الكيان ليس كياناً انفصالياً؛ فنحن دعاة وحدة » .

وقد قدم الشقيري مشروع « الميثاق القومي » والنظام الأساسي ، مشيراً إلى أنه هو الذي وضعهما ، فقال في خطابه : « إنكم لتجدون ، أيها الأخوة ، الهيكل العام للكيان الفلسطيني في مشروعين : الأول : الميثاق القومي ، والثاني : النظام الأساسي لمنظمة التحرير . وقد وضعت في هاتين الوثيقتين خلاصة تجاربي المتواضعة ، بشأن قضية فلسطين بالنسبة لشعب فلسطين ، وبالنسبة للأمة العربية حكوماتٍ وشعوباً ، وبالنسبة للعالم الدولي . وهذان المشروعان مطروحان أمام المؤتمر الوطني للدرس والمناقشة ، والتعديل والتبديل ، إنهما مطروحان للقبول أو الرفض ، فاقبلوا ماشئتم ، فإن قضية فلسطين هي ملك شعب فلسطين ، وشعب فلسطين هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة بشأن قضية فلسطين » .

وقد قُدم مشروع الميثاق مطبوعاً ووزع على الأعضاء ، وحمل العنوان التالي : مشروع الميثاق القومي الفلسطيني ، وضعه السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية . وكان المشروع خالياً من المقدمة ، فارتأى أعضاء لجنة الميثاق وضع مقدمة له ، وقد اشترك الشقيري اشتراكاً كاملاً في المناقشات التي انتهت بصياغتها ، لذا جاءت تحمل طابعاً واضحاً من مفاهيمه .

وقد جرى تشكيل عدد من اللجان ، منها لجنة لمناقشة الميثاق القومي ، ودار فيها نقاش مطول حتى على أدق العبارات أو الكلمات أو حتى حروف الجر ، فقد كانت اللجنة قد فرغت من مناقشة مواد مشروع الميثاق الأساسي ، عند منتصف الليل تقريباً ، وتفرق أعضاؤها ، عندما جرى استدعاؤهم من جديد بطلب من الشقيري لكي يستبدلوا كلمة « عسكرية » حيث وردت في النظام الأساسي ، بكلمة « تحريرية » ، وتجدد النقاش حتى صباح اليوم التالي ، ووضعت في النهاية كلمة « تحريرية » بدلاً من « عسكرية » كما طلب الشقيري تجنباً لحذر الأردن من أية إشارة لأنشطة عسكرية فلسطينية . وعموماً ، فإن هذا الميثاق إجمالاً ، قد عكس بالفعل حصيلة خبرة الشقيري الذي أشرف على وضعه ، وهي خبرة مستمدة من نشاطه الحقوقي خارج الأمم المتحدة وداخلها .

وقد ظل هذا الميثاق حتى انتقلت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى مرحلة (الفصائل الفدائية الفلسطينية) التي كانت على رأسها حركة فتح بثقلها على مختلف الأصعدة ، فعدل الميثاق بدءاً باسمه الذي أصبح (الميثاق الوطني الفلسطيني) مروراً بمعظم مواده .

كلمة أخيرة ونهائية حول الشقيري *

أنور الخطيب

في كتابه « صلاح الدين في القدس - تأملات وذكريات » يتحدث أنور الخطيب عن الشقيري وبخاصة في الأيام القليلة التي سبقت حرب حزيران الصهيونية عام ١٩٦٧ .

وكان الخطيب آنذاك يشغل منصب محافظ القدس ، وركّز على التباين في مواقف الشقيري والمواقف الأردنية .

كانت انطباعات الخطيب نابعة من القلق الذي كان يعيشه الرجل بحكم منصبه ، فضلاً عمّا توحي به التطورات المتسارعة باتجاه الحرب؛ ولا سيما أن كل ما بين القدس التي تقع في عهدته والشطر الغربي المحتل هو جدار : « ومنطقة حرام » وأسلاك شائكة ، ولكن الرجل أنصف الشقيري حينما قال :

الأستاذ الشقيري (رحمه الله) كان من رجالات فلسطين ، بل من رجالات العرب الذين قدّموا خدمات جُلَّى للقضايا العربية سواء في المشرق العربي أو في المغرب العربي ، وكان له جولات شجاعة على منبر هيئة الأمم المتحدة دفاعاً عن الحق العربي حيثما ضاع هذا الحق . وقد أثارت مواقفه المبدئية والوطنية عليه حكام السعودية ، وكان يعمل معهم؛ فاستغنوا عن خدماته ، ووقف هو صامداً يدافع عن رأيه ومبدئه . لقد بذل الأستاذ الشقيري الجهود الكثيرة في تأسيس وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، ولاقى العنت والمتاعب من شتى أنظمة الحكم العربية . وقد روى في كتبه التي كتبها بعض تلك المتاعب والمهالك وكم بذل من صحته ، بل وكرامته في سبيل الشعب الذي كرّس نفسه لخدمته .

ومن الأمثلة على الصعوبات التي كان يلاقيها هذا الشعب المشرد المنكود هي حرية السفر والتنقل ، فجامعة الدول العربية أوعزت للدول العربية بعدم منح جنسيتها لأي فلسطيني خشية ذوبان هذا الشعب في غيره من الشعوب ، وفي نفس الوقت وضعت الصعوبات أمامه في حركة السفر والتنقل لأبناء هذا الشعب الذي يحمل تذكرة سفر لاجئين . وقد بلغ ببعض الأنظمة العربية أن تسأل حامل جواز السفر الأردني هل هو من الضفة الشرقية أو الغربية ، فإذا كان من الأخيرة منع من السفر . وقد اتصلت أثناء وجودي في القاهرة بسفير إحدى تلك الدول وقلت له محتجاً : ما هي الضرورة التي تدعو للتفريق بين ضفة غربية وشرقية ؟ فما دام حامل جواز السفر الأردني يحمله بشكل مشروع؛ فليس من حقك ولا حق غيرك أن تسأل هذا السؤال العنصري السخيف .

وهكذا كان أبناء هذا الشعب مطاردين في كل مكان وغير مقبولين في أي مكان . وأثار الأستاذ الشقيري هذه الصعوبات في مؤتمر القمة في الرباط . وقد حضرت ذلك بنفسي فلم يجد أي تجاوب من أي بلد عربي باستثناء الأردن ، وكل ما قاله القادة والزعماء هو أنه على الأستاذ الشقيري أن يقوم بجولة في العواصم العربية لحل هذه المشكلة بشكل ثنائي وحسب ظروف كل دولة .

(*) أنور الخطيب ، **صلاح الدين في القدس - تأملات وذكريات** ، القدس ، دار الطباعة العربية ، ١٩٨٩ ، ص ١٠١ .

أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً *

تأليف : أ. د. خيرية قاسمية
عرض : أ. د. محمد علي الفرا

ليس هناك من لا يعرف أحمد الشقيري أو من لم يسمع عنه ، فقد كان ملء السمع والبصر ، له في المحافل والمناسبات العربية جولات وصولات . نضاله على أرض فلسطين لا ينكره أحد ، وكفاحه في سبيل التحرير يعترف به الجميع ، وأعماله الوطنية امتدت واتسعت ، حتى غطت جميع الأقطار العربية . ولعل من أبرز أعماله التي ماتزال تشهد بمآثره رئاسته لأول لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

بمجرد أن انتقل الشقيري إلى الرفيق الأعلى ، قام الأخ خيري الدين أبو الجبين بالاتصال بنفر من أصدقاء الفقيد الكبير الذين كان يحرص على لقائهم كلما زار الكويت . وتشكلت منهم على الفور لجنة لتكريم الرجل ، اعترافاً بدوره الكبير في ساحة النضال الوطني . ووجدت اللجنة أن إصدار كتاب يتناول حياة الرجل وكفاحه وجهاده أفضل أنواع التكريم ، وعهدت اللجنة إلى المؤرخة الفلسطينية الدكتورة خيرية قاسمية بمهمة تأليف الكتاب الذي جاء في ستمائة وسبع وثلاثين صفحة .

يبدأ الكتاب بسيرة مفصلة لحياة الشقيري منذ ولادته في عام ١٩٠٨م ، حتى وفاته عام ١٩٨٠م فيبحث في نشأته وتربيته ومراحل تعليمه ، وامتهانه المحاماة ، واشتغاله بالسياسة ، ودخوله المعترك الوطني ، ودفاعه عن الوطن وشعبه ، وما لاقاه في سبيل ذلك من اضطهاد ، ونفي على يد حكومة الانتداب البريطاني . ويتناول الكتاب أيضاً دوره في كثير من القضايا العربية ، مثل اشتراكه في التحضير لإنشاء جامعة الدول العربية ، ومساهماته في الاجتماعات التي عقدت لمناقشة القضية العربية ، وعمله كأمين عام مساعد لجامعة الدول العربية في الخمسينيات ، وندبه لرئاسة الوفد السوري في هيئة الأمم المتحدة ، ثم ممثلاً للمملكة العربية السعودية في هذه الهيئة الدولية نفسها . وفي التاسع عشر من شهر أيلول / سبتمبر عام ١٩٦٣ اختير الشقيري ليكون ممثل فلسطين في الجامعة العربية بعد وفاة ممثلها السابق أحمد حلمي عبدالباقي . ويوضح الكتاب بالتفصيل قصة إنشاء الكيان الفلسطيني ممثلاً في منظمة التحرير الفلسطينية ، عقب انعقاد مؤتمر القمة العربي الأول في شهر كانون الثاني / يناير عام ١٩٦٤ ، والعقبات والمشاكل التي واجهها الشقيري وهو يطوف الأقطار العربية ، ويجتمع بالجاليات الفلسطينية فيها ، وكيف استكمل مقومات هذا الكيان ، مثل : إنشاء جيش التحرير الفلسطيني ، وتشكيل المجلس الوطني الفلسطيني ، واللجنة التنفيذية ، وإذاعة فلسطين ، ومركز الأبحاث الفلسطيني ، والصندوق القومي الفلسطيني ، وافتتاح مكاتب للمنظمة في الأقطار العربية وفي الخارج . وقد كان الشقيري وهو رأس المنظمة شعلة من النشاط المستمر ، يعمل ما وسعه العمل لما فيه خير وطنه ومنفعة شعبه ، حتى اضطرته الظروف إلى أن يقدم استقالته في الرابع والعشرين من شهر كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٦٧ . وعلى الرغم من استقالته فإنه ظل حاملاً مسؤولية وطنه ، وحاملاً في فكره ووجدانه هموم شعبه إلى أن مات واقفاً كما تموت الأشجار الباسقة .

ويأخذ البعض على الشقيري فرديته ، فكثيراً ما كان يتصرف بنفسه ، دون أن يستشير زملاءه أعضاء اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو لا ينكر هذا ، ففي مذكراته يذكر حادثة تدل على انفراده في اتخاذ القرار ، وذلك حينما انسحب من مجلس رؤساء الحكومات العربية في أيار / مايو ١٩٦٥ ، ومطالبته بفصل تونس من الجامعة على إثر تصريحات الرئيس بورقيبة في آذار / مارس ١٩٦٥ . ولما شعر بانزعاج زملائه قدم استقالته إلى المجلس الوطني الفلسطيني ، وخاطب الأعضاء قائلاً : « ومن رأى اعوجاجاً فليقومه ، إن الأمانة بلاء وعناء ، والجبال أبَين أن يحملنها ، وأنا حاضر أن أرد الأمانة إلى الشعب ، فإنه وحده صاحبها » .

ثقافة الأديب

تميز الشقيري بثقافته الواسعة ، فقد نشأ في بيت كان العلم شعاره ، فوالده الشيخ أسعد الشقيري من أبرز علماء الدين في فلسطين ، عمل مفتياً للجيش التركي الرابع الذي كان يقوده جمال باشا الملقب بالسفاح . وقد كان الشقيري منكباً على مكتبة أبيه القيمة ، ومواظباً على مجالس والده العلمية والثقافية . أجاد اللغة الإنجليزية بعد أن درسها في مدرسة صهيون ، وأتقن العربية كتابة وخطابة ، وتبحر في العلوم الدينية كالفقه والتشريع والحديث ، وفي العلوم الدنيوية كالتاريخ والاجتماع والقانون والسياسة والاقتصاد . كان يحفظ الكثير من

(*) مجلة العربي ، الكويت ، ع ٣٦٦ ، أيار / مايو ١٩٨٩ .

الأحاديث والنصوص والآيات القرآنية والأشعار ، مما ساعده على أن يكون فارس الكلمة ، وصاحب البيان .

وقد أحب الشقيري وطنه ، وتعلق به ، وهام به كهيام المحب الولهان . وكان يتغزل بفلسطين برها وبحرها ، سهلها وغورها وجبالها ونجادها ، فهو يقول : « لقد أتاحت لي أسفاري الكثيرة أن أرى أجمل ما في هذه الدنيا من مشاهد رائعة ، ولكني كنت دائماً أقيس وأفاضل وأشبه ، فأرى أن بقاع الجليل ، من شواطئ عكا إلى جبال صفد ، إلى وهاد طبرية ، إلى روابي الناصرة ، أجمل ما في هذا الوجود ، وأبدع ما في هذا الوجود ، ومن هنا صنع السيد المسيح أعجز معجزاته ، وأرفع عظاته » .

على الرغم من إعجاب الشقيري بخطبه التي كان يلقيها في الأمم المتحدة ، ومباهاته بقدرته الفائقة على الإقناع وإفحام الخصوم ، إلا أنه كان يرى أن ذلك لا يحرر الوطن ، ولا يعيد شعباً إلى وطنه ، وعنده أن الكفاح والنضال المسلح هو وحده السبيل للتحرر . وفي هذا يقول : « إن الشعب الفلسطيني يلجأ إلى الأمم المتحدة لآخر مرة ، وأنه لا يرى مناصاً من حرب تحريرية لاسترداد وطنه » .

ويعلق الشقيري على جهاد شعب فلسطين ويقول : « إن ثورات هذا الشعب البطل هي التي أحبطت مشروع التقسيم ، وجعلت القضية حية في أيدي أبناء فلسطين ، فقد كان شعبنا في وطنه شعباً ثائراً ، ومقاليد الثورة بين يديه » .

والكيان الفلسطيني لا معنى له عنده إذا لم يكن قائماً على تنظيم ، وقوة تسنده ، وكفاح يدعمه : « إنه تنظيم وعمل وتحرير ، إنه قوة طليعية نضالية في ميدان النضال العربي ، إنه تضحيات وبطولات ، إنه عرق لا يجف ، ودمع لا يكفكف ، ودم غير ضنين ، إنه أداة نضالية تمكن أهل فلسطين من النضال ، تكفل التدريب والسلاح للقادرين على حمل السلاح .. » ويخاطب أبناء شعبه قائلاً : « لست أدعوكم إلى طريق لا أسير فيه معكم ، علينا أن نسير ، وأن نسير جميعاً ، فإن هلكت في الطريق فاحملوني أيها الرفاق إلى فلسطين عربية حرة مستقلة » .

ومن منطلق إيمانه المطلق بأن « الكفاح المسلح » هو طريق التحرير قام بإنشاء جيش التحرير الفلسطيني ، ليكون طليعة البذل والتضحية والعطاء . وكان دوماً يصر على أن شعب فلسطين يجب أن يكون في طليعة الطليعة في حرب التحرير ، وكان تصميمه على تبني الكفاح المسلح من الأسباب التي أدت إلى صدامه مع بعض القيادات العربية .

وفي تبريره لإنشاء جيش التحرير الفلسطيني في عام ١٩٦٤ ، يقول الشقيري بأنه قرر إنشاء هذا الجيش حتى « يؤدي دوره الطبيعي إلى جانب الجيوش العربية في تحرير فلسطين واسترداد الوطن السليب » .

وعلى الرغم من إنشاء الشقيري للجيش الفلسطيني إلا أنه كان يشيد بالعمل الفدائي ، وبخاصة بعد نكبة حزيران / يونيو ١٩٦٧ ، لكنه كان يلح على ضرورة توحيد المنظمات الفدائية والمنظمات السياسية ، خوفاً على العمل الفدائي من التفرقة والانقسام ، ويرى بأن جميع هذه المنظمات يجب أن تتوحد تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد بذل جهوداً كثيرة ، ومساعي حقيقية من أجل هذا الهدف .

إيمانه بالعروبة

الشقيري من الشخصيات التي آمنت بالعروبة ، وأسهمت في بناء وحدتها ، ولا يوجد كتاب من كتبه إلا وفيه تمجيد للعروبة وحب لها « فإنني لم أشك يوماً في جوهر الأمة العربية ، ولا في أسرار قوتها وبسالتها ، رغم ما أرى فيها من أعراض الوهن ، يبدو حيناً بعد حين ، ولم تكن الأيام إلا لتزيد هذا اليقين رسوخاً ، ولم تكن الحوادث إلا لتقدم دليلاً يتبع الدليل لإبراز هذه الحقيقة ، ساطعة سافرة » .

وكان الشقيري من الذين يتطلعون إلى الوحدة العربية ، ويعملون في سبيلها ، وقد كان يشعر بالسعادة في كل عمل يوصل إلى أي نوع من أنواع الوحدة . وعلى الرغم من أنه كان يتطلع إلى وحدة تجمع الشعوب في دولة عربية واحدة ، إلا أنه رحب بفكرة إنشاء جامعة الدول العربية ، وعدّها خطوة نحو جمع الكلمة ، ولمّ الشمل . ولذلك نجده يستجيب لطلب الرئيس السوري شكري القوتلي الذي أوفده إلى الإسكندرية ، ليكون قريباً من المباحثات إلى أن يصل الوفد السوري الرسمي . وقد اشترك في اجتماعات اللجنة المكلفة بوضع ميثاق الجامعة .

وعلى الرغم من مآخذ الشقيري على الجامعة العربية إلا أنه لم يحاول أن يقلل من أهمية قيامها في التاريخ العربي المعاصر : « إن مجرد قيام جامعة الدول العربية مهما قيل في خلفيات نشوئها ونشاطاتها وإنجازاتها ، سلباً أو إيجاباً ، يعتبر أكبر حدث في التاريخ العربي المعاصر ، ووجود الجامعة العربية بحد ذاته تعبير عن الكيان السياسي والقومي والحضاري للأمة العربية ، رغماً عن أن الجامعة لم تحقق الكثير من طموحات الأمة العربية » .

وكان انتماء الشقيري للأمة العربية أكبر من أي انتماء إلى أي قطر من أقطارها ، يهب للدفاع عن

العروبة من أي موقع ، سواء كان في الوفد السوري للأمم المتحدة أو في الوفد السعودي . يقول في الدورة الثانية عشرة للأمم المتحدة في خريف عام ١٩٥٧ التي يسميها « دورة القومية العربية » ما نصه : « وأخذت على عاتقي أن أرد عليهم (يعني وزراء خارجية الدول الغربية الكبرى) جميعاً ، وأن أتحمل العبء كله ، كما لو كنت أمثل الأمة العربية كلها ، وكنت صادقاً في هذا الشعور أمام نفسي ، فقد فقدت وطني الصغير ، وتعاظم تعلقي بالوطن الكبير . ومن هنا أصبحت أحس أن القومية العربية قضيتي وأن الدفاع عنها مسؤوليتي » .

وتجسيداً لإيمانه بالعروبة فقد كان الشقيري في كل مناسبة ، ومن كل موقع ، يتبنى القضايا العربية في هيئة الأمم المتحدة ، ويدافع عنها بحرارة وبصدق وإخلاص ، ولسنا هنا بصدد دفاعه عن قضايا الأمة العربية في المشرق والمغرب ، فهي عديدة لا يتسع المقام لبحثها أو ذكرها ، ويكفي القول بأن الوحدة العربية كانت عنده هوى وعقيدة ، ولذلك كان يقول عن نفسه : « أنا وحدوي الهوى والنشأة » . ويقول في أحد كتبه : « إن الوحدة العربية - فكراً وعقيدة ودولة - هي أمل الأمة العربية ، وإذا كانت قد أصبحت من غير روح فالتبعية على الحكم العربي المعاصر ، أو معظمه » . وقال الشقيري للأمين العام للأمم المتحدة الذي لاحظ أن الشقيري في خطابه عام ١٩٦٠ بشأن قضية « موريتانيا » يتحدث عن الوحدة حديث العابد : « الوحدة عندي عبادة ، نحن شعب فلسطين ضحية فقدان الوحدة : التجزئة أشد بلاء من الاحتلال » .

هذه لمحات سريعة ، تبين بعض جوانب شخصية الشقيري ، وهي في نفس الوقت مجرد إشارات عابرة إلى بعض أنشطته وفاعلياته على المستوى الفلسطيني ، وعلى الصعيد العربي ، وعلى المسرح الدولي . لكننا في عجالة كهذه لا يمكن أن نفي هذه الشخصية الكبيرة حقها من الدراسة ، كما أنه ليس في استطاعتنا عرض كل ما جاء في كتاب الدكتورة خيرية قاسمية عن الشقيري ، فهو من الكتب الكبيرة التي لا يمكن عرضها بشكل وافٍ ، ولذلك وجدنا أن من الأفضل أخذ قبسات من هذا السفر القيّم .

بواكير النضال *

أكرم زعيتر

في عكا كان السيد أحمد الشقيري ابن الشيخ أسعد الشقيري يتردَّد على غرفتي كثيراً ، يجيء يبثّني آلامه من أبيه . وقد كنت أنكر عليه في نفسي تحامله على أبيه ، مع أنه يسكن معه ويعيش على نفقته ، وكنت أقضي كثيراً من السهرات والسيد الشقيري في غرفتي نتحدث في الشؤون العامة ، فألمس منه تحمساً فائقاً ويبدو عليه الذكاء المفرط . وهو يساير محدثه ولا يجادله . وإذا حمل على خصم غير موجود في الجلسة ، أرسل لساناً صارماً ورمى خصمه بالمقذعات . كان أحمد يحب الجبنة النابلسية ، فكثيراً ما جاء لي ليقول : « أنا جائع هات ما عندك من جبنة » ، ثم ننطلق نتحدث ولا تخلو أحاديثنا من دعابات وأمازيح . وأحمد طموح طموحاً يتجاوز ما يتصوره المرء . وكل شيء يمكن أن يُبرَّر إذا حقق له طموحه . وكان منتمياً إلى مدرسة الحقوق في القدس ، يذهب أحياناً ليسجل اسمه في الحضور ثم يعود . وقد اتفق مع السيد بولص شحادة صاحب جريدة « مرآة الشرق » على أن يتولى هو رئاسة تحريرها . وكانت تصدر مرة في الأسبوع أو مرتين ، فيرسلها لي وأقرأ مقالاته الافتتاحية التي تتسم بالحماسة البالغة ، مع غمز ولمز لخصوم أبيه أو الفئة التي ينتمي إليها أبوه من المعارضين للحاج أمين الحسيني . وأحمد خطيب مفوّه مُرتجِل .

وفي خريف هذه السنة ١٩٢٨ بدأت في البلاد موجة من القلق على مصير العراق . وليس أفعل من إهاجة الشعب العربي (المسلمين خاصة) من إثارة حماستهم الدينية . فالحركة الوطنية كانت في السنوات الأخيرة في ركود نسبي . وبينما كانت الثورة السورية تشتد في سورية وتمتد إلى جميع أنحائها ، كان الفلسطينيون قد شغلهم الحاكم البريطاني بشؤون انتخابات المجلس الإسلامي الأعلى والانتخابات البلدية . وفعلت الحزبية المحلية في إثارة الأنانيات الشخصية وخلق أحقاد حتى لكأن فلسطين ليست مهددة بالتهويد .

(*) اكرم زعيتر ، **بواكير النضال ج٢ مذكرات أكرم زعيتر ١٩٠٩ - ١٩٣٥** ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٤ .

خالد الفاهوم يتذكر *

نافذ أبوحسنة

حول المؤتمر الفلسطيني في القدس ، يروي خالد الفاهوم لمحرر كتابه نافذ أبو حسنة أن الدعوات جاءت إلى دمشق في أيار / مايو ١٩٦٤ فسافرت مع أعضاء المؤتمر إلى القدس ، وفور وصولنا علمنا أن الملك حسين غاضب ، وأنه غادر عمان إلى العقبة ، ولا يريد حضور افتتاح أعمال المؤتمر في القدس ، رغم أنه قد جرى الإعلان عن أن الملك هو من سيفتتح المؤتمر ، عندها تدخل بهجت التلهوني رئيس الديوان الملكي ، فأخذ الشقيري إلى العقبة للاجتماع بالملك ، وهناك تمت ترضية الملك ، بأن وافق الشقيري على دعوة النواب والأعيان بصفتهم التمثيلية ، وعلى زيادة عدد أعضاء المؤتمر من الأردن ، وعند افتتاح المؤتمر منع أعضاء فيه من دخول القاعة مثل : بهجت أبو غربية ، وليد قمحاوي ، عبد الخالق يغمور رغم وجود الملك داخل القاعة .

• هناك من يتهم الشقيري بأنه قدم تنازلات كبيرة للأردن في المؤتمر الأول ، حتى أن البعض قال إن المؤتمر الأول هو تسليم بقرارات مؤتمر أريحا .

- في الحقيقة كان هم الشقيري إنشاء المنظمة ، وكان يقول لا بأس من أي تنازل تكتيكي ، ففي خطابه أمام المؤتمر قال : « ليس لنا مطامع لا في شرق الأردن ولا في الضفة الغربية » . عملنا سيكون غرب الضفة الغربية » . وقد أزعج كلامه الكثيرين من أعضاء المؤتمر ، وخاصة في موضوع جيش التحرير حيث قبلنا ألا يكون لنا أي وجود عسكري لا في الضفة الشرقية ولا في الضفة الغربية .

• بالعودة إلى المؤتمر الفلسطيني الأول ، من الذي ترأس جلساته ؟

- انتخب الشقيري رئيساً للمؤتمر ، ونوابه : حيدر عبدالشافي ، حكمت المصري ، نقولا الدر ، روحي الخطيب ، أما الأمين العام للمؤتمر فهو عبدالرحمن السكسك ، وقد انتخب المؤتمر الشقيري ورئيس مجلس إدارة الصندوق القومي عبد الحميد شومان ، وقام الشقيري بتعيين أعضاء اللجنة التنفيذية الأولى لاحقاً ، وانقلب المؤتمر الفلسطيني الأول إلى المجلس الوطني الفلسطيني ، وجرى إقرار الميثاق القومي ، والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

• هل استمر الشقيري بسياسة الترضيات في تشكيل اللجنة التنفيذية الأولى ؟

- حسب قرارات المؤتمر كان على الشقيري أن يشكل اللجنة التنفيذية بعد التشاور مع أعضاء المجلس ، والذي جرى هو تشاور مع الحكومات وروعي في تشكيل اللجنة التوزع الجغرافي للفلسطينيين ، وإرادة الدول العربية ، وأراد الشقيري أن يقوم بتعويض التنازلات التي قدمها للأردن في تشكيل اللجنة التنفيذية فضم إليها مقابل قاسم الريماوي المؤيد للأردن ثلاثة من المعارضين : بهجت أبو غربية (بعثي) وليد قمحاوي (قوميون عرب) وعبد الخالق يغمور .

• كيف جرى اختيارك لعضوية اللجنة التنفيذية الأولى ؟

- بعد انتهاء أعمال المؤتمر عدت لدمشق لمزاولة عملي ، وفي أواخر آب / أغسطس جاءتني برقية من الشقيري أبلغني فيها بأنه تم اختياري لعضوية اللجنة التنفيذية ، وطلب حضوري للقاهرة ، لحضور أول اجتماع للجنة والمشاركة في مؤتمر القمة العربي الاجتماع الأول للجنة ، ومؤتمر القمة العربي الثاني في أيلول / سبتمبر ١٩٦٤ ، ولم تكن المنظمة في ذلك الوقت تملك شيئاً فتبرع لنا عبد الحميد شومان بخمسين ألف دينار لنبدأ العمل .

• ما هو أول عمل قامت به اللجنة التنفيذية بعد استكمال تعيينها ؟

- في الإسكندرية عقدنا لقاءً قصيراً ، وكان الشقيري يتهيأ لحضور القمة العربية ، فقمنا بانتخاب أربعة من أعضاء اللجنة التنفيذية للحضور معه : حيدر عبدالشافي ، وعبد الخالق يغمور ، وبهجت أبو غربية ، ونقولا الدر . وقد كنا نواجه اعتراضات من السعودية ، والأردن ، والهيئة العربية العليا ، التي شككت بكفاءة أعضاء اللجنة التنفيذية ، مما دفع الشقيري إلى القول في كلمته أمام القمة ، لقد شكلنا اللجنة التنفيذية من كفاءات تضاهي ما عندكم وتزيد .

• ما هو المنجز الأساسي للمؤتمر ؟

- كان تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية هو المنجز الأساسي للمؤتمر ، مما أسس كياناً فلسطينياً بعد شتاتنا ، فابن غزة لا يعرف ابن الضفة ، وهؤلاء لا يعرفون فلسطينيي سورية ولبنان ، وقد كنت لأول مرة

(*) نافذ أبو حسنة (مُعد) ، **خالد الفاهوم يتذكر** ، ١٩٩٥ ، ص ص ٥٩ - ٩٢ .

أزور الخليل ونابلس ومدن الضفة ، وتعرفت على أبناء شعبنا الفلسطيني ، وكانت أول خطوة على طريق طويل لإبراز الكيان الفلسطيني .

• كيف تعاملت الهيئة العربية مع منظمة التحرير الفلسطينية ؟

- قال الفاهوم إن سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني رفض أي تعاون مع المنظمة ، رغم أن الشقيري رجاه أكثر من مرة وألح عليه ، وحرض الحسيني أوساطاً فلسطينية في لبنان وسورية بشكل خاص على عدم التعامل مع المنظمة .

• لماذا ؟

- لأن المنظمة أنشأها وأقامها عبد الناصر ، وكان الشقيري يرى أنه لا منظمة بدون عبد الناصر ، وتحت هذا السبب المعلن حرض الحسيني مؤيديه على رفض المنظمة بضرب أنشطتها .

أما سبب تفضيل عبد الناصر الشقيري على الحاج أمين رغم أنه زعيم تاريخي فيرجع إلى عام ٦٤ حين دعا الحسيني الشعب الفلسطيني للخروج من فلسطين ، وكان من واجبه أن يخاطب الناس بعدم الخروج لأنه يعرف الكثير من ملابسات الأمور ، وبالإضافة إلى موقفه من النازية وهتلر .

• هل راعيتم اعتبارات خاصة في تعيين مديري المكاتب ؟

- بعد إقرار النظام بُدئ بتعيين مديرين لمكاتب المنظمة ، وقد روعي في التعيين اعتبارات خاصة مثلاً في بغداد عيّن داوود عودة صديق عبد السلام عارف ، وكلف الشيوعي محمد فياض بمكتب الصين ولكنه رفض ، فعيّن رشيد جربوع بدلاً عنه ، وكلفت أنا بتشكيل مكتب دمشق وتعيين مدير له .

• ومن اخترت لهذا الموقع ؟

- لقد أعطتني اللجنة مبلغ ٣٥ ألف ليرة سوري لإقامة مكتب ، فوضعتها في البنك وبحثت عن مقر إلى أن وجدت بيتاً ملائماً ، استأجرته بألفي ليرة وفرشته واخترت ضابطاً سابقاً وهو المقدم مصطفى سحتوت ، واخترنا موظفين للمكتب : محمود الخالدي (فتح) عوني الحاجب (ج . ت . ف) ولطف طنوس (البعث) ويونس محمد (مستقل) .

• هل كانت التعيينات تخضع لتجاذبات معينة ؟

- لقد كانت التعيينات غالباً ما تخضع لتجاذبات معينة ، أذكر أننا أردنا تعيين مدير لدائرة شؤون اللاجئين فقام حيدر عبد الشافي وقصي العبادلة بترشيح خليل عويضة ، وهو شيوعي من غزة فاحتج فاروق حسني وحامد أبوستة ، وهما مقربان من عبد الناصر ، وقالوا لعبد الشافي : هل نسيت الأمم المتحدة ؟ لحظتها لم أفهم المقصود ، ولكن لاحظت ارتباك عبدالشافي ، ثم علمت أنهم يهددونه بواقعة ذهابه ضمن وفد فلسطيني إلى الأمم المتحدة عام ١٩٦٢ وقبوله قرار التقسيم .

• ماذا عن الاتصالات مع الدول العربية والأجنبية ؟

- كان الشقيري يقوم بزيارات كثيرة ، وحدثت اتصالات مع الدول العربية التي افتتحنا مكاتب فيها .

• ألم تحاولوا الاتصال بموسكو قبل الصين ؟

- حاول الشقيري كثيراً الاتصال بموسكو قبل الصين ؛ لأن فتح علاقات مع موسكو يعني فتح علاقات مع كل دول الكتلة الشرقية ، لكن الرد كان يأتي بأن المنظمة خيالية ، وتريد حسب ميثاقها تدمير « إسرائيل » ولا مجال للتعامل معها .

• ولذلك توجهتم للصين ؟

- بالنسبة للصين كان الشقيري قد شارك مع الوفد السوري في مؤتمر باندونج لدول عدم الانحياز عام ١٩٥٥ ، وهناك تفاهم مع « شو إن لاي » وقوى الخط الصيني في المؤتمر ، فدعاه « شو إن لاي » لزيارة الصين ، وبالفعل قمنا بزيارة الصين في ١٩٦٥ .

• وما أهمية تلك الزيارة ؟

- لقد اعترفت الصين بالمنظمة اعترافاً كاملاً وهي أول بلد أجنبي يعترف بنا ، وقد استقبلنا استقبالاً شعبياً بالأعلام ، وعقدنا سلسلة اجتماعات مهمة مع « شو إن لاي » وعقد الشقيري والعسكريون من أعضاء الوفد اجتماعاً خاصاً مع العسكريين الصينيين ، وجرى الاتفاق على قيام الصين بتدريب عدد من ضباط جيش التحرير الفلسطيني على حرب العصابات ، كما أعطانا الصينيون باخرة سلاح كأول دفعة سلاح تتلقاها المنظمة . وقد وصلت لاحقاً إلى ميناء الإسكندرية في مصر . وعلى الصعيد السياسي فقد وافقت الصين على افتتاح مكتب للمنظمة ، وتحمل نفقاته بالكامل ، وأبلغونا موقفاً حازماً أنهم لن يعترفوا بـ « إسرائيل » ، وقد قال لنا « شو إن لاي » : نحن نعترف بمنظمة التحرير ورفضنا من حيث المبدأ الاعتراف بـ « إسرائيل » .

• هل التقيتم ماوتسي تونج ؟

- بعد المحادثات مع « شو إن لاي » طلبنا زيارة ماو فأخذونا إلى مدينة كبيرة « ووهان » ، وقال لنا ماو في اللقاء : كلكم جنرالات ؟ أنا ليس عندي جنرالات ، الجنرالات لم يدخلوا مدارس حربية نحن لا نؤمن بها . وقال لنا أيضا : لا تخافوا أميركا ، أميركا نمر من ورق ، وإذا كنتم تخافون من « إسرائيل » قولوا لي حتى أعرف كيف سأتعامل معكم .

• **لوحظ أن الوفد إلى الصين كان يضم رجال أعمال ومتمولين فلسطينيين مثل عبد المحسن القطان ورفعت النمر ، هل اصطحبهم الشقيري لتمويل الوفد ؟**

- لقد اصطحب الشقيري رجال أعمال ومتمولين فلسطينيين مثل عبد المحسن القطان ورفعت النمر ، وذلك لإرضاء مختلف الفئات الفلسطينية وليس لتمويل الوفد ، فقد مولت الصين كل مصاريف الوفد ..

• **كان في الصين آنذاك وفد لفتح ، هل اتصلتم به ؟**

- أذكر أنه قبل مغادرتنا القاهرة جاء من فتح خالد الحسن وعرض على الشقيري التنسيق بصدد الصين ، وقد وافق الشقيري ، لكن الوفد الذي كان يضم هاني الحسن ، وممدوح صبري وعدداً من أعضاء فتح الذين يتدربون في الصين كان وفداً سرياً ولم يجر الاتصال به .

• **هل بدأت المنظمة تفرض حضورها عربياً ؟**

- إلى حد كبير ، كنا قد بدأنا تشكيل كتائب جيش التحرير ، والأمور مع سورية ومصر والعراق كانت سهلة ، سورية أعطتنا كتيبة كنواة لقواتنا ، وفي غزة أعطتنا مصر الحرس الوطني ، وهيأت قانون التجنيد الإجباري ، والضباط الفلسطينيون في سورية ومصر والعراق حولوا لجيش التحرير ، ووقع عبء على عاتق اللجنة التنفيذية العسكرية .

كذلك بدأت المنظمة تفرض حضورها ، فعندما جاء الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة إلى الضفة وطلب من الفلسطينيين أن يقبلوا التقسيم ، خرجت المظاهرات في أريحا ومدن الضفة ، وقامت المنظمة بدعوة مجلس جامعة الدول العربية للاجتماع لفصل تونس من الجامعة العربية ، وقد دعمت سورية طلب المنظمة ، ما يمكن قوله أنه بعد زيارة الصين ، والبدء في تشكيل كتائب جيش التحرير ، والحضور العربي ، بدأنا نشعر بالكيان الوليد ، وشعرنا بالارتياح لما أنجز خلال فترة قصيرة ، ولكن في الوقت نفسه ، كان علينا أن نواجه نمطاً مختلفاً من الإشكالات ، فقد ازدادت انتقادات القوميين واليساريين للشقيري ؟

• **ومتى كان ذلك ؟**

- القوميون العرب كانوا قوة لا يستهان بها في المنظمة والمجلس الوطني ، وكانت تربطهم علاقات وثيقة بالإدارة المصرية وخاصة سامي شرف ، وشعروا أن بإمكانهم الاستيلاء على المنظمة ، فبدأوا قبيل انعقاد المجلس الوطني في دورته الثانية (٥/٣١ - ١٩٦٥/٦/٤) مع اليساريين وعلى رأسهم حيدر عبد الشافي المشاغبة على الشقيري ، وركزوا انتقاداتهم على أن الشقيري يمالئ الدول العربية ، ولا يعمل على استقلالية المنظمة . وقد راجت شائعة عن أن الرئيس عبد الناصر لن يفتتح الدورة الثانية للمجلس الوطني ، كمؤشر على رفع الغطاء عن الشقيري - لو حدث - فازداد هجوم القوميين العرب على الشقيري ، وعند الافتتاح حضر الرئيس ولكنه قال في كلمته : « ترددت كثيراً قبل أن آتي إليكم ، لأن عندكم مشكلات ، ولكن في النهاية قلت هذه فلسطين ، وهذا الكيان الفلسطيني » . ورد الشقيري قائلاً : « إنك معروف بأنك قائد ملهم ، وقد ألهمك الله أن تأتي إلى المجلس الوطني » .

ومجيء عبد الناصر ، أثر على موقف القوميين العرب ، ولكن عندما انتقل الاجتماع في اليوم الثاني إلى جامعة الدول العربية ، كانت هناك سلسلة من المفاجآت بانتظار الشقيري . فعند بداية الجلسة وقف القوميون واليساريون وقالوا لا يجوز الجمع بين رئاسة اللجنة التنفيذية ورئاسة المجلس الوطني ، لأن المجلس ينبغي أن يحاسب ، وما أن أطلقت هذه الكلمات حتى قام الشغب ، فحمل الشقيري أوراقه وغادر الجلسة ، وإذا بعدد من أعضاء المجلس يحملون الشيخ عبد الله غوشة (رئيس الهيئة الإسلامية في الأردن) ويجلسونه على المنصة ، فقام الصياح من جديد ، وقاده هذه المرة الناصري شريف الجعبري لصالح الشقيري ، إذ قام الناصريون بالتوجه إلى المنصة وأنزلوا غوشة ، فعمّت الفوضى في المجلس ، وقام عدد من الأعضاء بحمل الشيخ عبدالحميد السائح إلى المنصة وأنزله آخرون ، دامت هذه الفوضى لوقت طويل ، إلى أن تمت تسوية الأمر ، بعودة الشقيري إلى رئاسة المجلس التي استمر فيها حتى استقالته .

• **لماذا كان الشقيري ميالاً دوماً إلى سياسة الترضيات ؟**

- همّ الشقيري كان أن تبقى المنظمة ، وأن يولد الكيان الفلسطيني ، وتتبلور الشخصية الفلسطينية ، والسؤال أين ومتى ؟ في أجواء شديدة التعقيد ، وجو مشحون بالشكوك والاتهامات . خلافات عربية شديدة ، وضغوط كبيرة على الفلسطينيين ، وتصارع اتجاهات سياسية ، كان عليه التحرك في ضوء ذلك كله .

• **وهل بدت اللجنة التنفيذية الجديدة منسجمة مع سياسة الترضية ؟**

- جاء الشقيري بعد انتخابه لرئاسة اللجنة التنفيذية - وفي ترضية جزئية للملك والمفتي - بالدكتور أحمد السروري إرضاء للأردن ، ولاستكمال الترضية أبعد القوميين العرب والمقربين من سورية ، ومن عبد الناصر ، فجاء إبراهيم أبو ستة بدلاً عن حامد أبو ستة ، وأبعدني عن اللجنة التنفيذية وأتى بجمال الصوراني

وداوود الحسيني لترضية المفتي .

• وماذا عن محاولاتكم مع السوفييت ؟

- كان السفير السوفييتي في القاهرة « فينو غرادوف » أشهر سفير سوفييتي في العالم ، وكان على معرفة وعلاقة بالشقيري من أيام عمل الأخير في الأمم المتحدة ، طلبنا منه موعداً فدعانا للعشاء ، وربما حتى لا يكتسب اللقاء صفة رسمية ، ذهبت مع الشقيري إلى اللقاء وكان بين الرجلين تباسط وممازحة ، وعندما طرح الشقيري موضوع العلاقة مع السوفييت قال له « فينوغرادوف » أنت أكبر أحمق في العالم « لأنك قبلت أن تتصدى لقضية بمثل هذا التعقيد ، أميركا ضدكم ، بريطانيا ضدكم ، فرنسا ضدكم ونحن ضدكم ، ومعظم العرب ضدك » . عاود الشقيري طرح الأمر ، فقدم « فينوغرادوف » إجابة قاطعة : لا علاقات مع المنظمة ، المنظمة غير واقعية ، والاتحاد السوفييتي لا يمكنه التعامل معها ، أنتم في الميثاق تتحدثون عن دولة من البحر المتوسط إلى نهر الأردن ، هذا غير مقبول لنا ، وانتهى اللقاء دون أية نتيجة .

• ماذا عن الدورة الثالثة للمجلس الوطني ؟

- جاء عقد الدورة الثالثة للمجلس الوطني بإضافة ١٣٠ عضواً من فلسطينيي غزة وسورية ومصر والخليج، لموازنة الحجم الكبير لممثلي الأردن، فأصبح عدد أعضاء المجلس ٤٦٦ عضواً .

وأثناء انعقاد المجلس طلبت اللجنة التنفيذية تعديل المادة ٢٢ من النظام الأساسي، المتعلقة بالنشاط الفلسطيني المسلح ، والتي كانت تقول : « إن تشكيل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية ، والخطة التي تقررها القيادة العربية الموحدة بالاتفاق وبالتعاون مع الدول العربية المعنية ، لتصبح : « تنشئ منظمة التحرير الفلسطينية جيشاً من أبناء فلسطين ، يعرف بجيش التحرير الفلسطيني له قيادة مستقلة ، وواجبه القومي أن يكون طليعة تحرير فلسطين » .

وأقر المجلس هذا التعديل ، وحتى يكسب الشقيري عدم بروز معارضة تثير الإشكالات السابقة حول هيكلية العمل ، وافق على أن يكون الجمع بين رئاسة المجلس ورئاسة اللجنة التنفيذية لهذه الدورة (الثالثة) فقط على أن يجري الفصل بين الرئاستين في الدورة القادمة (الرابعة) .

• الفقرة التي تم تعديلها حول جيش التحرير ، هل كانت منسجمة مع واقع هذا الجيش ؟

- كنا قد قطعنا خطوات واسعة على هذا الصعيد ، ولإعطاء مصداقية للقرار ، شهد أعضاء المجلس يوم ١٩٦٦/٥/٢٢ ، عرضاً عسكرياً في ساحة الجندي المجهول في غزة ، شاركت فيه وحدات رمزية من جيش التحرير الفلسطيني ، وبعد انتهاء العرض ، توجه أعضاء المجلس لزيارة وحدات جيش التحرير في معسكراتها ، حيث شهد الأعضاء عدداً من البيانات العملية والتدريبات العسكرية ، التي أبرزت ما بلغه جيش التحرير خلال الفترة القصيرة التي انقضت على إنشائه من كفاية في التدريب والإعداد ، والحقيقة كان لمصر فضل كبير في ذلك .

• هل تعتقدون أن شعوركم بالقوة هو الذي أبعد الشقيري عن سياسة الترضيات ؟ كيف جرى تجسيد هذه الفكرة ؟

- بتشكيل اللجنة التنفيذية للمنظمة ضمت اللجنة الثالثة القوميين العرب (أسامة النقيب) والمقربين من سورية (عبد الفتاح يونس) والمقربين من الهيئة العربية العليا (جمال الصوراني) وغير كل ذلك ضمت ثلاثة أعضاء من جبهة التحرير الفلسطينية (ج . ت . ف) هم شفيق الحوت ، وأحمد صدقي الدجاني ، وأحمد السعدي .

• وهل أعيد تشكيل اللجنة التنفيذية ؟

- أعيد تشكيلها فدخلتها أنا وحامد أبو ستة ، وخرج راجي صهيون ، وعبد الفتاح يونس وذلك في شباط / فبراير ١٩٦٧ ، وقبيل العدوان الصهيوني في حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ ، أضيف إليها يحيى حمودة ، وعبد الخالق يغمور ، وبهجت أبو غربية .

• وكيف كان انعكاس الهزيمة على منظمة التحرير ؟

- كان ذلك يشبه نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى ، فالعدوان أدى إلى احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وسيناء ، أكثر من نصف الشعب الفلسطيني أصبح تحت الاحتلال ، وبينهم قسم كبير من أعضاء المجلس الوطني ، مما أدى إلى خلل كبير في تركيب هذا المجلس ، كنا أمام مرحلة جديدة .

• ألم يقتض ذلك تغيير أساليب العمل ؟

- التغيير أصبح مفروضاً لأن الأوضاع تبدلت بعد عام ١٩٦٧ ، حدث تصاعد كبير في العمل الفدائي فيما بهتت المنظمة ، وضعفت صورتها وصوتها ، كنا قبل ٦٧ نتحدث في الإذاعة ، الآن البلاغات العسكرية أصبحت هي من يتحدث ، عبد الناصر كان متضايقاً والشقيري بلا حول ، وكان المطلوب القيام بعمل فدائي ، عندها أرسلني الشقيري مع جمال الصوراني للاتصال بالفصائل وعرض التنسيق بينها وبين المنظمة .

• ما هو نوع التنسيق ؟

- أن تصدر الفصائل بياناتها باسم المنظمة ، وتتولى

المنظمة دعمها مالياً ، طلب أن نتصل بفتح والجبهة الشعبية ، وبالفعل عقدنا اجتماعاً مع فتح حضره عن الحركة ياسر عرفات وفاروق القدومي ، وذلك في بيت محمد الشاعر بدمشق ، كانت هذه أول مرة أقابل فيها ياسر عرفات ، عرضنا التنسيق فبقي أبو عمار صامتاً ، وقال فاروق القدومي إذا كنتم تريدون التنسيق فأهلاً وسهلاً بكم في الأرض المحتلة ، التنسيق في أرض المعركة ، إن فتح في صعود ، والمنظمة في هبوط ، ولكن في نهاية اللقاء وافق أبو عمار على التنسيق ، على أن تأخذ فتح ألف دينار من المنظمة شهرياً ، لم تستلمها بالطبع لأن التطورات تسارعت واستقال الشقيري . كما فاوضنا الجبهة الشعبية ، التي مثّلها وديع حداد وفضل شرورو ، ويومها قال لنا وديع حداد : اتركوا فتح ، ماذا تريدون منها ؟ ولكن تكليف الشقيري لنا كان يقضي الاتصال بفتح أولاً ثم الجبهة الشعبية . وقد جرى الاتفاق مع الجبهة على دفع عشرة آلاف دينار شهرياً مقابل التنسيق ، وعندما أرسلنا وجيه المدني للدفع في المكان المحدد وهو مكتبة منيمنة في عسور ببيروت ، لم يجد المدني أحداً بانتظاره ، وعلمنا وقتها أن الشعبية رأت أن مصر بدأت تنفض يدها من المنظمة ، وأنهم سوف يتسلمونها فلماذا التنسيق ؟ .

• هل كانت العلاقات مع عبد الناصر سيئة بالفعل ؟

- عبد الناصر كان متضايقاً ، والعلاقة ساءت كثيراً بعد قمة الخرطوم ، ولكن في ذلك الحين بدأت حملة قوية في الإعلام المصري على الشقيري قادها محمد حسنين هيكل .

• ما هو السبب في تفكيركم بإزاحة الشقيري ؟

- كنت أتلمس مدى الصعوبات التي تواجهها المنظمة بعد حزيران ، ولكن أول كلام سمعته عن إزاحة الشقيري كان في قمة الخرطوم أيلول / سبتمبر عام ١٩٦٧ ، فأثناء خروجي إلى بهو الفندق لتدخين سيجارة فوجئت بوزير خارجية الأردن « أحمد طوقان » ووزير خارجية تونس « المنجي سليم » يقتربان مني ويجلسان إلى جانبي ، وبعد حديث ودي قصير ، قال لي طوقان : أخ خالد ، الشقيري ورطنا بحرب حزيران ، ولا يجوز أن يستمر ، وقد تكلمنا مع إخوتك فوجدنا تجاوباً لإزاحة الشقيري ، تكلمنا مع نمر المصري ، وبهجت أبو غربية ، وعبد الخالق يغمور ومع يحيى حمودة ، ومع أسامة النقيب ، ووجيه المدني ، ونرجو أن تنضم لهم في هذا العمل ، فقلت لهم أنا أرفض هذه الأساليب . وفي أول اجتماع للجنة التنفيذية في القاهرة بعد المؤتمر قلت لهم أخبرني فلان كذا وكذا ، فشحبت وجوه من ذكرت أسماءهم .

• ولكن مناخ مؤتمر القمة بشكل عام كان ضد الشقيري ؟

- كان بالإمكان تلمس ذلك منذ اجتماعات وزراء الخارجية ، فعندما ذهبنا إلى تلك الاجتماعات في الخرطوم جاء رئيس المؤتمر محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان ، ووزير خارجيته وهو صديق مقرب من الشقيري ، ورجا أبا مازن ألا يشارك في الاجتماع لأنه يجري في إطار القمة ، وليس في إطار الجامعة العربية ، فقال الشقيري : أنا موافق على عدم الحضور بشرط أن تسمحوا لي بإلقاء خطبة الجمعة في مسجد الخرطوم يوم غد . أدرك محجوب ما يرمي إليه الشقيري ، وفي ظرف كان الاحتقان الشعبي عالياً ، فقال له : إذن لتحضر المؤتمر ، ولكن حاول أن لا تكون استفزازياً . وعندما طرح الرئيس عبد الناصر موضوع سفر الملك حسين إلى واشنطن وموسكو مقترحاً تفويضه للتحدث باسم العرب ، اعترض الشقيري ، وقال بالحرف : من حق الرئيس عبد الناصر أن يفوض الملك حسين للكلام عن سيناء ، ومن حق سورية أن تفوض الملك حسين للكلام عن الجولان ، أما الضفة الغربية وغزة والحمة هي أرض فلسطينية ، وشعب فلسطين لا يفوض أحداً للكلام نيابة عنه .

تضايق الرئيس عبد الناصر كثيراً من هذا الكلام ، وسورية لم تكن تشارك في القمة لأنها لا تريد التورط في أية مشاريع تسوية آنذاك ، وربما منذ تلك اللحظة قرر عبد الناصر رفع الغطاء نهائياً عن الشقيري .

المهم أن الشقيري استطاع توظيف الجو الجماهيري الضاغط آنذاك ليفرض اللاءات الثلاث : لا صلح ولا تفاوض ولا اعتراف . وقال : ضمن هذه الشروط ليذهب الملك حسين إلى واشنطن وموسكو . وأصبحت هذه اللاءات شعار المؤتمر الذي شهد أيضاً مصالحة سعودية مصرية .

• تردد أن الشقيري طرح مشروعاً للمواجهة ؟

- نعم طرح مشروعاً أحيل إلى اللجان ، وكان الاتجاه السائد إزالة العدوان ، ولكن كان واضحاً الآن أن مرحلة الشقيري قد أسدل الستار عليها .

• كيف جرت آلية إزاحة رمز بناء المنظمة ؟

- قام تسعة من أعضاء اللجنة التنفيذية وهم : نمر المصري ، عبد الحميد شومان ، اللواء وجيه المدني ، النقيب يوسف عبد الرحيم ، يحيى حمودة ، بهجت أبو غربية ، عبد الخالق يغمور ، بتوجيه رسالة إلى الشقيري يطالبونه فيها بالاستقالة ، وعمد عبد المجيد شومان رئيس إدارة الصندوق القومي إلى وقف التحويلات المالية إلى الشقيري فوجد نفسه بدون مال ، ولا شيء تحت تصرفه ، فقام بتقديم استقالته .

• إلى من وجه الشقيري كتاب الاستقالة ؟

- يوم ١٩٦٧/١٢/٢٥ وجه الشقيري استقالته إلى

الشعب الفلسطيني .

• ما مدى صحة ما قيل حول قيام دولة عربية بالإيعاز لأعضاء اللجنة التنفيذية لمطالبة الشقيري بالاستقالة ؟

- هناك من قال بالإيعاز ، وهناك من قال بأن أعضاء اللجنة التنفيذية قاموا بذلك من تلقاء أنفسهم ، ولكن الحقيقة أن وقف المال عن الشقيري ، والحملة في صحيفة الأهرام عليه ، هي التي دفعته للاستقالة ، كان يعول كثيراً على دعم عبد الناصر ، بدون هذا الدعم لم تكن هناك فرصة للاستمرار ، خاصة أن علاقته بفصائل المقاومة لم تكن على ما يرام ، وكانت الفصائل تتقدم بسرعة ، بحكم العمل الفدائي النشط .

• كيف تصرفتم بعد الاستقالة ؟

- أصدرت اللجنة التنفيذية بياناً يوم ١٩٦٧/١٢/٢٥ ، أعلنت فيه أنها ستعمل بالتعاون مع جميع القوى الفلسطينية المقاتلة على بناء مجلس وطني جديد لمنظمة التحرير ، تنبثق عنه قيادة جماعية مسؤولة ، تعمل على تصعيد النضال المسلح وتوحيده ، وتحقيق الوحدة الوطنية وتعبئة الجهود القومية وتطوير أجهزة المنظمة بما تتطلبه المرحلة التاريخية الحاسمة ، واختارت اللجنة يحيى حمودة ليكون نائباً لرئيس اللجنة التنفيذية .

• لماذا وقع الاختيار على يحيى حمودة بالذات ؟

كان أكبر سناً ، ومقبولاً من الجميع .

• متى بدأت الاتصالات من أجل المجلس الوطني الجديد ؟

- بعد الحرب كانت هناك متغيرات هامة ، نصف أعضاء المجلس تحت الاحتلال ، وفصائل المقاومة تريد أن تتمثل في المجلس الذي أصبحت ضرورة انعقاده بعد إعادة تشكيله مهمة ، خاصة أن موعد انعقاده العادي كان مقرراً في أواخر أيار / مايو ١٩٦٧ ، ولكنه تأجل بسبب الظروف التي سادت آنذاك .

بعد بيان اللجنة التنفيذية في ١٩٦٧/١٢/٢٥ جرت اتصالات مع الفصائل ، وتم الاتفاق على تشكيل لجنة تحضيرية من أعضاء اللجنة التنفيذية ، وأضيف إليها إبراهيم بكر ، صلاح خلف (أبو إياد) ، خليل الوزير (أبو جهاد) ، خالد الحسن ، كمال ناصر ، زهير العلمي ، أبو ماهر غنيم ، كمال عدوان ، وغالبيتهم من فتح ، إضافة إلى ممثلين عن الشعبية والصاعقة (ياسر عمرو ، وضافي جمعاني) ومهمتها تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني ، لعقد دورته الرابعة ، وقد أسندت لي أمانة سر اللجنة التحضيرية ، وأصرت الفصائل على أن يوافق ممثلوها في اللجنة التحضيرية على كل عضو من أعضاء المجلس الوطني بما في ذلك أعضاء اللجنة التنفيذية .

• ولماذا تغير الميثاق من القومي إلى الوطني ؟

- الذي تغير هو اسم الميثاق ، وقتها طرح إبراهيم بكر ، أن الميثاق القومي هو للأمة العربية ، ويجب أن يسمى الميثاق الوطني ، لأن كلمة وطني تنصرف إلى الشعب العربي الفلسطيني والميثاق هو للشعب الفلسطيني .

حتـى لا ننـســى *

راجي حبيب صهيون

راجي حبيب صهيون لم يكتب التاريخ وإنما كتب للتاريخ ، من تجربته الشخصية في منظمة التحرير الفلسطينية ومع الشقيري ولا سيما حول المؤتمر الوطني الأول والميثاق والإذاعة ، وذلك في كتابه « حتى لا ننسى » فقد كان مقرراً للجنة الميثاق ، وقد قال في كتابه « حتى لا ننسى » (قامت منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان المؤتمر الوطني الأول قد عقد في القدس في أيار / مايو ١٩٦٤ - الذي تحول إلى المجلس الوطني فيما بعد - عرساً للفلسطينيين ، وكان الأستاذ الشقيري قد أعد لكل شيء عدته ، كما شكّل أمانة للسر من عدد من المتطوعين لتنظيم شؤون المؤتمر ، وشكّل لجنة لاستقبال رؤساء الدول العربية القادمين لحضور حفل الافتتاح ، وفي طليعتهم الملك حسين بصفته رئيس الدولة التي كانت تتولى شؤون الضفة الغربية ، ولعل أصدق تصوير لتلك اللحظات التاريخية هو ما ورد في الكلمة التي ألقاها رئيس المؤتمر المؤسس الأب أحمد الشقيري في افتتاح المؤتمر بحضور عدد من الملوك والرؤساء والزعماء العرب ، وقد استهلها بقوله : « في هذا اليوم التاريخي ، وفي مدينة القدس الخالدة ، يجتمع شعب فلسطين لأول مرة بعد كارثة فلسطين ، فما أعظم هذا اللقاء ، وما أكرم معناه وأبعد مداه » . ويقول : « ونحن إذ نفتتح هذا المؤتمر الوطني ، تطالعنا هذه المعاني بارزة واضحة ، وأكبر هذه المعاني أننا نجتمع لأول مرة بعد ستة عشر عاماً على عمر الكارثة ، وهذه أكبر المعاني حقاً ، فقد تألبت على هذا الشعب الباسل ، قوى الصهاينة والاستعمار مجتمعة متساندة ، فأقامت « إسرائيل » على أرضنا ، وتحالفت على إخراجنا وتشريدنا تحت كل سماء وكوكب ، ثم راحت ترهق اللاجئين منا عاماً بعد عام بالبؤس والحرمان ، وهي تحسب أن هذا الشعب لن يجتمع أبدا » (ص١٣٣) . ولكن مؤتمرنا هذا ، جاء ليعلن للدنيا بأسرها أننا نحن - أهل فلسطين أصحابها الشرعيين - قد التقينا واجتمعنا على تحرير فلسطين « ونحن هنا - وفود فلسطين - قد تنادينا إلى هذا المؤتمر العتيد على أرض فلسطين ، على الخطوط الأمامية من فلسطين ، نشهد العدوان والبغي جاثماً على أرضنا وديارنا وعلى معابدنا ومرابعنا ، وعلى مدننا وقرانا من الوطن السليب ، ونحن هنا لا نمثل الفلسطينيين في سورية ولبنان والعراق وقطاع غزة فحسب ، ولكننا نحن هنا شعب واحد ووطن واحد وكفاح واحد » .

« إن شعب فلسطين سيبذل في سبيل وطنه الأرواح والأموال ، ولكن مصير الكيان مرهون - بالنهاية - بالدول العربية جميعها ، فإن هي يسّرت ودعمت نهض الكيان بكل أعباء التحرير ، وهنا لا بد لي أن أعلن صراحة أننا نحن ، أهل فلسطين ، وأنا واحد منهم ، نرفض السير في أي طريق إلا طريق الكفاح والسلاح ، فقد سئم شعب فلسطين ومعه الأمة العربية القرارات التي لا تنفذ والتصريحات !! » (ص١٣٥) . ثم يقول « هذه هي معالم الطريق أيها الإخوان ، نسير فيها جميعاً ، لكل فلسطيني مكان في هذا الكيان ، إن شرف الكفاح حق لنا جميعاً ، وواجب علينا جميعاً لا استئثار ولا احتكار ، فالشعب كله في المعركة ، لأن الوطن للشعب والشعب للوطن » . ويزداد اندفاع الشقيري رحمه الله ، وهو يؤكد أن نشوء منظمة التحرير الفلسطينية اليوم ، يرمز إلى استقلالية الإرادة الفلسطينية ، والكيان الفلسطيني ، وأنه لا وصاية على الشعب الفلسطيني بعد ذاك اليوم ، موجهاً كلامه إلى ملوك ورؤساء الدول العربية : « غداً سأحك أكتافي بأكتاف الملوك والرؤساء وأقول لهم : لقد جئتكم اليوم ، لا مندوباً لجامعة الدول العربية لدى شعب فلسطين ، بل ممثلاً لشعب فلسطين لدى الجامعة » . ونوّه بالجو الأخوي والعاطفي الصادق الذي ساد المؤتمر ، فقد كان جواً أخاذاً موشحاً بالرومانسية الوطنية والرؤى الحلوة والآمال الكبار ، وقد انبثق عن المؤتمر لجنة الميثاق (ص١٣٦) . وكان قد أعد مسودة ميثاق ، وطرحها على أعضاء اللجنة للتدارس والنقاش ، وكانت اللجنة تضم بين أعضائها عدداً من رجال القانون والباحثين ، وكان الشقيري يمر على اللجان يستمع إلى مجريات الأمور ويتابع النقاشات ، وكان جو المناقشات يحتدم أحياناً إلى درجة الغليان توخياً للدقة وسلامة المنطق ومستوى القانون الأكاديمي الرفيع ، وكان الشقيري رحمه الله ، وهو الحركة الدائمة « الدينامو » المحرك لهذه اللجنة وغيرها من اللجان ، مثل : اللجنة السياسية ، ولجنة التنظيم الشعبي ، واللجنة المالية وغيرها بحيث أن كلاً من اللجان كانت تشعر وكأن الشقيري متفرغ لمناقشتها هي وحدها من دون سواها . (ص١٤٠) .

ويعرج « صهيون » على فرية إلقاء اليهود في البحر ، فيقول : هذه الفرية ليست إلا قصة إعلامية ابتدعها أركان الصهيونية وخرجوا بها على الدنيا ، وكم سمعت ذلك الاتهام (إلقاء اليهود بالبحر) يوجه إلى أحمد الشقيري شخصياً ، ويعزى إليه في خطبه وتصريحاته .

(*) راجي صهيون ، **حتى لا ننسى** ، المطبعة الوطنية ، عمّان ، الأردن ، ١٩٩٧ ، ٢٦٩صفحة .

ويضيف : أقول باسم الحق والشرف والضمير ، إن أحمد الشقيري لم يصدر عنه هذا القول يوماً على الإطلاق ، وإنما كان - ينادي بمعاملة اليهود الذين كانوا في فلسطين قبل قرار التقسيم عام ١٩٤٧ معاملة قانونية ، لهم ما لسائر المواطنين من حقوق ، وعليهم ما علينا من واجبات . أما الذين حضروا إلى فلسطين بعد ذلك ، فتجري إعادتهم إلى البلاد التي جاءوا منها ، أو إلى أي بلد أخرى يختارون العودة إليها . (ص١٤٣) .

وحول نشاطات وإنجازات المنظمة ، والقرارات التي اتخذتها اللجنة التنفيذية الأولى ، يسجل راجي صهيون أن أول منجز مهم هو إنشاء « صوت فلسطين » ليكون الصوت الداعي إلى جمع شمل الشعب الفلسطيني الممزق الأوصال . وكانت خطوة هامة وكبيرة في تاريخ النضال الفلسطيني ، ويضيف : وقد وقع الاختيار عليّ للقيام بهذه المهمة الوطنية الجليلة ، فقد استدعاني الأب المؤسس الشقيري بعد المؤتمر الأول ، وكلفني بالمباشرة في إعداد خطة لإنشاء « صوت فلسطين » صوت منظمة التحرير الفلسطينية من القاهرة .

وعن خصال الشقيري وأخلاقه يقول « صهيون » : وأستأذن هنا لاغتنام الفرصة ، والإفادة بأمانة وإخلاص إنني نادراً ما رأيت الشقيري - على كثرة اتصالي به في المنظمة - يفقد صبره ، ويخرج عن ضبط نفسه ، ولكني أذكر جيداً كيف أنه كان في بعض الأزمات يسمح لنفسه بالاسترخاء قليلاً على مكتبه ، (ص١٥٤) وينظر إلى من حوله ، ويقول مشيراً إلى قضيتنا البائسة ومعرباً عن هلعه « ممزقة .. ممزقة .. يا إخوة إنها خيمة ممزقة ، أنى جئتها تجدها ممزقة » ، وهو يقصد أن القضية ممزقة مهلهلة ، تشكو الظلم من طبقة معينة من شعبها ، قبل الشكوى من الآخرين . وليرحم الله الشقيري ألف رحمة ، سبعين مرة إذا أنصف التاريخ ، فإنه لا بد وأن تذكر له صفاته العظيمة الكثيرة ، وفي رأسها الصبر والأمانة والشرف والإيمان بالله تعالى والعلم الغزير والإخلاص التام لقضية بلده !! (ص١٥٥) .

وليسمح لي القارئ مرة أخرى وأنا أنوه بمناقب ومزايا الرجل أن أحيله إلى مذكرات أحمد الشقيري نفسه ، لعل القارئ عندئذ يدرك سر ذلك الرجل العصامي الذي منحه الله تعالى لشعبنا المناضل ، فكان الرائد الأول لفتح صفحة قضيتنا شبه الميتة ، والأب المؤسس لمنظمة النضال الفلسطيني الشريف ، منظمة التحرير الفلسطينية . (ص١٥٥)

وعن استقالة الشقيري يوضح « راجي صهيون » وجهة نظره في الأمر فيقول : تعرضت منظمة التحرير نتيجة حرب الأيام الستة ، إلى إرهاصات وهزّات داخلية ، كادت تودي بالبناء الصغير المتنامي الذي أنشأته عبر ثلاث سنوات ، من العمل الجاد في ترسيخ أسس العمل وتعزيز المسيرة . وكان الرجل الكبير مؤسس منظمة التحرير أحمد الشقيري قد تنحى عن رئاسة المنظمة ، إذ وافق المجلس الوطني على قبول استقالته ، التي وجهها عبر إذاعة صوت فلسطين إلى الشعب الفلسطيني مباشرة .

رحلتي مع الزمن *

ربيحة الدجاني المقدادي

الأستاذ أحمد الشقيري صديق حميم لزوجي المرحوم درويش المقدادي ، تعرفت به يوم زواجنا في القدس ، إنه من الشخصيات الوطنية المعروفة ويعتبر منظمة كثيرة الأعضاء ، أو حزباً كثير الشعبية . كان رجلاً يعد بألف رجل ، حمل حب وطنه في قلبه وحمل قضية بلاده على منكبيه العريضين ، وظل يجوب بلاد العالم يحث شعبه على الحياة الحرة العزيزة ، ولتراب وطنه بالحرية والكرامة . ولد أحمد الشقيري من عائلة عريقة مشهور عنها الكفاح الوطني . فَجَدُّ والده جاء إلى عكا مع جنود المسلمين الذين خلصوها من حصار نابليون ، وأبت المدينة أن تستسلم ونسجت حكايات مضيئة في النضال الوطني .

ورث أحمد الشقيري من عكا صمود قلعتها وعنادها أمام الحوادث والمحن ، وقد عاش طفولة شقية تعيسة ، وذلك بسبب طلاق والدته ، فعاش في طولكرم - حيث كان برفقة والدته - حياة العذاب والحرمان ، ولكن بعد وفاة والدته عاد ليعيش في كنف والده الميسور الحال ، فتلقى تعليمه في مدارس عكا ، ثم التحق للدراسة في الجامعة الأميركية ، ولكن سلطات الاحتلال الفرنسي طردته بسبب مشاركته في إحدى التظاهرات الوطنية . فعاد إلى مدينة القدس لإكمال دراسة القانون في الكلية العربية (**) ، وعمل بعدها في سلك المحاماة ، فحقق نجاحاً عظيماً في هذا الميدان .

وعلى الرغم من نجاح الشقيري في ميدان المحاماة ، وتحقيقه المكاسب الضخمة فإنه لم ينس قضيته الوطنية ، فكان يجوب القرى والمدن يخطب في الناس لتوعيتهم بما يحيط بهم من مؤامرات ، ولم يدع ميداناً من ميادين الخدمة الوطنية إلا وخاض فيه : حاضر في بيروت وفي دمشق والقاهرة ، واجتمع مع قادة العرب وزعمائهم لشرح قضية وطنه ، فحقق مكانة واحتراماً لدى الجميع ، عمل مستشاراً لرئيس الجمهورية السورية ، وسفيراً لسورية لدى الأمم المتحدة ، كما عمل مستشاراً للعاهل السعودي الملك عبد العزيز آل سعود وولده الملك سعود ، ومندوباً للسعودية في الأمم المتحدة ، وفي عام ١٩٦٤ اختاره القادة العرب في أول مؤتمر يعقدونه في الإسكندرية لتولي إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، فعمل بكل جد ونشاط على إخراج هذه المنظمة إلى الوجود ، واستطاع بعد معاناة وتعب وكد وسهر أن يجعل لها كياناً مميزا أصبح فيما بعد مظلة للشعب الفلسطيني . كان الشقيري رحمه الله يقول لمن ينتقده : اعتبروني مرحلة من مراحل نضالكم ، فإذا وجدتم مستقبلاً أنكم تستطيعون أن تديروا أموركم من دوني فأخبروني بالإشارة وبالتلميح دون التوضيح وسأتنحى عن قيادة الركب . وهذا كان ، فبعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بالأمة العربية عام ١٩٦٧ أشار عليه بعض زملائه بالتنحّي عن مهمته ، وأوفى الشقيري بالعهد ، فقدم استقالته من رئاسة المنظمة وظل يتابع نضاله إلى أن وافته المنية ، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه ، بعد أن عانى من التشرّد شأنه شأن أي فلسطيني ، فقد ضاقت القاهرة ثم ضاقت عليه بيروت ، ووجد نفسه رهين المحبسين في تونس . وكانت من إحدى مكارم جلالة الملك حسين بن طلال طيب الله ثراه ، أن أرسل في طلبه ليسكن عمان ويعالج في المدينة الطبية حيث قضى أيامه الأخيرة ، ودُفن في غور الأردن بالقرب من ضريح أبي عبيدة عامر ابن الجراح أمين الأمة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليظل قريباً من أرض فلسطين التي عشقها وأحبها وأخلص لها .

(*) ربيحة الدجاني المقدادي ، **رحلتي مع الزمن** ، ٢٠٠٠ . ص ص ٢٠١ - ٢٠٣ .

(**) تقصد الكاتبة معهد الحقوق في القدس .

قصة حياتي في فلسطين والكويت *

خيري الدين أبو الجبين

خيري الدين أبو الجبين رئيس لجنة إحياء ذكرى الشقيري ، وصاحب فكرة تأسيسها ، من أكثر - إن لم يكن أكثر - الذين حملوا الشقيري (كقضية) ، ونهضوا بمحاولات وجهود إبقائه حياً خالداً في ذاكرة أجيال الشعب الفلسطيني والأمة العربية ، بلسانه وجهده وماله بعزيمة لم تكل برغم عقود عمره الطوال ، أمد الله في عمره .

خيري الدين أبو الجبين فلسطيني من يافا ، من الذين غادروا الوطن مشردين ليحطوا في الأقطار العربية ، ويشاركوا في الحياة العامة ، ولكن عيونهم كانت على مآذن وكنائس القدس ، وبحر يافا ، وأسوار عكا ، فظل الحنين يشدهم لمتابعة أخبار الوطن والأهل ، إلى جانب تقديم كل خبرة ومعرفة وعلم إلى الأرض التي ضمتهم من بلاد الدول العربية والمهاجر . وأبو الجبين أمضى عقوداً طوالاً من عمره في الكويت ، وشارك في نشاطات مختلفة هناك أهمها التعليم والسياسة ، إلى جانب كونه أول ممثل للمنظمة ومديراً لمكتبها في دولة الكويت ، وكان عضواً في المؤتمر الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس عام ١٩٦٤ ، ثم عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني لدورات عدة ، كما شغل منصب أمين سر الصندوق القومي الفلسطيني . وخيري الدين أبو الجبين يسجل انطباعاته ومعرفته عن الشقيري كتسجيل للتاريخ وللأيام فيقول : « في أوائل عام ١٩٦٤ في كانون الثاني من ذلك العام عقد مؤتمر القمة الأول في القاهرة ، برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر ، وكلف أحمد الشقيري ممثل فلسطين في الجامعة العربية بالاتصال بالشعب الفلسطيني والدول العربية بغية وضع القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني ، وتحمس الشقيري لتنفيذ ذلك القرار ، وتحقيق حلمه في إبراز الكيان الفلسطيني ، وأعد مشروعاً لذلك يتمثل في مشروع « الميثاق القومي » والنظام الأساسي ، وبدأ يطوف البلاد العربية ويجتمع بقادتها وبأبناء الشعب الفلسطيني فيها للتشاور . (ص٢٧٣)

وعندما اختير الشقيري خلفاً لأحمد حلمي باشا عبد الباقي لتمثيل فلسطين في الجامعة العربية ، رأت الجامعة أن توفد الشقيري إلى الأمم المتحدة ليتحدث عن القضية الفلسطينية في اللجنة السياسية بدلاً من وفد الهيئة العربية العليا الذي كان يتولى ذلك منذ النكبة ، وأراد الشقيري أن يصطحب معه للأمم المتحدة بعض فلسطينيي الشتات ، ورأى أن يكون أحدهم من الكويت ، وهو عبد المحسن القطان . (ص٢٧٢)

وكانت ساحة الكويت من الساحات الرئيسية لفلسطينيي الشتات ، لهذا أصبح الحديث عن الكيان الفلسطيني هو الشغل الشاغل للفلسطينيين فيها ، في الشهور الأولى من عام ١٩٦٤ بدأت الاجتماعات تعقد ، والصحف تكتب والنقاشات تدور ، وكانت تعقد الاجتماعات في المنازل ، وفي الساحات وفي الوزارات للبحث في كيفية إبراز الكيان الفلسطيني . (ص٢٧٥)

وبدأ الشباب في الكويت يتطلعون إلى أن يكون الكيان الفلسطيني قيادة قومية ، وبدأت تعقد اللجان الكثيرة . وفي الاجتماع الذي عقد في المزرعة الحكومية ، اقترحت على المجتمعين تأليف « لجنة تنسيق » من مندوب واحد عن كل وزارة ، لاختيار ممثليها في مؤتمر يناقش كل الأفكار المطروحة عن الكيان الفلسطيني ، ويخرج بتوصيات يقدمها إلى الأستاذ أحمد الشقيري عند زيارته المقبلة للكويت ، ثم انتخبت رئيساً للجنة العليا ورئيساً لمؤتمر أبناء فلسطين المقبل ، وبعد ذلك قررت اللجنة العليا أن يعقد المؤتمر الأول لأبناء فلسطين في الكويت في آذار / مارس ١٩٦٤ ليقدموا للشقيري اقتراحاتهم . (ص٢٧٦) ، وقد حضر المؤتمر ممثلو الفلسطينيين في الوزارات والجهات المختلفة ، الذين تم انتخابهم لتمثيلها . واشتملت توصيات المؤتمر على : أ - الناحية السياسية . ب - الناحية العسكرية . ج - الناحية المالية . د - الدعاية والإعلام . توصيات عامة . (ص٢٨٧)

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر ، تشاورنا مع وزارة الخارجية بخصوص موعد حضور الشقيري إلى الكويت ، واتفق على حضوره يوم الأربعاء التالي الموافق يوم ١٧ آذار / مارس . وهكذا دعونا لعقد المؤتمر الثاني لأبناء فلسطين في الكويت ، يوم ١٨ آذار / مارس ، وحضر الشقيري يوم الأربعاء واستقبلناه في المطار ومعنا مندوب وزارة الخارجية . وفي يوم الخميس ١٨ آذار / مارس عقد مؤتمرنا الثاني ، وتحدث الشقيري فيه عن جولاته في البلاد العربية ، وبيّن العقبات الكثيرة التي لم تزل تعترض بروز الكيان الفلسطيني ، وأعلن أنه سيستمر في جولاته في البلاد العربية وخصوصاً في الأردن ، من أجل الاتصال بالمسؤولين لتذليل كل العقبات حتى يعقد المؤتمر الفلسطيني الأول في شهر أيار / مايو المقبل . وبعد الانتهاء من إلقاء خطبته أجاب الشقيري عن بعض استفسارات من أعضاء المؤتمر ، وانتهت الجلسة على أن يكون اللقاء القادم غداً الجمعة في « ملعب الشويخ » ، ومنذ ظهر الجمعة بدأت

(*) خيري الدين أبو الجبين ، **قصة حياتي في فلسطين والكويت** ، دار الشروق ، عمان الأردن ، ٢٠٠٢ ، ٥٣٨ صفحة .

الجماهير تتدفق على الملعب بانتظار الشقيري ، وكلهم متلهفون لسماعه ، ووصل الشقيري ، واستقبل بعاصفة مدوية من التصفيق والهتاف لفلسطين ، ثم استهل خطابه بقوله : « هذا أبو الجبين الذي قدمني إليكم اليوم سبق أن قدمني للجماهير في مدينة يافا عروس فلسطين ، حيث كان لنا في فلسطين صولات وجولات واجتماعات ، ولجان وإضراب وتطلعات ، ونضالات ومظاهرات » . ثم أشار إلى جولاته في البلدان العربية ، لإبراز الكيان الفلسطيني ، وبدأ يشرح ماهية الكيان وضرورته لمعركة التحرير المقبلة ، التي سيشارك فيها كل عربي ومسلم . (ص٢٩٣) .

بعد أن غادر الشقيري الكويت ، استكمل جولاته في البلاد العربية لإبراز الكيان الفلسطيني ، وقد واجهت الشقيري مشكلتان رئيسيتان : أولاهما : رفض مفتي فلسطين « الحاج أمين الحسيني » التعاون معه ، رغم أن الشقيري عرض عليه أن يكون الرئيس الفخري للمؤتمر الفلسطيني المقبل . وقد أكد لي جميل بركات أن الشقيري أرسله لإقناع المفتي بالتعاون معه لإبراز الكيان الفلسطيني ، وعرض عليه أن يكون رئيساً للمؤتمر الفلسطيني المقبل ، ولكن المفتي « كَسَفَهُ » ورفض ذلك العرض . ! ؟ . (ص٢٩٦) المشكلة الثانية التي واجهت الشقيري هي تردد الملك حسين بالنسبة لموضوع الكيان المقبل ، وفي لقاءات الشقيري مع الملك حسين ، بين له أن الكيان الفلسطيني المقبل لن يعمل على فصل الضفة الغربية عن المملكة الأردنية الهاشمية ، وأن الكيان سيتعامل مع الفلسطينيين خارج الأردن . وفي آخر لقاء بينهما - وكان في مدينة العقبة - اقتنع الملك ، ووعد بحضور حفل الافتتاح ، وحضر فعلاً وافتتح المؤتمر . بعد ذلك قام الشقيري بجولات في مدن وقرى الضفة الغربية والضفة الشرقية ، تحدث فيها عن الكيان ، وكان يقابل بهتاف الجماهير : « يا شقيري بدنا سلاح » ، واتفق على تأليف لجان تحضيرية في كل قرية ومدينة ، لاختيار ممثليها للمؤتمر الفلسطيني المقبل . وكان الشقيري يقابل بالترحاب والحماس من الفلسطينيين القاطنين في الدول العربية التي زارها . (ص٢٩٧)

وفي جولاته تلك لمس الشقيري مدى تعلق الجماهير بفكرة الكيان .. وقد قامت تجمعات فلسطينية كثيرة بإجراء انتخابات فيما بينها لاختيار ممثليها في المؤتمر . وبعد أن أكمل جولاته في البلاد العربية ، شكلت اللجنة التحضيرية الرئيسية في الأردن ، التي قامت بالإعداد للمؤتمر وترشيح ممثلي الأردن فيه ، واتفق على أن يعقد المؤتمر في القدس . ومن الجدير بالذكر أن الشقيري حاول إشراك ممثلين من الحركات والتنظيمات الفلسطينية المختلفة في المؤتمر (ص٢٩٨) ، وتوجهنا أنا والعضوان « إبراهيم زقوت » « وخليل الشاعر » إلى القدس عن طريق مطار قلنديا (ص٣٠١) ، وأمضينا اليوم التالي في القدس ، والتقيت هناك مع صديقي د . وليد قمحاوي وبهجت أبو غربية اللذين كانا مترددين بالنسبة لحضور المؤتمر ، وأراد الصديقان أن يأخذا برأيي باعتباري أصبحت بعد انتخابي رئيساً لمؤتمر الكويت قريباً للشقيري ، وعارفاً الكثير عن فكرة الكيان ، وحاولت إقناعهما بأنه لا توجد شكوك حول الشقيري ، وأنصح بمشاركتهما في المؤتمر وإنجاحه حتى يبرز الكيان الفلسطيني كما يجب ، واقتنع القمحاوي وحضر الجلسات ، ولكن بهجت أبو غربية أخبرني فيما بعد أنه لم يحضر افتتاح المؤتمر بسبب بعض الشكوك حول الشقيري ومهمته التي كلف بها من الجامعة العربية !!؟ . (ص٣٠٢) .

في الجلسة الثانية سمي المؤتمر « المجلس الوطني الفلسطيني » وانتخب الشقيري رئيساً له ، وشكلت لجان المجلس : اللجنة العسكرية ، والمالية ، ولجنة الميثاق ، وغيرها . وبذل الشقيري في تلك اللجنة جهوداً مضنية لإقرار الميثاق ، وكان يعمل بين الكواليس لإقناع الملك حسين بالموافقة على الميثاق . (ص٣٠٧)

وفي أثناء المناقشات اقتربت من الشقيري ، ولاحظت كم كان عربياً قومياً ، حيث أنه هو الذي سمى الميثاق « بالميثاق القومي الفلسطيني » ، كما كان ينادي بضرورة مراعاة الوجه الإسلامي للقضية الفلسطينية . وبعد مناقشات حامية بين الأعضاء أقر الميثاق الفلسطيني ، وشكلت لجنة الميثاق من بين أعضائها لجنة فرعية لصياغة بيان إعلان قيام المنظمة ، وقد قمنا في تلك اللجنة بإعداده ، وقمنا بعرضه على أعضاء لجنة الميثاق فوافقوا عليه ، ثم تلاه الشقيري على المؤتمر معلناً قيام منظمة التحرير الفلسطينية . وانتخب أحمد الشقيري رئيساً للمجلس ، وفي اليوم الثالث وافق المجلس على الميثاق القومي الفلسطيني ، والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وانتخب الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية لها . (ص ص ٣٠٧ - ٣٠٩)

أما عن فكر المنظمة وشعارها ، فقد قال أبو الجبين : « عندما وضع الشقيري مشروع الميثاق القومي الفلسطيني ، كان يتلمس ما في الساحة الفلسطينية من أفكار ليضمنها مشروع الميثاق ، وفي الميثاق ربط بين فكرة التحرير والوحدة العربية ، ولكن بعد أن عقدت اتفاقية أوسلو ألغيت من الميثاق عبارات المفاهيم القومية والوطنية والثورية ، وذلك تمشياً مع التوجهات السلمية الجديدة . (ص٣١٣) وفي أيلول / سبتمبر عام ١٩٦٤ عقد مؤتمر القمة العربي الثاني في مصر وحضرته منظمة التحرير لأول مرة ممثلة

لفلسطين ، وترأس الشقيري وفد المنظمة ، وفي نهاية جلسات المؤتمر وافق على إنشاء جيش التحرير الفلسطيني ، وقام الشقيري بإبلاغ ذلك المؤتمر أنه بموجب قرار مؤتمر القمة الأول بتكليفه بالاتصال بالدول العربية والشعب الفلسطيني ، لمعرفة أفضل السبل لإبراز الكيان الفلسطيني ، فقد تم فعلاً إبراز الكيان الفلسطيني ، وأنه تم عقد المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس في أيار / مايو عام ١٩٦٤ وانبثقت عنه منظمة التحرير الفلسطينية . وأن المجلس الوطني قد أقر الميثاق القومي الفلسطيني ، وصادق على النظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأن المجلس الوطني قد انتخبه أي - الشقيري - رئيساً للمجلس الوطني ، واللجنة التنفيذية للمنظمة ، وأنه بموجب ذلك قام بتشكيل أول لجنة تنفيذية للمنظمة ، وقدم الشقيري لمؤتمر القمة أسماء أعضاء اللجنة التنفيذية الأولى . (ص٣٢٢)

وحول أنشطة اللجنة التنفيذية يقول أبو الجبين : « بعد أن قامت اللجنة التنفيذية للمنظمة بتشكيل أجهزتها الإدارية والفنية والمالية ، اهتمت بالنواحي الإعلامية فأسست مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت ، كما أسست إذاعة صوت فلسطين من القاهرة » .

ومن نشاطات الشقيري للنهوض بالمنظمة والشعب ، يقول أبو الجبين : سافر الشقيري عدة مرات إلى القطاع ، وألقى خطباً في القطاعات المختلفة شرح فيها أهداف المنظمة وغاياتها ، وأهمها : الإعداد لمعركة التحرير . وكان يقابل في غزة بالهتاف وبتأييد منقطع النظير . وبالنسبة لضريبة التحرير فقد تمكن الشقيري من إقناع كل من الكويت وقطر وأبو ظبي والعراق وليبيا والجزائر بأن تجبى تلك الضريبة من العاملين الفلسطينيين فيها ، ومن الأنشطة الأخرى أن اللجنة التنفيذية للمنظمة ، وجهت الدعوة لاجتماع موسع عقد في القاهرة في آذار / مارس ١٩٦٥ ترأسه الرئيس أحمد الشقيري وحضرته شخصياً ، وكان ذلك المؤتمر فرصة جيدة للتعارف بين جميع المسؤولين في منظمة التحرير ، والتحدث حول السياسة العامة للمنظمة ، وتبادل الرأي في أسلوب العمل . (ص٣٢٣)

ويعرج أبو الجبين على الحديث عن انتخابه مديراً لمكتب المنظمة في الكويت ، قائلاً : كان الشقيري ميالاً لاختياري مديراً للمكتب ، أولاً لمعرفتي السابقة ، وثانياً لأني رئيس مؤتمر أبناء فلسطين ، ولحياديتي ، وقال الشقيري للصحفيين تعليقاً على اختياري : « أنا اخترت من اختاره الشعب؛ لأن الفلسطينيين في الكويت اختاروا أبو الجبين رئيساً لهم ، ولهذا السبب أنا اخترته مديراً لمكتب المنظمة » . وبعد أن اختارني مديراً لمكتب المنظمة ، غادر الكويت إلى القاهرة ، وعندما ودعته اكتفى بالقول : « أنت تعرف الكويت أكثر مني ، وأنت محبوب في الكويت ، وأهل مكة أدرى بشعابها » . وأذكر أنه قبل أن يسافر طلب مني أن أعين « علي حسن سلامة » موظفاً في مكتب المنظمة قائلاً : هذا ابن مناضل[1] حبذا لو تأخذه معك يا أستاذ خيري . ! والأمر متروك لك ! (ص٣٢٧) . ويذكر أبو الجبين بعضاً من معاناة الشقيري التي مر بها أثناء إدارة المنظمة وهو الجانب الضريبي (ضريبة التحرير) ، والدعم المادي الذي طالب به أبناء شعبه العاملين في الخارج ، والذي يطالبه أصلاً باسترجاع الحق والأرض .

في حديثه عن المجلس الوطني الفلسطيني ، يقول أبو الجبين : « قبل نهاية شهر أيار / مايو عام ١٩٦٥ بدأ أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني يتوافدون إلى القاهرة لحضور اجتماعات المجلس الوطني الثاني التي عقدت في مقر الجامعة العربية في القاهرة . وكان المجلس الجديد برئاسة أحمد الشقيري الذي انتخب رئيساً للمجلس الوطني الأول ، وقد جلس إلى جانب الشقيري أمين عام الجامعة العربية عبد الخالق حسونة . (ص٣٤٥) أما بخصوص جلسة المجلس الأولى فقد تأخر الافتتاح انتظاراً لحضور الرئيس عبد الناصر ، وبدأ الهمس يدور بين أعضاء المجلس ، وكان منهم من يقول إن عبد الناصر لن يحضر لافتتاح المجلس ، والسبب أنه عاتب على الشقيري ومنظمة التحرير ، لأن الشقيري لم يخبره مسبقاً أنه اتفق مع الصين الشعبية لإرسال شحنة من الأسلحة إلى منظمة التحرير عن طريق ميناء الإسكندرية . ولكن بعد انتظار بضع دقائق حضر عبد الناصر وافتتح الجلسة . ثم ألقى أحمد الشقيري كلمة بدأها بتوجيه التحية للرئيس عبد الناصر ، وشكره لحضوره لافتتاح المجلس الوطني .. وقال الشقيري في كلمته : « إن الرئيس عبد الناصر قد أُلهم الحق والصواب إذ قرر في آخر لحظة الحضور لافتتاح المجلس الوطني الفلسطيني ، فالقضية الفلسطينية وتحرير فلسطين يدعوان إلى ذلك . كما قال الشقيري في خطابه تعريضاً بمن يتهمه والمنظمة بالتبعية لناصر : أعلن من هذا المنبر على مسمع من الرئيس عبد الناصر أن منظمة التحرير ليست عميلة لأحد ، ولا تابعة لأحد ، إنها ملك الشعب الفلسطيني وحده ، .. أما أنا فإني أرفض أن أكون عميلاً لأحد ، أنا لست بعميل ، أنا زميل لعبد الناصر .. نحن وإياه رفاق طريق على درب الكفاح ، وإن شعبنا يلتقي مع عبد الناصر لقاء الثوار بالثوار ، والأحرار بالأحرار . وقد قوبلت كلمة الشقيري باستحسان جميع

(١) والده القائد الشهيد حسن سلامة (مساعد الشهيد القائد عبد القادر الحسيني ، قائد الجهاد المقدس) .

أعضاء المجلس ، كما لاحظت شخصياً أن عبد الناصر كان مرتاحاً لسماع تلك الكلمة .

وفي هذه الجلسات تكتل بعض الأعضاء مطالبين بعدم انتخاب الشقيري رئيساً للمجلس ورئيساً للجنة التنفيذية في آن واحد ، وطالبوا بالفصل بين الرئاستين ضماناً لحسن سير العمل .. وقد سقط هذا الاقتراح لأن معظم أعضاء المجلس يرون منحه الثقة الكاملة ، وذلك بغض النظر عن أي اقتراح . وقبل اختتام جلسات المجلس أعيد انتخاب الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية ، وكلف بتشكيل لجنة تنفيذية جديدة . (ص٣٤٨) .

وبعد انتهاء اجتماعات المجلس الوطني الثاني شكل اللجنة التنفيذية الثانية ، وكان بعض أعضائها من بين أعضاء اللجنة التنفيذية الأولى . ثم تابع الشقيري نشاطاته وجولاته ليحط عام ١٩٦٥ في الكويت ، وكانت له مكانة كبيرة هناك لمواقفه السابقة وجولاته ولنشاطه في الأمم المتحدة ، فاجتمع بسمو الشيخ عبدالله السالم ، وتمكن من إقناعه بالموافقة على تدريب الفلسطينيين في الكويت على السلاح بإشراف ضباط كويتيين ، وكان ذلك الحدث فريداً يتم لأول مرة في دولة من دول الخليج العربي ، وقد زار الشقيري المتدربين في إحدى الدورات وخطب فيهم . (ص٣٥١) .

وعن النظام الداخلي للمنظمة وطرق البحث عن دعم مادي ومعنوي ، فقد قال أبو الجبين : « كان النظام الداخلي للمنظمة ينص على تنظيم « يوم فلسطين » في مختلف الساحات من أجل الدعم المالي للمنظمة ، وكنا قد شكلنا لجنة في مكتب المنظمة لتنظيم هذه الحملة ، ومن أجل إنجاح أسبوع فلسطين حضر الشقيري إلى الكويت ، وألقى خطاباً في افتتاح المعرض الفني الذي أقمناه » .

وحول التهدئة والتوافق والتلاحم الذي كان يجب وكاد أن يكتمل ، يقول أبو الجبين : « في عام ١٩٦٦ انضم تحت لواء المنظمة حركة القوميين العرب ، وشاركت في أنشطة المنظمة !! وأصبح لها ممثلون بارزون في الاتحادات الشعبية المختلفة ، التي أصبحت قواعد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأذكر أن الاتحاد العام لعمال فلسطين ، والاتحاد العام لطلبة فلسطين ، أعلنا في مؤتمريهما أنهما قاعدتان من قواعد المنظمة ، كما أعلن ذلك أيضاً الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية الذي عقد في القدس آنذاك وافتتحه الشقيري أيضاً . (ص٣٥٨)

وحول المجلس الوطني الثالث الذي تقرر عقده في غزة ، توجهت وزملائي إلى مصر ومن ثم إلى غزة ، وعندما دخلنا غزة وجدناها شعلة من الحماسة والتأييد للمنظمة ، وكان هناك حضور كبير حتى من الأشخاص الذين لم يكونوا أعضاء في المجلسين الوطنيين الماضيين ، وعلمت أن الشقيري دعا الكثيرين لحضور المجلس الوطني بصفة مراقبين ، وأذكر أنه جرى في الجلسة الأولى نقاش حاد حول جمع الشقيري بين رئاسة اللجنة ورئاسة المجلس الوطني .. وانتهى النقاش كما في السنة الماضية بتثبيت الشقيري رئيساً للمجلس وللجنة التنفيذية . (ص٣٥٩) . جاء في خطاب الشقيري في هذه الجلسات الحديث عن إنجازات المنظمة وإشارته إلى انتظام عمل الصندوق القومي ، ومركز الأبحاث ، وانتظام عمل مكاتب المنظمة في الأقطار المختلفة ، وبدء التنظيم الشعبي لمنظمة التحرير ، وإعلان أن الاتحادات الشعبية المختلفة ، التي جرى انتخابها قواعد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ثم تحدث عن رحلة وفد المنظمة إلى الصين الشعبية ، وبيّن أن تلك الرحلة كانت ناجحة . وفاجأ الشقيري أعضاء المجلس بعد ذلك بأن طلب منهم الموافقة على استبدال جيش التحرير الفلسطيني بالكتائب الفلسطينية ، التي أشار إليها الميثاق ، وتحدث الشقيري عن الانتخابات ، وأعلن أن المجلس الوطني المقبل سيكون أعضاؤه منتخبين من الشعب الفلسطيني ، وقال : منعاً للإحراج سأكون أنا المرشح الوحيد عن أراضينا المحتلة ! (ص٣٦٠) .

ومما ذكره أن جورج حبش أنشأ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وتألفت الجبهة آنذاك من العناصر الفلسطينية النشطة في حركة القوميين العرب ، وأذكر أن بعض القوميين العرب انتقدوا جورج حبش في اتخاذه هذه الخطوة ، وسحب العناصر الفلسطينية من حركة القوميين العرب ، مما سبب في إضعاف تلك الحركة ، كما انتقدوه أيضاً لأنه لم يتعاون مع الشقيري عند إبراز الكيان الفلسطيني ، وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وقالوا : لو تعاون جورج حبش مع الشقيري آنذاك لكانت حركة القوميين العرب هي الفصيل الرئيسي في منظمة التحرير ، ولأمكنها عندئذ غرس الأفكار القومية فيها والسيطرة عليها . (ص٣٦٤)

ولكن النكسة قلبت ظهر المجن ، وغيرت الحسابات ، فتداخلت المواقف ، فدعت دولة الكويت لعقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب لتدارس الأمر ، وعقد هناك برئاسة أحمد طوقان رئيس وزراء الأردن ، وقد حضرت مع أحمد الشقيري ممثلين لفلسطين ، وكان جو المؤتمر جو يأس وتقهقر ، ومن المهم هنا أن أشير إلى أنه قبل الدعوة إلى المؤتمر المذكور استدعاني الشيخ صباح الأحمد (وزير الخارجية الكويتي آنذاك ، وأمير دولة الكويت الحالي) وحدثني عن المؤتمر ، وأنه يميل إلى عدم توجيه الدعوة إلى منظمة التحرير ، لأن الضفة والقطاع سقطت والشقيري مكانه غير معروف بعد مغادرته الضفة الغربية . وكان هذا موقفاً خطيراً

جداً لأنني خشيت أن تكون هذه بداية لإغفال الاعتراف بالمنظمة في الساحة العربية ، وحدثت الشيخ بهواجسي فاقتنع أخيراً بتوجيه الدعوة للشقيري ، وهكذا اتصلت بشفيق الحوت مدير مكتب المنظمة في بيروت لإيصال الدعوة للشقيري . (ص ص ٣٧٠ ، ٣٧١) ولم نكن نعرف مكان وجوده ، بعد أن كان قد وصل إلى عمان في آخر مايو ١٩٦٧ بصحبة الملك حسين ، بعد أن تصالحا في القاهرة بوساطة وحضور الرئيس جمال عبد الناصر . يذكر الشقيري في مذكراته " أنه بعد وصوله إلى عمان توجه إلى القدس وأدى صلاة الجمعة في المسجد الأقصى ، ومن مكتب المنظمة في القدس راقب الأحداث إلى أن استدعي إلى عمان ، لحضور اجتماع للقيادة العربية الموحدة عقب صباح يوم النكسة ، وخلال ذلك سقطت الضفة الغربية بعد القضاء على الطيران المصري ، وبقي الشقيري في غرفة العمليات مع القائدين علي عامر وعبد المنعم رياض . (ص٣٧١)

بعد سقوط القدس والقطاع في أيدي الاحتلال ، صدر قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ . وقد قبلته مصر بتحفظ ، ولكن منظمة التحرير الفلسطينية رفضت القرار لأنه كان ميثاق اعتراف بـ " إسرائيل " دون تقديم شيء للشعب الفلسطيني ، وعندما رفضت مصر إذاعة الرفض من إذاعة صوت فلسطين بالقاهرة ، أعطاني الرئيس الشقيري نص قرار المنظمة برفض القرار . وسافرت مساء اليوم ذاته إلى بيروت ، وسلمت قرار الرفض إلى الزميل شفيق الحوت ، مدير مكتب المنظمة في بيروت ، والذي تولى نشره في الصحف اللبنانية ، وسلمه لوكالات الأنباء والإذاعة . وهكذا نشر قرار المنظمة برفض قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . (ص٣٧٤)

وبعد قمة الخرطوم ، والتي اختلف فيها الشقيري مع القادة العرب ، وبعد أن وافق عبد الناصر على قرار ٢٤٢ ، ظهر الخلاف واضحاً بين الشقيري وعبد الناصر ، وبدأت الصحف المصرية تطعن بمواقف الشقيري وتشيد بالعمل الفدائي لفتح ، ووسط أجواء الهزيمة والحيرة قدم سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير للشقيري كتاباً يطالبونه بالاستقالة لإفساح المجال لقيادة أخرى . فقدم استقالته يوم ١٩٦٧/١٢/٢٤ ووجه الاستقالة عبر إذاعة صوت فلسطين من القاهرة إلى الشعب الفلسطيني قائلاً إنه يستقيل حفاظاً على منظمة التحرير الفلسطينية . (ص٣٧٥)

إبحار بلا شطآن *

هارون هاشم رشيد

هارون هاشم رشيد الشاعر الفلسطيني الكبير ، عمل في مكتب المنظمة منذ عام ١٩٦٥ ، وتولى آنذاك شؤون إعلام منظمة التحرير الفلسطينية في القطاع ، وشؤون إعلام جيش التحرير الفلسطيني ، وممثلاً لإذاعة صوت فلسطين ، وهو من الذين رافقوا مولد جيش التحرير ، وبالتالي رافق الشقيري في إعداد الجيش وتدريبه ، ومن هنا يستحضر ذكرياته مع الشقيري في كتابه « إبحار بلا شطآن » قائلاً :

« عندما قدم الشقيري إلى غزة عام ١٩٦٤ بعد أن كلفه مؤتمر القمة العربي بالعمل على إعادة بناء الكيان الفلسطيني ، وعندما قدمته في المهرجان الكبير ، الذي أقيم في ملعب اليرموك في غزة ، واستمعت إليه ، واستمع إليه الشعب بكافة فئاته ، وعندما دوى صوت الجماهير : « يا شقيري شعبك قال هات سلاح وخود رجال » ، كنت أحس لحظتها أنني أولد من جديد ، وأن كل الذي يصدر عني كلاماً وشعراً ، في طريقه إلى أن يكون حقيقة . ولما تحقق البناء السياسي ، بإقامة المجلس التشريعي ، والاتحاد القومي ، والبناء العسكري بكتائبه الفلسطينية والتدريب الشعبي ، وقواعد الاتحاد القومي ، وعقد المجلس الوطني الفلسطيني ، وأقيمت منظمة التحرير الفلسطينية ، وافتتح مكتب المنظمة في غزة ، وولد الجيش الفلسطيني ، وأعلن التجنيد الإجباري؛ رأيت كل هذه الخطوات الواسعة كأنما لم تعترف بالزمن ، لأن الأرضية كانت معدة لاستقبال المولود الجديد . (ص٤٠٤)

وعندما زار الشقيري غزة ١٩٦٥ توجه إلى الجامع العمري الكبير ، ليلقي خطاباً وقد ركز فيه على حق الشعب الفلسطيني في حمل السلاح ، وإقامة جيشه القومي . ومما قاله : « هاهنا في هذا اليوم وفي هذا القطاع المرابط ، الذي يقف أبناؤنا فيه جميعاً : نساؤه وعماله .. وطلابه؛ مرابطين توطيداً للعهد ، وتجديداً له .. لقد قطعتم هذا العهد على أنفسكم منذ زمن بعيد ، والكفاح ليس بجديد عليكم ، هذا القطاع هو القطاع المجاهد بأبنائه جميعاً ، وصدقتم ما عاهدتم عليه هنا ، وأنتم مقبلون على التجنيد الإجباري بكل همة وإيمان ، فالتجنيد قام على أساس متين » . (ص٤١٣)

« يومها كان لي شرف مرافقة أحمد الشقيري وتقديمه لضباط وجنود جيش التحرير ، إذ وقف يومها يقول وسط ضباطه وجنوده : « أيها الضباط الشجعان ، أيها الجنود البواسل ، جئت أحييكم هذا اليوم تحية الكفاح والنضال ، وأنتم طليعة الكفاح والنضال ، شعب فلسطين يحييكم ، والأمة العربية كذلك تحييكم » ، « وأنتم تمثلون جيش التحرير في هذا القطاع المرابط ، أرى أملاً كبيراً كان يراودنا من زمن بعيد ، فقد كان طلب شعب فلسطين في كل مكان أن يكون تحت السلاح والتنظيم » . « أنتم تركتم منازلكم ، وأهلكم ، وأبناءكم وبناتكم ، لتكونوا في هذه الثكنات ولعلكم تعيشون ظروفاً صعبة وقاسية ، ولكن لأنها في بداية الطريق ، فلا بد من صعوبات » . (ص٤١٤) في الشهر الأخير من عام١٩٦٦ وبعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وإقامة جيش التحرير الفلسطيني ، والحرس الوطني ، وانتشار القوات الفلسطينية على الحدود في قطاع غزة ، فكرت المنظمة بإقامة اتحاد كتاب فلسطين ، وتشكلت لجنة تحضيرية من أحد عشر عضواً ، لتحديد أهداف الاتحاد ومنها : بعث التراث الفلسطيني ، وتنميته كجزء من إعداد بناء الكيان وكجزء من معركة التحرير المصيرية مع العدو ، وإبراز الشخصية الفلسطينية ، وإجراء البحوث والدراسات عن ماضي الشعب الفلسطيني وعراقته وقضاياه الفكرية ، وتمثيل فلسطين في المؤتمرات الدولية ، والإسهام في أي نشاط فكري وأدبي . وحين عقد المؤتمر الأول عام ١٩٦٦ أعلن رئيس المنظمة أحمد الشقيري عن افتتاح المؤتمر ، وألقى خطاباً هاماً وتاريخياً تناول فيه القضية من مختلف أبعادها ، والمخاطر التي تهددها ، ودعا الشعب الفلسطيني للتكاتف والتلاحم ، والعمل صفاً واحداً ، ليكون الشعب كله جبهة واحدة في وجه الأعداء . وبدأ الكيان الفلسطيني يتكامل ، فقد أقبل أيار/ مايو ١٩٦٧ ليس كغيره من الأعوام السابقة ، فقد أخذت منظمة التحرير الفلسطينية في مدة وجيزة تمارس عملها الوطني ، فأقامت التنظيم الشعبي بمختلف قواعده ، في قطاع غزة ، ومواطن التجمعات الفلسطينية ، كما أقامت جيش التحرير ، بكتائبه وأسلحته ، وأنشأت مركز الأبحاث ، والصندوق القومي الفلسطيني ، ونشرت مكاتبها في البلاد العربية ، كما بدأت إذاعة « صوت فلسطين » صوت منظمة التحرير الفلسطينية ، بثها الواسع . (ص٤٤٥)

أمام هذا الوهج المبشر الواعد ظهرت غيوم تتكاثف في سماء الوطن العربي ، فقد تحدثت الأخبار عن حشود إسرائيلية ضخمة تتجمع على الحدود السورية وفق معلومات من موسكو إلى القاهرة ، وتواصلت

(*) هارون هاشم رشيد ، **إبحار بلا شطآن** ، دار مجدلاوي للنشر ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٧٩ .

الأخبار تشير إلى أن القوات « الإسرائيلية » بلغت أحد عشر لواء ، مما جعل السوفييت يبدون قلقاً لاحتمال قيام « إسرائيل » بهجوم على سورية ، وأوحوا إلى عبد الناصر بضرورة حشد قواته في سيناء لمنع « إسرائيل » من شن الهجوم على سورية . كان الزعيم الشقيري في زيارة لغزة ، وكنا بمناسبة اقتراب ذكرى الخامس عشر من أيار / مايو ، نعد ونستعد لإقامة الذكرى بغير ما كنا نقيمها سابقاً ، وأبرز ما ركزنا عليه إقامة عرض عسكري كبير أمام الجندي المجهول ليسعد الشعب بقواته المسلحة ، ويرى أبناءه وقد صاروا جيشاً يتكامل بأسلحته المختلفة . (ص٤٤٥)

توقفت أمام النصب التذكاري سيارة جيب عسكرية من سيارات جيش التحرير ، نزل منها ضابط وناولني رسالة مغلقة ، فَضَضت الرسالة فإذا هي من قيادة جيش التحرير ، تخطرني بإلغاء الاحتفال والعرض العسكري لإعلان حالة الطوارئ ، ركبت سيارتي وتوجهت بالرسالة إلى مقر إقامة « أحمد الشقيري » في قصر الحاكم العام عند شاطئ غزة ، تناولها وقرأها فتغير لون وجهه ، واكتسى بذلك الجو المتأمل ، ودفع بها إلى مظروفها ، وناولني إياها وهو يقول : « سامحك الله يا عبد الناصر ، والله ما هذا وقته ولا نحن مستعدون بعد » والتفت إليّ قائلاً : « دورنا الآن أن نعبئ الجماهير ، ونكون وراء الزعيم القائد والله معنا » . (ص٤٤٦)

لم تكن الجماهير أقل من الشقيري حماساً واندفاعاً ولا تلهفاً إلى لحظة الانطلاق وإشارة البدء ، وبعد جولاته في المعسكر وكتائب جيش التحرير ، تركنا إلى القاهرة ، لنواصل الرسالة التي بدأ ، إعداداً واستعداداً . وفي أيام قلائل تحول القطاع كله إلى ثكنة عسكرية ، قوات جيش التحرير ، الحرس الوطني ، قوات الدفاع المدني ، التنظيم الشعبي ، التنظيم النسائي ، كلها تلاحمت لتكون جبهة واحدة في مواجهة العدو . (ص٤٤٧)

رغم الحماس الملتهب ، والجو المشحون بالأمل والمعنويات العالية ، فإن كلمات الشقيري ظلت تطن في أذني : « إننا لم نستعد بعد » . بدأت أشعر بذلك عند احتكاكي المباشر ، ومشاهدتي اليومية للطريقة التي تجري بها الاستعدادات للمواجهة ، فقد كانت الفوضى ضاربة أطنابها ، والتحرك العشوائي لتسليح المواطنين ، ثم اضطراب القيادة وتضاربها . وكانت الأحداث تتلاحق بسرعة ، فقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب أمام العمال العرب ، أنه إذا نشبت الحرب فإنها ستكون شاملة ، وهدفها تدمير « إسرائيل » ، ونحن واثقون من النصر ، كما أننا مستعدون الآن للحرب مع « إسرائيل » ، واصفاً الولايات المتحدة بأنها العدو الرئيسي ، ووصف بريطانيا بأنها ذيل لأميركا . (ص٤٤٨)

وفي ٣٠ مايو / أيار ، حدث تطور هام هزّ المشاعر وألهب الحماس عندما وصل الملك حسين إلى القاهرة بصورة غير متوقعة ، ومكث في القاهرة ست ساعات وقّع خلالها اتفاقية دفاع مشترك مع الرئيس عبد الناصر ، وكان لهذا التطور المفاجئ من الأحداث وقع المفاجأة علينا وعلى المصريين ، وقد اصطحب الملك حسين معه في طريق عودته زعيم منظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري إشارة إلى التلاحم والتلاقي والتضامن لتحقيق الهدف الأهم ، وهو الانتصار على العدو الإسرائيلي ، (ص٤٥٢) . كل ذلك جعلنا في قطاع غزة ندخل شهر حزيران / يونيو بروح عالية من الحماس والتوقد والإيمان بالنصر .

الحقيقة أن « إسرائيل » ، افتعلت الحرب عام ١٩٦٧ ليتوقف المد الهائل لنهوض الكيان الفلسطيني ، فلقد أرعب العدو ما يجري في قطاع غزة ، وما امتد ليصل إلى مناطق الشتات في سورية ولبنان والعراق ، الشعب الفلسطيني صاحب الأرض ومالك الوطن ، ينهض من جديد بكيان متكامل ، جيش التحرير الفلسطيني ، مجلس تشريعي ، آلاف المثقفين والأكاديميين ، إذاعة مدوية ، اقتحام للأسوار العازلة ، منظمة التحرير . ولذلك جازفت « إسرائيل » بالحرب ، وافتعلت أسبابها .

تجربتي مع الأيام *

أحمد اليماني (أبو ماهر)

لا زلت أذكر اللقاء الأول لي مع الشقيري قبل حوالي ستين عاماً ، حين كنت طالباً في مدرسة عكا الثانوية ، وبمناسبة وعد بلفور دعا نادي أسامة في مدينة عكا أعضاء النادي ومعلمي مدارس المدينة والطلاب لحضور محاضرة يلقيها المحامي أحمد الشقيري ، حول وعد بلفور الذي أعطته الحكومة البريطانية لليهود في ١٩١٧/١١/٢ ، ومازلت أذكر بعض كلمات الشقيري في تلك المحاضرة ، لقد هاجم الاستعمار بشكل عام .. وخص بهجومه الانتداب الفرنسي والبريطاني اللذين عقدا اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦ ، التي قسمت المنطقة المعروفة ببلاد الشام إلى دويلات .. ثم ركز هجومه على بريطانيا التي ثبتت الحركة الصهيونية وكرستها في اتفاق عصبة الأمم (صك الانتداب) ، وأنهى محاضرته متوجهاً إلى المدرسين والطلاب ، بأن يتعمقوا في دراسة تاريخ وجغرافية فلسطين ، والوطن العربي وتاريخ ونشأة الحركة الصهيونية ، وأطماعها وارتباطاتها بالاستعمار ، وأن ينقلوا ما يدرسونه إلى المواطنين ، لتوعيتهم بالخطر الذي تشكله هذه الحركة المستندة إلى حكومة الانتداب البريطاني ، ثم توجه إلى الحضور بشكل عام وإلى الشباب بشكل خاص ، طالباً منهم تنبيه معارفهم من الشباب إلى ضرورة مقاطعة الالتحاق بالجيش البريطاني الذي كان يجند الشباب ويدفعهم إلى ميادين القتال . (كانت الحرب العالمية الثانية مستمرة) .

وحين أقام في لبنان في مصيف (كيفون) قمت وبعض الأخوة بزيارته ، وهنأناه بالعودة إلى لبنان ، وقدرنا الموقف القومي الذي وقفه في الأمم المتحدة ، ثم أثرنا بعض القضايا الخاصة بالإخوة الفلسطينيين المقيمين في لبنان ، حيث كانوا يواجهون صعوبة في التنقل بين لبنان وسورية لزيارة أهلهم ، ووعدنا الشقيري خيراً وقال إنه ذاهب إلى دمشق ، وسيلتقي مع المسؤولين ويطرح معهم ما قدمناه له من معلومات ، وحدثنا عن رؤيته المستقبلية لمسار القضية الفلسطينية على ضوء إطلالته الواسعة ومعرفته بمواقف الأعضاء في الأمم المتحدة ، وطلبت منه أن يقوم بدعوة الشعب العربي الفلسطيني إلى اعتماد الكفاح المسلح أسلوباً لاستعادة الحق .. والسعي من خلال اتصالاته ومؤيديه في فلسطين إلى تامين الإمكانات المادية والبدء بالكفاح المسلح ، فرد الشقيري بلغته الفصحى : هذا عمل لا أتحمل مسؤوليته ، وأصفق له إذا نجح .

وبعدما كلفه مؤتمر القمة العربي الذي عقد في القاهرة بإجراء اتصالاته بالفلسطينيين ، راح الشقيري يطوف على البلدان العربية التي يوجد فيها فلسطينيون ، ويعقد اجتماعات مع السلطات من ناحية ، ويعرض على الكفاءات الفلسطينية قرار مؤتمر القمة ، وعند وصوله إلى لبنان نزل في فندق الريفيرا في بيروت ، وقمت وبعض الإخوة بزيارته في الفندق ، فحدثنا عما تم في المؤتمر ، والاستشارات التي أجراها في البلدان العربية التي زارها ، وسعيه للتعاون مع الهيئة العربية العليا ، وختم كلامه قائلاً : ما رأيكم بما تم حتى الآن ؟

أجبته : شكراً لكم أستاذنا الكريم على هذا العرض ، واسمح لي أن أسجل ملاحظتين :

الأولى : كل ما نرجوه أن تكون كعهد جماهير شعبنا بك مدافعاً عنيداً عن حقوق الشعب ، وممثلاً حازماً لكل تطلعاتهم .

الثانية : أنت كممثل للجماهير الفلسطينية المشردة ، والذين تتجمع أغلبيتهم الساحقة في المخيمات ، تنزل في هذا الفندق الضخم حيث يضطر الفلسطينيون للمجيء إلى بيروت للقائك . كان الأولى بك أن تطلب من أهل مخيم عين الحلوة - مثلاً - أن يقيموا لك خيمة تستقبل فيها اللاجئين ؟

رد الشقيري بلغته الفصحى مازحاً :

أول ما سأقوم به - بعد إقامة دولتنا في فلسطين - أن أعيدك إلى السجن (وكان يذكرني بمساعيه لإطلاق سراحي من الزنزانات اللبنانية عندما يتواجد في لبنان) وأضاف : أما بالنسبة للفندق فقد اعتدت أن أنزل بهذا الفندق كلما تواجدت في بيروت ، لأنه يذكرني بمنزلي في عكا القائم هناك على البحر .

وبعد نكبة ١٩٤٨ أقمت في لبنان ، متابعاً العمل مع أبناء شعبي المشردين ، من أجل الإعداد للعودة عبر تنظيم (شباب الثأر) الامتداد النضالي الفلسطيني لحركة القوميين العرب . وفي بورسعيد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب ألقاه في ١٩٦٣/١٢/٢٣ ضرورة عقد مؤتمر قمة عربي ، لاتخاذ موقف عربي موحد من قضية تحويل العدو الصهيوني لمجرى نهر الأردن ، وكان الشقيري آنذاك يمثل فلسطين في جامعة الدول العربية .

(*) أحمد حسين اليماني ، **تجربتي مع الأيام ، الجزء الخامس ، تجربتي المتواضعة في إطار منظمة التحرير الفلسطينية** ، دمشق : دار كنعان للدراسات والنشر ، ٢٠٠٤ ، ٣٤٧ صفحة .

وعقد المؤتمر في ١٩٦٤/١/١٣ وكان على جدول أعماله بند خاص بقضية فلسطين ، ودور أبنائها في المساهمة بتحرير وطنهم ، ومن خلال المناقشات اتخذ المؤتمر قراراً بتكليف أحمد الشقيري بإجراء الاتصالات مع القوى والشخصيات، والأطر الجماهيرية الفلسطينية في الأقطار العربية ، للوقوف على آرائهم وتقديم تقرير إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، لتعرضه على مؤتمر القمة الثاني الذي سيعقد في الإسكندرية خلال شهر أيلول القادم ١٩٦٤ .

استند الشقيري إلى قرار القمة ، وهو المحامي المشهود له بالكفاءة القانونية ، وكسب القضايا ، وإطلالته السياسية الواسعة على مجرى قضية فلسطين في المجالات العربية ، والمحافل الدولية ، وراح في تحركاته واتصالاته يتجاوز قرار مؤتمر القمة ، فوضع مشروع ميثاق ، ونظام أساسي لتشكيل منظمة تمثل الشعب الفلسطيني ، وتدافع عن حقوقه ، وتسهم بإعداد أبناء فلسطين للمشاركة في معركة التحرير .

وقد لاقت المشاريع التي أعدها ، والأفكار التي كان يطرحها ، استحسان الأغلبية الساحقة من الذين التقى بهم ، بينما كان أعضاء الهيئة العربية العليا ومناصروها غير مرتاحين لهذا التحرك ، ويرون فيه بداية تشكيل إطار جديد ، يحل محل الهيئة في تمثيل قيادة الشعب الفلسطيني .

وبعد استكمال جولة الاتصالات ، شكل الشقيري لجنة تحضيرية اختار أعضاءها من الكفاءات الفلسطينية المقيمين في المملكة الأردنية الهاشمية ، لأن الفلسطينيين في ضفتي الأردن يشكلون غالبية سكان فلسطين ، وقد ضمت اللجنة الأولى التالية أسماؤهم : روحي الخطيب ، أنور نسيبة ، قدري طوقان ، فلاح الماضي ، سعيد علاء الدين ، يوسف عبده ، عبد الرحمن السكسك ، والآنسة زليخة الشهابي .

وعقدت اللجنة التحضيرية أول اجتماع لها في مدينة القدس بتاريخ ١٩٦٤/٣/٢٥ ، واستمرت في عقد جلساتها ، حتى أنجزت مشروع خطة عمل تقضي بعقد مؤتمر وطني فلسطيني في مدينة القدس ، يحضره مندوبون عن الفلسطينيين في البلاد العربية . وشكّل الشقيري لجاناً تحضيرية فرعية في البلدان العربية المضيفة للفلسطينيين ، مهمتها : إعداد قوائم بأسماء المندوبين الذين ترشحهم اللجان لعضوية المؤتمر الوطني الفلسطيني . وعقد المؤتمر في القدس صباح الخميس ٢٨ أيار ١٩٦٤ بحضور ٣٧٩ عضواً ، وشهد المؤتمر الملك حسين، وعدد من المسؤولين الأردنيين، وعبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، والمنجي سليم وزير الخارجية للجمهورية التونسية ، وعبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائرية ، وأحمد مختار السفير السوداني في عمان ، ومنصور الأطرش ممثلاً للفريق محمد أمين حافظ رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة في الجمهورية السورية ، والدكتور عبد الرزاق محي الدين وزير الدولة لشؤون الوحدة ممثلاً لعبد السلام عارف رئيس العراق ، والدكتور حسين خلاف وزير الشؤون الثقافية الخارجية ممثلاً لجمال عبد الناصر ، والسفير خالد العدساني ممثلاً لأمير الكويت ، والسفير جوزيف أبو خاطر ممثلاً لرئيس لبنان ، والدكتور أحمد البشتي وزير الصحة ممثلاً لليبيا ، والسفير محمد المغربي العلمي ممثلاً لملك المغرب ، وعبد القوي حميم نائب رئيس الوزراء ممثلاً لليمن .

واتخذ عدداً من القرارات (انظر ملاحق الكتاب ووثائقه) . وكلف المجلس الشقيري بتشكيل اللجنة التنفيذية ، فقام - وبناءً على هذا القرار - بالتشاور مع أعضاء المجلس الوطني من مختلف تجمعاتهم بتشكيل اللجنة التنفيذية الأولى ، وراحت اللجنة تقوم بالمهمات التي حددها لها المجلس الوطني كتمثيل الشعب الفلسطيني ، والإشراف على تشكيلات المنظمة ، وإصدار اللوائح والتعليمات ، واتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم أعمال المنظمة ، وتنفيذ السياسة المالية وإعداد ميزانيتها .

توالى انعقاد دورات المجلس الوطني الفلسطيني ، فعقد دورته الثانية في القاهرة من ٣١ أيار / مايو حتى ٤ حزيران /يونيو ١٩٦٥ ، واتخذت مجموعة من القرارات السياسية والعسكرية والإعلامية والمالية والتنظيم الشعبي . كما ناقش المجلس الدراسة التي أعدتها قيادة العمل الفلسطيني في حركة القوميين العرب ، وكانت تتضمن رؤية حركة القوميين العرب ، مستندة إلى مبادئها وأهدافها وأساليبها (كحركة نضالية ثورية) .

وفي١٩٦٧ وقع العدوان الصهيوني على ما تبقى من فلسطين ، وبعض الأقطار العربية المجاورة ، ونتج عنه احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقسم من هضبة الجولان ، وسيناء . ونتيجة لكل ما حدث ، ومطالبة أبناء الشعب الفلسطيني بضرورة إعادة النظر في أجهزة المنظمة (وربما لأسباب أخرى) تقدم الشقيري باستقالته إلى الشعب الفلسطيني في كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٧ .

رحم الله الشقيري القانوني البارع السياسي اللامع ، والخطيب المفوه ، حمل القضية إلى الهيئات الدولية ودافع عن حقوق أبنائها في مختلف المحافل العربية والدولية .. وعرض القضايا القومية في المؤتمرات والمؤسسات العالمية التي تواجد فيها .. والذي إن اختلفت معه في الرأي ، وانتقدت موقفاً من مواقفه في بعض الحالات .. إلا أنك لا تستطيع إلا أن تقدر مواقفه الوطنية الصلبة ، وعدم استجابته لأية دعوة للتنازل عن أي حق من الحقوق الوطنية والقومية ، وستظل جماهير شعبنا تقدر مواقفه .

أنيس صايغ عن أنيس صايغ *

أ . د أنيس صايغ

عميد الفكر العربي الفلسطيني والمفكرين الفلسطينيين، الأستاذ الدكتور أنيس صايغ، في مقدمة من اهتم بدراسة فكر أحمد الشقيري وتجربته، منذ أن غيّب الشقيري عن دائرة الاهتمام الذي يليق به وبفكره وإنجازاته . كتب أنيس صايغ عن الشقيري عدة دراسات ومقالات في العقود الثلاثة الأخيرة، التي مضت على رحيله [1]، وفي مذكراته الموسومة بعنوان : « أنيس صايغ .. عن أنيس صايغ » التي أصدرها عام ٢٠٠٦ تحدث صايغ عن الشقيري مشيراً إلى دوره في بناء ورعاية « مركز الأبحاث »، الذي أسسه شقيقه المرحوم الأستاذ الدكتور فايز صايغ، ثم لم يلبث أن استقال، فعهد الشقيري إلى شقيقه أ. د. أنيس بمواصلة بناء هذا الصرح الهام، وفي السرعة بل الفورية في نقل الإدارة إلى أنيس ما يؤشر إلى حجم الأهمية التي يوليها الشقيري للفكر في بناء أركان منظمة التحرير الفلسطينية، إذ رأى أنه لا يجوز أن يعيش المركز فراغاً ولو للحظة، فقبل أن يقبل استقالة أ. د. فايز طلب منه استدعاء شقيقه أ. د. أنيس من لندن ليتولى إدارة المركز، بل وعهد إليه بذلك قبل أن يقبل الاستقالة .

عن تجربته مع الشقيري في المركز يتحدث أ. د. أنيس في مذكراته على النحو الآتي :

« وصلت برقية من شقيقي فايز، الذي كان قد أسس مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية أوائل ١٩٦٥، يطلب مني العودة من لندن إلى بيروت للبحث مع رئيس المنظمة أحمد الشقيري في مشروع سبق أن كلمته فيه بإصدار موسوعة فلسطينية، وعدت فوراً .

كانت معرفتي برئيس المنظمة محدودة جداً من قبل، عبارة عن لقاء واحد قبل أكثر من عشرة أعوام من ذلك التاريخ، وكان لقاءً طريفاً ومحرجاً في آن، كانت روزماري زوجة شقيقي يوسف ترغب في إجراء مقابلات في القاهرة لبعض الشخصيات من ضمن رسائل صحفية تبعث بها من مصر إلى إحدى الصحف البريطانية التي كانت تراسلها، وكنت أنا يومها في القاهرة أيضاً، فطلبت مني أن نذهب معاً لزيارة أحمد الشقيري، وكان أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية لتجري معه حديثاً ففعلت، وكان الشقيري كعادته لطيفاً ومحدثاً لبقاً، وبدأت روزماري تطرح الأسئلة وهو يجيب، ولاحظت أن هناك التباساً ما، فبدل أن تسأله في السياسة أو القانون وعن فلسطين والجامعة العربية، أخذت الأسئلة تنحو منحى أدبياً، صحيح أن الشقيري هاوي أدب وقارئ ممتاز، ولكن ما علاقته المباشرة والحميمة برواية الأرض مثلاً ؟ سألته متى كتب روايته الأولى ؟ وبمن تأثر من الروائيين العرب والأجانب ؟ أدركت أن روزماري - وكانت لا تزال حديثة عهد بالإقامة في الوطن العربي ومعرفة باللغة العربية - التبس عليها الأمر بين الشقيري والشرقاوي أديب مصر وصاحب رواية الأرض، ولم أكن بحاجة إلى أن أعتذر من الشقيري وأوضح له الأمر، فقد انتبه هو إلى ذلك، واسترسل في الحديث بدون إحراج له ولها، ولفت نظرها بطريقة غير مباشرة إلى أنه ليس عبد الرحمن الشرقاوي بحديث مطول عن الأديب المصري وعلاقته به وإعجابه بأدبه .

« وقد اصطحبني فايز في اليوم التالي إلى كيفون - مصيف الشقيري - وجلسنا في حديقة داره الجميلة، وفاجأ فايز الشقيري وفاجأني بأن قدم استقالته من رئاسة مركز الأبحاث، وإذا بالشقيري يلتفت إليّ وهو يقول : إذن استلم يا أنيس المركز، واعمل موسوعتك على بركة الله . وأعترف أني انزعجت جداً وارتبكت وتلعثمت، ولم أعرف ماذا أقول، أزعجني أن الشقيري تسرع في قبول الاستقالة، وكان أولى به أن يؤجل البت بها والبحث في البديل إلى جلسة أخرى، خاصة أني اكتشفت خلال الجلسة أن سوء تفاهم كان قائماً - ولو بصمت - بين الشقيري وفايز، وأربكني أنني لم أكن متأكداً ما إذا كان فايز مصمماً على الاستقالة .

لم يمهلني الشقيري طويلاً، اتصل بي بعد أربع وعشرين ساعة طالباً لقاءً ثانياً، وأخذ يتحدث في اللقاء وكأني وافقت على عرضه وأصبحت مديراً عاماً لمركز الأبحاث . وللحقيقة .. أنه ما من مسؤول رسمي فلسطيني أو عربي غير فلسطيني عرفته في حياتي كان متحمساً للمركز مثل أحمد الشقيرى، حدثني عن طموحاته في المركز، توسيعه ومشاريعه الحالية والمقبلة، وكان وكأنه يقرأ أفكاري، ولم يتطرق إلى موضوع الموسوعة إلا في آخر اللقاء قال : استلم المركز وضع فيه كل كفاءاتك وعلمك وأحلامك، ثم ضع أسس العمل من أجل إعداد الموسوعة الفلسطينية التي تحلم بها ضمن إطار المركز، وأنا معك على طول الخط . وكان الرجل صادقاً في وعده، كان مع المركز على طول

(*) أنيس صايغ، **أنيس صايغ عن أنيس صايغ**، بيروت، رياض الريس، ٢٠٠٦ .

(١) انظر فصل « الشقيري في كتاباتهم » .

الخط ، حتى بعد أن تنحى عن رئاسة منظمة التحرير بعد هذا الحديث بسنة ونصف ظل يسأل عن المركز ، ويقرأ منشوراته ، ويلاحق نشاطه حتى توفاه الله في شباط ١٩٨٠ ، ولم تكن حاجة إلى القول له إني قبلت العرض ، كان قبولي أمراً واقعاً ، وبينما كنت أصافحه مودعاً سألني : لم تستفسر عن الراتب ؟ أخوك كان متطوعاً لأنه كان أستاذاً شبه متفرغ في الجامعة ، أما أنت فستعطي كل وقتك للمركز (ثم الموسوعة) ، ما هو الراتب الذي تطلبه ؟ قلت : أنت تحدد الراتب حسب سلم الرواتب في المنظمة . قال : لا إسأل كم هو راتب أستاذ الجامعة بعمرك وخبرتك ويكون هو راتبك في المركز . (ص ١٨٥)

« أعترف قبل كل شيء بأني مدين في نجاح المركز ذلك النجاح الفريد من نوعه والذائع الصيت إلى ثلاثة : إلى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري الذي رعى المركز ويسر له الحماية وهو في مرحلة التأسيس ، وبقي حتى أيامه الأخيرة الصديق الوفي للمركز ، يستفسر ويسأل ويستشير ويقرأ ويعلق ويشجع (ولولا الخوف من الاسترسال لتحدثت مطولاً عن هذا الرجل الكبير بكل معاني الكبر) حسبي أن أذكر أنه عمل في المنظمة متطوعاً . (وكانت أول مذكرة بعث بها إليّ بعد أن توليت إدارة المركز تحذر من التجاوب مع قريب له استغل القرابة بينهما فطبع كتاباً عنه ليكتسب منه ، وإلى فايز صايغ الذي لم يغامر قط بإنشاء المركز ، وكان إنشاء مركز من هذا النوع طفرة جنونية ، بل أيضاً أرسى قواعد العمل وفروعه وأسلوبه ، وأدين أخيراً إلى الاحتضان الرائع الذي حظي به المركز من جمهرة المثقفين العرب ، الحريصين على أهمية الفكر والوثيقة والكلمة والرأي الحر في التعامل مع قضيتنا الكبرى) . (ص ٢١٦)

« كانت الدراسات والبحوث التي أعدها المركز أو نشرها حول جوانب الحياة الصهيونية والإسرائيلية ، أما الموضوع الرئيسي الثاني الذي وجه المركز اهتمامه الخاص به بعد التعريف بالعدو وكان تكملة لحملة التعريف ، فهو التفريق بين اليهودية والصهيونية ، وتحديد أهداف الثورة الفلسطينية بتحرير فلسطين وإقامة دولة فلسطينية ديمقراطية تشمل عرب فلسطين ويهودها ولا تكون عنصرية ، ولهذا حرص المركز على محاربة المزاعم بأن من أهداف المنظمة رمي اليهود في البحر ، (مثلما زعم بعض المراسلين الأجانب ، ونسبوا إلى أحمد الشقيري كلاماً لم يقله في المؤتمر الصحافي في القاهرة قبيل حرب ١٩٦٧ بأسبوع) . (ص ٢٢٨)

وفي إدارتي للمركز كنت أركز على التزام المركز بالنظم الإدارية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بحسنات ذلك الالتزام وسلبياته . كنا نضطر إلى تقديم إيصال للصندوق القومي الفلسطيني عن كل مبلغ يصرف ، إلا أني بالرغم من ممارسة هذا الروتين المرهق ، كنت أشعر بارتياح إلى نظافة حساباتنا ، كانت العلاقة مع رئاسة المنظمة طبيعية إلى أبعد الحدود في الأشهر الستة عشر الأولى من رئاستي للمركز - أيام أحمد الشقيري الذي حرص على احترام استقلال المركز مثلما حرص على إنجاحه والاعتزاز به) . (ص ٢٣٣)

وحينما شرعت في عقد اللقاء الثقافي الفلسطيني مع نخبة من المثقفين الفلسطينيين الذي شرعت في عقده منذ صيف ١٩٩٢ ، فقد أرسى اللقاء تقليداً بتكريم عدد من الأعلام الفلسطينيين ومن الأعلام العرب ، الذين طبعوا بصمات في المسيرة الفلسطينية عند رحيلهم أو في ذكرى غيابهم من : مناضلين ، وسياسيين ، ومفكرين ، بحيث يتحدث في الذكرى عدد من عارفيهم أو دارسيهم في شهادات حميمة وصادقة ، من بين الشخصيات التي كرّمنا ذكراها : إبراهيم أبو لغد ، وإحسان عباس ، وأحمد الشقيري ، وإدوارد سعيد وغيرهم) . (ص٤٩١)

صفحات من حياتي *

علي شمس الجعبري

في كتابه « صفحات من حياتي » ، يتحدث علي شمس الجعبري عن تمثيل الفلسطينيين في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية في المؤتمر الوطني الأول فيقول :

بعد أن قامت ثورة اليمن ضد الحكم الإمامي (بقيادة عبد الله السلال) (١٩٦٢) دب الخلاف بين مصر والسعودية ، الأولى دعماً للثورة والسعودية دعماً للحكم الإمامي ، وتلا ذلك اصطفاف عربي عرف طرفاه بالمعسكر التقدمي والمعسكر الرجعي .

وفي خضم ذلك بدأت « إسرائيل » عملية تحويل روافد نهر الأردن ، التي كانت باعثاً لإطلاق عبد الناصر الدعوة إلى عقد قمة عربية في أوائل ١٩٧٤ ، لبحث سبل مواجهة هذا العدوان الصهيوني الكبير ، وقد كلفت هذه القمة المرحوم أحمد الشقيري ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية ، بالبحث في سبل تنظيم طاقات الشعب الفلسطيني ، وقد قام بجولات متعددة في جميع أماكن الشتات الفلسطيني في الوطن العربي إضافة إلى فلسطينيي غزة والأردن بضفتيه ، وللحق والتاريخ فإنه يسجل للشقيري قدرته على اغتنام هذه الفرصة لتأسيس كيان فلسطيني سياسي لتحرير فلسطين ، واستعادتها على قاعدة الجهاد والكفاح المسلح ، من خلال تعبئة الشعب الفلسطيني وتنظيمه والزج به في معركة التحرير ، كطليعة تلزم الأمة العربية بدعمها ومشاركتها . وفي ظل الأوضاع العربية آنذاك ، والتناحر والتنابذ والفرقة العربية السائدة . فاق هذا الإنجاز كل التوقعات . وشملت زيارة الشقيري المملكة العربية ، وكان مقرراً له أن يلتقي بالجالية في المنطقة الشرقية في الدمام ، وقد اتصلت إمارة المنطقة من خلال المرحوم محمد الفاهوم (أبو جواد) ، وطلبت إليه أن يرشح عدداً من (وجوه) الجالية ليشرفوا على هذا اللقاء ، وقد كنت واحداً منهم ، وبينما كنا نتهيأ لاستقبال الشقيري قادماً من الرياض ، أبلغنا بأنه عدل عن الحضور لاضطراره لمغادرة المملكة إلى مهمة عاجلة أخرى ، أو هكذا برر الأمر ، فالسعودية كانت على خلاف مع الشقيري الذي كان يمثلها في الأمم المتحدة ، لكنها أقالته على خلفية علاقته مع عبد الناصر والخلاف السعودي بشأن اليمن .

(*) علي شمس الجعبري ، **صفحات من حياتي** ، عمّان : المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

من دروب العمر *

شريف الجعبري

شريف الجعبري كان أحد العاملين في حقل القضية الفلسطينية ، بدأ نشاطه في أعقاب النكبة في القاهرة ، حين كان يعمل في البنك العربي منذ أواسط الأربعينات ، وشارك في تأسيس النادي الفلسطيني في القاهرة بعيد النكبة ، تولى رئاسته إلى أن قامت منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان قد انتقل إلى قطر ، وفيها عايش مرحلة تأسيس المنظمة ، وكيفية اختيار ممثلي الجالية للمؤتمر الوطني من خلال زيارات الشقيري لها ، ولكن الأهم هو دور الجعبري خلال انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني في القدس ، ومع الركن الأردني - الفلسطيني المهم في المجلس عمه الشيخ محمد علي الجعبري . وفي كتابه من دروب العمر أفرد فصلاً خاصاً بعنوان : تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية نثبته لأهميته :

كانت القمة العربية التي عقدت في القاهرة في ١٣ كانون الثاني / يناير ١٩٦٤ قد كلفت الشقيري بالاتصال بالدول العربية وبالشعب الفلسطيني فيها (للوصول إلى القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني ، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره) .

وكان الشقيري قبل ذلك بشهور في أيلول / سبتمبر ١٩٦٣ قد اختير ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية إثر وفاة ممثلها المرحوم أحمد حلمي باشا ، وحيث أن لقاءات الشقيري كانت ستشمل بالطبع أبناء الجالية الفلسطينية في قطر ، فقد تداعى هؤلاء إلى اجتماع عقد في قسم التغذية التابع لدائرة معارف قطر ، حضره المئات من العاملين في مختلف القطاعات الرسمية والخاصة ، وكانت غاية الاجتماع انتخاب مجموعة تمثل الفلسطينيين في قطر استعداداً للقاء الشقيري .

وفي اجتماع الجالية الفلسطينية تقرر اختيار ممثلين للجالية في قطر .. وكان هناك توجه لاستبعادي من قبل البعض كوني لم أحضر الاجتماع ، ولكن الأكثرية أصروا على اختياري عضواً في المجموعة .. ، وجرى انتخاب محمود عباس « أبو مازن » ، ورفيق النتشة ، ومحمد يوسف النجار ، والمهندس صدقي خضر ، وميشيل فرح ، وعبد السلام أبو عيسى ، و « محمد شريف » الجعبري ، ممثلين للجالية في قطر .

ولدى حضور الشقيري استقبلناه في مطار الدوحة ، ونزل في القصر الأبيض ، والتقى عدداً كبيراً من أبناء الجالية الفلسطينية في قطر لأكثر من مرة ، داعياً إياهم لانتخاب أربعة ممثلين للجالية في المؤتمر الوطني المزمع عقده قريباً ، وأن يكون خامسهم شريف الجعبري .

والتقت الجالية الفلسطينية ، وانتخبت ممثليها كما يلي : ميشيل فرح ، ورفيق النتشة ، وعبد السلام أبو عيسى ، وصالح البرغوثي ، وشريف الجعبري ، ولم يكن من بينهم محمود عباس ، وكمال عدوان ، ومحمد يوسف النجار . وكان هؤلاء من المعروفين بانتمائهم إلى الإخوان المسلمين ، ثم إلى حركة فتح السرية آنذاك ، ويبدو أن قرار فتح كان عدم المشاركة العلنية الكبيرة في جهود الشقيري لاعتبارات سياسية خاصة بهم .

وقد حدد موعد انعقاد المؤتمر في ٢٨ أيار /مايو ١٩٦٤ في مدينة القدس ، وغادرنا الدوحة قبيل ذلك بأيام إلى القدس عن طريق بيروت ، للمشاركة في أعمال المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول ، الذي يضم جميع من جرى اختيارهم لتمثيل الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية بما فيها القدس وقطاع غزة ، وكذلك في أقطار الشتات المختلفة .

وقد استطاع الشقيري - للحقيقة و التاريخ - أن يؤمن بجهود استثنائية تمثيلاً ومشاركة لأوسع طيف من الشعب الفلسطيني في جميع أماكن وجوده ، سواء ممن بقي منهم في الوطن ، أو المتواجدين خارجه في الأقطار العربية وفي المهاجر ، من مختلف القوى الاجتماعية والوظيفية ، فكان منهم وزراء ونواب وأعيان سابقون وممثلو المجالس البلدية والمحلية ورجال الدين والأكاديميون وممثلو المخيمات وشيوخ عرب بدو السبع ، والعمال والمزارعون والطلاب والمرأة ، ولم يغب عن المجلس إلا ممثلو أبناء الشعب الفلسطيني الصامدون تحت نير الاحتلال البغيض .

كما استطاع الشقيري بقدرته الفائقة على التعامل مع المتناقضات العربية ، وأن يؤمن حضوراً ذا مستوى عالٍ لممثلي الدول العربية ، بمن فيهم الذين ما كانوا يرتاحون للشقيري ، بل شاركت وفود رسمية عربية على مستويات تراوحت بين عضو مجلس الدولة ، والوزراء والسفراء ، مثلت كلاً من : تونس - الجزائر - السودان - سورية - العراق - مصر - الكويت - لبنان - ليبيا - المغرب - اليمن .

(*) شريف الجعبري ، **من دروب العمر** ، عمان ، المؤسسة العربية الدولية ، ط٢ ، ٢٠٠٨ ، ص١١٣ : ١١٨

كما شارك السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية ، على أن أهم ما حققه الشقيري هو انعقاد المؤتمر في القدس ، ومشاركة المرحوم الملك حسين شخصياً في افتتاحه .

وقد افتتح المؤتمر الساعة العاشرة صباحاً يوم الخميس ١٩٦٤/٥/٢٨ بآي من القرآن الكريم في فندق إنتركونتننتال في القدس، ثم ألقى السيد روحي الخطيب أمين القدس كلمة ترحيبية باسم القدس ، تلاها افتتاح المؤتمر بكلمة الملك حسين ، ثم كلمة جامعة الدول العربية ألقاها الأمين العام عبد الخالق حسونة ، وألقى الشقيري بعد ذلك بصفته ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية بياناً عن (الكيان الفلسطيني) .

كانت الأجواء مشحونة بنذر الخوف والقلق من اختلاف الفلسطينيين في هذا المؤتمر على أرضية التباين بين مؤيد للنهج الناصري ومؤيد للخط الأردني ، أو ما كان يعرف في حينه باسم المعسكر التقدمي والمعسكر الرجعي ، ناهيك عن التباين داخل كلا المعسكرين ، على الأقل في الموقف من الشقيري ، وما يمكن أن يقود إليه إنشاء كيان فلسطيني قد يكون تابعاً لمصر ! .

واتجهت الأنظار من الطرف الآخر إلى الشيخ محمد علي الجعبري » ، كونه « عرّاب مؤتمر أريحا » الذي أفضى إلى ضم بقية فلسطين (الضفة الغربية فيما بعد) إلى المملكة الأردنية الهاشمية (الضفة الشرقية لاحقاً) ، فيما ظل يحمل اسم المملكة حتى نكبة حزيران ١٩٦٧ ، التي أودت بها بين براثن العدو الصهيوني ، وإزاء هذه المخاوف وخشية من تفجير المؤتمر ، حدثت الشيخ الجعبري بهواجس بعض المشاركين من خارج الأردن ، لا سيما وأن كثيراً من ممثلي فلسطين والأردن (الضفة الغربية) في المؤتمر هم ممن يناهضون - بشكل أو بآخر - الخط الناصري وبالتالي الشقيري ، وأشعرته بأن الهواجس تتركز على شخصه ودوره .

وعقدت في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم نفسه جلسة مسائية خصصت لانتخاب رئيس المؤتمر ومكتب الرئاسة ، وفي مستهل الجلسة وعند دخول أحمد الشقيري الذي كان متجها لأخذ مقعده بين الأعضاء ، وقف الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، واتجه صوب الشقيري أمام أعضاء المؤتمر ، وبشكل لافت خاطبه : « مكانك هنا (وأشار بيده إلى مقعد الرئاسة) علينا نحن الفلسطينيين أن نتحد ونكون يداً واحدة لاستعادة فلسطين . وتابع الشيخ الجعبري ، وهو يشير بيده إلى غرب القدس المحتلة : وها هي القدس ، علينا أن نعمل لاستعادتها ، معركتنا هناك ... وليست هنا بيننا » ، وأسجل للأمانة والحق والتاريخ أن فلسطينية الشيخ الجعبري كانت في أعلى ذراها بعيدة عن النزاعات السياسية الصغيرة .

وقد قوبل حديث الشيخ بتصفيق حاد من قبل المؤتمرين ، وبدا الفلسطينيون متحدين في سعيهم لإبراز منظمتهم وكيانهم ، وجرى في الجلسة انتخاب المرحوم أحمد الشقيري رئيساً للمؤتمر ، وانتخب كل من : المرحوم حكمت المصري ، والدكتور حيدر عبد الشافي، والمرحوم الدكتور نقولا الدر (نواباً) للرئيس، والمرحوم عبد الرحمن السكسك (أميناً عاماً) .

الشقيري في جامعة الدول العربية *

محمود رياض

في مذكرات الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية محمود رياض (١٩٤٨- ١٩٧٨) ، تناول تجربته في الجامعة حين كان وزيراً لخارجية مصر في عهد عبد الناصر ، قبل أن يغدو أميناً عاماً لها ، وهذه المرحلة كانت حافلة بالأحداث العربية الصاخبه ، فقد شهدت أحداثاً كبرى من بينها : قضية تحويل العدو الصهيوني لروافد نهر الأردن ، وقيام منظمة التحرير الفلسطينية ، والحرب العدوانية الصهيونية في حزيران ١٩٦٧، وقمة الخرطوم وسواها . وهي أحداث برز فيها ، ووجد في أتونها الشقيري ، بل ربما أسهمت في قيام منظمة التحرير الفلسطينية . وفي مذكراته يروي محمود رياض من قلب الجامعة قصة المنظمة ودور الشقيري ومعاركه والمعارك ضده ، وقد أدرجنا ذلك في قسم المنظمة من هذا الكتاب ، وفي قسم سجالات الشقيري مع جمال عبد الناصر في قمة الخرطوم وذلك لتكون ضمن موضوعها .

(*) محمود رياض ، **مذكرات محمود رياض (١٩٤٨ - ١٩٧٨) : البحث عن السلام والصراع في الشرق الاوسط** ، ط٢ ، القاهرة: دار المستقبل العربي ، ١٩٨٥ . ص ص (١٣٥ - ١٣٧) .

- محمود رياض ، **مذكرات محمود رياض : الأمن القومي العربي .. بين الإنجاز والفشل** ، ج٢ ، القاهرة : دار المستقبل العربي، ١٩٨٦ ، ص ص (٣٨٦ - ٣٨٩) .

القسم السادس

بعد الرحيل .. حضور برغم الغياب والتغييب

الفصل الرابع عشر

الشقيري في مقالاتهم

الفصل الخامس عشر

مقالات جديدة

الفصل السادس عشر

الشقيري بعد ربع قرن (شهادات جديدة)

الفصل السابع عشر

الشقيري في ندوات

الفصل الرابع عشر

الشقيري في مقالاتهم

تمهيد

- ببليوغرافيا الشقيري

_ في مقالات أ . د . أسعد عبد الرحمن

_ في مقالات أ . د . أنيس صايغ

_ في مقالات جميل بركات

_ في مقالات شفيق الحوت

_ في مقالات عرفات حجازي

الشقيري في مقالاتهم

تمهيد

كثيرة هي المقالات التي تناول أصحابها الشقيري بعد رحيله ، وقد جمعت أسرة الشقيري ما صدر منها في العقدين الأولين على رحيله في كتاب حمل عنوان : كلمات وفاء ، وقد لاحظنا أنّ عدداً من أصدقاء الشقيري وعارفي فضله قد دأبوا على إحياء ذكراه بين سنة وأخرى ، بمقالات لا تخلو كل مرة من كشف المزيد ، وذلك بالرأي والتحليل وعن ومن فكر الشقيري وشخصيته ومسيرته ومصداقية نبوءاته ، وقد رأينا أن نضع بين يدي القارئ خلاصة كاشفة لما خطه هؤلاء تتضمنها الصفحات الآتية .

ببليوغرافيا الشقيري

(١) ببليوغرافيا مقالات كتاب كلمات وفاء

- إبراهيم بكر ابراهيم ، كلمة في ندوة مؤسسة شومان أحمد الشقيري كما عرفته ، عمان ، ١٩٩٦/٢/٢٦ ، (٧٦ - ٨٥) .
- إبراهيم سكجها ، أحمد الشقيري والخرافات اليهودية ، **الرأي** ، عمان، ١٩٩٠/٩/٢٥ ، (١٧٠ - ١٧٢) .
- أبو محمود ، أحمد الشقيري في ذكراه الثانية (كتاب جديد - خرافات يهودية) ، **الدستور** ، عمان ، ١٩٨٢/٢/٢٦ ، (١٩٥ - ٢٠٣) .
- أسامة بن منقذ ، كلمة حق ووفاء وتاريخ على طريق الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب، **الرأي التونسية**، تونس ، ١٩٨٠/٣/٧ ، (٢٣٩ - ٢٤٢) .
- أسعد عبد الرحمن ، أحمد الشقيري : غياب وحضور ، **الرأي** ، عمان ، ١٩٨٦/١١/٢٣ ، (١٧٦ - ١٧٧) .
- ـــــ ، أوراق جديدة من ملف الإصدقاء الورقة الأولى أحمد الشقيري ، **الدستور**، عمان ، ١٩٩٢/٣/٧ ،(١٦٣ - ١٦٤) .
- ـــــ ، في ذكرى رحيل الشقيري من فندق المنفى ومن فندق الاحتلال إلى الوطن، **الرأي**، عمان، ١٩٩٤، (١٥٩) .
- ـــــ، في ذكرى الشقيري، **الأسواق**، عمان، ١٩٩٥/٣/٦ ، (١٥١ - ١٥٢) .
- ـــــ ، كلمة افتتاحية ندوة مؤسسة شومان بمناسبة ذكرى أحمد الشقيري ، عمان ، ١٩٩٦/٢/٢٦ ، (٦٩ - ٧٠) .
- ـــــ ، لاءات الشقيري في مواجهة لاءات باراك ، **الرأي** ، عمان ، ٢٠٠٠/٢/٢٤ ، (٢٩ - ٣١) .
- **الاقتصاد العربي** ، بمناسبة مرور سبعة عشر عاماً على وفاة أحمد الشقيري كانت فلسطين جرحاً في قلبه والوحدة امنيته الكبري ، ١٩٩٧/١٢/١٥ ، (٣٩ - ٤٤) .
- أنور الخطيب ، أحمد الشقيري : صفحة من الكتاب الفلسطيني ، **القدس** ، القدس ، ١٩٨٠/٢/٢٧ ، (٢٧٥ - ٢٧٦) .
- أنيس صايغ ، أحمد الشقيري : سجال مع تهم شائعة ، **السفير** ، بيروت ، ١٩٩٥/٤/٤ ، (١١٠ - ١١٧) .
- ـــــ ، في ذكرى أحمد الشقيري ، **السفير** ، بيروت ، ١٩٩٦/٢/٢٣ ، (٩٥ - ١٠٣) .
- ـــــ ، أنطون سعادة وأحمد الشقيري مقارنة على الخطوط الحمراء ، **السفير** ، بيروت ، ١٩٩٧/٢/٢٨ ، (٥٢ - ٥٩) .
- جاسم القطامي ، كلمة تأبين في ذكرى الأربعين ، الكويت ، ١٩٨٠/٤/٩ ، (٢١١ - ٢١٤) .
- جميل بركات ، الشقيري في ذمة الله ، **الدستور**، عمان ، ١٩٨٠/٢/٢٧ ، (٢٧١ - ٢٧٢) .
- ـــــ ، الشقيري في ذكراه الثالثة ، **صوت الشعب**، عمان ، ١٩٨٣/٢/٢٦ ، (١٩٢ - ١٩٤) .
- ـــــ ، الشقيري في ذكراه الخامسة (لي حكاية مع حطين) ، **صوت الشعب**، عمان ، ١٩٨٥/٥/٢٧ ، (١٧٨ - ١٨٣) .
- ـــــ ، كلمة في ذكرى أحمد الشقيري ، **الرأي** ، عمان ، ١٩٩٦/٢/٢٦ ، (٦٤ - ٦٦) .
- ـــــ ، الصين والشقيري وتبقى الذكرى ، **الرأي** ، عمان ، ١٩٩٧/٣/٩ ، (٥٠ - ٥١) .
- ـــــ ، ميثاق جامعة الدول العربية بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لرحيل أحمد الشقيري ، **الرأي** ، عمان ، ١٩٩٨/٣/٦ ، (٣٢ - ٣٦) .
- ـــــ ، في ذكرى الشقيري - نصيحة ماوتسي تونغ إلى العرب ، **الرأي** ، عمان ، ٢٠٠٠/٣/٢ ، (٢٠ - ٢١) .
- جورج نعيم شامات ، أحمد الشقيري في ذكرى ٥٠ يوما على وفاته ، **الرأي العام**، الكويت، ١٩٨٠/٥/٨ ، (٢٠٤ - ٢٠٥) .
- خالد الفاهوم ، دور الشقيري في تأسيس منظمة التحرير ، ندوة دمشق ، دمشق ، ١٩٩٥/٤/٣ ، (١١٨ - ١٣٩) .
- خالد محادين ، الشقيري وكلمة رثاء ، **الرأي** ، عمان ، ١٩٨٠/٣/١ ، (٢٤٨) .

- خليل السواحري ، الشقيري في ذكراه الخامسة ، **الدستور**، عمان ، ١٩٨٥/٢/٢٧ ، (١٨٤ - ١٨٥) .
- خيري الدين أبو الجبين ، كلمة تأبين في ذكرى الأربعين ، الكويت ، ١٩٨٠/٤/٩ ، (٢٠٦ - ٢١٠) .
- ـــــ ، كلمة في الذكرى السادسة عشرة لوفاة المجاهد أحمد الشقيري ، عمان ، ١٩٩٦/٢/٢٦ ، (٨٦ - ٨٩) .
- رافع الساعدي ، سيرة حياة المناضل أحمد الشقيري ، دمشق ، ١٩٩٥/٤/٣ ، (١٤٠ - ١٤٦) .
- رجاء العيسى ، أحمد الشقيري ، **الرأي** ، عمان ، ١٩٨٠/٢/٢٧ ، (٢٧٣ - ٢٧٤) .
- رشاد أبو شارو ، عشرون سنة على غياب الشقيري المؤسس المفترى عليه ، **القدس العربي** ، لندن ، ٢٠٠٠/٢/٢٩ ، (٢٢ - ٢٥) .
- سبع ابو لبدة ، أحمد الشقيري الرجل الذي حارب إسرائيل حيا وميتا ، **المجد** ، عمان ، ١٩٩٦/٤/٨ ، (٦٠ - ٦٣) .
- شفيق الحوت، أربعون عاماً من الجهاد، **الوطن العربي**، باريس ، ١٩٨٠/٢/٢٩ ، (٢٦٢ - ٢٦٣) .
- ـــــ ، الشقيري والكلمة توأمان ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ، ١٩٨٠/٤ ، (٢١٥ - ٢٢١) .
- الصوت الذي خسرته القضية ، **الحوادث** ، لندن ، ١٩٨٠/٣/٧ ، (٢٤٣ - ٢٤٤) .
- طلال سلمان ، من تبنين إلى الأغوار : رحلة نسيان الشقيري ، **السفير**، بيروت ، ١٩٩٧/٦/٦ ، (٤٧ - ٤٩) .
- طلعت شناعة ، المجاهد العربي أحمد الشقيري و (فلسطين عام ٢٠٠٠) ، **الدستور**، عمان ، ١٩٩٣/٧/٢٤ ، (١٦٠ - ١٦٢) .
- عباس صفا ، تاريخ أحمد الشقيري بعض من تاريخ فلسطين الحديث ، **الحياة** ، لندن ، ١٩٩٧/١١/٢٨ ، (٤٥ - ٤٦) .
- عبد الحميد عبد الغني ، الشقيري : خطيب العرب في الأمم المتحدة ، **أخبار اليوم** ، القاهرة ، ١٩٨٠/٣/١ ، (٢٥١ - ٢٥٣) .
- عبد المجيد أبو خالد ، أحمد الشقيري - ذكرى مناضل ، **الدستور**، عمان ، ١٩٩٨/٣/٢ ، (٣٧ - ٣٨) .
- عبد المجيد شومان ، أحمد الشقيري كما عرفته ، ندوة مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، ١٩٩٦/٢/٢٦ ، (٧١ - ٧٥) .
- عدلي صادق ، الشقيري في الذكرى العشرين لرحيله حنين إلى الأمنية القصوى ، **القدس العربي**، لندن ، ٢٠٠٠/٢/٢٦ ، (٢٦ - ٢٨) .
- عرفات حجازي ، الصين وفلسطين ، **الشرق الأوسط** ، جدة ، ١٩٨٤/٥/٢٧ ، (١٩٠ - ١٩١) .
- ـــــ ، كيف تأسست منظمة التحرير الفلسطينية لولا الشقيري لما قامت للفلسطينيين قائمة ، عمان ، ١٩٩٦/١/٢٩ ، (١٠٤ - ١٠٩) .
- ـــــ ، إنصاف لؤسس منظمة التحرير الفلسطينية ، **الدستور**، عمان ، ٢٣ و ٢٠٠٠/٨/٢٦ ، (٧ - ١٩) .
- علي سعود عطية ، أحمد الشقيري رجل فقدناه ، **القدس** ، القدس ، ١٩٨٠/٣/١٢ ، (٢٢٧ - ٢٣٢) .
- ـــــ ، بين جنيف وواشنطن رؤيا مبكرة لقائدة فلسطيني راحل عن الحل السلمي ، **الدستور**، عمان ، ١٩٩٢/٣/٣ ، (١٦٥ - ١٦٩) .
- فؤاد مطر ، أحمد الشقيري ، **المستقبل** ، باريس ، ١٩٨٠/٣/١ ، (٢٤٩ - ٢٥٠) .
- الفارس السنديانة ، **فلسطين الثورة** ، بيروت ، ١٩٨٠/٣/٣ ، (٢٤٥ - ٢٤٧) .
- فهد الريماوي ،واحد من صقور فلسطين ، **الدستور**، عمان ، ١٩٨٠/٢/٢٨ ، (٢٦٤ - ٢٦٥) .
- محمد رشدي الخياط ، كلمة تأبين في حفل جيش التحرير الفلسطيني في ذكرى الأربعين ، دمشق ، ١٩٨٠/٤/٥ ، (٢٢٢ - ٢٢٦) .
- محمد سعيد صبار ، أحمد الشقيري في ذكراه الخامسة عشرة ، **الدستور**، عمان ، ١٩٩٥/٣/٨ ، (١٤٧ - ١٥٠) .
- محمد علي الفرا ، أربعة عشر عاما على رحيل مناضل كبير ، **الدستور**، عمان ، ١٩٩٤/٣/١ ، (١٥٣ - ١٥٨) .
- ـــــ ، أحمد الشقيري فكرا وعقيدة ، عمان ، ١٩٩٦/٢/٢٦ ، (٩٠ - ٩٤) .
- محمد فاضل الجمالي ، ذكريات مع أحمد الشقيري ، **الصباح** ، ١٩٨٠/٢/٢٨ ، (٢٦٦ - ٢٧٠) .
- محمد كريشاني ، رحم الله أحمد الشقيري ، **الصباح** ، تونس ، ١٩٨٠/٣/٧ ، (٢٣٣ - ٢٣٨) .
- محمد كعوش ، الشقيري كما عرفته ، **الدستور**، عمان ، ١٩٩٦/٢/٢٦ ، (٦٧ - ٦٨) .
- **الموسوعة الفلسطينية** ، أحمد الشقيري ، (ق١ ، مج١ ؛ ٩٨ - ١٠٠) ، بيروت ، ١٩٨٤ ، (١٨٦ - ١٨٩) .
- ناصر الدين النشاشيبي ، أبو مازن رثاء القلب إلى أحمد الشقيري ، **الأنباء** ، الكويت ، ١٩٨٠/٢/٢٩ ، (٢٥٤ - ٢٦١) .
- نجدة فتحي صفوة ، هذا اليوم في التاريخ أحمد الشقيري ، **الشرق الأوسط** ، بيروت ، ١٩٨٩/٢/٢٥ ، (١٧٣ - ١٧٥) .
- هارون هاشم رشيد ، حبيب فلسطين وفارسها ، **الصباح**، تونس ، ١٩٨٠/٢/٢٧ ، (٢٧٧ - ٢٧٩) .

(٢) ببليوغرافيا عامة

- إبراهيم الويشي ، مؤتمر جنيف تسوية باطلة .. والفلسطينيون في عنق الزجاجة ، **القبس** ، الكويت ، ١٩٧٧/١/٣٠ .
- إبراهيم مرعي ، الشقيري يتحدث للحرية عن : حرب التحرير الشعبية وموقف الأردن من منظمة التحرير ، **الحرية** ، بيروت ، ع ٣٢٧ ، ١٩٦٦/٩/١٥ ، ص ٥ .
- احتفالية عربية بمؤسس منظمة التحرير الفلسطينية : في مناسبة مرور ٢٥ عاما على رحيل أحمد الشقيري ، **العربي** ، القاهرة ، ٢٠٠٥/٥/٢٢ ، ص١٣ .
- أحمد الشقيري ، باندونغ ١٩٥٥(مذكرات سياسية) ، **القضايا المعاصرة** ، بيروت ع١ ، تموز / يوليو ١٩٦٩ .
- أحمد سعيد نجم ، تعالوا نتذكر الشقيري ، **الحرية** ، بيروت ، ع ١٢٠١ ، ٢٠٠٨/٨/٣٠ .
- أحمد صافي ، في يوم « التطبيع » لم يحتمل قلبه .. فسكت ، **الصمود** ، بيروت ، ١٩٨٠/٣/١٥ .
- آخر رسالة كتبها الشقيري إلى ابن أخيه بعد توقيع السادات اتفاقية كامب ديفيد وانتقاله إلى تونس تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨ ، **الرأي العام** ، الكويت ، ١٩٨٠/٥/٣ .
- أنيس صايغ ، ٤٠ عاما على لاءات الشقيري ، **الأخبار** ، بيروت ، ٢٠٠٩/١٢/٥ .
- أنيس صايغ ، الرجل المفترى عليه .. صادق تآمرت عليه الظروف ، **القبس** ، الكويت ، ٢٨٣٧ ، ١٩٨٠/٤/٩ ، ص ٨ .
- بعد ربع قرن على رحيل أحمد الشقيري ، **العربي** ، القاهرة ، ٢٠٠٩/١٠/١٩ .
- بيان للسيد أحمد الشقيري بوجوب موافقة المنظمة على أي حل تقره الأمم المتحدة ليكون مقبولاً من قبل الشعب الفلسطيني ، بيروت ، ١٩٦٧/١٠/١٣ ، ص٨١٣ .
- تصريح السيد أحمد الشقيري حول الأسس العشرة التي تقوم عليها م. ت. ف ، عمان ، ١٩٦٥/٧/٢ ، ص ٤١٤ .
- الجامعة بعد سبعة أعوام ، **الندوة اللبنانية** ، ع ع ٩-١٠ ، آذار / مارس ١٩٥٣ ، ص ص ١٩٥-٢٠٤ .
- الجماعة الاتحادية والجماعة الانفصالية ، **المستقبل العربي** ، بيروت ، ع ٥ ، كانون الثاني / يناير ١٩٧٩ . ص ص ٨٠-٨٩ .
- جمال أبو عبده ، من أعلام فلسطين .. أحمد الشقيري ، **المجد** ، عمان ، ٢٠٠١/٨/٦ .
- جميل بركات ، في ذكرى احمد الشقيري ، **القدس الشريف** ، عمّان ، ع ٥٧ ، ١٩٨٩/١٢ .
- حامد الشريف ، نعم لمنظمة التحرير لا لمنظمة التفريط ، **المجد** ، عمان ، ١٩٩٩/١٢/١٣ .
- حركة القوميين العرب ، توضيح حركة القوميين العرب لموقفها من السيد أحمد الشقيري وم. ت. ف ، ص ٤٧٦ .
- حكاية حياة ، احمد الشقيري زعيم فلسطيني بوجوه عربية ، **زهرة الخليج** ، أبوظبي ، ع ١٣٤٤ ، ٢٠٠٤/١٢/٢٥ .
- الحكم الذاتي ... تهويد للضفة والقطاع ، **الرأي** ، عمّان ، ١٩٧٨/١٠/١٨ .
- الحنين إلى أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية ، **العربي** ، القاهرة ، ٢٠٠٥/٣/٦ .
- خيري الدين أبو الجبين ، الشقيري يوقف الفيتو السوفييتي على قبول الكويت في الأمم المتحدة ، **القبس** ، الكويت ، ٢٠١٠/٤/١٨ .
- دار الجليل (عمّان) ، الذكرى العاشرة لرحيل مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية (تقرير)، **الراية** ، الدوحة ، عدد ٣١٧١ ، ١١ /١٩٩٠/٣ ، ص٧ .
- الذكرى الخامسة والعشرون لرحيل الزعيم الفلسطيني أحمد الشقيري ، **القدس** ، القدس ، ع ١٢٧٥٩ ، ٢٠٠٥/٢/٢٧ ، ص١٠ .
- ذكريات عن مؤتمر القمة في الخرطوم، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ، ع ٤ ، أيلول / سبتمبر ١٩٧٢ ، ص ص ٩٠-٩٩ .
- راشد حميد ، منظمة التحرير الفلسطينية في عشر سنوات ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ، ع ع ٤١-٤٢ ، شباط / فبراير ١٩٧٥ ، ص ص ٥١٥-٥٣١ .
- رد على مناحيم بيغن .. آخر ما كتب أحمد الشقيري ، **شؤون عربية** ، تونس ، آذار / مارس ١٩٨١ .
- رشاد أبو شاور ، مات الشقيري .. وبقيت فلسطين التي أحب ، **الصمود** ، دمشق ، ١٩٨٠/٣/١٥ .
- رشاد كامل ، ما خفي كان أعظم ، **صباح الخير** ، القاهرة ، ٢٠٠٥/٣/٢٩ .
- زياد أبو شاويش ، أحمد الشقيري زعيم فلسطين وابنها البار ، **موقع الركن الأخضر** ، ٢٠٠٧/٦/٥ ، http:// www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=7319.
- سلوى البنا ، الشقيري: أمنيتي وأنا أغادر الحياة .. أن تكون القضية على الدرب الصحيح ، **الوطن** ، الكويت ، ١٩٧٧/١١/٢٥ .
- سيرة رجل غاضب استمر في المحاولة ، **الكاتب الفلسطيني** ، بيروت ، ع ١٢ ، نيسان / ابريل ١٩٨٠ ، ص ص ٥-١١ .
- شفيق الحوت ، يوم وُلد الممثل الشرعي والوحيد ! ، **الشرق الأوسط** ، لندن ، ١٩٨٨/٦/١٢ .
- الشقيري : الضمير الفلسطيني الذي يظل حياً ، **الطليعة** ، الكويت ، ١٩٨٠/٣/٥ .
- الشقيري حاضرا ، **الأسبوع** ، القاهرة ، ع ٤٢٦ ، ٢٠٠٥/٥/٢٥ .

- الشقيري خطيب القضية الفلسطينية ، **الخليج** ، الشارقة ، ٢٠٠٥/٨/٤ .
- الشقيري ذلك المتفائل ، **الأحرار**، ع ٤٠ ، ١٩٦٤/٦/١ ، ص٣٣ .
- الشقيري وتبقى الذكرى ، **الوطن العربي** ، باريس ، ع ٢١٩ ، نيسان / ابريل ١٩٨١ .
- الشقيري وفلسطينيو قطر ، **المحرر**، بيروت ، ع ع ٤٢-٤٣ ، آب / أغسطس – أيلول / سبتمبر ١٩٦٤ ، ص٥٠ .
- الشقيري يتحدث عن جيش التحرير والحرب الوقائية والعمل الموحد (مقابلة) ، **فلسطين**، ع ٤٣ ، ١٩٦٦/٦/٦ ، ص٥ .
- الشقيري يتحدث للحرية عن منظمة التحرير والعمل الفدائي ، **الحرية** ، بيروت ، ع ٣٣٨ ، ١٩٦٦/١١/٢١ ، ص٥ .
- الشقيري يواجه صعوبات في لبنان وسورية ، **أخبار فلسطين**، غزة ، ع ٣٩ ، ١٩٦٤/٥/١ ، ص٤٠ .
- صادق نواس، الشقيري : السادات جرّ مصر لطريق غير عربية ولا إسلامية ، **الأنباء** ، الكويت ، ١٩٧٩/٨/٥ .
- صادق نواس ، الشقيري: نعم لثورة حتى النصر .. لا لثورة حتى الصلح ، **القبس** ، الكويت ، ١٩٧٧/٤/١٤ .
- صالح زيتون ، أحمد الشقيري .. لاءات جديدة ، **العهد** ، الدوحة ، ١٩٧٧/١٢/١٥ .
- صلاح عيسى ، قضية العرب التي كانت مركزية ! ، **الأهرام العربي**، القاهرة ، ٢٠٠٧/١٢/١ .
- الصوت الذي خسرته القضية ، **الحوادث** ، لندن ، ع ١٢١٨ ، ١٩٨٠/٣/٧ ، ص٩ .
- طريق منظمة التحرير بعد مؤتمر القمة ، **الثقافة العربية** ، الرباط ، ع ١ ، كانون الثاني / يناير ١٩٦٦ ، ص ص ٣٢-٥٢ .
- عبد الحي دويدار ، الشقيري يفتح ملفات القضية الفلسطينية ، **العرب** ، الدوحة ، ١٩٧٧/٢/٧ .
- عبد القادر ياسين ، قادة فلسطين خلال ٨٠ عاماً ، **الأهالي** ، القاهرة ، ع ٨٦٩ ، ١٩٩٨/٥/١٢ .
- عبد الكريم بيروتي ، الشقيري : لم أقل يوماً « سنلقي اليهود في البحر » ! ، **القبس** ، الكويت، ١٩٧٤/٩/٢١ .
- عبد الكريم فاروق ، حديث مع الشقيري حول مؤتمر القاهرة والتنظيم الشعبي الفلسطيني واللجنة التنفيذية الجديدة ، **الحرية** ، بيروت ، ع ٢٦٤ ، حزيران / يونيو ١٩٦٥ ، ص٩ .
- عبد الله المدني ، ما الذي حصل بين رحلة الشقيري إلى بكين وزيارة ريمين لتل أبيب ، **القدس العربي** ، لندن ، ٢٢-٢٠٠٠/٤/٢٣ .
- عبد المجيد أبو خالد ، في ذكرى أحمد الشقيري ، **شيحان** ، عمان ، ٢٠٠٢/٣/٩ .
- عصام سخنيني ، مراجعة كتاب من القمة إلى الهزيمة ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ، ع ٢١ ، آب / أغسطس ١٩٧٢ ، ص ص ٢١٢-٢١٣ .
- عماد رحايمة ، أحمد الشقيري : الرجل .. القضية ، **مجلة الهدف** ، دمشق ، ٩٠١ ، ١٩٨٨/٢/٢٨ .
- عوني فرسخ ، أحمد الشقيري في ذكراه الخامسة والعشرين .
- الفرص الذهبية التي أضاعتها الجامعة العربية ، **المستقبل العربي** ، بيروت ، ع١ ، أيار / مايو ١٩٧٨ ، ص ص ٢٧-٤١ .
- فكرية البحيصي ، في حديث غير سياسي هو الأول من نوعه يجري مع الشقيري ، **ملحق جريدة السياسة** ، الكويت ، ١٩٧٧/١/٣١ .
- قراران هامان يصدرهما الشقيري ، **فلسطين** ، ع ٢١ ، ١٩٦٥/٨/١٢ ، ص٤ .
- كريم عزقول ، أحمد الشقيري في أربعين عاماً من الجهاد ، **القضايا المعاصرة** ، بيروت ، ع ٢ ، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٩ ، ص ص ١٨٧-٢٠١ .
- كمال خلف الطويل ، أستاذ هيكل: فعل ندامة متأخر ، **القدس العربي** ، لندن ، ٢٠٠٩/١٠/٢٢ .
- الكيان الفلسطيني ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ، ع ع ٤١-٤٢ ، كانون الثاني / يناير- شباط / فبراير ١٩٧٥ .
- كيف تساهم المرأة في الدفاع عن فلسطين ، **صوت المرأة** ، ع ٤٢ ، أيلول / سبتمبر ١٩٤٦ ، ص٣ .
- م. ت. ف. تنعى المناضل القائد الفلسطيني أحمد الشقيري ، **فلسطين الثورة** ، بيروت ، ع ٣١٩ ، ١٩٨٠/٣/٣ ، ص ١٠ .
- مؤتمر الرؤساء الثاني والشخصية الفلسطينية ، **الأهرام الاقتصادي** ، القاهرة ، ١٩٦٤/٩/١٥ ، ص ص ٢٤-٢٥ .
- ماهر عثمان ، أكبر خطأ ارتكبه أحمد الشقيري ، **الشرق الأوسط** ، جده ، ١٩٨٠/٣/١٠ .
- محمد الكسيح ، الشقيري .. مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية ، **الميزان** ، أناندل ، فيرجينيا ، ٢٠٠٩/٣/٢٧ .
- محمد الهادي الحسني ، البشير الإبراهيمي يستعين بالشقيري للدفاع عن الجزائر ، **الشروق** ، الجزائر ، ٢٠١٠/٢/١١ .
- محمد توفيق السهلي ، أحمد الشقيري مناضل .. فلسطيني .. كبير مضى ، **الجندي** ، دمشق ، ١٩٨٠/٣/٤ .
- محمد توفيق الشنطي ، أرفض جنيف .. وأطالب بواشنطن ، **مجلة اليقظة** ، الكويت ، ١٩٧٧/١/٣١ .
- محمد رجب أبو رجب ، شارع أحمد الشقيري تكريم لشعب فلسطين ومناضليه ، **١٤ أكتوبر** ، عدن ، ٢٠٠٦/٣/٤ .
- محمد نصر ، مراجعة كتاب معارك العرب وما أشبه الليلة بالبارحة ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ، ع ٤٦ ، حزيران / يونيو ١٩٧٥ .

- مصطفى أبو لبدة ، الشقيري : أنا الذي ألغيت حكومة عموم فلسطين ، **السياسة** ، الكويت ، ١٩٧٤/١/١٣ .
- مصطفى عجينة ، مات الشقيري وفي نفسه شيء من عكا ، **الرسالة** ، الكويت ، ١٩٨٠/٣/٢ .
- نبذة عن حياة الزعيم العربي الفلسطيني أحمد الشقيري ، **١٤ أكتوبر** ، صنعاء ، ع ١٣٣٢٩ ، ٢٠٠٦/٣/٢ ، ص ٢ .
- نظرات في سيرة رجل : الشقيري ومرحلته ، **القدس العربي** ، لندن ، ٢٠٠٩/٣/٢٣ .
- هارون هاشم رشيد ، خرافات يهودية وجهالات عربية ، **شؤون عربية** ، القاهرة ، ع ٢١ ، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٢ ، ص ص ١٩٥-٢٠٠ .
- وفاة المناضل الفلسطيني أحمد الشقيري ، **الهدف** ، بيروت ، ع ٤٧٧ ، ١٩٨٠/٣/١ ، ص١١ .
- يوسف صباغ ، هكذا يتكلم أحمد الشقيري ، **الرأي** ، عمّان ، ١٩٧٦/٧/٢٠ .
- يوم في بيت المقدس ، **شؤون فلسطينية** ، بيروت ، ع ٣٥ ، تموز / يوليو ١٩٧٤ ، ص ص ٤٢-٥١ .

-*Ahmad Shukairy, We Arabs Are Sovereign States Too,* **American Mercury** *: Vol . 86, February1958, pp 53-60.*
-*Khaldun al husary, (review), Through Shuqairys Eyes: The Great Defeat: With The Kings and presidents,* **Palestine Studies***; Vol . 1,no . 2, Winter/1974 . pp 142-146.*
-*Mosh Shemesh , The Founnding of P . L . o . 1964,* **Middle East Studies***: Vol . 20, no4, October1984, pp . 105-141.*
-*Samir franjieh . -" (review) Forty years of political life on the arab and international scene . On the road to defeat with the arab: kings and presidents,* **Palestine studies***, Vol . 11, no . 2, winter 1973 . pp . 131-135.*

الشقيري في مقالات أ . د . أسعد عبد الرحمن

د . أسعد عبد الرحمن في مقدمة الكتّاب الفلسطينيين ، الذين أولوا الشقيري اهتماماً فائقاً منذ وفاته ، على صعيد إبراز دوره في مسيرة القضية الفلسطينية ، وظل في ذكرى رحيله بين عام وآخر يكتب إحياء لذكراه ، وإضاءة على جوانب مختلفة لمسيرته النضالية . وربما كان أبرزها إقامة ندوة في عام ١٩٩٦ لهذه الذكرى ، في مؤسسة عبد الحميد شومان العريقة ، التي كان يقف على رأسها آنذاك .

كما شارك في ندوات القاهرة وعمان التي أقيمت إحياءً لذكرى الشقيري سنة ٢٠٠٥ .

في مقالته الأولى (**أحمد الشقيري : غياب وحضور**) ، (صحيفة الرأي ، عمّان ١٩٨٦/١١/٢٣) تناول رحيل الشقيري ووصيته بأن يدفن مجاوراً لفلسطين قرب ضريح أبي عبيدة ، ويذكره بعد رحيله بسلبيتين ويقدّره بإيجابيتين : يذكره برجاحة عقله واعتزازه برأيه ما أدى إلى وقوعه في شباك الفردية ، ويذكره بتمكنه من اللغة والبلاغة حتى أصبح ينزع إلى اللفظية التي تقيد يديه بحبالها .

وهو في الوقت ذاته يقدر للشقيري تأسيسه للإطار المعاصر للهوية الوطنية الفلسطينية بإقامته للمنظمة ومؤسساتها ، كما يقدر له تمسكه بضمير الموقف السياسي الشعبي الفلسطيني بل والعربي .

في ثاني مقالاته (**أوراق جديدة من ملف الأصدقاء - الورقة الأولى أحمد الشقيري**) ، (الدستور ، عمّان ١٩٩٢/٣/٧) يستذكر الشقيري في ذكرى رحيله الثانية عشرة ، ويذكر حين أجرت معه إذاعة صوت فلسطين حديثاً إذاعياً بصفته رئيساً لفرع الاتحاد العام لطلبة فلسطين في لبنان ، وفي اللقاء حاول التذاكي بتوجيه نقد لأداء الشقيري السياسي بقصد الإساءة المؤذية لنهجه وله شخصياً ، وكيف قابل الشقيري هذه الإساءة برسالة تقدير بعث بها إليه لجرأته ووعيه السياسي ، وطالبه بالمزيد من الانتقاد . وشكلت هذه الرسالة بداية صداقة شخصية بينهما .

في مقالته الثالثة (**في ذكرى رحيل الشقيري : من فندق المنفى ومن فندق الاحتلال إلى الوطن**) ، (الرأي ، عمّان ١٩٩٤) التي هي إلى الخاطرة أقرب منها إلى المقالة ، يصف الدكتور أسعد مشاعره وأحاسيسه تجاه الشقيري من خلال المكان (الفندق) الذي أقام فيه في القدس ومن خلال مدخله وردهاته ، ومنصة الاستقبال فيه ، وهو ذات الفندق الذي شهد ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية على يد الشقيري ، ويذكر جلساءه في ذلك المكان : الدكتور حيدر عبد الشافي ، الدكتور نصير عاروري ، الدكتور محمد الحلاج ، الدكتور غسان الخطيب .

في المقالة الرابعة (**في ذكرى الشقيري**) ، (الأسواق ، عمّان ١٩٩٥/٣/٦) نوّه في الذكرى الخامسة عشرة لرحيل الشقيري ، ودافع عنه إزاء محاولات الحلف الإسرائيلي / الصهيوني / العربي المتصهين تشويه صورته وصورة الزعماء العرب ، إذ اتهمه هؤلاء بأنه مجنون مشعوذ لأنه أصر على أطروحة أحقية العرب التاريخية في كامل (أرض فلسطين) ، واتهموه بأنه أراد إلقاء اليهود في البحر كي يأكلهم السمك .

في مقالته الخامسة (**لاءات الشقيري في مواجهة لاءات باراك**) (الرأي ، عمّان ٢٠٠٠/٢/٢٤) يذكر أن الشقيري تعرض لظلم (أبناء الفصائل الفدائية) الذين ظلموه لفترة وهاجموه طوال مدة رئاسته لمنظمة التحرير ، وأنهم رجعوا إلى الحقيقة عندما عادوا فكرموه لحظة رحيله . ويذكر الدكتور أسعد سؤاله لعرفات في شباط ٢٠٠٠ عن رأيه وتقويمه لتجربته مع الشقيري ، وكيف رد عرفات بوصف الشقيري بغير التقليدي ، والثوري جداً في إيمانه وتمسكه بنهج الكفاح المسلح ، وأنه أسس المنظمة وجيش التحرير .

ثم تطرق إلى قرارات الأمم المتحدة كمرجعية للسلام ، وكيف حاولت « إسرائيل » فرض سلامها الخاص ، وكيف أغفل باراك نصائح الكتاب و « الرأي العام » ، وكيف أصر على ست لاءات كبرى لحزب العمل الإسرائيلي ، تثير التساؤل حول جدوى تنازل العرب عن لاءات الشقيري الثلاث (لا صلح ، لا اعتراف ، ولا مفاوضات) ، التي يعد التمسك بها أفضل إحياء لذكرى الشقيري .

الشقيري في مقالات أ . د . أنيس صايغ

بحكم علاقته المباشرة بمؤسس الكيان الفلسطيني ، ومعرفته الوثيقة بالرجل ، وقراءته النقدية لكتبه ومؤلفاته وفكره ، يُعَدّ الدكتور أنيس صايغ مرجعاً مهماً في إنصاف الشقيري ، وقد جاءت كتاباته عن الشقيري على قدر عالٍ من الدقة والموضوعية والإنصاف والثراء ، وكان الأكثر جرأة في التصدي للظلم والتغييب ، والتعتيم الذي تعرض له الشقيري أثناء توليه رئاسة المنظمة وبعد استقالته ، وقد رصدنا له المقالات الآتية في الشقيري . فأنيس كان يعّد إنصاف الشقيري إنصافاً لمرحلة كاملة من القضية ، كما كان القصد من التعتيم على الشقيري تعتيماً على المرحلة :

ويجسد ذلك عنوان مقالته الأولى التي كتبها في مناسبة أربعين وفاته وعنوانها (**الرجل المفترى عليه صادق تآمرت عليه الظروف**) (القبس ، الكويت ، ١٩٨٠/٤/٦) .

فهي تشبه - في مقارنة ما - مقدمة ابن خلدون بالنسبة لكتابه المبتدأ والخبر، فهي إيجاز دقيق لكل ما جرى تفصيله من مزاعم وافتراءات وما يقابلها من تحليل لها واستنباط ، لما فيها من دلالات واستقراء لما تقدمه في ضوء الحاضر من إرهاصات واستلهامات للمستقبل .

في مقالته (**أحمد الشقيري : سجال مع تُهم شائعة**) ، (السفير ، بيروت ، ١٩٩٥/٤/٤) ، يعرض د. أنيس للظلم الذي لحق بالشقيري في حياته وبعد رحيله ، والهجمات والشائعات والاتهامات الباطلة التي استهدفته بها القوى المعادية ، ويدعو الدارسين والباحثين إلى العناية بموضوعه ، إذ لا يجوز أن يهمله التاريخ وينساه الناس ويتجاهله أصحاب العلم والرأي ، فهو كبير الحجم في أكثر من معنى : في حياته الطويلة (٧٢سنة) الحافلة بأهم أحداث القضية الفلسطينية ، وهو من وضع حجر الأساس في قيام الكيان الفلسطيني ، وهو الكبير بكتاباته تأليفاً ونشراً ، ولعل كتابه (**أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية**) واحد من أفضل الكتب العربية في فن السيرة . وهو كبير بثقافته ، قارئ نهم يجول ويصول في مكتبة خاصة ضخمة أثرت مناقشاته وأحاديثه وكتاباته ومذكراته . واتخذت ثقافته الواسعة مسلكين هما : المحاماة والصحافة . ثم سلك مسلكاً ثالثاً هو مجال الإعلام للقضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة وفي المحافل الدولية . وكان صاحب رؤية في العلاقات الحرجة بين الوطنية الفلسطينية والقومية العربية ، اتضحت في الميثاق الفلسطيني (١٩٦٤) ، وكان خطاب الشقيري خالياً من نغم القطرية .

يعود د . أنيس إلى بيان أهمية الشقيري من حيث هو مثال القومي العربي في عمله من أجل استقلال ليبيا وتونس والجزائر والمغرب بموازاة نضاله الفلسطيني ، ودعوته إلى الوحدة العربية ، ويؤكد على أهمية دراسة الشقيري لأن جيله قد حكم عليه من خلال عيون أعدائه وأقلامهم وأحكامهم .

ويتطرق د . أنيس إلى اتهامات ثلاثة وجهها الآخرون للشقيري هي : الفردية ، والتصلب والتشدد ، والغوغائية ، دون أن يتوقفوا عند ظروفها ، ويبرر هذه الصفات ، ويحلل ظروفها ، ويدفع عنه الاتهامات ، ويعد صلابته وعناده تمسكاً بالثوابت وفضيلة نفتقدها اليوم ، والأحرى بنا أن ننصفه في غيابه وقد ظلمناه في حياته .

في مقالته (**في ذكرى أحمد الشقيري**) ، (السفير ، بيروت ، ١٩٩٦/٢/٢٣) ، يذكر د. أنيس دوافع كتابته عن الشقيري التي يجملها في : الوفاء ، والإنصاف ، والواجب ، والحب والاحترام والتقدير . ويتحدث عن الخمسين شهراً التي تولى الشقيري خلالها النضال الفلسطيني (١٩٦٣ - ١٩٦٧) ، آمن خلالها بالوحدة الوطنية ، وأشرك ممثلي الشعب الفلسطيني في إنشاء منظمة التحرير وتغذيتها بالطاقات والكفاءات من مختلف شرائح الشعب الفلسطيني ، وأبقاها إطاراً لجميع القوى الوطنية ، وتميز عهده بميزتين لافتتين : الأولى منع الاغتيال والإرهاب (الرسمي) الذي ساد قبله ، والثانية منع فتح الدكاكين الإعلامية والمخابراتية والمالية الذي ساد بعده .

بعد الوحدة الوطنية التزم الشقيري المحور الثاني المتمثل في العروبة التزاماً قومياً أصيلاً طيلة الأربعين عاماً من نضاله السياسي ، إذ سعى في شبابه إلى إنشاء حزب قومي عربي متصل بالقومية العربية التي نشطت آنذاك ، وتحمس لمشروع إنشاء جامعة الدول العربية ، وشارك في وضع الميثاق ، ثم التحق بالجامعة أميناً عاماً مساعداً ، والتحق بوزارتين للخارجية السورية والسعودية مدة طويلة ، ثم ممثلاً لهما في الأمم المتحدة ، وكان اهتمامه فلسطينياً وانتماؤه عربياً . عمل من أجل تحرير واستقلال الأراضي العربية الأفريقية كلها ، وتوج أعماله تلك بدراسته القانونية الشهيرة في إنشاء الدولة الاتحادية العربية . ويلخص د . أنيس المفهوم الشقيري للعلاقات الفلسطينية العربية بأنه استخدام الطاقة القومية للمصالح الوطنية .

وبحسب د. أنيس فإن المحور الثالث في السياسة الشقيرية هو فن استعمال وسائل مختلفة لتحقيق الهدف الواحد وهو صيانة عروبة فلسطين وحمايتها من

المخططات الصهيونية والدولية ، واسترجاع الحقوق لأصحابها ، وقد كانت تلك الوسائل حلقات يكمل بعضها بعضاً وأبرزها العلم والإعلام ، كما أتقن الشقيري فن إعداد المذكرات الموضوعية واعتمادها سلاحاً قوياً في الدفاع عن القضية ، كذلك الأصول التي اتبعها في معالجة القضية في كتبه التي ألفها ونشر معظمها بعد اعتزاله ، وشكلت تسجيلاً رائعاً لأحداث المسألة الفلسطينية ، إلى جانب دعمه لمشروعَي مركز الأبحاث والموسوعة الفلسطينية كأبرز إسهامين علميين للعمل الفلسطيني في الثلث الأخير من القرن .

أبرز د . أنيس اهتمام الشقيري بالإعلام منذ توليه تحرير جريدة (مرآة الشرق) ، قبل نهاية العشرينات ، ثم إشرافه على المكاتب العربية التي أنشأتها جامعة الدول العربية في أواسط الأربعينات ، وبعد قيام المنظمة سنة ١٩٦٤ ، أولى الإعلام عناية خاصة فأنشأ له دائرة رئيسة انتدب لها أفضل الإعلاميين الفلسطينيين ، وكان الإعلام في عهده منفتحاً وفاعلاً .

ويأسف د. أنيس لوقوع الشقيري ضحية الإعلام نفسه في المؤتمر الصحفي الذي عقده في القاهرة قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ ، حين اتهم زوراً وبهتاناً بدعوته إلى (رمي اليهود في البحر) ، وظلت صورته في وسائل الإعلام بطّاشاً دموياً عنصرياً ، وقد تخلى عن منصبه قبل أن يرد على تلك الاتهامات .

ويختم مقالته بالإشارة إلى الظلم الذي وقع على الشقيري طفلاً ، والظلم والإجحاف الذي وقع عليه من أبناء شعبه بعد اعتزاله القيادة . ويشيد د . أنيس بلاءات الشقيري الثلاث التي سخر منها الكثيرون ، وخرقتها القيادة الفلسطينية بعد ربع قرن .

في مقالته (**أنطون سعادة وأحمد الشقيري - مقارنة على الخطوط الحمراء**) ، (السفير ، بيروت ، ١٩٩٧/٢/٢٨) ، يعقد د . أنيس صايغ مقارنة بين أنطون سعادة -مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي - وأحمد الشقيري ، اللذين تشابها في أنهما قائدان تجاوزا الحدود في نضالهما وكفاحهما الوطني والقومي ، واختلف كل منهما عن الآخر في كثير من النواحي في طبيعتهما وظروفهما وإنجازاتهما .

واستعرض د . أنيس تشابه حال الأمة حين بدأ سعادة ينشط سياسياً في سورية في الثلاثينات ، وحالها في مطلع الحياة السياسية للشقيري في فلسطين في الفترة ذاتها ، وما تطلّبه ذلك من مقاومة للاستعمار والانتداب والانقسامات ، والواقع المتردي الذي رفض الاثنان الاستسلام له ، وخاضا النضال كل على طريقته المتاحة ، فاختار سعادة الحزب العَقَديّ لأن الأحزاب والتكتلات الطائفية كانت سائدة في ميدانه النضالي (سورية ولبنان) ، في حين كانت الهوية الوطنية في نطاقها بعيداً عن الصراعات العَقَديّة والحزبية والسياسية المحلية ، إذ برزت الحاجة إلى إحياء الهوية الفلسطينية في أعقاب حرب ١٩٤٨ وتشتت الفلسطينيين في دول العالم ، ما دفع الشقيري إلى وضع صيغة تحمي هوية الشعب الفلسطيني حتى لو تجاوز الخطوط الحمراء ، وكان أن أعلن إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية تحقيقاً لذلك سنة ١٩٦٤ ، فوضع المسؤولين العرب أمام الأمر الواقع . وتجرأ وخرج عن الوصاية العربية الرسمية على الشعب الفلسطيني ، إلى أن أجبر على تقديم استقالته من رئاسة المنظمة التي قدمها للشعب الفلسطيني .

كذلك عوقب أنطون سعادة لإنشائه لحزبه المعادي للتيار السائد السياسي والعَقَدي والاجتماعي الرسمي ، وثورته على السلطة المحلية في لبنان في حزيران / يونيو ١٩٤٩ ، إذ قبض عليه وأُعدم في الثامن من تموز / يوليو من ذلك العام .

وفي المقالة يتطرق د . صايغ إلى فكر سعادة - المعلم كما يصفه - والأدبيات التي وضعها ونشرت في حياته وبعد وفاته ، كما يتطرق إلى الشقيري رجل السياسة القانوني البارع وإلى مذكراته التي وضعها في كتبه مسجلاً عملاً سياسياً وطنياً .

في مقالته (**٤٠ عاماً على « لاءات » الشقيري**) ، (جريدة الأخبار ، بيروت ، ٢٠٠٧) يؤكد د . أنيس على أن تداعيات نكبة ١٩٤٨ ، وآثارها وانعكاساتها أقسى من النكبة ذاتها ، وأعمق أذى وإضراراً بالوجود والمصير العربيين ، وأنها تتصاعد وتزداد فظاعة ، ففي تلك النكبة حاربت الجيوش العربية العدو شهرين كاملين وضمت أكثر من نصف الأرض الفلسطينية ، وبعد عشرين سنة انهزمت تلك الجيوش أمام العدو في أيام خمسة ، وسقطت الأرض الفلسطينية كلها ومعها أراضٍ عربية مجاورة ، وقد أجمعت القوى العربية ، حكومات وشعوباً ، على الصمود والمجابهة والمقاطعة ، واليوم أصبح معظم الأنظمة يتسابق إلى إقامة العلاقات السرية والعلنية مع العدو ، والاعتراف بكيانه ، الذي شمل غالبية الدول العربية ، وخجلت بعضها من إعلانه دون أن تمتنع عن ممارسته عملياً وسرياً ، وهي أقل من عدد أصابع اليد ، وأصبح على المقاوَمات الوطنية ضد العدو أن تدافع عن نفسها ووجودها قبل أن تواجه العدو الحقيقي ، ولم تعد « إسرائيل » عدواً بل جاراً تفترض الأغلبية الساحقة أن نتعامل معه كجار له حقوقه ومصالحه ، ونبرر حملاته الوحشية البربرية ضد شعبنا بالدفاع عن النفس ، وإذا حصل أن تمردت جماعات وأنزلت بالعدو ضربات فما على الأنظمة إلا أن تعتذر وتطلب الغفران وتقدم التنازلات .

بعد ذلك يذكر د. أنيس كيف أجمعت المؤتمرات والأحزاب الفلسطينية على هدف وشعار واحد : استقلال فلسطين من نهرها إلى بحرها ، وعروبتها ، ومنع الغزو الصهيوني ، وكيف أنه بعد أربعين سنة على « لاءات » الشقيري الثلاث في الخرطوم مطلع أيلول / سبتمبر ١٩٦٧ ، نجد القيادة الرسمية تهرول إلى العدو هرولة

مذلة مستسلمة ، وتستجدي دويلة على نحو عشرة في المئة من مساحة فلسطين ناقصة السيادة ، ومجردة من السلاح ومسلوبة الإرادة ، ..

في ختام مقالته يلقي د . أنيس مسؤولية انهزام الأمة وخنوعها على أساتذة كبار من المثقفين العرب الذين جندوا أنفسهم بعد الخضوع لإغراءات وتدريبات لتبديل قاموسنا الوطني والقومي والثقافي والجهادي ، ولإصدار " الفتاوى العلمية " والاجتهادات " المنطقية " لدعم القيادات وتضليل الشعب والهيمنة على الأحزاب والحركات والمؤسسات ، وهذه هي النكبة الحقيقية الناجمة عن إفرازات النكبات السابقة ، والتغلب عليها يكون في الرد على دعاة الهزيمة والاستسلام ، فهم نكبة الأمة .

ويتساءل د . أنيس : هل سننتظر ستين سنة أخرى حتى نستأصل إفرازات نكبة ٤٨ ؟ حتى نحرر فلسطين ونتحرر معها ، حتى نعود إلى منابتنا أحياء أو جثامين ورفاتاً ؟ .

الشقيري في مقالات جميل بركات

جميل بركات المناضل والكاتب ورجل الأعمال ، رافق الحاج أمين الحسيني في الثلاثينات ، وكان غير بعيد عن الشقيري إلى حين تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، لكنه اقترب منه أكثر بعد قيامها ، وكان عضواً في مجالسها .

كتابات جميل بركات عن الشقيري تفوح بعبق الوفاء ، وتبرز فيها ملامح العاطفة الصادقة ، فهو أكثر من أحيا ذكراه بما كتب عنه ، وقد رصدنا له مقالات عشر على امتداد عقدين منذ وفاته ١٩٨٠ و٢٠٠١ .

في مقالته الأولى (**الشقيري في ذمة الله**) ، (صحيفة الدستور ، عمّان ، ١٩٨٠/٢/٢٧) ، وبعد يوم واحد من وفاة الشقيري ، نعاه بمقالة ذكر فيها بعض مواقفه ومآثره ، وعَبَّر عن مشاعره تجاهه وحزنه لوفاته .

في المقالة الثانية (**الشهداء أحياء في ذكراهم**) ، (الصباح ، تونس ، ١٩٨١/٣/٤) ، يستذكر الشقيري في أواخر أيامه بعد أن عاد من تونس للعلاج في مدينة الحسين الطبية في عمّان ، ويربط سبب تدهور صحته ووفاته من بعد بما آلت إليه حال الأمة العربية عامة وقضية فلسطين على وجه الخصوص بعد اتفاقية كامب ديفيد ، التي مزّقت لاءات الشقيري الثلاث ومزقت أعصابه؛ فراح ضحيتها وشهيدها ، وفي المقالة يستذكر مآثر الشقيري ومواقفه الوطنية المشهودة ، ودفاعه عن فلسطين ومناضليها ، وحرصه على الوحدة العربية وعلى إصلاح الجامعة العربية ، وتجاربه في هيئة الأمم المتحدة .

في المقالة الثالثة (**الشقيري في ذكراه الثالثة**) ، (صحيفة صوت الشعب ، عمّان ، ١٩٨٣/٢/٢٦) ، يذكر الشقيري ، الشخصية العملاقة ، الذي لم يعش لذاته ولعائلته؛ بل عاش لأمته العربية وناضل من أجل حقوقها وقضاياها ، ويذكر كيف نهب الصهاينة أوراقه وكتبه ومكتبته من منزله في لبنان ، وكيف خطط إنشاء الكيان الفلسطيني ومؤسساته بدقة المهندس وكفاح الأبطال ، وكيف كان من دعاة الوحدة العربية .

في المقالة الرابعة (**الشقيري في ذكراه الخامسة - لي حكاية مع حطين**) ، (صوت الشعب ، عمّان ، ١٩٨٥/٢/٢٧) ، أورد جميل بركات مقالة كان الشقيري قد كتبها بعنوان : (لي حكاية مع حطين) ، يتحدث فيها عن قرية حطين التي اشتهرت في تاريخنا ، وعن زيارته لها حين وجد فيها رهباناً يقرأون (موعظة الجبل) فقرأ معهم ، ثم راح يذكر صلاح الدين وتاريخه وأمجاده ورجالاته ، ويبعث الأمل في الأمة بأنها سوف تعود لتحرير فلسطين في معركة حطين الثانية .

في المقالة الخامسة (**كلمة في ذكرى أحمد الشقيري**) ، (صحيفة الرأي ، عمّان ، ١٩٩٦/٢/٢٦) ، تحدث جميل بركات عن أصداء وفاة الشقيري واختياره الدفن بجوار ضريح أبي عبيدة وكأنه ظل يعمل للقضية بعد مماته . ويذكر إيمان الشقيري بالوحدة العربية رغم ما يلحق به من أذى في سبيلها ، وتمثيله لسورية والسعودية في هيئة الأمم المتحدة ، واتصالاته المكثفة أثناء تمثيله لفلسطين في جامعة الدول العربية . وينتقل إلى زيارته للصين سنة ١٩٦٥ ، ضمن وفد المنظمة برئاسة الشقيري ، ويذكر استقالته في أواخر سنة ١٩٦٧ ، عقب قمة الخرطوم ، وتفرّغه لكتابة مذكراته التي بثّها في كتبه وأبحاثه .

في مقالته السادسة (**الصين والشقيري وتبقى الذكرى**) ، (صحيفة الرأي ، عمّان ، ١٩٩٧/٣/٩) ، يتحدث عن وفاة الرئيس الصيني (دينغ شاو بينغ) ووقوفه إلى جانب القضية الفلسطينية ، وكانت الصين أول دولة أجنبية تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقد استقبلت الوفد الفلسطيني حينها استقبالاً رسمياً وشعبياً حافلاً .

في المقالة السابعة (**ميثاق جامعة الدول العربية بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لرحيل أحمد الشقيري**) ، (صحيفة الرأي ، عمّان ، ١٩٩٨/٣/٦) ،

يتقاطع المضمون مع مضمون مقالته الخامسة (كلمة في ذكرى أحمد الشقيري) .

المقالة الثامنة حملت عنوان : (**في ذكرى الشقيري .. نصيحة ماوتسي تونغ إلى العرب**) ، (الرأي ، عمّان ، ٢٠٠/٣/٢) ، كتبها بمناسبة مرور عشرين عاماً على وفاة الشقيري ، وذكر في مقدمتها وصيته ودفنه في غور الأردن بجوار ضريح أبو عبيدة ، ودعوته للوحدة العربية سبيلاً لقوة العرب ، وزيارته للصين على رأس أول وفد للمنظمة سنة ١٩٦٥ ، الذي قابل زعيم الصين الكبير ماوتسي تونغ لأكثر من ساعتين ، والحوار الذي دار في اللقاء ، ومنه وصيته للشعب الفلسطيني : « اتحدوا يا عرب ، وأخشى إذا بقيتم على هذا الحال أن تبقى « إسرائيل » ويبقى الاستعمار » . ويختم بركات مقالته بالدعوة لعقد مؤتمر عربي تعالج فيه قضايا الأمة في وجه التهديدات الصهيونية .

في المقالة التاسعة (**في ذكرى أحمد الشقيري**) ، (مجلة القدس الشريف ، عمّان ، السنة الرابعة ، العدد٥٧ ، كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٩) وفي الذكرى العاشرة لوفاة الشقيري يلقي الضوء على جوانب من سيرته الذاتية في مراحل مختلفة من حياته ، وما تخللها من نضال وكفاح وإيمان بالقضية الفلسطينية والقضايا العربية ، والمواقع التي شغلها ودافع من خلالها عن القضية ورجالها ، ومسيرته مع جامعة الدول العربية ، وتأسيسه للمنظمة ومؤسساتها ومكاتبها ، واستقالته وتفرغه لكتابة مذكراته . وفي نهاية المقالة أورد بعض كلماته التي قالها في مناسبات مختلفة ، والقصيدة التي رثى بها الشاعر هارون هاشم رشيد أحمد الشقيري (حبيب فلسطين وفارسها) .

وقد خصص المقالة العاشرة (**في ذكرى أحمد الشقيري .. الجامعة العربية ، كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية**) ، (صحيفة العرب اليوم ، عمّان ، ٢٠٠١/٣/٥) ، لعرض موجز لكتاب الشقيري (الجامعة العربية : كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية) ، انظر : (فصل الكتب والدراسات القومية في هذا الكتاب) .

الشقيري في مقالات شفيق الحوت

شهادة المناضل الفلسطيني ، المفكر والكاتب والصحفي الكبير المرحوم شفيق الحوت في الشقيري - كما في مراحل منظمة التحرير الفلسطينية ورموزها - مهمة جداً لكنها في تجربة الشقيري ذات أهمية خاصة ، كون الرجل كان أحد الشباب الذين عايشوا الشقيري وناقشوه وجادلوه و « ناكفوه » ، في مرحلة الاتصالات التي أجراها لاختيار ممثلي أبناء فلسطين في لبنان ، وأحد الذين حاوروا في لجنة الميثاق ، أثناء انعقاد المجلس ، وأحد الذين رافقوا الشقيري في المسيرة ، سواء مديراً لمكتب المنظمة في لبنان أم في إطار اللجنة التنفيذية ، والأهم أنه كان من قيادات العمل الفدائي التي كانت قائمة غداة زيارة الشقيري لبيروت ، ومعظمها قابلت الشقيري بالتحفظ .

شهادة شفيق الحوت الأهم كتبها في مجلة شؤون فلسطينية - نيسان ١٩٨٠ ، وهي أدنى إلى الدراسة منها إلى المقالة ، (كتب قبلها مقالة في مجلة الوطن العربي) بُعيد وفاة الشقيري بأيام - ٢٩ شباط / فبراير ١٩٨٠ بعنوان « أربعون عاماً من الجهاد » لن نقف عندها ، فعنوانها كما ختامها ، « كانت أيامه كلها تاريخ » تفصح عن مضمونها ، لكننا نتناول بشيء من التفصيل ما ورد في شؤون فلسطينية ، ونحيل القارئ بعد ذلك إلى رؤيته للشقيري قبل وفاته في كتابه (الفلسطيني بين التيه والدولة ١٩٧٧) وبعد أكثر من ربع قرن على رحيله في كتابه (بين الوطن والمنفى) وذلك في فصل « الشقيري في كتبهم » ، في هذه القراءات الثلاث تتكامل الصورة الحقيقية للشقيري على نحو يؤكد أن الشقيري لم يكن رجل مرحلة بل رجل قضية ، يقول شفيق الحوت في مقالته « **الشقيري والكلمة توأمان** » :

مثل السيف والغمد ، البندقية والرصاصة ، الحق والسلام ، الوطن والمواطن ، وكانت هي سلاحه الأوحد ، وهو قلعتها والسنديانة التي تحنو عليها بالظلال والفيء ، وفي هذه الحقيقة يكمن سرّان : سرّ قوة الشقيري وسرّ ضعفه في آنٍ واحد ، فلقد كان إيمانه بالكلمة سلاحاً من العوائق التي واجهته أثناء قيادته منظمة التحرير الفلسطينية ، في وقت كانت الجماهير قد مجّت الكلمة ، وفقدت الثقة في قدرتها على إحداث التغيير المطلوب ، وليس في هذا ما يعيب الراحل الكبير ، إذا ما توخينا الموضوعية ، وأحطنا بالظروف السياسية والنضالية التي كانت تحيط بنا . وعلى الرغم من ذلك استطاع الشقيري أن يكون رجل المرحلة ، المؤهل وحده لتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، والخروج بها إلى حيز الوجود ، في وقت كانت الكلمة وحدها القادرة على الفعل والتأثير ، فعندما كلفه الملوك والرؤساء العرب ، في مؤتمر قمتهم الأول بالقاهرة سنة ١٩٦٤ أن يقوم بالاتصالات لتنظيم الحياة السياسية لأبناء فلسطين ، لم يجودوا عليه بأكثر من ثلاثة أو أربعة أسطر ، جاء فيها : « يستمر السيد أحمد الشقيري ، ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني ،

بغية الوصول إلى القواعد السليمة ، لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » .

كانت توصية عامة ، غامضة ، وملغّمة ، وترجح الاتصال بالدول وتعطيه الأولوية على الشعب دون ذكر كلمة كيان ، أو منظمة أو شخصية وطنية .

الشقيري في مقالات عرفات حجازي

عرفات حجازي واحد من أبرز الكتّاب الذين أبدوا اهتماماً خاصاً بالشقيري وإحياء ذكراه ، فقد أدرك الدور الريادي التاريخي الذي لعبه الشقيري في مسيرة النضال الفلسطيني ، ولا سيّما في مرحلة إنشاء الكيان الفلسطيني وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية التي رأسها ، ولعل حجازي من القلة التي عاينت فداحة الظلم الواقع على الرجل ، والتعتيم المفروض على دوره ومنجزه الوطني ، وقد رصدنا تسعة مقالات كتبها ، كانت أولاها عام ١٩٨٤ وأخراها عام ٢٠٠٩ ، ما يعني أنه حاول إنصاف الشقيري في وقت مبكر نسبياً ، واستمر بعدها ، ونورد هنا خلاصة جامعة لمضمون هذه المقالات :

في مقالته الأولى (**الصين وفلسطين**) ، (صحيفة الشرق الأوسط - لندن ٢٧/٥/١٩٨٤) تناول زيارة الرئيس ياسر عرفات لبكين في آب/أغسطس ١٩٧٠ ، التي اعتبرها زيارة تاريخية في أهدافها ومعانيها ومضمونها وأبعادها ، وأشاد بالاستقبال (الرسمي فوق العادة) الذي جرى لعرفات ، في الوقت الذي أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية فيه كياناً لا يستطيع مكابر أن يغفل وجوده ، ويعود بالقارئ إلى أيار/مايو ١٩٦٥ حين زار الشقيري الصين والمنظمة في بداياتها تسعى وراء العالم حتى يعترف بها ، وكانت الزيارة حينها إنجازاً عظيماً للشعب الفلسطيني أجرى الشقيري خلالها محادثات مع الزعيم الصيني ماوتسي تونغ ، كان لها الأثر في تطور المنظمة ومؤسساتها ، وتأهيل كوادرها وتدريبهم وإمداد الشعب الفلسطيني بالسلاح .

في ثاني مقالاته (**كيف تأسست منظمة التحرير الفلسطينية - لولا الشقيري لما قامت للفلسطينيين قائمة**) التي نشرت في جريدة الأردن في ٢٩/١/ ١٩٩٦ ألقى الضوء على دور الشقيري في قيام الكيان الفلسطيني وتحديد الهوية والشخصية الفلسطينية ، وكيف وظف طاقاته وأعمل فكره وأحسن تدبيره ، ولم يترك فرصة إلا اغتنمها لتحقيق هذا الهدف منذ تأسيسه للمكتب العربي في واشنطن ١٩٤٥ ، ومرافعاته أمام لجان التحقيق الدولية ودفاعه عن رجال فلسطين ، ومن خلال عمله الدبلوماسي ممثلاً لسورية والسعودية في الأمم المتحدة ، ومساعداً لأمين عام جامعة الدول العربية ، وممثلاً لفلسطين فيها ، وحضوره مؤتمري القمة العربية الأول والثاني اللذين من رحمهما ولدت منظمة التحرير الفلسطينية ، وتمكن الشقيري من الاتصال بالشعب الفلسطيني ، ونجاحه في عقد المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٦٤ ، ثم قرار الاعتراف بالمنظمة ممثلاً شرعياً للفلسطينيين ، الذي طرح في مؤتمر القمة الثاني المنعقد في الإسكندرية في ٥ أيلول/سبتمبر ١٩٦٤ .

في مقالته الثالثة (**إنصافاً لمؤسس منظمة التحرير الفلسطينية**) ، (صحيفة الدستور ٢٣ ، ٢٦/٨/٢٠٠٠) يؤكد أن الشقيري هو الشخصية الوحيدة التي أحيت طرح القضية الفلسطينية على المستويات كافة ، وأنه أكثر شخصية جرى التعتيم على إنجازاتها ونضالها ، وأورد مواقف تسجل للشقيري منها ردّه المفحم على جولدا مائير في الأمم المتحدة حين أنكرت وجود الشعب الفلسطيني ، فتصدى لها الشقيري بخطاب هزّ القاعة الأممية واضطرها للمغادرة ، كذلك أبرز اهتمام الشقيري بقضية اللاجئين وتركيزه على حتمية عودتهم إلى فلسطين ، وبراعته في اللغة وتفوقه في الخطابة التي أدهشت الرئيس جمال عبد الناصر كما أدهشت من قبله فيشنسكي مندوب السوفييت الدائم في الأمم المتحدة ، الذي يعد أعظم خطباء الأمم المتحدة على الإطلاق ، وألقى الضوء على تأسيس الشقيري لمنظمة التحرير الفلسطينية التنظيم الأنجح والأمتن والأكبر في تاريخ الشعب الفلسطيني . وتطرق لمشاركة الشقيري في مؤتمر القمة الثالث في الخرطوم ، حيث أطلق لاءاته الثلاث المعروفة (**لا اعتراف ولا مفاوضات ولا صلح مع « إسرائيل »**) . وذكر العوامل التي أهّلت الشقيري لقيادة الشعب الفلسطيني وإدارة قضيته ، إذ تمتع بشخصية متميزة خبيرة أسهمت في نجاحاته القيادية ، إلى جانب معرفته العميقة بحقيقة اليهود ، وكشفه لمخططاتهم وأفكارهم وغدرهم وخستهم عبر التاريخ .

ولم يغفل موقفه من الصلح مع اليهود ، الذي كان يعده الطريق إلى تصفية الشعب الفلسطيني ، ويردد أن موته أفضل من أن يرى العلم الإسرائيلي يرفرف على أية عاصمة عربية . وتطرق في مقالته الضافية إلى تهمة اليهود للشقيري بتوعده لإلقائهم في البحر ، تلك الفرية التي وظفها الإعلام الصهيوني في استدرار عطف العالم على « إسرائيل » ، واستغلها خصومه من العرب والفلسطينيين للتحريض ضده .

في ختام مقالته نبه إلى أن الشقيري كان يخشى المؤامرة على الشعب الفلسطيني ، وقد عبر عن ذلك بكلمات قالها للرئيس جمال عبد الناصر : « يا سيادة الرئيس إننا لم نعد نخاف من انعدام البرامج لإنقاذ ما ضاع بقدر ما أصبحنا نخشى وجود برامج لضياع ما تبقى في أيدينا » .

في المقالة الرابعة (**الشقيري : الذي رسخ حق العودة**) ، (صحيفة الدستور ٢٠٠٣/٦/١٤) ذكر أن الشقيري وضع قواعد انطلاقة الشعب الفلسطيني ، وأكد عالمية القضية الفلسطينية وأخضعها للمسؤولية الجماعية ، وأسس منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها ، وجعل من حق العودة قضية سياسية مقدسة . مع الإشارة إلى أن الأمم المتحدة اشترطت حين قبلت عضوية « إسرائيل » فيها « أن تكون قادرة على تنفيذ الالتزامات الدولية » ، وأن القرار ١٩٤ تضمن اعتراف « إسرائيل » بالتزامها بعودة اللاجئين والتعويض عليهم .

وأعاد إلى الأذهان موقف جولدا مائير في الأمم المتحدة ، وكيف تصدى لها الشقيري وأكد حق العودة ، واستدلّ حجازي بقضية حق عودة أكراد العراق في كركوك الذي وافقت عليه إدارة الاحتلال الأميركي ، فتم طرد الفلسطينيين من بيوت الأكراد التي هربوا منها في ظروف سابقة قبل عشرين عاماً ، وكانت بيوتاً متواضعة فسلمها النظام العراقي السابق للفلسطينيين ، الذين دفعوا ثمنها لأصحابها وبنوها وطوّروها ثم استردها الأكراد حين عادوا إلى موطنهم في شمال العراق . كما بين إيمان الشقيري بأن الحق لابد له من قوة تسنده حتى لا يضيع .

في المقالة الخامسة (**الشقيري في ذكراه .. قائد تاريخي**) ، (صحيفة الدستور ٢٠٠٥/٢/١٢) تناول شخصية الشقيري المناضل الذي تسلح بالصمود والنجاح والتحدي لمواجهة المؤامرة على الشعب الفلسطيني ، وكيف دافع عن المناضلين الفلسطينيين دون ضعف أو يأس ، وهو لم ينضم في حياته إلى حزب أو فصيل ، وتمسك بالثوابت الفلسطينية فأنشأ كتائب عسكرية وأسس منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير والصندوق القومي وإذاعة صوت فلسطين صوت منظمة التحرير الفلسطينية ومركز الأبحاث ، وشارك في مؤتمرات القمة العربية ، ففرض لفلسطين وجوداً معتبراً فيها ، وانتزع قرارات أدت إلى تحرير القضية الفلسطينية من وصاية الجامعة العربية ومؤتمرات القمة ، كما أدت إلى تخصيص مكان لفلسطين في تلك المحافل والمؤتمرات . ونوّه بموقف الشقيري في قمة الخرطوم وإطلاقه اللاءات الثلاث ، وكيف لمع نجمه على نحو أغضب الكيان الصهيوني وأميركا وبعض الدول العربية ، ما دفع الصحف المصرية لشن حملات مركزة عليه انتهت باستقالته ، لكنه ظل حريصاً على وحدة الصف وعدم التفريط بالتراب الفلسطيني والسير على طريق الكفاح والجهاد والنضال لتحرير فلسطين .

عنون حجازي المقالتين السادسة والسابعة بعنوان واحد (**أحمد الشقيري الذي ردّ على كل مؤامرات « إسرائيل »**) ، (صحيفة الدستور : الأولى ٢٠٠٩/١٠/٧ ، والثانية ٢٠٠٩/١٠/١١) ، في **الأولى** عقد مقارنة بين (المهندسين) الذين تسلقوا القضية الفلسطينية وانساقوا وراء المفاوضات ، وغيرهم ممن حاصروا الشعب الفلسطيني ، وبين مهندس ومحامٍ (أحمد الشقيري) أكد أن قداسة الكيان الفلسطيني لا تتحقق إلا بالتضحية وعدم المساومة ، وأبرز دور الشقيري في إحياء قضية الشعب الفلسطيني على المستويات كافة ، في حين تم التعتيم على نضاله ومنجزاته ، وعاود الإشارة إلى موقف الشقيري من جولدا مائير حين أنكرت وجود الشعب الفلسطيني في جلسة مجلس الأمن ، وكيف ردّ عليها وراح يدعو إلى إقامة جبهة ثورية تعلن الحرب على « إسرائيل » ، وختم مقالته بالتنويه ببراعة الشقيري في الخطابة .

في **القسم الثاني** من المقالة استكمل حديثه حول ما جرى في المجلس الوطني الفلسطيني الثاني في القاهرة حين حضر الرئيس جمال عبد الناصر في اللحظة الأخيرة بعد أن كان مقرراً حضور مندوب عنه ، وكيف أصغى عبد الناصر للشقيري مدهوشاً معجباً بفصاحته وبلاغته ، وتحدث عن جولاته في مخيمات اللاجئين في البلاد العربية ، وزياراته لعرض مشروعه لإنشاء الكيان الفلسطيني ، وتأكيده على ضرورة الكفاح المسلح وعودة اللاجئين ، وبين كيف سعى لتحريك المجتمع الدولي قبل العربي بما اتصف به من قدرة على الإقناع والتخطيط والتنظير ، كما عاود التنويه بموقفه في قمة الخرطوم ولاءاته الثلاث التي لو تمسك بها العرب لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه ، ولما تفككت الدول العربية بسبب الانقلابات والاضطرابات التي خطط لها الأعداء على نحو مكّن الكيان الصهيوني من تثبيت مخططه الهادف إلى تصفية قضية فلسطين .

في المقالة الثامنة (**أحمد الشقيري الذي عرف حقيقة الصهيونيين**) ، (صحيفة الدستور ٢٠٠٩/١٠/١٤) أكد على أن الشقيري هو ابن القضية الفلسطينية ، الواعي لتاريخها ، والمشتغل بالدفاع عنها في وجه المخططات الصهيونية الاستعمارية لاستهداف رموز النضال الفلسطيني ، ومحاولة شراء أراضي

الفلسطينيين ، ومحاولة تمكين اليهود من فلسطين وطرد أهلها منها ، ما أكسبه معرفة حقيقية معمقة باليهود وأفكارهم ومخططاتهم ، وأنهم لا يريدون صلحاً ولا تعايشاً ولا سلاماً ، وقد كشف حقيقتهم في كتابه (خرافات يهودية) وتطرق مرة أخرى إلى إشاعة (إلقاء اليهود في البحر) التي ألصقها اليهود زوراً بالشقيري ، ووظفوها إعلامياً لكسب تعاطف الشعوب ، وقد أورد تفنيد هذه المزاعم ، وأورد خشية الشقيري من المؤامرة على قضية فلسطين .

في آخر مقالاته (**الشقيري القائد الذي عرف حقيقة القضية دفن مع الشهداء لعلهم يغفرون لنا تقصيرنا**) ، (صحيفة الدستور ٢٠٠٩/١٠/١٨) يصف ما فعله الشقيري في الجلسة الأولى للقمة العربية الأولى عام ١٩٦٤ إذ كان البروتوكول أن يجلس الملوك والرؤساء والأمراء في موقع متقدم ، وأن يجلس الشقيري متأخراً عنهم بحجة أنه ممثل لفلسطين في جامعة الدول العربية وليس ملكاً أو رئيساً ، فقدم مقعده ليصبح إلى جانب الملك الحسن الثاني ، إنما فعل ذلك سعياً لإبراز الكيان الفلسطيني ، إذ انتزع قراراً بذلك وكانت خطوة لتشكيل المجلس الوطني الفلسطيني الأول ، ومن بعده أنشأ منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير ومركز الأبحاث والصندوق القومي ومكاتب المنظمة .

وختم حجازي مقالته بمشهد تشييع جنازة الشقيري في ساحة معركة اليرموك في غور الأردن ، بجوار أمين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح ، تنفيذاً لوصيته ، وتأكيداً لرسالة يعيها كل مناضل حر شريف .

الفصل الخامس عشر

مقالات لم يتضمنها كتاب كلمات ووفاء

- **مصطفى عجينة** — مات الشقيري وفي نفسه شيء من عكا
- **محمد توفيق السهلي** — أحمد الشقيري مناضل .. فلسطيني .. كبير مضى
- **الطليعة / الكويت** — الشقيري : الضمير الفلسطيني الذي يظل حياً
- **ماهر عثمان** — أكبر خطأ ارتكبه أحمد الشقيري
- **رشاد أبو شاور** — مات الشقيري .. وبقيت فلسطين التي أحب
- **أحمد صافي** — في يوم « التطبيع » لم يحتمل قلبه .. فسكت
- **د. أنيس صايغ / عرض وتحليل** — بمناسبة أربعين الشقيري : الرجل المفترى عليه .. صادق تآمرت عليه الظروف
- **عماد رحايمة** — أحمد الشقيري : الرجل .. القضية
- **شفيق الحوت** — يوم ولد الممثل الشرعي والوحيد !!
- **دار الجليل ، عمان (تقرير)** — الذكرى العاشرة لرحيل مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية
- **عبد المجيد أبو خالد** — في ذكرى أحمد الشقيري
- **محمد رجب أبو رجب** — شارع أحمد الشقيري تكريم لشعب فلسطين ومناضليه
- **زياد أبو شاويش** — أحمد الشقيري زعيم فلسطين وابنها البار
- **صلاح عيسى** — قضية العرب التي كانت مركزية !
- **محمد الكسيح** — الشقيري .. مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية
- **محمد الهادي الحسني** — البشير الإبراهيمي يستعين بالشقيري للدفاع عن الجزائر
  - **(١) نجيب قاسم / الأردن** — تعليق إلكتروني على مقال الحسني
  - **(٢) ساهر الحاج عيسى / تونس** — تعليق إلكتروني على مقال الحسني
- **راتب شهاب** — كم ظلمنا هذا الرجل !
- **خيري الدين أبو الجبين** — الشقيري يوقف الفيتو السوفييتي على قبول الكويت في الأمم المتحدة

مات الشقيري وفي نفسه شيء من عكا*

مصطفى عجينة

عشية تبادل السفراء بين النظام المصري والكيان الصهيوني - وهي آخر الخطوات في مرحلة كامب ديفيد وملحقاتها - لم يشأ الرئيس الأميركي جيمي كارتر أن يترك لحظة واحدة من الوقت تضيع سدى ، فوقف أمام زعماء الجالية اليهودية الأميركية وخاطبهم بلغة العمل والأرقام طالباً منهم " المساهمة " في نفقات حملته الانتخابية القادمة ومجازاته خيراً عما فعل خلال سنوات حكمه " لدولتهم " المقامة غصباً وعدواناً فوق الأرض الفلسطينية ؛ فقد بلغ ما قدمته الإدارة الأميركية كما يقول كارتر فقط عشرة مليارات من الدولارات .

لقد مرت فترة طويلة وعصيبة قبل أن " يستوي " زعيم الإمبريالية العالمية على كرسيه الهزاز بشيء من الراحة الرئاسية ، ويصبح قادراً على مطالبة الحلفاء والأصدقاء بأداء قسط التحالف والصداقة ، فهذه اتفاقيات كامب ديفيد يجري تتويجها بتبادل السفراء ورفع الأعلام بين النظام الحاكم في مصر العربية وبين الكيان المحتل لأرض فلسطين العربية ، وهذه الأزمة الأفغانية بعد أن تمت بنجاح عملية حصارها والحد من امتدادها " استوت " هي الأخرى وسط - الإجرام - الأزمات السابحة في نطاق " المدار الدولي " والمحكوم أساساً بموازين القوى المحلية المؤثرة في الدرجة الأولى ، والتي كشفت عن اتجاهين رئيسيين يتراوحان ما بين رؤية الخطر والإحساس به في الخواصر والجنبات وبين اتجاه لا يرى في الخطر الوهم سوى دعاية لا مبرر لها .

وهذه أزمة الرهائن الأميركيين المحتجزين منذ مئة وعشرين يوماً تقريباً في طهران ، تأخذ خط السير " المعدل " بعد أن طافت في العاصمة الإيرانية ومن خارجها روائح اليسر بعد العسر معززة بوصول لجنة التحقيق الدولية بجرائم الشاه المخلوع ، والتي كان لها فيما مضى من أيام الأزمة ضرورة وصارت في هذه الأيام ضراً وشبهة .

مناسبة تقديم السفير الصهيوني إلياهو بن إليسار أوراق عتماده المغمسة بدم الشرف العربي ، إلى الحاكم " المؤمن " خيانة ووهناً ، وتقديم سفير السادات أوراق اعتماده على مرأى ومسمع من المسجد الأقصى ، تعالت في الأرجاء العربية والإسلامية صيحات الحزن والغم ، فمن قبيلة عربية تقول إنه يوم الحزن ، إلى قبيلة تصيح إنه يوم الحداد ، وثالثة تقرر أن هذا منتهى الخيانة والوقاحة والعمالة .. إلخ .

حزن وغم وحداد ، هكذا رسمت الأمة العربية حدود مأساتها " من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر " فدفنت مع ما تبقى من الكرامة والإباء رايات الوعد والعهد ولم يقل أحد ، نظاماً كان أو قبيلة ، إنه يوم للعمل أو مناسبة نثأر من خلالها لمرحلة من التاريخ العربي المهان طوال ثلاثين عاماً .. ولكن هل يستطيع الحاضر العربي أن يفعل شيئاً لهذا الجيل الذي يعيش أسوأ أيام الهوان والذل في الوقت الذي لم يستطع هذا الحاضر العربي بكل أبطاله وسيوفه أن يفعل شيئاً إزاء وصية رجل من فلسطين مات وفي نفسه شيء من مسقط رأسه عكا ؟ ! .

أحمد الشقيري مناضل .. فلسطيني .. كبير مضى **

محمد توفيق السهلي

في صبيحة يوم الثلاثاء الماضي ١٩٨٠/٢/٢٦ فقدت الأمة العربية والشعب العربي الفلسطيني أحد أعمدة النضال العربي والفلسطيني ، الأستاذ المناضل الكبير أحمد الشقيري أول رئيس للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، انتقل إلى رحمة الله في العاصمة الأردنية - عمان - حيث كان يعالج من الشلل الذي أصابه منذ مدة . وفقيدنا الكبير قطع شوطاً كبيراً من سنوات عمره في النضال من أجل القضايا العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

ولد المناضل الكبير أحمد بن أسعد الشقيري في أواخر العقد الأول من هذا القرن . وتوفي في العاصمة الأردنية عمان في السادس والعشرين من شباط / فبراير الماضي عن عمر يناهز الثانية والسبعين، وشيعته الجماهير في موكب مهيب في اليوم التالي ١٩٨٠/٢/٢٧ إلى مثواه الأخير ، حيث دفن في مدافن أبي عبيدة في وادي الأردن .

(*) الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٠/٣/٢ .

(**) الجندي ، دمشق ، ١٩٨٠/٣/٤ .

كان المناضل الكبير أحمد الشقيري ابن عكا المناضلة يتمنى لو أن القدس الحبيبة كانت مسقط رأسه ، فقد كتب في مذكراته يقول : « عرفت بيت المقدس في طفولتي وصباي من بعيد ، فلم يشرفني الله أن تكون مسقط رأسي ، وحرمت أن أحبو على ترابها الطهور ، وأن أرتع في حاراتها وساحاتها ، وأن أتفيأ ظلال أسوارها وأبراجها . وما أسعد الذين ولدوا في أكنافها ، فقد قدر لهم أن يترعرعوا في مهد التاريخ وأن يكونوا من سدنة معالمها الخالدة .

ولقد عرفت بيت المقدس وأنا في عكا ، وكانت يومذاك تبعد عني مسيرة ثلاثة أيام على ظهور الجياد ، ولكنها مع ذلك كانت أقرب من حبل الوريد ، أقرب من أذني إلى سمعي ، فقد كان اسمها يتردد من حولي في البيت ، وفي الجامع وفي المدرسة وفي كل مكان » .

نشأ فقيدنا نشأة دينية ورعة في بيت من بيوت مدينة عكا بفلسطين ، وقد اعتاد هذا البيت- بيت الشيخ أسعد الشقيري والد الفقيد- أن يستقبل العلماء ورجال الدين والفقهاء ، يعقدون فيه حلقات الدروس والعلم والمناقشة .

وظلت القدس تعيش في نفسه وتعشش في قلبه وتجري في شرايينه وعروقه ، لكنه لم يكتف بهذا بل ظل يسعى لتحقيق أمنية أخرى غالية ، لقد تمنى أن يزور القدس وأن يتمشى في حاراتها الطاهرة ، وأن يمتع النفس والقلب بمشاهدة معالمها المقدسة، وتحقق له ما أراد . كان ذلك في عام ١٩٢٤م عندما أنهى تعليمه الثانوي في عكا ، فأرسله أهله لإتمام الدراسة في إحدى مدارس بيت المقدس ، وقبل أن تنتظم الدراسة في المدارس اغتنم الفرصة وزار مختلف الأماكن المقدسة في المدينة المقدسة ، وقد دوّن كل مشاهداته وذكرياته خلال تلك الفترة وما بعدها وما قبلها أيضاً في وصف ممتع شيق لتكون هذه الذكريات « صفحة من تاريخ وطننا » .

وتشاء الظروف والأقدار أن تكون مدينة القدس بعد ذلك بأربعين عاماً مقراً للاجتماع الأول الذي عقده المجلس الوطني الفلسطيني (١٩٦٤) برئاسة المناضل الفقيد .

كان المناضل الكبير أحمد الشقيري يرى أن القضية الفلسطينية ليست قضية عادية بل « قضية مصير بالنسبة للأمة العربية وللشعب الفلسطيني الذي أكلته وضربته الكارثة » ، وبأن الوجود العربي كله مهدد بالخطر الجسيم نظراً لوجود الصهيونية وقاعدتها الكيان الإسرائيلي المعزز من قبل الاستعمار والإمبريالية بكل أشكال ووسائل الدمار والفتك والقتل والعدوان .

وكان فقيدنا يرى أنه لكي تواجه أمتنا هذا الخطر الداهم « لا بد أن تسلك الأمة العربية النهج الصحيح لتصحيح المواقف » . وكان يريد للتضامن العربي أن يكون واقعاً عملياً قائماً على الممارسة والفعل، وترجمته إلى عمل إيجابي فعال لا يقتصر على الخطابات فحسب . وكان يريد لكل اجتماع عربي ولكل مؤتمر عربي « أن لا يكون مجرد اجتماع للملوك والرؤساء يصورون في الصحف والتلفزيون » فقط ، إذ إن أي مؤتمر للقمة العربية يجب أن يكون « في مستوى التنفيذ الجدي بالنسبة للقضايا العربية عامة وللقضية الفلسطينية » .

وكان الفقيد يؤكد باستمرار على قومية المعركة من أجل تحرير فلسطين وكل الأراضي العربية المحتلة ، وبأن طليعة الكفاح في معركة التحرير هو الشعب العربي الفلسطيني ، ومن هذا المنطلق آمن الشقيري رحمه الله بضرورة الحفاظ على الشخصية الفلسطينية وصونها؛ لأن منظمة التحرير الفلسطينية قامت منذ البدء على هذا الأساس نابعة من هذا المبدأ ، وبأن منظمة التحرير الفلسطينية قامت لـ « تثبيت الشخصية الفلسطينية » وبأن « كل إذابة للشخصية الفلسطينية تجرح قضية التحرير العربية .. » .

بعد عدوان حزيران/ يونيو انعقد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم العاصمة السودانية (أيلول ١٩٦٧) لبحث ومعالجة الوضع المتردي الذي خلقته ظروف الهزيمة ، ومن قلب الهزيمة نهض أحمد الشقيري في هذا المؤتمر ليعرض على المؤتمرين خطة فلسطينية لمقاومة الاحتلال الصهيوني ، وكان من مقتضيات هذه الخطة أن يتم إدخال مجموعات من جيش التحرير الفلسطيني بأسلحتها إلى الضفة الغربية وإلى غزة ، كي يتمركزوا هناك في أماكن ونقاط محددة متفق عليها في الداخل ، على أن تبدأ هذه المجموعات بإنشاء مراكز لمقاومة الاحتلال في الداخل ، وقال أحمد الشقيري حينذاك : « وإن جيش التحرير الفلسطيني مستعد أن يؤدي هذا الدور » .

من هنا يتضح للجميع أن المناضل الراحل كان يثق بشكل مطلق بجيش التحرير الفلسطيني، وكانت هذه الثقة في محلها تماماً ، ثقة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، القيادة السياسية لشعب فلسطين بجيش التحرير الفلسطيني جيش شعب فلسطين . وقد زار رحمه الله جيش التحرير الفلسطيني منذ سنوات قليلة وأكد ثقته المطلقة بهذا الجيش الصابر المناضل ، وأعرب عن حبه الكبير لكل جندي وضابط وضابط صف في هذا الجيش ، فقد كان يقدر كل منتسبي هذا الجيش ومقاتليه لأنه كان يدرك أن جيش التحرير الفلسطيني هو رمز فلسطين وشعب فلسطين ، انبثق من بين صفوف جماهير الشعب العربي الفلسطيني ، لهذا فإنه لن يتوانى مطلقاً - كعادته - في أي زمان ومكان عن

حماية هذا الشعب والدفاع عن جماهيره ومكتسباتها الوطنية النضالية .

عرف المناضل الراحل أنه لم يكن يؤمن أبداً بأن تحرير فلسطين يمكن أن يتم بالطرق السلمية وبالحلول السياسية .

وكان يقول :

« وإذا كان من أحد يجب أن ينخدع بالحل السياسي فيجب أن أخدع أنا قبل غيري ، لأنني قضيت عمري في المحافل الدولية وفي البحث في الأمور السياسية والدبلوماسية ، ولذلك من الطبيعي أن أكون متأثراً بهذا الماضي الطويل في المحافل الدولية إنما بالعكس ، خبرتي الطويلة في الأمم المتحدة قادتني إلى اليقين أن القضية الفلسطينية بالذات ليس لها حل سياسي أو دبلوماسي في داخل الأمم المتحدة أو خارجها وخاصة بعد هذه الهزيمة - هزيمة حزيران ١٩٦٧ » .

ولقد أدرك قادة منظمة التحرير الفلسطينية الحاليون هذه الحقيقة ، وهم يعرفون أن تحرير فلسطين لا يتم إلا من خلال فوهات البنادق وبالنضال المسلح لكنهم رغم ذلك استرخوا، وأخذ بعضهم يلهث وراء حلول سلمية سرابية خيل إليهم أنها تلوح في الأفق ، ومن هذا المنطلق بدأ بعض هؤلاء منذ سنوات بشكل مباشر أو غير مباشر - بإجراء مباحثات ومحادثات رسمية وغير رسمية في السر تارة وفي الجهر تارة أخرى ، مع شخصيات صهيونية دفعتها الحركة الصهيونية بهدف تمييع النضال المسلح الفلسطيني ولكي تتراخى أيدي المقاتلين وتنفلت البنادق من بين قبضاتهم .

وفي مؤتمر القمة العربي في الخرطوم - أيلول/ سبتمبر ١٩٦٧ - كان الشقيري صاحب « اللاءات » الثلاث المشهورة ، في الحقيقة إن هذه « اللاءات » التي طرحها المناضل الكبير في المؤتمر كانت « لاءات » أربع ولم تكن ثلاثاً فحسب ، إلا أن المؤتمر وافق على ثلاث منها ورفض « اللا » الرابعة التي كانت بحق على جانب كبير من الأهمية ، كانت هذه « اللا » الرابعة تتلخص بـ « ألا تنفرد أية دولة عربية بقبول أية تسوية للقضية الفلسطينية » .

ولقد امتاز الراحل الكبير بجرأته وصراحته ، فكان لا يعرف الخوف ولا التراجع ، ولا يخجل من قول الحق ولا يتحرج من الحقيقة ، ولا يعرف اللف والدوران أو الكذب والتضليل والخداع . فإذا عدنا إلى جو المناقشات التي دارت في مؤتمر الخرطوم - أيلول ١٩٦٧ - وهذا على سبيل المثال لا الحصر فإننا نرى المناضل الكبير أحمد الشقيري ونسمعه يقول بصوت هادئ متزن ، وبنبرة رصينة لافتاً أنظار الجميع محذراً كل المؤتمرين بأن حل القضية الفلسطينية هو من حق الأمة العربية مجتمعة والشعب الفلسطيني ، وبأنه لا يجوز لأي قطر عربي أن ينفرد بحل لهذه القضية متجاهلاً بقية الأقطار العربية بشكل عام وشعب فلسطين صاحب القضية الأساسي بشكل خاص ، قال لهم :

« أحب أن أقرر أمامكم جميعاً ملوكاً ورؤساء من الرئيس عبد الناصر على هذا الطرف من المائدة إلى الرئيس إسماعيل الأزهري على الطرف الآخر ، أن أحداً منكم لا يستطيع وحده أن يقبل أية تسوية للقضية الفلسطينية » .

ولكن هذا الذي أعلنه الشقيري بجرأة وشجاعة لا مكان للمجاملة فيها ، لم يحظ بإجماع المؤتمرين في الخرطوم حينذاك ، وكان الذي أعلنه الشقيري وطرحه هو مضمون « اللا » الرابعة التي تحدثنا عنها قبل قليل . وكان الراحل الكبير يعتبر هذه « اللا » - الصمام الكبير للحفاظ على القضية الفلسطينية . لذلك فإنه عندما رفضت هذه « اللا » الحساسة من قبل معظم المؤتمرين في الخرطوم انسحب الشقيري من المؤتمر، إلا أنه اعتبر أن « اللا » الرابعة تلك كانت ذات أهمية بالغة ، ويترتب على رفضها نتائج سلبية خطيرة قد لا تحدث في حينها ، ولكنه خشي أن تحدث في المستقبل . وكانت مخاوف الشقيري رحمه الله في محلها ، فلم تكد تمضي على مطالبته بهذه « اللا » الرابعة ثلاث عشرة سنة ، حتى فوجئت الأمة العربية بالسادات يخرق « لاءاتها » الثلاث التي اقترحها الشقيري من قبل وتبناها العرب في الخرطوم ، وزاد السادات على هذا الخرق خرقاً رابعاً « للا » الرابعة التي حزن الشقيري على رفض العرب لها في الخرطوم ، وكأن قلبه كان يحدثه حينذاك بما يمكن أن يجري في مقبلات الأيام .

الشقيري : الضمير الفلسطيني الذي يظل حياً *

مات أول رئيس لمنظمة التحرير في يوم التطبيع وارتفاع العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة .. هذا هو التعليق الصحفي العابر الذي أوردته الأجهزة الصحفية ..

ولكن هل يختصر هذان السطران حياة أحمد الشقيري كسياسي فلسطيني رافق الحياة السياسية من عدة مواقع طيلة أكثر من ثلاثين عاماً ؟ وهل يستطيع هذا

(*) الطليعة ، الكويت ، ١٩٨٠/٣/٥ .

الخبر الموجز الإيحاء بمعنى حياة هذا الرجل السياسية وفاعليتها في مسار القضية الفلسطينية ؟

ستكون الإجابة بالنفي بالتأكيد ، فموت وحياة الأشخاص ليست الحكاية كلها في قضية من أكثر القضايا العربية حساسية وخطورة - قضية فلسطين - إنما هي أحداث فردية لا يصح أن تخفي وراءها ما مثلته حياة الرجل السياسية ونضاله ، بل الذي يصح هو العكس تماماً ، أي أن الموت في ظروف الحاضر الراهن يجب أن يثبت في الذهن معاني الحياة تلك الباقية دائماً وأبداً .

إن من الأمور التي لامست حياة الشقيري وأصبحت علامة عليها ، ذلك التمسك المستمر بإبقاء فلسطين كقضية فلسطينية وعربية وإنسانية قضية حية في مختلف المحافل السياسية حين لم يكن للفلسطينيين وجود على صعيد التنظيم والمؤسسات ، فحتى حين كان الشقيري في الأمم المتحدة يمثل نظاماً عربياً لم يكن يتحدث إلا كفلسطيني في الدرجة الأولى .

وحين بدأ الفلسطينيون بتكوين تنظيماتهم والتعبير عن وجودهم ، برز الشقيري كأول زعيم فلسطيني مقاتل من أجل حق الفلسطينيين في الوجود المستقل ، وحقهم في إنشاء كيان يعبر بهم من حالة الغياب المؤلم إلى حاجة الوجود المناضل .

وخلال تناقضات الواقع العربي الرسمي قاد الشقيري منظمة التحرير الفلسطينية ليبني من ما يشبه الحطام أول كيان ممثل ومعبر عن الإرادة الفلسطينية ، مبلوراً خلال المعارك التي خاضها من أجل حق الفلسطينيين في التدريب والتسليح وامتلاك الإرادة بعيداً عن الوصاية ، أكثر المطالب الشعبية الفلسطينية جذرية وأهمية، مطالب تحرير فلسطين وتجميع الطاقات الفلسطينية ، وتنوير الواقع الفلسطيني والعربي باتجاه هذا الهدف .

وككل مناضل في ظروف الواقع العربي الرسمي المهزوم تعرض الشقيري كغيره إلى اتهامات عديدة . إلى درجة أن ألقيت عليه مسؤولية هزيمة حزيران تلك التي عبرت عن الإفلاس المادي والخلقي للحياة العربية في منتصف الستينات . فلم تعد الأنظمة المهزومة تتذكر من الشقيري إلا ما نسب إليه من قول عن إلقاء اليهود في البحر ؟ .. واتخذت هذه العبارة حجة ضد الرجل ومطعناً في مبادئه مع أن الذين اخترعوها هم سدنة الأنظمة العربية في سلسلة تهويلاتهم الإعلامية التي لم تكن تخفي غير الفراغ والخواء .

في منتصف الستينات تقريباً كان الشقيري رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية بميثاقها الوطني الذي أقر في القدس، وفي منتصف الستينات أيضاً برزت التنظيمات الفلسطينية وتعددت . وكانت مبادئ الميثاق الوطني المعبرة عن الإرادة الفلسطينية هي أطروحة الشقيري وسط هذا التعدد . فظل على دعوته مختلف التنظيمات الفلسطينية للانضواء تحت هذا الإطار العريض للعمل الوطني، ونجح الرجل ودخل الجميع منظمة التحرير الفلسطينية .

وتولت المنظمة قيادة جديدة وغاب الرجل من موقع القيادة، ذلك الذي لم يكن في نظره امتيازاً بقدر ما كان موقعاً للعمل .

واليوم وبعد كل هذه السنوات من النضال الفلسطيني والعربي تلك التي تميزت بالصراع بين خطين : خط الهزيمة والاستسلام الذي بلغ ذروته في ارتفاع العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة ، وخط الصمود والإصرار على المبادرة، ذلك الذي بلغ ذروته في معارك الثورة الفلسطينية في الأردن ولبنان ، يمكن أن يتلمس الإنسان موقع الشقيري في خط الصمود ورفض التنازلات .

فتحرير الوطن مسألة مبدئية لا تقبل أي مساومة من أي نوع كانت وهذا هو المعنى الحقيقي لحياة الشقيري .

ولعل الرجل في أيامه الأخيرة كان يحاكم الأمور من منطلق خبرته وتجربته طوال الثلاثين سنة الماضية ، فإذا كان لا يقبل المساومة والاستسلام في وقت لم يكن فيه الشعب الفلسطيني إلا شعباً من المشردين لا صوت له ، ولا قوة ، فكيف يمكن قبول المساومة والتنازل عن الإرادة الفلسطينية في وقت امتلك فيه هذا الشعب إرادته ونال اعتراف المجتمع الدولي بحقه الثابت في وطنه ؟

إن عقلية الشقيري التي بدت للمستسلمين عصية على الفهم ، ومدعاة للاتهام ، هي التعبير الحقيقي عن الطموح الشعبي الفلسطيني الذي ظل حياً عبر كل النكسات والهزائم . فبعد كل شيء ، وعبر كل حجج دعاة المساومة والتنازل عن الحقوق يظل الضمير الشعبي حياً عبر هذا الرجل وذاك . وفي هذا قيمة الرجل التي يتضاءل أمامها حادث الموت العضوي .

أما الأموات من الأحياء فهم الذين يجب أن توجه إليهم أصابع الاتهام في وقت تكاثر فيه وباء التنازل والاستسلام .

أكبر خطأ ارتكبه أحمد الشقيري*

ماهر عثمان

أليس عجيباً أن المرحوم أحمد الشقيري توفي في ذات اليوم الذي تم فيه تبادل السفراء بين مصر و « إسرائيل » يوم ٢٦ شباط / فبراير الماضي ؟

كأنما العناية الإلهية اختارت ألا تزيد آلام ذلك الشيخ حدة ومرارة ، أو كأنما اختار الشيخ ألا يسمع أو يرى أكثر مما يمكن احتماله .

كانت حياته حافلة بالنضال في كل الأحيان ، على الصعيدين الفلسطيني والعربي ، وكانت نفسه تطفح بالأمل تارة وتنضح بالألم وخيبة الرجاء تارات أخرى . واختار الرجل في وصيته ، أن يدفن عندما توافيه المنية قرب حدود وطنه السليب ، فلسطين ، بجوار قادة الفتوحات الإسلامية الأبرار : سعد بن أبي وقاص ، ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة . ربما كان قد فقد الأمل في جيل القادة الذين عاصرهم وكان أحدهم ، فتطلعت نفسه واتجه ذهنه إلى سلف أخلصوا النفس لقضية الجهاد .

كانت حماسة أحمد الشقيري ، خطابة ونصالاً ، حماسة صادقة أصيلة خلال سنيّ نضاله كلها . ولكن ، إلى أي مدى كان هو والزعماء العرب الذين عاصرهم يدركون أن قادة « إسرائيل » كانوا يتمنون أن يسمعوا تهديدات قوية تمكن « إسرائيل » من العثور على ذريعة لتوسعها ؟

ومع أن تجربة الشقيري العربية انتهت بمرارة هزيمة حزيران/ يونيو وانهيار آماله دفعة واحدة ، إلا أن منظمة التحرير الفلسطينية كانت قد أرست ، خلال رئاسته لها (٦٤ - ١٩٦٧) مؤسسات راسخة : ميثاقها الوطني ، ومجلسها الوطني ، وجيش التحرير الفلسطيني .

بم يحكم التاريخ ؟

أكبر خطأ يقول المرحوم الشقيري أنه ارتكبه في حياته هو تصديقه الملوك والرؤساء العرب في السنوات الأربع ١٩٦٣ - ١٩٦٧ . ترى هل سيعتبر المؤرخون الشقيري جزءاً من مؤسسة القيادات العربية الرسمية في تلك الفترة ، أم مناضلاً شعبياً كان قريباً من تلك المؤسسة فقط ؟

إن أي حكم يصدره الملأ على الشقيري لا بد أن يأخذ في الحسبان نوعية الفكر العربي الذي كان سائداً آنذاك تجاه « إسرائيل » . كانت « إسرائيل » توصف بحق بأنها « غاشمة » و « غاصبة » . ولكن أي عربي كان يدرك مدى دقة حسابات « إسرائيل » ، وقوتها العسكرية ومخططاتها التوسعية الجشعة ؟ والمسألة الأخرى المهمة هنا هي : أي زعيم عربي في تلك الفترة كان بوسعه أن يثق بالقوة الذاتية لأمته ، وكان ينوي فعلاً محاربة « إسرائيل » ؟

من أراد أن ينصف الشقيري عليه أن ينظر في مؤلفاته الكثيرة : منها : « فلسطين على منبر الأمم المتحدة » ، « مشروع الدولة العربية المتحدة » ، « حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء العرب » « أربعون عاماً في الحياة السياسية » ، « من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب » و « إني أتهم » .

في ٢٦ أيار / مايو ١٩٥٥ التقى موشيه دايان بسفراء « إسرائيل » في واشنطن ، وباريس ولندن ليشرح لهم سبب رفض « إسرائيل » عرضاً أميركياً تلتزم فيه الولايات المتحدة بحماية « إسرائيل » مقابل تعهد منها بعدم توسيع رقعتها بالقوة . وقد سجل موشيه شاريت (الذي كان رئيساً للوزراء في تلك الفترة) في مذكراته ما يلي عن حجة دايان لرفض ذلك الحلف الأمني الذي عرضته أميركا :

« لسنا بحاجة إلى حلف دفاعي مع الولايات المتحدة . إن حلفاً كهذا لن يكون سوى قيد يكبلنا . إننا في الواقع لا نواجه خطراً على الإطلاق من قوة العرب العسكرية ... إن عمليات الانتقام (ضد العرب) ضرورية لنا لأنها تمكننا من الإبقاء على درجة توتر عالية في جيشنا وبين مستوطنينا . ومن دون هذه العمليات لن نبقى أمة محاربة ، وسيبدأ المستوطنون في مغادرة المستوطنات . إن علينا أن نبلغ المستوطنين بأن أميركا وبريطانيا تريدان أخذ (منطقة) النقب منا . ومن المهم أن نقنع شبابنا أننا في خطر » .

من كان بين زعماء العرب يدرك خطورة المخططات الصهيونية آنذاك .. ؟ .. بل من الذي يدركها الآن ويعد لمجابهتها ؟

رحم الله الشقيري وشهداء العرب أجمعين !

(*) الشرق الأوسط ، جده ، ١٩٨٠/٣/١٠ .

مات الشقيري .. وبقيت فلسطين التي أحب*

رشاد أبو شاور

هبط الشقيري درجات الفندق إلينا .. في الصدر « الاستعلامات » .. على اليسار يستند على حاجز خشبي رجال المخابرات .. إنهم (فلسطينيون) .. مفرزة (عبد القادر الحسيني) .. تصوروا ، بدلاً من أن تحمل إحدى الساحات ، أو أحد الشوارع الرئيسية في المدينة اسم بطل القسطل .. حملت (مفرزة) المخابرات اسمه .. ولوثت الفلسطينيين .. أيامها كان يقود تلك المفرزة رجل اسمه (العركي) .. هرب فيما بعد بمفرزته إلى الأردن ، ثم من الأردن إلى ألمانيا .. ثم .. إلى « موقع أمني » مسؤول في إحدى المنظمات الفلسطينية .. ثم .. اختفى ؟

تلك المفرزة، كانت توزع المنشورات في المخيم، وفي اليوم التالي تلقي القبض على عشرات الفلسطينيين ، أقصد مخيم اليرموك .. وهات يا تعذيب ..

هبط الشقيري ، وصعدت معه نظراتنا ، وتقدمنا إليه .

كنا (هملت) الذي كان ينتظر من والده .. من شبح والده الملك المغدور كلمة الفصل في القاتل ..

وقال لنا :

- أنا أبحث عنكم .

يقصد يبحث عن الفلسطينيين .

وأضاف :

- أنتم الشباب .. الأمل .

وهكذا (فالملك) المغدور يبحث عن ابنه لينقذه من التيه ، وأيدي المخابرات .. إنه إذن « أويس » .. وليس أحمد الشقيري .. الشقيري اسم « هوكي » للحلم ، والبحث عن دور ، ونهوض شخصية وطنية ..

وقلنا له :

- يا أبانا .. معنا مذكرة بأوضاع الفلسطينيين ، هنا في سورية ، فيها كل شيء ..

وقلنا له :

- نحن معك .

- أنا معكم ، سأقرأ مذكراتكم ، وأتمعن فيها ، وأستفيد منها . كانوا يستقبلونه في فندق (قاسيون) الأنيق ، أيامها ، ويحيطونه بالرعاية .. وعيونهم تراقب الفلسطينيين الذين يتحركون ..

وكان (القادم) فلسطينياً .. والمراقَب - بفتح القاف - فلسطينياً .. والمراقِب - بكسر القاف - فلسطينياً ..

وقال الشقيري :

- عندي موعد مع إخوة لكم .. خارج الفندق .. أعذروني ، كان يجب أن أستقبلكم .. ولكن الوقت ضيق .. قبلكم جاء من شتمني - يقصد وفد من الهيئة العربية العليا - وأنتم جئتم لمباركة خطابي .. وأنا .. أنا ، بإذن الله ، وبهمتكم سأمضي .. ومضى ..

وراقبتنا عيون العسس .. وما اهتممنا .. فالفلسطيني لم يعد لاجئاً .. إنه (يتحرك) .. ينهض .. يمشي في الشارع ، يرفع رأسه أعلى ، وأعلى ..

من نحن ؟

كان وفدنا (بعض) الشباب من تنظيمات صغيرة مختلفة ، ومن مستقلين ، يتجمعون من جوبر أو مخيم اليرموك ، لنا أن نحلم .. بعد أن أوشك الحلم على الضياع التام .. خاصة بعد الانفصال ، والمذابح التي تعرض لها الفلسطينيون ، وحملات القمع والمطاردة ..

بعدها كبرنا ، وتباينت أفكارنا ، واتجاهاتنا .. ولكن تلك حكاية أخرى .

لقد كبرنا .. !

كنا صغاراً حين خرجنا من فلسطين .. وقيل : جيل الكبار سيندثر وسيزول .. وجيل الصغار سينسى ويذوب ، وقضية فلسطين الزمن كفيل بحلها .. أي الزمن سينسينا ، نحن جيل المنفى ، وطننا .. ولكن جيلنا حمل الأشجار ، والتراب ، والصخور ، والأنهار ، والبرتقال الفلسطيني في داخله .. وكلما كبر .. كبرت فلسطين في داخله .. والفلسطيني هو بين الناس ، على هذه الأرض ، الوحيد الذي يكبر (وطنه) في داخله ، ولا يكبر ، وينمو هو في وطنه ، بهدوء وراحة بال .. سواء الفلسطيني تحت الاحتلال ، أو .. الفلسطيني في المنفى .

الجامعة العربية .. كلفت الشقيري أن يبدأ في البحث ، مؤتمر القمة العربي الأول « أعطاه » الضوء الأخضر عبد الناصر ، القائد ، كان مع .. تأسيس « الكيان » للفلسطينيين ، الملك حسين .. ضده تاريخياً آنذاك .. الجزائر مع .. الجزائر الخارجة من حرب التحرير الشعبية ضد الفرنسيين . المقاومة إلى العرب ، بروحها الثورية .. ولغتها العربية المتلعثمة ، بعد مئة وخمسين عاماً من « الفرنسة » .. دمشق تقول : الضفة

(*) الصمود ، دمشق ، ١٩٨٠/٣/١٥ .

والقطاع للفلسطينيين، يجب إعطاؤهم أرضهم وكيانهم، واستقلالهم .. ودبِّرها .. يا شقيري ..

(المنظمات) التي بدأت منذ زمن بعيد بعضها معه بشروط .. بعضها ضده بلا شروط ، لأنها في المواقع المختلفة .. ودبِّرها أيها الشقيري ..

وبدأ الرجل مسيرته ، الدبلوماسية ، بالليونة ، والاسترضاء ، والمشي على الصراط بين الأنظمة ، كي لا يقع ..

الفلسطينيون أطل عليهم بفصاحته ، ببلاغته ، بحنجرته .. فوصل إليهم، واستنهض هممهم .. وللحق .. الشقيري خطيب مذهل .. إن وافقت على ما يقول ، أو رفضت ، وهو محام بالأساس ، و « ممثل » بارع .. وهو على درجة عالية من الثقافة بالتراث العربي ، الديني ، والقومي .. وهو يعرف تاريخ فلسطين وجغرافيتها .. ولذا وصل إلى الفلسطينيين ، الظماء للنور ، بعد الانفصال ، وطول الانتظار ، والصراعات الداخلية ، والوعود (الخُلَّب) ..

أنا فلسطين .. وفلسطين أنا

لست أدري من قال ، أنا فرنسا .. وفرنسا أنا .. ديغول ، أم نابليون ، لا يهم ، الأفراد الكبار في التاريخ ، في جوهرهم يقولون ، أو يتصرفون بهذه الروحية ..

والرجل كان فرداً .. والظروف العربية كانت عجيبة غريبة، وحركة التحرر القومي العربية كانت مصطرعة .. ممزقة .. ولكنه أسس .

الشقيري ... الوطني

في مذكراته يقول الشقيري :

وكذلك شاءت الأقدار أن يكون مولدي ، ومولد جيلي معي ، في أخريات الدولة العثمانية لنشهد بعدها عهد الاحتلال الأجنبي، ثم عهد الاستقلال الوطني .. ويطغى على هذا وذاك عهد الخطر الصهيوني .. (هذا ما قاله الرجل الذي قاد شعبنا أعواماً ، في الصفحة الخامسة من كتابه : أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية) . لم يكن الرجل حزبياً ، كان سياسياً ، وطنياً ، متديناً ، قومياً ، دبلوماسياً خطيباً .. ناسب مرحلة التأسيس ، وقاد السفينة حتى جاءت هزيمة الـ ٦٧ ..

وفي عهده اعترفت الصين بالمنظمة .. وجاءت الدبابات من ألمانيا الشرقية .. وتفجرت الصراعات مع بعض الأنظمة ، وتأسس جيش التحرير الفلسطيني .. ووضع ميثاق شعبنا ، ميثاق المنظمة .. الساري المفعول - نظرياً للآن .. وهو لم يحرر فلسطين .. هذا صحيح .. ولكنه ، أيضاً ، لم يكن السبب في ضياعها ..

وهو جاء وقاد ، لأن قوى هامة ، لم تأخذ دورها ، وتفعل .

والشقيري ، ولد أيام العثمانيين ، وعاش في عصر سياسة الصواريخ ، وتطور الحركات السياسية ، والأفكار السياسية ، وهو ليس (حزباً) يقود .. ولكنه فرد .. ولذا فهو يخطئ ويصيب ، ولكنه يظل قائد مرحلة ..

قبل حوالي ثلاثة أشهر التقيت (الأستاذ) أحمد الشقيري - كان يحب لقب الأستاذ - في فندق بغداد . سلمت عليه ، أوحى لي بأنه يتذكرني - هذا لطف منه ، ودبلوماسية ، وأدب - وهو لا يتذكرني ، ولكنه قال رداً على مجاملتي له ، أو بالأصح احترامي ، وكلماتي القليلة بسبب من التعب البادي على ملامحه .

- أنا شاب .. لقد جئت للتو من (الرياضة) .. أنا في كامل صحتي .. إنني أعد نفسي دائماً ، لأكون جندياً لفلسطين .

وأضاف بلهجة ذات معنى : خالد بن الوليد قالها : أنا لا أقاتل في سبيل عمر .. وقبل أن يكون جندياً ، بعد أن كان قائداً ، وبعد كل الانتصارات .. أنا جندي .. وتطلع إليّ صديقي وقال :

- البركة فيكم أنتم الشباب ، نحن لم نحرر .. ولكن .. هذا لا يعيبنا .. لا تفرطوا .. لا تفرطوا ..

- ثم صعد ببطء درجات الفندق ..

بين اللقاءين ، في فندق دمشق .. وفندق بغداد .. بين أوائل الستينات .. وأواخر السبعينات نمونا .. كبرنا . نحن أبناء هذا الجيل ، وكان بعض نمونا .. بفضل حنجرة الشقيري ، ومواظبته .. ووطنيته .. وبعضه .. أو أكثر بفضل .. شعبنا .. ولكن ، أليس الشقيري هو ابن شعبنا ، وقائده في فترة صعبة ؟

وبعد :

عتاب صغير

صحف المقاومة نعت الشقيري على استحياء .. لماذا ؟

ألأنه لم يحرر ؟ نحن لم نحرر . ألأنه لم يؤسس حزباً يقودنا ؟ نحن لم نؤسس حزباً يقودنا .. ألأنه لم يوحد القوى ؟ نحن لم نتحد ، ألأنه « مات » في عمان .. نحن نفاوض عمان .. وهو لم يدفن في عمان .. وإنما في قرية أردنية ذات تراث (قومي) إسلامي .. تطل على فلسطين .. دفن فيها أبو عبيدة بن الجراح ..

ولكن :

يجب أن نظل أوفياء لقادتنا .. ليس عاطفياً ، ولكن ثورياً .. ووطنياً .. وأخلاقياً . ليس من منطلق : اذكروا محاسن موتاكم .. ولكن من منطلق : كونوا أوفياء .. موضوعيين . لا تتناقضوا .. خاصة وأننا لم نحرر فلسطين بعد ، أليس كذلك ؟

في يوم « التطبيع » لم يحتمل قلبه .. فسكت *

أحمد صافي

يوم الثلاثاء ٢٦ - شباط المنصرم - اليوم الذي ترسمت فيه العلاقات ما بين نظام الردة الساداتي في مصر ، والعدو الصهيوني - غيب الموت وجهاً وطنياً فلسطينياً وعربياً بارزاً ، وهب حياته من أجل قضية شعبه وقضايا أمته الوطنية ، هو المناضل الأستاذ (أحمد الشقيري) أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية في الفترة الممتدة بين عامي ٦٤ - ١٩٦٧ بكل ما عرفت هذه السنوات من ضجيج إعلامي وآمال راودت النفوس الوطنية ، وآلام سكنتها على أثر الهزيمة السريعة لجيوش وسياسات الأنظمة .

رحل الشقيري يوم السادس والعشرين من شباط / فبراير ، وكأنه برحيله المحدد هذا يعلن رفضه وسخطه الشديدين ضد أن تصل الأمور إلى الدرك الأسفل من الخيانة ، متجاوزة « اللاءات الثلاث » كشعارات قومية قاتل الشقيري من أجل تثبيتها والوصول إليها في أول مؤتمر عربي عقب الهزيمة في عام ١٩٦٧ .

فهل من مصادفات القدر ؟ أم أنه الرحيل الذي اختاره كاحتجاج على طريقته الخاصة بسبب شفافية مشاعره ، وصدق وطنيته التي لم تحتمل أن ترى العلم الصهيوني يرتفع عالياً في سماء القاهرة بديلاً للعلم الفلسطيني الأصيل ؟ !

مما لا شك فيه أن للقائد الراحل مواقف وطنية بارزة يشهد له بها ، ولا سيما في أحلك اللحظات التي مرت على أمتنا ، كما أنه لا يعفى في الوقت ذاته من بعض الأخطاء التي رافقت وتناغمت مع الضجيج الإعلامي العربي إبان « مرحلة أحمد سعيد » ، هذه الأخطاء التي لم يبرئ هو نفسه منها ، فانتقد ذاته بشجاعة .

ومع أن تجربته مع الرسمية العربية قد انتهت بهزيمة حزيران/يونيو ، وانهيار كثير من الآمال دفعة واحدة إلا أن ما يذكر للشقيري كمناضل ، وقائد لمنظمة التحرير الفلسطينية في الفترة الأولى بعد ولادتها ، وهذه الإنجازات الكبيرة التالية ، والتي شكلت في حد ذاتها الأرضية الأساسية للهوية الفلسطينية الوطنية وهي :

- الميثاق الوطني الفلسطيني .
- المجلس الوطني الفلسطيني .
- جيش التحرير الفلسطيني .

إن هذه الإنجازات الثلاثة المحددة والواضحة ، إنما شكلت بإنجازها في عهد الشقيري الدعائم الأساسية للهوية الوطنية الفلسطينية ، التي شمخت وما تزال ممثلة في الثورة الفلسطينية الشامخة رغم كل محاولات إنهائها في المعارك الجانبية ، أو بهدف تحويلها عن مسارها في الاتجاه الصحيح ضد مقاتلة الأعداء الأساسيين .

لا تظلموني

في معرض رده على أسئلة « الصمود » التي وجهت إليه في حوار نشر قبل أكثر من عام ، وفي معرض حديثه عن تجربته ، وما سعى إليه إبان فترة ترؤسه منظمة التحرير الفلسطيني قال الراحل الشهيد :

- « اختلفت كثيراً مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، لكننا - الرئيس وأنا - كنا نريد أن لا نظهر تلك الخلافات إلى السطح ... » .
- « فتحت ترسانة من الأسلحة الصينية لجيش التحرير الفلسطينية .. » .
- « أنشأت معسكرات تدريب شعبية للفلسطينيين في الكويت ، وقمت بتدشينها رغم بقائها سرية ... » .
- « قمنا بتخريج عدد من دورات المظليين الفلسطينيين في إحدى القواعد الجوية العراقية ... » .
- « كان لي أخطاء انسياقي في جملة الضجيج الإعلامي غير المدروس من الفترة ٦٤ - ٦٧ ... » .
- « حتى لا تظلموني .. قاتلت في مؤتمر الخرطوم قتالاً مشهوداً من الغير ، حتى تم رفع اللاءات الثلاث « : لا صلح .. لا اعتراف .. لا تفاوض مع العدو الصهيوني .. » .

(*) الصمود ، بيروت ، ١٩٨٠/٣/١٥ .

الدكتور أنيس صايغ بمناسبة أربعين الشقيري :

الرجل المفترى عليه .. صادق تآمرت عليه الظروف*

يعرف أحمد الشقيري بألقاب كثيرة ، وقد تسلم مسؤوليات كبيرة في مدى الخمسين سنة التي عاشها عاملاً في الحقل السياسي والوطني .

لعل أصح وأدق وصف للرجل هو : « أحمد الشقيري المفترى عليه » فالمرء لا يتذكر سياسياً عربياً كبيراً واحداً كان طيلة حياته هدفاً للهجمات والانتقادات الصحيحة والكاذبة ، البريئة والظالمة مثل أحمد الشقيري . فكل زعيم يتعرض لحملات من النقد والتجريح ، لكني لم أعرف زعيماً واحداً تعرض لمثل ما تعرض له المرحوم الشقيري ، بكثافة واستمرار ، وبقدر كبير من الظلم والقسوة .

لقد كانت للرجل أخطاؤه بلا شك ، وأي زعيم لا يخطئ ولا يقصر ؟ والشقيري على أية حال ، من نفس العينة التي جبل منها كافة القادة العرب . لذلك فهو يشاركهم في الكثير من صفاتهم . لكن الملفت للنظر أن الكثير من الاتهامات التي كانت توجه إلى الشقيري كانت مغرضة وظالمة ، تقصد النيل منه وتحطيمه وليس إصلاح العمل السياسي أو خدمة القضية الوطنية .

أول اتهام ابتلي به ، منذ بدء عمله السياسي في الثلاثينات ، أنه معترض على الحركة الوطنية الفلسطينية بتأثير من والده ، مفتي عكا المرحوم الشيخ أسعد الشقيري ، الذي عرف عنه وسجل عليه خطؤه الكبير بالتوقيع على قرار الإعدام الذي أصدره جمال باشا « السفاح » ضد أحرار العرب في سورية ولبنان وفلسطين في الحرب العالمية الأولى .

إضافة إلى أنه ليس بالضرورة أخذ الابن بجريرة الأب ، ولا يجوز أن يدفع الابن طيلة حياته ثمن خطأ ارتكبه والده قبل عقود من السنين . وكرر الشقيري في القول وفي الكتابة ، تبرؤه من هذا العمل الذي اقترفه الوالد وهو ما زال طفلاً صغيراً ، وكان دوماً يستنكره وينتقده بقسوة .

واتهم الشقيري في الثلاثينات والأربعينات ، بأنه ضد العمل الوطني ، لأنه لم ينضم إلى الحزب الذي قاد حركة النضال الوطني آنذاك وهو « الحزب العربي الفلسطيني » .

والواقع أن الشقيري لم يكن السياسي الوحيد الذي لم ينضم إلى ذلك الحزب . ذلك لأن بعض السياسيين الفلسطينيين رأوا في الحزب العربي الفلسطيني حزباً عائلياً يلتف حول شخص معين هو (الحاج أمين الحسيني) . ولم يجدوا فيه الحركة الوطنية العقائدية الجامعة ، التي يمكن أن تقود المسيرة الفلسطينية نحو التحرر والاستقلال ، ومنهم من أسس أحزاباً أخرى ضد الحزب العربي (بلغ عددها في آخر الأمر خمسة) . ومنهم من مارس النضال دون انتماء حزبي ، والشقيري أحدهم . فقد رفض أن ينضم إلى أي حزب من الأحزاب المتصارعة ، وعارض أحزاب المعارضة وانتقدها بمثل ما عارض حزب المفتي وانتقده .

وقد بذل زعماء « المعارضة » ، من قادة حزب الدفاع المناوئين للحاج أمين ، قصارى جهدهم لضم الشقيري إلى حزبهم ، لكنه كان يرفض ويبتعد عنهم قدر المستطاع .

وكانت وجهة نظر الرجل أن الجهاد من أجل فلسطين لا يتم بالضرورة من خلال الأحزاب ، بل إن المرء يمكن أن يناضل بشكل أنسب إذا تحرر من أي التزام حزبي ، خاصة وأنه كان رأى أحزاباً ظهرت في تلك الفترة ، وتبتعد أحياناً عن القضية الأم بسبب انشغالها بصراعاتها الداخلية الضيقة .

وحول محاولات الشقيري لتأسيس حزب قال الدكتور صايغ : يقال إنه حاول في أواسط الأربعينات أن يؤسس حزباً أراد تسميته « الحزب العربي القومي » ، ويكون إلى حد ما متأثراً بنظامية ومركزية الحزب السوري القومي الذي أسسه أنطون سعادة في لبنان عام ١٩٣٣ ، وانتشر إلى حد ما في سورية وفلسطين . لكن المشروع لم ير النور على الرغم من اتصال الشقيري بعدد من الشخصيات الفلسطينية الوطنية المستقلة ، التي راعها عمق الهوة بين الأحزاب السياسية واشتداد الخلافات الجانبية بينها . ولعل لجوء الحاج أمين ، رحمه الله ، إلى سياسة اغتيال معارضيه الأقوياء أرهبت الكثيرين ، ودفعتهم للتخلي عن فكرة إنشاء الحزب القومي (سامي طه اغتيل فعلاً بعد وقت قصير) . وجدير بالذكر أن الشقيري كان يتجنب الحديث في هذا الموضوع . وقال الدكتور صايغ : قد رأيته مراراً يتهرب من الخوض في هذه القضية بالذات ، وقد سمعته مراراً ينفي أن تكون له علاقة بفكرة هذا الحزب .

واستطراداً عاد الدكتور صايغ للحديث عن موضوع الافتراء على الشقيري فقال :

(*) القبس ، الكويت ، ٢٨٣٧ ، ١٩٨٠/٤/٩ ، ص ٨ .

الافتراء الثالث كان في أواسط الأربعينات ، بعد أن أفلست الأحزاب السياسية ، مما ترك فراغاً حاول بعض الشباب من المثقفين والخريجين الجامعيين « الأنتلجنسيا » سده ، فأسسوا ما يسمى بـ « المكاتب العربية » (إدارتها في القدس ولها فرعان في لندن وواشنطن ، وهدفت هذه المكاتب إلى تطعيم العمق السياسي الفلسطيني بدماء جديدة ، وتزويده بالإمكانات العلمية ليصبح النضال أكثر فاعلية . واهتم رجال المكاتب بالإعلام الخارجي ، مقتنعين بأن عدالة القضية الفلسطينية تضمن للشعب الفلسطيني أنصاراً كثيرين في الخارج . وهكذا في أعقاب الحرب العالمية الثانية عرف الفلسطينيون كيف يقيمون إعلاماً جيداً ومثمراً وفق الأساليب الحديثة .

كان الشقيري واحداً من رجالات هذه المكاتب ، التي كان معظم أعضائها غير المنتمين أو المقربين إلى المفتي .

ونوّه الدكتور صايغ بأن هذه المكاتب الحزبية لم تكن في الأساس حزباً ، ولا كانت ضد الحركة الوطنية ، وكذلك لم تكن ضد المفتي ، بل كانت محاولة من المثقفين الفلسطينيين لخدمة قضيتهم بأسلوب آخر يقوم في الأساس على الإعلام . وفشل المشروع لسببين : الأول أن أحد الأقطار العربية حاول ونجح إلى حد ما في الهيمنة على المشروع ، عن طريق تأمين مصاريفه كاملة (حدث هذا في الأربعينات) ، لكن هذه المكاتب اتهمت بأنها موالية لبريطانيا من ناحية ، ولأن المفتي ورجاله هاجموا المكاتب ورجالها هجوماً عنيفاً ، واتهموهم بالخروج على الإجماع الفلسطيني ، مما أدى إلى تراجع الكثيرين من رجال المكاتب .

كان الشقيري أحد أعمدة هذا المشروع الذي هاجمته الحركة الفلسطينية ، لكن هذا لا يمنعنا من التأكيد بأن المشروع بحد ذاته أدى خدمات كثيرة من الناحية الإعلامية في المجالين الدولي والعربي .

الافتراء الرابع ، شاع بعد النكبة . إذ كان الشقيري واحداً من المليون نازح فلسطيني إلى دنيا العرب ، قاده طموحه ونشاطه إلى السعودية حيث لمع كمحام وكمستشار سياسي وقانوني ، ثم لمع أكثر كمندوب للسعودية أمام الأمم المتحدة ، يدافع عن الحق العربي في فلسطين بشكل قوي ومتواصل .

وتمكن من تكوين ثروة لا بأس بها ، فبدأت الألسن الحادة تتهمه بأنه أثرى على حساب فلسطين ، وهذا كلام ظالم ، فالرجل لم يُثْرِ على حساب فلسطين ، ولا من أموال فلسطين . ولم يكن يدافع عن فلسطين أمام المحافل الدولية من أجل المال ، ولم يكن مرتزقاً - كما سماه البعض - بأي شكل ، وعلى العكس ، لعل أغلب القراء يجهلون أن الشقيري عمل رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية متطوعاً بالمجان ، ولم يكن يتقاضى أي مرتب .

واستطرد الدكتور صايغ قائلاً : لقد قال لي أكثر من مرة : إن الله وهبني مالاً لقاء أعمالي كمحام ومستشار في السعودية ما يكفيني ويكفي أبنائي ، لذلك آليت على نفسي ألا أنال قرشاً واحداً من الجهد الوطني . وهو الوحيد الذي فعل ذلك ، بل إنه قدم ولدين من أبنائه (ابناً وابنة) للعمل كمتطوعين في مركز الأبحاث التابع للمنظمة في بيروت لمدة سنة كاملة ، عمل كلاهما باحثاً ، وكانا باحثين ممتازين ولم يتقاضيا قرشاً واحداً من أموال فلسطين طيلة فترة عملهما .

كيان عربي :

الافتراء الخامس ، وهو أفظع الافتراءات ، وقد انتشر بعد أن أنشأ منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، بعد أن حصل على موافقة من الرؤساء والملوك العرب ، وخاصة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . فقد قرر الرؤساء والملوك إنشاء كيان فلسطيني يتحمل مسؤولية العمل الفلسطيني ، واختير الشقيري ، الذي كان قد لمع في الأمم المتحدة ، مدافعاً عن فلسطين (قضيته الأولى) باسم سورية والسعودية ، وليكون مندوباً لفلسطين في جامعة الدول العربية (وكان الممثل الرسمي ، رئيس ما سمي بحكومة عموم فلسطين أحمد حلمي باشا قد مات) ، كما كلف بالبحث عن الكوادر الفلسطينية التي ستساهم بإنشاء الكيان الجديد .

وقد قام الشقيري بالمهمة خير قيام . وأنشأ المنظمة ، ووضع لها قوانينها وأجهزتها ومؤسساتها وأهدافها ونظامها وميثاقها وجيشها . فعل ذلك بنفسه ، وبمعاونة قلة من الرجالات الفلسطينية ، ولم تكن الدول العربية ولا حتى الجامعة العربية هي التي أنشأت المنظمة . إنها أعطت الضوء الأخضر فقط ، وهذا كل ما في الأمر ، إذ لم يكن من الممكن إنشاء منظمة لشعب يتوزع أغلبه في الأقطار العربية بدون موافقة مبدئية من مسؤولي هذه الأقطار ، ولذلك ما إن سمح المسؤولون (بتأثير عبد الناصر بالدرجة الأولى) بالتحرك ، حتى قام الشقيري بالتنفيذ خير قيام . وكانت المنظمة التي أنشأها (منظمة التحرير الفلسطينية) التي تبلغ هذا الخريف عامها السادس عشر ، مؤسسة فلسطينية للشعب الفلسطيني ، ممثلة خير تمثيل حتى اليوم .

لم يكن الشقيري تابعاً لأي نظام عربي ، واتهامه بالتبعية لنظام عربي ما هو إلا اتهام ظالم على الإطلاق . كان يؤمن بضرورة استقلال الحل الفلسطيني عن أي نظام عربي . لكنه كان يؤمن ، في الوقت نفسه ، بعروبة القضية الفلسطينية إيمانه بعروبة شعب فلسطين

وأرض فلسطين . من هنا تتميز نظرة الشقيري إلى الكيان الفلسطيني بأنها تعتبر هذا الكيان كياناً عربياً . وكان يردد أنه يعمل لتحرير فلسطين لتكون نواة الوحدة العربية ، وبنفس المنطق كان يؤمن بأن إنشاء الوحدة العربية يجيء بعد تحرير فلسطين ، مما سيكون العامل الأكبر على تحريرها . وكان الشقيري وحدوياً وهو في صميم عمله الفلسطيني . وكان فلسطينياً وهو في صميم عمله الوحدوي .

كذبة إسرائيلية :

وفي حرب ١٩٦٧ ، ونكستها الشهيرة ظهر **الافتراء السادس** ضد الشقيري . وكانت « إسرائيل » والصحافة الإمبريالية وراء هذا الاتهام ، الذي صدّقه العرب وتبنوه وروجوه للأسف ، دون أن ينتبهوا إلى سوء قصد « إسرائيل » من اختلاق كذبتها ، ولم يحاول أي عربي أن يتحرى صدق أو كذب اتهام « إسرائيل » للشقيري بأنه قال في تصريح صحفي مشهور له قبيل بدء عدوان ١٩٦٧ « إننا سنقذف باليهود في البحر » .

لقد روج إعلاميو الغرب هذا القول بشكل ساحق لتغطية العدوان الإسرائيلي وتبريره ، ولتلطيخ صورة العرب عموماً والفلسطينيين على وجه الخصوص ، ولإظهار النضال الفلسطيني بمظهر العمل اللاإنساني والوحشي الذي سيبيد شعباً بأكمله ، وكأنه استمرار للمحاولات النازية بإبادة اليهود في الثلاثينات والأربعينات .

والحقيقة التي يجب الجهر بها هي أن الشقيري لم يصرح بذلك قط ، لم يقل إننا سنقذف باليهود في البحر ، كل ما قاله هو إن السفن التي حملت اليهود إلى فلسطين ، بإمكانها أن تحملهم إلى مواطنهم الأصلية من فلسطين .

وقال الدكتور صايغ لقد أكد لي الشقيري ذلك عدة مرات ، وأعترف أني كنت أعتقد أنه يقول ذلك لتبرير خطئه والدفاع عن نفسه ، إلى أن ثبت باليقين أن دفاعه عن نفسه صحيح ، حيث أكد لي صحافي عربي كان قد حضر ذلك المؤتمر الصحفي في القدس ، هو المرحوم إدوار صعب رئيس تحرير جريدة « الأوريان » البيروتية ومراسل « اللوموند » الفرنسية . أضاف إدوار صعب : أنه حاول كثيراً نشر النص الحرفي لكلمات الشقيري في صحف أجنبية ، ولكنها كانت ترفض ذلك ؛ لأن « إسرائيل » كانت تريد استمرار الحملة ضد الشقيري .

التشكيل الأم :

آخر افتراء على الشقيري كان اتهامه ظلماً بأنه ضد المقاومة المسلحة ، وأنه كان يؤمن فقط بالعمل السياسي وبالجيش النظامي لدعم العمل السياسي ، وهذا غير صحيح ، وكل ما في الأمر أن الشقيري اضطر إلى الاستعانة برجال السياسية عند إنشاء المنظمة ، حيث لم تكن هناك منظمات فدائية ، ولما قامت هذه المنظمة ، وتعددت بالتدريج ، دعاها إلى الانضمام إلى منظمة التحرير الفلسطينية التي أصر أن تكون وتبقى هي المنظمة الأم والإطار العريض لكل المنظمات الفدائية ، كما كان حريصاً على ألا يستولي تنظيم معين على المنظمة ، بل أن تبقى المنظمة لجميع العاملين الفلسطينيين .

أما الجيش النظامي فقد رأى الشقيري - وكان على حق - بأن تدريب الشباب الفلسطيني على الجندية والقتال وحمل السلاح والانضباط العسكري هو أكبر خدمة لقضيتنا ، وأن هذا التدريب ينفعنا حينما تحين ساعة القتال . وبما أنه لا توجد أرض فلسطينية محررة يستطيع الفلسطيني أن يتدرب عليها ، كان لا بد من استخدام الأراضي العربية التي يقيم عليها الفلسطينيون قواعدهم بموافقة سلطاتها الشرعية . وتنفيذاً لذلك نال موافقة كل من الحكومات في الأردن وسورية ومصر والعراق وغيرها ، لإنشاء قواعد لجيش التحرير الفلسطيني ، أما أن يتهم بأن عملاً كهذا جعل هذه المعسكرات تخضع للصراعات الرسمية العربية ، فبالإمكان الإجابة أن الصهيونيين دربوا شبابهم في الثلاثينات والأربعينات ضمن الجيش البريطاني ، والهاغانا اليهودية نفسها نشأت كفيلق رسمي في حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين وبعد ذلك ، وعندما حانت الساعة ، حاربت الهاغانا السلطات البريطانية دون هوادة .

إن حصول الفلسطينيين على السلاح والتدريب والانضباط العسكري هو المهم ، ولا بأس إذا تم ذلك تحت إشراف عربي رسمي لفترة من الزمن ، فإن هذا لن يعيب العمل الفلسطيني ولن يقلل منه .

فلم يكن الشقيري ضد المنظمات الفدائية ، وعلى العكس ، فقد أوجد جيش التحرير الفلسطيني ليكون حليفاً وزميلاً لهذه المنظمات ، وأوجد المنظمة لتكون إطاراً يساعد المنظمات ويخدمها ، لكنه رفض تسخير المنظمة وجيشها لأي جماعة فلسطينية معينة ، وتكون البوتقة التي تنعم بداخلها جميع الفصائل ضمن مفهوم الوحدة الوطنية .

ثلاثة أسباب للسقوط :

وعن إقصاء الشقيري عن رئاسة منظمة التحرير ، قال الدكتور صايغ :

- هناك ثلاثة عوامل أسقطت الشقيري : عامل عربي ، وآخر فلسطيني ، وثالث شخصي .

• أما العامل العربي فإن الأنظمة العربية ، التي خاضت حرب حزيران وانهزمت ، كانت تبحث عن كبش فداء ، أو كبوش فداء متعددة تبرر خلالها لسقوطها ، ولم يكن يريحها أن يظل الصوت الفلسطيني قوياً وعالياً في إدانتها وتذكيرها بانهزامها . لذلك كان لا بد من إضعاف منظمة التحرير ، وتحجيمها وضربها ، وكان لا بد من إقصاء مؤسس المنظمة وقائدها الذي لم يكن يهاب الأنظمة خاصة في تلك الظروف .

• وأما العامل الفلسطيني فهو يتصل بحقيقة قيام المنظمات الفلسطينية ، وإعلان نشاطها خارج إطار منظمة التحرير ، ورغبة كل منها في الوصول إلى المنظمة بأكبر وأقوى شكل ممكن ، ولذلك كان لا بد من إزاحة الشقيري ليسهل التأثير في المنظمة - إن لم نقل الاستيلاء عليها - تأثيراً واسعاً .

• وأما العامل الشخصي فأعني به شخصية أحمد الشقيري . كان الرجل من الذكاء والفطنة ، ومن الكبرياء وعزة النفس ، ذلك أنه عرف كيف ينسحب بهدوء وثقة ، وبشرف واحترام ، بدل أن يخوض صراعاً دامياً في معركة خاسرة ، حيث أن الأمل في الفوز بها خفيف جداً .

الدور الباقي أبداً :

وحول فيما إذا كان دور الشقيري قد انتهى فلسطينياً وعربياً بخروجه من المنظمة ، قال الدكتور صايغ :

أبداً ، إن المؤسس لا ينتهي دوره بخروجه أو بموته ، ما دامت المؤسسة قائمة ، فإن مجرد بقاء منظمة التحرير ونشاطها ، وبقاء وتكريم مؤسساتها وأجهزتها ونشاطاتها ، إنما هو بقاء وتخليد للشقيري ولدوره في العمل الفلسطيني حتى بعد مماته .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لقد كان الشقيري منفتحاً على كل الفئات الفلسطينية ، وكان يتعاون مع أي جماعة تقصده للاستشارة أو للاستنارة برأيه . وحينما اختير عضواً مدى الحياة في المجلس الوطني الفلسطيني ، تكريماً لنضاله ، قبل ذلك بسرور واعتزاز ، شعر أن بعضاً من حقه قد رد إليه .

واستطرد الدكتور صايغ قائلاً :

كان يحدثني دوماً عن زيارات بعض الإخوة في قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وفي قيادة فتح له ، وكان يتحدث عن اتصالاتهم به بسعادة ورضا .

أما دوره العربي فقد ظل يلعبه حتى آخر لحظة قبل مرضه ، فبالإضافة إلى الكتب التي وضعها بعد « تقاعده » ، خلال السنوات العشر الأخيرة ، حاول وضع صيغة جديدة للجامعة العربية ، ميثاقاً ونظاماً وإدارة أساسية . وكان محمود رياض الأمين العام السابق للجامعة مهتم بهذا المشروع كثيراً . لكن ضغط أحد الأقطار العربية (وكان الشقيري قد هاجم قبل سنوات رئيس ذلك القطر لسياسة المهادنة حول قضية فلسطين) جعل رياض يتراجع عن الاستعانة بالشقيري رسمياً . فحول الشقيري مشروعه إلى مادة كتاب ، أنجز طبعه قبل وفاته بأشهر قليلة .

مؤلفات الشقيري :

وعن الشقيري الكاتب قال :

من حسن حظنا أن الشقيري ترك رئاسة المنظمة في ١٩٦٧ ، مما أتاح له فرصة ليكتب تلك الكتب الرائعة التي نشرها في السنوات العشر الأخيرة ، حول ذكرياته عن قضية فلسطين قبل النكبة وبعدها . إنها بشكل عام مجموعة فريدة من الأعمال الوثائقية التي تفيد الباحث في تاريخ مبطن الحديث ، كما ضمت الكثير من الآراء والحوادث والوثائق في الأبعاد العربية والدولية لقضية فلسطين .

وقال : إنني لا أنكر أن الرجل كان يكتب أحياناً بشكل دفاعي وتبريري مما يضعف إلى حد ما قضية كتبه ، وبشكل خاص كتابه الأول : أربعون عاماً في القضية العربية ، وأستطيع أن أقول - بقليل من التحفظ - إنه واحد من أجمل أربعة أو خمسة كتب في فن السيرة الذاتية ، بعد كتاب « الأيام » لطه حسين ، ولعلني أضعه وكتاب « حياتي » لأحمد أمين .

وأشار إلى أنه يصنف كتاب الشقيري في مصاف المدينة الثانية في السيرة الذاتية بعد الأيام . ولكن من المؤسف أن الكتاب حافل بالمئات من الأخطاء المطبعية التي تشوه المادة السلسلة في أحيان كثيرة .

في قانون البحار :

وعن الشقيري المفكر تحدث الدكتور صايغ :

كان الشقيري سياسياً مثقفاً ، وكان كاتباً ناجحاً ، وكان مطالعاً من الدرجة الأولى ، وكان باحثاً في التاريخ السياسي والاجتماعي ، لفلسطين والعرب عموماً (وكان يهوى مطالعة تاريخ الحروب الصليبية) ، وكان يملك مكتبة جيدة يصرف ساعات من وقته يومياً بها . هل تعلم أنه كان من كبار المختصين بقانون البحار ؟ وله في هذا الموضوع دراسة ممتازة .

الطابع الفردي :

وحول فيما إذا كان زعيماً بالمعنى الكامل للكلمة قال :

كانت تنقصه الجاذبية الجماهيرية ، أو ما يسميه الأميركيون بالكاريزما ، إذا ما قيس بكبار الزعماء في

جيله (مثل عبد الناصر ، وسوكارنو ، وتيتو .. إلخ) . فمع أنه كان خطيباً مفوهاً ، وكانت لغته فصيحة ، وأسلوبه جذاباً ، وكان حافظاً من الدرجة الأولى للتراث العربي والإسلامي التاريخي والأدبي والفلسفي والديني والقانوني ، وبالتالي كان يأسر مستمعيه طيلة وجودهم ، إلا أنه لم يكن يقيم علاقات ودودة مع الآخرين . وبالتالي لم تكن له « جماعته » الخاصة به : لا حزبه ولا عشيرته ، ولا منظمة أو جماعة تتكتل حوله .

ربما لأنه كان مستبداً في الرأي ولا يسمع للآخرين ؟

ليس تماماً ، صحيح أنه لم يكن ديمقراطياً ، بالمفهوم الغربي الشائع لهذه الكلمة ، ولم يكن رجل أحزاب تتصارع في مناخ سليم . لكنه لم يكن مستبداً تماماً . كان يسمع النصح بحدود ، ولعله كان ينصاع للمشورة بعد تفكير طويل وبشكل غير مباشر ، وكأنه يخجل أن يبدو عليه أنه يتأثر بمستشاريه ، أو لعله كان يحب أن يعيد التفكير في أي اقتراح ، لذلك كان يبدي تردداً طويلاً قبل أن يتبناه .

وقال الدكتور صايغ :

أعتقد أن الشقيري كان فردياً إلى حد بعيد بطبعه وآثار نشأته . فقد نشأ في جو (سواء في العائلة أو الوطن ، يشجع على الانفراد وليس على التعاون والعمل الجماعي ، ولذلك كان يتقن الأعمال التي لا تحتاج إلى تعاون مع آخرين . وحتى لو دخل حزباً ، ما أظن أنه كان ينجح ويبقى فيه طويلاً ، وربما كان ينجح أكثر لو كان زعيماً أوحد للحزب ، أما أن يكون عضواً في حزب ما أو رجلاً ثانياً أو ثالثاً . فما أظن أن ذلك يناسبه ، وربما أن هذه صبغة وميزة .

من هنا أيضاً لم تنجح علاقاته كثيراً مع زملائه في اللجان التنفيذية لمنظمة التحرير ، فكان ينسجم فقط مع الأعضاء المسالمين والقابلين بأي شيء ، أما الأعضاء من ذوي الشخصيات القوية فكان يصطدم معهم باستمرار ، ويخالفهم الرأي .

أبناء المؤسسات :

من جهة أخرى ، آمن الرجل بأن الكيان الفلسطيني يبقى ويصمد فقط إذا توافرت له « المؤسسات الثابتة » ، لذلك دعم إطار المنظمة بعدد من المؤسسات القوية ، التي وضع لها القوانين التي تضمن استمرارها واستقلالها ، وميزانيات تتكفل بالحد الأدنى من حاجتها ، وكان هو ، حتى بعد أن ترك المنظمة ، فخوراً جداً بهذه المؤسسات ، وكل الذين زاروه في السنوات الأخيرة لا بد وسمعوه يتحدث عن أعظم ثلاثة إنجازات له في المنظمة : جيش التحرير ، الصندوق القومي ، ومركز الأبحاث . كان يقول إن هذه المؤسسات هي أبناؤه الذين سيخلدون اسمه ويسهمون في تحقيق أمنية التحرير لفلسطين .

تراب فلسطين :

وعن الشقيري كرجل ، كإنسان عادي ، هواياته ، علاقاته الشخصية : قال الدكتور صايغ :

كان رياضياً ، حافظ على عادته بالمشي ساعة أو ساعتين كل صباح إلى أن أقعده المرض . كما كان يحب السباحة ويمارسها باستمرار .

ولم يكن له كثير من الأصدقاء في حياته الاجتماعية . وأشار إلى أن حياته الاجتماعية خارج أسرته كانت ضعيفة . كان يحب أصدقاءه ، ويحاول مساعدتهم إذا دعت الضرورة ، ولكنه لم يكن ينفتح عليهم كثيراً . وكان كتوماً حتى على أقرب أصدقائه .

لكنه في ناحية أخرى كان يعتني بأفراد أسرته ، إلا أنه كان صاحب الكلمة الأخيرة ، ويحرص ألا يتيح لهم الحريات التي يتمتع بها أبناء جيلهم .

ولم يكن يسمح لأحد بأن يستغل قرابته له للحصول على مكسب . وعلى العكس فقد كانت قرابة بعض الأشخاص له سبباً في خسارة مادية لهم ، لأنه كان يمنع مساعدتهم ! فقد كان حريصاً على ألا يقال إن فلاناً يستغل قرابته لينال مكسباً مادياً أو غيره ، مما أضر بأهله .

وكان متعلقاً جداً بتراب فلسطين . كان يحفظ أسماء ومواقع وصفات بلدان فلسطين ومعالمها الجغرافية حفظاً غريباً . وكان يطرب للحديث عن موقع ما كلما قابل إنساناً ينتمي إلى ذلك الموقع . وكان محدثه يكتشف أن الشقيري يعرف عن قريته أكثر مما يعرف هو . وكان يدعم حديثه بقصص وروايات من التاريخ الغابر .

ليس غريباً أن يوصي بأن يدفن في أقرب نقطة من فلسطين ، في مدفن لبعض كبار قادة الفتح الإسلامي لفلسطين .

أحمد الشقيري : الرجل .. القضية*[1]

عماد رحايمة

على بعد ثلاثة كيلومترات من فلسطين المحتلة وفي مقبرة الصحابي الجليل « أبو عبيدة » عامر بن الجراح ، يرقد جثمان الشهيد أحمد الشقيري ، القائد الوطني الفلسطيني البارز وأول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ففي الخامس والعشرين[2] من شباط عام ١٩٨٠ ، لفظ مؤسس منظمة التحرير أنفاسه الأخيرة ، ودفن بناءً على وصيته إلى جانب الشهداء الكبار سعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة وقريباً من الوطن - الحلم .. قريباً من مدينته الأثيرة زهرة المدائن .

كثيرة هي الآراء والاجتهادات التي تتناول الرجل تجربة ومواقف ومواصفات . وكثيرة هي المحطات التي ما تزال بعد بحاجة إلى توضيح وإجلاء في تجربة المحامي الفلسطيني المعروف . لكن الأمر الذي لا جدال فيه أن الشقيري قد عاش حياة حافلة بالبذل والتضحية وظل وفياً لقضية شعبه ووطنه في كل المنعطفات والمنحنيات .. منذ اليوم الأول الذي فصل فيه من الجامعة الأميركية في بيروت لاشتراكه في مظاهرة بمناسبة ٦ أيار/ مايو عام ١٩٢٧ ، وحتى استقالته من منصبه كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية في كانون أول/ ديسمبر عام ١٩٦٧ .

لقد نشأ الشقيري في أسرة وطنية ، وعاش معها مراحل النضال الفلسطيني الحديث ، منذ عشرينيات هذا القرن وحتى انطلاقة الثورة المعاصرة .. فوالده أسعد باشا الشقيري ، كان من المناضلين ضد الحكم التركي ، ولهذا نفاه السلطان العثماني عبد الحميد إلى لبنان ، حيث ولد أحمد الشقيري في قرية تبنين ، ثم عاد إلى القدس ليكمل دراسته الثانوية وليعمل بعد ذلك صحفياً في جريدة « مرآة الشرق » ، وليتلقى تمريناته الأولى في المحاماة عند الاستقلالي المعروف عوني عبد الهادي ، والذي كان له أكبر الأثر في تقديمه لرجالات الثورة السورية ، وتعريفه عليهم .

ومنذ ذلك التاريخ لعب المحامي أحمد الشقيري دوراً مميزاً في الدفاع عن رجالات الثورات الفلسطينية - خصوصاً ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، الأمر الذي تسبب بملاحقة سلطات الانتداب البريطاني له ، مما اضطره للهرب إلى مصر ليمكث فيها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، حيث عاد إلى وطنه لمزاولة كفاحه ضد الغزوة الصهيونية ، وضد تآمر سلطات الانتداب الذي انتهى باغتصاب فلسطين وتشريد شعبها وإقامة الكيان الصهيوني .

استقر الشقيري بعد النكبة في بيروت ، وتقلب في عدة مناصب في الحكومة السورية والجامعة العربية والحكومة السعودية . وعرف عنه خلال هذه الفترة كذلك دفاعه عن القضايا العربية ومن أبرزها قضية الثورة الجزائرية ، واستقلال المغرب وتونس ... إلى أن انتهى به الأمر عام ١٩٦٣ ممثلاً لفلسطين في جامعة الدول العربية خلفاً للمرحوم أحمد حلمي باشا .

ليس هذا المقال تاريخاً لحياة الشقيري ، فهذه المهمة أكبر من أن تلخص بمقال أو بجهد فردي . ولكن الوفاء لمسيرة هذا الرجل يقضي بأن يشار إلى بعض المحطات البارزة في تجربته الكفاحية التي امتدت أكثر من نصف قرن .

ولعل أبرز هذه المحطات ، الدور الذي لعبه الشقيري في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ذلك أن كثيرين من الناس ما زالوا يعتقدون أن قرار مؤتمر القمة العربية الأول (كانون الثاني ١٩٦٤) قد نص على تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، في حين أن القرار لم ينص على ذلك بل جاء فيه « أقر المؤتمرون بشأن الكيان الفلسطيني أن يستمر السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية باتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني » .

وكما يتضح من نص القرار ، فقد كلف الشقيري بالاتصال مع الشعب الفلسطيني وسماع رأيه في كيفية تنظيم شؤونه ، وتقديم دراسة للقمة العربية الثانية التي تقرر عقدها في الإسكندرية في الخامس من أيلول عام ١٩٦٤ .

لكن الشقيري ، وبضوء أخضر من الراحل الكبير جمال عبد الناصر ، تجاوز قرار القمة وعمل على تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية وتقديمها ككيان قائم إلى القمة الثانية .

(*) مجلة الهدف ، دمشق ، ٩٠١ ، ١٩٨٨/٢/٢٨ .

(١) استقيت المعلومات التاريخية في هذه المقالة من الموسوعة الفلسطينية وكتاب شفيق الحوت « عشرون عاماً في منظمة التحرير الفلسطينية » وبعض الصحف والمجلات العربية.

(٢) الصواب هو السادس والعشرون .

وخلال هذه الأشهر القليلة ، قام الشقيري بجولات واسعة على التجمعات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة والشتات، ووضع مشروع الميثاق القومي والنظام الأساسي للمنظمة ، وشكل لجاناً تحضيرية وضعت القوائم للمجلس الوطني الذي عقد اجتماعه الأول في ٢٨ أيار ١٩٦٤ ، وأقر الميثاق والنظام ، وانتخب الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية وكلفه بتعيين أعضائها الخمسة عشر .

ولم يكتف الشقيري بذلك بل عمل على تشكيل نواة جيش التحرير الفلسطيني، وإخراجها إلى دائرة الضوء، والصندوق القومي الفلسطيني، وشرع في تأسيس دوائر المنظمة وأجهزتها المختلفة .

ورغم أصوات الاحتجاج التي انطلقت في القمة الثانية ضد « تجاوزات » الشقيري ، إلا أن الملوك والرؤساء العرب وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع « الأمر الواقع » ولم يكن أمامهم من خيار سوى القبول به بل « وتقديم الدعم المالي » له ، تحت ضغط عبد الناصر ، وثقل التجربة الناصرية بالطبع .

اليوم وبعد مرور قرابة ربع قرن على هذا الإنجاز التاريخي الكبير (منظمة التحرير الفلسطينية) ، يجدر بنا أن نشير بكل العرفان والوفاء إلى الدور الخاص الذي لعبه الشقيري - رحمه الله - في تشييد هذا الصرح الوطني الكبير .

ولم يقف الأمر بالشقيري عند هذا الحد ، بل واصل على امتداد السنوات الثلاث والنصف التي ترأس فيها المنظمة دفاعه عن هذا الكيان الوليد ، وتمسكه « باستقلالية القرار الفلسطيني » ولا يستطيع أحد اليوم أن ينكر أن أحمد الشقيري قد دفع ثمن تمسكه « بالاستقلالية الفلسطينية » إلى حد كبير .

صحيح أن علاقاته بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت وطيدة ، وصحيح أنه أيضاً كان من أنصار نظرية « التنسيق وعدم التوريط » ، لكن الصحيح كذلك أنه كان يسعى جاهداً لانتزاع هامش الاستقلالية الفلسطينية ، ولعل خير دليل على ذلك زيارته الأولى للصين الشعبية وتوقيعه على صفقة الأسلحة الصينية للمنظمة ، والتي أثارت « حنق » عبد الناصر ، وجعلته يتخوف من خروج الجنين الفلسطيني عن جادة الالتزام « بالخط القومي » ..

وبلغ الشقاق مع عبد الناصر ذروته في قمة الخرطوم العربية التي أعقبت هزيمة حزيران ، حيث « ذهل » الشقيري بحجم التراجع والانهيار الذي أصاب جدار الموقف العربي الرسمي ، كما فوجئ بقبول عبد الناصر للقرار ٢٤٢ ، الأمر الذي دفع بالشقيري إلى خوض معركة في القمة ضد ميول الملك حسين ومساعيه للحصول على التفويض العربي للتفاوض مع العدو الإسرائيلي ، وقبل ذلك مساعي بعض الأطراف العربية للحيلولة دون وصول المنظمة إلى قمة الخرطوم أصلاً .. وهو المشهد الذي أعيد تكراره في قمة عمان الطارئة، ومن قبل الأطراف ذاتها وتحت ذات الحجج والمبررات المشبوهة .

وظل الشقيري متمسكاً بمواقفه الوطنية حتى أيامه الأخيرة ، وقد سجل له أنه انتقل من القاهرة إلى تونس بعد زيارة السادات الخيانية للقدس وتوقيعه اتفاقيات كامب ديفيد ، حيث كان من المناهضين لهذه السياسة الاستسلامية ومن المدافعين عن خط الكفاح المسلح والعداء الحازم للإمبريالية .

قد يقال الكثير في نقد شخصية الشقيري .. فالراحل الكبير كان ميالاً نحو « الفردية » وقد عانى زملاؤه في تلك الفترة كثيراً من تجاوزاته .. وقد يقال أيضاً إن الرجل الذي ينتمي إلى تلك الحقبة - حقبة المد القومي والشعارات الكبيرة - قد كان أبعد ما يكون عن فهم « المرحلية » وما تمليه ضرورات الحركة والتكتيك السياسي .. وقد يقال ثالثاً إن رئيس المنظمة قد استنفد عهده وزمانه وكان يتوجب عليه المبادرة لإخلاء المنظمة لفصائل العمل الثوري الفلسطيني التي انطلقت على نحو واسع ومميز بعد هزيمة حزيران، خصوصاً بعدما ثبت خطأ « الارتهان بالناصرية » ، قد يقال ذلك ، وقد يقال ما هو أكثر منه .

لكن الحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان هي أن الشقيري سيظل علماً بارزاً في تاريخ شعبنا وثورتنا، فليرقد جثمانه بسلام إلى جانب شهدائنا الكبار ، فمن أولى منه بهذه المكانة الرفيعة ؟ !

---

(١) يوم تاريخ كتابة المقال ٢٨/٢/١٩٨٠ .

يوم وُلد الممثل الشرعي والوحيد ! *

شفيق الحوت

في الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ، الذي انعقد في الجزائر في فبراير/ شباط ١٩٨٣ ، بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان ، احتدم النقاش حول « الوحدة الوطنية » الفلسطينية وعجز قادة الفصائل عن إنجازها رغم اصطفاف الجميع داخل منظمة التحرير الفلسطينية بدون استثناء .

وعلى الرغم من فداحة ما أصاب منظمة التحرير الفلسطينية ، من ترحيل لقوات الثورة وضرب مؤسساتها المتعددة ، فلقد انوجد من رأى أن العلاقات الجبهوية القائمة - حينئذ - على ما يرام وليس هناك من داع لأي تغيير أو تطوير في الهيكلية التنظيمية .

وكنت من جملة المعترضين على الصيغة التنظيمية ومن المصرّين على ضرورة اتخاذ قرارات توحيديّة تشمل أكثر من قطاع وبخاصة القطاع العسكري ، وأن تكون التزامات العاملين في هذه القطاعات خاضعة لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وليس لقيادات التنظيمات التي ينتمون إليها .

وفي مرافعتي ، دفاعاً عن وجهة النظر هذه ، قلت من جملة ما قلت ، موجهاً الحديث لقادة الفصائل :

- لقد سمعنا منكم كل حديث إيجابي عن « الوحدة الوطنية » ، ولكننا لم نعرف عن أية « وحدة وطنية » تتحدثون ، ولكل فصيل من فصائلكم رأيه ، وقواته ، وصحيفته ، ومصادر تمويله ، ويوم انطلاقته ، ولم يبق عليكم إلا أن تتبادلوا السفراء فيما بينكم !

ولقد ذهبت صيحات التحذير هذه أدراج الرياح ، وشاءت « أقدار » من صنعنا ، أن يحيا شعب فلسطين تلك السنوات العجاف التي سبقت الدورة الثامنة عشرة ولقاء الرئيس الأسد وأبو عمار قبل أسابيع ، وهي سنوات مريرة ، وزادها مرارة تفريخ فصائل وقوى جديدة كأن ما في الساحة الفلسطينية لا يكفيها من تعدد وتشرذم .

ولما كان لبنان ، كما سبق ووصفته ، « حديقة من غير سياج » ، فلقد رأينا على أرضه العجب العجاب من هذا التعدد والتشرذم ، حتى بتنا نترحم على تلك « الوحدة الوطنية » التي كنا ندعو للارتقاء بها وتطويرها ، وصولاً إلى التنظيم الموحد ، وصلنا إلى أيام صرنا نبحث فيها عمن يلعب دور « السفير » فعلاً بين تنظيم وآخر أو بين جبهة وأخرى . وها نحن نحيا أياماً نسمع فيها عن « لجان أمنية » و « خطوط تماس » و « قرارات لوقف إطلاق النار » وغير ذلك من أسماء لمسميات معيبة بحق النضال المشرف لشعب فلسطين ، وبخاصة إلى هذه الانتفاضة المباركة في أرضنا المحتلة وقاها الله وأبعدها عن شرور « الجرثومة اللبنانية الانشطارية » .

بل أكثر من ذلك ، ولأن كل شيء مباح ومستباح في لبنان ، فلقد تمادت بعض الفصائل في فتح قنوات لها مع الدول الأجنبية ، وكأن كل واحدة منها - ولوحدها - هي « الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني » ، أو هكذا يبدو للقارئ وهو يقرأ يومياً في الصحف عن اللقاءات الاجتماعية والمداولات والمباحثات التي أجراها « أبو زيد » أو « أبو عمرو » باسم هذا التنظيم أو ذاك !

وبدلاً من خمس أو ست « بطاقات دعوة » كنّا نتلقاها في العام « للاحتفال » بذكرى « انطلاقة » هذا الفصيل أو ذاك ، قفز العدد - والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه - إلى عشر أو اثنتي عشرة بطاقة ، أي بمعدل « انطلاقة » كل شهر !

صحيح أن الاحتفالات بالانطلاقات لم تعد كما كانت في الماضي ، ولا سيما بالنسبة للعروض العسكرية عندما كانت بعض الفصائل تقترض بعض الآليات والأسلحة من فصائل أكبر منها لتفي بالمطلوب لعرض مهيوب وتعيدها في اليوم التالي ، إلا أنه واستمراراً للموروث من تقاليد المرحلة التي أسميناها قبل سنوات « مرحلة الأمناء العامين » ، فإن كل تنظيم يحرص - يوم ذكرى انطلاقته - على إصدار بيان باسم لجنته المركزية يوقعه « أمينها العام » على أمل أن يتلقى - أي الأمين العام - برقيات التهاني ، ليصار في اليوم التالي إلى نشر ذلك في الصحف تعميماً « للفائدة » على الجماهير !

ومن المؤكد ، أن هناك من يرى أن لهذه الفصائل حقها المشروع فيما تفعل ، وذلك بهدف تثبيت سمعتها النضالية ، وتعزيز موقعها في الساحة ، وأن في « الديمقراطية الثورية » ما يسمح بهذه التعددية . ونحن نقر هؤلاء على رأيهم ، شرط الإيذان لنا ، وفي إطار « الديمقراطية الثورية » هذه بإبداء بعض الملاحظات والتساؤلات .

وأول هذه الملاحظات أن على من يتلطى وراء « الديمقراطية الثورية أن يلتزم شقها الآخر وتوأمها أي « مركزية القيادة » . ففي الثورة الجزائرية ، كما في الثورة الفيتنامية ، كان ثمة تعدد وتنوع في قوى الثورة ، ولكنها كانت تخضع كلها لقرار مركزي واحد . العالم خارج الجزائر ، وفيما بعد خارج فيتنام ، لم يكن يعرف لأي من الثورتين غير وجه واحد ومرجع واحد ، وما كان يعنيه ما يدور في داخلهما من تعدد وتباين ، وهي بدورها - أي قوى التعدد - ما كانت تريد لهذا العالم أن يعرف شيئاً عن خلافاتها حرصاً على المصلحة الثورية العليا .

وثاني هذه الملاحظات ، تأتي على شكل تساؤل : إذا

(*) الشرق الأوسط ، لندن ، ١٢/٦/١٩٨٨ .

جاز للفصيل أي فصيل ، أن يسوق ذاته عبر مناسبات خاصة به ، كيوم انطلاقته مثلاً ، فهل يجوز اغتصاب مناسبات عامة وتحويلها إلى مناسبات خاصة به ؟ مثلاً ، هل يجوز أن يصبح « للشهيد » أكثر من يوم لذكراه ؟ إن ذلك لا يرضي روح المحتفى به لأنه يوم أقدم على الشهادة ، فإنما فعل ذلك من أجل الوطن كل الوطن ، ومن أجل الشعب كل الشعب ، لا من أجل التنظيم أو الفصيل الذي كان أداته للوصول إلى هذا الهدف الأسمى . لقد قضى الشهيد من أجل فلسطين واحدة ، لا من أجل جزء منها يساوي ما يتوهمه هذا الفصيل أو ذاك أنه حصته في الوطن التي يستحقها حجمه في الساحة ! واغتصاب « الأسماء » هو كذلك ظاهرة تستحق وقفتين : الأولى أخلاقية والثانية تاريخية . هل يجوز أن نقرأ عن مجاهد جليل ، مثل الشيخ عز الدين القسام في ذكرى استشهاده الخمسينية ، لنجده في ندوة ما ماركسيا - لينينيا ، وفي لقاء ما مسلماً أصولياً أو خمينياً ، وفي مقالة ما عدوا للقيادة وشخصية مغامرة ، وهكذا ، وكل تنظيم يقتطع من سيرة الرجل ومواقفه ما يرضيه ويطمس منها ما لا يعجبه ! بل إن هناك من يصنف تاريخ النضال الفلسطيني كله وفق القوالب الأيديولوجية التي تروق له دون أن يجد من يصده لأنه في حمى هذا الفصيل أو ذاك .

وثالث هذه الملاحظات ، وهي الأخرى تساؤلية : ألا يرى قادة الفصائل عبثية هذا النهج بعد كل سنوات التجربة التي مرت ، وأنه لم يعد في الساحة متسع « لفكر جديد » أو لـ « تنظيم جديد » ، وإن كل ما يحدث فعلاً هو إنقسامات في « القديم القائم فكراً وتنظيماً ؟ وأنه تساوى ما يسمى « يساراً » وما يسمى « يميناً » بالمزيد من الانقسامات في وقت لا يجد أي مراقب موضوعي من سبب يمنع تقليل عدد هذه التنظيمات ، عن طريق دمجها وفق ما تدعي رفعه من شعارات ومقولات وأيديولوجيات ، هذا إذا كانت تعني فعلاً ما ترفعه من هذا كله .

وإذا كان قادة هذه الفصائل لم يعتبروا مما مضى ، ألم يعتبروا مما هو قائم أمام أعينهم في الوطن المحتل ؟ أولم يستشعروا بعد ، أهمية هذا الزخم الشعبي الذي ما كان ليتم لولا « الوحدة الوطنية الحقيقية » ، وإعلاء كلمة الشعب على أي فصيل من فصائله ؟ أولم يَرَوا كيف بهرت هذه الوحدة الوطنية العالم بأسره ، وكيف استطاعت انتفاضتها أن تنتزع من إعجاب وتقدير لم يستطيعوه خلال عشرين سنة ؟ أقول هذا دون أي انتقاص لإنجازات مرحلة ما قبل الانتفاضة ، ولا أي محاولة للفصل بين المرحلتين ، لأنه ما كانت الثانية لولا الأولى . ولكن الإشارة لهذه النقلة النوعية تفرض نفسها على الجميع ويجب أن يلحظها قادة مسؤولون . يجب أن يلحظوا بأن الثورة في الوطن المحتل تجاوزت التنظيمات إلى الشعب كله ، وهو تجاوز لم يلغ الفصائل وأدوارها ولكنه فرض عليها نوعاً من التعامل الجبهوي الوحدوي جعل الأولوية للانتماء الوطني ، ليليه بعد ذلك الولاء التنظيمي .

هناك في الوطن الواحد ، حيث القيادة الواحدة ، توحد الكل نضالاً واستشهاداً ووعياً ، ولذلك كان ذاك الصمود وتلك البطولات .

وخامس هذه الملاحظات ، وكانت في الأصل هي الحافز لهذا الحديث كله ، أنقلها بأسى وحزن كبيرين . لقد مر قبل أيام ، الثامن والعشرون من أيار / مايو ، دون أن يجد أي فصيل فلسطيني ، بما في ذلك قيادة م . ت . ف . ما يدعو لقول كلمة ، أو إصدار بيان ، بمناسبة أظن أنها أهم المناسبات في حياة شعب فلسطين النضالية الراهنة ، وهي ذكرى قيام منظمة التحرير الفلسطينية . ففي مثل هذا اليوم منذ أربع وعشرين سنة ، فوق رابية تطل على الحرم الشريف والمسجد الأقصى المبارك ، اجتمع لأول مرة منذ انهيار ١٩٤٨ ، أكثر من خمسمئة رجل من مختلف الاتجاهات والآراء ومراكز التجمع والطبقات ، ليعقدوا العزم على ضرورة انتزاع أولى متطلبات حقوقهم السياسية ، بإيجاد المرجع الوطني لاتخاذ القرار .

وليقل المتقولون ما شاءوا وما يشاءون حول « ولادة » منظمة التحرير ، فالحقيقة التي صمدت وبقيت حتى لحظتنا هذه ، أن هذه المنظمة أصبحت الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين داخل أرضه المحتلة وخارجها ، في المدن كما في القرى كما في المخيمات كما في ديار الاغتراب .

هذه المنظمة التي يناضل الكل من أجل تثبيت دورها في الحرب كما في السلم ، ألا تستحق من فصائل الثورة وقيادة م . ت . ف . أن يتذكروا يوم « انطلاقتها » ، اليوم الأم لهذه الانطلاقات التي تشهد واحدة منها كل شهر ؟

لقد مضى على م . ت . ف حين من الدهر كانت فيه مثل مكسر العصا ، عليها اللوم وللفصائل الثواب ، لها الغرم وللفصائل الغنم، هي البيروقراطية وغيرها الثوريون ، هي الغنية وغيرها الفقراء الكادحون ...

غير أن الأيام والليالي علمت الجميع ما لم تعلمه الخلايا ودعاة التعبئة ومدَّعو الاحتكار الوطني ، وثبت للجميع أن قيام م . ت . ف ، مجرد قيامها ، يبقى أهم إنجاز وطني حققه شعبنا خلال تاريخه النضالي .

ولكن أن تفوت ذكرى قيام المؤسسة الرائدة ، ولا تجد من يذكرها ولو بسطرين ، فأمر يستدعي مثل هذا الحديث وإن أغضب البعض .

إني ، ومنذ اللحظة ، أرفع اقتراحاً للمجلس الوطني الفلسطيني باعتبار ٢٨ أيار / مايو يوم عيد وطني للشعب الفلسطيني ، ومعذرة إن كنا زحمنا أيام « انطلاقاتنا » التنظيمية بيوم آخر هو في قناعتي أبو هذه الأيام كلها .

الذكرى العاشرة لرحيل مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية *

دار الجليل، عمان (تقرير)

ليس سهلاً أن يتحدث المرء عن رجل مثل أحمد الشقيري القائد الفلسطيني المتميز، ذلك أن الحديث عنه يستلزم بالضرورة الخوض في تاريخ فلسطين وجغرافيتها، فقد كان فلسطينياً قائداً، وعربياً رائداً، وعربياً وفلسطينياً حتى النخاع.

كان الراحل مثار جدل، اجتهد فأصاب شأن كل إنسان، بيد أن الأيام أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك، أنه كان مناضلاً صلباً عنيداً، ومتميزاً أيضاً، وما تزال خطاباته تدوي في سماء القضية، التي وهب لها حياته، ونذر نفسه من أجل تحرير أرضها من كل المطبات والمصاعب وصولاً للهدف المنشود.

وفي ذكرى رحيله الذي صادف يوم الإثنين ٢٦ شباط / فبراير الماضي، يغدو لزاماً علينا في هذا الزمن، الذي تشهد فيه قضيتنا الفلسطينية أصعب مراحلها أن نستذكر الراحل الكبير.

فقد كان المرحوم أحمد الشقيري أحد القيادات الرئيسية الثلاث التي تولت مسؤولية النضال العربي الفلسطيني (السياسي/أو العسكري) في الخمسين سنة الأخيرة، فهو واسطة العقد بين الراحل الحاج محمد أمين الحسيني والسيد ياسر عرفات، وإن كانت فترة تسلم الشقيري زمام القيادة هي الأقصر بالمقارنة مع زميليه، فإنها لم تكن أقل أهمية ولا أضعف أثراً، ومع هذا وربما لهذا السبب، كانت قيادة الشقيري للحركة الوطنية (وشخصيته أيضاً إلى حد بعيد) مثيرة للجدل ليس إلى درجة اختلاف وجهات النظر وتباين أحكام الناس وآرائهم حولها فحسب، مثلما هو الحال مع قيادتي الحسيني وعرفات للحركة ذاتها (وشخصيتهما أيضاً) بل ربما كانت وجهات النظر تجاه الشقيري أكثر تنوعاً وتعدداً وتبايناً (إن لم نقل تناقضاً أيضاً) مما هي تجاه الزعيمين الفلسطينيين الآخرين، ويصل هذا التباين (والتناقض أحياناً) إلى حد اختلاط الأمور على من يحاول أن يكتب عن أحمد الشقيري، وإلى حد تعكير صورته في الأذهان، فلدينا رجل كبير محور للخلافات وهدف للهجمات والتهجمات، في مواقفه وأساليبه وسياساته وعلاقاته، ويبقى بالتالي، رجلاً عظيماً مثل أحمد الشقيري، وتبقى الحركة الوطنية الفلسطينية في حوالي عشر سنوات حافلة بالأحداث السمان والتطورات الجسام، يبقى كلاهما قليل الحظ والحظوة، مما يجعل المواطن العربي الذي يريد أن يعرف أكثر عن الرجل أو عن القضية في عهده، مضطراً أن يبحث بنفسه في خضم عشرات المصادر المبعثرة على ما تحتويه من معلومات ناقصة وأحكام متناقضة وآراء متعارضة، مما يزيد في حيرته وارتباكه فيغوص وربما يغرق، في بحر من الكتابات وهو بعد على جهله بالحقيقة.

إن الصفة الرئيسية لشخصية أحمد الشقيري، التي تتفرع عنها غالبية مميزاته، والتي تجلت في مواقفه وسياساته وتصرفاته المتتالية، وفي ميادين العمل الوطني والقومي كافة، هي قدرته الفائقة على ضبط التوازن العادل بين الاتجاهات أو بين الآراء أو بين الوسائل والأدوات، ذلك التوازن العادل بين الوقائع المختلفة والمتنوعة والمتعددة، (وربما المتناقضة)، الذي يتيح الوصول (أو يسهل أو يقرب إمكان الوصول، أو على الأقل يخفف العراقيل أمام الوصول) إلى الهدف الثابت والأسمى الواحد، حيث لا مساومة ولا تردد ولا شكوك ولا تلاعب ولا تهاون، ولا اعتبارات تخفيفية أو خطوات مرحلية أو حدود دنيا وعليا، ولا غير ذلك من أساليب الكر والفر، والتي تجوز في استعمال الوسائل ولا تجوز في تحديد الأهداف.

فما آمن به أحمد الشقيري قد آمن به كاملاً غير منقوص، ثابتاً غير متبدل، صريحاً غير مخفي، صادقاً غير موارب، وحاسماً وحازماً غير معروض ولا متعرض للمناقصة أو للمتاجرة أو للتأجيل.

استقلال فلسطين (حتى نكبة ١٩٤٨) واسترجاع فلسطين (ومنذ ١٩٤٨) وعروبة فلسطين (نضالاً حتى التحرير، ووحدة بعد التحرير)، أقانيم ثلاثة لا انفصام بينها ولا تهاون دونها.

أما الوسيلة، أو الوسائل لتحقيق هذا الهدف المثلث، الثابت والحاسم والأكيد والباقي والراسخ، فهي المجال الذي لعب الشقيري فيه لعبته بمهارة، في حفظ التوازن العادل بين الإمكانات والوقائع والمهارات والاتجاهات والظروف.

قد يكون من السهل أن نقول بعروبة العمل الفلسطيني من جهة، وبفلسطينية النضال من جهة أخرى، ولا أظن أن هناك من عارض أو يعارض هذه

(*) الراية، الدوحة، عدد ٣١٧١، ١١ /٣/ ١٩٩٠، ص٧.

المعادلة التي ارتضاها الفلسطينيون والعرب عموماً منذ حوالي ثلثي القرن ، لكنه لم يكن سهلاً على أحمد الشقيري ، الفلسطيني العربي حتى العظم أن يجسد تلك المعادلة في صيغة محددة ، وناجحة ومقبول بها فلسطينياً وعربياً ، وفي منظمة التحرير الفلسطينية عند قيامها عام ١٩٦٤ ، فقد كان على هذه الصيغة أن تأخذ بعين الاعتبار وجود واحد وعشرين تناقضاً عربياً (إلى جانب ، وبسبب وجود واحد وعشرين سياسة عربية ومصلحة عربية قطرية) وكان عليها في الوقت نفسه ، أن تأخذ بعين الاعتبار تشتت الشعب الفلسطيني في عشرات المجتمعات في دنيا العرب وخارجها (وما نتج عن هذا التشتت والانتشار من تفتيت للمجتمع الواحد) وفوق هذا وذاك ، كان على واضع الصيغة الجديدة أن يلملم التطلعات الفلسطينية المتعددة (وبعضها بفعل العقائد ، متباعد عن بعضه بعضاً بعد اليمين عن اليسار ، والمحافظة عن التجديد ، والرجعية عن التقدمية ، والأفكار الدينية عن الأفكار القومية ..) ، مثلما كان عليه أن يوفق بين الإرادات المتناطحة .

ومع هذا وذاك ، وبالرغم من كل هذه المعوقات والعراقيل والحفر ، استطاع أحمد الشقيري أن يخرج على العالم بمنظمة التحرير ، قوية وفاعلة وذات وجود وحضور ورصيد ووزن ، أرسخ وأشهر من أي تجربة مماثلة فلسطينياً أو عربياً ، وربما في العالم الثالث أيضاً ، ولا تزال المنظمة حتى هذه الدقيقة ، وبعد خمس وعشرين سنة تقريباً من تلقي الضربات والصدمات من داخل صفوفها وفي المحيطين العربي والدولي ، ومن العدو الأكبر والأشرس (« إسرائيل » والاستعمار) مازالت المنظمة موجودة وحاضرة وغنية برصيدها ووزنها ، ومازال شعبنا الفلسطيني (وقطاعات واسعة من أمتنا العربية ومن أحرار العالم) يرفع رأسه بهذه المنظمة ويعلق عليها الآمال ، مهما اشتدت الجراح وقسا الزمان وظلم الإخوان ، ومهما طال بقاء الاحتلال وترسخ ، ومهما ازدادت شراسة سلطاته وعنف إرهابه .

من هنا كانت سياسة الشقيري العربية تقوم على أركان ثلاثة : **أولاً** فلسطين عربية أرضاً وشعباً وقضية ، وبالتالي فإن نضالها إنما هو جزء لا يتجزأ من النضال العربي مثلما كيانها القطري جزء لا يتجزأ من الكيان العربي الواحد .

ثانياً : - لأن العدو بدأ مؤامراته بفلسطين ، أرضاً وشعباً ، (لاعتبارات تاريخية وجغرافية وسياسية واقتصادية ودولية) ، فإن شعب هذا البلد مدعو قبل غيره لأن يناضل من أجل تحرير الأرض العربية وحسب منطق الأمور ، لأن يتحمل مسؤولية هذا النضال العسكري والسياسي والدبلوماسي ، وأن يقود سفينته بنفسه في البحر المتلاطم الأمواج وأمام العواصف العاتية .

ثالثاً : - فلسطين بهذا الواقع ، لا يجوز ولا يمكن أن تكون جزءاً من محور ضد محور ومع عرب ضد عرب ، إلا بقدر ما يقف عرب معها وعرب ضدها ، وإلا بقدر ما يشاركها محور للنضال ويتخلى عنها محور ، وكان الشقيري - وهو المحامي البارع - أراد أن يطبق بدهية العدالة الأولى (الإنسان بريء حتى تثبت إدانته) على العلاقات الفلسطينية العربية ، فجعل وقوف فلسطين مع كل عربي فرضاً لا يجوز الإخلال به ، إلا إذا أخل عربي بواجبه نحو بلده وقضيته وتخلف عن أداء واجباته تجاههما بشكل أو بآخر ، مما يضر بالنضال العربي ضد « إسرائيل » / الصهيونية وضد الاستعمار ويعرضه للخطر .

هناك ناحية ثانية ، حرص أحمد الشقيري - منذ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية - على إقامة توازن عادل بين اتجاهاتها المختلفة ، وصان المنظمة من المغالاة في التزام اتجاه على حساب الاتجاه الآخر ، أعني به الجمع والتنسيق بين العمل السياسي (شاملاً الدبلوماسي أيضاً) والكفاح المسلح (شاملاً المقاومة المدنية غير المسلحة) فقد مارس الفلسطينيون ، منذ نشأة قضيتهم وحتى أواسط الستينيات كلاً من هذين الأسلوبين وأبلوا في كل منهما بلاء حسناً : فاوضوا السلطات البريطانية منذ أوائل أيام الانتداب ، واستمروا في التفاوض معها ، وفي تقديم المذكرات ، وفي حضور الاجتماعات ، وفي المثول أمام لجان التحقيق طيلة ربع القرن الذي وضعت فلسطين فيه تحت الانتداب ، وأسسوا مكاتب للدعاية للتعريف بقضيتهم هي الأولى من نوعها في البلاد العربية ، وفي لندن وفي واشنطن ونيويورك ، وفي الثلاثينيات ، وفي الأربعينيات وفي الخمسينيات ، وأصدروا الكتب والمنشورات ، ونشروا ظلامتهم في أماكن ومناسبات متعددة ، ومع هذا كله كان نصيبهم نكبتين كاسحتين في أقل من عشرين سنة ، أتتا على بلادهم كلها وشَتّتتا غالبية شعبهم .

وجرب الفلسطينيون - من جهة أخرى - النضال المدني والمسلح ضد الإنجليز وضد الصهيونيين ، وفي عشرات المحاولات والانتفاضات والثورات والعصيانات ، ومنذ سقوط فلسطين بأيدي القوات البريطانية أواخر الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد انتهاء الانتداب ، بل إنهم قاوموا طلائع الغزو الصهيوني منذ موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين في ثمانينيات القرن الماضي ، وحتى الأطفال اليوم يذكرون تواريخ حادثة موسم النبي موسى وثورة البراق ، وثورة القسام ، والثورة الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، وغير ذلك من الصفحات الرائعة التي

خطها المجاهدون ، لكن هذه البطولات لم تنفع أيضاً وانتهت ، كالعمل السياسي (والإعلامي والدبلوماسي) إلى حيث نحن اليوم ، بالنكبة ثم النكسة وما تخللهما من لجوء ونزوح .

وقد أوصلته هذه التجارب إلى قناعة بضرورة سلوك الأسلوبين معاً ، والكف عن اتباع أسلوب حيناً وأسلوب آخر حيناً آخر ، وفي مناسبات أخرى ، وبشرط أن لا يتزامن الأسلوبان فحسب ، بل أن يصدرا عن إرادة واحدة وقرار واحد ، وأن يكونا صفحتين لورقة واحدة أو وجهين لقطعة نقد واحدة .

من هنا كان تأسيس الإدارة السياسية وإدارة الإعلام في منظمة التحرير الفلسطينية موازياً ، في الزمان وفي الجهد وفي الاهتمام لإنشاء جيش التحرير الفلسطيني ، ومن العبث وضياع الوقت سدى للبحث لدى الشقيري عن تميز بين الأداة السياسية (شاملة الإعلام والصلات الدبلوماسية) وبين الأداة العسكرية (شاملة إنشاء الجيش وتدريبه ، وتزويده بالسلاح) فقد وزع همه واهتماماته بين المجالين بالتساوي ، وأشرف على إنشاء الكوادر السياسية والإعلامية بقدر ما أنشأ الكوادر العسكرية ، وكانت النتيجة أن النصف الثاني من الستينيات شهد حضوراً سياسياً فلسطينياً قوياً في الجامعة العربية وفي مؤتمرات القمة ، ومنها مؤتمر قمة الخرطوم ١٩٦٧ ، وفي الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصصة ، وفي العواصم والمؤتمرات والندوات السياسية الدولية والإقليمية ، كما شهد حضوراً عسكرياً فلسطينياً قوياً تجلى في حرب ١٩٦٧ ، وفي حرب ١٩٧٣ ، وفي عشرات المعارك مع العدو (لا ننسى الكرامة ، ولا معارك لبنان المتوالية في السبعينيات والثمانينيات) .

مع ملاحظة صغيرة هنا ، وهي أن أحمد الشقيري الأب الروحي لجيش التحرير الفلسطيني (الذي كان إنشاؤه معجزة ، بوجود قواته في ثلاثة أو أربعة أقطار عربية) ، كان أبعد ما يكون من معارضة العمل الفدائي كما زعم بعض خصومه أيام معارضتهم لرئاسته للمنظمة .

فقد كان يرى - رحمه الله - أن العمل الفدائي والعمل العسكري النظامي مرتبطان معاً ولا يجوز التفريط بأحدهما لمصلحة الآخر ، وكان يرى أن الوجود العسكري في مواجهة العدو ، يتطلب العملين معاً ، وإذا كان يسعى في الستينيات إلى التحكم بالعمل الفدائي ، فإنما كان يفعل ذلك ليضبط حركاته على إيقاعات العمل العسكري النظامي ليأمن شر انفراد أحدهما بالآخر ، وليأتي الجناحان النظامي والفدائي بالنتيجة العسكرية المرجوة التي أرادها تكملة للعمل السياسي وحامياً له كما بينا آنفاً .

وعلى غرار هذه المعادلة بين النضال المسلح والجهاد السياسي ، التي أرسى أحمد الشقيري قواعدها في الستينيات ولا تزال منظمة التحرير الفلسطينية تلتزم بها حتى اليوم ، أرسى الشقيري قواعد معادلة أخرى ، هي أيضاً في غاية الأهمية ، لكن لا يبدو أن منظمة التحرير لا تزال تلتزمها بنفس الجدية والقناعة اللتين مارسهما الشقيري بين رجال البحث والتخطيط وبين مسؤولي (الحكم) بين النظرية والتطبيق .

بادئ ذي بدء ، وقبل الاسترسال في هذه النقطة المثيرة للجدل ، نعترف بأن أحمد الشقيري لم يكن رجلاً ديموقراطياً حسب المفهوم الغربي الحديث لكلمة الديموقراطية (نظرية وممارسة) كلا كثيراً ما كان ينفرد بالقرار ، وكثيراً ما كان يفعل عكس مشورة المستشارين ، وكثيراً ما كان لا يستفتي ، ومجالسه الوطنية كان أعضاؤها أقرب إلى التعيين منهم إلى الانتخاب ، واللجان التنفيذية كانت لتنفيذ قراراته أكثر مما كانت للمشاركة في صنع القرار ، هذا كله صحيح ، ولكن لنضع المسألة في إطارها المحدد : هل جاء إلى الساحة الفلسطينية قبله أو بعده قائد أكثر من الشقيري ديموقراطية ؟ الجواب هو : كلا .

لكن فحص المسألة لا يكون بمجرد المقارنة ، إنه مجموعة حقائق ووقائع قد حصلت ، والمهم أنها قد حصلت مع أن صاحبها لم يعرف بديموقراطية أساليبه ، ولو نجحت كلها (ولم يكن وحده المسؤول عن عدم نجاحها ، في حالات عدم نجاحها) لكان الشعب الفلسطيني قد اختبر مناخاً من الديموقراطية ربما لم يعرفه إلا القليل جداً من الثورات في العالم الثالث ، وحتى في عدم نجاحها الكامل ، حققت تجربة الشقيري في هذا المجال خطوات لا بأس بها من النجاح ، مما جعل ثمارها يانعة لسنوات كثيرة من بعده ومما ترك بصمات لا تنمحي بسهولة .

أحمد الشقيري أول مسؤول فلسطيني كبير جمع حوله عدداً لا بأس به من رجال العلم والفكر والرأي ، من الشباب الفلسطيني المؤمن والملتزم ، النظيف والواعي والجاد ، وقد استقطبهم حوله ، وجندهم لخدمة منظمة التحرير الفلسطينية في سنواتها الأولى ، وبشكل خاص في عضوية اللجان التنفيذية ، وفي تولي مسؤوليات الإدارات والدوائر والمكاتب من : مالية وسياسية وإعلامية وتعبوية وقانونية ، ويعود الفضل إلى هؤلاء في إرساء قواعد هذه المؤسسات والإدارات على أسس سليمة وثابتة .

كان أحمد الشقيري حتى أيامه الأخيرة يفاخر بثلاثة إنجازات له ضمن منظمة التحرير الفلسطينية : جيش التحرير الفلسطيني ، والصندوق القومي الفلسطيني ، ومركز الأبحاث ، وكان الرجل على حق في ذلك .

في ذكرى أحمد الشقيري*

عبد المجيد أبو خالد

اثنان وعشرون عاماً مرت على ذكرى رحيل المناضل العربي والفلسطيني الكبير أحمد الشقيري ، أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسس العديد من المؤسسات الفلسطينية في المنظمة ، والذي عاش حياته كلها ومات من أجل قضية العرب المحورية .. فلسطين .

أحمد الشقيري رحل إلى الرفيق الأعلى تاركاً إرثاً كبيراً من مفاهيم وتعاليم نضال شعب عايش نكبته وتصدى لكل المؤامرات ، وفضح الممارسات الصهيونية في جميع المحافل الدولية ومن على منابر المنظمة الدولية التي تواطأت مع اليهود في أكبر عملية سرقة شهدها التاريخ الحديث وأكبر أعمال إجرام وإرهاب ومذابح ارتكبتها العصابات الصهيونية على أرض فلسطين، وما زال الكيان الصهيوني الدخيل يقوم بأعماله اللاإنسانية تحت أنظار وسمع العالم الذي يدعي الحضارة والمدنية .

أحمد الشقيري الثائر والمناضل الذي كان يحلم دائماً بالعودة إلى ربوع عكا وشواطئ حيفا ويافا وبساتين اللد والجليل .. الذي كان يحلم بالصلاة في المسجد الأقصى المبارك والحرم الإبراهيمي الشريف بالخليل .. الذي كان يحلم بتكحيل عينيه من بيداء السبع وجبال الناصرة اكتفى بأن يوارى جثمانه الطاهر في مقبرة الصحابي الجليل (أبو عبيدة عامر بن الجراح) في منطقة الأغوار على مقربة من فلسطين لعل يوماً يأتي يستطيع فيه أبناؤه نقل رفاته إلى تلك الأرض المقدسة بعد أن يتم تحريرها من رجس اليهود الغاصبين .

أحمد الشقيري مات حاملاً حسرة البعد والتهجير .. في عقله وقلبه معاناة شعبه الذي لم ولن يستكين .. ذلك الشعب الذي يقارع أعتى الأسلحة التي يمتلكها عدو في التاريخ ويصمم على الصمود والقتال نيابة عن الأمة العربية التي لم تستطع لغاية الآن أن ترتقي إلى مستويات التحدي والكبرياء؛ ليثبت هذا الشعب الذي أنجب الشقيري وغيره من المناضلين والثوار أنه بحق شعب الجبارين .

رحم الله أحمد الشقيري وهو عند الأنبياء والصديقين والشهداء، وستظل ذكراه مشعل نور يهتدي به الثوار والأحرار في العالم العربي والعالم أجمع، وسيظل مدرسة نضالية لكل المظلومين في العالم والمشردين عن أوطانهم وديارهم، وستظل ذكراه إلى الأبد مع شرفاء وأحرار هذه الأمة المناضلة المكافحة المدافعة عن وجودها وحقها .. وإن للشقيري علينا حقاً، فهل من أحد يؤديه ؟

شارع أحمد الشقيري تكريم لشعب فلسطين ومناضليه **

محمد رجب أبو رجب

ينظر أبناء الشعب الفلسطيني أينما وجدوا ، في داخل فلسطين المحتلة وفي الشتات ، إلى توجيهات فخامة الأخ رئيس الجمهورية اليمنية علي عبدالله صالح ، بتسمية أحد شوارع مدينة عدن باسم الزعيم المناضل الراحل أحمد الشقيري ، بأنه تكريم لهم ولنضالهم ولمناضليهم .

فبالأمس شهدت مدينة عدن تنفيذ توجيهات الأخ الرئيس ، إذ قام الأخ محافظ محافظة عدن أحمد الكحلاني ، والأخ يحيى محمد صالح رئيس جمعية كنعان لفلسطين ، بافتتاح الشارع الكائن في المنصورة ، والذي حمل اسم أحمد الشقيري ، ولم يفت أبناء الجالية الفلسطينية في عدن أن يعبروا عن فرحتهم من خلال الأغاني التراثية الفلسطينية والدبكة الشعبية ، يشاركهم فيها أبناء الشعب اليمني .

لم يكن أحمد الشقيري إلا واحداً من رموز العمل الوطني ، لا على الصعيد الفلسطيني وحسب بل على المستوى الوطني والقومي ، والمناصب التي شغلها في الأمم المتحدة ممثلاً لسورية ، ووزيراً للدولة في الأمم المتحدة ممثلاً للسعودية تؤكد ذلك .

ولم تتردد الجامعة العربية في عام ١٩٦٣م ، عندما أقدمت على تعيين أحمد الشقيري مندوباً لفلسطين في الجامعة العربية ، والذي حظي بالدعم الكبير من قبل عبدالناصر ، كما وقع عليه الاختيار لبحث القضية

(*) صحيفة شيحان ، عمّان ، ٢٠٠٢/٣/٩ .

(**) صحيفة ١٤ أكتوبر ، عدن ، ٢٠٠٦/٣/٤ .

الفلسطينية من كافة الجوانب ، والوسائل التي تدفعها في ميدان الحركة السياسية .

وفي عام ١٩٦٤م الذي شهد انعقاد القمة العربية الأولى ، صدر عنه قرار بإنشاء كيان وطني فلسطيني يعبر عن إرادة الشعب ، ويشكل هيئة تتولى المطالبة بحقوقه وتمكنه من تحرير أرضه وتقرير مصيره ، وهنا جاء الدور الهام والمؤسس الذي لعبه أحمد الشقيري ، إذ توجه - وبعد جولة في المخيمات الفلسطينية في الشتات - إلى وضع الميثاق الوطني الفلسطيني والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأجرى اتصالاته لعقد مؤتمر فلسطيني في القدس ، وعقد هذا المؤتمر في ٢٨ أيار / مايو عام ١٩٦٤م ، وقام بافتتاحه الملك حسين ، وسمي "المجلس الوطني الأول " وهو الذي أعلن إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وانتخب أحمد الشقيري رئيساً لها ، وأقر الميثاق القومي ، كما قرر إعادة بناء وإعداد الشعب الفلسطيني عسكرياً ، وعمل على إنشاء الصندوق القومي الفلسطيني .

اليوم ونحن نرى فخامة الأخ الرئيس علي عبدالله صالح يكرم الشقيري وشعب فلسطين ، فهو بشكل أو بآخر تثمين لمواقف أحمد الشقيري الوطنية ، والتي تلخصت في تأكيده على عروبة فلسطين وحق أبناء فلسطين في أرضهم ، ورفض المشروع الصهيوني والاعتراف بالصهيونية .

لقد أكد أحمد الشقيري أن تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية ، أهداف لا يمكن فصل أحدها عن الآخر .

هذا هو الشقيري الذي أحيا الكيان الوطني الفلسطيني بروحه الوطنية القومية ، والتي بقيت خالدة في ذاكرة أمتنا العربية و في ذاكرة الشعب اليمني الوفي .

أحمد الشقيري زعيم فلسطين وابنها البار *

زياد أبو شاويش

بداية لابد أن أتوجه بالشكر للأخ الصديق رافع الساعدي عضو الأمانة العامة لاتحاد كتاب فلسطين وعضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية " القيادة العامة " على مبادرته الطيبة بالدعوة لندوة أعدها بعناية لإلقاء الضوء على حياة رجل من رجالات فلسطين العظماء الذين قدموا لوطنهم وشعبهم الفلسطيني جل حياتهم . والشكر موصول لكل من ساهم في تكريم الرجل والاحتفاء به . وبعد ذلك لا يسعنا ونحن نمر بالذكرى الثالثة والأربعين لإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني والمجلس الوطني إلا أن نتذكر فارس فلسطين وبطلها الذي ما زال يمثل بحق رمزاً قل نظيره من رموز شعبنا المكافح ومنارة لكل من أراد الطريق الصحيح للعمل من أجل تحرير فلسطين كل فلسطين من الغزاة الصهاينة ، ولا أظنه إلا هدفاً مشروعاً ، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، وهذا ما كان يرفعه القائد الكبير أحمد الشقيري في حياته ، وفي وصيته قبل مماته .

تعود بي الذاكرة لأول مرة أرى فيها أحمد الشقيري في قطاع غزة ماراً بموكبه على الطريق الرئيسي الواصل بين رفح وأقصى نقطة على حدود صنعتها نكبة ١٩٤٨ في بيت لاهيا ، وكنت وقتها في المرحلة الإعدادية ، فلم أر ولم أصادف على مدار السنوات اللاحقة احتفاءً ولا ترحيباً بقائد أو زعيم لشعب هنا أو في باقي أنحاء العالم كما كان ترحيب شعبنا واحتفاؤه بالزعيم أحمد الشقيري ، وقد أكد لي بعض الإخوة من مخيم اليرموك أن الأمر قد كان على ذات الشاكلة في سورية ، ومخيم اليرموك على وجه الخصوص ، واستفاضوا في وصف كيف تم حمل سيارته بأكف الناس خمس مرات ولمسافة ليست قصيرة نسبياً خلال مروره الكريم في المخيم . إن تفسيراً منطقياً لهذا الترحيب لابد أن يتناول الرجل وما يمثل ، ففي الأولى كانت شخصية الشقيري وكلماته الثورية وخطاباته المفعمة بروح التحدي لـ " إسرائيل " ، وبالأمل في تحرير فلسطين قد سبقته إلى الناس ، وكما يقال فان كاريزما الرجل كانت قد وصلت في الأثناء إلى أقصى تأثيرها على الشعب الفلسطيني اللاجىء والمظلوم الذي كان ينتظر العودة لوطنه لستة عشر عاماً تسبق ذلك التاريخ المجيد من عمر شعبنا ورحلته المضنية لاسترجاع هويته الوطنية وحقه في أرضه ووطنه . وفي الثانية تلك الرمزية التي يمثلها الزعيم كواجهة محترمة ومعاكسة لواقع شعب مشرد ومهزوم ، وحلم يراود كل الشعب لعودة مظفرة لوطن تم اغتصابه في ظل صمت دولي وتواطؤ عربي من أنظمة تابعة وعميلة في فترة مظلمة وقاسية من تاريخ أمتنا العربية المبتلاة بقادتها سابقاً ولاحقاً .

إن الطريقة والسرعة القياسية التي أنشأ فيها وبها هذا القائد الفذ منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها وميثاقها ونظامها الأساسي يشير بكل الوضوح لقدرات هائلة يمتلكها هذا الرجل كما لإرادة وطنية صلبة وروح

(*) موقع الركن الأخضر ، ٢٠٠٧/٦/٥ ، http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=7319.

صادقة وإيمان عميق بحق الشعب في استعادة حقوقه كما شخصيته الوطنية . ففي مدة لا تتجاوز الخمسة أشهر نجح القائد والزعيم أحمد الشقيري في الاتصال بكل تجمعات شعبنا في المنطقة العربية واختيار لجان تحضيرية فيها ، والتي بدورها اختارت مندوبيها للمؤتمر الوطني الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس والذي صادق على الميثاق القومي للمنظمة والنظام الأساسي ، كما انتخب الشقيري رئيساً له ولمنظمة التحرير الفلسطينية وكلفه اختيار لجنتها التنفيذية التي تشكلت للمرة الأولى من ١٥ عضواً ، وفي هذا السياق عمل الرجل بكل حيويته على إنشاء مؤسسات منظمة التحرير فكانت الدوائر واللجان والإعلام وغيرها من المؤسسات التي لا زالت تعمل حتى يومنا هذا (يبدو أننا في حاجة لأحمد شقيري آخر لتفعيلها) .

وفي مؤتمر القمة الثاني الذي انعقد في أيلول / سبتمبر العام ١٩٦٤ قدم الشقيري إنجازه (الذي كلف به في المؤتمر الأول لرؤساء الدول العربية المنعقد في العام نفسه) . فصادقت عليه وعلى ميزانيته وبدأ مشوار النضال لشعبنا على سكة جديدة وصحيحة مبرزاً وجهه الفلسطيني ومتصدراً العمل العربي القومي من أجل تحرير فلسطين .. كل فلسطين .

ولد أحمد الشقيري في بلدة تبنين اللبنانية عام ١٩٠٨ (ويقال ١٩٠٧) حيث كان والده أسعد الشقيري منفياً لمعارضته السياسة التركية ، ومن ثم عاد إلى فلسطين للعيش في طولكرم مع والدته التي ما لبثت أن توفيت إثر مرض لم يمهلها كثيراً ، وكان أحمد الشقيري لا يزال في السابعة من عمره ، وكان هذا أول غيث الظلم الذي لحق به على مدار حياته الغنية والمليئة بالجهد والنضال والإنجازات .

انتقل بعدها إلى عكا لتلقي تعليمه الأساسي وبعدها إلى القدس ليكمل دراسته الثانوية حيث أتمها هناك في العام ١٩٢٦ ليلتحق بالجامعة الأميركية التي فصلته في العام التالي إثر قيادته مظاهرة كبيرة في حرم الجامعة ضد الاحتلال الفرنسي للبنان ، وأبعد عن لبنان عام ١٩٢٧ .

وجدير بالذكر أن الشقيري قد وثق علاقته بالقوميين العرب وانتسب عضواً في جمعية العروة الوثقى المعروفة بعروبتها ومناداتها بالاستقلال .

عاد إلى القدس والتحق بمعهد الحقوق ليصبح محامياً وفي نفس الوقت محرراً في صحيفة مرآة الشرق المقدسية . شارك أحمد الشقيري في أحداث ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، ونشط أمام المحاكم البريطانية دفاعاً عن المعتقلين الفلسطينيين ، كما شارك في مؤتمر عام ١٩٣٧ للدفاع عن حق شعبنا فلاحقته السلطات البريطانية فغادر إلى مصر عام ١٩٤٠ .

بعد وفاة والده عاد إلى فلسطين حيث افتتح مكتباً للمحاماة . ثم لتختاره القيادة الفلسطينية وبموافقة عربية ليرأس مكتبها الإعلامي في واشنطن مدافعاً عن حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وليواجه دعايات الصهاينة اليهود في الترويج لإقامة وطن لهم في فلسطين ، وضد الهجرة اليهودية وغير ذلك من قضايا الصراع في ذلك الزمن .

في العام ١٩٤٩ — ١٩٥٠ وبعد هجرته القسرية - إثر النكبة - إلى لبنان عمل ضمن الوفد السوري للأمم المتحدة إذ كان يحمل الجنسية السورية، ثم أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية حتى العام ١٩٥٧ . اختير بعد هذا وزير دولة لشؤون الأمم المتحدة في العربية السعودية ، ومن ثم ممثلاً دائماً لها في الأمم المتحدة ولعدة سنوات .

وفي عمله الدبلوماسي كرس الشقيري كل جهوده لخدمة القضية الفلسطينية وقضايا الاستعمار في المغرب العربي ، وكان مدافعاً صلباً عن حقنا في كامل أرضنا ، ولم يسجل في تاريخ الرجل أي تنازل عن هذا الحق لا بشكل مباشر ولا بطريقة غير مباشرة .

في أعقاب وفاة السيد أحمد حلمي عبد الباقي ممثل فلسطين في الجامعة العربية ورئيس حكومة عموم فلسطين ، اختير الشقيري ليشغل ذلك المنصب من قبل رؤساء الدول العربية حينها .

وكما ذكرنا فقد تم تكليفه في مؤتمر القمة الأول تأسيس منظمة التحرير عام ١٩٦٤ .

في العام ١٩٦٥ بتاريخ ٣١ / ٥ — ٢ / ٦ انعقد المؤتمر الوطني الثاني للمجلس الوطني، فقدم الشقيري استقالته من رئاسة المجلس ليتفرغ للجنة التنفيذية التي انتخب لرئاستها، ومكلفاً إياه تسمية أعضائها الخمسة عشر .

بعد هزيمة عام ١٩٦٧ والتي تصادف ذكراها الأليمة في الخامس من حزيران / يونيو قدم المكافح الكبير ورمز فلسطين استقالته إلى اللجنة التنفيذية في كانون الأول / ديسمبر من نفس العام حيث قبلت اللجنة استقالته ، وانتخبت يحيى حمودة رئيساً بالوكالة .

بقي في مصر يمارس الكتابة ولا يقوم بأي عمل رسمي حتى وقع السادات اتفاقية كامب ديفيد التصفوية ، فغادر مصر غاضباً ليقيم في تونس . لم يمهله المرض طويلاً في تونس ، حيث انتقل إلى رحمة الله في الخامس والعشرين من شباط / فبراير ١٩٨٠ ، عن عمر ناهز الثانية والسبعين . وقد تم دفنه في مقبرة الصحابي الكبير أبوعبيدة عامر بن الجراح في غور الأردن ، وعلى بعد أقل من ثلاثة كيلو مترات عن حدود فلسطين كما

أوصى . قدّم الراحل العديد من المؤلفات للمكتبة العربية والفلسطينية، منها : قضايا عربية - دفاعاً عن فلسطين - فلسطين على منبر الأمم المتحدة - أربعون عاماً في الحياة السياسية - مشروع الدولة العربية المتحدة - من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب - حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء العرب .

وبعد ... هل هذا كل شيء عن الراحل الكبير والقائد الفذ أحمد الشقيري ؟ لا أحد يستطيع أن يعطي الموضوع حقه سواء بالإحاطة بنضاله وعطائه لشعبه وقضيته ، أو بسيرة حياة عطرة تمثل بكل المواصفات نموذجاً متميزاً لقائد يحب شعبه ويصدقه القول والعمل .

إن هذا التقييم لرجل فلسطين وفارسها العظيم لا ينفي وجود ثغرات وأخطاء في حياة الرجل ، الأمر الطبيعي في مناخات السياسة العربية المقيتة والهابطة التي كان الرجل يتعاطى معها مرغماً في الأغلب الأعم ، ولعله القائد الفلسطيني الأكثر تعرضاً لظلم ذوي القربى من القادة العرب ، وحتى من الفلسطينيين الذين لم يروا في الرجل سوى سلبياته ونقائصه .

لكن شجاعة الزعيم الوطني أحمد الشقيري ودفاعه المستميت عن قضية شعبه أمام كل محفل عربي ودولي ، سواء أكان ذلك في زمن سابق لإنشاء منظمة التحرير ، أو أثناء توليه قيادتها وحتى بعد استقالته منها وإلى يوم وفاته يغفر له أخطاءه وسلبياته ، وكما نوهنا لم يسجل على الرجل أنه اقترب من الاعتراف بالعدو الصهيوني أو تقبل وجوده على أرضنا العربية .

ولا يفوتني أن أذكر موقفه الأبي والشجاع في مؤتمر قمة الخرطوم اللاحق لهزيمة حزيران ، والذي قدم فيه لاءاته السبع ، ليتم اختصارها إلى ثلاث ، فينتفض الشقيري غاضباً ويغادر المؤتمر محملاً القادة العرب مسؤولية قراراتهم التي لا تتناسب وحجم الهزيمة التي أسموها نكسة . وغني عن القول أن أحمد أسعد الشقيري سبق أن اعتقل لمرات عديدة ونفي ولوحق من قبل السلطات البريطانية المحتلة ، فما وهنت له عزيمة وما تخاذل أمام الضغوط والإغراءات .

وفي الختام لا يفوتني أن أذكر بكل الحب والتقدير والعرفان ، الانسجام الكبير والوطني لرجل كبير أعطاه شعبه حباً وتقديراً فأعطى شعبه الوفاء والإخلاص ، ويحضرنا للدلالة على هذا الصورة الجميلة والمعبرة للقائد حين استقبله شعبه في غزة وسورية بشكل لا نظير له ، حينما حمل بسيارته على أكف المستقبلين من أبناء وطنه ، يقابلها القائد نفسه وبصورة أروع حين نزل سائراً على قدميه إلى دار القضاء العالي في القاهرة ، ليدافع عن أبناء هذا الشعب الوفي الذين قاموا باغتيال من اعتقدوا أنه وراء ما حدث لشعبنا من مجازر في أيلول الأسود في الأردن.

قضية العرب التي كانت مركزية !*

صلاح عيسى

لا بد أنك جربت مثلي ، هذا الإحساس بخيبة الأمل التي تناوشك حين تلتقي بالمصادفة ، بأول فتاة أحببتها ، بعد ثلاثين عاماً من الفراق ، ظل الشوق إليها يطاردك خلالها ، فما تكاد تراها ، بعد كل تلك السنوات ، حتى تذهلك أطنان الشحم التي أحاطت بقدها المياس فحولها إلى منطاد ، وزحام التجاعيد الذي قضي على كل ما كان جمالاً في ملامحها ، فتروح تسأل نفسك في دهشة ، عما فتنك فيها ، واجتذبك إلى حبها .

شيء من ذلك حدث لي ، حين عثرت - بعد ثلاثين عاماً من البحث شوقاً - على طبعة ثانية من مذكرات الزعيم الفلسطيني أحمد الشقيري ١٩٠٨ - ١٩٨٠ ، فانكببت على قراءتها ملهوفاً ، لأستعيد المتعة التي شعرت بها وأنا أقرأ طبعتها الأولى في منتصف السبعينات ، فإذا بهذه المتعة ، تضيع بين أطنان الشحم وازدحام التجاعيد . ولعل السبب أن ما كان جديداً وباعثاً على الدهشة ومشوقاً للقراءة من الوقائع التي رواها الشقيري في مذكراته ، قبل ثلاثين عاماً ، أصبح الآن قديماً ومعروفاً ، وأن ما أذاعه من أسرار حول موقف النظم العربية من قضية فلسطين ، كما سمعها بأذنيه أثناء الاجتماعات المغلقة للرؤساء والملوك العرب ، في أربعة من مؤتمرات القمة العربية ، عقدت ثلاثة منها قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وعقد الرابع في الخرطوم بعد هذه الهزيمة مباشرة ، أصبح متكرراً ، وبالتالي غير صالح لإثارة الدهشة ، إلا دهشتي أنا من نفسي ، لأنني ظللت كل هذه السنوات أبحث عنه ، بينما كنت خلالها أعيد قراءته كل يوم من دون أن أدري أنني أفعل ذلك .

وسياسة مؤتمرات القمة العربية ، بدأت في مايو ١٩٤٦ ، حين انعقد أول مؤتمر للملوك والرؤساء العرب

(*) الأهرام العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٧/١٢/١ .

في أنشاص بدعوة من الملك فاروق - ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور - وحضره ، فضلاً عن ملوك ورؤساء السعودية والأردن والعراق واليمن وسورية ولبنان ، وهي الدول العربية السبع التي كانت قد حصلت على استقلالها حتى ذلك الحين ، وكانت قمة أنشاص هي التي أعلنت لأول مرة ، وبشكل رسمي ، أن قضية فلسطين ليست خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، بل هي قضية العرب جميعاً ، وهو المنطق نفسه الذي استند إليه الرئيس عبدالناصر لدعوة الملوك والرؤساء العرب ، لوقف ما بينهم من حروب باردة وساخنة ، وليستأنفوا بعد ١٧ سنة من عقد أول مؤتمر لهم سياسة مؤتمرات القمة ، ويواجهوا مشروع « إسرائيل » بتحويل مجرى نهر الأردن باعتباره خطراً يهدد قضية فلسطين التي لا تخص - كما قال البيان الختامي لقمة أنشاص - شعب فلسطين وحده ، بل هي قضية العرب جميعاً .

وكما أن نكبة ١٩٤٨ التي ضاع فيها حوالي ٨٠٪ من أرض فلسطين التاريخية وأكثر من نصف ما كان مخصصاً للفلسطينيين بمقتضى قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، جاءت بعد عقد قمة أنشاص بعامين ، فإن نكسة ١٩٦٧ التي ضاع فيها كل ما كان قد تبقى للفلسطينيين مما خصصه لهم قرار التقسيم من أرض بلادهم ، قد أعقبت مؤتمرات القمة الثلاثة التي عقدت عامي ١٩٦٤ ، و ١٩٦٥ على نحو يدعو للتساؤل : هل هناك تلازم ما بين القمم العربية وبين ضياع فلسطين ؟ وبمعنى أوضح : هل كان إعلان العرب بأن قضية فلسطين تخص العرب جميعاً ، وليس الفلسطينيين وحدهم ، وأنها قضية العرب المركزية هو سبب ضياع فلسطين ؟

كان هذا هو السؤال الذي شغلني وأن أعيد قراءة مذكرات أحمد الشقيري بنظرة - وذاكرة - تختزنان وقائع ومشاهد كل ما جرى خلال السنوات الثلاثين التي مضت منذ قرأتها لأول مرة ، لأتوقف أمام ما عاناه من متاعب وعراقيل ومطبات صناعية ، بسبب التفسير العربي الرسمي لشعار فلسطين قضية لا تخص الفلسطينيين وحدهم ، لكنها تخص العرب جميعاً ، الذي رفعته قمة أنشاص ، وترجمته القمم التالية إلى شعار (فلسطين قضية العرب المركزية) لينتهي في التطبيق إلى أن فلسطين قضية تخص العرب جميعاً فيما عدا الفلسطينيين .

وكان ذلك هو اللبس - المقصود والمتعمد - الذي حاول أحمد الشقيري على امتداد السنوات الخمس التي شغل خلالها مقعد مندوب فلسطين الدائم في الجامعة العربية ، وموقع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٨ ، أن يقنع الملوك والرؤساء العرب بأن كون قضية فلسطين هي قضية العرب المركزية ، لا يعني ألا يكون للفلسطينيين أنفسهم رأي فيما يتعلق بها ، وأن التضامن العربي مع القضية لا يعني أن يحل المتضامنون محل صاحبها في التصرف فيها .. وإذا كان صحيحاً أن المؤسسات التي تمثل الشعب الفلسطيني قد تدمرت بعد احتلال أراضيه عام ١٩٤٨ ، فمن الصحيح - كذلك - أن مسؤولية تدمير هذه المؤسسات ، تقع بالدرجة الأولى على عاتق المتضامنين معه ، الذين أخطأوا منذ البداية فهم المعنى الحقيقي للتضامن ، واعتبروه حلولاً محل التضامن معه .

وكانت محاولة إعادة تفسير شعار فلسطين قضية العرب المركزية هي مصدر المتاعب الكثيرة التي عاناها أحمد الشقيري ، عندما حاول في ظل سياسة مؤتمرات القمة العربية ، أن يعيد إحياء الكيان الفلسطيني ، بما يحفظ للشعب الفلسطيني دوره في قضية تحرير الأرض المحتلة ، إذ كانت هناك مخاوف وشكوك لدى الأردن وحلفائها فميا كان يعرف آنذاك بمعسكر المحافظين العرب ، من أن يكون الهدف من إحياء هذا الكيان ، هو سلخ الضفة الغربية عن الأردن ، وإقامة حكومة فلسطينية فيها ، تتحالف مع ما كان يوصف بأنه معسكر التقدميين العرب ، وكان لدى المعسكرين شكوك بأن إحياء هذا الكيان يسعى لإلغاء شعار فلسطين قضية العرب المركزية لتتحول إلى قضية قطرية تخص الفلسطينيين وحدهم ، فيتحالفون مع أحد المعسكرين ضد الآخر ، أو يستقلون عنهما معاً فيفقدان معاً ورقة سياسية رابحة ، كان كل منهما يستغلها في التشهير بالآخر ، وكان كلاهما يجني من ورائها - بالحق أو بالباطل - جماهيرية لا يستحقها .

وتزدحم مذكرات الشقيري بمئات الوقائع والتصريحات والأقوال ، تكشف التناقض الحاد بين ما يقوله الملوك والرؤساء العرب في العلن ، وما يصدر في البيانات الختامية لمؤتمرات القمة العربية من جانب ، وبين المواقف الفعلية والأقوال الحقيقية التي صدرت عنها في الجلسات السرية لهذه المؤتمرات ، التي كان السبب الحقيقي لدعوة عبدالناصر إلى عقدها ، هو وضع خطة عربية لحرمان « إسرائيل » من الاستفادة بالمشروعات التي تقيمها في أراضيها ، لتحويل مياه روافد نهر الأردن ، بإقامة مشروعات لتحويل هذه الروافد في لبنان ، ومع أن لبنان لفت نظر الرؤساء والملوك منذ البداية ، إلى أنه مع استعداده لإقامة هذه المشروعات على أراضيه ، إلا أنه لا يملك قوة عسكرية للتصدي لأية محاولة قد تقوم بها « إسرائيل » لتدمير مشروعات التحويل العربية ، ومع أن مؤتمرات القمة العربية وضعت خطة لتشكيل قيادة عربية موحدة ،

تتولى تشكيل وتدريب فرق عسكرية لحماية هذه المشروعات ، فإن هذه القيادة ظلت على امتداد خمس سنوات بلا عمل ، لسبب بسيط ، هو أن الدول العربية التي تعهدت بتمويل إنشاء هذه الفرق ، لم تدفع ديناراً ولا فلساً واحداً مما تعهدت به .

وكان لا بد أن يحدث ما حدث : دمرت « إسرائيل » مشروعات التحويل العربية ، التي لم تجد من يدافع عنها فتوقفت ، ثم توقفت مؤتمرات القمة العربية نفسها في صيف عام ١٩٦٥ ، بعد تجدد الصراع بين معسكر المحافظين ومعسكر الثوريين ، ولم تستأنف إلا بعد أن وقعت هزيمة ١٩٦٧ ، ليجتمع العرب في مؤتمر الخرطوم ، ويرفعوا شعار إزالة آثار العدوان بدلاً من شعار تحرير فلسطين ، فيحتج أحمد الشقيري على ذلك ، وينسحب من المؤتمر ، ويعلن أن منظمة التحرير الفلسطينية ستعيد تنظيم مؤسساتها لتكون قادرة على مواصلة الكفاح ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي متلاحمة مع جميع القوى المناضلة في الوطن العربي .

وبعدها بأشهر ، قدم إليه سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مذكرة يطلبون منه فيها الاستقالة من منصبه .

وذلك ما كان .. وما انتهى عام ١٩٧٤ بإقرار مؤتمر القمة العربية في الرباط بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، ليفاجأ العرب في عام ١٩٩٣ ، برئيس هذه المنظمة ياسر عرفات وهو يوقع في أوسلو اتفاقاً يتبادل فيه الاعتراف بـ « إسرائيل » ، وكان أحمد الشقيري قد غادر الدنيا ، بعد عام واحد من توقيع المعاهدة المصرية - الإسرائيلية .

الشقيري .. مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية *

محمد الكسيح

« هذه السيدة المحترمة التي ولدت في روسيا ، وتزوجت في أميركا ، وعاشت في بولونيا ، ثم استقرت في بلدي قد جاءت إليكم من تل أبيب لكي تفسر لكم لماذا وكيف وبأي حق يحتل الغريب أرض صاحب الحق ؟ وكيف وبأي حق يطرد اليهود العرب من بلادهم ؟ .. قولوا أيها السادة لهذه السيدة المحترمة ، إن الشعب الفلسطيني موجود ولن تذيبه قوة في الوجود ، وإن عليها أن تعود إلى أميركا أو بولونيا أو روسيا ؛ حيث بعض أهلها ، وأن تترك أهلي يعودون لأنهم سيعودون إلى وطنهم ذات يوم أحرارا » . هذه هي كانت كلمات الشقيري ، والتي وجهها إلى جولدا مائير في الأمم المتحدة عندما طالبت بإلغاء بند المساعدة الخاص بالشعب الفلسطيني ، وقالت باستهتار واستفزاز أين هو الشعب الفلسطيني هذا الذي تطرحون قضية صرف المساعدات له كل عام ؟ إنه لا يوجد اليوم شعب اسمه الشعب الفلسطيني ، وكان الشقيري وقتها وزير السعودية لشؤون الأمم المتحدة ، وبعد هذه الحادثة تبنى الشقيري دعوة الدول العربية والشعب الفلسطيني إلى إقامة جبهة ثورية على غرار جبهة التحرير الجزائرية لتعلن الحرب على « إسرائيل » رافعاً شعار : إن رصاصة تطلق على أرض فلسطين يتردد صداها في أروقة الأمم المتحدة أكثر من مائة خطاب ، وأكثر من ألف مشروع قرار ، وبالفعل جرى تعيينه في منصب ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية .

الخطيب

حفظ الشقيري القرآن الكريم ، إلى جانب المئات من الأحاديث النبوية ، وأقوال الخلفاء والصحابة ، كما كان يقرأ ويكتب باللغة الإنجليزية تماماً مثل براعته في اللغة العربية ، وعندما كان في الأمم المتحدة كان مشهوراً عن « المسيو فيشنسكي » مندوب السوفييت الدائم في الأمم المتحدة بأنه من أعظم الخطباء الذين وقفوا على منبر المنظمة الدولية ، وكان الكثيرون يعتقدون أن الشقيري الذي كان يبدع في خطاباته باللغة العربية أو الإنجليزية أخذ يخطف الأضواء منه ، حتى إنه كان ذات يوم يحيط به عدد من المندوبين العرب عندما رأوا الشقيري مقبلاً عليهم داعبوا المسيو فيشنسكي فقالوا له هذا هو الشقيري الذي نعتبره فيشنسكي العرب .. فرد عليهم المندوب السوفييتي قائلاً : ولماذا لا تقولون إن فيشنسكي هو شقيري السوفييت ؟! . لم يأخذ الشقيري منصبه في الجامعة العربية على أنه منصب بروتوكولي كما كان يظن الذين قاموا بتعيينه ، بل انطلق الشقيري في سلسلة زيارات أزعجت كل الدول العربية ، إذ إنه أخذ يتجول في مخيمات اللاجئين في البلاد العربية ، ثم أخذ يزور الدول العربية ، و يعرض عليها مشروعه ؛ حيث وجد معارضة في البلاد التي لم

(*) الميزان ، أناندل ، فيرجينيا ، ٢٠٠٩/٣/٢٧ .

تكن تتوقع أن تتحول مهمة الشقيري إلى إقامة تنظيم يتحول في النهاية إلى جيش مسلح ؛ حيث أكد الشقيري على أن الكفاح المسلح هو وحده الطريق السليم لعودة اللاجئين ، وأن المساومات السياسية لا يمكن أن تحرر فلسطين ، ففي مؤتمر القمة العربية الأول يناير ١٩٦٤ اكتفي بتكليفه بإجراء اتصالات مع الشعب الفلسطيني حول فكرة إنشاء كيان فلسطيني ، إلا أنه ذهب بهذا التكليف إلى أبعد مما أراد أصحاب الجلالة والسمو والفخامة والسيادة من الملوك والرؤساء العرب ، وقام بإعلان منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً للشعب الفلسطيني في مؤتمر وطني تأسيسي عقده في القدس في أيار/ مايو ١٩٦٤ ، ولكن مواقفه القوية كانت سبباً في إزالته عن الحياة السياسية بعد ذلك .

توفي الشقيري في ١٩٨٠/٢/٢٦ وامتثالاً لوصيته كما ذكرت في مقدمة كتابه « خرافات يهودية » تم دفنه في مقبرة الصحابي أبي عبيدة بن الجراح فاتح فلسطين ، ومحرر بيت المقدس ، وهي المقبرة الواقعة في الأغوار الأردنية ؛ حيث تم دفنه في مقابر الأبطال وقادة الفتوحات إلى جانب أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ ابن جبل ، وشرحبيل بن حسنة ، ولأنه لم تطب نفسه في تحرير القدس وبقية الأراضي المحتلة فقد طابت نفسه أنه استقر إلى جوار الذين هزموا ذات يوم الأعداء ، وحرروا ذات يوم أرض المقدسات .

وفي يوم ذكرى الشقيري نتذكر هذه الأبيات من قصيدة الأستاذ الشاعر هارون هاشم رشيد :

أهكذا ، هكذا تمضي وترتحلُ
والبيت مغتصب والشعب معتقلُ
إيه خطيب فلسطين، وحُجّتها
من أي صفحاتك الغراء أنتهلُ
وأنت عمر بلادي عمر غضبتها
وعمر من صمدوا فيها ، ومن بذلوا

البشير الإبراهيمي يستعين بالشقيري للدفاع عن الجزائر *

في ذكرى المناضل العربي أحمد الشقيري ٢٠١٠/٢/١٠

محمد الهادي الحسني

في مثل هذه الأيام منذ ثلاثين سنة غيّب القدر وجهاً كريماً ، وشخصاً عظيماً من وجوه العرب وعظمائهم ، الذين آمنوا بوحدة هذه الأمة التي زكا أصلها ، ونما فرعها ، وعملوا بكل ما أوتوا من قوة لكي تعود سيرتها الأولى عزيزة الجانب ، كريمة الحياة ، وأعني بهذا الوجه الأصيل المناضل الفلسطيني أحمد الشقيري رحمه الله ، الذي لا يعرفه أبناء هذا الجيل من العرب ، لأنهم أريد لهم أن يجهلوا أمثال هذا الرجل ، ويقدّم لهم أناس « ليس لهم في المكرمات جلّ ولا قلّ » .

ولد أحمد الشقيري في سنة ١٩٠٨ في قلعة تبنين بلبنان من أب فلسطيني وأم تركية لم يؤدم بينهما فافترقا ، فتزوّجها عمه سليم الذي كان مقيماً في طولكرم بفلسطين ، ولكن أمه لم تمتد أيامها ، فتوفاها الله في سنة ١٩١٥ ، فاضطر أحمد أن يلتحق ببيت أبيه في مدينة عكا ، التي تعلم فيها المرحلة الابتدائية .

في تلك الأثناء - وهو لما يبلغ الحلم - تناهى إلى سمعه ما كان يتداوله الكبار من حديث عن ذلك الوعد المشؤوم ، الذي تولّى كبره المجرم اللورد بلفور ، الذي تعهّد فيه باسم بريطانيا بإنشاء « وطن » في فلسطين لـ« جراد أوروبا » ، ثم لم يلبث أن رأى الجيوش الإنجليزية وهي تحتل فلسطين في سنة ١٩١٧ بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى ، التي كان من عواقبها المباشرة على عائلة الشقيري أن طردت من بيتها في عكا بدعوى موالاة والده لتركيا ، وقد اتخذ ضباط الإنجليز ذلك البيت مسكناً لهم ، ومن الأمور التي انطبعت في ذهن الفتى أحمد آنذاك تدفق آلاف اليهود على فلسطين تحت حماية البغاة الإنجليز ، الذين « هم أوّل الشرّ ووسطه وآخره منهم يبتدي وإليهم ينتهي » ، كما يقول الإمام الإبراهيمي .

أتمّ أحمد الشقيري دراسته الثانوية في القدس ، ثم التحق بالجامعة الأميركية في بيروت ، فانغمس في النشاط الطلابي ، مما أدّى إلى طرده من الجامعة ، ثم من لبنان لقيادته مظاهرة طلابية ضد الوجود الفرنسي في الشام ، وكان ذلك في سنة ١٩٢٧ .

رجع أحمد إلى فلسطين ، والتحق بمعهد الحقوق ، وكان في الوقت نفسه يعمل في جريدة « مرآة الشرق » ، وكان أول مقال له تحت عنوان : « تقدّم أيها الشاب واطرد أباك » ، احتجاجاً على الزعامات الفلسطينية ، التي كانت منشغلة بالكيد لبعضها ، لاهية عن الخطر الصهيوني ، الذي سيأتي عليها كلها .

(*) الشروق ، الجزائر ، ٢٠١٠/٢/١١ .

تحمس الشاب أحمد الشقيري للثورة الفلسطينية الكبرى التي اندلعت في عام ١٩٣٦ ، وكان إسهامه فيها هو الدفاع عن الثوار الذين قبضت عليهم السلطات الإنجليزية ، فعلم أن هذه السلطات تتربّص به ، فلجأ إلى مصر إلى سنة ١٩٤٠ ، حيث عاد إلى فلسطين بسبب وفاة والده ، وفتح مكتباً خاصاً به للمحاماة .

أسّست جامعة الدول العربية ، وتقرر تأسيس مكاتب تابعة لها في بعض العواصم ، للتعريف بالقضايا العربية والدعاية لها ، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية ، وعُيّن أحمد الشقيري مديراً لمكتب الإعلام العربي في واشنطن ، ثم أعيد للمهمة نفسها في مكتب الإعلام العربي المركزي في القدس ، الذي استمر فيه حتى وقعت الجريمة الكبرى في ١٩٤٨ بتأسيس الكيان الصهيوني الهجين ، بدعم مباشر من أكابر مجرمي العصر الحديث : بريطانيا ، أميركا ، فرنسا ، الاتحاد السوفييتي .. فأصبح الشقيري من اللاجئين مثل مئات الآلاف من الفلسطينيين .. وراح يضاعف نشاطه في سبيل قضية بلده من خلال ما أسند إليه من مهام في بعض الدول العربية أو في جامعة الدول العربية التي عُيّن فيها أميناً عاماً مساعداً من عام١٩٥١ إلى ١٩٥٦ ، ويدعو إلى الإعداد الجيد لاستعادة الكرامة المغصوبة ، واسترجاع الأرض المسلوبة ، لأنه كان يؤمن « أن القانون الدولي لن ينقذ فلسطين » .

في خريف ١٩٥١ حضر الشقيري دورة الأمم المتحدة التي عقدت في باريس نائباً لرئيس الوفد السوري فارس الخوري ، وكان الإمام محمد البشير الإبراهيمي قد ذهب إلى باريس لكي يتصل بوفود الدول العربية والإسلامية ، ويطلب منها طرح القضية الجزائرية ، فكان ممن تعرف إليهم وأعجب بهم ، وأعجبوا به فاضل الجمالي (العراق) ، فارس الخوري (سورية) ، صلاح الدين باشا (مصر) ، عبد الرحمن عزام (أمين عام جامعة الدول العربية) ، أحمد الشقيري (نائب رئيس الوفد السوري) .

لقد احتفظ الإمام الإبراهيمي للشقيري - منذ ذلك اللقاء - بصورة حسنة من حيث معارفه الواسعة ، وعواطفه الصادقة ، وقدرته على العمل ، وقد ازداد الإمام تأكداً من هذه الجوانب في الشقيري بعدما سافر إلى المشرق في ربيع عام ١٩٥٢ ، للدعاية للقضية الجزائرية ، ولهذا عندما أذن ربّك بإعلان الجهاد في الجزائر في عام ١٩٥٤ ، ووقفت الدول العربية إلى جانب الشعب الجزائري في جهاده ، وكان في مقدمة تلك الدول المملكة العربية السعودية التي كانت أول دولة « تكلفت بعرض قضية الجزائر في هيئة الأمم المتحدة » [١] ، بعث الإمام الإبراهيمي رسالة إلى الملك سعود جاء فيها : « **اسمحوا لنا .. - يا صاحب الجلالة - أن نلفت نظر جلالتكم إلى أن من بين رجالات العرب رجلين متخصصين في الإلمام التام بشؤون الجزائر من جميع نواحيها ، مع الإخلاص والغيرة والجراءة ، ومع الصدق في خدمة جلالتكم وهما : الأستاذ أحمد بك الشقيري ، والأستاذ عبد الرحمن عزام باشا ، فإذا وافق نظركم السامي على أن تكلفوهما - أو أحدهما - بالاستعداد من الآن لمتابعة قضايا الجزائر والدفاع عنها باسم جلالتكم كعون وتعزيز لسفارتكم بواشطن ، إن رأيتم هذا ووافقتم عليه كنتم قد وضعتم القضية في يد محامٍ بارع ، عالم بأدلتها وبراهينها ، محيط بجزئياتها وكلياتها ، ولكم النظر الحالي في تفاصيل الموضوع وكيفياته** » [٢] .

وقد استجاب الملك سعود لاقتراح الإمام الإبراهيمي ، وعيّن أحمد الشقيري ممثلاً للمملكة السعودية في الأمم المتحدة ، حيث جادل عن قضية الجزائر وقضايا العرب جدالاً حاراً ، حتى قال الرئيس الأميركي آيزنهاور في مؤتمر صحافي : « إن الشقيري لا يمثل المملكة العربية السعودية !؟ » [٣]

لقد ألقى أحمد الشقيري من على منبر الأمم المتحدة خطباً رائعة من حيث القوة المنطقية والبلاغية ، وفي أول خطاب ألقاه دفاعاً عن الجزائر نبّه إلى « أن الجزائر لا تكافح لتنال استقلالها ، ولكنها تكافح لتسترد وتستعيد استقلالاً انتزع منها ، إن الجزائر لا تكافح لتبني دولة جديدة؛ ولكنها تكافح لتسترد وتستعيد دولتها التي كانت قائمة في زمن لم يكن فيه عدد من الدول المعاصرة قائمة أو موجودة » [٤] ، وعندما زعم وزير خارجية فرنسا أن للثورة الجزائرية صلة بالشيوعية لينفضّ عنها الشعب الجزائري والشعوب الإسلامية ، ردّ عليه الشقيري قائلاً : « إذا كان شيء من هذا موجوداً في الجزائر فإني لا أرى داعياً لأن يتسرب القلق إلى المسيو بينو ، ذلك أن الشيوعية لها وجودها وأثرها في المجتمع الإفرنسي .. » [٥] . وعن العون الذي تتلقاه الجزائر من الدول الشقيقة والصديقة واحتجاج

---

(١) مولود قاسم ، نايت بلقاسم : **ردود الفعل الأولية على غرة نوفمبر** .. ص٢٠٣ .

(٢) **آثار الإمام الإبراهيمي** ج٥ ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) خيرية قاسمية : **أحمد الشقيري ، زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً** ، ط إلكترونية . ص ١٠٣ .

(٤) أحمد الشقيري : **قصة الثورة الجزائرية** ، ص١٦ . ويظن أناس أن الأستاذ مولود قاسم هو أول من استعمل هذا التعبير .

(٥) المرجع نفسه ، ص٢٦ .

فرنسا على ذلك ، قال الشقيري : « إن فرنسا التي تشكو الآن من العون الخارجي الذي يُقدّم للجزائريين كان لها شأن مع العون الخارجي ، لقد قدّمت عوناً ، وقد تلقت عوناً » [1] . ومن أروع ما قاله أحمد الشقيري : « الرئيس ديغول خيب آمالنا في الجنرال ديغول » . وعندما أجبر الشعب الجزائري ومجاهدوه الجنرال ديغول على الاعتراف بحق الشعب الجزائري ، لم يرَ الشقيري في ذلك فضلاً لديغول على الجزائر ، بل خطب يقول : « الجنرال ديغول حرّر فرنسا مرتين .. في المرة الأولى استطاع أن يحرر فرنسا من النازية ، وفي المرة الثانية كان للرئيس ديغول دور كبير في تحرير فرنسا من الاستعمار » [2] .

لقد كتب القدر أن يكون أحمد الشقيري هو أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومن أهم ما أنجزه في الفترة القصيرة التي رأس فيها المنظمة تكوين جيش التحرير الفلسطيني ، وقد عانى من إخوانه أكثر مما عانى من أعدائه ، مما جعله يردد : « إنني قضيت أيامي وأعوامي في منظمة التحرير وفي عنقي ثلاثة عشر حبلاً يمسكها ثلاثة عشر ملكاً ورئيساً » [3] .

استقال الشقيري من رئاسة المنظمة في ديسمبر ١٩٦٧ ، واستقر في القاهرة التي غادرها بعدما فعل السادات فعلته بالتنكر لأمته وموالاته لأعدائها ، واستقر فترة في تونس إلى أن اشتدت عليه وطأة المرض ، فنُقل إلى عمّان بالأردن ، حيث أتاه اليقين في ٢٦ فبراير من سنة ١٩٨٠ ، وقد أوصى أن يدفن في مقبرة الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح في غور الأردن ، على بعد ٣ كم من حدود فلسطين مع الأردن ، رحم الله المناضل الكبير أحمد الشقيري ، وجزاه عما قدمت يداه لدينه ولوطنه وقومه جزاء حسناً .

تعليقات إلكترونية على المقال

تعليق ١

نجيب قاسم - الرمثا / الأردن

الأخ الكريم السيد/ محمد الهادي الحسني

كذا يكون الوفاء وهكذا يكون الرجال .

لقد كنت وفياً لقضايا أمتك ولم تنس من قدموا وناضلوا لرفعة شأن هذه الأمة ممثلة بالسيد/ أحمد أسعد الشقيري رحمه الله ، في الوقت الذي نسيه أو تناساه العديد من أبناء بلده وقيادته التي تمتطي مركب السندباد التائه في عرض بحر متلاطم .

لقد واجه كما تفضلت حملة شعواء من قيادات فلسطينية سعت لتفجير الكفاح المسلح ، وهي القيادة التي سلمها الراية طائعاً عندما شعر بأن مرحلة الكفاح السياسي لم تعد تجدِ نفعاً بعد هزيمة (نكسة) حزيران ولا أخفيك سراً أنني كنت من بعض ناقديه آنذاك ، وكنت فتىً في المرحلة الثانوية .

وتطوعت في هذه الحرب المذكورة : بما سموه آنذاك الدفاع المدني ، وكان كل واحد منا يحمل شارة على ذراعه كتب عليها عبارة من إحدى العبارات التالية : (إسعاف - إنقاذ - وشرطة عسكرية) ، وقد صادف أن كنا ذات ليلة على طريق الشام عمان حيث أقيم في مدينة الرمثا الحدودية ، فإذا بسيارة سوداء قادمة ، فطلبنا إليها التوقف فوقفت ، ولما نظرنا بداخلها كان المرحوم أحمد الشقيري وعبد المنعم رياض وضابط ثالث لم نتعرف إليه ، رحمهم الله جميعاً ، فحييناهم وواصلوا سيرهم إلى دمشق عبر حدود الرمثا .

ومن مفارقات ذلك المكان أنه ذات يوم ألقينا القبض على مراسل صحفي ، فقلنا له : أنت جاسوس إسرائيلي ؟ فأجاب : أنا مراسل صحيفة إزفيستيا السوفييتية ، وقد أتيت لتغطية أنباء الحرب في الجبهة الأردنية ، ولكن من أنتم ؟ فقلنا له : الحماية المدنية . فقال : لقد أتيت من سورية وشاهدت شباباً مثلكم وكانوا يحملون بأيديهم بنادق (كلاشنكوف روسية) فأين سلاحكم أنتم ؟ فقلنا له : ألا ترى الشريط على أذرعنا ؟ فضحك قائلاً : وهل هذه الأشرطة ستسقط الطائرات الإسرائيلية ؟ فصرخنا به كي يصمت : أرجو أن لا تضحك . واقتدناه إلى الحاكم العسكري آنذاك ، وكان الحاكم الإداري ويدعى حسن المومني ، فأحسن وفادته وودعه لمهمته .

وعودة إلى السيد أحمد الشقيري ، نسيت يا أخي أن تذكر أنه ألّف كتاباً لديّ نسخة قديمة منه عنوانه : (قضايا عربية) وفي مقدمته عبارة تقول : دفاعاً عن فلسطين والجزائر .

تعليق ٢

ساهر الحاج عيسى - تونس

أشكر بداية الأستاذ محمد الهادي الحسني على مقاله الجيد ، والنابع من إيمانه الجزائري الفلسطيني ، وبذاكرته النيّرة لرجوعه إلى الماضي الذي هو قريب نسيه الناس وتغافل عنه الإعلام ، وأصبح الماضي ورجالات الماضي من المنسيات إلا للتفاخر في بعض المناسبات بشيء ما ، لاستذكار ذكرى أو حادثة دون الاعتراف بالجميل للذين ناضلوا بصدق ، وقدموا للقضية الفلسطينية وقضايا التحرر في باقي الدول

---

(١) أحمد الشقيري : **قصة الثورة الجزائرية** ، مرجع سابق ، ص٢٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٣ .

(٣) أحمد الشقيري : **من القمة إلى الهزيمة** . ص ١٦٥ .

العربية ومنها الجزائر التي قدمت الكثير ، هؤلاء الناس من الشعب العادي لم يكن في خلدهم وفي ذاكرتهم إلا النضال ، إلا التحرير ، إلا مصلحة الوطن ، لم تكن مصالحهم الشخصية هي الأساس ، نعم أخي الفاضل كل ما ذكرته عن المرحوم الشهيد هي حقيقة ، وإنك استعنت بالعديد من المصادر والمعلومات الصحيحة .

أنا أخي العزيز لم يحصل لي شرف التعرّف على المناضل أحمد الشقيري عن قرب ، لكن كان لي الشرف العظيم أن تعرفت على البعض من أولاده وزوجته الفاضلة ، لو أكتب صفحات وصفحات على أعمدة الصحافة أو في كتاب لن أوفيهم حقهم بفضل التربية والأخلاق والحياء التي تتمتع بها هذه العائلة ، التي تربت على الخلق الحسن وأخذت المآثر الكريمة من الوالد الكريم ، لقد عرفتهم في تونس وعاشرتهم عشرة الأخ الصادق ، وكلما أريد أن أرتقي إلى مستواهم الراقي ، أُفاجأ بالمستوى العالي للنبل والإخلاص والتواضع والمحبة ومساعدة الناس ، وعلى طريقة يدك اليسرى لا تعرف ما قدمت يدك اليمنى .

أخي الكريم ، أكتفي بهذا القدر من التدخل ، وأضيف بأن المرحوم قد خلف وراءه عدداً كبيراً من الدراسات والمؤلفات حول القضية الفلسطينية بشكل خاص والقضايا العربية بشكل عام ، ومنها أذكر لكي توثق أجيالنا القادمة وتتعرف :

- من القدس إلى واشنطن
- قضايا عربية
- دفاعاً عن فلسطين والجزائر
- فلسطين على منبر الأمم المتحدة
- أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية
- حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء
- من القمة إلى الهزيمة
- معارك العرب
- علم واحد وعشرون نجمة
- الطريق إلى جنيف
- الجامعة العربية
- خرافات يهودية

كم ظلمنا هذا الرجل ! *

راتب شهاب[1]

نعم إن م . ت . ف هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . وهنا ، أتوقف لأقول : « رحم الله الرجل الذي أصبح جزءاً هاماً من تاريخنا المعاصر ، وأحد الأعمدة المؤسِّسة لمنظمة التحرير ، وأول رئيس لها - المرحوم (أحمد الشقيري) الذي له ما له ، وعليه ما عليه .. » . ولكن علينا أن نعترف اليوم ونقول بكل جرأة : كم ظلمنا تاريخ هذا الرجل .. وكم زاود عليه الجميع .. وكم أُلصقت به الكثير من النعوت والصفات التي لا يليق في مثل هذا المقام استعادتها .. تارة بحجة الوسطية والمساومة .. وتارة الادعاء بعدم ممارسة الكفاح المسلح والمقاومة ، وأسقطناه تحت وطأة هذه الذرائع التي ثبت بطلانها وعدم صحتها ، وهو الرجل الذي عرفته المنابر العربية والدولية وأروقة الأمم المتحدة ولم يسجل عليه في عمره المديد كلمة واحدة - لا من قريب ولا من بعيد - تشير أنه تنازل عن ذرة تراب من أرض فلسطين ، من نهرها إلى بحرها ، لدرجة أنه انتقل إلى جوار ربه وظل متَّهماً بأنه يريد أن يقتلع الصهاينة من أرض فلسطين ، بل وأمعن الصهاينه والاستعمار وعملاؤه في محاولة تشويه صورته وموقفه بفرية كبرى هي أنه يريد أن يرميهم في البحر ، وشتان بين المقولتين .

الشقيري يوقف الفيتو السوفييتي على قبول الكويت في الأمم المتحدة **

خيري الدين أبو الجبين

كان خيري الدين أبو الجبين شاهداً على دور أحمد الشقيري في السفر إلى موسكو عام ١٩٦٢ ، لإقناع القادة السوفييت بعدم استخدام الفيتو عند التصويت على انضمام الكويت كعضو جديد في الأمم المتحدة ، واطلاعه له على الرسالة الأصلية الموقعة من المرحوم الشيخ صباح السالم عندما كان رئيساً للوزراء إلى الشقيري بحكم علاقة هذا الأخير بالسوفييت .

ارتبط أبو الجبين بعلاقة خاصة مع الشقيري الذي

(*) من كلمة ألقاها في مهرجان أقيم بمناسبة ذكرى تأسيس جبهة النضال الشعبي في مخيم اليرموك - سورية بتاريخ ٢٠١٠/٤/١٦ .
(١) عضو اللجنة المركزية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، أمين فرع اليرموك .
(**) مقابلة أجرتها معه جريدة القبس ، الكويت ، ٢٠١٠/٤/١٨ .

كلفه عام ١٩٧٨ بالإشراف على طباعة كتابين له في الكويت ، هما : « علم واحد وعشرون نجمة » و « الطريق إلى مؤتمر جنيف » وهو رئيس - وما زال - « لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري » في الكويت بعد وفاته عام ١٩٨٠ .

أعارته الحكومة الكويتية لمدة خمس سنوات؛ ليصبح أول مدير لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، ولم يتقاض راتبه من المنظمة - بل استمر يتقاضى راتبه كونه موظفاً حكومياً يعمل في وزارة الكهرباء - بعد أن جرى انتخابه من قبل أبناء الجالية الفلسطينية كرئيس لمؤتمر أبناء فلسطين في الكويت عام ١٩٦٣ ، ليصار بعد سنة إلى إعلان الكيان الفلسطيني عند إنشاء المنظمة وحتى عام ١٩٦٩ .

يستذكر أبو الجبين ، بالعرفان والتقدير ، دور الكويت القومي والعربي في مساعدة الشعب الفلسطيني ، ومساعدة قضيته الوطنية ، لاسيما في عهد المرحومين : سمو الأمير الشيخ عبدالله السالم وسمو الأمير الشيخ صباح السالم ، عندما كان وزيراً للخارجية ورئيساً للوزراء ، وكذلك في عهد الأمير الحالي صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الصباح .. وفي هذا يتوقف عند فرض ضريبة التحرير أيام المرحوم الشيخ عبدالله السالم ، بناء على طلب أحمد الشقيري بنسبة ٥٪ على الموظفين الفلسطينيين العاملين في الحكومة ، وكذلك عندما سمحت الكويت - كأول دولة خليجية - بإقامة معسكرات تدريب للمتطوعين الفلسطينيين في منطقة الدوحة ، وتحت إشراف ضباط كويتيين وكل هذا تحت عنوان كبير ، أنّ الكويت دعمت وأسهمت وقدمت الكثير للقضية الفلسطينية وأبناء الشعب الفلسطيني منذ العشرينات ، حينما زارها أول وفد فلسطيني عام ١٩٢٣ ، ولقاء الوفد بالمرحوم الشيخ أحمد الجابر وكان مكوناً من : الحاج أمين الحسيني ، وأمين التميمي ، ورشيد الحاج إبراهيم ، حيث جمع تبرعات في حينه بمبلغ ١٣٦٢ جنيهاً مصرياً .

بعد استقالته من منصبه كمدير لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٩ ، والتي حصلت بعد تولي فتح والفصائل الفلسطينية قيادة المنظمة ، ولكونه من المستقلين ، لم يجد نفسه على وفاق مع هذا التيار فآثر الانسحاب .

ويقول أبو الجبين : إن رسالة صاحب السمو الشيخ صباح السالم بتكليف الشقيري كانت بخط اليد ، وقد أطلعني الشقيري عليها في إحدى زياراتي له في منزله بكيفون بلبنان بعد استقالته من المنظمة ، ومع الأسف فإن الرسالة فقدت ضمن أوراق الشقيري ومكتبته التي نهبتها القوات الصهيونية عند اجتياحها لبنان عام ١٩٨٢ .

الفصل السادس عشر : الشقيري بعد ربع قرن (شهادات)

مقدمة

- أ . أحمد السعدي — الشقيري في مواجهة تحميل القيادات الفلسطينية إثم التنازلات
- أ . أحمد سعيد — أحمد الشقيري رجل لا ينسى
- أ . د . أنيس صايغ — الشقيري .. أمسك العصا من طرفيها
- د . جميل صالح مرقة — الشقيري بعد خمسة وعشرين عاماً على الرحيل
- أ . د جورج جبور — أحمد الشقيري وإنجازاته الثلاثة الأهم
- د . جورج حبش — الشقيري وميثاق منظمة التحرير الفلسطينية ، والأهداف النبيلة
- أ . خيري الدين أبو الجبين — قائدنا العظيم أحمد الشقيري
- د . درويش حمودة أبو زور — أحمد الشقيري
- أ . رشاد أبو شاور — الشقيري والمنظمة : التعتيم على المؤسس ، وهدم البناء
- د . صبحي غوشة — أحمد الشقيري بعد ربع قرن على رحيله
- أ . عبد الرحيم ملوح — المناضل أحمد الشقيري في ذكرى رحيله
- أ . عرفات حجازي — الشقيري .. التجسيد الحقيقي للقضية الفلسطينية
- أ . د . علي محافظة — أحمد الشقيري مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية
- أ . عوني فرسخ — الشقيري .. خمسة وعشرون عاماً بعد رحيله
- د . فيصل جلول — أحمد الشقيري لا يستحق صورته المرسومة بأحكام أيديولوجية
- د . كمال الطويل — نظرات في سيرة رجل : الشقيري ومرحلته
- أ . د . محمد حور — أحمد الشقيري باحثاً
- د . محمد عبدالعزيز أبو سخيلة — أحمد الشقيري مؤسساً وقائداً
- أ . د . محمد علي الفرا — أحمد الشقيري : ملامح من سيرته ومسيرته
- اللواء الركن محمود أبو مرزوق — الشقيري ودوره في النضال الوطني الفلسطيني
- أ . نصر شمالي — أحمد الشقيري وجيله المتميز
- اللواء الركن د . ياسين سويد — من أحمد الشقيري إلى ياسر عرفات

- **الشقيري .. رؤية جيل جديد :**
- سامر الجعبري — الشقيري رؤية الفتى ... ورؤى الشباب
- غنية كعابنة — وإذا كانت النفوس كباراً ...
- هيثم حسان — الشقيري كما قرأته

الشقيري بعد ربع قرن (شهادات)

مقدمة

يتضمن هذا الفصل شهادات كتبت عام ٢٠٠٥ ، كنا طلبنا من أصحابها أن يقدموها في مناسبة مرور ربع قرن على رحيل الشقيري ، وكما يلاحظ القارئ فإن أصحابها مناضلون ينتمون إلى غير مدرسة فكرية بعينها ، ومن مشارب ثقافية شتى ، ومن أبناء ثلاثة أجيال : الأول عرف الشقيري عن كثب أو عايش تجربته ، والثاني جيل عرف المرحلة الأخيرة من نضال الشقيري ، مرحلة انبعاث منظمة التحرير الفلسطينية وبنائها بيديه وعلى منكبيه ، وربما اطلع على مذكراته الغزيرة المفصلة بجرأتها وصراحتها ودراساته بعمقها واستيعابها لتجارب التاريخ ، ولا سيما العربي الإسلامي منه ، وخطبه في المهرجانات والمنتديات والمؤتمرات وعلى المنابر الدولية ولاسيما الأمم المتحدة ومؤسساتها ، أما الجيل الثالث - الجيل الجديد - فهو جيل لم يعرف الشقيري إلا من خلال ما سمع عنه أو قرأ له .

وقد رمينا من وراء الحصول على هذه الشهادات أن نجيب عن تساؤل وسؤال أحسسنا بأهميته لا للراحل نفسه ، وإنما لمسيرة النضال الفلسطيني ، ولتاريخ فلسطين وقضيتها والصراع العربي الصهيوني بكلّيته : أين هو الشقيري موقفاً وفكراً ورؤية بعد ربع قرن من الرحيل ؟ .. ربع قرن لم يكن الغياب هو سمته وحسب ، بل كان التغييب كذلك ولعله الأهم ، كان التساؤل : ترى أين هو الشقيري الآن في خضم « الانقلاب » الذي شهدته مسيرة القضية ؟ ، الانقلاب على الميثاق والثوابت والمنهج والشعارات التي شيدت على أساسها منظمة التحرير الفلسطينية ؟ ... والسؤال : ماذا بقي من الشقيري الآن ؟ .. وبالطبع لم يكن التساؤل والسؤال متعلقاً بالشقيري « الاسم والذات » وإنما الشقيري « التجربة » الفكر والسياسة والموقف .

وبقراءة نقدية فاحصة لهذه الشهادات ، فإننا نسجل الملاحظات التقييمية الآتية :

١ - أجمعت الشهادات على تقديم الصورة الإنسانية لشخص الشقيري كما رسمت عند رحيله ، أو منذ استقالته من رئاسة المنظمة ، لكننا في هذه الشهادات نلمس أنها قدمت وكأنها تحمل مقارنة سلوكية لكثيرين ممن وقفوا أو يقفون على هرم القيادة الفلسطينية التي خلفته من مثل « لا يخاف في الحق لومة لائم » ، و « المعرفة الشاملة بتفاصيل القضية » ، و « يمسك بالعصا من طرفيها لا من وسطها » ، و « الوفاء » لاسيما لمن سبقه من القادة والمناضلين ... إلخ .

ولعل اللافت أن معظم الذين نوهوا بهذا هم أبناء الجيلين الحالي وسابقه .

٢ - ثمة إجماع وقناعة بأن الشقيري في مشاورات قيام المنظمة لم يكن ينحت في صخر وحسب ، وإنما في صخور وجبال ويغوص في رمال متحركة ، ولكنه أفلح بما أوتي من « قوة الحجة ، ومن براعة المناورة ، القدرة السياسية ، الكفاءة القانونية المتميزة ، التجربة السياسية المديدة الثرّة، قدرته على قراءة الواقع الفلسطيني واتجاهاته وتوجهاته، والواقع العربي وتبايناته » ، ما مكنه من التقاط الفرصة ، أو « اللحظة التاريخية » السانحة لتأسيس « الكيان الفلسطيني » من رحم تلك الظروف وذلك الواقع ، ما جعله يتحمل « بصبر أيوب » كل عثار الدروب .

٣ - ثمة شهادات لرفاق وزملاء ومجايلين للشقيري تابعوا مخاض المنظمة والتجاذبات التي رافقت ميلادها ونشأتها ، وبعضهم ممن عملوا معه في أطر المنظمة القيادية ، وكانت لهم في مراحل سابقة مواقف سلبية ، سواء من فكرة قيام المنظمة ومناخ ميلادها ، أو من خلال تجربتهم في العمل معه ، وسوف يلاحظ القارئ في الشهادات الراهنة تبدّل هذه المواقف والآراء ، إما بشكل كامل أو بشكل واضح .

٤ - إشادة بسلامة الرؤية التي تجلّت في وضع « الميثاق القومي » الذي حدد النضال الفلسطيني كخط أمامي للنضال العربي ، وأرسى التلازم بين الدورين .

٥ - التأكيد على وحدانية الهدف من قيام الكيان (المنظمة) وتعدد الأساليب والأدوات ، وقد عبّر عن ذلك حرصه الشديد على سرعة وضع أركان المنظمة وإرسائها : جيش التحرير ، الصندوق القومي ، مركز الأبحاث ، إذاعة فلسطين ، الاتحادات والتنظيمات الشعبية ، والدوائر السياسية والعسكرية والإعلامية ، فضلاً عن المكاتب في الأقطار العربية ، معتمداً في ذلك النهج « المؤسسي » مستنداً إلى الخبرة والكفاءة .

٦ - حرصه المبكر على الخروج بالمنظمة من دائرتها العربية إلى الدائرة الأوسع ، وحسن اختياره للبداية من خلال زيارته للصين التي منحت المنظمة قوة معنوية مهمة بالاعتراف بها كياناً سياسياً ثورياً ، بالرغم مما جرّت عليه من متاعب مع الرئيس عبد الناصر .

٧ - ثمة قناعة لدى معظم أصحاب الشهادات بأن الرجل كان يعبّر عن الرأي العام الفلسطيني والعربي ، ذلك أنه التزم بالثوابت الوطنية والقومية ، ولم يُهادن أو يساوم أو يفرط بأي منها مثقال ذرة ، ومثّل بعضهم لذلك بدوره في وضع لاءات الخرطوم ١٩٦٧ ، ورفض ٢٤٢ عندما وافقت عليه الدول العربية .

٨ - أشاد الجميع بمواظبته على النشاط في خدمة القضية الفلسطينية والوحدة العربية باعتبارهما متلازمتين في عقيدته وفكره ، وقد تجلى هذا النشاط فيما قدمه للمواطن العربي والمكتبة العربية من كتابات : المذكرات ، والدراسات التي فاقت اثني عشر كتاباً في مدة زمنية قياسية .

على أن هذه الشهادات تضمنت نقداً محدوداً لعله من « رواسب » مواقف أصحابها من الرجل خلال قيادته للمنظمة ، وقد جاء ذلك من بعض القوميين العرب من أصحاب الشهادات ، الذين شكلت شهاداتهم توافقاً كبيراً مع مجمل الشهادات فيما نقطة واحدة هي صفة « الفردية » التي رأوا فيها تأثيراً سلبياً على العمل الفلسطيني ، وعزا أحدهم إليها أنها دفعت إلى استقالة بعض أعضاء اللجنة التنفيذية ، وكان هذا صحيحاً في حينه ، لكن أصحابه - وعلى رأسهم شفيق الحوت - يقول لاحقاً في شبه اعتذار : إن ذلك النقد إنما كان بحكم فورة الشباب وحماسته .

نصل مما سبق إلى أن الشقيري اليوم وبعد هذه العقود التي مضت على غيابه هو أكثر حضوراً ، وأن مصداقيته في الفكر الفلسطيني غدت أكثر سطوعاً ، وأنّ محاكمة المرحلة التي تلته أصبحت تقاس بمقياس واحد ، هو : منظمة التحرير الفلسطينية بميثاقها ونظامها الأساسي ومؤسساتها كما وضعها الشقيري ، ولم يختلف اثنان من أصحاب الشهادات على أن كفة الصواب أمام الانحدارات والانهيارات الراهنة ، هي بلا مراء لصالح مرحلة الشقيرية ، دون أن يعني ذلك أنها مرحلة منزهة عن أي خطأ في المسيرة هنا وهناك ، لكنها اجتهادات الريادة والرواد .

الشقيري في مواجهة تحميل القيادات الفلسطينية إثم التنازلات

أ . أحمد السعدي(*)

طلب مني الصديق العزيز الأستاذ عبد العزيز السيد تزويده برؤيتي للشقيري ومواقفه خلال فترة ١٩٦٤ - ١٩٦٨ ، وهي مرحلة الأحداث الجسيمة والتغيرات الكبرى في مسيرة القضية الفلسطينية . ففي عام ١٩٦٤ كلف الشقيري من قبل مؤتمر القمة العربي الأول باستطلاع آراء الفلسطينيين حول تأسيس كيان فلسطيني . والفلسطينيون يتوزعون في دول عربية عديدة لها مواقف متباينة ومتعارضة من مسألة الكيان الفلسطيني ، وكان هنالك أكثر من عشرة تنظيمات فلسطينية تعمل دون شرعية ولكل رؤاها وعلاقاتها ، وكان كثير من الشباب الفلسطيني منخرطاً في أحزاب عربية قومية وإسلامية ويسارية ، بل كان له دور ريادي في هذه الأحزاب التي كانت تعد القضية الفلسطينية أحد محاور نشاطاتها بل وجودها ، ولها كذلك رؤاها المختلفة من الكيان الفلسطيني . والدول العربية حينذاك تعتبر فلسطين مسؤوليتها .

وخلال خمسة شهور ، وبعد عشرات اللقاءات مع المسؤولين في الدول العربية ومع ممثلي الأحزاب العربية والمنظمات الفلسطينية ، واللقاءات الجماهيرية ، وكذلك التشاور مع عشرات الشخصيات الفلسطينية ، استطاع الشقيري إنجاز التالي :

١ . صياغة مسودة الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الأساسي .

٢ . عقد المجلس الوطني الفلسطيني ، واعتماد الميثاق والنظام ، وإعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وتشكيل اللجنة التنفيذية للمنظمة .

٣ . وبعد شهور قليلة تم إنشاء الصندوق القومي الفلسطيني ، وإنشاء مركز الأبحاث الفلسطيني ، وتشكيل جيش التحرير الفلسطيني .

وهكذا بدأ الشقيري أعماله بإقامة مؤسسات ، وهذه إنجازات تحتاج عادة إلى سنوات ، ولكنه بديناميكيته وقدراته وخبراته الطويلة أنجزها في شهور كسباً للوقت وتحسباً للمتغيرات العربية الرسمية .

وخلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٨ بقيت على اتصال دائم ، ومتابعاً لنشاطات المنظمة ورئيسها ، بل وزاملته في اللجنة التنفيذية في نهاية عام ١٩٦٦ وأوائل عام ١٩٦٧ .

كان الشقيري في مواقفه وبياناته معبراً عن الرأي العام الفلسطيني والعربي بأوضح بيان حول قضية فلسطين ، كقضية فلسطينية وقضية قومية وكمسؤولية فلسطينية ومسؤولية عربية ، تتضح أبعاد هذه الرؤى في الميثاق القومي الذي تبناه المجلس الوطني الفلسطيني للمنظمة .

كان الشقيري يرى في الكيان الفلسطيني طليعة الجهد العربي والحشد العربي في سبيل تحرير فلسطين من الدولة الصهيونية المغتصبة ، التي يهدد وجودها الأمة العربية ، فهي جسم استعماري ومخفر متقدم للدول الاستعمارية ، يهدف إلى تأزيم أوضاع المنطقة كمبرر لتدخل مستمر ، وهكذا كان للكيان دور رئيس بديلاً لمسؤولية الدول العربية .

وهذه الرؤية للشقيري وللجماهير العربية والفلسطينية والتي كانت الدول العربية تتوافق معها في إعلامها ، برزت إلى جانبها رؤى فلسطينية وغير فلسطينية تبحث عن كيان فلسطيني يتحمل مسؤولية قضيته !! وعبّرت عن ذلك على المستوى الفلسطيني حركة (فتح) بقيادة ياسر عرفات ، كما عبر عنها على المستوى العربي الحبيب بورقيبة الرئيس الراحل للجمهورية التونسية ، وذلك أثناء زيارة للأردن عام ١٩٦٥ ، حين طالب الدول العربية برفع يدها عن القضية الفلسطينية ، والذي يعني عملياً تحميل الفلسطينيين عبئاً يستنزف قواهم ويبرر تنازلاتهم .

كان الشقيري يحاول بصعوبة المزاوجة بين العمل السياسي الإعلامي والعمل العسكري الفدائي الذي أعلنته حركة فتح ، ومارسته عدة منظمات حينذاك بمستويات متواضعة وبصعوبات بالغة . وبإيجاز أسجل النقاط التالية :

١ . كان الشقيري - بحكم خبرته وعمره - أقرب إلى الشخصيات الفلسطينية المعروفة في الأربعينيات بنشاطها الوطني يستمع إليها بعناية ويبقيها إلى جانبه ، والمتغير من حوله هو الجيل الجديد الذي يريد أن يكون ذراعه وساعده الأيمن ، سواء في العمل الفدائي أو النشاطات الجماهيرية ليواجه به الضغوط الجماهيرية لبدء عمل عسكري .

٢ . كان الشقيري يرى للفلسطينيين دوراً ورأياً أساسياً

(*) من أوائل أعضاء حركة فتح ١٩٥٩، من زملاء ياسر عرفات وخليل الوزير، شارك في تأسيس مجلة (فلسطيننا) التي نطقت باسم الحركة في بيروت . استقال من الحركة وشارك في تأسيس جبهة التحرير الوطني الفلسطينية . عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة (١٩٦٦ - ١٩٦٧) وظل على علاقة بالشقيري حتى وفاته، عضو المؤتمر القومي الإسلامي . عضو لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري في الكويت .

في قضيتهم ، ولكن المسؤولية الكبرى والأولى تقع على الدول العربية بحكم طبيعة القضية الفلسطينية كقضية قومية نشأة ومصيراً ، والفلسطينيون يشكلون حارساً يقظاً على ما يجري للقضية عربياً ودولياً ، ومؤلفاته الداعية إلى الوحدة ومذكراته ومواقفه تنطق بذلك ، فكان حين يجري الحديث عن وحدة بين مصر وسورية أو مصر وسورية والعراق يطالب أن تنضم فلسطين لهذه الوحدة .

٣ . كان يريد التوفيق بين مواقف دول عربية تؤيد العمل الفدائي وأخرى تتحفظ عليه كعمل توريطي لا يتناسب ورؤى القيادة العربية الموحدة (العسكرية) التي أنشأها مؤتمر القمة ، وحاول الشقيري احتواء تلك الظاهرة ليس بمجابهتها بل بدعم عمل فدائي يتوازى مع ما تقوم به (فتح) ، فدعم منظمة أبطال العودة التي كان محورها حركة القوميين العرب ، وجبهة التحرير الوطني الفلسطينية (ج . ت . ف) التي كنت أمثلها لدى المنظمة ، وكان الشقيري في نفس الوقت يوازن بين رؤى المنظمات الفلسطينية المنضمة إلى المنظمة ، ورؤى الشخصيات الوطنية الفلسطينية التي كانت ترى أن هذه المنظمات تتجاوزها ، وكان لهذه الشخصيات تأثير أكبر على مواقف الشقيري ، انتهى باستقالة اللجنة التنفيذية وخروج ممثلي المنظمات منها أو المتحالفين معها ، ما أدى إلى خروج كاتب هذه الكلمة والصديقين شفيق الحوت وأحمد صدقي الدجاني من اللجنة التنفيذية ، وإعادة تشكيلها دونهم .

وقبل نضوج تجربة الشقيري في مرحلة التأسيس والانطلاق للمنظمة ، جاءت حرب حزيران ١٩٦٧ ونتائجها المأساوية الكارثية لتوقف تلك المحاولات وتغير اتجاهاتها ، والتي انتهت بسيطرة حركة فتح على المنظمة وقيادتها برئاسة ياسر عرفات حتى وفاته ، وهي الحركة الكيانية أكثر منها حركة تحرير .

وفي لقاءات عديدة (حذر قيادة المنظمة متمثلة بشخص ياسر عرفات ، من أن تكون المنظمة أو أية قيادة فلسطينية الجسر الذي يعبر عليه العرب للصلح مع " إسرائيل " ...) وأكد ذلك في آخر رسالة له إلى السيد خيري الدين أبو الجبين في ١٩٧٩/١٠/٧ يناشد القيادة الفلسطينية (ألا يفرطوا بأي شبر من وطننا المقدس ... وكل تفريط واستسلام يقابله العدو بالمزيد من الأطماع والتوسع والعدوان) وكانت هذه الرسالة وصية لشعبنا البطل .

أحمد الشقيري رجل لا ينسى

أ . أحمد سعيد(*)

من البشر من هو مثل الأزمنة والأمكنة ... فالسبت والأحد والجمعة أيام لها تميز جليل عن بقية أيام الأسبوع عند كل من أتباع موسى وعيسى ومحمد .. تراها مثل أبنية المعابد والكنائس والمساجد ، و بما لها من قداسة ترقى بها عن أبنية الدنيا كلها ... فكذلك البشر ..

نختلط في حياتنا بالمئات والآلاف ... غير أننا لا نستبقي في مخزوننا ، ونوسده في حياتنا وأجيالنا غير القليل منهم ، بفضل ما أثروا به مجتمعهم ، وأضافوا إليه من ثريِّ العمل ونافذ الفضل ، هكذا كان أحمد أسعد الشقيري خلال ما خبرتُهُ منه أنا وكل أسرة صوت العرب ونحن نعد ليوم إرسالنا الأول .

كانت الأمانة العامة للجامعة العربية عقب تأسيسها عام ١٩٤٥ تستفيد من علمه وخبرته ، فقد كلفته حين كان موسى العلمي ممثل فلسطين فيها القيام بإنشاء المكتب الإعلامي العربي في واشنطن، وكان أميناً عاماً مساعداً للجامعة زمن عبد الرحمن عزام ثم عبد الخالق حسونة (١٩٥١ - ١٩٥٧) وممثلاً لسورية في الأمم المتحدة ، حتى إذا ما جاء عام ١٩٥٧ استعارته المملكة العربية السعودية ليكون سفيرها في المنظمة الدولية حتى عام ١٩٦٣ عندما اختير ممثلاً للفلسطينيين لدى الجامعة العربية ، وليعكس تمثيله لهذه الدول جميعاً (سورية والسعودية وفلسطين) دليلاً على تفرده وتميزه قومياً في خدمة العمل العربي .. ثم ليتم اختياره آخر المطاف عام ١٩٦٤ رئيساً لمنظمة تحرير فلسطين ، إثر اجتماع المؤتمر الفلسطيني الأول في مدينة القدس ربيع عام ١٩٦٤ ، في أعقاب أول قمة عربية دعا إليها الزعيم جمال عبد الناصر .

في حزيران / يونيو ١٩٥٣ كنا في صوت العرب نضع اللمسات الأخيرة لإرسالنا الأول في ٤ تموز / يوليو ، أذكر أن الأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك السيد عبد الخالق حسونة ، اختاره من بين

(*) المذيع العربي المصري المشهور ، مدير محطة صوت العرب التي أنشأها عبد الناصر بُعيد الثورة . وكانت تقود الدفاع عن مواقف القاهرة العربية وتهاجم خصومها بضراوة ، وحملت أسباب ونتائج نكسة ١٩٦٧ لخطها الإعلامي خلال الحرب .

عشرات الفلسطينيين ليكون مرجعنا في كل ما يتصل بفلسطين تاريخياً ودولياً وقومياً وإنسانياً ... فعرّفنا وبعمق وصدق وغيرة تثير الانفعال والحماس ، على ما آلت إليه القضية ومعاناة الشخصية الفلسطينية سواء في الأرض المحتلة تحت وطأة القهر الإسرائيلي ، أو في مخيمات اللاجئين في سورية ولبنان والأردن وقطاع غزة ... فنكأ لنا جراح الملايين الفلسطينية سواء من خلال ما كان يحرص على جمعه من دراسات ، أو بتنظيم سيل لا ينقطع من لقاءات وزيارات شملت مختلف قيادات وتجمعات المحنة ، مرافقاً لنا ومشاركاً إيانا في أغلبها ونصب عينيه في كل شروحه وأهدافه : أن يخرج بالعمل من أجل فلسطين من شرنقة الأنظمة العربية الحاكمة بكل ضوابطها ومصالحها وقيودها ومخاوفها ، إلى آفاق النضال المتحرر من كل ما قد تفرضه التزامات الحكومات العربية ورؤاها الإقليمية وعلاقاتها الدولية .

ولا أنسى و يجب أن لا يُنسى .. ما بذله أحمد الشقيري لينتزع من مؤتمر القمة العربية الثاني ، الذي انعقد في أيلول / سبتمبر ١٩٦٤ في فندق فلسطين بالإسكندرية القرار القومي بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، مؤكداً في نصوص نظامها الأساسي وبنوده التي صاغ بنفسه أغلبيتها ، تفرد الشعب العربي الفلسطيني بذاتية شخصية غير تابعة للأنظمة العربية ، من خلال إقرار بزوغ مجلس وطني يتم اختياره بالاقتراع العام ، ولجنة تنفيذية يختارها المجلس وتخضع له ، وصندوق قومي ، ومكتب سياسي ، ومجلس ثوري ، وكتائب عسكرية للتحرير المسلح بدأت تدريباتها وفعالياتها إثر تفويض الزعيم جمال عبد الناصر لحاكم قطاع غزة ، بإعلان التجنيد الإجباري للشباب الفلسطيني في القطاع ، ولينتشر التدريب العسكري في كثير من بلاد العرب مثل : سورية ولبنان والعراق والكويت .

وبمبادرة من أحمد الشقيري أولاً وقبل غيره للحقيقة والتاريخ ، بدأ شعب فلسطين يفرض ذاته المستقلة على عمل المسيرة العربية كلها ، رغم كل ما لقيه وقيادته وما زالوا .. من مواقف متباينة في التنصل والعداء .

كذلك لا أغفل ذكر تجرد الشقيري وحرصه على نجاح كل ما هو فلسطيني ، فشرف للعرب تهنئته لي ولصوت العرب عندما خالفنا التعليمات المشددة بمنع ذكر نشاط حركة فتح وهي خارج منظمة التحرير التي يرأسها ، وأذعنا تفاصيل عملية استشهادية قام بها فدائيون من فتح ، ودعمنا لدى الزعيم جمال عبد الناصر عندما أراد البعض لومنا لتمردنا على التعليمات بتجاهل تلك المنظمة .

هذا قليل من كثير خبرتُهُ أنا وأسرة صوت العرب عن رجل لا ينسى ... ويجب أن لا ينسى في تاريخ فلسطين العرب والشعوب المكافحة .. تماماً مثل القليل العظيم من الأمكنة والأزمنة التي لها تميزها واحترامها وجلالها وعبقها المنتشر عبر الوجود ...

الشقيري ... أمسك العصا من طرفيها

أ . د . أنيس صايغ(*)

لم يمسك أحمد الشقيري العصا من الوسط أبداً . أمسكها - فلسطينياً وعربياً ودولياً - من طرفيها . فوفق بينهما حيث يتآلفان ، وألغى أحدهما لصالح الآخر حيث يتناقضان . وهذا هو الدرس الذي نستنطقه من حياة هذا الرجل الكبير ، والعبرة التي نريدها قدوة لأجيالنا الطالعة التي لا تعرف الرجل معرفة كاملة أو صحيحة .

أحمد الشقيري ، القومي العربي بامتياز ، مارس عروبته عملياً ، بالدفاع عن الحقوق الوطنية للشعوب العربية التي كانت لا تزال ترضخ تحت الحكم الأجنبي ، استعماراً أو احتلالاً أو انتداباً . و مارسها نظرياً بالدعوة إلى القومية والوحدة العربيتين كتابة ومؤسسات وحركات سياسية وثقافية . وفي الوقت نفسه مارس فلسطينيته بامتياز . كان بطل الشخصية الفلسطينية ، وواضع أسس كيانها القانوني والرسمي بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤ . ووفق بين الفلسطينية والعروبة وجعلهما وجهي ورقة واحدة لا ينفصلان . وجعل الجهاد الفلسطيني الخط الأمامي للجهاد العربي من أجل فلسطين . وجعل الجهاد العربي القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الجهاد الفلسطيني . وبذلك توحدت الأهداف والوسائل ، مثلما توحدت الخنادق التي تحتوي المناضلين بغض النظر عن أقطارهم . وبذلك أيضاً وحّد الهويات القطرية في هوية جهادية قومية واحدة من أجل فلسطين .

وأحمد الشقيري ، السياسي والإعلامي والقانوني ، المؤمن بالعمل السياسي والإعلامي وبالقانون أسلحة ماضية للدفاع عن العرب وعن فلسطين ، هو نفسه الذي

(*) عميد الفكر العربي الفلسطيني، رئيس تحرير الموسوعة الفلسطينية، ومستشار الموسوعة الفلسطينية الميسرة ، مدير عام مركز الأبحاث الفلسطيني « سابقاً » . توفي في عمّان في ٢٦ كانون أول / يناير ٢٠٠٩ .

أنشأ جيش التحرير الفلسطيني، ودعا إلى الكفاح المسلح، وسعى عربياً ودولياً لدعم المقاومة الفلسطينية ضد الكيان المغتصب . وقال دوماً بأن النضال الذي له هدف واحد إنما له وسائل متعددة ، بشرط ألاّ تلغي إحداها الأخرى ، بل تسير المساعي جنباً إلى جنب ضمن خطوط استراتيجية موحدة .

وأحمد الشقيري ، الذي أمسك بزمام القيادة الفلسطينية المدعومة عربياً رسمياً - ولو بشكل كلامي - والمدعومة عربياً شعبياً بشكل ساحق . قاد المركب الفلسطيني وسط الأمواج المتلاطمة ربّاناً وحيداً ومنفرداً ، هو نفسه باني المؤسسات الكبرى الأولى في تاريخ النضال الفلسطيني منذ بدء الهجمة الصهيونية على فلسطين في مطلع القرن الماضي ، مؤسسات سياسية وإدارية ومالية وعسكرية وثقافية . ولم يحترم أحد ممن سبقوه أو تلوه في مقعد القيادة هذه المؤسسات وقراراتها واستقلاليتها ، ولم يتردد هو في دعمها وصيانتها وتطويرها . إن هذه المؤسسات الشقيرية التي عجز السابقون عن تكوينها ، وعجز اللاحقون عن الحفاظ عليها ، إنما هي شاهد على التزام الشقيري بجماعية المسؤولية ضمن أطر هيكلية يكمل بها العمل الفلسطيني .

وأحمد الشقيري ، الذي استلم المسؤوليات في زمن التشتت والتناحر الفلسطيني الداخلي ، وتحطم النضال الموحد على صخور الخلافات العقائدية ، والاختلافات التنظيمية ، والمقاصد الشخصية والفردية والعصبوية التعصبية ، احتضن جميع هذه التناقضات ، وحاول إعطاءها فرصاً متساوية لتعمل معاً من أجل فلسطين ، دون أن تتخلى عن مفاهيمها أو تتنازل عن استقلاليتها . لكن طموحاتها المشروعة وغير المشروعة كانت أقوى من رغبته هو في جمعها في جبهة عريضة ، وأفشلت مساعيه حتى بدا وكأنه يدور في حلقة وحده مع أنها هي المسؤولة عن الخروج عن الصف .

إذن فأبرز ما في السيرة العملية لأحمد الشقيري ، ونحن نتذكره الآن بعد رحيله بربع قرن ، ونفتقده كثيراً ، أنه لم يمسك عصا فلسطين من طرف واحد فقط ، إلا في مسألة لعلها الأهم في حياته وفي حياة فلسطين ، مسألة الثوابت الفلسطينية العربية . هنا فقط لم يقبل الشقيري بنظرية الحل الوسط ، أو القبول بالواقع أو بالمعقول والتخلي عن الهدف الرئيسي والتاريخي تحت وطأة الشدائد وتحت ضغوطات الظروف والقرارات الدولية ، ومجاراة للأمر الواقع والفلسفة الواقعية . فلسطين الحرة دون استثناءات ولا تعديلات ولا مرحليات ولا مساومات هي الهدف الأسمى الذي لا تنازل عنه ، فلسطين كلها من بحرها إلى نهرها ، والحرية كلها ، سيادة كاملة وعودة كاملة وتحرراً داخلياً كاملاً .

بقدر ما يرفع المرء رأسه وهو يدل الجيل الطالع على شخص أحمد الشقيري وسيرته وتضحياته وصموده ، يأسف لأن تكون رسالة الشقيري قد أجهضت بالتنكر لغاياتها ، وتشويه مضامينها ، وتزوير الأسس التي قامت عليها ، وتحطيم كافة المؤسسات التي حملت تلك الرسالة .

أجمل ما في سيرة الشقيري و مسيرته أنه حمل المشعل عالياً ، وضّاء ومنيراً ومرشداً ، وأبشع ما فيها أن المشعل مازال بانتظار الأيدي الجبارة والصادقة والأمينة ، التي تقدر أن ترفعه من جديد لتواصل المسيرة الصحيحة بهدي تلك السيرة العطرة .

الشقيري بعد خمسة وعشرين عاماً على الرحيل

د . جميل صالح مرقة(*)

عدا عن كل ما قرأت له وعنه ، فقد قابلته - رحمه الله - في تونس ، خلال مشاركتي في مؤتمر طبي ، حينها قال لي الصديق الأخ شريف الجعبري - وكان مديراً للبنك العربي في عمّان آنذاك - أرجو أن تأخذ باقة ورد وتزور أبا مازن الشقيري . وحين دهشت وسألت : هل هو هناك ؟ فقال : نعم . ذهبت إلى المؤتمر ، وجلست إلى جانب أعضاء النقابة التونسيين ، وسألت أحدهم عنه فأجاب : إنه في المستشفى الفلاني ، وهو مريضي ، فطلبت أن أذهب بمعيته لزيارة الشقيري ، وكان بصحبتنا اثنان من الزملاء ، فدخلنا عليه ، وكانت رقبته صعبة الحركة ، ودون أن يرانا سألنا من نحن ، ولما ذكرت له اسمي بدأت دموعه تنهمر . لقد عرفت ، أو ظننت أنني أعرف لماذا بكى ، لا لأنه تذكر الخليل فقط ، بل كل فلسطين ، إذ كان قريبه وصهره المرحوم د . محمد

(*) عضو المجلس الوطني منذ سنة ١٩٨٠، استقال منه مرتين : الأولى بعد مباحثات مدريد ، والثانية بعد اتفاقات أوسلو . نقيب الأطباء الأردنيين سابقاً . عضو لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري .

علي الشقيري طبيباً في الخليل ، فسألته إن كان يعرف الخليل ، فلما ردّ بالإيجاب ازدادت دموعه انهماراً ، ليس على الخليل فحسب ، بل على كل فلسطين ، وهنا رأينا أن ننسحب ونكتفي بشعوره الفياض رحمه الله .

وبعد أسابيع قليلة نقل الشقيري إلى مدينة الحسين الطبية في عمان ، وتوفي ومشيت في جنازته ، وكان واضحاً أنه حرص على أن لا ينسى فلسطين حتى بعد انتقاله إلى رحمة الله ، حيث أوصى أن يدفن في أقرب نقطة إلى فلسطين ، ودفن في مقبرة أبي عبيدة عامر ابن الجراح .

عشية حرب حزيران زار الشقيري القدس والضفة الغربية ، وألقى خطابات في الناس ، أذكر من بعض جُملها أنه لم يجد حلاً سلمياً للقضية الفلسطينية التي حارب من أجلها طوال فترة عمله مندوباً لسورية والسعودية والجامعة العربية ، فأدرك ضرورة إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، وجيش التحرير الفلسطيني ، والصندوق القومي الفلسطيني ، ومركز الأبحاث الفلسطيني . يقول الدكتور أنيس صايغ مدير مركز الأبحاث أن اثنين فقط كانا يقومان بقراءة ما يصدر عن المركز وهما : الشقيري وعبد الناصر . وكان أول عمل قام به الجيش الصهيوني حين دخل بيروت بقيادة شارون ، هو نهب محتويات المركز من كتب ومطبوعات ومصادر نقلها الصهاينة في صناديق كبيرة إلى تل أبيب فسرقوها كعادتهم ، وكما سرقوا مكتبة المرحوم خليل السكاكيني حين دخلوا القطمون ، وسرقوا مكتبة المرحوم إسعاف النشاشيبي حين دخلوا بيته في الشيخ جراح ، ومكتبات أخرى عديدة في فلسطين لا أدري لها عدداً .

في كتاب الدكتورة خيرية قاسمية « أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً » ، يصف الدكتور أنيس صايغ الشقيري بأنه كان ذا قدرة فائقة على ضبط التوازن العادل بين مختلف الفئات والأطراف المعنية بالقضية الفلسطينية ، وأنه كان رجلاً كبيراً وقدوة قلّ نظيرها .

اتصف الشقيري رحمه الله بصفات رائعة ، وامتاز ببلاغته وقوة حجته التي أذكر للإشارة إليها موقفين له في مواجهة جولدا مائير ، التي كانت تنكر وجود الشعب الفلسطيني ، وتأمر رابين - رئيس أركان جيشها آنذاك - بإطلاق النار على كل من يرفع العلم العربي الفلسطيني .

وفي اجتماع للهيئة العامة للأمم المتحدة ردّ على جولدا مائير رداً هز المجتمع الدولي حين قال وهو يشير إليها : هذه السيدة المحترمة التي ولدت في روسيا ، وتزوجت في أميركا ، وعاشت في بولونيا ، ثم استقرت في بلدي ، وقد جاءت إليكم من تل أبيب لكي تفسّر لكم لماذا ؟ وكيف ؟ وبأي حق يحتل الغريب أرض صاحب الحق ؟ وكيف وبأي حق يطرد اليهود العرب من بلادهم ؟ ! قولوا أيها السادة لهذه السيدة (المحترمة) إن الشعب الفلسطيني موجود ، ولن تذيبه قوة في الوجود ، وعليها أن تعود إلى أميركا أو بولونيا أو روسيا ، حيث بعض أهلها ، وأن تترك أهلي يعودون ، لأنهم سوف يعودون إلى وطنهم - ذات يوم - أحراراً . وما كان من جولدا مائير يومها إلا أن غادرت القاعة وفي فمها سيجارة تلو السيجارة، وهي تكمل الاستماع إلى كلمات الأعضاء في الأمم المتحدة عبر شاشة التلفاز . أما الموقف الثاني في مواجهة جولدا مائير حين اتهمت العرب - في كلمة لها في الأمم المتحدة - بتجارة العبيد ، فقال لها ، ومن على منبر الأمم المتحدة : « بالأمس وجدت في صفحة كذا في الموسوعة اليهودية أن تجار العبيد في أفريقيا كانوا يهوداً ، وهم فلان وفلان ، .. فمن فمك يا جولدا أدينك وبشهادة شهود من أهلك » . وبهذا الكلام خفف من كره الأفارقة لنا ، وأثبت لهم أن الاستعمار الحالي في فلسطين هو نفسه الاستعمار في أفريقيا .

أما بلاغة الشقيري الخطابية التي نفخر بها ، فقد وردت على لسان الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي أمام لجنة التحقيق الأنجلو أميركية في أوائل ١٩٤٦ ، باسم المكتب العربي إذ قال النشاشيبي : « رأيت أحمد الشقيري يدلي بشهادته أمام تلك اللجنة ، وسمعت رئيس اللجنة البريطاني « جول فلينجتون » يسأله بعصبية ظاهرة : « ألا تعتقد أن دخول قوات الحلفاء إلى المشرق العربي في الحرب العالمية الأولى كان عملية تحرير للعرب ؟ » . وسكت الشقيري ولم يجب ، وعاد رئيس اللجنة يكرر السؤال ذاته لكن الشقيري لم يجب ، وعندما أطلق الإنجليزي سؤاله للمرة الثالثة ، ارتفع صوت أحمد الشقيري بعصبية ظاهرة قائلاً : كان دخولكم بلادنا سبباً في تجزئتها وهدمها وتخريبها وتقسيمها ، لا لتحريرها أو خدمة شعبها .

وعندما سأله العضو الآخر في اللجنة كيف يصف دخول قوات الحلفاء إلى المشرق العربي خلال الحرب العالمية الثانية لحماية العرب من النازية أجابه : « قواتكم لم تأتِ لحمايتنا ، بل جاءت لحماية اليهود ، وحماية طرق مواصلاتكم إلى الهند » .

هذه بعض صفات الشقيري : البلاغة والخطابة ، والذكاء والإخلاص . أما صفاته الأخرى ، فتجملها كلمة الدكتور أنيس صايغ الذي كان من أقرب الناس إليه ، والذي كان رئيساً لمركز الأبحاث الفلسطيني الذي أسسه الشقيري ، فكان الإخلاص والوفاء الفلسطيني العربي صفة مشتركة بينهما : « يسجل التاريخ لأحمد

الشقيري أن إيجابياته و مآثره ومنجزاته وسلوكه وخلقه ووطنيته ومجمل سيرته تحصر السلبيات في زاوية ضيقة جداً » .

« ويسجل التاريخ لأحمد الشقيري أنه كان رجلاً كبيراً ، كبيراً بالنسبة إلى عصره وظروفه وبيئته وكبيراً أيضاً بمختلف المقاييس وفي المطلق . كان سياسياً كبيراً ، وكان إنساناً كبيراً ، وفوق هذا وذاك كان الشقيري فلسطينياً كبيراً » .

أحمد الشقيري وإنجازاته الثلاثة الأهم

أ . د . جورج جبور(*)

لم أعرف الأستاذ أحمد الشقيري ، مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية ، إبان تألقه السياسي الذي انتهى أواخر الستينيات . عرفته شخصياً في عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ . حين كنت أعمل أستاذاً ورئيساً لقسم السياسة في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة . لا أدري متى زارني المناضل الكبير للمرة الأولى ، إلا أن من المرجح أنه أتى معهدنا يزور الصديق الزميل الأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني ، رحمه الله ، ثم أحبا أن يلقيا عليّ التحية . ولعل اهتمامي بمؤتمرات القمة العربية أقنعه بأن يزورني مرتين أخريين وربما ثلاثاً . لم يأت في أي مرة بناء على موعد مسبق ، فقد كانت خطوط هواتف القاهرة آنذاك في حال يرثى لها . كان يأتي فيجدني فأحتفي به كما ينبغي . ولم يخبرني في أي مرة أنه أتى ولم يجدني . ولم يأت مرة إلا وكان لدي لحظتها موضع اهتمامي الأول ، ثم إنه كان خفيف الظل ، فوري التأقلم مع من يدخل المكتب عفواً من زملاء وزائرين وموظفين . آسر حديثه فتتمنى أن لا يصمت ، مفعم بالمعاني ، يعبر عنها بلغة جزلة تشيع جواً من الاطمئنان البهيج .

من المرجح أن اسم الشقيري كان معروفاً ضمن بيوت سورية كثيرة ، منذ الخمسينيات من القرن الماضي ، وهو الفلسطيني الذي أسهم في إعطاء الدبلوماسية السورية جوانب من ألقها الدولي منذئذ . كان واحداً من فلسطينيين لا يحصيهم العد أسهموا في إغناء الحياة السورية ، إلا أن الشقيري من بينهم ، عمل في حقل يتابعه الإعلام ، وهو حقل الدبلوماسية . خطاباته في الأمم المتحدة شارحاً وجهة نظر سورية كانت أمراً واسع الانتشار يثير الافتخار .

للمرة الأولى أكتب عن الشقيري ، أكتب من الذاكرة ولم أحفل بأن أنظر في مراجع ، فما هي إنجازاته التي استقرت في الذهن ؟ .

يغريني تلخيص إنجازاته الأهم في ثلاثة :

الإنجاز الأول : بعثه الشخصية الفلسطينية بعد أن كادت تضمحل تحت جبروت الدبابات الإسرائيلية وفي دهاليز السياسات الرسمية العربية . كالمعجزة كان نجاحه في إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، من شتات فلسطينيي البلاد العربية والمغتربات . في عام ١٩٦٤ استعادت فلسطين اسمها ، بعد أن غاب ذلك الاسم المبارك في ظل يافطة اللجوء . واستمر الصعود الفلسطيني منذئذ بانياً شخصية سياسية عملاقة لا يستطيع أحد تجاهل أهميتها في تقرير مصائر المنطقة .

أما الإنجاز الثاني فيوازي الأول أهمية ، بل قد يراه البعض أهم منه . أحدث الشقيري ثورة في الثقافة السياسية العربية كلها ، لا الفلسطينية فقط ، كان الشقيري مثقفاً عالي الهمة وسط حكام عرب هم في الغالب أدنى منه ثقافة . وكان يرى أثر الثقافة في خلق الكيان الذي قام على أنقاض الكيان الفلسطيني . أنشأ الشقيري أول think tank عربية : بيت خبرة فكري قريب من صانع القرار السياسي ، وبذلك أشير إلى مركز الأبحاث الفلسطيني ، الذي أداره أولاً الدكتور فايز الصايغ ، رحمه الله ، ثم شقيقه الدكتور أنيس ، حفظه الله . وإذ أبتهج لأن الوطن العربي امتلأ في أيامنا هذه بمراكز البحوث ، إلا أنني أحب أن أسجل لمركز الأبحاث الفلسطيني أيام علاقتي به ، أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات ، أنه لم يكن يتوانى عن اقتحام الموضوعات الصعبة ، وعن التعبير في شأنها عن آراء لا تنسجم مع الحكمة الغالبة . كان يقود الرأي العام السياسي بدءاً من قيادته الفكرية للمساهمين في صنع القرار . محاولة بناء السياسة على حسابات الفكر الدقيق . كان إنجازاً لا نزال نفتقر إلى المزيد منه .

الإنجاز الثالث هو ، مذكراته الشخصية عن مؤتمرات القمة العربية التي شارك فيها ، وهو عندي أهم من الإنجازين السابقين .

لم ينتهك أحد قبله حرمة اجتماعات القمة . وفعلها بعده قليلون أهمهم الرئيس اللبناني شارل حلو . كان

(*) أستاذ محاضر في الدراسات العليا ، كلية الحقوق - جامعة حلب (سورية) ، وعضو مجلس الشعب السوري (سابقاً) ، ورئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة .

الشقيري أول من حدثنا عن أسرار القمم ، لماذا أصف هذا الإنجاز بأنه أهم من الإنجازين السابقين المجمع على أهميتهما ؟ لأن أسوأ ما في السياسة العربية أسلوب اتخاذ القرارات العربية . لكن : كيف يمكن أن نحسن هذا الأسلوب إن لم نعرف ما يدور في القمة ؟ أماط الشقيري اللثام عن بعض مداولات القمة ، فأدركنا أن حكامنا في قممهم ليسوا أحسن حالاً منهم خارجها . بل لعل أداءهم القممي لا يرقى إلى مستوى أدائهم في مجالات أخرى . كنا نحب لمؤتمرات القمة أن تكون مجامع حكمة ، فإذا بها بعيدة عما نحبه لها . منذ قرأت مذكرات الشقيري عن مؤتمرات القمة ، وأنا أطالب بإنشاء آلية تضبط تنفيذ مقررات تلك المؤتمرات . سطرت في ذلك عشرات المذكرات الرسمية في قصر الرئاسة السوري . ولعل ما كان لأحاديث الشقيري معي أثراً في تقديم مشروع بحثي عن مؤتمرات القمة إلى رئاسة معهد البحوث والدراسات العربية . وقد اقترن المشروع بالموافقة التي دعمت مالياً . ومن المؤسف أن هذا المشروع البحثي توقف بسبب ظروف المعهد ، أوائل عام ١٩٧٩ ، ولم أستطع بعثه بعد أن عاد المعهد إلى ظروفه الطبيعية بعد عقد ونيف . ولا ريب عندي أن هذا المشروع البحثي كان ولا يزال الأهم بين كل ما قام به المعهد من مشروعات .

أكتب أوائل آذار / مارس ٢٠٠٥ ، من الجميل أن ثمة من فكّر بذكرى ربع قرن على غياب الشقيري . إلا أن أفق القومي العربي الذي كانه الشقيري بل أفق الوطني الفلسطيني الذي كانه الشقيري أيضاً ، يبدو كالحاً هذه الأيام ، ومع ذلك فها هو حفيد الشقيري في رئاسة منظمة التحرير (محمود عباس) ، يحظى بأولوية سياسية متقدمة في عواصم العالم ، حيث يبدو إصرار الدول كبيراً على إقامة دولة فلسطينية تتجسد بها الشخصية الفلسطينية التي عمل الشقيري على بعثها .

الشقيري ، وميثاق منظمة التحرير الفلسطينية ، والأهداف النبيلة

د . جورج حبش (*)

ما من وضوح كان ظاهراً للعيان ، عند إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، أكثر من الوضوح المنبثق عن الميثاق القومي الفلسطيني ، وكان وراء ذلك رجل صادق ومحام بارع بحجم المناضل الراحل أحمد الشقيري ، الذي بذل جهداً كبيراً في تشكيل مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية إلى جانب زملائه في ذاك الوقت . كان الشقيري يتصف بعقلية بناء المؤسسة ولديه خبرة في ذلك ، وفي هذه اللحظات لا يسعنا إلا أن نقلب الذاكرة في ركنها المشرق من تاريخ كفاحنا الفلسطيني المعاصر ، لنتذكر المناضل أحمد الشقيري ، ونتذكر معه الإرث الكبير الذي خلفه ، والذي ينظر إليه شعبنا بكل فخر واعتزاز . ومع إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وما تمثله من هوية سياسية شرعية للشعب الفلسطيني ، أيضاً تم الإعلان في ذاك الوقت عن انطلاقة الثورة الفلسطينية ، والكفاح المسلح في مناخ من التصميم والإرادة واستمرار النضال ، بالرغم من آثار النكبة والمعاناة والآلام التي ألمت بشعبنا الفلسطيني في الوطن والشتات ، وما أن ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى ظهرت إلى جانبها تشكيلات الثورة الفلسطينية ، والمجموعات الفدائية ، وأبطالها المقاومون الذين استشهدوا ، والذين لا يزالون يواصلون النضال ويبذلون التضحيات الجسام على مذبح الحرية والاستقلال . لقد جاء تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية ضرورة ذاتية وموضوعية في ذاك الوقت . وتقتضي الأمانة التاريخية هنا ، أن نعترف بالدور الإيجابي الذي لعبه أحمد الشقيري ، كشخصية وطنية ، إلى جانب مجموعة من النخب الفلسطينية المثقفة في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية كأول تعبير عن شكل من أشكال الكيانية الفلسطينية ، وخاصة في الفترة التي سبقت الإعلان عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية .

في تلك الفترة ، كانت الجامعة العربية تتخذ كثيراً من القرارات ، لكن القليل منها كان ينفّذ على الأرض ، وطبعاً ، يجب ألاّ ننسى التناقضات الكثيرة التي تحكم العلاقات بين الأنظمة العربية ، ورؤيتها لتشكيل الكيانية الفلسطينية التي تمكن الفلسطينيين من تنظيم أنفسهم ، والقيام بدورهم في تحرير وطنهم وتقرير مصيرهم ، وفي هذا السياق برز الدور الحاسم للرئيس عبد الناصر ، الذي التقط أهمية الموضوع الفلسطيني ، وضرورة إيجاد شكل ما لتمثيل الفلسطينيين السياسي ، حيث لعب دوراً أساسياً في مؤتمر القمة العربية الأول ، الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٦٤ لانتزاع موافقة الزعماء العرب على تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية ككيان للفلسطينيين ، رغم تحفظات البعض على ذلك .

(*) مؤسس حركة القوميين العرب ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . توفي في عمان في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٨ .

حين أخذ الشقيري الضوء الأخضر من الرئيس عبد الناصر ، بدأ سلسلة من التحركات في أوساط التجمعات الفلسطينية ، لاختيار ممثلين في المجلس الوطني الفلسطيني الأول ، الذي انعقد في القدس في أيار/ مايو ١٩٦٤ ، ودرس المجلس فكرة إقامة منظمة التحرير الفلسطينية وأعلن عن تأسيسها .

أيدنا آنذاك - كحركة قوميين عرب - تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية ولكن اشترطنا انتخابات حرة للقيادة ، نظراً لحساسيتنا تجاه القيادة الفردية للشقيري التي تخوفنا منها ، ولكن للأسف لم تتم تلك الانتخابات ، وعينت القيادة تعييناً ، كذلك طالبنا أن تكون المنظمة بمثابة تنظيم ثوري يعبئ طاقات الشعب الفلسطيني بهدف تحرير فلسطين كاملة ، وأعتقد أن تأييد عبد الناصر لتأسيس المنظمة ، كان له دور مؤثر على موقفنا ، جعلنا نتغاضى عن شرطنا حول مسألة الانتخابات ، وتحفظنا على مسألة التعيين رغم حساسيتنا الشديدة تجاه هذه المسألة .

طبعاً كانت هناك مواقف متباينة للتنظيمات الفلسطينية التي بدأت تتشكل آنذاك من تأسيس المنظمة ، بينما لاقت الفكرة تأييداً كاسحاً في أوساط الجماهير الفلسطينية في كل أماكن التجمعات الفلسطينية .

لم تستطع المنظمة في تلك الفترة (١٩٦٤ - ١٩٦٧) أن تعبر تعبيراً دقيقاً عن حالة الغليان والحراك التي تجري في أوساط الشعب الفلسطيني ، وقواه السياسية التي بدأت تتبلور شيئاً فشيئاً ، خاصة وأن القيادة الفردية للشقيري كان لها تأثير سلبي ، ورغم أن بعض أعضاء اللجنة التنفيذية مثل بهجت أبو غربية ، ود . أسامة النقيب ، ونمر المصري ، وعبد الخالق يغمور ، و يحيى حمودة وآخرين ، أرادوا أن يستمروا في النضال من خلال معركة سياسية مع الشقيري للوصول بالمنظمة إلى قيادة جماعية ، لكن الشقيري مثل « أبو عمار » فيما بعد ، أصر على قيادته الفردية ، لذلك طالبوه بالاستقالة ، وترافقت هذه القصة مع التغييرات الكثيرة التي حدثت على إثر هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وكردّ على الهزيمة صعّدت الفصائل الفلسطينية الكفاح المسلح ، وكثفت العمليات الفدائية ، وفي نفس الوقت أضعفت الهزيمة القبضة الأمنية للأنظمة العربية ، وتعززت الروح الشعبية العربية المؤيدة للمقاومة الفلسطينية والكفاح المسلح ، وترافق هذا مع رغبة رسمية عربية بإزاحة الشقيري ، وتمثّلت الفصائل في منظمة التحرير الفلسطينية التي أعيد بناء مؤسساتها ، ولكن على صعيد القيادة بقيت فردية ، لذلك من جهتنا كجبهة شعبية كنا نفكر منذ البداية بتأسيس جبهة وطنية عريضة تضم كافة الفصائل ، وأعتقد أنه لو تمّ ذلك لتغيّر كثير من المسائل .

كان للشقيري حضوره الدائم وأثره الكبير في تشكيل مؤسسات منظمة التحرير والاتحادات الشعبية الفلسطينية ، ويلفت النظر إلى مواقفه فهو المناضل السياسي الوطني والقومي ، وفي مجرى التحولات التي كانت سائدة آنذاك ، يبدو لي أن تلك كانت مرحلة انتقالية بالنسبة لشعبنا الفلسطيني ، من شعب لاجئ في الشتات والمنافي والمخيمات ، إلى شعب هويته المقاومة .

وفي الذكرى الخامسة والعشرين لرحيل المناضل أحمد الشقيري ، نعيد حساباتنا ، ونعيد تقويمنا لتجاربنا ، بعد مضي ما يقارب الأربعين عاماً على تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، نلمس في كل مرحلة وجود صعود مستمر للقضية الفلسطينية ، مهما كبرت التحديات وازدادت المخاطر ، وأولى هذه التحديات محاولات شطب حق العودة ، الذي هو بمثابة قضية جوهرية تمثلها منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي انطلقت في أهدافها من العمل على التحرير وعودة اللاجئين الفلسطينيين ، والحق يقال إن أحمد الشقيري كان ينظر إلى هذه المسألة باعتبارها مسألة جوهرية لا يمكن التخلي عنها ، وهي بند رئيسي في النضال الفلسطيني ، الذي ينشده شعبنا من أجل حقه في تقرير المصير ، وإقامة دولته وعاصمتها القدس ، وعودة اللاجئين إلى ديارهم وبيوتهم التي شردوا منها ، وهذه المسألة لا تقبل المساومة .

لقد بذل الشقيري كل ما في وسعه من أجل شعبه ، ورسخت تلك المرحلة التي ترأس فيها الشقيري منظمة التحرير طريق العودة للأرض والوطن ، عودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه ، فكانت قضية العودة تتابع بقوة في المنابر الدولية في هيئة الأمم المتحدة ، وأعطى الشقيري مبكراً جل اهتمامه لقضية حق العودة .

كان القائد جمال عبد الناصر يعد العدة لخوض المعركة مع العدو الصهيوني مراهناً على الأمة العربية والعمق العربي ، وبعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ « النكسة » التي أثرت على مسار منظمة التحرير ، ظهرت تحديات جديدة ، وأنتجت تلك المرحلة قيادة بديلة لمنظمة التحرير ، لكن الشقيري ظل حتى آخر يوم في حياته يؤكد على قيم التحرر الوطني ، وكان منسجماً مع نفسه ومبادئه ، فالذاكرة الوطنية الفلسطينية تكنّ للشقيري مكانة عالية . واليوم ، وبعد مرور خمسة وعشرين عاماً على رحيله ، لا يمكن أن ننسى ما تركه هذا الرجل المناضل من بصمات نضالية قومية على مسار منظمة التحرير الفلسطينية . ورغم ما كان سائداً آنذاك من أجواء هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، إلا أن الثورة الفلسطينية استطاعت تجاوز واقع الهزيمة العربية ، وسطرت أروع

صور الصمود في معركة الكرامة ، التي أعادت رهان الجماهير العربية على روح المقاومة والوقوف بوجه الطغيان الصهيوني والتفوق العسكري الصهيوني المدعوم من الغرب الاستعماري . ورسخت منظمة التحرير الفلسطينية بمعناها الرمزي معنى المقاومة والصمود في أذهان الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج .

كانت منظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لأحمد الشقيري هي صوت فلسطين في المنابر العربية والدولية ، وممثله في الجامعة العربية ، وإن التاريخ يشهد على حجم ما قدمه هذا المناضل لفلسطين ولشعبه ، وذلك من خلال نهج التعبئة والتحرير ، كان يؤكد دائماً أن المساومات السياسية لن تحرر فلسطين ، وأن الكفاح المسلح هو الطريق السليم للتحرير ... ما أنبل هذه الفكرة التي تشبه صاحبها المناضل الراحل الشقيري !

قائدنا العظيم أحمد الشقيري

أ . خيري الدين أبو الجبين(*)

اليوم وقد مضت خمس وعشرون سنة على وفاة أحمد الشقيري مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية ، فإنه يحلو لي أن أذكره ، وأن أشيد بمسيرته النضالية الطويلة ، وأعماله المجيدة في فترة رئاسته لمنظمة التحرير ، وفي الفترة التي تلتها حتى وفاته .

وأول ما يخطر على بالي الآن التساؤل : كيف تمكن الشقيري من جمع الشعب الفلسطيني المشتت ؟ وكيف تمكن من التغلب على اعتراضات بعض الأنظمة العربية على إقامة الكيان الفلسطيني ؟ ومن خلال مرافقتي للشقيري في مسيرته تلك أقول : لقد تجلت قدرات الشقيري ، وظهرت صلابته الوطنية وحنكته السياسية ، وإيمانه العميق بحق الشعب الفلسطيني في أن يكون حراً مستقلاً يملك كامل السيادة في وطنه فلسطين ، شأنه شأن باقي أشقائه من الشعوب العربية ، فنجح الشقيري في مهمته تلك؛ لأنه آمن بقدرة الشعب الفلسطيني على تحقيق طموحاته .

وأعود الآن بالذاكرة إلى الأيام التي قضاها الشقيري متنقلاً بين العواصم العربية للدعوة إلى إنشاء الكيان الفلسطيني ، وذلك في الأشهر الأولى من عام ١٩٦٤ بعد مؤتمر القمة الأول ، حاملاً ورقة صغيرة فيها بضعة أسطر هي قرار ذلك المؤتمر « بتكليف أحمد الشقيري بالاتصال بالشعب الفلسطيني والدول العربية بغية وضع القواعد السليمة لإنشاء كيان فلسطيني » .

سافر الشقيري آنذاك متنقلاً بين دول المشرق والمغرب العربي ، واجتمع بملوكها ورؤسائها لإزالة مخاوفهم ، ولإقناعهم بأن لا خطر عليهم من قيام الكيان ، وأن الكيان المنشود لن يتدخل في شؤونهم الداخلية ، وقال الشقيري لجلالة المرحوم الملك الحسين آنذاك : إننا نهدف إلى تحرير الأراضي المحتلة ما بعد الضفة الغربية والقطاع ، وإعادتها إلى أهلها العرب الفلسطينيين ، ولا شأن لنا بالضفة الغربية ! !

وفي جولاته تلك التقى الشقيري بجموع الشعب الفلسطيني المشتت ، والواقع تحت تأثير الأنظمة العربية المختلفة ، وتمكن من إقناعهم بضرورة العمل يداً واحدة لتجسيد كيانهم الفلسطيني وصولاً إلى تحرير كل فلسطين ، ونجح في ذلك كل النجاح ، إذ شارك أمين الجامعة العربية وممثلون عن كل الدول العربية (باستثناء السعودية) ، وممثلون عن الشعب الفلسطيني في كافة أماكن شتاته ، شاركوا في المؤتمر الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس في شهر أيار / مايو ١٩٦٤ ، وأذكر الآن كم كان الشقيري محاوراً لبقاً في ذلك المؤتمر ، إذ تمكن من إقناع أعضاء المؤتمر بأن المرحلة تستدعي قليلاً من التسامح وعدم التشدد في وضع نصوص الميثاق القومي والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية المنشودة ... أقنعهم بالموافقة على إنشاء « كتائب عسكرية » بدل « جيش التحرير » ، الذي كان الأردن وغيره يعارضون إنشاءه آنذاك . كان الشقيري محاوراً لبقاً استطاع أن يقنع أعضاء المجلس وجلالة الملك الحسين بنصوص الميثاق والنظام الأساسي ، كما سبق أن أقنع الملك بأن لا خطر عليه من إقامة الكيان ، وأقنعه بالحضور لافتتاح المؤتمر الفلسطيني الأول في الثامن والعشرين من شهر أيار عام ١٩٦٤ وهكذا نجح المؤتمر ، وأعلن الشقيري قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وانتخب المؤتمر الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية ، وكلفه بتأليف أول لجنة تنفيذية لها .

(*) أول ممثل للمنظمة ثم مدير مكتبها في الكويت ، أمين سر الصندوق القومي الفلسطيني لسنوات عديدة ، ومؤسس مدارس المنظمة في الكويت ، ورئيس صندوق يافا الخيري فيها . صدر له كتاب : « **قصة حياتي في فلسطين والكويت** » ٢٠٠٢ و « **حكايات عن يافا** » ٢٠٠٥ . رئيس لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري .

كما تجلت حنكة الشقيري السياسية بإدراكه أن المال هو عصب كل عمل سياسي ، ونص في النظام الأساسي أن يكون رئيس الصندوق القومي منتخباً من المجلس الوطني ، حتى ينأى عن الضغوط عند ممارسته لعمله في جمع وحفظ المال الفلسطيني . وتجلت قدرات الشقيري أيضاً في وضع أسلوب عمل أجهزة المنظمة ، وإنشاء الدوائر والمكاتب من خلال اللجان الفنية المختصة والاتحادات المهنية المختلفة .

ولا شك في أن تأسيس منظمة التحرير وإرساء دعائمها ، وهي : مكاتب المنظمة ، والصندوق القومي ، ومركز الأبحاث ، وجيش التحرير ، والتنظيم الشعبي ، هو وحده إنجاز عظيم ، وهو كفيل بإدخال الشقيري في قائمة عظماء القرن العشرين ... !!

أضيف إلى ذلك أنني عملت مع الشقيري مديراً لمكتب المنظمة في الكويت عند تأسيسها ، ولمست آنذاك قدرات الشقيري ووطنيته الصادقة .

وإذا سألني سائل اليوم : لماذا أعجبت بالشقيري ؟ وكنت أول الداعين لتأليف لجنة لتخليد ذكراه بعد وفاته ؟ أقول : أعجبت بالشقيري لأسباب كثيرة ، منها إدارته الناجحة ، فقد كان يثق بمرؤوسيه وزملائه في العمل ، فكم من مرة قال لي عندما طلبت توجيهاته : « أهل مكة أدرى بشعابها » ، ولا أنسى أنه بعد محادثة هاتفية قصيرة معه في أعقاب النكسة ، سمح لنا في مكتب المنظمة في الكويت ، بإنشاء مدارس المنظمة لاستيعاب آلاف الطلاب الفلسطينيين الذين نزحوا إلى الكويت للالتحاق بأولياء أمورهم بعد احتلال الضفة والقطاع ، وسمح لنا آنذاك - ودون تردد - بالصرف على هذه المدارس من حصيلة حملة « مستشفى الميدان » ، التي كنا جمعناها قبل سقوط الضفة والقطاع .

وتأكيداً لما أقول عن ثقة الشقيري بالعاملين معه ، فقد ذكر الدكتور أنيس صايغ مدير مركز الأبحاث الفلسطيني أن الرئيس الشقيري عندما زاره في مكتبه للمرة الأولى ، لم يصدر إليه أية تعليمات بل استمع إليه متحدثاً عن عمله « وشرب القهوة » وانصرف شاكراً .

هذا ، وأعجبت بالشقيري أيضاً لأنه أبدع في تسخير لسانه وقلمه لخدمة المنظمة والقضية الفلسطينية على أوسع نطاق ، وتذكرني خطاباته الحماسية التي استمعت إلى العديد منها في غزة والقاهرة والكويت ، كيف كانت جماهير الشعب فيها تهتف للشقيري وتتفاعل معه .. !!

كما أعجبت بالشقيري لما لمست فيه من قدرة على الإقناع ، عندما رافقته في زيارة لسمو أمير الكويت الراحل الشيخ عبد الله السالم ، فأقنعه أولاً بفرض ضريبة التحرير على الفلسطينيين العاملين في الكويت ، وفي الزيارة الثانية استطاع الشقيري أن يقنع الأمير بالسماح بتدريب الفلسطينيين في الكويت على السلاح ، حدث ذلك في أواسط الستينيات من القرن الماضي ، وهو عمل رائع ولا شك ! ! وأعجبت بثقة الشقيري بنفسه ، وجرأته ، و اعتزازه بشعبه ، وذلك في المجلس الوطني الثاني الذي افتتحه الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة في شهر أيار عام ١٩٦٥ عندما قال في كلمته رداً على كلمة الرئيس جمال عبد الناصر ، تعريضاً بمن يتهمه والمنظمة بالتبعية لعبد الناصر ومصر : « أعلن من هذا المنبر على مسمع من الرئيس عبد الناصر ، أن منظمة التحرير ليست عميلة لأحد ، ولا تابعة لأحد ، إنها ملك الشعب الفلسطيني وحده ، أما أنا فإني أرفض أن أكون عميلاً لأحد ، ما أنا بعميل ، أنا زميل لعبد الناصر ، أنا وإياه رفاق طريق على درب الكفاح ، وإن شعبنا يلتقي بعبد الناصر لقاء الثوار بالثوار ، والأحرار بالأحرار » . وأعجبت بالشقيري أيضاً في المجلس الوطني الثالث في غزة عندما أعلن إنشاء « جيش التحرير الفلسطيني » بدلاً « من الكتائب العسكرية » . وزاد إعجابي به في ذلك المجلس عندما قال إن المجلس الوطني الرابع يكون أعضاؤه منتخبين بإذن الله ، وطلب إلينا - نحن مدراء مكاتب المنظمة - العمل لإجراء الانتخابات للفلسطينيين خلال السنة التالية . وزدت تقديراً لزعيمنا أحمد الشقيري لأنه استقال من رئاسة المنظمة حفاظاً عليها ، عندما طلب إليه عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية ذلك .

كما أنه بعد استقالته لم يهدأ ، بل استمر يعمل لخدمة القضية المقدسة بقلمه ، فأصدر آنذاك ما يزيد على عشرين كتاباً عن القضية الفلسطينية ، وعن لقاءاته مع الرؤساء والملوك العرب في سبيلها ، كما أنه استمر في الدعوة إلى الوحدة العربية ، التي كان يرى فيها علاجاً لكل مشكلات أمتنا ، وطريقاً لتحرير فلسطين ، وكان يقول دائماً : « أنا وحدوي هوى وعقيدة » ، وأصدر بعد استقالته من المنظمة كتابه الرائع عن الوحدة العربية وضرورتها وهو كتاب : « علم واحد وعشرون نجمة » .

ومن خلال معرفتي به ، ولقاءاتي معه في مناسبات كثيرة ، أعجبت بعدد من صفات الشقيري الشخصية ومنها : وفاؤه للمناضلين والقادة الذين سبقوه في العمل الفلسطيني ... قال لي في منزله في كيفون بلبنان ، حيث كان يمضي الصيف بعد استقالته من المنظمة : « أنا عزّيت بمفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني عند وفاته في الأسبوع الماضي ، مع أني كنت مختلفاً معه في فلسطين ، أنا عزّيت فيه لأنه لم يَلِن للمستعمر بل استمر في الكفاح ، ورفض الانتداب والصهيونية حتى وفاته » .

وأخيراً أقول : إنني أعجبت بالشقيري لمواقفه السياسية ، التي تجلت فيها وطنيته وحنكته السياسية ، أذكر منها أولاً أنه لم يقف أمام العمل الفدائي الذي

بدأته حركة فتح في أول عام ١٩٦٥ ، مع أنه كان يرى أن العمل الفدائي يجب أن يكون جزءاً من العمل العسكري الشامل ، الذي سوف تقوم به الجيوش العربية لتحرير فلسطين في الوقت الذي يراه الزعيم جمال عبد الناصر والقادة العرب مناسباً ، وكفيلاً بتحقيق النصر ، و كان الشقيري يقول : « سوف يكون الشعب الفلسطيني عندئذ في الطليعة » . والموقف السياسي الثاني هو رفض الشقيري لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي صدر في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٧ ، إذ رفضته المنظمة آنذاك ، مع أن مصر التي كان الشقيري يقيم فيها ، وفيها مكتب منظمة التحرير قبلت ذلك القرار ... وقال الشقيري آنذاك : « إنه يرفض قرار ٢٤٢ لأنه لا يعطي شيئاً للفلسطينيين ، وهو يخص الدول العربية وحدها التي اشتركت في رد عدوان « إسرائيل » عام ١٩٦٧ ، وهي : مصر والأردن وسورية ولبنان » .

وكانت لاءات الخرطوم الثلاث التي أطلقها الشقيري في مؤتمر قمة الخرطوم ، هي التي أوقفت اندفاع بعض الأنظمة العربية إلى الصلح مع « إسرائيل » ولو إلى حين .. !

وعندما بدأ التوجه الفلسطيني للتفاوض ، قال لي الشقيري « إنه شخصياً لا يمانع قيام أهلنا داخل الضفة والقطاع بمفاوضة « إسرائيل » لتحسين ظروفهم المعيشية مضطرين إلى ذلك ، وسوف يذكر التاريخ أنهم فعلوا ذلك لأنهم كانوا تحت الاحتلال ، أما منظمة التحرير والشعب الفلسطيني في الشتات فلا شأن لهم بهذه المفاوضات ، ويجب أن تستمر المنظمة في قيادة الشعب الفلسطيني حتى التحرير » .

رحم الله أبا مازن ، فقد كان حقاً قائداً عظيماً ... !

أحمد الشقيري

د . درويش حمودة أبو زور(*)

علم (جبل) شامخ من أعلام الحركة الوطنية في فلسطين أرض الإسراء والمعراج ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، بل هو أعلى ذروة في هذه الأعلام في أواخر الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين . فهو نقطة تحول كبرى في مراحل العمل الوطني الفلسطيني ، وهو كوكب دريّ بين مرحلتين :

مرحلة الهجرة والتشرد والشتات في عام ١٩٤٨ ، إذ شبّه شاعر فلسطين عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) نكبة الشعب الفلسطيني وتشرده وتفتته ، بقنبلة انفجرت فملأت شظاياها كل رجأ من أرجاء العالم : العربي بخاصة والعالم بعامة ، فأصبح أهل فلسطين لاجئين مشردين ، لا تجمعهم بقعة ولا ينظمهم سلك ، بل تجمعهم مخيمات متناثرة هنا وهناك فيما تبقى من أرض فلسطين في أيديهم ، وفي البلاد العربية المحيطة بفلسطين يقول أبو سلمى :

أهلي على الدهر تدميني جراحهمُ
في حبهم يتساوى العُذر والعذلُ
خيامهم في مهبّ الريح مُعولـــة
ودورهـــم من وراء الدّمع تبتهلُ
في كل أرض شظاياهم مشـــردة
وتحـــت كل سماء معشر ذَلَلُ

هذه مرحلة الضياع ومرحلة المطالبة بالحقوق والحرية ، وبناء الوطن الممزق ، منذ تأسست منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ فقد قام أحمد الشقيري بإرساء قواعدها ، فكوّن مؤسساتها على أرض صلبة ومن أهمها : جيش التحرير الفلسطيني (نواة التحرير للوطن) ، والصندوق القومي ، ومركز الأبحاث الفلسطيني ، الذي يرمز إلى العلم والبحث الرصين . كما دعا إلى الوحدة الوطنية أساس العمل الوطني ، لتوجه الجهود كلها لتحرير الوطن الفلسطيني من الحركة الصهيونية الاستعمارية الغاصبة .

لقد استطاع الشقيري في فترة وجيزة من الزمن أن يجعل منظمة التحرير الفلسطينية ملء السمع والبصر ، وأن يكون لها ممثلون في بقاع عديدة من العالم .

كان رحمه الله خطيباً مفوّهاً ، سَبَر غور اللغة العربية ، وتعمّق في أسرارها ، فهي تخرج نابضة من بين أنامله ، وهي طيّعة بين يديه عذبة ، حلوة ، جميلة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، وتجري بين مراشفه العطاش الظماء سلسة عذبة فتسيل سبائك من ذهب ، وعناقيد من لؤلؤ ومرجان ، فتأخذ بعقول السامعين ، وتسحر منهم الألباب ، فلا ملل ولا كلل ، بل شغف وحب للحرية ، واشتياق وحنين ، فنحن نبني فلسطين سكناً بشغاف قلوبنا ، ونحررها بأرواحنا وفلوذ أكبادنا ، ونشتاق إليها اشتياق الرضيع إلى صدر أمه ، ونحنّ إليها حنين الفصيل .

(*) موجه تربوي في الكويت . له ثلاثة عشر كتاباً في تدريس اللغة في المراحل الثلاث ، مقيم في الكويت . عضو لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري .

لقد أوتي سعة من العلم، وحماسة في القول، ونشاطاً في الصحة، يملك زمام لسانه، فقلب اللغة يخفق بين فكيه، وكان ثرّ الثقافة متنوعها، فكأنه موسوعة تسير على قدمين، يملك أساليب مخاطبة الجماهير، وأساليب الإبداع والابتكار، وله قدرة فائقة على التأثير في نفوس السامعين، وعلى الإقناع بالحجج والبراهين والحقائق، وذلك راجع إلى ثروته اللغوية الهائلة، وصوته الجهوريّ، فكانت المعاني تنهال عليه، والألفاظ والعبارات تتزاحم في ذهنه ليختار منها ما يؤثر في نفوس سامعيه، ولن أنسى عباراته الرائعة التي خاطب بها الجموع المحتشدة في الكويت، والتي تحمل معانيَ عديدة حين قال: إن الفلسطينيين سيكونون في طليعة الطليعة لتحرير فلسطين، وهاهم شبان فلسطين وشاباتها وهم في عمر الأزاهير وفي مقتبل العمر، يحملون السلاح ويضحون بأرواحهم الغالية رخيصة في سبيل فلسطين، وإنهم لمنتصرون - إن شاء الله.

وبهاتين الصفتين اللتين تميّز الشقيري بهما، استطاع أن يقنع صاحب السمو المرحوم الشيخ عبد الله السالم الصباح محرر الكويت، وباني نهضتها الحديثة، وباني مؤسساتها الديموقراطية، استطاع الشقيري أن يقنعه بالتدريب العسكري في الكويت للقادرين على حمل السلاح من أهل فلسطين، كما أن سمو الأمير فرض ضريبة التحرير على أهل فلسطين العاملين في الكويت.

لقد حمل الشقيري فلسطين بين جنبيه، فقلبه لا يخفق إلا بها، ولسانه لا يتحرك إلا بتحريرها، ومؤلفاته تسير في فلكها، وفي مؤلفاته فنّد أراجيف الصهيونية وأباطيلها، وتزييفها للحقائق، كما دعا إلى الوحدة العربية، انطلاقاً لتحرير فلسطين (علم واحد وعشرون نجمة) أحد كتبه التي تنادي بالوحدة العربية، كما كان يؤمن بالبعد الإسلامي. لقد أضاء شعلة التحرير، ليسير الشعب في طريق الجهاد والتحرير، وبرحيله فقدت القضية محامياً بارعاً فذّاً، وقائداً رشيداً، قادراً على مقارعة الخصم، وقادراً على الدفاع عنها، وإثبات حقها في الوجود. حقاً لقد كان مدرسةً كبرى في الوطنية، فرحمه الله، وسدد على طريق النصر خطى أبنائه وحفدته من أهل فلسطين. (كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي، إن الله قوي عزيز).

الشقيري والمنظمة: التعتيم على المؤسس، وهدم البناء

أ. رشاد أبو شاور(*)

مرت الذكرى الأربعون على تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، ولكن الجهات الفلسطينية الرسمية المنهمكة في سراب (أوسلو) لم تتوقف عندها، وفاء للحظة التغيير العظيمة في حياة شعبنا الفلسطيني وقضيتنا عام ١٩٦٤.

وكما تمّ تجاهل ذكرى تأسيس المنظمة، مارس سياسيو العجز والخراب التعتيم على ذكرى رحيل المؤسس والباني الأستاذ أحمد الشقيري.

عندما قرر مؤتمر القمة العربية الأول الذي انعقد في القاهرة، بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر ردّاً على مشروع الكيان الصهيوني بتحويل (سرقة) مياه نهر الأردن، قامَ الأستاذ أحمد الشقيري مندوب فلسطين في جامعة الدول العربية بالاتصال بالفلسطينيين في تجمعاتهم، لدراسة إمكانية إنشاء كيان فلسطيني على خير القواعد السليمة، والعودة بنتائج مساعيه للمؤتمر الثاني، انطلق الأستاذ الشقيري متخطياً العوائق التي وضعت في وجهه، وأجرى اتصالات بالفلسطينيين في كثير من الأقطار العربية، وكان أن بلور مع الشخصيات الوطنية والقانونية والفكرية، أسس بناء منظمة التحرير الفلسطينية. بقرار متواضع من مؤتمر القمة العربي الأول استنهض الأستاذ الشقيري همة الشعب الفلسطيني وروحه، وفرض - مع إخوانه - منظمة التحرير الفلسطينية كحقيقة واقعية، بميثاق، ومجلس وطني، ولجنة تنفيذية، وجيش تحرير فلسطيني، وصندوق قومي، ومركز أبحاث، ومنظمات شعبية عقدت مؤتمراتها وانتخبت قياداتها، وانطلقت في تأطير أبناء وبنات شعبنا في أماكن تواجدهم.

لا بد من التوقف قليلاً عند شخصية الأستاذ الشقيري لتذكير من نسي مكونات هذه الشخصية، وقدراتها وطاقاتها، فهو رجل القانون، السياسي الداهية، الخطيب المفوه، المطّلع على دهاليز السياسة في هيئة الأمم حيث مثّل دولاً عربية، وهو المتدين غير المتزمت، العروبي الواثق بأمته و طاقاتها المختزنة، وهو الكاتب صاحب البيان، القارئ الجيد للتاريخ بعمق.

كل هذه الطاقات في الرجل وظفت لإبراز الشخصية الفلسطينية، فكان أن تخطى العوائق التي وضعتها

(*) مناضل، كاتب وروائي فلسطيني.

دول عربية ، وأحزاب حاولت الهيمنة على المنظمة ، وأطراف فلسطينية ناصبته العداء لأنه تجاوزها بالعمل الميداني .

حيوية هذا المؤسس لمستها مع كثير من أبناء جيلي عندما التقيناه في جولاته ، وأصغينا إلى خطاباته . لقد تنبّه القائد المؤسس مبكراً للإعلام - وبخاصة الإذاعة - في مخاطبة الشعب الفلسطيني المنتشر في الشتات ، وهنا لعبت إذاعة فلسطين من القاهرة دوراً تعبوياً كبيراً .

لما زار دمشق توجهت إليه في الفندق مع عدد من الشباب ، وكنا قد أعددنا مذكرة عن أوضاع الفلسطينيين في سورية ، و أعربنا له عن تأييدنا ودعمنا ، فاستقبلنا بتقدير عالٍ مع أننا شباب حديثو السن ، وقال لنا بجديّة تامة وهو يتأمل المذكرة : « سأقرأها بعمق ، وأتمعن فيها ، وأستفيد منها » .

في فترة قياسية بنى المؤسس أحمد الشقيري منظمة التحرير الفلسطينية ، أطراً ومؤسسات ، وجيشاً تواجد في قطاع (غزة) على أرض فلسطين ، وسورية ، والأردن ، والعراق .

وأهم ما أنجزه مع هذه الخطوات العملية : استنهاض الشخصية الوطنية ، وبدعم من مصر الناصرية في مواجهة مخططات الكيان الصهيوني والحركة الصهيونية ، اللتين تنكران وجود شعب فلسطين ، وتراهنان على ذوبانه في المنافي .

لقد وقعت كارثة الخامس من حزيران / يونيو ، فلحقت الهزيمة بجيوش عربية لم تُعَدَّ كما يجب للدفاع عن الوطن ، فكان أن احتلت « إسرائيل » كل فلسطين ، والجولان السورية ، وصحراء سيناء ، وفي غيبة الشعوب العربية عن معركة يتقرر فيها حاضرها ومستقبلها .

من تربصوا بمنظمة التحرير الفلسطينية منذ نشوئها ، ورأوا في الأستاذ الشقيري عقبة تحول دون تحقيق مآربهم في الإمساك بالقرار الفلسطيني ، وجدوها فرصة فشنّوا حملاتهم المضللة على الأستاذ الشقيري إلى أن اضطر الرجل إلى الاستقالة ، تلك الاستقالة التي توجه بها وبكل كبرياء إلى الشعب الفلسطيني ! ...

كانت الفترة الانتقالية التي شغلها الأستاذ يحيى حمودة بعده مجرد تهيئة لاستحواذ قيادة حركة فتح على منظمة التحرير الفلسطينية .

تقاسمت قيادة فتح منظمة التحرير مع الفصائل التي رضيت بالفتات ، ولعبت دور شاهد الزور ، ولم تدافع عن أطر المنظمة ، ومؤسساتها ، وميثاقها ، وصندوقها القومي (المالي) مستقلاً لخدمة مصالح شعبنا .

قيادة فتح - و بعد أن برز دورها إثر هزيمة حزيران ونهوض العمل الفدائي بعد معركة الكرامة التي خاضها الفدائيون والجيش الأردني ببسالة - لم تضع يدها على قيادة المنظمة لتثورها ولكن لتتورثها ، ومن بعد تبددها ، في الحقيقة تهدم كل ما بناه المؤسس وجيل المؤسسين .

سنة وراء سنة ، مجلساً وطنياً بعد مجلس ، عوّمت المؤسسات ، ومسخت الأطر ، وبهت دور اللجنة التنفيذية التي اختزلت في (فرد) واحد هو الآمر الناهي ، صاحب القرار ، وعوّم المجلس الوطني ، وبدأت عملية شطب مواد وبنود من الميثاق ، بل وغير اسمه من (الميثاق القومي) إلى (الميثاق الوطني) بحجة إبراز الدور الوطني ، وحقيقة الأمر كان الهدف هو فلسطنة القضية ، أقلمتها ، إخراجها من فضائها العربي .

بعد حرب تشرين ٧٣ انتقلت منظمة التحرير الفلسطينية على وضع نقيض لهدف بنائها ، لقد حولت إلى (قناع) يلعب به اللاعبون سياسياً في المحافل العربية والدولية ، ويحملون المنظمة كل الأوزار ، في حين أن المنظمة لم تعد الإطار الوحدوي الفلسطيني ، ولكنها باتت (وسيلة) المنخرطين في المسار السياسي الاستسلامي العربي الرسمي .

المنظمة لم تعد منظمة التحرير الفلسطينية ، بل صارت منظمة التسويات السياسية ، وهذا ما رأيناه يحدث في عتمة (أوسلو) ، وفي حديقة البيت الأبيض في أيلول عام ٩٣ ، وفي طابا ، وشرم الشيخ ...

قبل مرضه ورحيله بفترة وجيزة التقيت الأستاذ الشقيري في بغداد ، تحديداً في فندق بغداد ، فكان أن وضع يده على كتفي ، وخاطبني وحولي بعض شباب الفصائل الذين حضروا إلى بغداد للمشاركة في اجتماع الفصائل : أوصيكم أنتم الشباب بمنظمة التحرير الفلسطينية ، إنها الآن مثل عربة بلا مكابح تهوي إلى القاع ، أنقذوها قبل أن تكون الكارثة ... .

بهذا أوصانا قبل قرابة ثلاثة عقود ، وكأنه يرى الغيب ، فالمنظمة بلا مقود ولا مكابح ، والقيادة المتهورة تهوي بها إلى القاع ! ...

ألسنا حالياً في القاع ؟ وهل بقي قاع للتنازلات أفدح وأكثر خسارة من تمكين الكيان الصهيوني من نهب أرضنا في ظل سلام أوسلو ، وطابا ، وشرم الشيخ ؟ !

المنظمة أفرغت من محتواها ، ودورها ، ومصادر قوتها - التفاف شعبنا حولها - والقيادات تتصارع على المناصب ، والفساد يستشري في أوصال سلطة أوسلو ، وهي متحكم بها عربياً رسمياً ، وأميركياً ، ورقبتها في قبضة عتاة الصهاينة ! ...

القيادات الجاحدة تنكّرت لدور الأستاذ أحمد الشقيري ، وسرقت جهوده ومن معه من البُناة ، تجاهلت رحيله ، ولم تذكّر به ، ولكن الأوفياء من أبناء وبنات شعبنا لم يقبلوا بهذا ، ولذا كتب كثيرون منهم عن الأستاذ الشقيري بكل ما هو جدير به من تقدير واحترام ، في مقدمة هؤلاء الدكتور المفكّر أنيس صايغ ، والدكتورة المؤرخة خيرية قاسمية ، وبعض أبناء جيلي الأوفياء الذين يشرّفني أنني واحد منهم .

لقد كتبت عن الأستاذ الشقيري عند رحيله وكنّا في بيروت ، وهالني عندئذ أن (مجلة فلسطين الثورة) ، التي كان لي شرف الإسهام في تأسيسها مع الأستاذ كمال ناصر الشاعر والأديب والصحفي ، وعضو اللجنة التنفيذية الناطق الرسمي للمنظمة ، والصديق حنّا مقبل ، والتي استحوذ عليها منظّرو التسوية والانخراط في مسيرة السلام بعد حرب تشرين / أكتوبر ١٩٧٣ لتكون صوت القيادة ، تنشر صورة بحجم طابع البريد على غلافها للأستاذ الشقيري مع عبارة : رحيل الشقيري . وخبر صغير في الداخل ! ...

بناءً على توصيته دفن الأستاذ أحمد الشقيري بجوار الصحابي الجليل (أبو عبيدة عامر بن الجراح) في أغوار الأردن ، وكنت كتبت عن اختياره لهذا المكان الجليل ، والصحبة الأطهر ، ورأيت أنه يردّ على وصيّة " بن غوريون " الذي أوصى بأن يدفن في مستعمرة (سيدي بوكر) في النقب ، وكأنه يدعو اليهود للتمدد والتوسع الاستيطاني .

أخبرني والدي - الذي كان في جنازة تشييع الأستاذ الشقيري (أبو مازن) - أن الأستاذ عبد الخالق يغمور ردد بصوت عالٍ : أين سندفن ؟ وها أنت تقودنا وتخرجنا من حيرتنا ، وتوجهنا ! .

أزور ضريح الأستاذ أحمد الشقيري بين فترة وأخرى ، وأرافق بعض الأصدقاء الذين يزورون الأردن إلى ضريح أبي عبيدة ، فنقرأ الفاتحة ونتأمل المكان ، ونتلو الآية الكريمة التي أوصى الأستاذ بوضعها على شاهد قبره : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

قبر بسيط لا يمكن أن تميّزه عن القبور المحيطة به ، عليه مكان الولادة والوفاة ... . المنظمة التي يتردد اسمها ليست المنظمة التي بناها الأستاذ الشقيري ، والتي تمثل شعبنا وتحمل أهدافنا ، ويقودها قادة أكفياء من شعبنا ، إنها سرقت وأفرغت ، وهي تدعونا بصوت الأستاذ الشقيري : " أنقذوها قبل فوات الأوان " . ترى هل فات الأوان تماماً ؟ أم ثمّة إمكانية لإنقاذ المنظمة ، والوفاء لمن بنوها ووضعوا أسسها لتنهض قويّة مهيبة معبّرة عن قضية جليلة وشعب عظيم ، ينتمي لأمّة طاقاتها بلا حدود لو قيّض لها من يستخرجها ...

الرحمة لروح الأستاذ أحمد الشقيري مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية .

أحمد الشقيري : بعد ربع قرن على رحيله

د . صبحي غوشة(*)

عرف جيلنا أحمد الشقيري منذ أوائل الخمسينيات من القرن الماضي ، خطيباً مفوهاً ودبلوماسياً بارعاً مارس نشاطاته المتعددة في جامعة الدول العربية ، ومندوباً لسورية في هيئة الأمم المتحدة ، وكذلك وزيراً لشؤون الأمم المتحدة في المملكة العربية السعودية ، وممثلاً لها في هيئة الأمم المتحدة حتى عام ١٩٦٣ ، إذ أصبح فيما بعد ممثلاً لفلسطين في جامعة الدول العربية ، في تلك الفترة التي سماها " أخطر مرحلة مرت في تاريخ الأمة العربية على الإطلاق " .

لم تحقق كل تحركاته الدبلوماسية وخطاباته الرنانة أي انتصار لقضية فلسطين على أرض الواقع ، كما قال حين جرى اختياره مسؤولاً عن تنظيم الشعب الفلسطيني دون إجماع القوى السياسية الفلسطينية ، أراد الرجل الدبلوماسي إثبات قدرته على الانتقال من مجال " الكلام " إلى مجال " الأفعال " ، ومهما حاول البعض التقليل من شأنه في تاريخ القضية الفلسطينية أو تشويه مسيرته ، فإن أي منصف لا يستطيع إنكار إنجازاته في هذا المجال ، فقد استطاع نقل قضية فلسطين من قضية فقدت وجودها كقضية تحريرية ، وأن شعب فلسطين فقد وجوده كشعب يتطلع إلى تحرير وطنه ، وإلى التأكيد بأن الواجب الوطني يفرض قيام كيان فلسطيني يوحد الشعب الفلسطيني ، وينظم صفوفه ، ويعبئ طاقاته العسكرية والسياسية للقيام بدوره في تحرير وطنه .

ذلك لأن الشعب الفلسطيني كان يعيش متشرذماً ، مشتتاً في مختلف بقاع العالم ، يعاني نظرة " دونية "

(*) مناضل قومي من طلائع حركة القوميين العرب في فلسطين ، وعضو أمانة القدس ورئيس جمعية يوم القدس . له كتابان : " **الشمس من النافذة العالية** " ، بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٨ ، و " **شمسنا لن تغيب** " نشر بطبعته الأولى في الكويت ١٩٨٨ .

إليه كلاجئ يتعرض لأسوأ أنواع الظلم والكبت والإرهاب في وطنه وخارجه ، وكانت طموحات ثواره أكبر كثيراً من إمكاناتهم ، وبخاصة بعد نكبة ١٩٤٨ ، فامتلأت الساحات الفلسطينية بالنظريات الثورية والتبريرية والاستسلامية (عند القلة) ، كما امتلأت ساحات النضال بعمليات ثورية كفاحية لا تكاد تقارن مع المعارك الكلامية في المنابر المختلفة .

لم أتعرف إلى الشقيري إلا في بداية انعقاد المجلس الوطني في القدس في ٢٨ أيار ١٩٦٤ ، وتابعت نشاطاته داخل الجلسات وخارجها ، وكذلك تابعت النقاشات الباردة والحادة بين الفئات المشاركة في المجلس الوطني الفلسطيني ، حتى وصل الأمر إلى اعتبار جميع المشاركين خونة لقضية فلسطين إذا أخذنا بكلام كل فئة منهم ، ولكن ... بالرغم من كل الضغوط والملابسات التي رافقت قيام منظمة التحرير الفلسطينية فإنني أعتقد بأن الشقيري استطاع وضع قدمه على الخطوة الأولى في مسيرة انبثاق منظمة التحرير الفلسطينية ، وأنه وضع دستوراً أو ميثاقاً قومياً للشعب الفلسطيني ، شمل معظم النقاط التي كان يطمح إليها الشعب الفلسطيني وأهمها - وكلها مهمة - :

المادة الثانية : فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد حكومة الانتداب البريطاني وحدة إقليمية لا تتجزأ .

المادة الثالثة : الشعب العربي الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ، ويقرر مصيره بعد أن يتم تحرير وطنه بمحض إرادته واختياره .

المادة الرابعة : الشخصية الفلسطينية أصيلة لازمة لا تزول ، وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء و ... .

المادة الخامسة : ... . كل من ولد لأب عربي فلسطيني بعد تاريخ ٤٧ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطيني .

المادة السابعة : الانتماء الفلسطيني ، والارتباط المادي والروحي والتاريخي لفلسطين حقائق ثابتة ، وإن تنشئة الفرد الفلسطيني تنشئة عربية ثورية ، واتخاذ كافة وسائل التوعوية والتثقيفية لتعريف الفلسطيني بوطنه تعريفاً روحياً ومادياً عميقاً ، وتأهيله للنضال والكفاح المسلح والتضحية بماله وحياته لاسترداد وطنه حتى التحرير واجب وطني .

المادة التاسعة : الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .

المادة الحادية عشرة : يكون للفلسطينيين ثلاثة شعارات : الوحدة الوطنية - التعبئة القومية - التحرير .

المادة التاسعة عشرة : تقسيم فلسطين الذي جرى في عام ١٩٤٧ باطل من أساسه مهما طال عليه الزمن .

وغيرها من المواد الأساسية ، والتي وافق عليها أعضاء المجلس الوطني في دورته الأولى بالإجماع .

لا جدال في أن الموافقة على بنود الميثاق القومي الفلسطيني شيء ، والموافقة على شخصية أحمد الشقيري شيء آخر ، وهذا أمر طبيعي في ظل الظروف التي عاشها الشعب الفلسطيني بفئاته المتعددة المتناحرة في تلك الأيام ، وكل واحد يغني على ليلاه .

كنت عضواً في حركة القوميين العرب التي شاركت في المجلس الوطني الفلسطيني ، وقد شاركت الحركة في الأردن في بعض لجان التعبئة السياسية والوطنية والدراسات العسكرية التي تم تشكيلها في ذلك الوقت ، ومارست ما استطاعت من نشاط بين صفوف الشعب الفلسطيني ، بالرغم من بعض اختلافات وجهات النظر مع المرحوم أحمد صدقي الدجاني ، وفي الوقت نفسه أردنا التريث حتى نحكم على تصرفات المرحوم أحمد الشقيري ، وبخاصة أن اللجنة التنفيذية الأولى شملت بعض الرموز الوطنية في الأردن مثل : الأستاذ بهجت أبو غربية ، والمرحوم عبد الخالق يغمور ، والمرحوم منذر عنبتاوي وغيرهم من الشباب الوطني الثوري الذي لم يكن مستعداً للتخلي عن مبادئه .

قمنا بدراسة لكل نشاطات منظمة التحرير الفلسطينية ، وأعددنا تقريراً يناقش الخلل في بعض التصرفات ، واقتراحات لتعديل بعض المسارات ، تمهيداً لمناقشتها في الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني ، الذي انعقد في القاهرة في ٣١ أيار / مايو ١٩٦٥ ، ولكن للأسف لم يكن هناك مجال للمناقشات العلمية البناءة ، وجرى انتخاب الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، إذ حمله مؤيدوه من الصفوف الخلفية ووضعوه على منصة الرئاسة التي جلس عليها المرحوم الشيخ عبد الحميد السائح .

بدأ الشقيري بتشكيل اللجنة التنفيذية الثانية ، وقد قامت مجموعة من اللجنة التنفيذية الأولى بالاتصال بي للمشاركة في عضويتها ، وقد اعتذرت عن ذلك بعد مشاورتي قيادة حركة القوميين العرب ، وقدمت بعض الأسباب أهمها : فردية المرحوم ، وعدم تقديم إنجاز مميز في الفترة القصيرة الماضية ، وغير ذلك من الأسباب التي لم تصل إلى أقل القليل مما حدث من خلل في منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الأيام .

وقد تشكلت اللجنة التنفيذية الثانية من معظم الأعضاء السابقين ، واستمرت في عملها حتى شاءت

الأقدار أن يتسلمها " الثوار " .

لا أريد أن أتطرق إلى تفاصيل ما حدث منذ تخلي الشقيري عن رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية من رئاسات فردية وفئوية وانحرافات واستسلامات ، ولكن أرجو أن أؤكد هنا بأن ما وافق عليه الشعب الفلسطيني في مختلف فئاته وهو دستوره - أي ميثاقه القومي الفلسطيني - الذي وضعه الشقيري ، هو مازال المطلب الشعبي لكل فئاته ، وأن يتجاوز هذا الميثاق بدءاً بتغيير اسمه من الميثاق القومي الفلسطيني إلى الميثاق الوطني الفلسطيني ، وانتهاءً بتعديله أو تبديله أو حذف أكثر من نصف مواده الأساسية منذ الموافقة على وثيقة كرايسكي عام ١٩٧٤ والنقاط العشر ، واتفاقية أوسلو وما واكبها من جلسات لتعديل الميثاق ، وحذف بعض المواد الأساسية المذكورة أعلاه وغيرها في جلسات المجلس الوطني في غزة في ١٩٩٦/٤/٢٤ ، بحيث أصبحت المواد الجديدة تعبيراً عن رسالة التفاهم بين الرئيس عرفات وأميركا ، كل هذه الممارسات لم ولن تؤثر على صمود شعبنا ونضاله المستمر في سبيل تحقيق أهدافه في تحرير كامل ترابه الوطني ، وسيادته الكاملة ، وحقه في تقرير مصيره على أرض وطنه ، الجزء الأغلى من الوطن العربي الموحد ، وإقامة دولة فلسطين وعاصمتها القدس .. كل القدس .

رحمك الله يا أبا مازن ، لقد تقلبت كثيراً في قبرك ، ولكن سوف تكون قرير العين مهما طال الزمن .

المناضل أحمد الشقيري في ذكرى رحيله

أ . عبد الرحيم ملوح(*)

عندما طلب مني الأخ العزيز عبد العزيز السيد الإسهام في الكتابة عن المناضل الراحل أحمد الشقيري ، مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية وأول رئيس لها ، كنت قد أبلغت من قبل إدارة معتقل " مجدّو " العسكري بنقلي إلى معتقل " عوفر " قرب مدينة رام الله ، وتحوطاً مني عدم القدرة على الوفاء بوعدي له على الكتابة ، أبلغت الواسطة بذلك ، لأنني لم أكن أعرف ما ينتظرني في المعتقل الجديد ، وما هي الظروف القائمة ، وإمكانية الكتابة ، وما يسمى إمكانية الاتصال وإمكانية إيصالها ، ولم أمكث في معتقل " عوفر " سوى ساعات بما يسمونه " المعبار " ، لأن مدير المعتقل ونائبه رفضا استقبالي في المعتقل عندهم ، وتم ترحيلي ليلاً إلى معتقل النقب الصحراوي جنوب فلسطين . بقيت قضية الوفاء بوعدي بالكتابة تشغلني حتى استقر بي الوضع في مكاني وتيسّرت لي الكتابة ، ولكن الكتابة من الذاكرة فحسب نظراً لعدم توفر أية مراجع ذات معنى أو قيمة عن تلك المرحلة في مكتبات المعتقل الفقيرة أصلاً ، وفي هذه الظروف أسهم في الكتابة عن المناضل الكبير أحمد الشقيري " أبو مازن " وعذراً لأي تقصير .

التقيت الأخ الكبير أحمد الشقيري للمرة الأولى في النصف الأول من العام ١٩٦٥ ، أي قبل أربعة عقود ، وكنت شاباً يافعاً لا يتجاوز العشرين عاماً ، وكان قد حضر إلى الكويت للحديث مع الجالية الفلسطينية ونشطائها حول المنظمة والقضية ودور الشعب الفلسطيني ، وعن المباشرة بتأسيس جيش التحرير الفلسطيني ، والبدء بتدريبات أولية للشباب الفلسطيني على أيدي الشباب الكويتي في أوقات الفراغ ، وذهبت مع مجموعة من الشباب الفلسطيني للاستماع إليه في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي المرة الأولى التي أراه وأستمع إليه مباشرة ، فتحدث بحماسة وطلاقة بالغتين أبهرتا غالبية الحضور إن لم نقل جميعهم ، داعياً الشباب للتطوع في جيش التحرير المنوي تأسيسه في العراق ، أو الالتحاق بدورات تأهيل سريعة في الكويت ، شارحاً الصعوبات التي يواجهها ، وبعد انتهاء محاضرته غادرنا المكتب أنا وأصدقائي ، وتناقشنا طويلاً بحدود إمكانياتنا المعرفية ، والمرتبطة باندفاعة الشباب ، والمقيدة بأسباب حضورنا إلى الكويت من أجل العمل ومد يد العون لأهلنا .

برغم هذا المزيج من المشاعر والاهتمام ، إلا أن أبا مازن نجح في تحريض المئات من الشباب الفلسطيني على الدخول في دورات أولية في الكويت ، وعلى التطوع كنواة لتأسيس قوات القادسية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني في العراق ، وكنت أحد هؤلاء الذين غلبت - في حينها - حماستهم على مسؤولياتهم الشخصية تجاه ذويهم ، متجاوزين الأسئلة الكثيرة ، التي لم نعثر لها على أجوبة في نقاشاتنا بعد ندوة الشقيري ، من نوع : ما الذي سيفعله جيش التحرير الفلسطيني في عدده وعداده وحدود تحركاته أمام " إسرائيل " وجيشها قياساً

(*) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

أرسلت المشاركة من معتقله في سجن النقب الصحراوي الصهيوني شباط / فبراير ٢٠٠٥ .

بالجيوش العربية ؟ وما الذي سنفعله في العراق على بعد مئات الكيلومترات من حدود فلسطين ؟ والكثير من الأسئلة الأخرى ، ورغم هذه الأسئلة المشوشة وجدوى الأجوبة في حينها بالنسبة لنا كشباب يافعين ، إلا أننا تطوعنا للمشاركة ، تدفعنا الحماسة وروح المغامرة ، ولا شك لدي أن اللقاء مع المرحوم الشقيري في باحة مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، قد لعب دوراً هاماً في دفع هؤلاء الشباب للتطوع في جيش التحرير الفلسطيني ، بل في تحديد مسار ومصير بعضهم لاحقاً .

والمرة الثانية التي التقيت فيها المرحوم أحمد الشقيري كانت في دارته في سوق الغرب في لبنان عام ١٩٧٤ ، بحضور عدد من الإخوة والرفاق ، أذكر منهم : أحمد اليماني أبو ماهر ، وشفيق الحوت أبو هادر ، وكان الحديث متشعباً لكنه تركز على الهموم الوطنية الفلسطينية تاريخاً وحاضراً ، ويمكن القول إن هذه هي المرة الأولى التي ألتقي فيها الشقيري ونتحاور ونتناقش عن قرب ، لأن المرة الأولى في الكويت كانت عبارة عن ندوة عامة ، رغم الحوار والجدل الذي جرى فيها ، وأهم ما أتذكره اليوم من حديث الراحل الكبير ثلاثة أمور :

١ - حديثه عن يافا ، عندما عرّفه شفيق الحوت بي وأنني من أبو كشك يافا ، فحاصرت أبا مازن الذكريات ، وتحدث عن أول صدام بين المستوطنين وعرب وادي الحوارث ، وقيادة الشيخ شاكر أبو كشك لهذه المقاومة عام ١٩٣١ ، وعن المؤتمر الوطني الفلسطيني في قاعة سينما الحمرا بيافا عام ١٩٢٧ ، وكان الشقيري من المتحدثين فيه وناطقاً رسمياً باسم اللجنة المنبثقة عنه ، وما لفت نظري بقوة عندها وجود سينما في يافا في ذلك الوقت ، الأمر الذي يدل على المستوى الثقافي الذي وصلت إليه بلادنا في حينه .

٢ - المشقات التي عاناها من كثير من الدول العربية ، والتحفظات التي واجهها من عدد من القادة العرب ، والقيود التي فرضت عليه عند تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية ، وعن تخلص المنظمة من كثير من هذه المعيقات ، رغم وجودها كامنة تحت السطح ، وتنتظر الوقت الذي تضعف فيه شوكة المنظمة وحضورها السياسي والجماهيري كي تعود للبروز مجدداً ، والإطباق على القضية والمنظمة بتوظيفهما في الحسابات السياسية لهذه الأطراف ، وطالبنا الحذر من الانحدار إلى هذه النقطة؛ لأن الثمن الذي سوف ندفعه جميعاً سوف يكون غالياً .

٣ - الحديث عن اللحظة السياسية الراهنة في حينه ، الذي كان يدور فيها جدل ساخن على أكثر من مستوى حول المرحلية ، والنقاط العشر ، وجبهة الرفض ، ونتائج حرب تشرين / أكتوبر ، و إمكانات توظيفها لصالح القضية الفلسطينية ، وكان رأي أبي مازن واضحاً ومتحفظاً في آن كما بدا في حينه ، موضحاً بأنه لا يتوقع أن تقدم « إسرائيل » شيئاً هاماً للفلسطينيين ، ويخشى أن لا تقدم لسورية ومصر ما تتطلعان إليه ، ولا يرى مبرراً لتقديم تنازلات سياسية برامجية مجانية ، أو الاختلاف على جلد الدب قبل اصطياده .

لقد كان اللقاء مع أبي مازن ممتعاً ومفيداً رغم حرارة الجدل بين الحضور ومعه في حينه ، هذه هي آخر مرة التقيت بها الراحل أحمد الشقيري ، وإذا انتقلنا من حديث الذكريات إلى وقائع السياسة ، يمكنني القول إن الشقيري قد أقام للشعب الفلسطيني نواة أو هيكل كيان سياسي هو منظمة التحرير الفلسطينية ، الأول والوحيد الذي ما زال قائماً منذ ما يقرب من نصف قرن ، ومكّن الشعب الفلسطيني ، وقواه السياسية والمقاومة من تطوير هذه النواة أو الهيكل ليصبح كياناً سياسياً راسخاً للشعب الفلسطيني ، ويحظى بالاعتراف الإقليمي والدولي ، بعد أن عاش الشعب الفلسطيني منذ النكبة على الأقل ممزقاً سياسياً واجتماعياً ، فاقداً للتمثيل السياسي « الكيان الواحد » موزعاً على عدد من الدول العربية والأحزاب القومية .

صحيح أن الظروف الموضوعية ، ورغبات بعض القوى الفاعلة - وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر - قد أسهمت بقوة في إخراج هذا المشروع إلى النور ، لكن الصحيح أيضاً أن عدة دول قاومت انطلاقته لحساباتها الإقليمية والقطرية ، وبعض القوى بخلفيات واعتبارات قومية ، حيث نظرت إلى الأمر على أنه بداية للتنصل العربي الرسمي من القضية الفلسطينية ، وموضوعياً انطلقت فكرة تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في ظروف موضوعية دولية وعربية ومحلية متعددة ومتنوعة الأبعاد . فعلى الصعيد الدولي كان التنافس بين القطبين : الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفييتي ، والرأسمالي بزعامة أميركا في أوجِه ، حيث بدأ السباق على غزو الفضاء بتقدم الاتحاد السوفييتي ، وإرساله أول رائد فضاء سوفييتي ، الأمر الذي دفع أميركا لتسريع مشروعها للعمل على إنزال أول إنسان على سطح القمر ، ما أفاد بتسريع نهوض ثورات شعوب آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية ، للتحرر من الاستعمار ، أو ما اصطلح على تسميته دول العالم الثالث ، ونضالها من أجل التحرر الوطني والاستقلال السياسي ، بدءاً من الهند والصين ، وصولاً إلى كوبا والجزائر وغيرهما ، الأمر الذي ترك تأثيراً إيجابياً عميقاً على الشعوب التي لم تنل استقلالها بعد ، ومنها الشعب الفلسطيني .

وعلى الصعيد العربي، عاش الوطن العربي في حينه وضعاً متناقضاً، ففي الوقت الذي حققت فيه الجزائر استقلالها بطرد الاستعمار الاستيطاني الفرنسي، فشلت أول تجربة وحدوية عربية معاصرة بانفصال سورية عن مصر، ما ألحق ضربة قوية لفكرة ومشاريع الوحدة العربية، وفي الوقت الذي بدأت فيه ثورة الجلاء في الجنوب اليمني ضد الاستعمار البريطاني، بدأ الصراع على أرض اليمن الشمالي بين قوى الثورة والتغيير بمساعدة مصر، في مواجهة القوى الحاكمة المحافظة بدعم السعودية، وتطور الوضع سلباً بالوصول إلى الصراع العسكري المباشر، مع ما يتطلبه ذلك من تحشيد واستقطاب محلي وعربي وإقليمي.

في هذا الظرف أعلنت «إسرائيل» مشروعها لتحويل مياه نهر الأردن من أجل إصلاح النقب، ضاربة بعرض الحائط القانون الدولي بمد يدها إلى الحقوق المائية العربية، وبخاصة حقوق الفلسطينيين والسوريين والأردنيين واللبنانيين، وفشلت الدول العربية في الاتفاق فيما بينها على خطة فاعلة لمنع «إسرائيل» من بناء مشروعها، فلجأت إلى خطوات سياسية ودولية فيما بينها من نوع تشكيل قيادة عربية موحدة، وعقد اجتماع قمة، والاتفاق على ميثاق دفاع مشترك، إلى آخره.

وفي هذا الوقت أيضاً، وفي ظل هذه الظروف برزت لدى الرئيس عبد الناصر خاصة، وبعض القادة العرب، الحاجة السياسية إلى جهة سياسية فلسطينية، تنطق باسم القضية الفلسطينية وعلى المستوى الفلسطيني، فقد بدأت تتفاعل في أوساط التجمعات الفلسطينية تأثيرات العجز العربي الرسمي عن فعل شيء للشعب الفلسطيني، وانعكاسات انتصارات الشعوب ضد الاستعمار في أكثر من بلد عربي وغير عربي، واستشراء الإقليمية العربية، والتوجه لبناء الهوية والدولة القطرية عملياً رغم الحديث عن القومية والوحدة العربية والقضية الفلسطينية إعلامياً، الأمر الذي دفع الطلائع من أبناء الشعب الفلسطيني للبحث عن وسائل وتشكيلات تضمن قيام الشعب الفلسطيني في صنع هويته، وبناء مستقبله كباقي شعوب الأرض.

ونتيجة هذه التأثيرات تشكلت عدة منظمات فلسطينية قدر عددها - في الأعوام التي سبقت إعلان تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية - بما يزيد على أربعين منظمة سياسية أو عسكرية سرية، فازداد الشعور الفلسطيني وتعمق بضرورة أن يمسك الشعب الفلسطيني بزمام قضيته حيث لا ينقصه شيء لفعل ذلك، ولا يختلف في الوقت ذاته عن الشعوب التي كافحت لطرد الاحتلال والاستعمار ونيل الاستقلال.

تقاطع هذه المتغيرات السياسية الدولية والعربية والمحلية زماناً ومكاناً، وتفاعلها مع تباين الأسباب الذاتية والحسابات الخاصة للأطراف الفاعلة، فرض على القمة العربية إعلان القبول بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، وتعيين الراحل أحمد الشقيري رئيساً لها، مع تقييده وتقييدها بقبول برنامج وسياسات وعمليات عديدة من أجل إزاحة تحفظات بعض الدول العربية على إنشائها، خوفاً من تضرر المصالح الخاصة لهذه الدول، ويسجل للراحل أحمد الشقيري أنه بذل جهوداً مضنية لتجاوز العراقيل والصعوبات التي وضعت أمامه بحنكة عالية بهدف وأد المشروع قبل ولادته، ولكن مثابرة الشقيري، ودعم الرئيس الراحل عبد الناصر غير المحدود، واستجابة القوى الاجتماعية والسياسية الفلسطينية «رغم تحفظات البعض» كان كفيلاً بإطلاق المشروع رغم التقييدات الرسمية العربية التي فرضت عليه، ووجدت طريقها إلى دور المنظمة العملي وحدود مسؤوليتها السياسية والسيادية على الأرض والشعب الفلسطيني وعلى جيش التحرير الفلسطيني المزمع إنشاؤه.

إن كل هذه الشروط والقيود على منظمة التحرير الفلسطينية ودورها السياسي والميداني، لم يغير من واقع أن القاطرة شقت طريقها لمغادرة المحطة، وامتلكت آلياتها وديناميكيتها الخاصة لتشق طريقها لاكتساب موقعها ودورها، وقد تحقق هذا بعد سنوات عندما قررت فصائل العمل الوطني الفلسطيني عام ١٩٦٨ دخول المنظمة، وإعادة صياغة ميثاقها ليصبح الميثاق الوطني الفلسطيني بدلاً من الميثاق القومي، وتجرى عليه تعديلات أساسية تستجيب لمتطلبات المرحلة الجديدة، ولتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية والكيان السياسي الفلسطيني، كما جسدته منظمة التحرير الفلسطينية في المرحلة الجديدة من كفاحها لاستعادة مسؤوليتها السياسية الوطنية عن شعبها ووطنها، وسبق ذلك أن اشتبك الشقيري بخلاف مع عدد من زملائه في اللجنة التنفيذية للمنظمة حول عدد من المواقف السياسية التي كان يطلقها، وحول إدارته الفردية لمؤسسات المنظمة وكيفية تشكيلها، الأمر الذي دفع بعضهم للاستقالة في ظل تفاقم الأزمة القيادية للمنظمة. وانطلاقة العمل الفدائي بفصائله المسلحة بعد حزيران ١٩٦٧، وتوجه هذه الفصائل لدخول المنظمة.

ضعفت قبضة الوضع العربي الرسمي على الوضع الفلسطيني خاصة وعلى الحركة الشعبية العربية عموماً بسبب هزيمة حزيران، ودخل الوضع الفلسطيني مرحلة جديدة باستقالة الشقيري وإعادة تشكيل مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية من القوى السياسية المنظمة، ليرأسها الشهيد الراحل ياسر عرفات ابتداءً

من شباط / فبراير عام ١٩٦٩ وحتى استشهاده في تشرين ثاني / نوفمبر ٢٠٠٤ ، بعد أن رأسها لمرحلة انتقالية قصيرة الأخ يحيى حمودة ، في الفترة الفاصلة بين استقالة الشقيري وتسلم الرئيس عرفات .

إن تعقيدات المرحلة ، وهيمنة القرار الرسمي العربي على المنظمة ومؤسساتها وتوجهاتها بما في ذلك على صياغة ميثاقها وعلى دور الفصائل والقوى الفلسطينية ، كان له الأثر العميق والكبير في تغيير شكل دور منظمة التحرير الفلسطينية لاحقاً ومضمونه ، وممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني ، كل هذا ، لا يقلل من الدور الذي لعبه المرحوم الشقيري أو المشروع نفسه ، باعتباره انطلاقةً جديدة للكيانية السياسية الفلسطينية المستقلة ، والمشروع الأساس لبلورة الهوية الوطنية الفلسطينية ، بل يؤكد على أهمية وأساسية هذا الدور ، ويسجل للراحل أبي مازن أنه كان رئيساً وعنواناً لتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ولعب - شخصياً - دوراً بارزاً في وضع حجر الأساس في بناء الكيان الوطني الفلسطيني ، وإنما سجل على الراحل الكبير الانتقادات حول إدارته المنظمة أو رضوخه لحساب بعض الأنظمة العربية ، أو خلافاته الحادة مع أنظمة أخرى إلا أن هذا لا ينتقص ولا يقلل من حجم الإنجاز الكبير الذي تحقق ، فقد عاشت المنظمة بعده - في ظل صعود العمل الفلسطيني المسلح وقيادة الفصائل لها وبخاصة حركة فتح والرئيس عرفات - أشكالاً متعددة ومتنوعة من التوترات مع بعض الدول العربية ، وعانت ولا تزال المصاعب والخلافات الداخلية التي أثرت على دورها أحياناً ، وعلى حضورها السياسي أحياناً أخرى .

وفاء منا لرموز كفاحنا الوطني ، ومنهم الراحل أحمد الشقيري أبو مازن ، في ذكرى رحيله الخامسة والعشرين أكتب هذه المساهمة المتواضعة ..

الشقيري ... التجسيد الحقيقي للقضية الفلسطينية

أ . عرفات حجازي(*)

كتبت عن المناضل الفلسطيني المرحوم أحمد الشقيري عدة مرات [1] ، وكنت أشعر أنني أتناول حياة الشقيري في كل مرة بصورة تختلف عن المرات السابقة .. فلا شك أن حياة الشقيري زاخرة بالمعلومة والحدث ، كما هي حياة تتجسد فيها العظات والعبر .. وما أكثر ما احتوته القضية الفلسطينية من معلومات وأحداث ، وما حفلت به من عظات وعبر كلها عبّر عنها الشقيري بالقول والعمل ...

وفي ذكرى مرور خمسة وعشرين عاماً على رحيل الزعيم ، الذي أحاط بالقضية الفلسطينية بشمولية لم تتوفر لغيره على كثرة الذين أعطوا لهذه القضية بإخلاص ووفاء وأمانة ، فعندما أكتب عن الشقيري ألجأ إلى مخزونه الذي لم يكن ينضب لاستقراء الواقع الحالي .

في هذه المناسبة سوف أنطلق من بداية معرفتي بالشقيري كعنوان لشهادتي ، وعندما أقدم شهادتي عن الشقيري في ذكرى رحيله الخامسة والعشرين لا بد أن أؤكد بأنني لست مجرد ناقل مما قرأت أو سمعت .. بل لقد رأيت الشقيري واجتمعت معه ، وعرفته وعملت معه وتأثرت بشخصيته وبمسيرته ووطنيته وباستقامته .. فقد كان النموذج للقائد الذي لم يخذل أهله ولم يخدع رفاقه ولم يضلل شعبه .. ولقد عرفت الشقيري في وقت مبكر من حياتي وأنا لم أبلغ السابعة عشرة من عمري ، عندما جرى اختياره لإدارة مكتب الإعلام في القدس ، عندما كان يشرف على إدارة مكاتب الإعلام الزعيم الفلسطيني موسى العلمي ، الذي قام بتأسيس مكاتب القدس ولندن وواشنطن بتكليف من جامعة الدول العربية ..

وجاءت إلى القدس في أوائل عام ١٩٤٦ لجنة التحقيق الأنجلو أميركية برئاسة السير جون فلنجستون للاستماع إلى شهادات الشخصيات الفلسطينية واليهودية حول حقوق كل من العرب واليهود في فلسطين ، توطئة لإقرار مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين فلسطينية وإسرائيلية ، وكنت بالرغم من حداثة سني أتابع كل ما يجري حول القضية الفلسطينية ، وكنت لا أتوقف عن الكتابة في الصحف عن الحق العربي في فلسطين ، وشعرت بدوافع ذاتية أن أساهم في تقديم شهادة أمام لجنة التحقيق الأنجلو أميركية عن الحق العربي والإسلامي في فلسطين ، وتوجهت إلى مكتب الإعلام الفلسطيني بالقدس ، الذي كان يرأسه أحمد

(*) كاتب وصحافي ، رأس تحرير عدة صحف أردنية ، نقيب الصحفيين الأردنيين سابقاً . أصدر ٣٣ مؤلفاً معظمها حول القضية الفلسطينية والحركة الصهيونية ، منح شهادة الدكتوراه الفخرية من اتحاد المؤرخين العرب ومعهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، تقديراً لدوره في الدفاع عن الحق العربي في فلسطين وقضايا الأمة العربية .

(١) انظر ببليوغرافيا الشقيري في الكتاب ، وكذلك الشقيري في كتابات عرفات حجازي في فصل الشقيري في كتاباتهم .

الشقيري والذي كان مسؤولاً عن اختيار الشخصيات الفلسطينية لتقديم شهاداتها ، وطلبت مقابلة الشقيري وحملت أوراقي معي ، وعندما قابلته وأبلغته رغبتي في تقديم شهادتي وقد وضعت أوراقي بين يديه لكني شعرت بذهول الشقيري ، الذي كان يتوقع أن أكون من ذوي التاريخ النضالي الطويل لا شاباً في مطلع حياته تنقصه كل تجارب الحياة السياسية .. ودون أن يتفحص أوراقي بدأ يقدم لي النصائح بأن أمثالي من الشباب يستطيعون أن يقدموا خدمة للوطن ليس بالوقوف أمام السير جون فلنجستون ، ولا بتقديم الشهادات لأعضاء لجنة التحقيق الأنجلو أميركية ، المعروف والمؤكد أنها إذا استمعت إلى شهادة حق فإنها لن تتراجع عن تأويلها لأن مهمة هذه اللجنة مثل مهمة كل اللجان الأجنبية ، هي تقديم العون لليهود لاحتلال بلاد العرب والمسلمين ..

وأشار علي الشقيري في ذلك الحين التوجه إلى محمد نمر الهواري القائد العام لمنظمة النجادة التي كانت تعد شباب فلسطين حتى يكونوا الطليعة في جيش التحرير ، الذي سيكون هو الوسيلة الوحيدة لإقامة دولة فلسطينية تكون استمراراً للفتوحات التاريخية التي حفظت هذه البلاد ، وأبقتها عربية إسلامية ..

ولم أشعر بالندم لأن الشقيري لم يشجعني على تقديم شهادتي التي أمضيت الأيام والليالي وأنا أعدها وأستعد لتقديمها للجنة ، التي ثبت كما قال الشقيري أنها لم تكن تحتاج إلى دليل للوقوف على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، بل كانوا يبحثون عن ثغرات ومبررات لإيجاد وسيلة لإقامة الدولة العبرية على الأرض الفلسطينية لم يكن فيها أي أثر للوجود اليهودي .

في منظمة النجادة

وفعلاً توجهت إلى المناضل محمد نمر الهواري وقابلته وأنا سعيد أني لم أقابل السير جون فلنجستون ، وبعدها أصبحت أصغر ضابط في منظمة النجادة التي من خلالها تعلمت بأن القضية الفلسطينية ليست نصوصاً وأدبيات فقط ، بل لا بد من تشكيلات عسكرية تحمل راياتها حتى تصبح أكثر من قصيدة شعر أو بيانات عاطفية ، حتى أنني بعد عشرين عاماً كنت قد ألفت مجموعة من كتب المقاومة وأصدرت سلسلة التوعية الفلسطينية ، وعندما كنت رئيساً لتحرير صحيفة عمان المساء في مطلع عام ١٩٦٤ ، تلقيت مكالمة هاتفية من المرحوم بهجت التلهوني رئيس الديوان الملكي طلب مني موافاته في مكتبه لأن أحمد الشقيري يرغب في الاجتماع معي للبحث في تأسيس المجلس الوطني الفلسطيني وإقامة الكيان الفلسطيني ، وفعلاً بدأت لقاءاتي مع القائد الذي فجر المسيرة الفلسطينية على أسس وطنية علمية تنظيمية ، ولقد ساعدته في اختيار أعضاء المجلس الفلسطيني ممن يقيمون في الأردن ، وكان الشقيري قد وضع معايير لهؤلاء الأعضاء جاءت بمجلس وطني يمثل الشعب الفلسطيني تمثيلاً يفوق أية نتيجة لأية انتخابات مهما كانت نزيهة ...

مذكرات الشقيري ... ووصفي التل !

وبعد أن توثقت علاقاتي برئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وانتخابي في الدورة الأولى للمجلس الوطني الفلسطيني رئيساً للجنة الإعلامية ، اختار الشقيري صحيفتي « عمان المساء » التي كان يشاركني في إصدارها شقيقي المرحوم ياسر ، لنشر مذكراته التي تحدثت عن الأسباب والدوافع التي أضاءت أمامه طريق الوصول إلى فلسطين ، تلك الطريق التي لن تكون إلا طريق الكفاح المسلح ، كما عرض تفاصيل مشواره الطويل الذي استطاع في نهايته إعلان الكيان الفلسطيني ، ولكن بعد صراعات طويلة مع بعض الدول العربية التي اعترفت في النهاية بقيام منظمة التحرير ، ولكنها اعتبرت إعلان الكيان الفلسطيني هو مسؤولية فلسطينية ورفضت التدخل في أي شأن من شؤونه ...

وقد فتحت مذكرات الشقيري التي خص بها صحيفة « عمان المساء » شهية المرحوم وصفي التل ، الذي سبق أن شارك في معارك جيش الإنقاذ الفلسطيني ، وكان من المحاربين الذين خاضوا معارك المستعمرات في شمال فلسطين ، وخص وصفي التل « عمان المساء » أيضاً بنشر تفاصيل المعارك التي خاضها على الجبهة العسكرية الشمالية ، وكذلك المعارك السياسية والإعلامية التي شارك فيها عندما عمل في المكاتب الفلسطينية التي افتتحها موسى العلمي للتعريف بالقضية الفلسطينية ، والجدير بالذكر أن وصفي التل عندما أصبح رئيساً لوزراء الأردن كانت مذكراته تتصدر صحيفة « عمان المساء » ، وعندما استقالت حكومته بعد أكثر من عام كانت مذكراته ما زالت تنشر ، وكانت تلهب عواطف المتابعين الذين كانوا يزدادون إيماناً بأن وقود القضية الفلسطينية هو الكفاح المسلح ، أما الصلح أو الاستسلام فهو مقبرة الفلسطينيين ، ما دفع رئيس الحكومة الجديدة التي تعرضت على ما يبدو لضغوطات أن يطلب مني شخصياً أن أتوقف عن نشر تلك المذكرات ، ولكنني أبلغت المرحوم وصفي أن مذكراته كادت تنتهي حلقاتها ، فطلبت منه أن يبحث في ذاكرته عن ما يساعد على مواصلة النشر ما دام الحديث عن الكفاح المسلح يخيف الأعداء .

لماذا استقال الشقيري ؟

هناك مرحلة حاسمة وصعبة مرت في حياة الشقيري لم يكشف عنها الستار ، وجرى التعتيم عليها وهي :

لماذا استقال الشقيري من منظمة التحرير بعد أن قدم للقضية وللعرب وللمسلمين ما لم يقدمه من قبل أو من بعد إلا الفاتحون التاريخيون ؟ .

فالمعروف أنه لولا الشقيري لما قامت المنظمة ولما أعلن الكيان الفلسطيني ، وأنه لولا الشقيري لما استطاع مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الخرطوم في أعقاب نكبة فلسطين ، أن يرفع من معنويات الجيوش العربية المهزومة ولا من معنويات الشعوب العربية المنكوبة المقهورة ، عندما تدخل بشجاعة وصلابة في صياغة قرارات القمة بالرغم من معارضة بعض الرؤساء ، فكان هو صاحب اللاءات الثلاث : لا صلح ولا تفاوض ولا اعتراف ولهذا فقد أصيب الشقيري بالشلل عندما سقطت أولى لاءاته بذهاب السادات إلى القدس فكانت أولى مراحل الصلح ، وقد صعدت روحه إلى خالقها عندما ارتفع العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة يوم الاعتراف بالعدو الذي لا يخطط لفلسطين وللعرب والمسلمين إلا لإلحاق الهزيمة والإذلال بفلسطين وأهلها !!

من وراء غياب الشقيري ؟

وفي بيت الشقيري المطل على النيل في العاصمة التي كان يعشقها ، اجتمع الشقيري مع مجموعة من المقربين والمستشارين وأطلعهم على رسالة تلقاها من سبعة أعضاء في اللجنة التنفيذية لتحرير فلسطين يطالبونه بالاستقالة ، وبعد أن حدثنا الشقيري عن صراعاته في مؤتمرات القمة مع بعض رؤساء الدول التي كانت ترفض شعار الكفاح المسلح ، واعتراضها على العرض العسكري لجيش التحرير الفلسطيني الذي جرى تشكيله في غزة مع انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة ، وظهرت بعض الأسلحة والآليات التي أرعبت « إسرائيل » وأثارت الولايات المتحدة ، ثم حدثنا عن غضب بعض الدول العربية التي أحرجها عندما فرض قرار اللاءات الثلاث ، وما كان له من ردود فعل عالمية تأثرت بها مصالح بعض الدول العربية في علاقاتها مع الدول الكبرى ، التي لم تستطع كبح جماح الشقيري الذي كان يعتبر أن لا حل للقضية إلا بالجهاد .

وقد صاحب هذه الرسالة التي طالبه فيها سبعة من أعضاء اللجنة التنفيذية حملة شرسة من الصحافة المصرية ، التي أخذت تحمل الشقيري أسباب هزيمة العرب ونكبتهم ، وكان الشقيري يردد وهو يدافع عن مسؤوليته في الهزيمة بأنه لم يكن يمتلك جيشاً حتى يتسبب في الهزيمة عن خيانة أو ضعف أو جبن !

كتاب الاستقالة

والشقيري الذي كان يتألم وهو يتحدث عن دوافع الرسالة التي تلقاها من زملائه أعضاء اللجنة التنفيذية ، كان يؤكد بأن وجوده في قيادة المنظمة الفلسطينية أصبح مستحيلاً بسبب تدخل بعض الأنظمة التي كان لها ارتباطات مع الولايات المتحدة ، ولكنه أعلن أنه لن يعاند ولن يعطي الخصوم الكبار فرصة الانتقام من الشعب الفلسطيني ، وأنه سيستجيب للطلب وسيستقيل ، ولكنه لن يعترف بالجهة أو الجهات التي أوعزت لدفع الشقيري لتقديم استقالته ، لأنه سيقدم الاستقالة ليس للجنة التي طالبته بالاستقالة ، بل إنه قدم يوم ١٩٦٧/١٢/٢٤ استقالته لصاحب المصلحة الحقيقية .. إلى الشعب الفلسطيني ، وقد بعث بكتاب استقالته لأعضاء اللجنة التنفيذية وهو يستهل رسالته بأنه يقدم الاستقالة إلى الشعب الفلسطيني إلى الشعب الأسير الشريد المهاجر الطريد ، وكذلك إلى الفدائيين الأبطال الذين يخوضون غمرات النضال .. [1]

الحديث عن القوة !!

وأمضى الشقيري ما تبقى من عمره بعيداً عن ساحة المعركة بالكتابة حول القضية وأبعادها ، والتأكيد على حتمية النصر ، وكان يردد باستمرار أن الأمة العربية التي تجمعت جيوشها حول حطين عام ١١٨٧ سوف تتجمع لا محالة مرة ثانية لتحرير فلسطين في معركة حطين الثانية ..

وكما ظل الجهاد والقوة والكفاح المسلح هاجس الشقيري لعودة فلسطين ، فقد كان يؤمن أنه بدون الوحدة العربية والإسلامية يستحيل التحرير ، ولهذا كان يردد باستمرار بأنه : « لا عروبة دون فلسطين » !!

أما مقره الأخير الذي أراد أن يكون فيه قرير العين فقد جاء تحديده في وصيته أن يدفن إلى جانب الصحابي الجليل « أبو عبيدة عامر بن الجراح » في مقبرة شهداء معركة اليرموك في الأغوار الأردنية المحاذية للحدود الفلسطينية ..

والشقيري الذي لم يستطع أن يحقق ما كان يصبو له من تحرير فلسطين ، إلا أنه استطاع أن يضع أقدام كل الفلسطينيين على درب التحرير الصحيحة ، لأنه عندما توفي كان في الشعب الفلسطيني جحافل من المسلحين والمقاتلين الذين أخذوا يؤمنون بالكفاح المسلح ، بينما كان الشقيري عندما أعلن قيام منظمة التحرير لم يجد مرافقاً مسلحاً يمشي حوله !!

ويكفي الشقيري الذي وصفوه بأنه السنديانة

(١) انظر نص الاستقالة في قسم المنظمة : الفصل الثامن في الكتاب .

وافرة الظلال والزيتونة المباركة ، أنه هو الذي كان يعبئ الجماهير بمقولته التي أصبحت شعاراً عندما كان يردد : « إن الأقوى هو الأبقى » ، وهو ما يؤكد على أن الشقيري كان من الأقوياء في القادة الفلسطينيين ، لهذا بقي عطراً فواحاً معلماً يشير على الدهر إلى طريق التحرير .

أحمد الشقيري مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية

أ . د . علي محافظة(*)

من الظلم أن نحكم على أحمد الشقيري بكلمات وصفحات قليلة ، فالرجل يستحق أن يدرس وأن تحلل شخصيته وتجربته ونضاله السياسي تحليلاً علمياً دقيقاً . ولا أوفيه حقه بهذه الكلمات ، وإنما هي ملاحظات عابرة وددت أن أسجلها في هذا السفر ، وانطباعات شخصية بعد دراسة مؤلفاته وخطبه ، ومعايشة المدة الزمنية التي تولى خلالها إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وإخراجها إلى حيز الوجود ، والدفاع عن القضية الفلسطينية .

أول ملاحظاتي ملاحظة عامة ليست ذات صلة مباشرة بأحمد الشقيري ، وهي أن القضية الفلسطينية على أهميتها وخطورتها على الأمة العربية ، وعلى الرغم من التضحيات الجسيمة التي قدمها الشعب العربي الفلسطيني خلال قرن من الزمن ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الشعوب العربية ومنظماتها الشعبية لمساندة نضال شعب فلسطين فقد كانت جدواها ضئيلة . ولذلك أسباب ودوافع لا بد من إيلائها ما تستحق من اهتمام ودراسة عميقة ، للكشف عن الخلل الذي رافق الجهود الرسمية والشعبية وأدى إلى فشلها والوصول إلى الحالة المحزنة التي بلغتها القضية الفلسطينية .

وثاني هذه الملاحظات أن أحمد الشقيري رجل عصامي مثقف ووطني حقاً ومؤمن بقضية شعبه ، لم يتح له وضعه الاجتماعي في فلسطين ، على الرغم من كونه ابن الشيخ أسعد الشقيري ، عضو مجلس المبعوثان العثماني ، ومفتي الجيش العثماني الرابع ، والذي سعى في فترة ما بين الحربين العالميتين إلى القيام بدور سياسي على الساحة الفلسطينية ، أن يقوم بدور مهم قبل سنة ١٩٦٤ . صحيح أنه لم يتوان عن الدفاع عن القضية الفلسطينية في المحافل الدولية حينما كان مستشاراً في وزارة الخارجية السورية ، وأميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية ومندوباً للمملكة العربية السعودية في الأمم المتحدة ، غير أن أدواره كانت ثانوية قبل أن يقرّ مؤتمر القمة العربي الأول سنة ١٩٦٤ أن يستمر الشقيري باتصالاته بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني ، بغية الوصول إلى إقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني ، الأمر الذي أفضى إلى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية والمؤسسات التابعة لها .

ثالث هذه الملاحظات أن أحمد الشقيري استطاع بقدراته الذاتية أن يبعث الأمل في نفوس الفلسطينيين ، على أرض فلسطين وفي المهجر في إبقاء قضيتهم حية ، واتخاذ عدد من الإجراءات التنظيمية لإبراز الكيان الوطني الفلسطيني على الصعيدين العربي والدولي . وعلى الرغم من الخلافات السياسية العربية والحرب الباردة العربية استطاع أحمد الشقيري أن يحقق إجماعاً عربياً على دعم المنظمة ومؤسساتها . وكان يرى أن المنظمة ومؤسساتها ، وعلى رأسها جيش التحرير الفلسطيني لا بد أن تتعاون مع الدول العربية لتحرير فلسطين ، وأن ليس بإمكان الفلسطينيين وحدهم تحقيق ما يطمحون إليه . صحيح أن خطبه النارية وتصريحاته المبالغ فيها كانت تثير غضب العديد من القادة العرب وسخريتهم ، إلا أنها كانت ذات مفعول مؤثر على الصعيد الشعبي .

ورابع هذه الملاحظات أن الشقيري ظهر على الساحة العربية في وقت احتل فيها هذه الساحة قادة بارزون مثل : جمال عبد الناصر والملك فيصل آل سعود والملك حسين بن طلال ، غير أنه تفوق في كثير من الأحيان على هؤلاء ، وطغت تصريحاته وخطبه وتحركاته على نشاطهم . فقد كان أكثر ثقافة منهم وأكثر خبرة وتجربة بالقضية الفلسطينية . وكثيراً ما أثار غيظ بعضهم ، وضيق بعضهم الآخر به .

وخامس هذه الملاحظات أن الشقيري تميز على جميع القادة الفلسطينيين بأنه جمع حوله الفئات المفكرة والمثقفة من الفلسطينيين ودفعها بحماسه المعهود إلى الاهتمام بقضيتها الوطنية ، ورعاها بكل ما لديه من قوة وإمكانية ، وأدخلها في اللجنة التنفيذية للمنظمة وفي بقية المؤسسات التابعة لها .

(*) مفكر عربي ومؤرخ أردني ، رئيس جامعة جدارا للدراسات العليا (سابقاً) ، إربد - الأردن .

وسادس هذه الملاحظات أن الشقيري آلى على نفسه أن لا يكون زعيماً لميليشيا أو فصيل عسكري معين ، وإنما أصر على أن يكون لفلسطين كلها والفلسطينيين جميعاً . ولم تظهر عليه نزعة أو ميل لأبناء عكا مثلاً أو عصبية لأسرة أو منطقة من مناطق فلسطين . يستحق أحمد الشقيري رحمه الله ، مزيداً من الاهتمام من الباحثين والدارسين الفلسطينيين والعرب ، وتستحق تجربته مزيداً من العناية والدراسة والتحليل .

الشقيري .. خمسة وعشرون عاماً بعد رحيله

أ . عوني فرسخ(*)

حين تذكر الدفاعات الموضوعية عن القضايا العربية عامة ، والقضية الفلسطينية خاصة ، في المحافل الدولية ، والوقفات الشجاعة غير المجاملة في حضور الملوك والرؤساء العرب ، وفرسان الخطابة العربية في العصر الحديث يذكر أحمد الشقيري ، وحين يذكر العمل المؤسسي وعدم الانغلاق دون ذوي الخبرة والكفاءة في تولي المسؤولية الإدارية ، ونظافة اليد وعدم تسخير المال في شراء الذمم ، والالتزام العنيد بالثوابت الوطنية والقومية وعدم الاستعداد للمهادنة والتفريط يذكر أيضاً أحمد الشقيري .

ولقد كان الراحل الكبير متعدد المواهب ، دؤوب الحركة ، ثري العطاء ، واضح المواقف . ولأنه كان حاسماً في مواقفه السياسية ، على الرغم مما عرف به من كياسة ولباقة دبلوماسية ، اختلف مع كثيرين واختلف عليه الكثيرون . ولكن خلافاته لم تكن ذات طابع شخصي ، وإنما كانت وليدة ما عرف به من التزام عنيد بالثوابت الوطنية والقومية ، تماماً كما كان الاختلاف عليه بسبب الأدوار السياسية التي أوكلت إليه وحرصه على أن يكون صاحب قراره .

بدأ حياته السياسية بموقف قومي ، ففي العام ١٩٢٧ حين كان يدرس الحقوق في الجامعة الأميركية في بيروت ، وفي مهرجان شارك فيه رياض الصلح ، ألقى كلمة تسببت بأن تعتقله سلطات الانتداب الفرنسي ، وتبعده عن سورية ولبنان . وفي مؤتمر القمة العربية في الخرطوم في خريف سنة ١٩٦٧ قال الكلمة التي أغضبت الملوك والرؤساء ، وكان لانسحابه العاصف من المؤتمر دوره في إصدار لاءات الخرطوم الثلاث ، دون أن يبخس ذلك الدور الأكبر لجماهير شعب السودان التي باستقبالها الحافل للرئيس عبد الناصر أسهمت في إفراغ انتصار « إسرائيل » العسكري من مضمونه السياسي .

ويذكر للراحل دوره التاريخي في إقامة منظمة التحرير الفلسطينية وإرساء قواعد مؤسساتها الوطنية ، إذ عندما كلفه مؤتمر القمة الأول أوائل عام ١٩٦٤ بالمهمة ، كان كل ما زوده به توصية من سطور ثلاثة : « يسند للسيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية ، الاتصال بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني ، بغية الوصول إلى القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » .

ويومها كان التشرذم الرسمي العربي على أشده ، وفي الساحة عشرات التجمعات الشبابية الفلسطينية الداعية إلى اعتماد الكفاح المسلح سبيلاً للتحرير ، ومابين التجمعات الشبابية من التنافس والتنابذ ما لا يقل ، إن لم يفق ، ما كان بين الأنظمة من شد وجذب .

وفي ذلك الجو من التوتر والاحتقان ، على الصعيدين القومي العربي والشعبي الفلسطيني ، تحرك الشقيري وحاور ، وعقد لقاءات سرية وأخرى علنية . ولم تسلم حركاته وحواراته و لقاءاته من المعارضة والنقد بل والتجريح على الصعيد الشعبي ، كما لم تنج من الضغوط والمداخلات على الصعيد الرسمي . وبرغم حساسية المواقف ، وتباين وجهات النظر بين أدعياء الثورية ومدعي الواقعية تمكن الشقيري وفئة محدودة من أصحاب الفكر القومي والوطني ، من صياغة مشروع « الميثاق القومي الفلسطيني » ، كما نجح في عقد أول مؤتمر وطني فلسطيني في القدس في ١٩٦٤/٥/٢٨ ، حيث نوقش وأقر مشروع الميثاق ، وانتخب رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

(*) كاتب قومي ديموقراطي ، عضو المؤتمر القومي العربي ، والمؤتمر القومي - الإسلامي ، ولجنة الإمارات الوطنية لمقاومة التطبيع . من مؤلفاته : **مخطط التفتيت ، الإمبريالية الصهيونية الوليد ، إشكالية الوحدة ، الجمهورية العربية المتحدة من الفكر إلى الدولة** .

وبجهد يذكر له ولأعضاء اللجنة التنفيذية الأولى ، وبرغم كل المعوقات الرسمية والمنازعات النخبوية ، نجحت المنظمة برئاسته في إرساء قواعد ثلاث مؤسسات رئيسية : جيش التحرير الفلسطيني ، والصندوق القومي الفلسطيني ، ومركز الأبحاث ، فضلاً عن تشكيل دوائر المنظمة المختلفة ، وليس أدل على أهمية دور الشقيري على هذا المحور من أنه بعد استقالته من رئاسة المنظمة في خريف ١٩٦٧ ، لم يجر تطوير المؤسسات الثلاث والارتقاء بالمنظمة لمواكبة تطور الحراك الوطني الفلسطيني وتعاظم التحديات التي تواجه الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المحتل وفي الشتات .

واليوم والشعب العربي الفلسطيني يعيش مرحلة من أبرز معالمها الحديث عن مقاومة الفساد في أجهزة السلطة ، وتوظيف الأموال في إفساد النفوس ، أشهد للتاريخ ، وقد كنت رئيس حسابات منظمة التحرير الفلسطينية في مركزها العام في القدس أيام كان الشقيري رئيس اللجنة التنفيذية ، أن المجلس الوطني الفلسطيني هو من كان يضع ويقرر الموازنة العامة للمنظمة ومؤسساتها ، وأن المدققين الداخليين والمدقق الخارجي كانوا يراجعون الحسابات بانتظام ، وأن جميع الإيرادات التي كان مصدرها الأول ما يقتطع من رواتب العاملين الفلسطينيين ، كانت تورد أصولياً لحسابات المنظمة ، فيما كان الصرف يتم بموجب سندات صرف خاضعة للمراجعة الدائمة ، ولم تكن هناك مصروفات سرية يتصرف بها الشقيري ، بل كان قد تبرع براتبه الشهري لصالح الصندوق القومي الفلسطيني ، وكنت في نهاية كل شهر أصدر سند صرف بالراتب وسند قبض بالتبرع مقابله .

وليس من إنسان كامل أو معصوم غير الأنبياء ، ولم يكن الشقيري نبياً ، وإنما كان سياسياً بامتياز ، ويندر ين السياسيين من خلت سيرته من المثالب والسلبيات . إلا أنه حين النظر بموضوعية في سيرة الراحل في ضوء ظروف زمانه ، وما آلت إليه الأمور بعد استقالته ورحيله ، يمكن القول وبكل ثقة : رحم الله الشقيري فقد كان الرجل الذي افتقده شعبه وخسرته أمته في الزمن الذي كان فيه أحوج ما يكون لفارس الكلمة ورجل المواقف الذي كان .

أحمد الشقيري لا يستحق صورته المرسومة بأحكام أيديولوجية

د . فيصل جلول(*)

ترتبط صورة السيد أحمد الشقيري مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية في ذاكرة أجيال ما بعد النكبة ، بتواريخ وأحكام وعبارات شديدة السلبية : تقليدي - ينتمي إلى العائلات السياسية المسؤولة عن ضياع فلسطين - خضع للأنظمة العربية وكان يلعب لعبتها ويسلك سبلها ويعتمد أسلوب الحماسة الخطابية المفرطة ، بدلاً من مخاطبة عقول الفلسطينيين والعرب والعالم ، فتاهت القضية مع خطبه وناهضها الرأي العام الدولي ... إلخ .

ولئن كان الرجل لا يستحق تلك الصورة الشائعة ، وبخاصة نسختها التهويلية التي انتشرت بعد هزيمة حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، فإن شيوعها على هذا النحو يستدعي مراجعة جدية لتحديد الكيفية التي تحكمت برسمها من جهة ، ولتحديد ما له فيها وما لغيره من جهة أخرى .

لا تسمح سيرة الشقيري قبل ضياع فلسطين - كما رواها بنفسه أو كما رواها خصومه - باستخلاص استنتاجات سلبية على النحو الذي ورد ، بل العكس تماماً : طرد من لبنان من طرف المستعمر الفرنسي ، ومن فلسطين من طرف المستعمر البريطاني بسبب نضاله المعادي للكولونيالية والصهيونية .

كافح على الصعيد الشخصي لمواصلة تعليمه ، فكان يعمل صحافياً نهاراً ويدرس المحاماة ليلاً ، وبعد تخرجه دافع عن حقوق المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال البريطاني . كان ينتمي إلى جيل من « الكادرات الحديثة » التي تكونت في سياق انهيار السلطنة العثمانية ، والتي كانت تطمح إلى توحيد العرب ، فانتسب إلى « العروة الوثقى » وأقام علاقات وثيقة مع قادة الثورة السورية الكبرى . وبكلام آخر لم يراهن على الاستعمار ، ولم يصعد مع الصاعدين معه وبفضله كما هي حال النخب التي حكمت الوطن العربي قبل ثورة يوليو المصرية عام ١٩٥٢ .

الثابت أن النخبة السياسية الفلسطينية تتحمل مسؤولية أساسية في ضياع فلسطين عام ١٩٤٨ لكن من الصعب الحديث عن دور للشقيري في هذا الحدث التاريخي ، ذلك أنه لم يتبوأ في حينه موقعاً سياسياً

(*) كاتب وصحافي لبناني مقيم في باريس ، من مؤلفاته « **نقد السلاح الفلسطيني** » (بيروت عام ١٩٩٤) ويدرس فيه تجربة الثورة في المخيمات الفلسطينية في لبنان . و « **الجندي المستعرب** » و « **حوار المشرق والمغرب** » .

حاسماً في سلطة القرار الفلسطينية ، لذا يمكن القول براحة بال أن نصيبه في هذا الحدث لا يخرج عن نصيب جيله السياسي ، وإذا أردنا الإنصاف لا بد من القول إن مسؤوليته الشخصية في تحديد مصير القضية الفلسطينية تنحصر فقط في الفترة الفاصلة بين العام ١٩٦٤ تاريخ تأسيس منظمة التحرير وكانون الأول / ديسمبر عام ١٩٦٧ تاريخ استقالته من رئاسة المنظمة .

بين أواخر الأربعينيات وأوائل الستينيات كان سقف العمل الوطني الفلسطيني محكوماً باتفاقيات الهدنة التي وقعت بين عرب المشرق و « إسرائيل » عام ١٩٤٩ ، وكان الرهان على تدمير الدولة العبرية ورجوع الفلسطينيين إلى ديارهم وعودة اليهود إلى منافيهم رهاناً للجميع في منطقتنا وليس للشقيري وحده ، ولعل الأدبيات السياسية العائدة لتلك السنوات تفصح بوضوح عن شعارات تحمل المعاني المذكورة . لا بل ما زالت قطاعات فلسطينية وعربية واسعة تتبنى هذا المفهوم للصراع مع « إسرائيل » حتى اليوم . لكن قبل الحديث عن هذه الحقبة في سيرة الرجل لا بد من الإشارة إلى أنه انخرط في الدفاع عن القضية الفلسطينية بالوسائل المتاحة في حينه ، أي التعريف بالحق والتاريخ الفلسطيني الذي كان مجهولاً وبالتالي بناء المؤسسات التي تتيح حفظ هذا الحق . أضف إلى ذلك انخراطه في العمل الدبلوماسي العربي تارة في سورية ، وتارة أخرى مع السعودية ، التي كان وزيراً في حكومتها وممثلاً لها في الأمم المتحدة ، وتارة ثالثة في الجامعة العربية وكان مساعداً لأمينها العام ، وفي هذه الفترة نلاحظ اهتمامه أيضاً بقضايا العرب تحت الاحتلال في المشرق والمغرب على حد سواء ، ولعل سوء الحظ الذي وضعه على طريق الخامس من حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ سيبدد الملامح التأسيسية لصورته كمثال لفلسطيني ولد في جنوب لبنان أثناء نفي والده ، وجاب بلاد العرب والعالم دفاعاً عن قضيته ، وورث النفي حتى وفاته ودفنه بجوار قبر الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح في الأردن .

ينسى كثيرون أن حرب حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ كانت تحمل في جانبها العربي رهاناً على قهر دولة « إسرائيل » في نطاق أراضي العام ١٩٤٨ ، وكان السيناريو العربي والفلسطيني المفترض ليس رمي اليهود في البحر طعاماً للأسماك بل ما يشبه رحيل الأقدام السود الفرنسيين من الجزائر في العام ١٩٦٢ بواسطة البواخر إلى بلادهم ، بعد استيطان دام لأكثر من ١٣٠ عاماً . وكان العرب والفلسطينيون الذين عاصروا وشاهدوا بواخر ترحيل المستوطنين الفرنسيين بتأثير من السياسة الناصرية ، مقتنعين بإمكانية تكرار السيناريو نفسه بالنسبة للمستوطنين اليهود وبتأثير من السياسة نفسها ، وهذا ما قال الشقيري قبيل الحرب : جاءوا بالسفن وبالسفن يعودون لم تكن عبارة تنم عن فهم أخرق للصراع مع « إسرائيل » ، بل عن وعي جماعي فلسطيني وعربي بينت مأساة الهزيمة قصوره ومحدوديته ، ومع ذلك لم تكن العبارة وحدها مسؤولة عن رسم صورة قاتمة للشقيري ، فهناك روافد أخرى أكثر أهمية .

الرافد الأول والأهم يكمن في اندلاع الثورة الفلسطينية على نطاق واسع بعد هزيمة ٦٧ ، كان من المنطقي أن يبرر الثوريون انطلاقتهم ليس فقط بخيارهم العسكري وبعدوهم الصهيوني ، وإنما أيضاً بفشل الخيارات السابقة ، وبالتالي أن يحملوا النخبة السياسية الفلسطينية ممثلة بأحمد الشقيري مسؤولية الهزيمة بجانبها الفلسطيني .

الرافد الثاني يتمثل في الفهم الطبقي مع مسايرته لما كان يسمى حينها بالرجعية العربية للصراع مع « إسرائيل » ، وبالتالي تصنيف الناصرية في خانة البورجوازية الصغيرة والشقيرية في تلك الخانة مع مسايرته لما كان يسمى منها بالرجعية العربية ، وبالتالي القول إن الرجعية والبورجوازيات على اختلافها فشلت في تحرير فلسطين التي لا يحررها إلا فكر الطبقة العاملة ! ! ورغم أن هذا التصور لم يعمر طويلاً ، واتضحت محدوديته في أيلول / سبتمبر الأسود عام ١٩٧٠ ، فإن أحداً لم يسأل اليسار الفلسطيني والعربي تحمّل نتائج التصور المذكور ، ولم يطلب من أحد مراجعة النتائج التي ترتبت عليه بما في ذلك المساهمة في تسليط ضوء ظلامي على سيرة النخبة الفلسطينية التي تولت القضية في الستينيات .

كان لا بد من الانتظار حتى العام ١٩٧٤ حتى تعلن قيادة الثورة الفلسطينية نهاية استراتيجية فلسطين من البحر إلى النهر . وكان لا بد من الانتظار ١٤ سنة أخرى ليتم إعلان الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع ، ولينعطف العمل الفلسطيني ويستظل بالمنظمة التي أسسها أحمد الشقيري ووضع هياكلها الأولى ، وليتضح أن الطريقة الأفضل لتقويم الأدوار النضالية الفلسطينية تكمن في رؤيتها بوصفها حلقات تكاملية متممة ، وليست نافية أو محقرة لبعضها البعض .

موجز القول أن أحمد الشقيري ناضل من أجل فلسطين بالوسائل المتاحة في عصره ، وبالطريقة التي يجيدها . لم يخن قضيته ولم يفرط في حق أبنائها ، ولم يوقع وثائق هزيمة خلال السنوات الأربع التي تولى فيها قيادة منظمة التحرير ، وعليه لا يستحق أبداً التقييم على صورته الحقيقية القاتمة ، بل يستحق صورة أخرى في ذاكرة فلسطينية متحررة من الأوصاف الكيفية والأحكام المسبقة والرؤى الاتهامية الظالمة .

نظرات في سيرة رجل : الشقيري ومرحلته

د . كمال الطويل(*)

كنت في الحادية عشرة من العمر عندما قرأت في صحيفة الدفاع الأردنية نبأ استنساب مجلس وزراء الخارجية للأستاذ أحمد الشقيري ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية ، بعد شغور المنصب بوفاة أحمد حلمي عبد الباقي ... وكنت قبلها أسمع والدي وعمي يُزكيان الرجل في أحاديثهما فترة خدمته في الأمم المتحدة ممثلاً لسورية أولاً ثم للسعودية ، لفصاحة قوله وقوة حجته وحسن خطابته ، محامياً بامتياز عن القضية الفلسطينية في المحفل الدولي الأهم . كانا يبديان إعجابهما برفضه عام ١٩٦٢ طلب ولي العهد / رئيس الوزراء السعودي فيصل له بتقديم شكوى ضد مصر بحجة تدخلها في الشأن السعودي . فضل الشقيري حينها الاستقالة من منصبه رغم كل امتيازاته ، على أن يلوث اسمه وسيرته في قضية مذمومة سبقه إليها عبد الله خليل رئيس وزراء السودان في فبراير ٥٨ شاكياً مصر لمجلس الأمن بحجة استحواذها على المسألة السودانية .

ما أن جلس الشقيري على مقعد الممثل الفلسطيني في الجامعة العربية إلا وتدافعت التطورات في المنطقة ، فعمل عبد الناصر في نهاية ١٩٦٣ على لجم الاندفاع للحرب الأهلية العربية الذي تفاقم بعد الانفصال السوري ... مدفوعاً بعوامل مثل تحويل « إسرائيل » روافد نهر الأردن ، وضعف القدرة الدفاعية لسورية والأردن ، ناهيك عن القدرة الردعية ... . وكان الوضع الفلسطيني المضطرم يحمل في أحشائه وثناياه حراك تنظيمات ملت انتظار اللجوء السلبي ، وأزمعت على امتشاق السلاح كردّ ملائم لتحريك الركود العربي المحيط ، وتوريط عبد الناصر في حرب تظنها مواتية ... وثالثها رغبة عبد الناصر في تسوية مع آل سعود تمكن الجيش المصري العامل في اليمن من العودة المشرفة ، والكفيلة بصرفه إلى مهمته الأساسية لمواجهة النوايا التوسعية العدوانية الإسرائيلية في إقليم الشام .

ضمن توصيات عبد الناصر للقمة العربية المنعقدة بدعوة منه في يناير ٦٤ تكليف ممثل فلسطين (الشقيري) بالاتصال بالأعضاء والفلسطينيين ، لوضع قواعد تنظيم الشعب الفلسطيني ، وهو ما أسفر لاحقاً في القمة عن اعتماد إنشاء منظمة التحرير كياناً جامعاً للشعب الفلسطيني وناظماً لحركته ، وفق إيقاع يتناسق وإيقاعها الفلسطيني ، وهو الذي كان شديد الصراحة عندما أعلن في حزيران / يونيو ١٩٦٢ أمام المجلس التشريعي لقطاع غزة أنه لا يملك خطة عسكرية لتحرير فلسطين . هذا الإيقاع كان يتطلب انتظاراً حتى مفصل الستينات و السبعينات يوفر امتلاك السلاحين الصاروخي والنووي ، وإنجاز خطتين خمسيتين للتنمية . ملأ انتظار السنوات الطويلة هذه بحيوية فلسطينية تكفل تأطير الإجماع الفلسطيني ، وإدماجه في منظومة بنّاءة كان جواب عبد الناصر على خطر الحراك العشوائي . ولعل المؤرخ المنصف يستطيع بيسر أن يوثق أن ذلك بالضبط كان المزاج الشعبي الفلسطيني العام الذي تربع عبد الناصر في سويدائه . عند مفصل ٦٤ تلاقى الهوى الفلسطيني مع القرار الناصري وعبّر هذا التلاقي عن نفسه أفضل تعبير في شخص أحمد الشقيري . فهم الشقيري خير فهم ضرورات عبد الناصر التي لم يكن يقدر على الإفصاح عنها بحكم طبيعة علاقته بالجماهير العربية آسراً وأسيراً في آن .

اشتغل على قاعدة هذا الفهم فتحرك في كل الاتجاهات بانياً المنظمة وفق توافقات جامعة ، فشكل الميثاق القومي كأجمل تعبير عنها وأكثرها صحة ودقة . والشاهد على صواب تولي الشقيري للملف الفلسطيني يمكن استنباطه من طبيعة من عارض هذا التولّي : الملك فيصل آل سعود ... والملك حسين ... وناور ضده مواربة وقيّد من حركته البعثان « القومي » و « القطري » .

أسس جيش التحرير الفلسطيني مجنداً فيه شباب فلسطين المبثوث في غزة وسورية ثم العراق ، ومستوعباً ضمنه نويات عسكرية سالفة في كل من مصر وسورية والعراق . والأكيد أن تنامي قوة المنظمة تنظيمياً وشعبياً ، بل وعسكرياً طيلة فترة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ أسهم في فشل التنظيمات المتبرعمة الصغيرة وكانت فتح أقواها فشلها في الإمساك بتلابيب الشارع الفلسطيني رغم مبادرة فتح إلى إطلاق النار في كانون الثاني / يناير ١٩٦٥ . بقي الشقيري والمنظمة وجيش التحرير هم روافع العمل الفلسطيني ، لقناعة شعبية غلابة في أنهم السبيل الصحيح إلى الأمام رغم النفس الطويل طالما أنهم في صحبة عبد الناصر . تغير كل شيء مع خروج

(*) طبيب عربي فلسطيني يقيم في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٦ ، رأس كلاً من الجمعية الطبية العربية الأميركية (١٩٩٨) ، ورابطة الخريجين العرب الأميركيين (٢٠٠٠) ، عضو مجلس أمناء اللجنة العربية الأميركية لمكافحة التمييز (١٩٩٩ - ٢٠٠٣) ، عضو الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي سابقاً .

عبد الناصر على نصه ... نفسه أخطأ في الحساب فانقاد - ومعه الأمة - إلى حرب كان الأجدر تجنبها بكل السبل ، سواء لجهة القدرة أم لجهة التوقيت .

مع الهزيمة إذ أرخت بظلالها على الشرق ، وقعت المنظمة في الأخدود الذي صنعته الظروف المستجدة ، أي بين آثار ١٩٤٨ و آثار ١٩٦٧ ، أصبحت أولوية عبد الناصر المطلقة إزالة آثار ١٩٦٧ . وتنبه للقوى الجديدة التي رفعت السلاح قبل ١٩٦٧ وعادت إلى حمله بزخم بعدها ، فوجد فيها ضالة تملأ فراغ انتظار الاستعداد لحرب تحرير ما ضاع في ١٩٦٧ . في خريف ١٩٦٧ تبنى عبد الناصر فتح ما عنى بالضرورة خروج الشقيري من سدة المنظمة و البدء بتسليمها لفتح ، الذي استكمل في فبراير ١٩٦٩ . في الخرطوم آب / أغسطس ١٩٦٧ أسهم الشقيري في صوغ اللاءات الثلاث ، التي شكلت ميسم الموقف العربي حتى وفاة عبد الناصر . في الخرطوم أيضاً وقف الشقيري وقفته الأخيرة متشبثاً بالحق الفلسطيني كاملاً غير منقوص .

كانت وقفة عز ... وهل الحياة إلاّها ؟

أحمد الشقيري باحثاً

أ . د . محمد حُوّر(*)

خلف الشقيري تراثاً منشوراً جاوز العشرين كتاباً ، توزعت بين الخطب ، والمذكرات ، والتصورات المستقبلية ، والدراسات المتخصصة . والأقسام الثلاثة يغلب عليها البحث العلمي : الذاتية والانطباعية والرؤية الخاصة . وتكتسي أهميتها وقيمتها ، من ثراء تجربة صاحبها ، واتساع ثقافته ، وطول معايشته للجانب الذي يعرض له ، وهو ما أتيح لأحمد الشقيري ، الذي عني بالقضية الفلسطينية بشكل خاص ، والقضية العربية بشكل عام ، وتبوأ مواقع قيادية فيهما ، وكان من أكثر الشخصيات العربية اتصالاً بهما ، وترويجاً لهما ، واحتكاكاً مع العالمين الداخلي والخارجي حولهما . لذا جاءت كتاباته : خطباً ، ومذكرات ، وتصورات ، ذات طبيعة خاصة ترقى إلى الوثائق التي لا يستغنى عنها في الدرس والبحث .

أقول : إذا كانت الأقسام الثلاثة الأولى يغلب عليها الذاتية ، فإن القسم الرابع يتسم بالموضوعية : منهجاً ، وتوثيقاً ، وعرضاً . ويقف في مقدمة هذا القسم كتاب : الجامعة العربية [1] عنواناً رئيساً ، ذُيّل بتساؤل : كيف تكون جامعة ، وكيف تصبح عربية .

وهو تساؤل ينمّ عن خلاصة موقف الشقيري من هذه الجامعة : وكأن التساؤل يشي بفقدان الجامعة العربية للعنصرين الإيجابيين في التسمية ، وفي المضمون ، الأمر الذي دفع الشقيري للبحث عنهما في تساؤله في كتابه .

وإذا تجاوزنا العنوان للمقدمة ، فإننا نصدم من السطر الأول فيها : « في ٢٩ أيار / مايو ١٩٤١ أدلى المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم البريطاني بتصريح نتج عنه إنشاء جامعة الدول العربية » .

ويبني الشقيري كتابه كله على التساؤل في العنوان ، وعلى التصريح في المقدمة ، ويتدرج في الكتاب خطوة خطوة . بتلقف الأنظمة العربية للتصريح ، والبناء عليه ، وعقد الاجتماعات من بعده ، التي تمخض عنها ميثاق جامعة الدول العربية في ٢٢ آذار / مارس ١٩٤٥ . وقد حمل الميثاق بين طياته عوامل الشقاق ، وعدم الاتفاق من اليوم الأول ، إذ لم يوقع عليه وفدان من سبعة وفود في حينه ، وإنما أرجئ التوقيع للتشاور وأخذ الموافقة . (ص ١٠٩)

وكانت قضية فلسطين هي الأكثر حضوراً وإلحاحاً فترة ولادة الجامعة العربية ، في ثلاثة أعوام هي الفاصلة بين إنشاء الجامعة عام ١٩٤٥ ، ونكبة فلسطين عام ١٩٤٨ . ويرى الشقيري أن « إسرائيل » ما كان لها أن تكون عام ١٩٤٨ « لولا أن الجامعة العربية قد أضاعت خمس فرص ذهبية ، كل واحدة منها كانت كافية أن تحول دون قيام « إسرائيل » ، أو أن تجعل أمرها قاصراً على كيان محدود يتمتع باستقلال ذاتي في إطار دولة فلسطين ديمقراطية . » (ص ٢٣٦)

وكانت أولى الفرص الضائعة أن الجامعة العربية لم تأخذ بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية بدلاً من قرار التقسيم ، وتسعى لتحقيقه . (ص ٢٥٢) والثانية هي الموافقة على فك الحصار عن القدس الجديدة (الغربية) . (ص ٢٥٦) والثالثة هي الموافقة على فك الحصار عن تل أبيب . (ص ٢٥٨) والرابعة هي الموافقة

(*) أستاذ الأدب الحديث ، عمل في عدد من الجامعات الأردنية والعربية في مواقع الإدارة العليا ، عضو مجمع اللغة العربية الأردني ، له عشرات الدراسات في الأدب الحديث تأليفاً وتحقيقاً ، حصل على جائزة البابطين .

(١) صدر الكتاب عن دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ١٩٧٩ .

على فك الحصار عن عكا . (ص ٢٥٩) والخامسة هي الموافقة على وقف إطلاق النار ، وعقد الهدنة . (ص ٢٥٩) وهي فرص ، وإن كان لها أهميتها ووجاهتها إلا أنها لا يرقى أي منها - فيما أرى - إلى الحيلولة دون قيام « إسرائيل » كما بين الشقيري .

وإذا كان الشقيري قد أعطى بريطانيا الدور الأساسي في قيام الجامعة العربية ، إلا أنه لم يغفل دور أميركا ، الذي جاء « في الوقت المناسب » والتي سعت - بالتنسيق مع بريطانيا - إلى « إنشاء منظمة إقليمية يكون شأنها شأن المنظمات الإقليمية الأخرى التي تنشأ في العالم » .

وهي بذلك تقف في وجه التيار العربي القومي الذي يلح على إقامة منظمة عربية تستهدف الوحدة العربية » . (ص ١٠٢) وكانت الغلبة للتيار الأميركي البريطاني بمساعدة رموزهما في الأنظمة العربية .

ورأى أحمد الشقيري أن الجامعة العربية بنيت على باطل ، لأن الإنجليز أولاً ، والأميركان ثانياً أرادوها كذلك حين قالوا لحكام العرب يومئذ « اجعلوا جامعتكم منظمة إقليمية ، فذلك أنفع لكم وأجدى ، فأطاعوا وجعلوها كذلك . ثم قالوا : اجعلوا جامعتكم قائمة على التنسيق والتعاون » (ص ٢٩٠) فأطاعوا . ولا يطلق الشقيري قوله بدون دليل يدعمه ، فيرى أنه عبر خمس وثلاثين سنة من عمر الجامعة « تم توقيع ثلاثين معاهدة بين الدول العربية ، بصدد الشؤون العربية المشتركة » (ص ٢٩٢) لم تنفذ أية واحدة منها .

ويخلص للقول : إن كل شيء تغير في الوطن العربي من المحيط إلى الخليج : سياسة ، واقتصاداً ، واجتماعاً ، وثقافة ، وتعليماً ، وأعضاءً ، واستقلالاً ... إلا الجامعة العربية التي بقيت على حالها . (ص ٣١٤) وهو أمر مثير ، ويدعو للتساؤل ؟

ويسعى الشقيري لطرح التساؤل ، والإجابة عليه ، بالعمل على قيام « جامعة عربية جديدة (ص ٣٣٤) تفيد من الماضي ، باستخلاص العبر ، وتواكب الحاضر ، وتتطلع إلى المستقبل ، ولا يكون هذا إلا بميثاق جديد . وقد اضطلع بوضع تصور أولي له . (ص ٣٥٤ - ٣٨٣)

جاء الكتاب في ثمانية عشر فصلاً ، وملحقين ، بمنهج سديد ، وتدرج منطقي ، ونصوص موثقة ، تجعله من أهم المصادر التي تتصل بالجامعة العربية إن لم يكن أهمها على الإطلاق . ولا يقلل من أهميته ما تسرب إليه من عبارات انفعالية ، تجاه شخص أو موقف ، كان له أثر سلبي ، ونتائج مؤلمة على الأمة العربية عامة .

ومما يلحق بتمسك الشقيري بالمنهج الصارم ، وحرصه على وضوح الرؤية ، وتدعيمها بالمعطيات التي تسوغها ، ما يتصل بالرؤى المستقبلية . إذ سرعان ما يتخلى عنها إن وجد ما يناقضها أو يحول دون قبولها . وأجد مثالاً لذلك كتابه « فلسطين عام ٢٠٠٠ » [1] الذي أنجزه في نهاية عام ١٩٧٥ ، ولم ينشره في حياته ، وقد نشر كتباً أخرى بعده ، ولم ير النور إلا عام ١٩٩٠ . وإني أرى في عدم نشر الشقيري لهذا الكتاب ، ما رآه مخيباً لآماله وتوقعاته في أمته العربية ، بعد وقت قصير جداً من انتهائه من كتابه ، ممثلاً في اتفاقيات كامب ديفيد ، وما ترتب عليها من شقاق في الموقف العربي وتردد في السياسة العربية ، التي كانت أقرب إلى الويل والثبور ، منها إلى التفاؤل والحبور ، فكان أن غض الطرف عن كتابه ، وبقي حبيس الأدراج في حياته على الأقل .

أحمد الشقيري مؤسساً وقائداً

د . محمد عبد العزيز أبو سخيلة(*)

هذا الرجل الفذ ابن مدينة عكا الفلسطينية الصامدة ... ثائر من مدينة ثائرة ومن بلد ثائر .. نشأ وقلبه معلق بفلسطين ونذر نفسه للدفاع عن بلده وأمته العربية وأمته الإسلامية ، والدفاع عن إنسانيته وعن حقوق الإنسان في الحرية والعدالة .. درس الحقوق فزادته عمقاً وسعة أفق وقوة في الحجة ، ما دفع دولاً عربية مثل الجمهورية السورية أن تختاره ممثلاً لها في الجامعة العربية فالأمم المتحدة ، ثم من قبل المملكة العربية السعودية ، واشتهر آنذاك بقوة الخطابة وقوة الحجة لدرجة أطلق عليه الكثيرون (خطيب الأمم المتحدة) .

الشقيري مؤسساً لمنظمة التحرير الفلسطينية

جلسنا مع من نحتفي بذكراه وفداً فلسطينياً مكوناً من سبعة أشخاص استقبلنا في منزله في عمارة ليون بالقاهرة ، مرحباً بنا ذاكراً ومذكراً وآملاً أن يكون لنا لقاء آخر على أرض فلسطين ، وجلسنا نستمع إليه ونسأله قرابة الساعتين وقد روى لنا الكثير ، وقال

(١) صدر الكتاب عن المركز المثلث عمان ١٩٩٠ .

(*) متخصص في القانون الدولي ، وعضو سابق في المجلس الوطني الفلسطيني ، انتخب من قبل المجلس عضواً في اللجنة التنفيذية العليا لفلسطين سنة ١٩٦٨ ، رئيس رابطة العائدون الفلسطينية وعضو لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري .

لي انظر خلفك هذه مذكراتي فعندما تحين الفرصة سوف أنشرها . فقلت له : إنك يا أبا مازن أستاذنا ، لكنني أنصحك أن تختار منها مذكرات من المذكرات ، وتنشرها وتبقي الباقي إلى وقت آخر ، فسرّ بهذا المقترح وفعل ، وأخرج من مؤلفاته الشقيري في .. « أربعون عاماً » ثم توالت إصداراته بعدها .

وشرح لنا كيف أن مؤتمر القمة العربي فوضه بالتفاوض مع الشعب الفلسطيني على طريقة لإبراز الكيان الفلسطيني ، لكنه ذهب وأسس منظمة التحرير الفلسطينية وكون مجلساً وطنياً فلسطينياً ، واختار لجنة تنفيذية عليا ، وذلك كله قبل الرجوع إلى مؤتمر القمة ففوجئ بالمعترضين خلال مؤتمر القمة الثاني بالإسكندرية .

وقالوا له : « يا شقيري كلفناك بالتفاوض مع أبناء فلسطين على طريقة وكيفية إبراز كيان للشعب الفلسطيني ، لكنك بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية خرجت عن قرار القمة .. » إلا أن الرئيس السابق للجزائر ومفجر ثورتها التحررية أحمد بن بيلا كان يجلس أمامه ، فقال الشقيري له هل استشرت أحداً أيها الرئيس بن بيلا عندما حررتم بلدكم ؟ فأجابه بن بيلا : لا . وصفق الحضور للشقيري ..

وكان مؤسس منظمة التحرير ، كما قال لي بعد مشاورات مع أمين عام الجامعة العربية آنذاك ، الذي رد على طلب المجاهد الكبير أحمد الشقيري برغبته في حضور مؤتمر القمة عن فلسطين ، قال له الأمين العام : أنت لست رئيساً فكيف تحضر مؤتمر القمة الذي هو مخصص للرؤساء ؟ فرد عليه الشقيري قائلاً : سأذهب للقدس وأعلن من هناك في مؤتمر صحفي بأن الذين يجتمعون من أجل فلسطين في القاهرة لم يقبلوا حضور ممثل فلسطين ، فانصاع الأمين العام للجامعة لرغبة الشقيري ، وقيل للشقيري : تجلس على كرسي صغير على بعد من الملوك والرؤساء ، فقاطعت الأستاذ الشقيري قائلاً : « طبعاً أنت رفضت » . لكنه قال « طبعا أنا قبلت » ولم أرفض ، في الاجتماع بقيت أتحدث وأسحب الكرسي قليلاً حتى اقتربت من الرئيس بن بيلا الذي وضع يده على ظهري ، وقال : « كملها يا شقيري » . وهكذا حضر اليوم الأول من أيام المؤتمر ، وفي اليوم الثاني أخطر الشقيري بعدم الحضور لأن المؤتمر سيبحث غداً مسألة اليمن .

فأجابهم رحمه الله :

كيف أنتم جميعاً تناقشون قضية فلسطين وتحولون بيننا وبين حضور أيام المؤتمر لنشهد الحديث في قضايا الأمة . وسأختصر باقي الحديث لأن في بعضه المتبقي إحراجاً للبعض ، ولكنه حضر وتحدث باسم فلسطين ، فقد كان شجاعاً صلباً رابط الجأش .

ومما رواه لي أيضاً ، أنه توجه يوماً للعراق لحضور مؤتمر ، فكان رقمه في الجلوس في الصف الثالث ، فاحتج وقال : « فلسطين ليست من الدرجة الثالثة » فغير المكان إلى الصف الأول .

ومغزى هذا كله أنه كان مناضلاً من أجل فلسطين وموقعها ، وكان لا يخاف لومة لائم في قول الحق .

الشقيري القائد والرائد

حمل الشقيري سلاحه الفكري وسلاحه العملي ، فهو مؤسس لجيش التحرير الفلسطيني الذي بدأ التجنيد إجبارياً له في غزة ، الذي مُزّق فيما بعد ، وكان رجاله يكنون له كل المحبة والتقدير ، ولقد حضرت لقاء بينه وبين ثلاثة من ضباط الجيش جاءوا إليه من مقر عملهم في الأردن ، ليناصروه على التمسك والبقاء في رئاسة المنظمة ، ولكنه رفض قائلاً : « ما أوجدت جيش التحرير إلا من أجل فلسطين ولا يعقل أن أمزقه من أجل فرد » . وأقنعهم بالعودة والخضوع لمن يأتي بعده .

وقال لي : لقد عرضت على عبد الله الريماوي أن يستلم المنظمة من بعدي لكنه رفض ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خشيته على القضية الفلسطينية ، ورغبته في أن يرى خلفه قائداً جديداً في الموقع الذي يستحقه .

جولة الشقيري في الدول العربية عندما اختار أول مجلس وطني للمنظمة

كان الشقيري مفكراً وقانونياً ، ما مكنه من صياغة « الميثاق القومي الفلسطيني ، الذي استبدل سنة ١٩٦٩ إلى الميثاق الوطني الفلسطيني » ، ثم إنه كان حريصاً على اختيار الأكفياء ، ففي ساحة الكويت اختار الأستاذ خيري الدين أبو الجبين الذي اختير من أبناء فلسطين بالكويت ممثلاً لهم في مقابلة الشقيري ، فوافق على ذلك وعينه مديراً لمكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت .

وكان موفقاً في ذلك ، فقد كان أبو الجبين في موقعه فلسطيني الانتماء تعاون مع كل شخص فلسطيني بارز في ميدان النضال ، واختار مساعداً له الأستاذ عثمان أبو حاشية ابن شهيد مقاتل (أبو طلعت) ، وهو رجل فكر ورجل بصيرة .

وهكذا كان يختار من هو الأصلح للقضية بحسب ما هو اجتهاده ولا يهمه الجهة التي ينتمي إليها هذا الشخص .

لقد كنت في الكويت أحس وأشعر بكل فخر بأن مكتب المنظمة هو مكتب الشعب الفلسطيني ، وهذا ما كان الأستاذ خيري الدين أبو الجبين يقوم به .

والشقيري المحامي

لقد كان الشقيري حتى بعد تركه منظمة التحرير الفلسطينية خير مدافع عن القضية ، ولقد سلمنا أوراق دعم العرب للقضية الفلسطينية والتزاماتها تجاهها ، وقد بينت الأوراق مواقف الدول من هذا الدعم وكانت لبنان في طليعتها ، كما بينت الأوراق أن هناك دولاً احتجزت أموالاً للمنظمة ، وقال لي : هذا التاريخ لديك أمانة .

واليوم وأنا أكتب ذلك ، أكتب تاريخ رجل في صفحات قصار آمل أن أكون قد رسمت طريقاً للإبصار حول تاريخ هذه القضية ، وتاريخ محاولته مع كل من له تأثير مفيد للقضية الفلسطينية . لقد كان الشقيري أسداً حمى القضية الفلسطينية من التلاعب بها عبر حياته ... رحم الله الشقيري مجاهداً وقائداً رائداً ، الذي رحل وترك بعده شعباً مناضلاً صامداً حافظ على قضيته وشعبه ، لقد توجه هذا المحامي القدير إلى الصين ، وطلب العون والمساعدة لمنظمة التحرير الفلسطينية ... لم يدخر جهداً إلا قدّمه ، وها هو الآن وبعد رحيله يجعلنا نجتمع والناس نيام ، ويجعلنا نتلمس الطريق للحفاظ على قضيتنا الفلسطينية في أحرج ظروفها .

الشقيري اختار مدراء مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية من خيرة العناصر الفلسطينية والشخصيات البارزة ، وهذا يدل على العقلية القانونية ، وعلى المحامي البارع في تقوية جهاز منظمة التحرير الفلسطينية ، لا يهمه إن كان من هذا في التنظيم أو ذاك ... ونأمل من منظمة التحرير الفلسطينية أن تنتهج نهج الشقيري في اختيار مدراء مكاتبها بعيداً عن الانتماء للتنظيم ، هذا وممن اختارهم الشقيري مدراء لمكاتب م . ت . ف : الأستاذ/المجاهد : عبد الخالق يغمور - الأردن ، الأستاذ الفاضل : شفيق الحوت - بيروت ، الشيخ المجاهد والشهيد : عبد الله أبو ستة - قطر ، الأستاذ : خير الدين أبو الجبين - الكويت ، الأستاذ : داوود عودة - العراق

وممن اختارهم أعضاء في اللجنة الأساتذة :

بهجت أبو غربية ، يحيى حمودة ، فاروق الحسيني ، جمال الصوراني ، الأستاذ مجدي أبو رمضان . واختار لجيش التحرير الفلسطيني المرحوم اللواء وجيه المدني الذي انتدب من الجيش الكويتي الذي كان يعمل فيه فالمنظمة تكبر برجالها الكبار و تصغر بصغرهم ... ولقد كانت المنظمة كبيرة في عهد الشقيري ... وأسس قوات التحرير الشعبية لأن عقلية المحامي ترفض الضعف وتقبل الندّية لا الدونية .

مهما كتبنا عن الشقيري فلن نوفّيه حقه ، وكلمة حق تقال : بعد رحيل هذا النجم الساطع الكبير ، نحن بحاجة إلى من يفعلون ما فعل ، وأن يستعينوا بمن أو على شاكلة من استعان بهم ، إننا ما زلنا في تحرك مستمر وسنبقى ذاكرين للشقيري الذكرى الحسنة ، وأهمها إيجاد كيان فلسطين .

وفي هذه الذكرى نحث كل القوى الفلسطينية الفاعلة والمؤثرة ، وكل القوى الفكرية أن تستغل هذه الذكرى وتكون قوة داعمة لقضيتها رافعة العلم الفلسطيني ، كما نأمل من منظمة التحرير الفلسطينية أن تعيد هيكلة أجهزتها مستعينة بالقوى الفلسطينية المفكرة في الداخل والخارج عبر أجهزتها بغض النظر عن الانتماء التنظيمي ، فإنني وإن كنت عضو مجلس وطني سابق ، وعضواً في لجنة تنفيذية - فوز بالتزكية سنة ١٩٦٨ ، فإنني أتوق إلى إعادة هيكلة أجهزة منظمة التحرير الفلسطينية بعيداً عن التعصب التنظيمي الذي لن يجرَّ عليها إلا الضعف .

رحم الله الشقيري حياً ولا أقول ميتاً ، لأنه لم يمت ، بل لا زالت بين ظهرانينا ذكراه وفكره وعمله ، فهو كما قال الشاعر :

فتى مات بين الطعن والضرب مِيتةً
تقوم مقام النصر إن فاته النصرُ

فيا أيها الخطيب المفوه والمفكر الصادق والشجاع الذي لا يهاب ، ويا صاحب مواقف العز ، لقد عرفتك معتزاً شامخاً شجاعاً مقداماً ، وما عرفت فيك غير هذا ، فعليك رحمة الله وسلامه .

أحمد الشقيري : ملامح من سيرته ومسيرته

أ . د . محمد علي الفرا

ربما كان من الصعب الكتابة بكلمات محددة عن شخصية كبيرة كالمرحوم أحمد الشقيري ، الذي يسهم في تخليد ذكراه الخامسة والعشرين عدد من كبار أعلام الفكر والسياسة ، ممن عايشوا تجربته الطويلة والثرية في النضال الفلسطيني والعربي ، وعاصروا تأسيسه لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ونجاحه في بناء قواعدها وأسسها ومؤسساتها وأجهزتها ، وإدارته أزمتها من عام ١٩٦٤ وحتى استقالته عام ١٩٦٧ .

يبدو لي أن الشقيري رغم دوره الهام في خدمة وطنه وأمته ، ما يقارب نصف قرن كان في أثنائها زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً يدعو إلى الوحدة العربية ، ويدافع عن قضايا العروبة ، إلا أنه - وللأسف - لم ينل ما يستحقه من التكريم الذي يليق به ، ولم يحظ من التقدير ما هو أهل له . لقد حاول البعض تجاوزه ، والقفز من فوق المرحلة التي تسلم خلالها مسؤولية العمل الفلسطيني ، ما ترتب عليه أن غالبية أبناء الأجيال التي لم تعاصره ، لا يعرفون عنه شيئاً ، ولم يعرفوا أنه المؤسس الحقيقي لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، وواضع أسس أول كيان فلسطيني بعد نكبة عام ١٩٤٨ ، وما تبعها من شتات فلسطيني في جميع أنحاء العالم .

نحن لا نستطيع في عجالة كهذه أن نفي هذا الرجل العظيم حقه ، ولا بإمكاننا حتى أن نؤدي ما له من واجب علينا ، فالكتابة عن الشقيري تستوعب مجلدات ، لكننا مطالبون بالالتزام في حدود التكليف حتى يتاح المجال لأكبر عدد من الذين ساهموا في الكتابة عنه ، لذلك فإن ما نكتبه ما هو إلا كلمة عامة تبين بعض أوجه شخصية الشقيري وملامحها ، وهي أشبه ما تكون بالشهادة عن رجل عظيم نذكره اليوم ونحن في أمس الحاجة إلى قائد وزعيم يقود الأمة التي فقدت بوصلتها ، وضلت سبيلها ، بعد أن خلت الساحة من قادة مخلصين وقادرين على مواجهة الأخطار والتحديات التي تجابه هذه الأمة وتهددها بالزوال .

كان أحمد الشقيري موهوباً نبغ في كل ميدان ، وبرع في أكثر من مجال ، فهو القانوني والأديب والسياسي والخطيب المفوه ، الذي يشدك إليه ويأسرك بمنطقه وبلاغته وحجته القوية . وقد أشاد الجميع بقدرته الخطابية الفائقة في جميع المحافل العربية والمنابر الدولية ، فقد كان من أبرز الذين ملكوا ناصية العربية وأجادوا اللغة الإنجليزية . وحينما تقرأ ما خطه يراعه من كتب كثيرة ترى فيها أنه كان كاتباً كبيراً ، وأديباً عظيماً ، ومفكراً عميقاً وقانونياً فقيهاً ، وهو أول من مزج السياسة بالأدب والقانون ، فأدّب السياسة وسيّس الأدب ، وقنّن السياسة ، وسيّس القانون . لقد أبدع الشقيري في توظيف هذا المزيج العلمي الثلاثي لخدمة وطنه وأمته ، وهو رغم كونه سياسياً كبيراً ، ودبلوماسياً قديراً ، إلا أنه كان وطنياً ملتزماً وقومياً صادقاً لا يعرف الرياء والنفاق الذي يمارسه معظم الساسة .

لعل من أبرز سمات شخصية الشقيري الاستقامة والصدق والتضحية من أجل قضية وطنه ، فقد حمل هم القضية الفلسطينية منذ بواكير حياته في فلسطين ، وواصل العمل في سبيلها بعد خروجه منها بعد النكبة ، ومن خلال موقعه قبلها مستشاراً للوفد السوري في الأمم المتحدة ، ثم عضواً فيه ، وأميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية ، ووزيراً في الحكومة السعودية ورئيس وفدها في الأمم المتحدة .

لم تكن الوطنية عند الشقيري هي القطرية ، كما هي عند كثير من الساسة العرب ، وإنما كانت الحلقة الأولى داخل الحلقة الأكبر وهي القومية التي غايتها توحيد الأقطار العربية في دولة واحدة ، وهي هدف حارب وناضل العرب من أجله في مطلع القرن الماضي ، وضحوا في سبيل تحقيقه . وقد عبر الشقيري عن ذلك في كتابه المسمى « علم واحد وعشرون نجمة » ، وفيه وضع الشقيري أسس الدولة العربية الواحدة ودستورها وقوانينها . وفي كتابه المسمى « الجامعة العربية : كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية » ، حلل الأوضاع المتردية للجامعة منذ إنشائها في عام ١٩٤٥ ، وطرح تصوراته لجامعة عربية جديدة لتكون الخطوة الأولى على طريق الهدف الكبير ، وهو الوحدة العربية ، راسماً المبادئ الأساسية التي ينبغي أن تقوم عليها الجامعة الجديدة ، وأهدافها ، وشروط عضويتها ، وماهية ميثاقها .

حرص الشقيري حينما صاغ الميثاق الفلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية أن يكون قومياً لإيمانه بأن قضية فلسطين عربية وليست قطرية ، وإن قيام « إسرائيل » كان هدفه منع قيام أي وحدة عربية ، ولذلك فإن تحرير فلسطين يعد خطوة عملية في الطريق إلى هذه الوحدة ، وإيماناً منه بهذا المبدأ أطلق على الميثاق الفلسطيني « الميثاق القومي الفلسطيني » . والذي عدل من بعده ليصبح « الميثاق الوطني الفلسطيني » .

وإذا كان من أبرز أعمال الشقيري تأسيسه للكيان

الفلسطيني - كما قلنا - ممثلاً في منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد أن كلفه مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة عام ١٩٦٤ بعمل المشاورات لهذا الهدف ، ولكنه تجاوز قرار التكليف وأنشأ الكيان بعد أن جاب الأقطار العربية ، والتقى الجاليات الفلسطينية فيها وبذل الكثير من المساعي لتوحيد صفوفها وجمع كلمتها ، ولا أنسى ذلك اللقاء الحاشد الذي جمعنا به في مدرج مدرسة الشويخ الثانوية بالكويت « مبنى الجامعة الرئيسي حالياً » ، وألقى كلمة بليغة حرك المشاعر الوطنية ، وأثار حميتنا العربية .

كان الشقيري يؤمن بالعمل المؤسسي ، وأن الكيان لا يقوم ولا يدوم إلا إذا كانت هناك مؤسسات تدعمه وتثبته ، ولذلك أنشأ العديد من الأجهزة والدوائر لعل من أهمها الصندوق الفلسطيني ودائرة التربية والتعليم والثقافة ، كما افتتح مكاتب للمنظمة في البلاد العربية والصديقة ، وهي بمثابة سفارات تقوم بخدمة القضية الفلسطينية ورعاية الفلسطينيين . وإيماناً منه بأن التحرير يتطلب النضال المبني على القوة ، أسس الشقيري جيش التحرير الفلسطيني . وأولى الشقيري البحث العلمي أهمية كبرى ، فالعمل الجاد والسليم يحتاج إلى الدراسات ويعتمد على البحوث العلمية الرصينة ، فأسس مركز الأبحاث وعززه بالكفاءات العلمية والبحثية العالية ، وألحق به مكتبة ضمت العديد من المراجع والمصادر العلمية والوثائق والتقارير والدوريات الهامة .

ومن أجل الإشراف على هذه الدوائر والأجهزة والمؤسسات ومراقبتها والحرص على فعالية مسيرتها وتطوير أعمالها ، أسس الشقيري اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وهي بمثابة وزارة كما هو الحال في دول العالم . وبها يكون الكيان الفلسطيني قد استكمل مقوماته وبنيانه .

لم يتخل الشقيري عن العمل الوطني بعد استقالته من منظمة التحرير الفلسطينية ورئاستها ، بل واصل نضاله ، وواظب على نشاطه يطوف البلاد العربية محذراً من الأخطار التي تهددها ومن المؤامرات التي تحاك ضدها ، وبخاصة تصفية القضية الفلسطينية ، وكنا نحرص على لقائه والاستماع إلى خطبه وأحاديثه .

وفي أيلول / سبتمبر ١٩٧٩ أصيب بالشلل ، واشتد عليه المرض فدعاه الملك الحسين للعلاج في مدينة الحسين الطبية ، فلبى الدعوة ، وخضع للعلاج ، ولكن المنية وافته في السادس والعشرين من شباط/فبراير عام ١٩٨٠ ، ودُفن - كما طلب - قرب ضريح أبي عبيدة عامر بن الجراح والصحابة الكرام في أغوار الأردن ، وعلى تخوم فلسطين التي قضى حياته مدافعاً عنها وعن قضيتها ، ولتظل سيرته نبراساً ونوراً للأجيال الفلسطينية على مر الزمان ، تنير لهم الدرب للوصول إلى الهدف الأسمى ، وهو تحرير فلسطين ، فما ضاع حق وراءه مطالب .

الشقيري ودوره في النضال الوطني الفلسطيني

اللواء الركن محمود أبو مرزوق(*)

قبل أن أبدأ حديثي عن دور أحمد الشقيري المفكر والسياسي والتنظيمي في النضال الوطني الفلسطيني ، أود الإشارة إلى أنني في كل ما سأقول أعتمد على ما لاحظته بنفسي عنه ، وما سمعته منه شخصياً ، وما عرفته منه ، وليس نتيجة قراءة أو رؤى . وكل ذلك وصل إليّ بعد إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، التي كان مؤسسها الأول .

وفي هذا المجال أستهل حديثي بالقول إن خير ما يمكن قوله في تكريم وتخليد أي إنسان هو تقديمه بتجرد وموضوعية دون تهويل أو تهوين ، وخاصة بعد معاينة المرحلة التي تمر بها القضية الفلسطينية . وانطلاقاً من معرفتي بهذا الرجل ، وفي ذكراه الخامسة والعشرين لا يسعني إلا أن أشهد شهادة أحاسب عليها أمام الله ، لقد كان الشقيري واحداً من أهم قادة الشعب الفلسطيني وزعمائه في تاريخ نضاله ، ولو لم يكن لأحمد الشقيري إنجاز غير نجاحه في إقامة ثلاث مؤسسات خاصة في منظمة التحرير الفلسطينية - وهو مجال حديثي في هذه الشهادة المتواضعة - لكان ذلك فخراً له إلى الأبد .

وبداية فإنني أتذكر المقابلة الأولى مع أستاذي الكبير أحمد الشقيري وما فيها من فخر ورفعة وإباء ، حين أرسلت ومعي أخي الشهيد اللواء رجب العلاوي

(*) أحد ضباط جيش التحرير الفلسطيني ، خريج الكلية الحربية في جمهورية مصر العربية عام ١٩٦٢ ، شارك في حرب ١٩٦٧ قائد وحدة مدفعية وأسر فيها وشارك في العمل الفدائي في الأردن ، كما شارك في حرب ١٩٧٣ مع الجيش السوري وحصل على وسام الشجاعة من الرئيس حافظ الأسد ، عين قائداً لجيش التحرير الفلسطيني في لبنان ١٩٧٤ - ١٩٨٢ . ثم مؤسس وقائد الدفاع المدني الفلسطيني في السلطة الوطنية .

وأخي اللواء صائب العاجر لنكوّن أول وحدة عسكرية فلسطينية من جيش التحرير الفلسطيني ، لنشكل حرس شرف بالسلاح الفلسطيني والعلم الفلسطيني والسلام الوطني الفلسطيني ، ومن مسافة (٥٠٠ كم) من قطاع غزة إلى صحن الجامعة العربية في القاهرة ، حرس شرف إلى الزعيم الخالد جمال عبد الناصر والمناضل الكبير أحمد الشقيري ، في افتتاح المجلس الوطني الفلسطيني الثاني في الجامعة العربية . وهكذا كان هذا الإنجاز التاريخي لأحمد الشقيري وصول وحدة عسكرية من جيش التحرير الفلسطيني ، وبهذا المستوى من التدريب إلى أراضي جمهورية مصر العربية ، ولماذا ؟ حرس شرف لأحمد الشقيري وجمال عبد الناصر .

المقابلة الثانية كانت أثناء زيارته إلى قطاع غزة مع وفد من المجلس الوطني الفلسطيني الثالث ، حين تم دعوته لزيارة إحدى قواعد جيش التحرير الفلسطيني ، والمرابطة على مكان ما في جمهورية مصر العربية لعدم السماح لنا بدخول القطاع ، كوننا وحدات مدفعية ودروعاً ، حيث أقيمت في الصحراء خيمة استقبال أمامها ميدان رماية مدفعية ودبابات .

ولقد كان من ضمن الأهداف المراد ضربها هيكل دبابة إسرائيلية عليها نجمة داوود ، حيث كانت إصابة ست دبابات كأهداف إسرائيلية إصابة مباشرة ومن الطلقة الأولى ، ثم استمرت المناورة على أساس أن الأهداف تُختار من قبل الوفد الزائر ، ولقد كانت الإصابات جميعاً مئة في المئة ودون أخطاء ، فكانت دهشة المرافقين للأستاذ الشقيري ومن الجميع ، حتى ظنوا أن هؤلاء الضباط ليسوا فلسطينيين حيث لا يمكن خلال عام واحد أن يصل هؤلاء الرجال إلى هذا المستوى . وهنا تظهر عبقرية الشقيري ونظرته الثاقبة وتفكيره السديد والسليم ، قال وبأعلى صوته الجهوري : « على كل فرد قام بالاشتراك بالرمي أن يحضر أمامنا » ، فحضرنا جميعاً أمامه ، فقال : « على كل منكم أن يذكر اسمه ومكان ميلاده » . فكانت دهشة الحاضرين أننا جميعاً فلسطينيون دماً وشحماً ، وأذكر في ذلك الوفد أن مختار قريتنا - وكان يقيم في دمشق - من ضمن الحضور ، فعانقني وذكرني بأنه المختار أسعد الرنتيسي ، رحمه الله ، وكانت لحظتها الاعتذارات للأستاذ أحمد الشقيري والأسف الشديد والثناء والتقدير لهؤلاء الرجال .

أما اللقاء الثالث والذي استمر عدة ساعات ، فكان في منزله في بلدة كيفون في لبنان وقد بدأ حديثه قائلاً : « أخي أبا أحمد ... أريدك أن تكون شاهداً على ما أقول ، إنني أثناء إقامة المنظمة أقمت لكم أعمدة ثلاثة وإن انتهت انتهيتم ، وهذا الحديث مضى عليه الآن ما يزيد على الثلاثين عاماً وفعلاً انتهت هذه المؤسسات الثلاث ، وهي : الأولى جيش التحرير الفلسطيني ، الذي وصل تعداده إلى ما لا يقل عن خمسة وأربعين ألف ضابط وجندي ، مسلحين بأحدث الأسلحة التي وصلت بداية بجهود الشقيري من الصين ، ولهذه الأسلحة قصة أخرى ، فإن زمن السفر إلى الصين يزيد عن الثماني ساعات في ذلك الوقت ، استطاع الشقيري أثناءه أن يحفظ عن ظهر قلب وباللغة الصينية بعض كلمات الثناء والترحيب التي ذكرها في كلمته المتواضعة بجوار ماوتسي تونغ ، فألهب الجماهير من الملايين المحتشدة في استقباله . وقد أمر الرئيس ماو بإهدائه كل ما يحتاجه الشعب الفلسطيني من سلاح ، وقد وصل إلينا في قطاع غزة في موعده المحدد قبل عدوان ١٩٦٧ .

وهذا الجيش الذي قال عنه العدو الإسرائيلي إن معظم جيوش الدول العربية التي حاربتنا في عام ١٩٦٧ منهم من قتلناه ومنهم من أسرناه ومنهم من حمل حذاءه على كتفه ورحل .. ولم نجد مقاومة إلا من جيش الشقيري المرقّع (من كل قطر جزء) جيش التحرير الفلسطيني ، فقد قتل منا في مواجهة قطاع غزة (٣٩) تسعة وثلاثين قائد دبابة .

هذا هو جيش التحرير الفلسطيني الذي أسسه الشقيري ، وأين هو الآن ؟

أما المؤسسة الثانية فهي الصندوق القومي الفلسطيني .. وكان رحمه الله يتبرع براتبه المتواضع (٢٠٠ دينار) ليوضع في الصندوق ، وللحق والتاريخ فقد أسس هذا الصندوق من تبرعات الشعب الفلسطيني في مناطق تواجده ، كان رحمه الله عوناً لنا لجمع الأموال التي وصلت إلينا .

وإنني أذكر واقعة شخصية حول دقة العمل في الصندوق ، فأثناء وجودي قائداً لقوات جيش التحرير في منطقة إربد في الأردن اشتريت بدينار « لب » و « لبن » ، وكما هو معروف في القانون وعند وصولها إلى مدير الصندوق الفلسطيني الأخ درويش الأبيض في دمشق أعادها إليّ ، وكنت نقلت إلى السلط ، فقال لي : « يا أخ محمود لا يحق لك أن تشتري بزر » ولم يصادق على صرفها . هذا هو الصندوق القومي الفلسطيني الذي أسسه الشقيري .

أما المؤسسة الهامة الأخيرة التي يعتز بها فهي مركز الأبحاث الفلسطيني ، الذي حاول العدو اغتياله أكثر من مرة وبمعرفتي الشخصية أثناء قيادتي جيش التحرير الفلسطيني في لبنان ، حيث أصابت د . أنيس صايغ في يده وسمعه وبصره ، وفي المرة الثانية حفظ الله غرفة الوثائق والمخطوطات من إصابة محققة

بصاروخ ، أما المرة الثالثة فكان اجتياح صبرا وشاتيلا تغطية لاجتياح مبنى مركز الأبحاث ، حيث تم نقله بقيادة أحد الجنرالات الإسرائيليين في ستين شاحنة (٦٠) أخذت أهم ما يخص القضية الفلسطينية والباقي موجود الآن في صناديق مقفلة في الجزائر ، وانتهى مركز الأبحاث وإلى الأبد .

ويبقى أن أضيف الملاحظة التالية إكراماً للرجل : في عام ١٩٧٤ دعاني لزيارته وقال لي : « اسمع يا أبا أحمد ، بالأمس كان في زيارتي الأخ أبو عمار ، وقال لي : « بماذا تنصحني إنني ذاهب غداً إلى جنيف لإلقاء كلمة المنظمة ؟ » قلت له : « يا أبا عمار إذا أردت الممكن فاطلب المستحيل ، ولكن حذارِ عليك أن تطلب الممكن » . فقال له : « ما هو الممكن ؟ و ما هو المستحيل ؟ » . فقال الشقيري : « المستحيل تقسيم ١٩٤٨ الذي أقيمت على أساسه دولة « إسرائيل » ، والممكن الضفة والقطاع بالقرار ٢٤٢ فحذار حذارِ من الممكن ، عندها تكون قد تنازلت عن ٧٨٪ من مساحة فلسطين ، فلماذا لا تترك الباقي ؟ » . وهكذا كان حتى الآن لم نأخذ شيئاً من مساحة الضفة (٥٧٠٠كم) ومساحة غزة (٣٦٠كم) .

أحمد الشقيري وجيله المتميز

أ . نصر شمالي(*)

في خضم أوضاع الأمة المهولة المتفاقمة ، وفي سياق محاولاتنا التعامل معها بسوية متقدمة تتلاءم مع تطوراتها العاصفة ، نعود من حين إلى آخر إلى تجارب الأجيال التي سبقتنا ، لنقف بانبهار وإجلال أمام التكوين البنيوي والأداء الميداني لجيل محدد متميز ، هو ذاك الذي رأى النور في أهوال الحرب العالمية الأولى ، قبلها بقليل وأثناءها وبعدها مباشرة ، لقد كانت تلك المرحلة لحظة انتقال تاريخية عالمية شاملة عصفت بالحدود الجغرافية والسياسية الدولية جميعها بلا استثناء ، فزالت دول كبرى من الوجود كالدولة العثمانية ، وظهرت دول كبرى من العدم كالاتحاد السوفييتي . وكان نصيب العرب من تلك التحولات سلبياً وخطيراً جداً . إنها التحولات التي ما زلنا نعاني عقابيلها الرهيبة حتى يومنا هذا . ففيها جرى التأسيس الواقعي الميداني للكيان الصهيوني على أرض فلسطين الطاهرة ، وبتجزئة الوطن العربي أرضاً وأمة بما يتلاءم و يتواءم مع احتياجات ووظائف الكيان اليهودي ، وقد ظهر الجيل المتميز الذي أشرنا إليه ، جيل أحمد الشقيري ، في تلك اللحظة التاريخية المروعة بالضبط .

تجربة ثرية وفعالية ميدانية

ولد أحمد الشقيري في عام ١٩٠٨ ، فهو واحد من الناجين مصادفة ، أبناء الهالكين بسبب الحروب والأوبئة والمجاعات ، أبناء الجيل الذي ترعرع في بيئة شبه مدمرة وشبه قاحلة من جميع النواحي ، فكأنما هو انبثق من رحم العدم ، مثل زهرة جميلة فواحة نبتت في صخرة ! إننا نتأمل اليوم في أحوالنا وفي أحوال جيل الشقيري ونتساءل بكثير من الدهشة ! ترى كيف تأتّى لأولئك الآباء والأجداد شبه المعدمين معنوياً ومادياً امتلاك كل ذلك القدر من ثراء التجربة والفاعلية الميدانية ؟ كيف استطاعوا - وهم على ما هم عليه في تلك اللحظة الانتقالية التاريخية العالمية النوعية ، تغطية جميع الميادين المتناثرة بفعاليتهم المؤثرة ، وإبقاء الطريق مفتوحة أمامنا ، وهي الطريق التي تفترض جميع الوقائع والدلائل أن تكون مغلقة ؟

أحمد الشقيري واحد من أبناء ذلك الجيل المتميز ، وشخصية من تلك الشخصيات التي كانت موسوعية معنوياً ومادياً بجهودها الذاتية تقريباً ، وإن المرء ليحار في اختيار الزاوية التي يطل منها على شخصية الشقيري ، فالزوايا كثيرة تطل كل واحدة منها على قضية عظيمة الأهمية .

إن قضية تكوّن الشقيري في حد ذاتها ، وهو في رحم أمه قبل ولادته ، قضية ذات مدلولات عامة وهامة ، فوالده عضو في مجلس المبعوثان العثماني ، بما يعنيه ذلك من نفوذ ووجاهة ، ووالدته في فلسطين شبه ضائعة ، وحيدة معذبة تجد بالكاد قوت يومها ! وكذلك طفولته البائسة في حدّ ذاتها ، ثم يفاعته وشبابه وكهولته ، كل مرحلة عمرية منها تشكل في حدّ ذاتها قضية ومصدراً ثرياً لفهم أوضاع فلسطين خصوصاً والبلاد العربية عموماً ، بل تكفي وتفيض لإعداد ما لا يحصى من الدراسات الضرورية عن بنية الأمة العظيمة ، التي قدّر لها أن تتحمل ثقل النظام العالمي الأوروبي الأميركي على مدى قرون من دون أن تتهاوى وتندثر !

(*) مفكر وكاتب عربي سوري .

العاشق المأخوذ بجمال فلسطين

من المتعذر الاستطراد في هذه العجالة البالغة الضيق ، ولذلك سوف أكتفي ببضع إشارات إلى بعض السّمات البارزة في شخصية الشقيري ، فأبدأ بعشقه لطبيعة فلسطين ، ناقلاً عنه انطباعاته في عشرينات القرن العشرين ، وهو بعد في مطلع شبابه ، يصف الطريق حول خليج عكا مدينته ، الرمال النّاصعة والأمواج الوادعة ، الخليج الذي عزّ نظيره في الدنيا ، ثم الصعود الهادئ إلى رُبى الناصرة بأحراشها العطرة ، والنزول إلى مرج ابن عامر ، واجتياز جنين ، ونابلس ، ورام الله ، والبيرة ، بين الروابي والوديان المُرصعة بالزيتون والأعناب ، غرسها الآباء والأجداد ، ثم الإطلال على بيت المقدس من حيّ الشيخ جرّاح وأسوارها التي تضم « الأقصى » و « القيامة » بين ذراعيها في سكون ودَعَة ، إنّه إطلال على موكب رائع من التاريخ و القداسة والجلال ، يقول الشقيري عن الطريق بين عكا و القدس ، الذي قطعه مرات كثيرة بالسيارة ، إنه كان في كل سفرة يرى فيه جديداً من السناء والبهاء فيزداد روعة وجمالاً في فؤاده ، مرج ابن عامر والبقاع السندسيّة تحت البصر كأنها سجادة مطرزة هوت من السماء وافترشت هاتيك البقاع . متعة روحية بالغة الإيناس : « لقد أُخِذت بهذا الجمال ، وما سلكتُه مرّة إلا ورأيت صفحة جديدة رائعة فتّانة . وقد قُدّر لي في أسفاري إلى أوروبا وأفريقيا وآسيا أن أشهد مواطن بارعة ومفاتن رائعة ، لكني كنت على الدوام أرى هذا الطريق من عكا إلى بيت المقدس ، وما حوله من المدن والقرى ، والهضاب والوديان ، والمروج والسهول ، والزّرع و الضروع ، أروع جمالاً وأرفع حُسناً » ، ويختم الشقيري : « لقد سقطت هذه البقاع في يد « إسرائيل » عام ١٩٦٧ كما سقطت شقيقاتها من قبل ١٩٤٨ ، فغدونا نراها في مناماتنا وأحلامنا فردوسَنا المنشود ، بل المفقود ... ولكن إلى حين » .

أمة مبتدئة في الحياة الدولية

في مطلع العشرينات من القرن العشرين ، حين فرض الانتداب على بلادنا المشرقية ، كانت لجيل الشقيري أحلامه الكبيرة على الرّغم من الانتداب ، وهي أحلام يصفُها بأنّها ربما أقرب من الخيال ! كان الطلاب يحفظون الشعر عن ظهر قلب ، والأساتذة يحرصون على أن يكون للشعر الأندلسيّ ولتاريخ الأندلس النصيب الوافر مما يُحفظ ويُروى ، بل إنّ الأساتذة - حسب الشقيري - كانوا يُحلّقون في آفاق رائعة الجمال ، فلا بدّ من استرجاع الأندلس وطننا الذي مكثنا فيه ثمانية قرون ، وأنشأنا فيه حضارة ومجداً ! يُضيف : « وقد ضاع الفردوس الموجود ونحن نتعلّل بالفردوس المفقود ، وانقلبنا من تحرير الأندلس إلى تحرير فلسطين ... ثم إلى تحرير سيناء والجولان ! » .

لقد عاش الشقيري عهد الحكم البريطاني لفلسطين على مدى ثلاثين عاماً تمهيداً لإقامة الكيان الصهيوني ، وشهد - كمناضلٍ - جميع أهوال الاقتلاع والطرد والتشريد والإبادة والاستيطان ، وشارك أو عايَشَ خمس عشرة ثورة فلسطينية تصدّت للانتداب البريطاني والاستيطان اليهودي ، وفي عام ١٩٤٨ ، بعد إقامة الكيان الصهيوني ، انتهت مسيرته الفلسطينيّة تحديداً لتبدأ مسيرته العربيّة كمستشار للوفد السوري في الأمم المتحدة ، ثم شهد مولد جامعة الدول العربية وعمل في مؤسساتها ، و تابع المحاولات « التعيسة » لتحقيق الوحدة العربية منذ الأربعينات ، وأصبح رئيساً للوفد السوري في الأمم المتحدة ، ثم رئيساً للوفد السعودي ، واشترك في مؤتمر باندونغ عام ١٩٥٥ نائباً لرئيس الوفد السوري ، وصار وزير دولة للسعودية في الأمم المتحدة عام ١٩٥٧ ، وفي عام ١٩٦٣ اختير رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ليهدأ بعد ذلك ، بعد حرب عام ١٩٦٧ ، ملخصاً : « شاءت الأقدار أن يكون مولدي ، ومولد جيلي معي ، في أخريات الدولة العثمانية ، لنشهد بعدها عهد الاحتلال الأجنبي ، ثم عهد الاستقلال الوطني ، ويطغى على هذا وذاك عهد الخطر الصهيوني . لقد واكبت هذه العهود كلّها ، طفلاً فصبيّاً فشاباً فرجلاً فكهلاً ، وأصبت بنصيب منها ، فعشت أيامها البهيجة والشقية ، وكان أبهجها مواكب الاستقلال ، وأشقاها كارثة حزيران (١٩٦٧) . وكانت هذه العهود غنيّة بالعِظات والعبر ، عرفتها وعرفها جيلي بالممارسة والمُعاناة لا بالتفكير والتدبير ، فقد كنّا في مطلع هذا القرن أمة مبتدئة في الحياة الدولية ، وأحسب أننا ما نزال » !

الحُكم العربي بلا خُلُق قومي !

يكتشف الشقيري المناضل منذ نعومة أظفاره الأديب والخطيب ، المحامي والسياسي ، الفلسطيني العربي ، الباحث الوزير والرئيس ، أخيراً أن جهوده وجهود جيله غلبت عليها الممارسة العمليّة والمُعاناة الميدانيّة ، وافتقدت التفكير والتدبير ، أي أنّها كانت تفتقد الرؤية الواقعية التاريخية العالمية والعربية ، وبالطبع هو مُصيب في اكتشافه ، ولكن دون أن ينالَ ذلك من تميّز جيله ومن أهمية عطاءاته ، وقد جعله هذا الاكتشاف يتذكر حادثة مهمة من جهة ، ويستخلص نتيجة مهمة من جهة أخرى . الأولى أنه في أوائل ثلاثينات القرن الماضي ، وكان في شرخ الشباب ، خرج مع رفاقه إلى الحدود السورية لاستقبال الزعيم العراقي القومي المعروف ياسين الهاشمي ، وعادوا به إلى عكا في موكب فخيم ، حيث ألقى الشقيري خطاباً حماسياً ، لكن الهاشمي خيّب أملهم حين وقف ليقول

بهدوء جملة مُقتضبة : « لا بدّ أن نبني الخُلُق القومي في الحُكم العربي أولاً وقبل كل شيء ، والسلام عليكم » ! يقول الشقيري : « كنّا ذلك العهد في عنفوان الشباب ، قلوبنا قفزت من صدورنا واستقرّت في رؤوسنا تتبوّأ مكان عقولنا ! فلم يعجبنا كلام الهاشمي ، غير أني فهمت كلامه بعد خمسة عشر عاماً ، وأنا على مقربة من الملوك والأمراء في أنشاص ، ومع الرؤساء والسفراء في ردهات الجامعة العربية ، يومها ترحّمت على الهاشمي ، فقد رأيت بعيني وسمعت بأذني كيف أن الحكم العربي لم يكن يتحلى بالخُلُق القومي ، فكانت الكارثة وكانت « إسرائيل » ! تلك هي الحادثة التي تذكّرها الشقيري ، أما النتيجة التي استخلصها فهي الأهم ، وهي ما صرنا نحاول تداركه اليوم بشتّى السبل وبصعوبة بالغة .

استخلاص نتيجة بالغة الأهمية

يقول الشقيري إنه كان يستمع إلى والده ، بعد زوال الدولة العثمانية ، وهو يتحدث بحرارة عن الموقف الشهير الذي وقفه السلطان عبد الحميد في رفضه استقبال هرتزل مؤسس الصهيونية ، حين جاء إلى الآستانة يقدم العروض المالية المُغرية سعياً وراء تحقيق حلمه الرّهيب ، وأن الجيل الصاعد ، وأحمد الشقيري منه ، كان يقف في الطرف الآخر من الحوار ، ويرى في حركة الشريف حسين عهداً مباركاً ، وأن الحلفاء لا بدّ أن ينجزوا وعودهم ، ولا بد أن « يمنحونا » الاستقلال والحرية في ظلال الوحدة العربية ، ثم انطفأ الحوار بموت العثمانيين من جيل والده ، وغاص الجيل الصاعد إلى الأذقان في مكافحة الحلفاء « المحررين » الذين تحولوا إلى انتداب أجنبي ، لكن الحوار استيقظ ثانية في نفس الشقيري بعد أربعين عاماً ، بعد هزيمة ١٩٦٧ ، يقول الشقيري :

« وأنا أستعرض مسيرة الصهيونية خلال خمسين سنة خلت ، أقرر أن جيلنا كان على خطأ فادح ، وأن الحكم العثماني بكلّ مخاطره التي أعرفها هو أفضل من هذه « الاستقلالات » العربية ، وهذه الدويلات المُنكسرة ، وقد هزمتها الصهيونية في حروب ثلاث ، ولكني ما كنت لأرتضي لنفسي هذا الاعتراف لو أني أرى الوحدة العربية أملاً قريباً ، فالصهيونية العالمية وفي طليعتها « إسرائيل » قوة ديناميكية هائلة ، لا يمكن أن يقف أمامها إلا وحدة عربية لها جيش عربي واحد على رأسه دولة اتحادية واحدة » .

الربط بين الانكفاءات والتاريخ

غير أن استنتاج المرحوم الشقيري كان أولياً ، أي : ناقصاً ، وهو أدرك ذلك فقال إنه اعتراف خطير يحتاج بحثه ومناقشته إلى كتاب مستقل ، ولو قدّر للشقيري أن يعيش ويبحث في استنتاجه ، فلربما توصل إلى رؤية الانكفاءات التاريخية النوعية العظمى التي شهدتها الأمة العربية والإسلامية ، وأولها انكفاؤها من عصر عالمي عربي إسلامي إلى رابطة إسلامية عثمانية ابتداء من العام ١٤٩٢ تاريخ سقوط غرناطة ، وهي رابطة عاشت في وضع دفاعي على الدوام ، وعلى مدى القرون الخمسة التالية ، أمام تقدّم وصعود العصر الأوروبي الأميركي الصهيوني ، وثانيها الانكفاء من رابطة إسلامية كبيرة إلى رابطة عربية صغيرة ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر ، بغضّ النظر عن الأسباب الداخلية الفظيعة الموجبة ، وبغضّ النظر عن المُتحمسين لهذا الانكفاء أتراكاً أم عرباً ! وثالثها الانكفاء منذ مرحلة « الاستقلالات » في أربعينات القرن الماضي ، من الأمة العربية الواحدة والوطن العربي الواحد ، إلى الدويلات « المُستقلة » المُدافعة عن « استقلالها » ضد أخواتها وبمساعدة أعدائها ، أما رابعها وأخطرها فهو هذه الانكفاءات المناطقية والقبلية والعشائرية والطائفية والمذهبية ، التي نشاهدها اليوم داخل كل دويلة على حِدة ، والتي تعني في حال نجاحها فناء الأمة وزوالها حقاً وفعلاً .

غير أن ما نطمئن إليه تماماً هو أن الأمة ، ببُناها الروحية والنفسية والفكرية ، وبوشائجها المتينة غير الرسمية ، كانت وسوف تبقى منيعة ضدّ محاولات إفنائها ، مهما بلغت هذه المحاولات من مقدار السيطرة على بُناها الفوقية المتمثلة بالحكّام وتوابعهم وحدودهم ، فهذه البنية التحتية تبقى قادرة على إنتاج المقاومة المُتصاعدة ، المُتطورة ، التي نرى اليوم تصاعدها وتطورها في أكثر من قطر ، والتي تستطيع في لحظة تاريخية ، دولية وإقليمية مناسبة ، قلب موازين القوى رأساً على عقب لصالح الحق والعدل ، وتستطيع التأسيس من جديد لنهوض الأمة واندفاعها في اتجاه مخالف للانكفاءات العظمى التي أشرنا إليها ، ولأخذ دورها القيادي الذي تستحقه في تطور الحضارة البشرية وازدهارها ، وعندما يتحقق ذلك ، وليس ثمّة ما يحول نهائياً دون تحقيقه ، فإن روح أحمد الشقيري وأبناء جيله المتميزين سوف تستردّ اعتبارها وتزهو بمكانتها التاريخية .

من أحمد الشقيري إلى ياسر عرفات

اللواء الركن د . ياسين سويد

يوم دوّى صوته هادراً في قاعة مجلس الأمن في الأمم المتحدة بنيويورك ، ووقف كالطّود يردع « غولدا مائير » ممثلة الصهاينة المُحتلين لبلاده فلسطين ، ويدحض تساؤلها : أين هو الشعب الفلسطيني ؟ أدرك ممثلو الكون كله ، المجتمعون في تلك القاعة ، أن هذا الصوت هو صوت فلسطين الحقيقي ، وليس ذلك النعيق الذي أفرزته « وزيرة خارجية » العدو المحتل .

ويوم دوّى صوته هادراً في قاعة اجتماع مجلس الجامعة العربية بالقاهرة ، وبحضور الزعيم التاريخي للأمة العربية جمال عبد الناصر ، متحدثاً عن فلسطين باعتباره رئيساً لـ « منظمة التحرير الفلسطينية » المنشأة حديثاً (عام ١٩٦٤) ، وبقرار من جامعة الدول العربية ، أدرك ممثلو « الوطن العربي » المجتمعون في تلك القاعة ، أن فلسطين بدأت تخرج من تحت الرّكام ، وأن هذا الصوت الهادر في قاعة جامعتهم ، سوف يكون اللبنة الأساسية التي تقوم عليها الثورة الفلسطينية ، التي لا تزال إلى اليوم متوقدة وملتهبة .

لم يسأم أحمد الشقيري من الدعوة إلى الثورة ، وإلى حمل السلاح لتحرير فلسطين ، ذلك أنه كان يرى في الكفاح المسلح السبيل الوحيد لإنقاذها من الاحتلال الصهيوني وعودة أهلها إليها ، ولم ييأس ولم يملّ ، رغم ما لقيه في معظم العواصم العربية من تردد ، بل ومن اعتراض صريح على تطلعاته الثورية التي أحرجت تلك العواصم ، وسبّبت لها الغمّ والضيق .

ولما لم يُقيّض للشقيري أن يحقق تطلعاته الثورية التي نادى بها وعمل لأجلها ، وهي اعتماد « الكفاح المسلح » وسيلة وحيدة لاسترداد فلسطين ، وذلك بسبب تقاعس الأنظمة العربية عن مساعدته في تحقيق تلك التطلعات ، فإنه ظلّ يناضل ، من خلال أي موقع تبوأه ، لخدمة القضية التي نذر نفسه لها ، سواء كممثل لسورية ، أو كممثل للجامعة العربية ، في مختلف المحافل العربية والدولية ، وكان من كل هذه المواقع ، يتطلع إلى تحقيق هدفه الأسمى « الثورة المسلّحة » ، ويسعى جاهداً لإنشاء « جيش » لهذه الثورة .

في الخمسينيات والستينيات من القرن المنصرم ، تأجج الحكم الثوري في كل من مصر وسورية ، واندلعت روح الثورة في الشعوب العربية اندلاع النار في الهشيم ، ما أثلج صدر الشقيري وأعطاه دفعاً جديداً للمثابرة والعمل لتحقيق الهدف ، خصوصاً بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية (عام ١٩٥٨) ، إلا أنه - رغم ذلك - لم يكن يؤمن بالعمل العربي المشترك من خلال الجامعة العربية لتحقيق أهدافه ، لذا نراه يتردد في قبول منصب « ممثل فلسطين » في هذه الجامعة ، ولا يقبل إلا بعد إلحاح من عبد الناصر وبعض القادة العرب ، ومن العديد من رجالات فلسطين ، وعلى أمل أن يرى « تغييراً ما » في مسيرة الجامعة نفسها ، وأن يلمس « جديّة » في العمل العربي تجاه قضية العرب الكبرى ، قضية فلسطين . [١]

لقد دعا الشقيري صادقاً ، ومن مواقعه كافة ، إلى تحرير فلسطين ، وإنشاء كيان فلسطيني ، وإلى تسليح الشعب الفلسطيني للعمل على استرداد أرضه ، ولم يألُ جهداً - وهو يمثل فلسطين في جامعة الدول العربية - في أن يلهب مشاعر القادة العرب لدفعهم إلى تحقيق ما يصبو إليه شعبه ، ذلك أنه كان يرى أن الحل ليس في نيويورك ، ولا في الأمم المتحدة ، وإنما هو « في الوطن العربي وفي الوحدة العربية » [٢] ولكن صرخاته ذهبت أدراج الرياح .

وسعى الشقيري ، وهو في موقع « رئيس منظمة التحرير الفلسطينية » ، إلى أن يحقق لهذه المنظمة ما تحتاج إليه من وسائل القتال للتحرير ، فأنشأ « جيش التحرير الفلسطيني » ، وطالب الدول العربية بتزويد هذا الجيش بما يلزمه من سلاح وعتاد ومال ، كما جهز المنظمة بمختلف المؤسسات الإعلامية والإدارية والسياسية والتنظيمية ، وسعى إلى تأمين اعتراف دولي بها ، ونالت المنظمة - بفضل جهوده - اعتراف معظم دول العالم ، وأهمها : الصين والاتحاد السوفييتي ، ومعظم دول أوروبا ، إلا أن شعور بعض الأنظمة العربية « برياح التغيير » التي بدأ الشقيري يبعثها في المجتمعات العربية في مختلف أقطارها ، عن طريق « روحه الثورية » ، جعلت تلك الأنظمة تقف منه ومن منظمته موقفاً سلبياً ، ثم موقفاً عدائياً ، ما أضرّ بمسيرة المنظمة ، بل عطّل إلى حد كبير ، تلك المسيرة .

ولقد استطاع الشقيري ، خلال سنوات معدودات فقط ، أن يعيد إلى الشعب الفلسطيني ثقته بنفسه ، وبهويته الفلسطينية ، وأن يخرجه من حالة اليأس التي وضعته فيها هزيمة العرب الكبرى عام ١٩٤٨ ، وذلك من خلال

(١) راجع معلومات بهذا الشأن في كتاب : « **كلمات وفاء لذكرى أحمد الشقيري** » ، حيث أنصفه بعض عارفيه والمقرّبون منه .
(٢) خيرية قاسمية ، **أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً** ، ص ٦٠ .

قيام كيان خاص به تمثّل في « منظمة التحرير » وأدواتها السياسية والعسكرية ، ومن خلال اعتراف العالم بهذا الكيان ، إلا أن الأنظمة العربية لم تكن في مستوى هذه النهضة التي بعثها الشقيري في شعبه الفلسطيني ، إلى درجة أنه لم يتورّع عن أن يعلن ، قبيل مؤتمر القمة العربية الثالث الذي عقد في الدار البيضاء بالمغرب عام ١٩٦٥ ، أن منظمة التحرير الفلسطينية قد ولدت « على فراش مؤتمر القمة ، أسيرة الظروف العربية »[١] ، ثم يعلن - بعد خيبة أمله في نتائج هذا المؤتمر - أن منظمته لم تجد فيه « الاستجابة الجديرة بالتحرير ، وأهداف التحرير » .[٢]

وتفاقمت الأمور بعدها ، فناصبت بعض الأنظمة العربية الشقيري العداء ، إلى درجة أنها سحبت اعترافها بالمنظمة وطالبت بإبعاده عن رئاستها ، وقد حقق الشقيري نفسه لها هذا الطموح ، بعد انسحابه من مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ ، ثم تقديم استقالته من رئاسة المنظمة في العام نفسه . وبعد هذا التاريخ ، انصرف الشقيري لكتابة مذكراته التي أودعها كل ما يخالجه من مشاعر وأحاسيس زاخرة بالأسى والألم من مصير أمة تحكمها أنظمة ترى قياداتها مرآة لشعوبها ، وفي مصالح تلك القيادات مرآة لمصائر تلك الشعوب ، إلا أنه لم يتخلّ عن إيمانه الوطيد بأن « الكفاح المُسلّح » هو « السبيل الوحيد لتحرير فلسطين » [٣]

قيل في الشقيري كثير ، قيل إنه « اعترف بقرارات التقسيم وطالب بتنفيذها » ، وإنه « طالب بتدويل القدس » ، وإنه « قبل مفاوضة اليهود وعقد الصلح معهم » ، واستشهد على ذلك بما ورد في خطبه التي ألقاها باسم المنظمة في الأمم المتحدة [٤] ، إلا أننا لا نستطيع أن نفهم ، في مواقف الشقيري هذه ، تفريطاً بالقضية الفلسطينية ، بقدر ما نرى فيها موقفاً سياسياً يتحاشى معارضة القرارات الصادرة عن الإرادة الدولية المتمثلة بالأمم المتحدة ، طالما أن الأنظمة العربية عاجزة عن اعتماد البديل الطبيعي والمُحقّ لهذه القرارات ، وهو الكفاح المسلح لتحرير فلسطين .

وغادر الشقيري أروقة منظمة التحرير الفلسطينية والجامعة العربية والأمم المتحدة ، إلا أن إيمانه بقضيته وبالسعي لتحقيق آمال شعبه وأمانيه ، لم يغادر طموحاته ، فثابر على العمل في سبيل تحقيق تلك الآمال والأماني ، بقلمه تارة ، وبخطبه النارية تارة أخرى ، إلى أن قضى وهو يحمل في قلبه الكبير كل آماله الخائبة وآلامه المعذبة ، وكانت وفاته في عمان عام ١٩٨٠ .

إلا أن منظمة التحرير الفلسطينية التي أسسها أحمد الشقيري ورعاها بأهداب مُقلتيه وشغاف قلبه ، لم تمت بموته ، فقد التقط خليفته « ياسر عرفات » ما زخر به قلب الشقيري من أماني وآمال ، وجعل منها القاعدة الصلبة لثورته التي فجّرها في مطلع العام ١٩٦٥ ، فمشى الشعب الفلسطيني خلفه ، وساندته الشعوب العربية ودعمته ، وقُيّض لهذه الثورة قائد عربي تاريخي رعاها وتبناها وناصرها ، هو الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، ما أعطى المنظمة وعرفات دفعاً معنوياً رغم كل ما ألمّ بهذه الأمة من نكبات ونكسات وإخفاقات .

بنى الشقيري قاعدة النضال العربي من أجل فلسطين ، ثم مدّ جسراً متيناً بين هذه القاعدة والمستقبل ، وأمسك عرفات بالقضية فنقلها إلى حيث أراد الشقيري لها أن تكون ثورة حتى النصر . واستشهد عرفات دونها ، بعد أن عزز القاعدة والجسر بدمه ، وبشلاّل هادر من دماء شعبه في فلسطين ، شلاّل لن تتمكن قوى الاحتلال الصهيوني والانحياز الأميركي والتخاذل العربي ، من الوقوف في وجهه ، وإعاقة مسيرته .

يقول « بلال الحسن » في مقالة له في جريدة « الشرق الأوسط » بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٣١ : إن ثلاثة صنعوا تاريخ فلسطين الحديث وهم : الحاج أمين الحسيني (وحكومة عموم فلسطين) ، وأحمد الشقيري (ومنظمة التحرير الفلسطينية) ، وياسر عرفات (وثورة فلسطينية حتى النصر) ، فهل يُقيّض لفلسطين - يا ترى - رابعٌ يُكمل المسيرة ؟

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .

(٤) كتيب بعنوان : « **انحراف أحمد الشقيري عن المبادئ الوطنية ، وتفريطه في قضية فلسطين** » فيه اجتثاث لبعض مقاطع مما قاله الشقيري في الأمم المتحدة (بالعربية والإنجليزية) ، دون ذكر المؤلف .

الشقيري رؤية الفتى ... ورؤى الشاب

سامر الجعبري(*)

بدأت معرفتي بأحمد الشقيري وأعماله أيام الصبا الباكر ، من خلال الأحاديث التي كان جدي (رحمه الله) يرويها عنه وعن ابنه الأستاذ إياد الشقيري ، وخلال هذه الأحاديث كنت أقدر الرجل لأني رأيت جدي يقدره ويحترمه ، وذلك لأني في حداثة عهدي كنت أرى الناس بعيون جدي وأفكاره وانطباعاته . فقد كان يذكر الشقيري دوماً بالتقدير ، ويذكر دوره في تأسيس وعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول سنة ١٩٦٤ ، وتأسيس وبناء منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها المختلفة ، وزياراته الدائمة لقطر والخليج العربي لدعم العمل الفلسطيني ولجمع فلسطينيي الشتات حول بناء المنظمة .

وخلال علاقتي اللاحقة مع ابنه إياد سألني (أبو محمد) عن جهة تعمل على مراجعة مخطوطات أحمد الشقيري الإلكترونية ، وتنقيحها لغرض طباعة الأعمال الكاملة وتحديث الموقع ، فاقترحت عليه الأستاذ عبد العزيز السيد ومؤسسته ، وهي من أفضل الجهات للقيام بالمهمة ، وشاءت الظروف لاحقاً أن أقترب من مخطوطات الرجل ومن كتبه وموقعه الإلكتروني ، حيث أثرت المعلومات التي اطلعت عليها صورته في مخيلتي ، فلم تعد رؤية جدي المعيار الذي أنظر به للشقيري ، بل بدأت أرى الأمور من زاويتي ، وخلال علاقتي أيضاً مع (أبو محمد) تعرفت على بعض أصدقاء أحمد الشقيري ، الذين عاصروه وذكروا عنه الكثير من القصص والمواقف التي تتجاوز كثيراً ما ذكره جدي . فتشكلت صورة أخرى مركبة غير الصور البسيطة الأولى .

فهو الرجل القيادي صاحب الرؤيا الثاقبة ، وهو القيادي المؤسسي ، الصلب في مواقفه ، الواضح ، والحازم تجاه أفكاره ، العاطفي تجاه شعبه وقضيته . فقد كان الشقيري مؤسسياً لأنه عمل بطريقة مؤسسية في عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني ، فقد عمل بطريقة ديمقراطية وحضارية في تشكيل المؤتمر . وكان صاحب رؤيا مقارنة للتجارب الأخرى بما فيها تجارب العدو في بناء المؤسسات الصهيونية لمواجهة مؤسسات العدو الصهيوني ، ولكن من خلال الإمكانات المحدودة ، وفي ظل أجواء غير مواتية ، عمل بجد لتأسيس مؤسسات متناسقة عسكرية وسياسية ومدنية وفكرية ، تهدف لبناء الكيان الفلسطيني ، وتسعى لتسخير الطاقات الإنسانية الفلسطينية والعربية في سبيل القضية الفلسطينية .

وجدته يهدف لإبراز شخصية الفلسطيني في زمن كان الشعب الفلسطيني فيه مشطوباً كشعب ، وقضيته مجرد قضية لاجئين ترعاهم - بذلّ - وكالة غوث اللاجئين ، بينما كل التفكير العالمي هو لتوطين الشعب الفلسطيني في دول الاغتراب محروماً من التعبير عن فلسطينيته وأشواقه لوطنه ، فالشباب الفلسطيني تم ربطه وتوزيعه على دول مختلفة لغرض العمل والرزق .

ويبدو أن انطلاقة الشقيري ورؤيته أتاحت لكثيرين من الشباب في فلسطين وفي بلدان الاغتراب التفكير والمبادرة للسعي والعمل على تحريرها ، كما أنها أتاحت لكثيرين من الشباب والشابات أن يعبروا عن فلسطينيتهم في زمن سعى فيه الكثيرون لحذف كلمة فلسطين وطمسها من القاموس السياسي فضلاً عن الخريطة الجغرافية ، أو دمجها في سياق الشعارات السائدة القومية أو الماركسية أو الاشتراكية وغيرها .

ويكفي الشقيري فخراً أن المؤسسات التي بناها خلال رئاسته للمنظمة ، هي التي استمرت بالرغم من المؤتمرات المختلفة من حكومات عربية فضلاً عن الغربية والعدو الصهيوني ، فكل من أتى بعده لم يزد على مؤسسات العمل الفلسطيني الرسمية شيئاً يذكر ، وإنما بقيت هذه المؤسسات تعمل بقوة الدفع الذاتي التي ولّدها الشقيري وزملاؤه من أعضاء اللجان التنفيذية والمؤسسات الأخرى ، الذين أسهموا معه في بنائها .

واليوم أقول بصراحة : إنني أشعر أنه لولا الشقيري وقيادات المنظمة الأوائل لما كانت منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير والصندوق القومي والمجلس الوطني ومركز الأبحاث الفلسطيني قائمة ،

(*) ناشط شبابي أردني في الشأن الاجتماعي والسياسي .

وإن كان اعتراها ما اعتراها اليوم من هزال وضمور وعجز ، لما كانت القضية قائمة برغم ما واجهت من سهام على مدار العقود الأربعة التي مضت على تنحيه .

وللأسف فإننا اليوم قد عدنا إلى وضع قريب من الوضع السابق قبل تأسيس المنظمة ، حتى بدا شطب القضية الفلسطينية محاولة واضحة لكي يصبح الشعب الفلسطيني كالهنود الحمر ، ولولا إيماني بشعبنا وأجياله وعمق تجربته لكان اليأس هو سيد الموقف ، لكننا ننتمي إلى جيل لم يعرف اليأس من قبل - جيل الشقيري - .

رحمك الله يا شقيري ، ورحم رفاقك ومن عملوا معك في بناء المنظمة ، وإعادة الحياة للقضية .

وإذا كانت النفوسُ كبارا ...

غُنية كعابنة(*)

أحمد الشقيري ، الرئيس المناضل ، المحامي الباحث المفكر ، زعيم وطني قومي عربي فلسطيني . حقيقة يعرفها كل فلسطيني ، ويؤمن بها كل عربي منصف ، فقد تداخلت في خصاله وتعانقت في سلوكاته واتضحت في أفعاله ، ضرورات النضال الفلسطيني العربي والتزاماته ، فكراً وسياسية وتخطيطاً . كما أخاله لم يكن أميناً عاماً لأي تنظيم فدائي ، بل كان المؤتمن العام للشعب على قضيته ، ولم يكن مؤسساً لحزب ، لقد كان مناضلاً ، مناضلاً وكفى بفعله شاهداً !

حاول ترجمة النضال كما يفهمه ويؤمن به ، ويدعو لتحقيقه على أرض الواقع ... كان متوحّداً في الولاء والانتماء لقضية نذر لها قلبه وعقله « لقد كان أحمد نسيجَ وحده » .

عكا وأحمد ابنها وحبيبُها

أعطى وكان الباذلَ المتفرّدا(**)

ووفاءً لقضية الشعب الفلسطيني ، واعترافاً بمفهوم الإخلاص والعرفان ، وردّ الفضل لأهل الفضل ، نقف إجلالاً لذكرى بطل من أبطال القضية طال ذكرَهُ التشويشُ ، واعترى سيرتَهُ الجريئة نقدُ الحاسدِ ربما .. أو لغط المغتاظ .. لعلّه ! ! وقد يكون سوء فهم لإدارة الرجل لخبايا القضية ، وعذرُ رجلٍ في موضعهِ ، أنّ العيون والآمالَ لشعبٍ تشرد تعلقت به وبمفتاح المعجزات الذي كان يمتلكه ، والذي رأى شعبه المتعلق بقشّةٍ في بحرِ التشرّد واللجوء أنه رهن إصبعيه .

وما كان الشقيري ليخذل ثقة الواثقين وحسن ظن الظانين به خيراً وخلاصاً ، وآمال المؤمّلين « لصلاح الرأي » في زمن فساد الحكمة والمشورة ، فهو من أصلابهم كان ومن عزيمة الرجال .. الرجال .. لهذا كان الشقيري صارم القرار ، ربما ليتحمّل وحده عبءَ ما سوف تؤول إليه الأمور ، وقد آلت إلى ما ظن !! ، وما يتحقق الآن من نبوءات تنبأ بها تقرصنا في ضمائرنا ، فتلدغُنا حكمة لم نحتكم إليها فضلّت !! يقضّ مضاجع آثرنا دعتها على تحمّل الهمّ الثقيل ، واستكثاره حتى على من حمله ، لو أمهلنا الرجل ليترجم ما استبصر الفؤاد ما رأى ، وليحقق على أرض الواقع ما عصف به حماسُه وفكرُه ، وعمق رؤاه !! لو وثقنا بأحمد أكثر قليلاً .. قليلاً زيادة ، ولكن النبيّ في قومهِ غريب .

يا أحمد رحمكَ الله إذ لم نفعل ! وأثابكَ بما حاولتَ وبما حذّرتَ وبما أردتَ إذ لم نتمهّل ، وحُوسبت إذ آثرت وحدكَ حمل الهمّ على كاهلٍ لا ينوء . أرادوا أن يقصوكَ (لكنّك أقصيتَ نفسك) ، حينَ أومأت بجمعِ العصي ففرّقوها ، ليُكسَروا سريعاً .. سريعاً كأن لم تكن ، ويُساموا ويساوموا ويفاوضوا حتى على لاءاتكَ البيّنات . لا التضحيات أجدَت يا أحمد الحقّ .. ! ، وليس لأنانية آثرتَ نفسك ، ولكنه الاستئثار بالتضحيات والمخاطرات والنضال . أحمد الذي لم نعرف ولم نفهم ، كم ظلمناهُ وبخسنا نواياه ، وأسأنا - بقصدٍ أو دون قصد - صرامة وجبَت .. وشدّة لزمت ، هدفاً لم يملك إلا محاولة تحقيقه ؟

ابن عكا أحمد .. وأمّه الأولى فلسطين ، وشيخ قضيتها المستعصية . تأمّل الأحداث صغيراً ، وخاض صولاتها وجولاتها شاباً وشيخاً وكهلاً ، وشارك في صنعها وتوجيه النضال لعيون أمّهِ المباركة أبداً فلسطين ، منغمساً في عمله السياسي لأجلها منذ عشرينات القرن الماضي .

ظل الهدف فلسطين والمطمح وحدة عربية ، إيماناً ومحركاً وغاية لمناضل بلا حدود ، فحدود روح الشقيري كفلسطينيته لا حدود لها ، قوميتُه أبعد من مجرد حدود جغرافية تحُدّ مسقط رأسهِ ورفيفَ أحلامه .

(*) كاتبة أردنية - محررة مساعدة في هذا الكتاب .

(**) هارون هاشم رشيد .

ناضل طويلاً وعنيداً ، وقد دفع ضريبة نضاله ، فهو أحد المعتقلين منذ بدايات الشباب إبان الإضراب الشهير سنة ١٩٣٦ ، واعتقل للمرّةِ الثانية في خريف سنة ١٩٣٧ حين تعمّدت السلطات البريطانية سجنَهُ مع السجناء العاديين ، ولم ينتسب لأيّ حزب ، فقد كان الوطن كله حزبه ، فاستمرّ مناضلاً مستقلاً ، ولعله كان حزباً وحده .

أما الشقيري الرجل الإنسان المثقف ، فلا يُختلفُ في خطابته وبلاغته ، قد كان خطيباً لا يشقّ له غبار ، بارع اللسان قوي الحجة سامي البلاغة والبيان ، عرفته المنابرُ والمنصّات ، حتى أن خطبه ومذكراته وكتبه تشكّل سجلاً للحركة الوطنية الفلسطينية ، وأدرك العدو خطر لسانه وبيانه في تأجيج غضب الشعب وإثارة الحماسة لنضال مشروع وحق فتربص به . آمن بالمزاوجة بين النضال السياسي والمسلّح ، فكان إنشاء جيش التحرير الفلسطيني ، متزامناً مع رفع راية الجهاد الأولى بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عنواناً للشعب الفلسطيني ، في المطالبة بأرضه وحقه ، وواجب الشعب لتحرير وطنه وأرضه المباركة ، برؤية واضحة ونهج علمي اتبعه في بناء المنظمة بصيغة متكاملة .

ومتابعة الشقيري واهتمامه المتواصل والمحيط بكل شؤون المنظمة خلال رئاسته لها ، يدلّل على تفاني الرجل ، ففلسطين كما كل قضية عربية إسلامية همهُ وشغلهُ ، وطموحُ الرجل كبير النفس عظيم الهمة ، وكانت فلسطين القضية ، قضية الكرامة العربية وكبرياء الأمة ، ففلسطين ليست قضية مناصب يرومها لغايتها ، ولا عروش يخطط لاعتلائها ، بل ولعل تكاتُف خصومه عليه كان لحرصه الشديد على المتابعة والبتّ في الصغيرة والكبيرة بنفسه ، ما دفعهم إلى اتهامه بأنه « استقلالي » ، وأحياناً « فرديّ النزعة » ، وهذا هو شأن الرجال ذوي النفوس الكبار ، فدقة الأحداث وحساسيتها ، والوقت ضيق وحرج ، والأرض تضيع ، والعدو يكبر وينمو سرطانه بين ظهرانينا ، لم يكن ليسمح بالتأجيل طويلاً والتعطيل كثيراً ، والمماطلة والتسويف ، أو الجلوس إلى طاولة النقاش طويلاً ، فيما البنادق في صدور الأطفال والصبايا . وهو إن أوصى فقد أوصى أصدقاءه ومريديه بالقضية والإخلاص للقضية ، وحراسة العرض - القضية - وهو الذي يتهم ذاته بعد كل ذلك الكفاح بالتقصير والتفريط ، فيوصي بدفنه بجوار أبي عبيدة عامر بن الجراح قائلاً : « نجاورهم لكي يغفروا لنا أننا قد أضعنا ما سبق لهم أن حرّروه بأيديهم ودمائهم من أرض وأوطان » .

ولعل من صفاته النادرة ، التي شهد بها العارفون لشخصه وشخصيته وأخلاقه ، التي يجب أن يُزكّى بها الرجل ، تنزيهاً وإنصافاً ، لا طمعاً ولا شرهاً ، هو حرصه على المال العام كصفة تمكنها من النفس مقارنة مع سواه . وإلى جانب « الكاريزما » القيادية التي تمتع بها ، كان متعدّد القدرات والطاقات والكفاءات ، فهو البارع في اللغتين : العربية والإنجليزية ، وهو المطلّ بعمق على علوم الديانتين الإسلامية والمسيحية ، وهو القارئ للتاريخ المتعمق في خوابيه ، وهو المحامي والدبلوماسي إلا حين تصطدم الدبلوماسية مع معتقداته .

والشقيري السياسي كان باحثاً في أي موضوع له مساس بالقضية أو شؤون الأمة العربية كافة ، وكانت الوحدة العربية شغله الشاغل ورفيقة أي حلّ يرتئيه للقضية الفلسطينية ، وبعد تنحّيه عن رئاسة المنظمة ، تفرغ فكتب تجربته ونشر خطبه ، ودرس تاريخ أمته وقدّمه في قراءة معاصرة ، وكانت الوحدة العربية دائماً أهم همومه وأكبر هواجسه كطريق للتحرير واستعادة الأرض والكرامة في تلازم مع الكفاح المسلح ، لقد كتب التاريخ لمن يقرأ ، وأيام الشقيري كلها تاريخ .

وبعد ..

لقد كان قاسياً .. نعم .. قسوة الأب على أولاده ، ناقداً .. أجل .. نقد الحريص على الكمال ، ولهذا اختلف وما أظنه اختلف إلا مع من قد أخطأ أو تجاوز ليقوّمه ، فقد كان ينظر إلى الأحداث بمنظار يختلف في تقديراته عن غيره ، وبخاصة الملوك والرؤساء العرب ، وقد صدقت معظم تنبؤاته وتحذيراته واستنتاجاته ، ولعل المشككين يعودون إلى سيرة الرجل تدقيقاً وإلى مواقفهم مراجعةً وتصحيحاً .

للهِ درّه أحمد الشقيري ، استشرفَ الزمان فدوّن وقائع من التاريخ ثم دوّنه ... قبل أن يحدث !! .. وقد صدق .

الشقيري كما قرأته

هيثم حسّان(*)

الكتابة عن الزعيم العربي الفلسطيني الكبير الأستاذ أحمد الشقيري كتابة مستعصية مهما بدت طيّعة ، والقراءة فيه وعنه قاصرة مهما بلغت أهليتنا في القراءة ، والإفادة في ما له وما عليه شهادة مجروحة في ميزان الجرح والتعديل ، لأننا نشهد بما قرأنا وسمعنا وليس ذلك كمن رأى ..

وما الكتابة هنا إلا في سبيل البحث عن المعرفة لا المعرفة ، وما القراءة إلا في سبيل الاستكشاف وإعادة التأمل مرة وأخرى ، أما الإفادة فما هي إلا إسهام متواضع وجهد مُقِلّ لإنصاف رجل القانون والمؤرخ الذي حاق به ظلم تاريخي كبير حين جرى تغييبه ، وزجّه في ذاكرة النسيان ، كالكثيرين غيره ، واعتبارهم من المنسيين في بلاد وجغرافيا أنظمتها مصابة بالغيبوبة الدائمة والموت السريري الأبدي ، وذاكرة شعوبها مصابة بفقدان الذاكرة القسري ، لكن الأكثر مضاضة من كل ذلك هو عقوق عدد كبير من المؤرخين والمقربين والعارفين فضل هذا الزعيم الكبير ، الذين أسقطوه ، سهواً أو عمداً ، وكلا الحالين أسهم في تغييبه ، فالأول لا يبرأ من إهماله ، والثاني مُدان بإنكاره ، رغم أنه أحد أبرز صنّاع التاريخ والمؤرخين والموثقين له ، وقد كفى المؤرخين مشقة البحث والتقصي ووفر عليهم جهداً كبيراً ، بأن دوّن بقلمه ووثق بنفسه آلاف الصفحات عن القضية الفلسطينية والقضايا العربية ، وعن أفكاره وآرائه ومواقفه وسيرته ، على ما تتميز به صفحاته تلك من موضوعية ودقة علمية .

والشقيري في مؤلفاته التي أثرى بها المكتبة العربية والفلسطينية قدم لنا التاريخ برواية أخرى ، بالرواية الغائبة بل المغيبة ، بعيداً عن تزييف الوعي وتحريف الكلم وتصحيف الروايات ، التي تنكر الهزائم وتتحدث عن انتصارات المهزومين المزعومة والمحاربين الذين لم يحاربوا ، وهزموا دون معارك .. وكانت رواياته التاريخية ومؤلفاته المتعددة من أهم أسفار التاريخ العربي والفلسطيني .

ومع ذلك تبقى الإحاطة غير مكتملة بمكانة هذا الرجل ودوره التاريخي ، والإلمام متعذر لكل ما قدم وما أسدى لأمته العربية ولقضيته الفلسطينية ، ناهيك عن رؤية مستقبلية استشرافية ثاقبة ، أمدّنا بها ، تشكّل جلّ حاضرنا ومستقبلنا رغم مرور ربع قرن على رحيل هذا الزعيم الكبير .

وأن يتذكر البعض من المخلصين القلّة ، ذكرى رحيل هذا الزعيم بعد أفول القرن الذي مضى فيه وحلول القرن الذي نحن فيه ، وبعد مرور خمسة وعشرين عاماً على رحيله ، ويدعو إلى إحيائها وانبعاثها من جديد ، لأهميتها ورمزيتها ، في زمن عربي حالك في سواده ، وجغرافيا عربية تتقلص باستمرار ، وعواصم لا يعصمها من مدّ الاحتلال أي جزر ، هي مبادرة تستحق كل الشكر والثناء خاصة من جيلنا الذي لم يجايل أو يعرف هذا الزعيم في حياته ، ولم يقرأ له أو عنه بعد رحيله .

وعلى مسافة ربع قرن من التاريخ ، وقد جرى في النهر ماء كثير ، لا أدري إن كنا نحن من يقوم بإعادة اكتشاف الشقيري من جديد ، أم هو من يقوم بمهمة الاكتشاف هذه ، في محاولة مقارنة ومقاربة لما نحن عليه من تردٍّ وهبوط في منحنى التاريخ العربي والفلسطيني ، وما كنا عليه قبل عقود من منعة وصمود ، وفي لحظة تاريخية نُساق فيها إلى تسوية القضية بالإكراه وبـ « مذكرات الجلب » . ونلج في تيه السلام والمفاوضات باتفاقياتها المتسلسلة من أوسلو وأخواتها إلى ما لا نهاية .. حتى بقيت مدخلات السلام ونتائجه بعيدة عن مخرجات الصراع وأسبابه ، ولم تعالج أياً من القضايا الجوهرية للصراع / السلام ، وبقيت تلك القضايا ترحل حتى أبعدت ونُفيت من أجندة المفاوضات ، ومع ذلك رضينا بما تسنى لنا من وطن وما تبقى لنا من أرض تشبه أرخبيل الجزر ، في حين لم تعد القدس إلى الوطن ولا اتسع الوطن للقدس ، وبقي اللاجئون في منافيهم البعيدة والقريبة بلا عودة ، رغم أن حقائبهم لا تزال على حال تأهبها منذ شردوا عنوة من الوطن .

وتتزامن ذكرى مرور ربع قرن على رحيل المرحوم الشقيري هذا العام مع مرور سبعة وخمسين خريفاً على اغتصاب فلسطين ، وواحد وأربعين عاماً على تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، الوطن المعنوي للفلسطينيين ، التي ناضل الشقيري وجاهد من أجل تأسيسها ، ليخرج القضية الفلسطينية من رمادها ويضعها في مكانها تحت الشمس ، ويخرج الشعب الفلسطيني من مخيمات الشتات واللجوء والمنافي ليصبح شعباً من المقاتلين والفدائيين ، ولعل من الوفاء للقضية الفلسطينية ولهذا الزعيم الراحل ، أن تجري إعادة الاعتبار إلى منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها أكثر حصانة من السلطة الفلسطينية ، وأكبر

(*) كاتب وصحفي ، باحث في دائرة المطبوعات الأردنية ، مسؤول قسم التوثيق في الموسوعة الفلسطينية الميسرة سابقاً .

من حدود الوطن « المفترض » ، وأطول أمداً من الدولة « القابلة للحياة » ، وذلك لأنها تجمع جلّ شرائح الشعب الفلسطيني وألوانه وأطيافه في قوس قزح ، ويُجمع عليها الفلسطينيون كافة سواء في الأراضي المحتلة أو في الشتات .

كان الشقيري رحمه الله رمزاً بكل ما تعنيه الرمزية من معنى ، سواء في حضوره أو في غيابه ، وعندما تقرأ ما كتبه الشقيري تشعر بكثير من الاعتداد والكبرياء والعنفوان في زمن نحن أحوج ما نكون فيه إلى الرمز في لحظة الفراغ السديم ، والتيه الذي نعيش ، ولعلي أزعم أن ابن عكا كان يشبه مدينته كثيراً في شموخها وكبريائها وعنفوانها وتصديها لأمواج البحر وصمودها أمام هجمات الغزاة والمعتدين ، كذلك إن من يقرأ للشقيري يجد أن إيمان هذا الرجل بأمته كان عميقاً إلى درجة اليقين ، فلا يرقى إليه شك ولا يبلغ إليه ظن ، وأن إيمانه بالنصر كان حتمياً لا ريب فيه ، ولعل أكثر ما نحتاج إليه في زمننا هذا هو ترميم الثقة بالذات ، وبإيماننا بقدراتنا الخلاّقة على الفعل وعدم الاكتفاء بالانفعال ، وأن نحدق في الشمس بعيون واثقة ، وأن نضع يدنا في موقد الجمر حتى لو احترقت أطراف الأصابع .

ولئن كان يؤخذ على الشقيري اعتداده الكبير بذاته ، وإن بدا هذا لافتاً ، فقد كان هذا مبرراً لرجل يمثّل قضية شعب فلسطين ، بل وأمة عربية ، تعرضت هويتها للتهميش بل والتهشيم والتذويب والإبادة من قبل الاحتلال ، وإن كان الرجل معتداً بذاته فلا يعني أنه كان مستبداً برأيه ، وبرهان ذلك عندما أذعن لصوت الديمقراطية ورغبة زملائه في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وتنحى بكل اقتدار في أوج عطائه ، وعندما انتهت مسؤوليته بدأت مواطنيته التي لم يتخلّ عنها يوماً .

رحل الزعيم الكبير أحمد الشقيري عن عالمنا هذا منذ ربع قرن ، ورغم غروب شمس هذا الرجل فإنه - وبفضل المخلصين القلّة - يزداد حضوراً وتجلّياً ، وتزداد الحاجة إلحاحاً إلى قراءة ما ترك ودوّن من مؤلفات ومراجع عاماً بعد عام .

ولئن كان في حياته جسداً وروحاً ، فأما الجسد فقد طواه الردى ، وأما الروح فهي الوقود الذي تُسرج منه المقاومة والانتفاضة ، ولئن أطفئت بغيابه شمعة في القلب فقد أوقدت ذكراه شعلة في العقل .

رحم الله الزعيم الكبير أحمد الشقيري وأسكنه فسيح جنانه .

والبقاء لفلسطين وللأمة العربية .

متفرقات :

- فضائية الجزيرة الوثائقية
- المؤتمر العام الخامس للأحزاب العربية
- افتتاح شارع أحمد الشقيري في عدن

الشقيري من جذور فلسطين ٢٠٠٩

درع النضال العربي للشقيري ٢٠٠٩

الشقيري من جذور فلسطين ٢٠٠٩
فضائية الجزيرة الوثائقية

في أوائل سنة ٢٠٠٩ قامت فضائية الجزيرة الوثائقية بإعداد برنامج وثائقي غني عن أحمد الشقيري تحت عنوان « من جذور فلسطين » مدته نحو ساعة ، من إخراج محمد بلحاج ، بثته على الجزيرة الوثائقية ومن بعدها على القناة الرئيسة ، تناول طفولته ونشأته وحياته على نحو شبه درامي ، ثم تنقل إلى مراحل حياته السياسية من خلال شهادات خمسة عشر مفكراً وسياسياً جلّهم فلسطينيون ، قلّة منهم من جيل الشقيري وجلّهم من جيل النكبة .

وقيمة هذا البرنامج أنه وضع الشقيري في مكانه الصحيح بين أبرز أعلام الأمة من جهة ، وعرّف به شخصاً وموقعاً وموقفاً لأجيال غُيّب عنها الشقيري من جهة ثانية ، ومن المهم أنه جاء في توقيت سياسي يتيح للمشاهد أن يقارن بين دَور هذه الزعامة التاريخية في الحفاظ على ثوابت القضية ، وأدوار أخرى تنازلت ، ولمّا تزل ، لا عن ثوابت القضية وحسب بل وتندرج ضمن أوهام تسويات قد تودي بالقضية نفسها .

وقد شارك في تقديم الشهادات في البرنامج كل من (التسلسل هجائي) :

أحمد السعدي
أسامة النقيب
د . أسعد عبدالرحمن
د . أنيس صايغ
بهجت أبوغربية
د . حازم نسيبة
خيري الدين أبوالجبين
د . خيرية قاسمية
صلاح صلاح
عبدالعزيز السيد
عبدالقادر ياسين
عبدالمحسن قطان
ماهر الطاهر
د . محمد علي الفرا
هارون هاشم رشيد

درع النضال العربي للشقيري ٢٠٠٩
المؤتمر العام الخامس للأحزاب العربية

في تشرين الثاني / نوفمبر سنة ٢٠٠٩ عقد المؤتمر العام الخامس للأحزاب العربية دورته الخامسة في دمشق تحت شعار : (القرار العربي المستقل) أي القرار القومي المستقل ، ويبدو أن المؤتمر قد أعرب بذلك عن مواجهة القرار القطري المستقل .

وقد أطلق المؤتمر لأول مرة في تاريخه منذ تأسيسه حتى سنة ١٩٩٦ درعاً حمل اسم « درع النضال العربي » ، عدّه المؤتمر أهم دروعه ، وذكر بأنه يمنح لشخصية عربية أسهمت إسهاماً مميزاً في النضال العربي من أجل تحقيق أهداف الأمة ، والتزمت بثوابتها الكبرى ، وقد قررت أن يكون أول من يمنح الدرع هو أحمد الشقيري .

ودعت إلى تسلمه كلاً من خيري الدين أبو الجبين رئيس لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري والمهندس إياد الشقيري .

وسلّم الدرع إلى أبو الجبين من قبل كل من : رئيس المؤتمر صفوان قدسي والأمين العام للمؤتمر عبدالعزيز السيد ، وعدد من أعضاء الأمانة العامة للمؤتمر في الجلسة الختامية للمؤتمر التي حضرها نحو أربعمئة شخصية ، يمثّلون أكثر من مئة وعشرة أحزاب من مختلف الأقطار العربية .

وقد تحدث في الحفل الأمين العام للمؤتمر عبدالعزيز السيد ، فنوّه بجهود الشقيري ونضالاته في سبيل قضية فلسطين وسائر قضايا استقلال الأمة في الخمسينيات وأوائل الستينيات وفي مقدمها الجزائر ، وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وبالذخيرة الفكرية والسياسية التي خلفها ، والتي أغنت المكتبة العربية بما زخرت به من فكرٍ وحصادِ تجربة .

كما شكر خيرى الدين أبو الجبين للمؤتمر هذا التكريم الشعبي الذي ستقرُّ به عين الشقيري في ضريحه هو والصحابة الذين يجاورهم ، لأنه كان زاهداً في التكريم الرسمي إلى حد أنه كان منحازاً دائماً إلى الجماهير ، مؤمناً بدورها وصدق مشاعرها ، وعليها يُعول في معارك الأمة في سبيل نيل حريتها ووحدتها .

افتتاح شارع أحمد الشقيري في عدن *

افتتح أحمد الكحلاني - محافظ عدن - ويحيى محمد عبدالله صالح - رئيس جمعية كنعان الفلسطينية - صباح اليوم - شارع الشهيد أحمد الشقيري بمدينة المنصورة بعدن .

ويمتد شارع الشهيد الشقيري بطول (١) كيلو متر من جولة مصنع الغزل والنسيج ، وحتى جولة كالتكس . وجاءت تسمية هذا الشارع بناء على توجيهات الرئيس علي عبدالله صالح ، استجابة لطلب عبدالعزيز السيد الأمين العام للمؤتمر العام للأحزاب العربية من الرئيس ، وذلك خلال كلمته في المؤتمر العام لمؤتمر حزب المؤتمر الشعبي العام في اليمن . تقديراً وعرفاناً للأدوار النضالية البارزة التي لعبها الشهيد الشقيري في خدمة قضية الشعب العربي الفلسطيني كمناضل ، وكأول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية من عام ١٩٦٤م وحتى عام ١٩٦٧م .

(*) جريدة ١٤ أكتوبر ، صنعاء ، ٢٠٠٦/٣/٢ .

ختام .. لكنه ليس الختام

بعد هذه الرحلة الطويلة الغنية مع الشقيري نصل إلى « ختام الرحلة » الذي لم نجد أفضل منه سوى هذا الفصل : **الفرية الكبرى ... إلقاء اليهود في البحر** والتي أحسب أنها تقدم أدق تعبير عن الرؤية الصهيونية للشقيري ولكبار العاملين المخلصين الصادقين الجادين لفلسطين ، إن هذه التهمة الفرية هي أعتى ما في جعبتهم الحاقدة ، إذ هي تضع من يلبسونها له في مقام معاداة السامية ، التي هي بالمقابل السيف الذي أشهروه وما زالوا بحق كل من وقف مع عدالة القضية الفلسطينية في وجه الجريمة الاستعمارية الصهيونية في فلسطين احتلالاً وإجلاء وإحلالاً وقتلاً وتشريداً .

فصل الختام هذا هو لهذا الكتاب ... لكنه ليس فصل الختام بالنسبة لمسيرة الشقيري ودوره النضالي العربي الفلسطيني ، سيظل الشقيري حتى بعد تحرير فلسطين ، كل فلسطين ، يفرض نفسه في مراحل المدّ النضالي كما في مراحل الجزر النضالي على شعبه وأمته وإذ أقول (المدّ والجزر) هنا فلأن هذا هو طابع النضال الوطني الفلسطيني ونضال الأمة في سبيلها منذ عام ١٩١٧ حتى اليوم ، وهو ما سيستمر حتى التحرير ، تماماً كما شهد تاريخ فلسطين على امتداد التاريخ ... وحتى ذلك الحين ستكون مسيرة الشقيري ورؤاه ومواقفه حافزاً لكتابة فصول التاريخ العربي الفلسطيني ، التي سيكون فصل التحرير هو فصل الختام ...

الفرية الكبرى ... إلقاء اليهود في البحر

كان العدو الصهيوني أكثر من عرف أحمد الشقيري منذ بدايات نشاطه الوطني سنة ١٩٢٨ ، وعلى امتداد العقود التالية بعدها ، على الصُّعُد المختلفة فقد عرفه : -

١ - خطيباً مؤثّراً في الجماهير لا يقول جزافاً ، بل يحدد موقفاً ، ويطرح رؤية .

٢ - وعرفه قانونياً دولياً بارعاً يوم كان رجال القانون الدولي في الوطن العربي ، ناهيك في فلسطين ، قلّة قليلة لا تكاد تتجاوز الندرة فيما هو في عنفوان الشباب ، وظل يكبر فكراً وعلماً . وما من مؤتمر يتعلق بفلسطين منذ ذلك الحين إلا وله فيه إصبع وبصمة .

٣ - وعرفه العدو صحافياً له قراؤه الذين يرون في مقالاته توجيهاً يكاد يصل إلى ما يسمى « مهمة واجب » ، وإذ الخطابة والصحافة آنذاك هما أداتا الاتصال والإعلام في حينه ، فهما في النضال الوطني جبهة وميدان .

وحينما يكتب الشقيري في إحدى مقالاته البواكير عنوان :

« أيها الشاب أطرد أباك وتقدم » فإن العدو يدرك أي تحريض ثوري يقوم به هنا لهذا الشاب ، وأية نقلة نضالية ثورية يدعو لها .

٤ - والعدو يعرفه في المحافل الدولية ، لا سيما الأمم المتحدة ، محامياً ومرافعاً ذرب اللسان قوي الحجة يفحم أعداءه وخصومه من ناحية ، ويستقطب لقضيته الأنصار من الناحية الأخرى .

٥ - والعدو يدرك بأم العين بعد نكبة ١٩٤٨ أن حال النخبة من قيادات العمل الوطني الفلسطيني قد هزتها النكبة وحطمتها نفسياً وروحياً حتى ماتت أو ذوت قهراً ، أو سكنها الإحباط فظلت تتجرع الحسرات ، وتغرق في الملامات أو الندامات ، تنتظر أمل التحرير ، بالعجز حيناً وبالنصح في غالب الأحيان ، ولكن الشقيري استل سيف الأمل من غمده وانطلق للعمل ، وكان يؤمن أن مسيرة التحرير بعد النكبة هي هي كما كانت قبل النكبة : الكفاح بالسلاح والوحدة العربية ، فانطلق بكل تمرد روحه ، وثبات عزيمته يعمل على ذلك وفي سبيله في طول البلاد ، بل ووراء المحيط ، حتى كلل ذلك بقيام منظمة التحرير الفلسطينية وميثاقها الذي أُحكم أيّما إحكام .

٦ - وإلى كل ذلك وسواه فالعدو يعرف الشقيري رجلاً لا تلين له قناة مهما تكالب عليه المتكالبون وحاولوا ثنيه عن موقف مبدئي أو رؤية استراتيجية .

لكل هذا كان أحمد الشقيري عدواً فلسطينياً مقلقاً جداً للصهاينة ، وتفاقم هذا القلق إلى حدّ الخطر حين صار للفلسطينيين كيان ، نهض الشقيري على رأسه .

وبمتابعة إعلام العدو الصهيوني والإعلام الموالي للاستعمار في تلك الأيام والأعوام نجد أن أحمد الشقيري كان عنواناً ثابتاً في الإذاعة (صوت « إسرائيل ») ببرامجها العبرية والعربية وإذاعة جيش العدو ، فضلاً عن صحافته ،

إضافة إلى الإعلام الغربي المعادي ، وكانوا يجهدون دائماً لتشويه صورته ، وهو كان يرهقهم من أمره عسراً ، فلا ينفك عن خوض المعركة الإعلامية - وهم بالكاد يستطيعون ملاحقته - وكان لا يترك لهم مأخذاً ينال منه على نحو مقنع للسامع أو القارئ .

هذه الخلفية لازمة قبل أن ندلف إلى أخطر سهم إعلامي وجّهه الصهاينة للشقيري ومن خلال شخصه للقضية والعرب بعامة وهو زعمهم أنه في مؤتمر صحفي عقده قبيل أن يشنوا عدوانهم سنة ١٩٦٧ ، طالب بإلقاء اليهود في البحر ، وبسرعة فائقة طورها وروجها المسؤولون الصهاينة (الصهيوني الغربي) بنسبتها إلى : عبد الناصر يريد إلقاء اليهود في البحر ، ثم رسخوها فصارت : العرب يريدون إلقاء اليهود في البحر . وللأسف فإن بعض العرب ، جهالة أو تواطؤاً ، قد شاركوا في الحملة ، لكن في كل الأحوال فقد ظلّ المصدر الأساس والقلعة التي لم تتوقف النصال عن التوجه إليها هي الشقيري ، وفي معركة من الوفاق الهش بين العرب المتخاصمين قبل العدوان واستخدام الشقيري والإعلام المصري ممثلاً بالإذاعة التعبوية الناصرية الأهم (صوت العرب ومديرها أحمد سعيد) كبش فداء؛ فأطلّت الفرية برأسها مرة أخرى .

ومن المؤسف أن حقيقة هذه الفرية لم تجد من يجلوها باستثناء إشارات محدودة شفوياً أومبثوثة عَرَضاً في مقالات هنا وهناك ، على نحو لم يبدّد الكم الهائل من الترويج لها في حينه ، بل إن بعض من يحسبون أنهم ينصفون الشقيري يطرحونها مشفوعة بتبرير أنه وهو المشهور بحماسته قد زلّ لسانه فأطلقها ، وتلقفها الصهاينة ، ما يجعل من واجب كل مخلص لتصويب ما اعترى تاريخنا الفلسطيني المعاصر أن يسعى لإماطة لثام التزوير أو التضليل الذي أساء وسيظل يسيء إلينا كشعب وأمة من خلال إساءته لصناع هذا التاريخ ما لم يقم جيل من الباحثين بهذا الدور .

إن حقيقة هذه الواقعة كما تلمّسناها لدى بعض المصادر الموثوقة هي على النحو الآتي :

الشقيري نفسه كان أكثر المعنيين بهذه الفرية ، فقد تتبع جذور نشأتها منذ سنة ١٩٣٠ ، منذ لحقت بالحاج أمين الحسيني وحتى عبد الناصر والأتاسي والعرب أجمعين ، وفصّل القصة تفصيلاً وافياً موثّقاً في كتابه " الهزيمة الكبرى ج٢ " ، ومع أهمية ما أورده الشقيري فقد آثرنا عدم إدراجه في هذا السياق كونه " دفاع المتهم " لكننا ضمّنّاه ملاحق الكتاب ، وآثرنا هنا أن نورد روايات شهود ثقاة .

١) الدكتور حازم نسيبة في كتابه " نحن والعالم ، ص ص١٠٧ - ١١٠ " يقول تحت عنوان : قصة إلقاء اليهود بالبحر : لعلّني واحد من ثلاثة أتاحت لي الظروف - بمحض الصدفة والموقع ولا شيء غيرهما - مشاهدة ولادة هذه الأكذوبة الكبرى في مهدها ، واستندت إليها " إسرائيل " في إقناع العالم بأن شعب فلسطين والأمة العربية قد وضعوا خطة محكمة لإلقاء يهود فلسطين (المساكين) في البحر ، ولم يمض على معاناتهم من النازية سنة أو سنتان . وكان طبيعياً لعالم جاهل أو متواطئ أن يتعاطف مع " الحَمَل الصهيوني الوديع " ، وأن يهتف لإنزال أكبر نكبة ضد شعب فلسطين باقتلاعه من وطنه ، ومصادرة وطنه وممتلكاته وتشريده تحت كل سماء .

الأكذوبة الكبرى كما قلت اختُلقت أمامي ، وأخذت طريقها إلى وسائل الإعلام العالمي من ساحة الحناطير في مدينة حيفا في أواخر ١٩٤٦ .

وقد شُكلت لجنة أنجلو - أميركية في عام ١٩٤٦ جاءت إلى فلسطين والدول العربية المجاورة لدراسة الوضع وتقديم توصيات إلى الحكومتين . ولقد استمعت اللجنة إلى شهادات مطوَّلة من زعماء وهيئات كل من العرب واليهود ، وكانت تعقد اجتماعاتها يومياً في إحدى قاعات جمعية الشبان المسيحية الشاهقة المقابلة لفندق الملك داوود في القدس . وأود أن أشيد هنا بالتقرير الشامل الذي أعده المكتب العربي في كل ناحية من نواحي القضية ، بحيث لم يترك شاردة أو واردة إلا أحاط بها ، وكان أسلوبه مثلاً رائعاً للبحث العلمي المنظم الذي اشترك فيه نخبة مختارة من رجالات الفكر والعلم في فلسطين ، والذي تساوى في مستواه وربما فاق ما أعدته الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية العالمية ومن يؤازرها . وكان الأستاذ ألبرت حوراني الأستاذ والبحّاثة اللامع في جامعة أكسفورد ، المنسق المحلي في إعداد التقرير . إذن فلم يترك لأحد الزعم بأن العرب كعادتهم لم يحسنوا عرض قضيتهم على أعلى مستويات الإعداد والتقديم ؛ لكن من يود أن يستمع ويحكم بوحي من نقاء الضمير ومتطلبات العدالة ؟

غير أن المسألة لم تكن - كما تبين فيما بعد - مسألة استقصاء حقائق ودفع الحجج بالحجج والرقم بالرقم ، وإنما أرسلت تلك اللجنة لتكون ستاراً لقرار مسبَّق كان قد اتخذه الرئيس الأميركي سيء الذكر (ترومان) لإرسال مئة ألف مهاجر أوروبي يهودي إلى فلسطين ، في الوقت الذي كان عرب فلسطين ينتظرون من بريطانيا الوفاء بالتزامها بمنح فلسطين استقلالها بعد الحرب بموجب الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ مع وقف الهجرة وانتقال الأرض . وهكذا وقعت توصيات اللجنة الإنجليزية - الأميركية المشار إليها وَقع الصاعقة على أهل فلسطين ، وأحبطت آمالهم في الحرية والاستقلال

ووقف المد الصهيوني .

اجتمع مؤتمر حيفا في قاعة مبنى في سوق الحناطير ، وكان مهرجاناً وطنياً وحضره آلاف المواطنين ، كما حضره ممثلو وكالات الأنباء العالمية والصحافة ، وكان في القدس آنذاك أكبر تجمع صحفي عالمي بعد الحرب العالمية الثانية . كان هذا التجمع الجماهيري إطاراً يضم أعضاء الهيئة العربية العليا والفعاليات السياسية من جهة (وكانوا متجمعين في غرفة صغيرة في المبنى للتداول الهادئ حول جدوى أو عدم جدوى التعاون مع هذه اللجنة الدولية) . أما القاعة الرئيسية فكانت مليئة بالجماهير الغفيرة في انتظار ما ستسفر عنه مداولات أعضاء الهيئة العربية العليا في الغرفة المجاورة . وكان لا بد من إشغال هذا الجمهور الغفير والمتوقد حماساً بخطب بليغة وتلاوات وطنية شعرية لملء الوقت ، وكتهيئة نفسية لما سيصدر من قرار سياسي حول لجنة الأمم المتحدة . وكان الخطباء والشعراء يعتلون المنبر ويتعاقبون على الخطابة والشعر في جو مفعم بالحماس . ثم اعتلى المنبر المرحوم الشيخ صبري عابدين ، وكان خطيباً مفوهاً ، وارتجل خطبة حماسية وصلت به إلى القول : « إذا كان هدف اليهود اغتصاب فلسطين فوالله سنلقي بهم إلى البحر ! » . وكان البحر من مكان الاجتماع على بعد بضع مئات الأمتار . وفي ذلك الجو الخطابي الملتهب ضجت القاعة بالتصفيق ، وأطلقت العيارات النارية في الهواء كما هي العادة في مثل هذه المناسبات .

كان يجلس بجانبي صحفي أميركي كنت أعرفه معرفة جيدة ، ولا أذكر إذا كان يمثل وكالة الأسوشيتدبرس أم اليونايتدبرس ، وكان يجلس خلفه صحفي عربي ناشئ يترجم له ما يقال . كانت المنافسة بالغة الحدة بين هذا الجمع الكبير من الصحفيين ، وكان كل واحد منهم يعمل كل ما يستطيع للانفراد بسبق صحفي يعزز مكانته لدى مؤسسته أو صحيفته . وعندما سمع هذا المراسل الحماس العارم والتصفيق الذي يصمّ الآذان استحساناً لما قاله الشيخ صبري عابدين ، التفت إلى مساعده وقال له بلهفة : ماذا قال الخطيب ؟! ماذا قال الخطيب ! وأجابه مساعده أنه قال إذا كان اليهود يستهدفون اغتصاب فلسطين فسنلقيهم في البحر .

عندها قال الصحفي الأميركي اسمحوا لي ، وغادر قاعة الاجتماع دون انتظار ما قد تسفر عنه مناقشات الهيئة العربية العليا . لقد اندفع كالصاروخ إلى دائرة بريد حيفا الواقعة في شارع الملوك ، وأرسل برقية نشرت في مانشيتات عريضة على صفحات كبريات الصحف الأميركية والأوروبية أيضاً . كان العنوان العريض لها هو : « عشرة آلاف عربي مجتمعون في حيفا يقررون إلقاء اليهود في البحر » . ولصقت هذه الصورة المفتراة والمزورة في عقول ونفوس العالم الغربي حتى يومنا هذا ... أرسلت تلك الفقرة وكأنها قرار رسمي يصدره عشرة آلاف مسؤول عربي بإلقاء اليهود في البحر . ألم يكن من الواجب الانتظار ريثما يصدر قرار الهيئة السياسية صاحبة القرار ؟

٢) أنور الخطيب محافظ القدس سنة ١٩٦٧ ، وهو من لا يمكن اعتباره ممالئاً للشقيري بل إنه في تلك الآونة ، والخلاف قائم بين المنظمة والأردن ، كان أكثر بعداً عن الشقيري يروي واقعة المؤتمر الصحفي الذي عقده في القدس في الأول من حزيران / يونيو أي قبيل شنّ العدوان بأربعة أيام فقط ؛ فيقول في كتابه (مع صلاح الدين في القدس : تأملات وذكريات ، ص ص ١٩٣ - ١٩٤) : وصل الشقيري إلى القدس يوم الخميس ٣١ أيار / مايو ١٩٦٧ ونزل كعادته في فندق القدس وقد زرته صباح الجمعة فوجدته جالساً على الشرفة يحيط به الصحافيون ورجال الإعلام ومجموعة كبيرة من جماعة التلفزيون الفرنسي ، والكاميرات والأضواء مسلّطة عليه فأخذت مكاني بهدوء في ركن منزوٍ حتى يتم التصوير والتسجيل ، واستمعت إلى جوابه على سؤال عن مصير اليهود إذ قال بأننا سنسمح لمن بقي منهم أحياء بالبقاء ، ولن يكون عددهم كثيراً ، كما سنسمح للبواخر بنقلهم إلى الأماكن التي قدموا منها .

٣) ناصر الدين النشاشيبي في كتابه (ملاعب الذكريات ص ص٣٩٦ و٣٩٧) يكتب : إنه سأل الشقيري عن المؤتمر الصحفي السابق والواقعة على النحو التالي :

- هل حقاً يا أخي أحمد أنك قلت في أوائل حزيران من سنة ١٩٦٧ بأنك تريد أن تقذف باليهود إلى البحر وأن سمك البحر الأبيض ينتظر بفارغ الصبر لكي تدق ساعة الحرب فيشبع السمك ويأكل ما يشتهي من جثث اليهود ؟

فعبس أبو مازن في شبه غضب وقال لي :

- (يشهد الله أنها كذبة من أكاذيب « إسرائيل » وأنا أتحدى أي شخص أو دولة أو إذاعة أو صحيفة قادرة أن تثبت لي مثل هذا السخف بصوتي أو على لساني) .

ثم استطرد أحمد يقول لي :

- الصهيونية يا صديقي تعيش على بث أسطورة سياسية ونفسية معينة تصورها بأنها هي وحدها الضحية المهددة بالفناء على يد المتطرفين العرب .

- هذه الأسطورة تضمن لليهود تدفق المال العالمي على خزائن « إسرائيل » واستمرار الحماية الأميركية لسياسة « إسرائيل » ، ولست غبياً لكي أطلق مثل هذا

القول ، ولكن اليهود ماهرون في فنون الدعاية واختلاق الأقاويل ، فقد وضعوا مثل هذا الكلام على لساني ونشروه في العالم بينما أنا منه براء . حاولت أن أنفي فلم يستمع لي أحد ، أصدرت بياناتي المتعددة فلم ينشرها أحد ، وقد زاد في ألمي وحسرتي أن معظم أهلي وإخوتي قد صدقوا مثل هذا الباطل وراحوا يعاتبونني عليه ، وكأنه حقيقة قائمة ثابتة .. !

٤) سمير عطاالله : وفي جملة ما أخذ عليه الغرب أنه قال : « إننا سوف نرمي اليهود في البحر » . وتناقلت الصحف ثم الأجيال هذا الزعم . وقد فوجئت الأسبوع الماضي (تموز/ يوليو ٢٠٠٤) بأن يكون الزميل خالد القشطيني قد أخذ هو أيضا بهذه الشائعة . وللزميل الكريم حقه وحريته في الرأي والموقف . وهو يمارس الاثنين بكل جرأة أدبية . لكنني أعرف من الأستاذ عبد المحسن القطان ، الذي كان أقرب الناس إلى الشقيري ، أن الزعيم الفلسطيني الراحل لم يتفوه مرة واحدة بمثل هذا القول . لا في المجالس الخاصة ولا في العلن . وقد كانت لي حوارات عديدة ومطولة مع الرئيس الأسبق للبرلمان الوطني ، حول مرحلة الشقيري وملامحها وبداية الاتصال مع ماو تسي تونغ وهي المحادثات التي كان فيها القطان إلى جانبه .

ولم تصدر مرة عنه جملة أو كلمة قريبة من هذا القول . وقد نسبت الجملة نفسها إلى الرئيس جمال عبد الناصر . وهو أيضاً لم يتفوه بها . وقال أشهر دبلوماسيي بريطانيا المؤيدين للعرب كرستوفر ميهيو أمام مجلس العموم قبل سنتين ، إنه مستعد أن يدفع خمسة آلاف جنيه جائزة لمن يثبت له أن عبد الناصر قال أي كلام من هذا القبيل . إننا نقبل أحيانا بعض الأخطاء الشائعة في السياسة كما نتقبلها في اللغة . ولكن علينا نحن أن نكون أكثر إنصافا مع الشقيري لأن الذين قوّلوه ما قيل لم يهدفوا إلى الافتراء عليه وحده بل علينا أيضا .

٥) ويروي أحمد بهاء الدين في عموده (يوميات) في جريدة الشرق الأوسط / جدة (تموز / يوليو ١٩٨١) استخدام هذه الفرية في الولايات المتحدة في مواجهة تلفزيونية مع د . فايز صايغ فيقول : أذكر أنه حدث بعد انتهاء الحرب بأيام ، أن دعت إحدى محطات التلفزيون الأميركي المرحوم فايز صايغ ليواجه أسئلة المذيع الصهيوني المعروف « سكايند » ومئات الحضور من الصهيونيين أمام الكاميرا ، تحت سيل من الأسئلة .

وصمد فايز صايغ صموداً رائعاً . ورفع بردوده الشجاعة كل الرؤوس العربية المنكسة في تلك الأيام الصعبة .

سؤال واحد ارتبك فايز صايغ أمامه وأخذ يدور حوله في الإجابة ، وهو رأيه في تهديد عبد الناصر بإلقاء اليهود في البحر . فحتى فايز صايغ كان يصدق هذه الواقعة من كثرة ترديدها .

وعلم عبد الناصر بذلك البرنامج الذي كان له وقتها رد فعل هائل . فأرسل إلى فايز صايغ خطاباً بخط يده يهنئه ويشكره أولاً على براعته وشجاعته في ذلك الوقت العصيب وفي قلعة الصهيونية نيويورك ، ويقول له ثانياً أن يكون متأكداً من أنه لا هو ولا أي زعيم عربي آخر نطق بهذه الجملة إطلاقاً ، فهو في أي مناظرة أخرى يستطيع أن ينفي هذه الواقعة تماماً وهو مطمئن . ويدعوه ثالثاً إلى زيارة القاهرة ومقابلته .

وقبل ذلك ، كان عبد الناصر قد أمر كل ما لديه من أجهزة بمراجعة كل الخطب والتصريحات والإذاعات العربية لمدة سنة كاملة للتأكد من أصل هذه الحكاية .

وجاء المرحوم فايز صايغ إلى القاهرة ملبياً الدعوة . وكان مندهشاً من هذه الأكذوبة ودرجة انتشارها . وكان قد كذبها قبل مجيئه وتحدى أي مخلوق أن يثبت عكس ذلك . وروى لي وقتها ، أنهم عدلوا القصة وقالوا إن الذي قال هذه الجملة هو أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير في ذلك الوقت .

ومن البحث الذي أمر به عبد الناصر ظهر أن أحمد الشقيري لم يقل هذه الكلمة من قبل . وقد أكد لي المرحوم أحمد الشقيري وقتها أن القصة مختلقة تماماً . وكان أقرب شيء قاله أحمد الشقيري قبل حرب حزيران / يونيو هو أن صحفياً أجنبياً سأله عن ماذا يمكن لليهود أن يفعلوا لو قبلت « إسرائيل » بعودة الفلسطينيين إلى بلادهم ، فرد الشقيري قائلاً : من شاء منهم البقاء سيبقى كمواطن عادي ، ومن جاء من وراء البحار ولا يريد البقاء ، يستطيع أن يعود من حيث أتى .

وهو كلام لا علاقة له إطلاقاً بمقولة « إلقاء اليهود في البحر » التي يرددها الإسرائيليون حتى الآن دون حياء من الكذب .

٦) أما محمد حسنين هيكل فله رواية تتماهى في جوهرها مع رواية بهاء الدين ، أوردها في كتابه حديث المبادرة على النحو الآتي :

(ولعلّي أستطرد هنا إلى رواية القصة الحقيقية لهذا الشعار الذي ألصق افتراء بالحركة القومية العربية ؛ ففي ذات يوم من سنة ١٩٦٦ ، كان الرئيس بروز تيتو يتحدث مع جمال عبد الناصر عن المشكلة الفلسطينية وقال الرئيس تيتو في إخلاص صديق : إن قضيتكم لا يساعدها أن تطلقوا شعاراً كشعار إلقاء اليهود في البحر . وقال جمال عبد الناصر : إنني لم أستعمل هذا الشعار في حياتي ، وأنا لست متحمساً له .

وقال تيتو في دهشة : الغريب أنني كنت أظنك صاحب هذا الشعار ، وأتذكر أنني حضرت هذا الحوار بين الاثنين وأتذكر أن جمال عبد الناصر بعد لقائه بالرئيس تيتو طلب إجراء تحقيق في أصل هذا الشعار ومصدره . وجرى تحقيق واسع النطاق شاركت فيه في ذلك الوقت كل أجهزة رئاسة الجمهورية ووزراء الإرشاد القومي في مصر ووزراء الخارجية ، وأسفر التحقيق عن أن مصرياً مسؤولاً أو غير مسؤول لم يطلق هذا الشعار . بل إن أحداً من المسؤولين العرب لم يطلقه كذلك ، وكان أقرب شيء له ، وإن اختلف معناه عنه ، هو جواب أعطاه السيد عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية سنة ١٩٤٧ ، وفي جو صدور قرار التقسيم . فقد توجه إليه صحفي بريطاني بسؤال عن السبب الذي يدعوه إلى معارضة قرار تقسيم فلسطين ، وعما يمكن أن يفعله المهاجرون اليهود القادمون بالبواخر من أوروبا إلى فلسطين . وكان رد عبد الرحمن هو قوله : (لقد جاءوا بالبحر ويستطيعون أن يعودوا منه إلى حيث جاءوا) . وهو معنى مختلف كثيراً عن معنى إلقاء اليهود في البحر ، وأتذكر أن نتيجة التحقيق أرسلت إلى الرئيس تيتو في يوغوسلافيا . وأتذكر أيضاً أنني رويت القصة فيما بعد لعدد من الأصدقاء البريطانيين ، وبينهم الوزير السابق كريستوفر مايهيو ، وسألني عما إذا كنت متأكداً مما أقوله ، وهكذا كتب مايهيو مقالاً أعلن فيه عن استعداده لتقديم خمسة ألاف جنيه إسترليني لأي شخص يستطيع نسبة شعار إلقاء اليهود في البحر إلى مسؤول مصري أو عربي ، وبادر أحد الصحفيين الإسرائيليين العاملين في لندن إلى رفع قضية على كريستوفر يطالبه بالخمسة آلاف جنيه ، وطالبه كريستوفر أمام المحكمة أن يقدم أدلة على نسبة التصريح إلى أحد من العرب المسؤولين وعجز الصحفي الإسرائيلي ، وحكمت المحكمة برفض الدعوى) .

٧ - على أن ما يؤشر إلى حضور هذه الفرية ، برغم كل ما سبق في المجتمع العربي بمثقفيه ونخبه بل ومن خلالهم وبنقد ذاتي جريء هام هو ما كتبه الكاتب والصحافي العربي السعودي عبد الله الجفري (صحيفة الشرق الأوسط - جدة ١٩٨٤/١/١٨) أي بعد أكثر من أربعة عقود على إطلاق الفرية بعد أن كان كتب عنها كحقيقة مسلّمة ، فقد عاد فكتب ناقضاً ما كتبه بعد أن استبان الحقيقة :

لأنني كتبت في هذا المكان قبل فترة مستهلاً عباراتي باستخدام كلمة اشتهرت في الستينات .. فقد بادر بالكتابة إلي بعض الإخوة من القراء العرب .. منهم من يلوم علي « التذكير » بتلك العبارة ، ومنهم من يستهجنها حين اعتبرني قد ذكّرت بها ، ومنهم من ينفي قولها في تلك الفترة !

وأمام كل تلك الرسائل .. كان لا بد لرسالة معينة ، مميزة أن تشدني إليها ، وأتوقف عندها ، وأصغي إلى صوت كاتبها المنبعث من خلف السطور .. فقد كانت الرسالة مرسلة من السيد « مازن أحمد الشقيري » المقيم بمدينة جدة .

أما العبارة التي كتبتها مذكراً بها في مطلع كلمتي التي نشرت قبل فترة .. فقد كانت هي تلك العبارة المشهورة ، القائلة : « سنقذف بـ« إسرائيل » إلى البحر » !

وكان المعروف عن هوية تلك العبارة أن شخصين عربيين ردّداها في فترة الستينات .. الأول : كان الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » ، والآخر : كان المناضل الفلسطيني الراحل « أحمد الشقيري » .. وقد نسبت تلك العبارة في كلمتي إلى « الشقيري » مثلما كنا نقرأ ، ونسمع حينذاك !

ولكن السيد « مازن » ابن المناضل الراحل « أحمد الشقيري » أراد أن يدافع عن أبيه ، وهذا حقه بالطبع ، ولعله أراد بالإضافة إلى ذلك أن يصحح معلومة شائعة بالخطأ كما أكد لي ذلك في رسالته .. حتى لا تحسب في تاريخ رجل قدم خدمات لقضية بلاده وأرضه وشعبه حسب اجتهاده وقدراته في تلك الفترة العربية من الصراع الإسرائيلي - العربي !

ويقول السيد « مازن » في رسالته :

« قرأت كلماتك في - ظلال - الشرق الأوسط ، ١٤٠٤/٣/١٨هـ (١٩٨٣/١٢/٢٢م) ، التي كان دخولك إلى صلب موضوعها المحزن المؤلم عبر الإشارة إلى المرحوم أحمد الشقيري ، وحكاية : « سنقذف بإسرائيل إلى البحر » .. وقد رأيت أن أبعث إليك صورة لما كتبه الأستاذ أحمد بهاء الدين منذ مدة عن هذه الحكاية في يومياته بالشرق الأوسط ، والذي يبدو أنه لم يتح لك مطالعته في حينه .. وبمثل ما كتب الأستاذ بهاء الدين ، فقد كتب آخرون في صحف ومجلات عربية أخرى ، إلا أنه كالمعتاد والمألوف في أيامنا التعيسة هذه ، فقد ظل انتشار وترديد الحكاية الأكذوبة الإسرائيلية أوسع وأقوى من انتشار وترديد الرواية الصدوقة العربية » !

وقد اطلعت بالفعل على عمود الأستاذ « أحمد بهاء الدين » الذي كتبه إثر قصف العدو للمفاعل النووي العراقي .. وكانت « إسرائيل » هي صاحبة تلك العبارة « سنقذف بإسرائيل إلى البحر » ، ولكنها أطلقتها ، وروجتها على أنها عبارة قالها الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » ، ثم زادت على ذلك .. بأن نسبتها للسيد أحمد الشقيري ، وكان رأسا فلسطينيا بارزا يناضل ضد الاستعمار الإسرائيلي ، وضد الاحتلال لأرضه .

كان الهدف من ترويج تلك العبارة أن يصدقها الرأي العام العالمي ، لتقول « إسرائيل » للعالم : انظروا ما الذي يفكر فيه العرب وينتوونه ضدنا .. بمعنى أن العدو الإسرائيلي كما أوضح الأستاذ بهاء الدين يومها في عموده : « يُحكم الربط بين العمل العسكري ، والعمل السياسي، والعمل الدعائي، والتمهيد لدى الرأي العام » !

أما السيد « أحمد الشقيري » فقد كان في تلك الفترة يعطي ما لديه من رؤية سياسية للغد .. في رحى تلك الظروف العصيبة التي تطحن الوطن العربي .. ولكن إمكاناته كانت متواضعة، ولم تبدأ المقاومة الفلسطينية نضالها الحقيقي بعد ، ولكن المقاومة تبدو حينذاك خطراً قادماً على « إسرائيل » لم يعلن عن نفسه ، ولكنه الخطر المتوقع في أي لحظة !

وكانت الأمة العربية ، كما وصف السيد الشقيري في كتابه الذي أصدره بعد انسحابه إلى الظل ، بعنوان : من القمة إلى الهزيمة ، هي تلك الأمة « التي ترزح تحت كارثتين : احتلال إسرائيلي لا حد لطغيانه وعدوانه ، وحكم عربي لم يستطع أن يوحد الصفوف ، ويعبئ القدرات ، ويحشد الطاقات » !

ثم أرجع بعد ذلك كله إلى مضمون كلمتي التي علق عليها السيد « مازن الشقيري » فأقول :

نحن نحتاج إلى قدرات عربية ، وحشد طاقات مؤمنة بفعل النضال المتضامن !

من خلاصة ما سبق نلاحظ أن هذه الفرية قد أصابت العديدين :

الحاج أمين الحسيني في الثلاثينات

الشيخ صبري عابدين في الأربعينات

عبد الرحمن عزام في الأربعينات

أحمد الشقيري في الستينات

جمال عبد الناصر في الستينات

يضاف إلى هؤلاء من راجع رواية الشقيري نفسه كل من :

نور الدين الأتاسي

أنور السادات

وهنا نودّ تسجيل ما يأتي :

١) إن النص الحقيقي للفرية منذ بدايتها حتى نهايتها التي لم تنته يتضمن عنصرين :

١ - يهود فلسطين حتى سنة ١٩١٨ ، هم مواطنون فلسطينيون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

٢ - وجود المهاجرين الذين وفدوا بعد ذلك منذ عهد الانتداب البريطاني وجود غير شرعي فُرض على الفلسطينيين شراً وعدواناً ، وكما جاؤوا بالبحر ، يعودوا بالبحر .

٣ - إن كل اللجان والصحفيين الذين تعرّض المسؤولون الفلسطينيون والعرب لأسئلتهم حول الوجود الصهيوني في فلسطين كانوا يقحمون السؤال نفسه :

هل ستلقون باليهود في البحر ؟

وجميعهم كان يجيب بالنفي .

ومع هذا فقد كان حرف النفي يحذف عند النشر .

٤ - إن هذه الواقعة كانت تثار في مفاصل هامة من القضية أهمها :

- لجنة (ثورة البراق) ١٩٣٠
- صدور قرار التقسيم ١٩٤٧
- إرهاصات عدوان ١٩٦٧

وهذا ما يؤكد أنها جزء هام من الخطة الإعلامية الصهيونية التي ابتدعتها الحركة الصهيونية لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية لربطها في الوجدان العالمي الإنساني بمعاناة اليهود على يد النازية في محاولة مقاربة بين العرب والنازيين ، لصرف النظر عن جرائمهم النازية والعنصرية المستمرة منذ وطئوا أرض فلسطين .

وأخيراً ، فلا بد من الإشارة إلى أن كل من ذُكرت أسماؤهم لم ترافقهم هذه الفرية بالقدر الذي رافقت فيه الشقيري الذي لم يجد في حينه ولا بعد ذلك إعلاماً - عربياً على الأقل - يوضح الصورة ويمحو هذه الفرية ، فالشقيري بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية أحدث النقلة التاريخية الكبرى في مسيرة القضية الفلسطينية من خلال بعث الشخصية الفلسطينية والكيان الفلسطيني ، بعد أن كاد يستقر في الضمير العالمي أو المجتمع الدولي بمسميات عصر العولمة اليوم أن ليس هناك قضية شعب فلسطيني ، وإنما قضية لاجئين بمعنى (الإغاثة الإنسانية) .

والعدو يدرك جيداً أن هذه الخطوة ، وما رافقها من مؤسسات عسكرية ومالية وإعلامية وعلمية يمكن أن تؤسس بدء النقض العملي للكيان الصهيوني .

لهذا كان التركيز الشديد على الشقيري على هذا النحو . وخاصة بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ ، حين أصبح الشقيري لا بواكي له ..

ملحق (٤)

أعضاء المؤتمر الفلسطيني الأول[1]
الذي عقد في القدس عام ١٩٦٤م
والذي أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية

مقدمة :

إن أي قارئ لقائمة الأعضاء والمشاركين في المؤتمر الفلسطيني الذي عقد في القدس سيرى فيه أسماء وذوات ، أما المتابعون لجهود الشقيري في لم الشمل الفلسطيني في هذا المؤتمر فيقدرون من خلال مذكراته وشهادات المشاركين جهوده التي أدت إلى أن يمثل المؤتمر الفلسطينيين في الضفتين والقطاع وسائر أماكن الشتات الفلسطيني ، لكن جانبا مهماً بل ومهم جداً لم تجر الإضاءة عليه حتى الآن هو أن يمثل هذا الاختيار جميع الجغرافيا الفلسطينية قبل النكبة ، وهو أمر لم يكن أقل صعوبة من العوامل الأخرى التي اعترضت جوانب الاختيار والتمثيل .

خيري الدين أبو الجبين الذي واكب وتابع جزءاً مهماً من معاناة الشقيري في تلك المرحلة حرص على تغطية هذا الجانب من خلال قائمة المشاركين اللاحقة ، وهو جهد مُضنٍ ولا ريب حين يجيء بعد خمسة وأربعين عاماً على الحدث لقي خلالها الكثيرون من المعنيين وجه ربهم .

وأبو الجبين هو أقدر من يقوم بهذه المهمة كونه ظل على تواصل مع معظم زملائه من أعضاء ذلك المؤتمر ، وقد حرص أيضا على استيفاء أكثر ما يمكن من المعلومات واستقصائها بأكبر جهد مستطاع ، ابتغاءً للدقة آملين ممن لديه أية إضافات أو تصويبات موافاتنا بها .

أعضاء المؤتمر الفلسطيني الأول

مسلسل	اسم العضو	مكان الإقامة	القطاع / الساحة التي مثلها
١	إبراهيم حمّاد	طولكرم	انتخب في الكويت
٢	إبراهيم الخطيب	نابلس	رشح عن نابلس
٣	إبراهيم الدرويش	المالحة / القدس	رشح عن طولكرم
٤	الدكتور إبراهيم زقّوت	المجدل	انتخب في الكويت
٥	إبراهيم السقا	غزة	انتخب في قطاع غزة
٦	إبراهيم صنوبر	نابلس	رشح عن نابلس
٧	إبراهيم عيسى	استقر في مصر بعد النكبة	رشح عن مصر
٨	أحمد أبو غيدا	بئر السبع	رشح عن إربد
٩	أحمد أمين السعد	يعبد / جنين	رشح عن جنين
١٠	أحمد جبريل		رشح عن أريحا
١١	أحمد خليفة	صفد	رشح عن مصر
١٢	أحمد الخليل	حيفا	رشح عن عمّان
١٣	الدكتور أحمد سروري	نابلس	رشح عن نابلس
١٤	الحاج أحمد سعد	استقر في عمّان بعد النكبة	رشح عن عمّان
١٥	أحمد سليم الدجاني	يافا	رشح عن عمّان
١٦	أحمد الشقيري	عكا	اللجنة التحضيرية
١٧	الدكتور أحمد صدقي الدجاني	يافا	رشح عن ليبيا
١٨	أحمد العبد الله	استقر في جنين بعد النكبة	رشح عن ليبيا

(١) إعداد : عضو المؤتمر خيري الدين أبو الجبين .

١٩	أحمد عقل	القدس	رشح عن مصر
٢٠	أحمد علي العيساوي	القدس	رشح عن القدس
٢١	أحمد كمال عدوان	حتة / الفالوجة	رشح عن قطر
٢٢	أحمد محمد عبد العزيز أبو شرخ	المجدل	انتخب في قطاع غزة
٢٣	أحمد محمد علي	استقر في قطاع غزة بعد النكبة	انتخب في قطاع غزة
٢٤	أحمد محمود حجة	دورا / الخليل	الأعيان والنواب
٢٥	أحمد اليوسف	استقر في طولكرم بعد النكبة	رشح عن طولكرم
٢٦	إسحق النشاشيبي	القدس	رشح عن عمّان
٢٧	أسعد الدرهلّي	يافا	رشح عن عمّان
٢٨	إسماعيل أبو علاّن	الظاهرية / الخليل	الأعيان والنواب
٢٩	إسماعيل بدران	اللد	رشح عن الزرقاء
٣٠	إسماعيل بشير		المغتربون
٣١	إسماعيل حجازي	الخليل	الأعيان والنواب
٣٢	إسماعيل شمّوط	اللد	عضو شرف
٣٣	إسماعيل الشيخ حسن	استقر في لبنان بعد النكبة	رشح عن لبنان
٣٤	إسماعيل محمد إسماعيل	استقر في أريحا بعد النكبة	رشح عن أريحا
٣٥	إسماعيل النحّاس	الرملة	رشح عن عمّان
٣٦	الدكتور ألفرد طوباسي	يافا	النقابات
٣٧	ألكساندرا ظريفة	غزة	رشحت عن لبنان
٣٨	الياس البندك	بيت لحم	رشح عن بيت لحم
٣٩	إميل حنا صافية	استقر في الأردن بعد النكبة	الأعيان والنواب
٤٠	إميل كردي	استقر في عمّان بعد النكبة	رشح عن عمّان
٤١	أمين شاهين	نابلس	رشح عن عمّان
٤٢	أمينة الحسيني	القدس	الهيئات النسائية
٤٣	أنطون ألبينا	بيت جالا	رشح عن القدس
٤٤	أنور نسيبة	القدس	الأعيان والنواب
٤٥	الدكتور أنيس القاسم	جنين	رشح عن ليبيا
٤٦	إياد السرّاج	غزة	رشح عن مصر
٤٧	أيوب طه	بديا / نابلس	رشح عن نابلس
٤٨	أيوب مسلّم	رام الله	الأعيان والنواب
٤٩	بدر الزعبي		النقابات
٥٠	بسمة فارس		الهيئات النسائية
٥١	بشارة القنواتي	بيت لحم	رشح عن بيت لحم
٥٢	الدكتور بشير البسطامي	نابلس	رشح عن عمّان
٥٣	تحسين الكريدلي	يافا	رشح عن الزرقاء
٥٤	تحسين كمال	نابلس	رشح عن نابلس
٥٥	تمام الأكحل شموط	يافا	عضو شرف
٥٦	تيسير قُبعة	قلقيلية	رشح عن مصر
٥٧	جبرا خميس	بيت لحم	رشح عن بيت لحم

٥٨	المطران جبرائيل أبو سعدي	القدس	رشح عن القدس
٥٩	جريس قيصر سمعان	استقر في لبنان بعد النكبة	رشح عن لبنان
٦٠	جريس نجمة	استقر في عمّان بعد النكبة	رشح عن عمّان
٦١	جعفر المصدر	دير البلح / غزة	رشح عن مصر
٦٢	جليل حرب	رام الله	رشح عن رام الله
٦٣	جمال الصوراني	غزة	انتخب في قطاع غزة
٦٤	جمال القاسم	نابلس	رشح عن نابلس
٦٥	جمال قاسم عبد الهادي	جنين	رشح عن جنين
٦٦	الدكتور جمال ناصر	بيرزيت	المغتربون
٦٧	جمعة حمّاد	بئر السبع	الصحافة
٦٨	جميل بركات	القدس	رشح عن عمّان
٦٩	جميل التاجي	الرملة	رشح عن مصر
٧٠	جميل عبد الله أبو معيلق	غزة	انتخب في قطاع غزة
٧١	جهاد حسن سلامة	قولية / اللد	رشحت عن مصر
٧٢	جورج خضر	القدس	رشح عن القدس
٧٣	جورج ذيب	القدس	رشح عن عمّان
٧٤	الدكتور جورج فرح	القدس	رشح عن القدس
٧٥	حافظ الحمد الله	عنبتا / طولكرم	الأعيان والنواب
٧٦	الدكتور حافظ عبد النبي	الخليل	رشح عن الخليل
٧٧	حامد أبو ستة	بئر السبع	رشح عن مصر
٧٨	حبيب جرادة	غزة	انتخب في قطاع غزة
٧٩	الشيخ حسن أبو جابر	استقر في القطاع بعد النكبة	انتخب في قطاع غزة
٨٠	حسن الأيوبي	استقر في لبنان بعد النكبة	رشح عن لبنان
٨١	حسن حمد منصور	استقر في نابلس بعد النكبة	رشح عن نابلس
٨٢	حسن حوّا	عكا	رشح عن عمّان
٨٣	حسن داوود خالد	العباسية / يافا	رشح عن الزرقاء
٨٤	حسن رشيد	لفتا / القدس	رشح عن الزرقاء
٨٥	حسن زهران	القدس	رشح عن الزرقاء
٨٦	حسن الشامي	استقر في سورية بعد النكبة	رشح عن سورية
٨٧	حسن شبلاق	استقر في لبنان بعد النكبة	رشح عن لبنان
٨٨	حسن العاروري	رام الله	رشح عن رام الله
٨٩	حسن عبد الفتاح درويش	العباسية / يافا	الأعيان والنواب
٩٠	حسن علي الصباريني	حيفا	رشح عن طولكرم
٩١	حسن الكاتب	القدس	الأعيان والنواب
٩٢	حسني الحاج علي شديد	علاّر / طولكرم	رشح عن طولكرم
٩٣	حسني السوقي	جنين	رشح عن جنين
٩٤	حسين عبد الله صبري	قلقيلية	رشح عن طولكرم
٩٥	حكمت المصري	نابلس	الأعيان والنواب
٩٦	حلمي حنون	طولكرم	رشح عن طولكرم

٩٧	حليم سابا	يافا	رشح عن عمّان
٩٨	الشيخ حماد بن سعيد	بئر السبع	رشح عن مأدبا
٩٩	الشيخ حمدان المصري	استقر في قطاع غزة بعد النكبة	انتخب في قطاع غزة
١٠٠	حمدي التاجي الفاروقي	الرملة	رشح عن رام الله
١٠١	حمدي حرزالله	استقر في قطاع غزة بعد النكبة	انتخب في قطاع غزة
١٠٢	حمدي كنعان	نابلس	رشح عن نابلس
١٠٣	حميد الصوفي	استقر في قطاع غزة بعد النكبة	انتخب في قطاع غزة
١٠٤	حيدر درويش	القدس	رشح عن القدس
١٠٥	الدكتور حيدر عبد الشافي	غزة	انتخب في قطاع غزة
١٠٦	خالد الجراح	عكا	رشح عن سورية
١٠٧	خالد الحسن	حيفا	انتخب في الكويت
١٠٨	خالد عبد الله		ملحق
١٠٩	خالد الفاهوم	الناصرة	رشح عن سورية
١١٠	خلوصي الخيري	الرملة	رشح عن عمّان
١١١	خليل السلواني	القدس	رشح عن القدس
١١٢	خليل الشاعر	يافا	انتخب في الكويت
١١٣	خليل عيسى	صفد	رشح عن عمّان
١١٤	خليل محمد سليم		
١١٥	الشيخ خليل المشارقة	استقر في الأردن بعد النكبة	رشح عن الأغوار
١١٦	خليل الوزير	الرملة	رشح عن الجزائر
١١٧	خيري الدين أبو الجبين	يافا	انتخب في الكويت
١١٨	داوود الشخشير	نابلس	الأعيان والنواب
١١٩	داوود الصايغ	غزة	انتخب في قطاع غزة
١٢٠	داوود عودة	القدس	رشح عن العراق
١٢١	راجي صهيون	حيفا	رشح عن لبنان
١٢٢	راشد النمر	نابلس	الأعيان والنواب
١٢٣	رامز فاخرة	غزة	انتخب في قطاع غزة
١٢٤	رجا العيسى	يافا	الصحافة
١٢٥	رشاد الخطيب	الخليل	الأعيان والنواب
١٢٦	رشاد مسودة	الخليل	رشح عن الخليل
١٢٧	رشيد جربوع	حيفا	رشح عن سورية
١٢٨	رفعت عبد الرحيم النابلسي	نابلس	ملحق - رشح عن نابلس
١٢٩	رفيق الحسيني	القدس	الأعيان والنواب
١٣٠	رفيق الحمدالله	عنبتا / طولكرم	رشح عن طولكرم
١٣١	رفيق النتشة	الخليل	انتخب في قطر
١٣٢	رمضان حمّاد	استقر في عمّان بعد النكبة	رشح عن عمّان
١٣٣	روحي الخطيب	القدس	اللجنة التحضيرية
١٣٤	الدكتور زكي أبو عيد	الشيخ مونّس / يافا	انتخب في الكويت
١٣٥	زكي بركات	يافا	رشح عن رام الله

١٣٦	زكي الشيخ ياسين	يافا	النقابات
١٣٧	زليخا الشهابي	القدس	اللجنة التحضيرية
١٣٨	زهدي أبو شعبان	غزة	انتخب في قطاع غزة
١٣٩	زهير الريّس	غزة	انتخب في قطاع غزة
١٤٠	الدكتور زهير العلمي	غزة	رشح عن لبنان
١٤١	زينب ساق الله	يافا	انتخبت في الكويت
١٤٢	سامي حبيبي	حيفا	رشح عن عمّان
١٤٣	سامي الحسيني	غزة	انتخب في قطاع غزة
١٤٤	سامي كنج الظاهر		رشح عن نابلس
١٤٥	الشيخ سرحان بن عياض	بئر السبع	رشح عن الخليل
١٤٦	سعادات حسن		المغتربون
١٤٧	سعيد إبراهيم الموعد	صفورية	رشح عن لبنان
١٤٨	سعيد أبو الهيجا		ملحق
١٤٩	سعيد بريك	طولكرم	انتخب في الكويت
١٥٠	سعيد جابر عبد الرزاق	نابلس	رشح عن نابلس
١٥١	سعيد الحاج عزيز	صفد	رشح عن سورية
١٥٢	سعيد الحتحوت		رشح عن لبنان
١٥٣	سعيد علاء الدين	الرملة	اللجنة التحضيرية
١٥٤	سلامة توفيق الكيالي	الرملة	رشح عن عمّان
١٥٥	الشيخ سلمان أبو جريبات	بئر السبع	رشح عن الأغوار
١٥٦	الشيخ سلمان العطاونة	بئر السبع	رشح عن الخليل
١٥٧	سلمى الدجاني	القدس	رشحت عن ليبيا
١٥٨	سلوى شكري نجية	عكا	رشحت عن لبنان
١٥٩	سليم عرفة	يافا	رشح عن عمّان
١٦٠	سليم قدورة	عكا	رشح عن سورية
١٦١	الشيخ سليمان الفراجين	بئر السبع	رشح عن الخليل
١٦٢	الشيخ سليمان قادر أبو علي		رشح عن إربد
١٦٣	سمعان داوود	القدس	رشح عن رام الله
١٦٤	سميحة ثابت الخالدي	القدس	الهيئات النسائية
١٦٥	سمير الأسدي	صفد	ملحق - رشح عن سورية
١٦٦	سمير عبد الرحيم	صفد	رشح عن سورية
١٦٧	سميرة عزام	الناصرة	رشحت عن لبنان
١٦٨	سميرة يوسف السقا	غزة	رشحت عن الجزائر
١٦٩	سيد بكر	غزة	انتخب في قطاع غزة
١٧٠	الدكتور سيف الدين الكيلاني	نابلس	رشح عن عمّان
١٧١	شريف الجعبري	الخليل	انتخب في قطر
١٧٢	شريف الحسيني	القدس	رشح عن مصر
١٧٣	شعبان عيد		انتخب في قطاع غزة
١٧٤	شفيق الترزي	غزة	انتخب في قطاع غزة

١٧٥	شفيق الحوت	يافا	رشح عن لبنان
١٧٦	شفيق عبد الرزاق		رشح عن لبنان
١٧٧	شكيب الجيوسي	طولكرم	رشح عن طولكرم
١٧٨	شوقي الفرا	خانيونس	انتخب في قطاع غزة
١٧٩	الدكتور شوكت الكيلاني	نابلس	رشح عن نابلس
١٨٠	صالح البرغوثي	دير غسانة / رام الله	انتخب في قطر
١٨١	صالح عبده	أريحا	رشح عن أريحا
١٨٢	صبا الفاهوم	الناصرة	رشحت عن لبنان
١٨٣	الدكتور صبحي عمرو	الخليل	رشح عن الخليل
١٨٤	الدكتور صبحي غوشة	القدس	رشح عن القدس
١٨٥	صبري خلف	أريحا	رشح عن أريحا
١٨٦	صدقي الجعبري	الخليل	الأعيان والنواب
١٨٧	صدقي الديب		رشح عن نابلس
١٨٨	صدقي الطبري	طبريا	رشح عن سورية
١٨٩	صفية الشقيري	عكا	رشحت عن أريحا
١٩٠	صقر المهنا		رشح عن طولكرم
١٩١	صلاح أمين صلاح	طولكرم	رشح عن طولكرم
١٩٢	الدكتور صلاح الدباغ	يافا	رشح عن لبنان
١٩٣	الدكتور صلاح العنبتاوي	نابلس	رشح عن نابلس
١٩٤	طاهر الأغا	خانيونس	انتخب في قطاع غزة
١٩٥	عادل الدباح		رشح عن إربد
١٩٦	عادل عبد الله		رشح عن سورية
١٩٧	عادل المنير	الرملة	النقابات
١٩٨	عارف العارف	القدس	رشح عن رام الله
١٩٩	عامر صادق علاء الدين	الرملة	رشح عن العقبة
٢٠٠	عايدة بامية	يافا	رشحت عن مصر
٢٠١	عبد الله أبو ستة	بئر السبع	انتخب في قطاع غزة
٢٠٢	عبد الله جودة	البيرة	الأعيان والنواب
٢٠٣	عبد الله الخطيب	نابلس	الأعيان والنواب
٢٠٤	الشيخ عبد الله العلمي	غزة	انتخب في قطاع غزة
٢٠٥	عبد الله الغرابلي	غزة	انتخب في قطاع غزة
٢٠٦	الشيخ عبد الله غوشة	القدس	رشح عن القدس
٢٠٧	عبد الله الفياض	طولكرم	الأعيان والنواب
٢٠٨	الشيخ عبد الله القلقيلي	قلقيلية	رشح عن عمّان
٢٠٩	الدكتور عبد الله لاما	بيت جالا	ملحق
٢١٠	الحاج عبد الله محمد خليفة		رشح عن عمّان
٢١١	عبد الله مهنا		انتخب في قطاع غزة
٢١٢	الشيخ عبد الله يوسف	القدس	رشح عن القدس
٢١٣	عبد الباري الهسي		انتخب في قطاع غزة

٢١٤	الشيخ عبد الحميد السائح	نابلس	رشح عن القدس
٢١٥	عبد الخالق يغمور	الخليل	رشح عن الخليل
٢١٦	عبد الرحمن السكسك	يافا	اللجنة التحضيرية
٢١٧	عبد الرحمن مراد	حيفا	رشح عن سورية
٢١٨	عبد الرحيم ارشيد	جنين	الأعيان والنواب
٢١٩	عبد الرحيم جراد	جنين	رشح عن جنين
٢٢٠	عبد الرحيم الشريف	الخليل	الأعيان والنواب
٢٢١	عبد الرزاق عودة	سلمة / يافا	رشح عن رام الله
٢٢٢	عبد الرؤوف الفارس	طلوزة / نابلس	الأعيان والنواب
٢٢٣	عبد الرؤوف المجدلاني	غزة	انتخب في قطاع غزة
٢٢٤	عبد السلام أبو عيسى		انتخب في قطر
٢٢٥	عبد الغني سنان	جنين	رشح عن جنين
٢٢٦	عبد الفتاح جبريل	يازور / يافا	انتخب في الكويت
٢٢٧	عبد الفتاح الشريف	الخليل	رشح عن مصر
٢٢٨	عبد الفتاح قفة	أسدود	انتخب في قطاع غزة
٢٢٩	عبد الفتاح يونس	عارة / حيفا	رشح عن سورية
٢٣٠	عبد القادر الجاعوني	القدس	رشح عن القدس
٢٣١	عبد القادر الزنانيري		النقابات
٢٣٢	عبد القادر عبد الرحمن	الفالوجة	رشح عن الخليل
٢٣٣	عبد الكريم الشوا	غزة	انتخب في الكويت
٢٣٤	عبد الكريم الطل	الظاهرية / الخليل	رشح عن الخليل
٢٣٥	عبد الكريم العلمي	القدس	رشح عن رام الله
٢٣٦	عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)	طولكرم	رشح عن سورية
٢٣٧	عبد الكريم الكيالي	الرملة	رشح عن الزرقاء
٢٣٨	عبد اللطيف القدومي	نابلس	رشح عن نابلس
٢٣٩	عبد المجيد شومان	بيت حنينا / القدس	رشح عن عمّان
٢٤٠	عبد المحسن القطان	يافا	انتخب في الكويت
٢٤١	عبد الوهاب يانس	اللد	رشح عن لبنان
٢٤٢	عثمان أبو حاشية	سلمة / يافا	انتخب في الكويت
٢٤٣	عثمان فؤاد فتح الله	طيرة / حيفا	رشح عن إربد
٢٤٤	عرفات حجازي	الخليل	الصحافة
٢٤٥	عزة دروزة	نابلس	رشح عن سورية
٢٤٦	عزت طنوس	القدس	رشح عن لبنان
٢٤٧	عصام عاشور	يافا	انتخب في الكويت
٢٤٨	عصام عبد الهادي	نابلس	الهيئات النسائية
٢٤٩	الدكتور عطاالله الرشماوي	بيت ساحور	رشح عن بيت لحم
٢٥٠	عطاالله مصلح	بيت ساحور	رشح عن بيت لحم
٢٥١	عطية شرار		انتخب في قطاع غزة
٢٥٢	الشيخ عطية الوحيدي	بئر السبع	رشح عن أريحا

٢٥٣	عفيف بطارسة	لجأ إلى الأردن	الأعيان والنواب
٢٥٤	عفيف صالح العفيفي	عراق المنشية	رشح عن إربد
٢٥٥	على أبو مدّين	بئر السبع	انتخب في قطاع غزة
٢٥٦	الشيخ علي أبو ربيعة	بئر السبع	رشح عن الخليل
٢٥٧	الشيخ علي حجازي	القدس	رشح عن القدس
٢٥٨	علي حسن جبر	يافا	رشح عن نابلس
٢٥٩	الحاج علي الدجاني	القدس	الأعيان والنواب
٢٦٠	علي الزعبي	شمال فلسطين	رشح عن عمّان
٢٦١	علي السفاريني	طولكرم	رشح عن طولكرم
٢٦٢	علي سلامة	قولية / اللد	رشح عن مصر
٢٦٣	علي صالح السيد		انتخب في الكويت
٢٦٤	علي هاشم رشيد	غزة	انتخب في قطاع غزة
٢٦٥	علي يونس الحسيني	القدس	رشح عن أريحا
٢٦٦	عمر حمادة	نابلس	رشح عن سورية
٢٦٧	الحاجة عندليب العمد	نابلس	الهيئات النسائية
٢٦٨	عوني عزيز الدجاني	القدس	رشح عن لبنان
٢٦٩	عيد حجازي	الخليل	رشح عن الخليل
٢٧٠	عيد الشريف	الخليل	رشح عن الخليل
٢٧١	عيسى أبو زيد		رشح عن إربد
٢٧٢	عيسى عقل	رام الله	الأعيان والنواب
٢٧٣	الدكتور فارس المسعود		رشح عن نابلس
٢٧٤	فاضل زيدان	حيفا	رشح عن مصر
٢٧٥	فايز أبو رحمة	غزة	انتخب في قطاع غزة
٢٧٦	فايز فضة	عكا	انتخب في الكويت
٢٧٧	فايزة عبد المجيد	نابلس	الهيئات النسائية
٢٧٨	فايق بركات	القدس	ملحق - رشح عن القدس
٢٧٩	فايق تماري	يافا	رشح عن رام الله
٢٨٠	فايق الريماوي	رام الله	رشح عن رام الله
٢٨١	فايق عبد العزيز		رشح عن جنين
٢٨٢	فايق مرعي	جنين	رشح عن جنين
٢٨٣	فتحي القمحاوي	نابلس	رشح عن جنين
٢٨٤	فدوى طوقان	نابلس	رشحت عن نابلس
٢٨٥	الشيخ فرحان أبو الخيل		رشح عن مأدبا
٢٨٦	فرسان الماضي	حيفا	رشح عن سورية
٢٨٧	فريح فرحان المصدر	بئر السبع	انتخب في قطاع غزة
٢٨٨	فريد السعد	جنين	رشح عن عمّان
٢٨٩	فلاح الماضي	حيفا	اللجنة التحضيرية
٢٩٠	فهمي العبوشي	جنين	رشح عن جنين
٢٩١	فؤاد السرّاج	غزة	النقابات

٢٩٢	الحاج فؤاد عبد الهادي	نابلس	الأعيان والنواب
٢٩٣	فؤاد كرزون	اللد	رشح عن رام الله
٢٩٤	فوزي جرار	جنين	الأعيان والنواب
٢٩٥	فوزي عريقات	أبو ديس / القدس	رشح عن أريحا
٢٩٦	قاسم حمد	صفد	انتخب في قطر
٢٩٧	الدكتور قاسم الريماوي	بيت ريما / رام الله	الأعيان والنواب
٢٩٨	قدري طوقان	نابلس	اللجنة التحضيرية
٢٩٩	كامل عريقات	القدس	الأعيان والنواب
٣٠٠	الحاج كامل مشتهى	بئر السبع	انتخب في قطاع غزة
٣٠١	كمال الدين السراج	غزة	رشح عن ليبيا
٣٠٢	كمال طهبوب	الخليل	رشح عن الخليل
٣٠٣	لمياء صلاح	نابلس	الهيئات النسائية
٣٠٤	ليديا الأعرج	بيت لحم	الهيئات النسائية
٣٠٥	مالك المصري	نابلس	رشح عن عمّان
٣٠٦	مجدي أبو رمضان	غزة	انتخب في قطاع غزة
٣٠٧	الشيخ محمد أبو شنار	بئر السبع	رشح عن مأدبا
٣٠٨	محمد أبو العافية	يافا	رشح عن لبنان
٣٠٩	محمد أبو غربية	القدس	
٣١٠	محمد أحمد البرغوثي	دير غسانة / رام الله	الأعيان والنواب
٣١١	محمد أحمد علي		
٣١٢	محمد أديب العامري	يافا	رشح عن عمّان
٣١٣	محمد ارشيد	جنين	الأعيان والنواب
٣١٤	محمد برادعي العباسي	حيفا	رشح عن عمّان
٣١٥	محمد بركات	يافا	رشح عن لبنان
٣١٦	محمد توفيق اليحيى	حيفا	رشح عن نابلس
٣١٧	محمد جوهر		النقابات
٣١٨	محمد حسن الحاج علي		ملحق
٣١٩	محمد حسن الشهابي	القدس	رشح عن لبنان
٣٢٠	محمد حسني شهوان	أريحا	رشح عن أريحا
٣٢١	محمد حسين		رشح عن العراق
٣٢٢	محمد حمدان الدغمة		انتخب في قطاع غزة
٣٢٣	محمد الخضرا	صفد	رشح عن سورية
٣٢٤	محمد خليل		رشح عن لبنان
٣٢٥	الحاج محمد خليل العزة	بيت جبرين	رشح عن الخليل
٣٢٦	محمد راتب غنيم	القدس	النقابات
٣٢٧	الدكتور محمد زهدي الدجاني	القدس	رشح عن رام الله
٣٢٨	الشيخ محمد سالم الذويب	التعامرة / بيت ساحور	رشح عن بيت لحم
٣٢٩	محمد سعيد الهنيدي	اللد	رشح عن عمّان
٣٣٠	محمد سعيد يونس	قلقيلية	الأعيان والنواب

٣٣١	محمد الشربجي		النقابات
٣٣٢	محمد الطيطي	عراق المنشية	رشح عن إربد
٣٣٣	محمد عبد العزيز الفاهوم	الناصرة	رشح عن إربد
٣٣٤	محمد عبد الغني يوسف	جنين	رشح عن الزرقاء
٣٣٥	محمد عبد الهادي العملة	بيت أولا / الخليل	رشح عن الخليل
٣٣٦	محمد عكيلة	يافا	رشح عن مصر
٣٣٧	محمد علي بشير		انتخب في قطاع غزة
٣٣٨	الشيخ محمد علي الجعبري	الخليل	الأعيان والنواب
٣٣٩	محمد علي دلّول	حيفا	رشح عن لبنان
٣٤٠	محمد مصطفى أبو موسى		انتخب في قطاع غزة
٣٤١	الدكتور محمد ناصر الدين	الخليل	رشح عن الخليل
٣٤٢	محمد نجيب زيد	جنين	رشح عن جنين
٣٤٣	محمد يونس العزة	بيت جبرين / الخليل	رشح عن بيت لحم
٣٤٤	محمود أبو الزلف	يافا	الصحافة
٣٤٥	محمود أبو الفخر	يافا	رشح عن ليبيا
٣٤٦	محمود أبو نافذ		رشح عن أريحا
٣٤٧	محمود الحاج طاهر		رشح عن لبنان
٣٤٨	محمود الخالدي	صفد	رشح عن سورية
٣٤٩	محمود رشدي الخطيب		انتخب في قطاع غزة
٣٥٠	الدكتور محمود زايد	طولكرم	رشح عن لبنان
٣٥١	الدكتور محمود السمرة	الطنطورة / حيفا	انتخب في الكويت
٣٥٢	محمود الشربيني		النقابات
٣٥٣	محمود طه الشربي		ملحق
٣٥٤	محمود عبد الفتاح الحسن	قلقيلية	انتخب في الكويت
٣٥٥	محمود محمد سعيد	العباسية/ يافا	رشح عن أريحا
٣٥٦	محمود محمد الشاعر		انتخب في قطاع غزة
٣٥٧	الدكتور محمود مصطفى عبد الجواد	يافا	رشح عن نابلس
٣٥٨	محمود نجم	المجدل	انتخب في قطاع غزة
٣٥٩	الشيخ مشهور الضامن	عرب الضامن / نابلس	ملحق
٣٦٠	مصطفى البنا	يافا	رشح عن نابلس
٣٦١	مصطفى مرعي الجندي		مخيم الكرامة
٣٦٢	مطيع الشيخ طه		رشح عن العراق
٣٦٣	معروف ربّاع	جنين	الأعيان والنواب
٣٦٤	الحاج معزوز المصري	نابلس	رشح عن نابلس
٣٦٥	ممدوح السخن	نابلس	رشح عن عمّان
٣٦٦	منذر أيوب		رشح عن لبنان
٣٦٧	الدكتور موسى أبو غوش	قرية أبو غوش / القدس	رشح عن رام الله
٣٦٨	الشيخ موسى أبو غيث	بئر السبع	رشح عن الزرقاء
٣٦٩	الدكتور موسى خوري	القدس	رشح عن سورية

٣٧٠	موسى عيسى عابدة	استقر في الأردن	الأعيان والنواب
٣٧١	الدكتور موسى ناصر	بيرزيت	رشح عن رام الله
٣٧٢	ميتا مروم	القدس	الأعيان والنواب
٣٧٣	ميشيل العيسى	يافا	رشح عن عمّان
٣٧٤	ميشيل فرح	غزة	انتخب في قطر
٣٧٥	الدكتور ميشيل ليوس	ترشيحا	رشح عن الزرقاء
٣٧٦	نافذ الحوراني		رشح عن سورية
٣٧٧	الشيخ نايف الطبري	طبرية	ملحق - رشح عن سورية
٣٧٨	نايف فارس		رشح عن ليبيا
٣٧٩	نجيب الأحمد	رمانة / جنين	رشح عن جنين
٣٨٠	المطران نجيب قبعين	القدس	رشح عن القدس
٣٨١	نديم الزرو	رام الله	رشح عن رام الله
٣٨٢	نديم علم الدين	يافا	الصحافة
٣٨٣	نصرت حسين البيطار	غزة	رشح عن العقبة
٣٨٤	نصوح السعدي	عكا	انتخب في الكويت
٣٨٥	المونسنيور نعمة السمعان	القدس	رشح عن القدس
٣٨٦	نعيم أبو ضبة	يافا	رشح عن ليبيا
٣٨٧	نقولا الدُّر	شفا عمرو	رشح عن لبنان
٣٨٨	الشيخ نمر الخطيب	حيفا	رشح عن لبنان
٣٨٩	نمر المصري	الرملة	رشح عن سورية
٣٩٠	الشيخ نمر مهنا	المسمية / غزة	رشح عن الخليل
٣٩١	نواف أبو كشك	عرب أبو كشك / يافا	ملحق - انتخب في الكويت
٣٩٢	نوح قاعود	غزة	انتخب في قطاع غزة
٣٩٣	هاشم الجيوسي	جيُّوس / طولكرم	الأعيان والنواب
٣٩٤	هاني القدومي	يافا	انتخب في الكويت
٣٩٥	هدى عثمان الخمرا	حيفا	الهيئات النسائية
٣٩٦	وديع ترزي	غزة	انتخب في قطاع غزة
٣٩٧	وديع دعمس	بيت جالا	الأعيان والنواب
٣٩٨	وديع محيسن	رام الله	رشح عن اللد *
٣٩٩	وديعة خرطبيل	طبرية	رشحت عن لبنان
٤٠٠	وليد الشكعة	نابلس	رشح عن نابلس
٤٠١	وليد صلاح	نابلس	النقابات
٤٠٢	الدكتور وليد قمحاوي	نابلس	النقابات
٤٠٣	ياسر عرفات	خانيونس	انتخب في الكويت
٤٠٤	ياسين حسونة	اللد	رشح عن الزرقاء
٤٠٥	يحيى غنام	كفر زيباد /طولكرم	انتخب في الكويت
٤٠٦	يسرى البربري	غزة	انتخبت في قطاع غزة
٤٠٧	يسرى شاور	الخليل	الهيئات النسائية

(*) ورد عند محمد شريف الجعبري عن رام الله

٤٠٨	يوسف أبو عوض	الفالوجة	رشح عن الخليل
٤٠٩	يوسف عبد الحميد التكروري	الخليل	الأعيان والنواب
٤١٠	يوسف عبد الرحيم	صفد	رشح عن سورية
٤١١	يوسف عبد الفتاح	الفالوجة	ملحق
٤١٢	يوسف عبده	أريحا	اللجنة التحضيرية
٤١٣	يوسف عز الدين		رشح عن رام الله
٤١٤	يوسف غنام		رشح عن رام الله
٤١٥	يونس الكفري	غزة	انتخب في قطاع غزة
٤١٦	يونس كلاب	غزة	انتخب في قطاع غزة
٤١٧	يونس محمد يونس	عرعرة / حيفا	رشح عن لبنان

ملحق (٥)

إلقاء اليهود في البحر .. وإلقاء العرب في الصحراء[1]

إلقاء اليهود في البحر .. شعار صنعه اليهود . وصنعوا معه كلاماً آخر ، أن العرب قد صنعوه .

وهو شعار قديم لعل عمره أربعون عاماً أو يزيد ، ولكنه يتجدد مع الزمان ، في المناسبات العامة والمواسم السياسية .

وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن ، نزل هذا الشعار في كتب شتى ، ولاكته ألسنة كثيرة ، ورددته إذاعات وتصريحات ، وخاض فيه صحافيون ، ووزراء ، ورؤساء ، وشق طريقه إلى منابر الأمم المتحدة ومحاضرها .

وقد استهدف هذا الشعار التشهير بالشعب الفلسطيني أول الأمر ، ثُمّ استهدف الأمة العربية بأسرها ، بعد أن تطور النزاع اليهودي - الفلسطيني إلى صراع إسرائيلي - عربي .

وهكذا أصبح لهذا الشعار تاريخ ، له بداية ، وما أظن أنّه ستكون له نهاية ، إلا بزوال " إسرائيل " الدولة ، وانتهاء الصهيونية كعقيدة وحركة وتنظيم . ويومئذ سيستريح العالم الدولي من هذا الشعار وأصحاب الشعار .

وقد استهدف هذا الشعار ، التشهير بأشخاص غير قليلين في الأمة العربية ، ولكني أحسب أن الشقيري قد أصابه أعظم " طوفان " من هذا التشهير .. وظلت هذه الحملة تلاحقه حتى بعد أن تخلى عن النشاط السياسي العام ، وانصرف إلى كتابة المذكرات .

والواقع أن " إسرائيل " ما فتئت تُذكر العالم في كُلّ مناسبة أن " الشقيري " قد صرح بأنه كان يريد إلقاء اليهود في البحر . وكثيراً ما كنت أستمع لإذاعة " إسرائيل " وهي تتحدث عن ذكرى " الاستقلال " وقيام دولة " إسرائيل " ، وتحشر اسم " الشقيري " بأنه كان يريد أن يلقي اليهود في البحر .

ولست أعظم قادة العرب قدراً واقتداراً حتّى تجعلني " إسرائيل " أعظم أهدافها ، ولكن الموضوع كُلّه له قصة طويلة ، أرى من واجبي أن أضعها أمام المواطن العربي ، لا دفاعاً عن نفسي ولا دفاعاً عن غيري ممن شملهم هذا الشعار ، ولكن الأمر يكشف عن حقيقة العدو وخططه ووسائله . ومن هنا أصبح موضوع إلقاء اليهود في البحر قضية عامة يجب أن تحلل وتدرس ، على اعتبار أنها جزء من معركتنا الكبرى مع " إسرائيل " والصهيونية والاستعمار العالمي .

وقد يظن المواطن العربي أن " الشقيري " هو أول من نسب إليه شعار إلقاء اليهود في البحر . ولكن من " الإنصاف " أن نستعرض مسيرة هذا الشعار من بداية الرحلة ، لنتعرف على " أشخاص " الهدف واحد بعد واحد .

كان الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين أول شخص قذف عليه اليهود في فلسطين شعار إلقاء اليهود في البحر .. وكان ذلك في أوائل الثلاثينيات . ولذلك قصة هي جزء من النضال الفلسطيني .

في صيف عام ١٩٢٩ اعتدى اليهود على حرمات حائط البراق الشريف (المبكى) ، وهو الجدار الغربي للحرم القدسي ، وثارت ثائرة المسلمين ، ووقع هياج كبير في فلسطين ، وحدثت اشتباكات بين العرب واليهود سقط نتيجتها عدد من القتلى والجرحى .

وتألفت لجنة دولية للتحقيق في دعاوى اليهود بالنسبة إلى " حقوقهم " في حائط المبكى .. واحتشد في بيت المقدس عدد وافر من قادة العرب والمسلمين للدفاع عن هذا الأثر الإسلامي ، بينهم محمّد علي علوبة والشيخ التفتنازي وأحمد زكي باشا من مصر ، ومزاحم الباجه جي من العراق ، وانضمّ إليهم عدد من محامي فلسطين يتقدمهم عوني عبد الهادي ، وكنت محامياً تحت التمرين في مكتبه . ومن هنا بدأت صلتي بالموضوع من أوله .

وبعد مرافعات طويلة من الجانبين الإسلامي واليهودي حكمت اللجنة الدولية بملكية المسلمين لحائط البراق ، وأن حقّ اليهود لا يتعدى الزيارة والعبادة بهدوء . وكان للحاج أمين الحسيني بوصفه رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى جهود كبيرة في تعبئة الشعور الديني في فلسطين وسائر أرجاء العالم الإسلامي .

ثم تألفت بعد ذلك لجنة تحقيق بريطانية (لجنة شو) للبحث في الجوانب السياسية في النزاع العربي - اليهودي . واستمعت اللجنة إلى إفادات قادة الفلسطينيين وزعماء الوكالة اليهودية في فلسطين . وقدم الحاج أمين الحسيني بياناً مستفيضاً عن القضية الفلسطينية ، وناقشه أعضاء اللجنة ومحامو اليهود مناقشة تفصيلية على طريقة المرافعات القضائية ، بالسؤال والجواب .

وقد لخص الحاج أمين الحسيني مطالب الشعب الفلسطيني بإقامة دولة عربية في فلسطين ، وبدأت مناقشة الحاج أمين الحسيني كما يلي :

سؤال : " وما هو موقع الطائفة اليهودية في هذه الدولة العربية ؟ " .

جواب : " نحن مستعدون لأن نضع في دستور الدولة الضمانات الكافية لحماية حقوق الأقليات " .

سؤال : " والهجرة اليهودية ، ما موقفكم منها ؟ " .

جواب : " نحن نعارض الهجرة اليهودية ، نعتبرها غير مشروعة . ولا حقّ لدولة الانتداب أن توافق على هجرة اليهود إلى فلسطين . نحن أصحاب البلاد الشرعيين . كُلّ

---

(١) أحمد الشقيري ، **الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء** ، ج ٢ ، بيروت : دار العودة ، ١٩٧٣ ، والكتاب نفسه في أحمد الشقيري ، **الأعمال الكاملة ، المذكرات** ، مج ٢ ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ولجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري ، ٢٠٠٦ ص ص ١٩١١ - ١٩٢٢ .

هجرة أجنبية يجب أن تكون بموافقة أصحاب البلاد ، كما هو الحال في جميع بلاد الدنيا » .

سؤال : « وهل تعتبرون يهود فلسطين سكاناً غير شرعيين ؟ » .

جواب : « عند الاحتلال البريطاني في ١٩١٨ كان عدد اليهود في فلسطين ستين ألفاً . هؤلاء هم مواطنون فلسطينيون ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

سؤال : « والآخرون ، ويتجاوزون الآن مائتي ألف ؟ » .

جواب : « هؤلاء ليسوا مواطنين شرعيين . لقد دخلوا البلاد بغير حقّ ، من غير إرادة الشعب الفلسطيني » .

سؤال : « وماذا تفعلون بهم . ما هو مصيرهم ؟ » .

جواب : « يعودون إلى بلادهم ، إلى أوطانهم الأولى . فلسطين ليست وطنهم . إنها وطن الشعب الفلسطيني ، المسلمين والمسيحيين ، واليهود الفلسطينيين » .

وسأل محامي الوكالة اليهودية : « وهل تريد يا سماحة المفتي إلقاء اليهود بالبحر ؟ » .

فأجاب الحاج أمين الحسيني : « نحن لا نريد إلقاء اليهود في البحر . بلادنا لنا ، واليهود المهاجرون يعودون إلى بلادهم » .

وانتهت الجلسة . وبدأت الحملة الكبرى على الحاج أمين الحسيني . وأعلن زعماء الوكالة اليهودية أن الحاج أمين الحسيني يريد إلقاء اليهود في البحر . وانطلقت وكالات الأنباء تنقل إلى صحف العالم هذا النبأ الخطير والشرّ المستطير .

وبعد « لجنة شو » جاءت إلى فلسطين لجان بريطانية متعددة ، وأمام كل لجنة ، كان اليهود يكرّرون أن عرب فلسطين يريدون أن يلقوا باليهود في البحر ، وأن زعيمهم الحاج أمين الحسيني قد أعلن ذلك في يوم كذا ، في شهر كذا ، من عام كذا ، إلى آخر حبل الكذب والتزوير .

وتوالت الأحداث ، وانتقلت قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ ، وقضى الأمر بإنشاء دولة « إسرائيل » وتشريد الشعب الفلسطيني ، وإلحاق الضفة الغربية بالمملكة الأردنية الهاشمية . وانتهى الوجود الرسمي الكياني للشعب الفلسطيني .

ولما وقعت حرب فلسطين في عام ١٩٤٨ ، انطلقت الدعاية الصهيونية مرة أخرى تشهّر بالدول العربية وتتهمها بأنها تستهدف إلقاء اليهود في البحر . وفي كتاب أيتها القدس ذكر المؤلفان كولنز ولابيير[1] أن « وزارة الخارجية المصرية كانت تنادي بإلقاء اليهود في البحر ، وأن الجيش السوري قد أعلن عهده بإلقاء اليهود في البحر » .

وانتهت حرب فلسطين ، ووقعت فترة فراغ في القضية الفلسطينية على الصعيد الشعبي ابتداء من عام ١٩٤٨ حتّى عام ١٩٦٤ . فالهيئة العربية العليا التي كان يرئسها الحاج أمين الحسيني فقدت وجودها في صفوف الشعب ، وحكومة عموم فلسطين التي كان يرئسها أحمد حلمي باشا عبد الباقي وئدت يوم مولدها ، وأصبح الشعب الفلسطيني من غير قيادة : تجمعات فلسطينية مشتتة في الوطن العربي تتطلع بشوق إلى قيام « كيان لفلسطين » يمثل إرادة الشعب الفلسطيني ، ويقود نضاله لتحرير وطنه .

كان يمكن لهذا « الفراغ » أن يستمر زمناً طويلاً لولا المصادفة .

وكانت هذه المصادفة أن انعقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة في الأسبوع الأول من عام ١٩٦٤ ، وقرر الملوك والرؤساء إنشاء الكيان الفلسطيني . تمّ ذلك كما شرحت بالتفصيل في مذكراتي السابقة .

وكان مجرد عودة « الشخصية الفلسطينية » إلى ميدان النشاط العام مفاجأة لـ « إسرائيل » . وازداد قلقها ، ومعها الولايات المتحدة ، من أن الشعب المهاجر اللاجئ الذي ظن فوستر دالاس وزير الخارجية الأميركية أنّه سيفنى بفناء أجياله الكبيرة ، وتنتهي بانتهائهم القضية الفلسطينية . إن هذا الشعب قد عادت إليه حياته وهويته ، وأصبح له في خلال عامين منظمة تحرير ، لها جيش ، وصندوق قومي ، ومكاتب ، ومركز أبحاث ، وإذاعة ، وصحيفة ، وعلاقات دولية . وكل ذلك من العدم ، من الصفر .

ومن هنا بدأ العداء الضاري لمنظمة التحرير ، من جانب « إسرائيل » ومن الولايات المتحدة . وقد ظهر ذلك في تصريحات زعماء « إسرائيل » ، وفي تصريحات دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة .

وبدأت ملامح التشهير تظهر في إذاعات « إسرائيل » وصحفها ، ومعها وسائل الإعلام الصهيونية .. وبدأ الكلام عن منظمة الشقيري ، جيش الشقيري ، إذاعة الشقيري . كُلّ ذلك تمهيداً للتشهير « الشخصي » بالشقيري . وقد غاب عنها أن الشقيري ليس هو القضية الفلسطينية ، وأن كُلّ فلسطيني هو الشقيري وأحسن .

وكان الأمر الذي قام به « الشقيري » في نظر « إسرائيل » ، خطيرا وخطيرا جداً . كانت أحلام « إسرائيل » ومخططاتها تفترض أن الشعب الفلسطيني قد انتهى ، وانتهت معه قضية الوطن ، وكفاحه النضالي ، وأن الشعب الفلسطيني أصبح مجموعات من اللاجئين ، تشرّدوا في الآفاق ، وابتلعتهم ضرورات الحياة اليومية تحت كُلّ سماء وكوكب . أما الأرض فقد تقرر مصيرها ، « إسرائيل » في الغرب ، والمملكة الأردنية الهاشمية في الشرق : ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾[2] ، ولم يبق إلا بعض الوقت ، ويتم الصلح بين العرب و « إسرائيل » . هذا كان تصور « إسرائيل » وعلى أساسه كانت الخطة .

وخاب ظن « إسرائيل » ، فإن قضية فلسطين أكبر من الشقيري ومن حكام العرب أجمعين ، بل إنها أكبر من الشعب الفلسطيني بكل بسالاته وبطولاته ، إنها قضية

---

(١) انظر : **O Jerusalem** , Larry Collins and Dominique Lapierre , p. 393 .

(٢) **القرآن الكريم** ، « سورة هود » ، الآية ٤٤ .

الأمة العربية بكل طاقاتها وقدراتها ، وبكل أجيالها ، إذا كان مقدرا لهذه القضية أن تعيش مع الأجيال .

وتلاحقت الأحداث العربية ، فانعقدت مؤتمرات القمة العربية الثلاثة ، في القاهرة والإسكندرية والدار البيضاء . وتوتر الموقف ربيع عام ١٩٦٧ ، وأعلن الرئيس عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية وأغلق خليج العقبة . وفي غمرة الموجة العارمة التي سادت الوطن العربي جاء الملك حسين إلى القاهرة ، والتقى مع الرئيس عبد الناصر ، وتم توقيع اتفاقية الدفاع المشترك . وسافرت مع الملك حسين إلى عمّان وهو يقودني بطائرته ، وأنا أحاول أن أقوده على درب النضال بكل صفاء وإخلاص .

وأترك بقية القصة ، وقد شرحتها في الفصول السابقة ، لأنتقل إلى مؤتمر صحافي عقدته في اليوم الثاني من حزيران / يونيو في عمّان ، قبل الحرب بثلاثة أيام . وقد كانت هذه المناسبة فرصة جديدة لـ « إسرائيل » لإطلاق شعار إلقاء اليهود في البحر من جديد .

كان المؤتمر الصحافي غاصّاً بالمراسلين الأجانب ، بالإضافة إلى الصحافيين العرب ، وقد شرحت فيه الموقف العربي بالنسبة إلى القضية الفلسطينية ، والمؤامرات الدولية التي أدت بالنهاية إلى تشريد الشعب الفلسطيني . وأنا أقول أنقل الآن عن محضر المؤتمر الصحافي ما يتصل بالموضوع الذي نحن بصدده .

س- « هل تعتقدون أن التوتر الحاضر سيؤدي إلى حرب بين الدول العربية و « إسرائيل » ؟ » .

ج - « يبدو لي أن الحرب واقعة لا محالة ، وأنه أصبح لا مفرّ منها » .

س- « وهل ستشترك منظمة التحرير الفلسطينية في هذه الحرب ؟ » .

ج- « لقد وضع جيش التحرير الفلسطيني تحت إمرة الدول العربية ليحارب إلى جانبها ، بل إنه سيكون في الصفوف الأمامية في هذه المعركة » .

س- « وما هو هدفكم إذا ربحتم الحرب ؟ » .

ج - « إن هدفنا هو تحرير وطننا من الاحتلال الإسرائيلي ، شأننا في ذلك شأن جميع الحركات التحريرية في العالم ، نناضل من أجل حريتنا الوطنية وسيادتنا القومية » .

س- « وما هو مصير الإسرائيليين ؟ هل تلقونهم في البحر ؟ » .

ج - « لا نريد إلقاء اليهود في البحر ، هذه تهمة قديمة ، أول ما زيفتها الصهيونية على القيادة الفلسطينية عام ١٩٢٩ ، أثناء الثورة التي نشبت لمناسبة أحداث حائط البراق . أما مصير الإسرائيليين ، فهو موضوع تقرره الأمم المتحدة باعتباره مشكلة دولية » .

س- « هل تفضّل لنا هذا الرأي ؟ » .

ج- « لقد سبق لي في عام ١٩٥٧ أن تقدمت باقتراح إلى الأمم المتحدة دعوت فيه إلى إنشاء وكالة تعرف « بوكالة العودة » تعمل على تسهيل إعادة الإسرائيليين إلى مواطنهم الأولى . وإنني أضيف الآن أن الدول العربية بوصفها أعضاء في الأمم المتحدة مستعدة لأن تساهم بنصيبها في ميزانية هذه الوكالة لتسهيل عودة الإسرائيليين إلى أوطانهم السابقة » .

س- « وهل معنى ذلك أنكم تريدون طرد اليهود من فلسطين ؟ » .

ج : « ليس هذا صحيحاً ، نحن ضدّ « إسرائيل » الدولة ، ولسنا ضدّ اليهود بهذه الصفة . نحن نقاوم الصهيونية وجميع الصهيونيين سواء كانوا في فلسطين أو خارجها . إن اليهود الفلسطينيين يستطيعون البقاء في فلسطين ، وكذلك اليهود الذين جاؤوا من البلاد العربية . وليس لنا عليهم إلا شرط واحد ، وهو أن لا يكون لهم ولاء للصهيونية ولـ « إسرائيل » الدولة » .

س- « واليهود باقون ؟ » .

ج- « يعودون كما جاؤوا ، لقد جاؤوا بالبحر ، وبالبحر يعودون ، ونحن مستعدون لأن نساهم مع الأمم المتحدة في تسهيل عودتهم إلى أوطانهم الأولى » .

ويقودني ما ورد في هذا المؤتمر الصحافي إلى أن أعود إلى الماضي قليلاً . فإنه في الموضوع نفسه .

كان ذلك في اليوم الثاني من شهر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٧ . ويومها ألقيت في الأمم المتحدة خطابا مطولاً تناولت فيه قضية فلسطين من جميع جوانبها . وعرضت في جملة ما عرضت اقتراحاً بأن تنشئ الأمم المتحدة هيئة تسمى « وكالة العودة » تكون مهمتها عودة الفلسطينيين إلى فلسطين ، وعودة الإسرائيليين إلى أوطانهم الأولى ، وقلت ، بعد أن شرحت اختصاص هذه الوكالة الدولية ، ما يلي بالنصّ : « وهكذا فإنه يتضح بأننا لا نريد إلقاء اليهود في البحر . ونحن نتمنى لهم حياة أسعد وأفضل في مواطنهم السابقة حيثُ يستطيعون أن يستقروا تحت إشراف الأمم المتحدة . واليهود ، المواطنون الشرعيون في فلسطين ، الذين يبقون في البلاد يستطيعون أن يشاركوا مع مواطنيهم المسلمين والمسيحيين في حياة جديدة من المودة والاستقرار ، يطورون مستقبلهم السياسي وفق أفضل المنظمات الدستورية الديموقراطية . من غير دولة يستطيع اليهود أن يزدهروا حيثما كانوا . وفي ما يتعلق بالوطن العربي ، فإن خير ما أستطيع أن أقوله هو ما أعلنه أحد قادة الثورة الفرنسية في المجلس الوطني الفرنسي : « نحن لا نعطي شيئاً لليهود كشعب ، ولليهود كأفراد فإننا نعطي كُلّ شيء » . هذا ما نقوله اليوم وغداً .

وهذا الخطاب مسجل في محاضر الأمم المتحدة في الدورة الثانية عشرة . وقد طبع في كراس خاص في نيويورك ، والمقطع الذي أشرت إليه منشور في الصفحة الثانية عشرة ، لمن أراد أن يراجع .

وعلى هذا فإن الذي أعلنته في المؤتمر الصحافي في عمّان في حزيران / يونيو ١٩٦٧ أعلنته قبل عشر سنوات (١٩٥٧) على منبر الأمم المتحدة ، مع التوكيد « بأننا لا نريد إلقاء اليهود في البحر » .

وكان من سخرية القدر أن الذي أكد هذا التوكيد قد

زوّرت عليه « إسرائيل » والصهيونية العالمية وأنصارها أنّه قال « إننا نريد إلقاء اليهود في البحر » .

وفي طرفة عين انطلقت وكالات الأنباء العالمية تنقل الخبر الرهيب : « الشقيري يعلن من عمّان أن العرب يحاربون لإلقاء اليهود في البحر » . واستمرت هذه الحملة بكل شراستها وضراوتها ، ودخلت حرب الأيام الستة ودخلت معها هذه الحملة ، على هامش الانتصارات في الجولان وسيناء ، وفي قطاع غزة .

وفي القطاع بالذات ، حيثُ تكبد الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة في غزة وخانيونس ورفح أمام بطولة شعبنا وجيشنا ، راح المراسلون الحربيون يكتبون إلى صحفهم عن تدمير « جيش الشقيري » مع هواية أخرى ، وهي إطلاق الرصاص على الجدران التي كانت تحتوي على صور الشقيري .

وانتهت الحرب ، ولكن الحملة على الشقيري بدأت من جديد . فقد صنعت « إسرائيل » أفلاماً تسجيلية « وثائقية » عرضتها في كُلّ أرجاء العالم ، وفي كُلّ لغات البشر . وقد عرضت في هذه الأفلام أحداث الحرب ، وغنائم الحرب ، وأسرى الحرب . وكانت في هذه الأفلام ، صورتي بالملابس العسكرية ، أخطب في قطاع عزة ، وفي القاهرة ، وفي بيت المقدس ، والمذيع الإسرائيلي يقول : « هذا هو الشقيري .. الذي أعلن أنّه يريد إلقاء اليهود في البحر » .

وكانت هذه الأفلام مأخوذة عن صور حقيقية لي ، وأنا أخطب في الاجتماعات العامة ، وكانت المناسبة فيها حقيقية ، ولكن ما لم يكن حقيقياً الكلام الذي نسبوه إليّ . وأنّي للمواطن العادي أن يسأل نفسه وهو يرى هذه الأفلام ، ماذا كنت أقول ، وماذا كنت لا أقول ؟

وقد انتشرت هذه الأفلام في كُلّ أرجاء العالم ، وشهدها الملايين ، وأعادتها إلى ذاكرتهم بربرية تيمورلنك ، وجنكيزخان ، وهولاكو ، واجتمعت كلها في هذا الشخص المتعطش إلى الدماء الذي اسمه « الشقيري » .

وقد عرض هذا الفيلم عدة مرات في بيت المقدس بعد الاحتلال ، وقد شهده الشباب العربي ، وفي كُلّ مرة كانوا يشتبكون مع الشباب اليهود استنكاراً للتزوير والبهتان .

وتجاوزني الحقد الإسرائيلي إلى شبابنا الذين اعتقلوا في سجون « إسرائيل » ، فلم يتركوا أحداً من الفلسطينيين المناضلين إلا وصاحوا في وجهه : « أنت تريد إلقاء اليهود في البحر » .

وفي كتاب مذكرات أسير الذي وضعه المناضل الفلسطيني أسعد عبد الرحمن عن اعتقاله في « إسرائيل » ، طرائف يجدها القارئ [1] . ومن هذه الطرائف :

قال المحقق الإسرائيلي : « لقد جئت لتلقينا في البحر ، أليس كذلك ؟ » .

الجواب : « نحن لا نريد إلقاءكم في البحر . إن لنا حقوقاً نطالب بها » .

سؤال : « وماذا تقول بتصريحات أحمد الشقيري التي أعلن فيها أنّه يريد أن يلقي اليهود في البحر » .

جواب : « قلت إننا لا نريد أن نلقي اليهود في البحر . نحن نطالب بحقوقنا في بلادنا » .

وتابع الأسير الفلسطيني حديثه قائلاً :

« وجاءني المحقق ، في الصباح ، وهو يصيح مبتهجا : « لقد مات الشقيري . مات الشقيري » . ولكننا علمنا في ما بعد أن أحمد الشقيري لم يمت ولكن حلّ محلّه يحيى حمودة في رئاسة المنظمة » .

ثُمّ انتقل الحقد الإسرائيلي من شخصي إلى بيتي ، فقد جعلوا بيتي في فلسطين مركزاً سياحياً يأخذون إليه السائحين ، بعد زيارتهم للأماكن التاريخية ، ليقولوا لهم : هذا منزل « الشقيري » الذي كان يريد أن يلقينا في البحر .

وصادف أن صحافياً لبنانياً قد اعتقلته السلطات الإسرائيلية على الحدود صيف عام ١٩٧٠ واحتجزته في « إسرائيل » لمدة أسبوعين للتحقيق معه ، وقبل الإفراج عنه أخذته في رحلة سياحية ، وإلى منزلي ، حيثُ قال له الشرطي : « هذا بيت الشقيري الذي يريد أن يلقي بنا إلى البحر » .

وفي كانون الأول / ديسمبر من هذا العام ١٩٧٢ ، نقلت وكالة اليونايتد برس نبأ يقول أن السلطات الإسرائيلية قد جعلت منزل الشقيري معبداً يهودياً . والحمد لله ولا يحمد على مكروه سواه .

والواقع أني حمدت الله قبل هذا الخبر بزمان ، فقد انزاح شعار إلقاء اليهود في البحر عن أكتافي ، وألقي على أكتاف الرئيس عبد الناصر والرئيس د . نور الدين الأتاسي ، ففي ندوة تلفزيونية (١٩٧٠/٧/٣) أعلن الرئيس الأميركي نيكسون أن مصر وسورية دولتان معتديتان ، وأن الرئيسَين عبد الناصر والأتاسي يريدان إلقاء اليهود في البحر .

هذا مع العلم ، أن الرئيس نيكسون ، قبل ولايته ، كان قد جاء زائراً إلى القاهرة ، فاحتفى به الرئيس عبد الناصر حفاوة بالغة ، فاستضافه في الأقصر وأسوان وفي غيرهما من الأماكن السياحية ، ووضع تحت تصرفه طائرة خاصة . وكُلّ هذه الضيافة والحفاوة من أجل أن يصبح صديقاً للعرب ، فكانت النتيجة أن الرئيس الأميركي اكتشف أن الرئيس عبد الناصر يريد أن يلقي اليهود في البحر .

ثُمّ ألقي هذا الشعار على أكتاف الرئيس أنور السادات ، فقد أعلنت غولدا مائير في اجتماع شعبي أقيم في تل أبيب ، فأشادت « بالنضج السياسي الذي يتحلى به الملك حسين ، وأن الرئيس السادات يصرّ على انسحاب « إسرائيل » إلى حدود حزيران / يونيو ١٩٦٧ وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني ، وذلك يعني رمي اليهود في البحر » ، إلى آخر ما نقلته وكالة أنباء رويتر (١٩٧٢/١٠/١٤) .

---

(١) As'ad Abdel Rahman, **Memoirs of a Prisoner, Palestine Monographs**; 51 (Beirut : Palestine Liberation Organization, Research Center, 1969) , pp . 26, 51, 62, 84, 86 and 135 - 136 .

هذا هو عرض موجز لحكاية شعار إلقاء اليهود في البحر، وقد اخترعه اليهود في عام ١٩٢٩ ، ولا يزالون يرفعونه من حين إلى حين .. وهو أشبه بشعار اللاسامية الذي صنعوه في أوروبا ليشهروه في وجه من ينتقد تصرفاتهم ويعيب عليهم سلوكهم .

... ...

ولكن أحداً لم يفطن إلى أن الصهيونية قد صنعت شعاراً رهيباً طبقته عبر السنين ، ذلك هو شعار إلقاء العرب في الصحراء .

وليس هذا الكلام دعابة ولا مبالغة . فإن المراجع الصهيونية كثيرة وكثيرة . وكلها تقول بالعبارة والكلمة إن على العرب أن يعودوا إلى الصحراء .. هنالك وطنهم . ولا أريد أن أزيد . فإن ذلك يستغرق كتاباً بكامله .

ويكفي أن نتذكر ، والمأساة لا تحتاج إلى تذكير ، مخيمات اللاجئين الفلسطينيين التي دقوا أوتادها في عام ١٩٤٨ ، وراحت الخيام تزداد كُلّ عام حتى أصبحت مجموعة اللاجئين والنازحين مليوناً ونصف مليون ، يعيشون حياةً ، الموت معها أكرم وأشرف .

ولست أعتذر عن الإشارة المتواصلة إلى اسمي في هذا الفصل ، فإني شخص عابر تحت هذا الشعار ، شعار إلقاء اليهود في البحر . وسيمر تحته غيري من الذين دفعتهم الأقدار إلى المسؤولية القيادية في قضية فلسطين .

وكُلّ قصدي أن يزداد المواطن العربي معرفة بالعدو وأساليبه ، ودعاياته ، وأن يعلم كذلك أن دعاياته قد اخترقت عقول بعض العرب ، فراح يصدّق التزوير الإسرائيلي ، ولا يتردد أن يحكي « بحكمة ورجاحة وعقلانية » قائلاً : « يا أخي هذه نتيجة خطبنا بأننا نريد أن نلقي اليهود في البحر ! » .

تلك هي قصة الصهيونية : اخترعت شعار إلقاء اليهود في البحر ، زوراً وبهتاناً ، وألقت بالعرب في الصحراء فعلاً وعملاً .

وليس غريباً على « إسرائيل » أن تستخدم البحر في دعاياتها ، فإن لها فيه أحداثاً وأحداثاً .

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾[1] .

﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ﴾[2] .

﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ .. ﴾[3] .

صدق الله العظيم

---

(١) **القرآن الكريم** ، « سورة يونس » ، الآية ٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ، « سورة البقرة » ، الآية ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، « سورة الشعراء » ، الآية ٦٣ .

ملحق (٦)

أعضاء اللجان التنفيذية في مرحلة الشقيري

الرقم	الاســـم	اللجان التي شارك فيها
١	إبراهيم أبو ستة	٢ - ٣
٢	أحمد السعدي	٣
٣	د . أحمد سروري	٢
٤	أحمد صدقي الدجاني(*)	٣
٥	د . أسامة النقيب	٣ - ٤
٦	بهجت أبو غربية (*)	١ - ٤
٧	جمال الصوراني(*)	٢ - ٣ - ٤
٨	حامد أبو ستة (*)	١ - ٤
٩	د . حيدر عبد الشافي(*)	١
١٠	خالد الفاهوم (*)	١ - ٤
١١	د . داوود الحسيني(*)	٢
١٢	سعيد العزة(*)	٢ - ٣ - ٤
١٣	سيد بكر	٢
١٤	شفيق الحوت(*)	٣
١٥	عبد الحميد ياسين(*)	٢
١٦	عبد الخالق يغمور(*)	١ - ٤
١٧	عبد الرحمن السكسك (نائب للرئيس)	١
١٨	عبد الفتاح يونس	٣
١٩	عبد المجيد شومان(*) (رئيس الصندوق القومي)	١ - ٢ - ٣ - ٤
٢٠	فاروق الحسيني (*)	١
٢١	د . فايز الصايغ (*)	٢
٢٢	فلاح الماضي (أميناً للسر)	١
٢٣	قاسم الريماوي(*)	١
٢٤	قصي العبادلة	١
٢٥	مجدي أبو رمضان	٤
٢٦	نجيب ارشيدات (*)	٢
٢٧	نقولا الدر(*)	١
٢٨	نمر المصري(*)	٣ - ٤
٢٩	اللواء وجيه المدني (*)	٣ - ٤
٣٠	د . وليد القمحاوي(*)	١
٣١	يحيى حمودة(*)	٤
٣٢	يوسف عبد الرحيم	٤

(*) متوفي

ملحق (٧)

أعضاء الوفد الفلسطيني إلى الصين
٢٠ - ٢٢ آذار / مارس ١٩٦٥

- اللواء وجيه المدني القائد العام لجيش التحرير الفلسطيني

من أعضاء اللجنة التنفيذية :

- عبدالرحمن السكسك
- عبدالخالق يغمور
- خالد الفاهوم

من أعضاء المجلس الوطني :

- رفعت النمر
- عبدالمحسن قطان
- الدكتور فاضل زيدان
- جميل بركات
- شفيق ترزي
- عبدالحميد طقش
- النقيب فخري شقورة الضابط في جيش التحرير الفلسطيني مرافقاً عسكرياً

ملحق (٨)

مؤتمرات عربية شارك الشقيري فيها وفي لجانها المختلفة :

١ - المؤتمر القومي العربي (بلودان) ١٩٣٧
٢ - مؤتمر الإسكندرية (مشاورات تأسيس الجامعة العربية) ١٩٤٤
٣ - مؤتمر سان فرانسيسكو ١٩٤٥
٤ - مؤتمر القمة العربية (أنشاص) ١٩٤٦
٥ - مؤتمر باندونغ ١٩٥٥
٦ - مؤتمر الأمم المتحدة الأول حول قانون البحار (جنيف) ١٩٥٨
٧ - مؤتمر الأمم المتحدة الثاني حول قانون البحار (جنيف) ١٩٦٠
٨ - مؤتمر الدول العربية غير المنحازة (بلغراد) ١٩٦٠
٩ - مؤتمر القمة العربية (القاهرة) ١٩٦٤
١٠ - مؤتمر القمة العربية (الإسكندرية) ١٩٦٤
١١ - مؤتمر القمة العربية (الدار البيضاء) ١٩٦٥
١٢ - مؤتمر أبي بكر الصديق (الإسكندرية) ١٩٦٦
١٣ - مؤتمر القمة العربية (الخرطوم) ١٩٦٧

ملحق (٩)

قادة في مسيرة الشقيري

١	أحمد بن بيلا	الرئيس الجزائري
٢	أحمد بن علي آل ثاني	أمير قطر
٣	أحمد حسن البكر	الرئيس العراقي
٤	أحمد حميد الدين	إمام اليمن
٥	أحمد نجيب الهلالي	رئيس وزراء مصر
٦	إدريس السنوسي	ملك ليبيا
٧	أديب الشيشكلي	الرئيس السوري
٨	إسماعيل الأزهري	الرئيس السوداني
٩	أكرم الحوراني	نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة
١٠	الفريق أمين الحافظ	الرئيس السوري
١١	الباهي الأدغم	رئيس وزراء تونس
١٢	بشارة الخوري	الرئيس اللبناني
١٣	توفيق أبو الهدى	رئيس وزراء الأردن
١٤	جروميكو	وزير خارجية الاتحاد السوفييتي
١٥	جمال عبد الناصر	الرئيس المصري
١٦	حافظ الأسد	الرئيس السوري
١٧	الحبيب بورقيبة	الرئيس التونسي
١٨	الحسن الثاني	ملك المغرب
١٩	الأمير حسن الرضا	نائب ملك ليبيا
٢٠	حسن صبري الخولي	الممثل الشخصي للرئيس عبدالناصر (مصر)
٢١	حسني الزعيم	الرئيس السوري
٢٢	حسين الشافعي	نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة
٢٣	الحسين بن طلال	ملك الأردن
٢٤	خالد العظم	رئيس وزراء سورية
٢٥	خروشوف	رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي
٢٦	داج همرشولد	السكرتير العام للأمم المتحدة
٢٧	رشيد كرامي	رئيس وزراء لبنان
٢٨	رياض الصلح	رئيس وزراء لبنان
٢٩	زايد بن سلطان آل نهيان	رئيس دولة الإمارات
٣٠	سعد العبد الله الصباح	أمير الكويت
٣١	سعد الله الجابري	رئيس وزراء سورية
٣٢	سعد جمعة	رئيس وزراء الأردن
٣٣	سعود بن عبد العزيز آل سعود	ملك السعودية
٣٤	سعيد المفتي	رئيس وزراء الأردن
٣٥	سيف الاسلام عبد الله	نائب إمام اليمن
٣٦	شارل حلو	الرئيس اللبناني
٣٧	شكري القوتلي	الرئيس السوري
٣٨	شو إن لاي	رئيس الصين الوطنية
٣٩	صباح الأحمد	أمير الكويت
٤٠	صبري العسلي	رئيس وزراء سورية
٤١	طاهر يحيى	رئيس وزراء العراق

٤٢	طه الهاشمي	رئيس وزراء العراق
٤٣	الأمير عبد الإله	الوصي على عرش العراق
٤٤	عبد الخالق حسونة	أمين عام الجامعة العربية
٤٥	عبد الرحمن عارف	الرئيس العراقي
٤٦	عبد الرحمن عزام	أمين عام الجامعة العربية
٤٧	عبد السلام عارف	الرئيس العراقي
٤٨	عبد العزير بو تفليقة	الرئيس الجزائري الحالي
٤٩	الملك عبد العزيز آل سعود	ملك السعودية
٥٠	عبد الكريم قاسم	الرئيس العراقي
٥١	عبد الله السالم الصباح	أمير الكويت
٥٢	الملك عبد الله بن الحسين	ملك الاردن
٥٣	الفريق عبد المنعم رياض	رئيس أركان القيادة العربية المشتركة (مصر)
٥٤	المشيرعبدالحكيم عامر	النائب الأول لرئيس الجمهورية العربية المتحدة
٥٥	د . عبدالله اليافي	رئيس وزراء لبنان
٥٦	الفريق علي علي عامر	القائد العام للقيادة العربية المشتركة (مصر)
٥٧	عيسى بن حمد آل خليفة	أمير البحرين
٥٨	الملك فاروق	ملك مصر
٥٩	الملك فهد بن عبد العزيز	ملك السعودية
٦٠	اللواء فؤاد شهاب	الرئيس اللبناني
٦١	د . فوزي الملقي	رئيس وزراء الأردن
٦٢	فيشنسكي	مندوب الاتحاد السوفييتي في الأمم المتحدة
٦٣	الملك فيصل بن عبد العزيز	ملك السعودية
٦٤	كوسيجن	رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي
٦٥	محمد أحمد محجوب	رئيس وزراء السودان
٦٦	الملك محمد الخامس	ملك المغرب
٦٧	محمد بن هيمه	رئيس وزراء المغرب
٦٨	الفريق محمد فوزي	وزير الدفاع القائد العام للقوات العربية (مصر)
٦٩	اللواء محمد نجيب	الرئيس المصري
٧٠	محمود النقراشي	رئيس وزراء مصر
٧١	محمود رياض	أمين عام الجامعة العربية
٧٢	مختار ولد داده	الرئيس الموريتاني
٧٣	مصطفى النحاس	رئيس وزراء مصر
٧٤	الشريف ناصر بن جميل	قائد القوات المسلحة (وزير الدفاع) (الأردن)
٧٥	نهرو	رئيس وزراء الهند
٧٦	نور الدين الأتاسي	الرئيس السوري
٧٧	نوري السعيد	رئيس وزراء العراق
٧٨	هاشم الأتاسي	الرئيس السوري
٧٩	هزاع المجالي	رئيس وزراء الأردن
٨٠	هواري بو مدين	الرئيس الجزائري
٨١	وصفي التل	رئيس وزراء الأردن
٨٢	ياسين الهاشمي	رئيس وزراء العراق
٨٣	يوثانت	السكرتير العام للأمم المتحدة
٨٤	الحاج يوسف العويني	رئيس وزراء لبنان
٨٥	د . يوسف زعين	رئيس وزراء سورية

أهم المراجع

أولاً: الموسوعات

- محمد اشتية (محرر)، **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**، البيرة: المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ٢٠٠٨.
- **الموسوعة الفلسطينية**، ق١، مج ١ - ٤، دمشق: هيئة الموسوعة، ١٩٨٤.
- **الموسوعة الفلسطينية**، ق٢، مج ١ - ٦، بيروت: هيئة الموسوعة، ١٩٩٠.
- **الموسوعة الفلسطينية الميسرة**، عمان: هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة، ٢٠١٢.

ثانيا: الكتب

- أحمد حسين اليماني، **تجربتي مع الأيام: التجربة من إطار حركة القوميين العرب**، ج٤، دمشق: دار كنعان، ٢٠٠٤.
- أسرة أحمد الشقيري، **كلمات وفاء لذكرى أحمد الشقيري ١٩٠٨ – ١٩٨٠**، عمان: لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، ٢٠٠٠.
- **الاعمال الكاملة للشقيري**، مج ١-٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦.
- أكرم زعيتر، **بواكير النضال: من مذكرات أكرم زعيتر ١٩٠٩ -١٩٣٥**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤.
- أنور الخطيب التميمي، **صلاح الدين في القدس: تأملات وذكريات**، القدس: دار الطباعة العربية، ١٩٨٩.
- أنيس صايغ، **أنيس صايغ عن أنيس صايغ**، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٦.
- بهجت أبوغربية، **من مذكرات المناضل بهَجَت أبوغربية من النكبة إلى الانتفاضة (١٩٤٩ – ٢٠٠٠)**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤.
- جمال سلامة، **الكفاح الفلسطيني مقدمات ونتائج**، عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٩.
- حازم نسيبة، **نحن والعالم**، عمان: دار الشعب، ١٩٨٤.
- خالد فاهوم، **خالد الفاهوم: يتذكر**، دمشق: الرواد للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
- خيري أبو الجبين، **قصة حياتي بين فلسطين والكويت**، عمان: دار الشروق، ٢٠٠٢.
- خيرية قاسمية، **أحمد الشقيري زعيماً فلسطينياً ورائداً عربياً**، الكويت: لجنة تخليد ذكرى المجاهد أحمد الشقيري، ١٩٨٧.
- راجي حبيب صهيون، **حتى لا ننسى**، عمّان: وكالة التوزيع الأردنية، ١٩٩٧.
- راشد حميد (إعداد)، **مقررات المجلس الوطني الفلسطيني (١٩٦٤-١٩٧٤)**، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٥.
- ربيحة الدجاني المقدادي، **رحلتي مع الزمن**، بيروت: د.ن، ٢٠٠٠.
- سليم النجار، **مرافىء الذاكرة: حوارات مع بهجت أبو غربية**، عمان: دار الينابيع، ٢٠١١.
- شريف الجعبري، **من دروب العمر**، ط٢، بيروت: المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
- شفيق الحوت، **بين الوطن والمنفى: من يافا بدأ المشوار**، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٧.
- علي شمس الجعبري، **صفحات من حياتي**، عمان: الموءسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
- عيسى الشعيبي، **الكيانية الفلسطينية**، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينة، مركز الأبحاث، ١٩٧٩.
- فيصل الحوراني، **الفكر السياسي الفلسطيني: ١٩٦٤ - ١٩٧٤: دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية**، بيروت: مركز الأبحاث (م. ت. ف)، ١٩٨٠.
- محمد حسنين هيكل، **حديث المبادرة**، د.م: د.ن، ١٩٧٨.
- محمد عزة دروزة، **في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية**، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٧٢.
- محمود رياض، **مذكرات محمود رياض (١٩٤٨-١٩٧٨)**، بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٥.
- _____، **مذكرات محمود رياض**، ج٢، بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.
- _____، **مذكرات محمود رياض**، ج٣، بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.
- مصطفى محمد الفار، **مدينة اللد: موقعا وشهرة وتاريخا ونضالا**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩.
- هارون هاشم رشيد، **إبحار بلا شطآن: فصول من سيرة ذاتية**، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
- يعقوب العودات، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، عمّان: المكتبة العصرية، ١٩٧٢.

ثالثاً: الصحف والدوريات (أعداد متفرقة)

(١) عمّان:

- **جريدة الدستور**
- **جريدة الرأي**

(٢) الكويت:

- **جريدة الأنباء**
- **جريدة السياسة**

- جريدة القبس
- جريدة الوطن
- مجلة الطليعة
- مجلة اليقظة
(٣) بيروت
- شؤون فلسطينية
- مجلة الصمود
(٤) دمشق
- مجلة الجندي
- مجلة الهدف
(٥) جدة ، لندن
- جريدة الشرق الأوسط
(٦) الدوحة
- جريدة العرب
- جريدة العهد
- مجلة الراية
(٧) القاهرة
- الأهرام العربي
(٨) تونس
- شؤون عربية
(٩) الجزائر
- الشروق
(١٠) عدن
- جريدة ١٤ أكتوبر
(١١) فرجينيا ، الولايات المتحدة
- الميزان

رابعاً : مواقع الكترونية

(1) http://www.ahmad-alshukairy.org
(2) http://www.grenc.com